# مجمع البيان

## في تفسير القرآن

للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

# مجمع البيان في تفسير القرآن

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى
شماره ٢٥

لمؤلفه
الشيخ ابى على الفضل بن الحسن الطبرسي
من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي
عفا الله عنهما

الجزء السابع

شماره ثبت ٣٥٤٤٢
رده بندى ............
............
تاريخ ..........

دار المعرفة
للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار المعرفة
DAR EL-MAREFAH
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing

مستديرة المطار - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

# (٢٠) سُورَةُ طٰهٰ مَكِّيَّةٌ
# وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ

[ عدد آيها ] مائة واربعون آية شامي وخمس وثلاثون كوفي واربع حجازي وآيتان بصري.

[ اختلافها ] احدى وعشرون آية طه ما غشيهم رأيتهم ضلوا ثلاثهن كوفي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً كلاهما غير البصري محبة مني حجازي شامي فتونا بصري شامي لنفسي كوفي شامي ولا تحزن وأهل مدين ومعنا بني إسرائيل وأوحينا إلى موسى اربعهن شامي غضبان أسفا وإله موسى كلتاهما مكي والمدني الأول وعدا حسنا الا يرجع اليهم قولاً كلتاهما المدني الأخير القى السامري غير المدني الأخير فنسي عراقي شامي والأخير صفصفا عراقي شامي مني هدى وزهرة الحياة الدنيا غير الكوفي[١] .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبيﷺ قال من قرأها اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار، أبو هريرة عن النبيﷺ انه قال الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم ( ع ) بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة نزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا وعن الحسن قال قال النبيﷺ لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه وروى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله ( ع ) قال لا تدعوا

---

(١) اعلم ان اعداد اهل الكوفة أصح الاعداد لانه مأخوذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام، والمراد بالمعنى الاول هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارى وشيبه بن نصاح ، وقيل المدني الاول الحسن بن علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر والمدني الثاني والمدني الاخير هو إسماعيل بن جعفر ، وقيل المدني الأخير ابو جعفر وشيبة وإسماعيل ، والأول. اشهر، وعدد اهل البصرة منسوب إلى عاصم بن أبي الصباح الجحدري وأيوب المتوكل، وعدد اهل مكة منسوب إلى مجاهدين جبيرة وإسماعيل المكي وعدد اهل الشام منسوب إلى عبد الله بن عامر . (عن هامش بعض النسخ المصححة).

قراءة طه فإن الله سبحانه يحبّها ويحبّ من قرأها وادمن قراءتها واعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه لما عمل في الإسلام وأعطي من الأجر حتى يرضى .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه سورة مريم بذكر إنزال القرآن وانه بشارة للمتقين وانذار للكافرين وافتتح هذه السورة بالقرآن وانه أنزله لسعادته لا لشقاوته فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو طه بفتح الطاء وكسر الهاء كسراً لطيفاً من غير افراط وقرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى عن أبي بكر بكسر الطاء والهاء وكذلك عياش عن أبي عمرو والباقون بفتح الطاء والهاء وروي عن أبي جعفر ونافع كهيعص وطه وطس وحم وآلر كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح اقرب .

[ **الحجة** ] قد مرَّ القول في الامالة والتفخيم في الحروف فيما تقدم والتفخيم لغة اهل الحجاز ولغة النبي ﷺ الشقاء استمرار ما يشق على النفس ونقيضه السعادة والعلى جمع العليا ومنه الدنيا والدنا والقصوى والقصى والثرى والتراب والندي والجهر رفع الصوت يقال جهر يجهر جهراً فهو جاهر والصوت مجهور وضده المهموس .

[ **الاعراب** ] روي عن الحسن انه قرأ طه بفتح الطاء وسكون الهاء فإن صحّ ذلك عنه فأصله طأ فأبدل من الهمزة هاء ومعناه طاءِ الأرض بقدميك جميعاً وقد روي ان النبي ﷺ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فأنزل الله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فوضعها

وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) قال الزجاج ويجوز أن يكون طه امر من وَطأ يطأ على قول من لم يهمز ثم حذفت الألف فصار طَ ثم زيدت الهاء في الوقت ويجوز أن يكون طه جاريا مجرى القسم فيكون ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى جواب القسم وقوله تذكرة مفعول له. لمن يخشى الجار والمجرور في موضع الصفة لتذكرة والأولى ان يكون مصدر فعل محذوف ويكون الاستثناء منقطعاً والتقدير لكن تذكرة وكذلك قوله تنزيلاً مصدر لفعل محذوف تقديره نزلناه تنزيلاً أو نزل تنزيلاً ويدل عليه قوله انزلنا.

[ **المعنى** ] ﴿**طه**﴾ قد بيَّنا في اول البقرة تفسير حروف المعجم في أوائل السور والاختلاف فيه وقد قيل ان معنى طه يا رجل عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والكلبي غير ان بعضهم يقول هو بلسان الحبشية او النبطية وقال الكلبي هي بلغة عك وانشد لتميم بن نويرة :

هَتَفْتُ بِطٰهٰ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فَخِفْتُ لَعَمْرِي أَنْ يَكُونَ مُوائِلا[1]

قال الآخر :

إِنَّ السَّفَاهَةَ طٰهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ لا بَارَكَ اللّٰهُ في الْقَوْمِ الْمَلاَعِين

وقال الحسن هو جواب للمشركين حين قالوا انه شقي فقال سبحانه يا رجل ﴿**ما انزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ لكن لتستعد به وتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة قال قتادة وكان يصلي الليل كله ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه وذكر انه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب ﴿**إلا تذكرة لمن يخشى**﴾ قال المبرد معناه لكن انزلناه تذكرة أي لتذكرة من يخشى الله والتذكرة مصدر كالتذكير ﴿**تنزيلاً**﴾ اي انزلناه تنزيلاً ﴿**ممن خلق الأرض**﴾ بدأ بالأرض ليستقيم رؤوس الآي ﴿**والسماوات العلى**﴾ اي الرفيعة العالية نبَّه بذلك على عظم حال خالقهما ثم أكد ذلك بقوله ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ اي هو الرحمن لأنه لما قال ممن خلق بينّه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال أحمد بن يحيى الاستواء الاقبال على الشيء فكأنه أقبل على خلق العرش وقصد إلى ذلك وقد سبق القول في معنى الاستواء في سورة البقرة والاعراف ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض**﴾ أي له ملك ما في السماوات وما في الأرض وتدبيرهما وعلمهما يعني أنه مالك كل شيء ومدّبره﴿**وما بينهما**﴾ يعني الهواء ﴿**وما تحت الثرى**﴾ والثرى التراب الندي يعني وما وارى

(١) وئل: التجأ. وفي بعض النسخ «مواليا» مكان «موائلا».

الثرى من كل شيء عن الضحاك. وقيل يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والاموات ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي ان ترفع صوتك به ﴿فإنه يعلم السر واخفى﴾ أي فلا تجهد نفسك برفع الصوت فإنك وان لم تجهر علم الله السر واخفى من السر ولم يقل واخفى منه لدلالة الكلام عليه كما يقول القائل فلان كالفيل أو اعظم وقيل تقديره وان تجهر بالقول أو لا تجهر فإنه يعلم السر واخفى منه ثم اختلفوا فيما هو اخفى من السر فقيل ما حدث به العبد غيره في خفية واخفى منه ما اضمره في نفسه ما لم يحدث به غيره عن ابن عباس وقيل السر ما اضمره العبد في نفسه واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره أحد عن قتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك واخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك في ثاني الحال وقيل العمل الذي تستره عن الناس واخفى منه الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم السر أي اسرار الخلق واخفى أي سرَّ نفسه عن زيد بن اسلم جعله فعلاً ماضياً وروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) السر ما اخفيته في نفسك واخفى ما خطر ببالك ثم انسيته ﴿الله لا إله إلا هو﴾ لا معبود تحق له العبادة غيره ﴿له الاسماء الحسنى﴾ اي الاسماء الدالة على توحيده وعلى انعامه على العباد وعلى المعاني الحسنة فأيها دعوت جاز وروي عن النبي ﷺ انه قال انه لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالى وذكر هذه الاسماء الحسنى يريد بها توحيد الله واعظامه دخل الجنة وقد جاء في الحديث من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة فهذا لمن ذكر اسم الله موحداً له به فكيف بمن ذكر اسماءه كلها يريد بها توحيده والثناء عليه وإنما قال الحسنى بلفظ التوحيد ولم يقل الاحاسن لأن الاسماء مؤنثة تقع عليها هذه كما تقع على الجماعة هذه كأنه اسم واحد للجمع قال الاعشى.

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفَرْتُ بِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ

وفي التنزيل حدائق ذات بهجة ومآرب أخرى :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ
هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ

نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ
لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو اني انا ربك بفتح الالف والباقون اني بالكسر وقرأ حمزة لأهله امكثوا وفي القصص ايضاً بضم الهاء وانا مشدد مفتوح الهمزة اخترناك على الجمع والباقون لأهله بكسر الهاء وانا اخترتك على التوحيد وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة طوى بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الالف.

[ **الحجة** ] قال أبو علي من كسر اني فلأن الكلام حكاية كأنه نودي فقيل يا موسى اني انا ربك ومن فتح فكان المعنى نودي بكذا ونادى قد يوصل بحرف الجر قال.

نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَرَّمٍ إِنَّ الْمُنَوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ[١]

ومن الناس من يعمل هذه الاشياء التي هي في المعنى قول كما يعمل القول ولا يضمر القول معها وينبغي ان يكون في نودي ضمير يقوم مقام الفاعل لأنه لا يجوز ان يقوم واحد من قوله يا موسى ولا اني انا ربك مقام الفاعل لأنها جمل والجمل لا تقوم مقام الفاعل فإن جعلت الاسم الذي يقوم مقام الفاعل موسى لأن ذكره قد جرى كان مستقيماً وقوله طوى يصرف ولا يصرف فمن صرفه فعلى وجهين (أحدهما) ان يجعله اسم الوادي فيصرفه لأنه سمي مذكراً بمذكر (والآخر) ان يجعله صفة وذلك في قول من قال انه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى ويكون صفة كقوله مكاناً سوى وقوم عدى وجاء في طوى الضم والكسر كما جاء في مكان سوى الضم والكسر قال الشاعر:

---

(١) نوّه باسمه: دعاه.

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلَامَةً      لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا ثِنى

أي ليس هذا بأول ملامتها ومن لم يصرف احتمل أمرين (أحدهما) ان يكون اسماً لبقعة أو ارض فهو مذكر فيكون بمنزلة امرأة سميتها بحجر ويجوز ان يكون معدولاً كعمر ولا يمتنع ان تقدر العدل فيما لم يخرج إلى الاستعمال الا ترى ان جمع وكتع معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى وأما ضم الهاء في قوله لأهله امكثوا فقد مضى القول في مثله وأما قوله وانا اخترتك فالافراد اكثر في القراءة وهو اشبه بما قبله من قوله إني أنا ربك ووجه الجمع ان يكون ذلك قد جاء في نحو قوله تعالى سبحان الذي اسرى ثم قال وآتينا موسى الكتاب ويمكن ان يكون الوجه في قراءة حمزة وانا اخترناك مع انه قرأ إني أنا ربك بالكسر ان يكون التقدير ولأنا اخترناك فاستمع فيكون الجار والمجرور في موضع نصب بقوله فاستمع ولم يذكر الشيخ ابو علي وقوله أخفيها فإنهم قالوا معناه اظهرها قال أبو علي الغرض فيه ازيل عنها خفاءها وهو ما يلف فيه القربة ونحوها من كساء وما يجري مجراه وعليه قول الشاعر :

لَقَدْ عَلِمَ الأَيْقَاظ أَخْفِيَةَ الْكَرى      تَزَجُّجَها مِنْ حَالِكٍ فَاكْتِحَالَها[1]

قال اراد بالايقاظ عيوناً فجعل العين كالخفاء للنوم كأنها تستره وهو من الفاظ السلب فأخفيته سلبت عنه خفاه كما تقول اشكيت الرجل ازلت عنه ما يشكوه وأما اخفيها بفتح الالف فإنه اظهرها قال امرؤ القيس.

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا      خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سَحَابٍ مُرَكَّبِ[2]

وقوله :

فَإِنْ تَدْفِنُوا الْدَاءَ[3] لا نَخْفِهِ      وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا نَقْعُدِ

رواية ابي عبيدة بضم النون من نخفه ورواية الفراء بفتح النون :

[ **اللغة** ] الايناس وجدان الشيء الذي يؤنس به والقبس الشعلة من النار في طرف عود او قصبة والخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه وخلع نعله والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد واصله عظم الأمر ومنها الدية لأنها العطية في الأمر العظيم وهو

(١) الكرى : النعاس : والحالك: المظلم.

(٢) اي اخرجهن من حجرتهن كما يخرجها المطر العظيم. والضمير لليرابيع يصف فرساً اخرج اليرابيع من حجرتها بعدوه.

(٣) وفي اللسان «فان تكتموا السر».

القتل والمقدس المطهر قال امرؤ القيس (كَمٰا شَبْرَقَ الْوِلْدٰانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ)[1] يـريد العابد من النصارى كالقسيس ونحوه وسمي الوادي طوى لأنه طوى بالبركة مرتين عن الحسن فعلى هذا يكون مصدر قولك طويت طوى قال عدي بن زيد :

أَعَـاذِلِ إِنَّ الـلَّوْمَ فـي غَـيْـرِ كُـنْـهِـهِ عَـلَيَّ طُـوىً مِـنْ غَـيِّـكَ الـمُـتَـرَدِّدِ

ويقال اخفيت الشيء كتمته واظهرته جميعاً وخفيته بـلا الف اظهرتـه لا غير والـردى الهلاك وردي يردى ردى إذا هلك وتردى بمعناه .

[ **الاعراب** ] قوله إذ رأى الظرف يتعلق بمحذوف فهو في موضع النصب على الحال من حديث موسى وأكاد اخفيها جملة في موضع رفع بأنها خبر ان فهي خبر بعد خبر. اللام في لتجزي يتعلق بآتية ويجوز ان يتعلق بقوله وأقم الصلاة فتردي منصـوب باضمـار ان في جواب النهي .

[ **المعنى** ] ثم خاطب الله سبحانه نبيَّه تسلية له مما ناله من اذى قومه وتثبيتاً له بالصبر على أمر ربه كما صبر موسى ( ع ) حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة فقال ﴿**وهل اتاك حديث موسى**﴾ هذا ابتداء اخبار من الله تعالى على وجه التحقيق إذ لم يبلغه حديث موسى فهو كما يخبر الانسان غيره بخبر على وجه التحقيق فيقول هل سمعت بخبر فلان وقيل انـه استفهام تقرير بمعنى الخبر اي وقد أتاك حديث موسى ﴿**إذ رأى ناراً**﴾ عن ابن عباس قال وكان موسى رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلما قضى الاجل وفارق مدين خرج ومعه غنم له وكان اهله على اتان وعلى ظهرها جوالق فيها اثاث البيت فأضلَّ الطريق في ليلة مظلمـة وتفرقت ماشيته ولم ينقدح زنده وامرأته في الطلق فرأى ناراً من بعيد كانت عند الله نوراً وعند موسى ناراً ﴿**فقال**﴾ عند ذلك ﴿**لأهله**﴾ وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين ﴿**امكثوا**﴾ اي الزموا مكانكم قال مقـاتل وكـانت ليلة الجمعة في الشتـاء والفرق بين المكث والإقـامة ان الاقامة تدوم والمكث لا يدوم ﴿**إني آنست ناراً**﴾ أي ابصرت ناراً ﴿**لعلي آتيكم منها بقبس**﴾ اي بشعلة اقتبسها من معظم النار تصطلون بها ﴿**أو أجد على النار هدى**﴾ أي أجد على النار هادياً يدلّني على الطريق وقيل علامة استدل بها على الطريق والهدى ما يهتدي به فهو اسم

---

(١) وقبله «فأدركنه يأخذن بالساق والنسا» وشبرق الثوب: قطعه ومزقه: يقول: أدركت الكلاب الثور الوحشي فأخـذن بساقه ونساه (وهو عـرق من الورك الى الكعب) وشبـرقت جلده كما يمـزق الصبيان ثـوب الراهب حين ينـزل من صومعته تبّركاً به .

ومصدر قال السدي لأن النار لا تخلو من أهل لها وناس عندها ﴿**فلما اتاها**﴾ قال ابن عباس لما توجَّه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة وهو قوله ﴿**نودي يا موسى اني انا ربك**﴾ والنداء الدعاء على طريقة يافلان فمن فتح الألف من اني فالمعنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فقيل اني انا ربك الذي خلقك ودبَّرك قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا أرى مكانك فاين انت انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه عز وجل وايقن به وإنما علم موسى (ع) ان ذلك النداء من قبل الله تعالى لمعجز اظهره الله سبحانه كما قال في موضع آخر إني أنا الله رب العالمين وان ألقِ عصاك إلى آخره وقيل أنه لما رأى شجرة خضراء من اسفلها إلى اعلاها تتوقد فيها نار بيضاء وسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً لم تكن الخضرة تطفىء النار ولا النار تحرق الخضرة تحيَّر وعلمَّ انه معجز خارق للعادة وانه لأمر عظيم فألقيت عليه السكينة ثم نودي اني انا ربك وإنما كرَّر الكناية لتأكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة ﴿**فاخلع نعليك**﴾ أي انزعهما وقيل في السبب الذي أمر بخلع النعلين اقوال (أحدها) انهما كانتا من جلد حمار ميت عن كعب وعكرمة وروي ذلك عن الصادق (ع) (وثانيها) كانتا من جلد بقرة ذكية ولكنه امر بخلعهما ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الواد المقدس عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج (وثالثها) ان الحفاء من علامة التواضع ولذلك كانت السلف تطوف حفاة عن الاصم (ورابعها) ان موسى (ع) إنما لبس النعل اتقاء من الانجاس وخوفاً من الحشرات فامنه الله مما يخاف واعلمه بطهارة الموضع عن أبي مسلم ﴿**أنك بالواد المقدس**﴾ اي المبارك عن ابن عباس بورك فيه بسعة الرزق والخصب وقيل المطهر ﴿**طوى**﴾ هو اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل سمي به لأن الوادي قدِّس مرتين فكانه طوي بالبركة مرتين عن الحسن ﴿**وانا اخترتك**﴾ اي اصطفيتك بالرسالة ﴿**فاستمع لما يوحى**﴾ اليك من كلامي واصغ اليه وتثبت، لما بشره الله سبحانه بالنبوة امره باستماع الوحي ثم ابتدأ بالتوحيد فقال ﴿**انني انا الله لا إله إلا انا**﴾ اي لا إله يستحق العبادة غيري ﴿**فاعبدني**﴾ خالصاً ولا تشرك في عبادتي احداً ، امره سبحانه بان يبلغ ذلك قومه ﴿**واقم الصلاة لذكري**﴾اي لان تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله عن الحسن ومجاهد وقيل معناه لأن أذكرك بالمدح والثناء ، وقيل ان معناه صلّ لي ولا تصل لغيري كما يفعله المشركون عن أبي مسلم وقيل معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها ام لم تكن عن اكثر المفسرين

وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ويعضده ما رواه انس عن النبي ﷺ قال من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ اقم الصلاة لذكري رواه مسلم في الصحيح ثم اخبره سبحانه بمجيء الساعة فقال ﴿ان الساعة آتية﴾ يعني ان القيامة جائية قائمة لا محالة ﴿اكاد اخفيها﴾ أي اريد أن اخفيها عن عبادي لئلا تأتيهم إلا بغتة قال تغلب هذا اجود الأقوال وهو قول الاخفش وفائدة الاخفاء التهويل والتخويف فإن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وروي ابن عباس اكاد اخفيها من نفسي وهي كذلك في قراءة ابي وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى اكاد لا اظهر عليها احداً وهو قول الحسن وقتادة والمقصود من ذلك تبعيد الوصول الى علمها وتقديره إذا كدت اخفيها من نفسي فكيف اظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء قال كتمته حتى من نفسي اي لم اطلع عليه احداً فبالغ سبحانه في اخفاء الساعة وذكره بابلغ ما تعرفه العرب وقال أبو عبيدة معنى اخفيها اظهرها ودخلت اكاد تأكيداً والمعنى يوشك ان اقيمها ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ اي بما تعمل من خير وشر ولينتصف من الظالم للمظلوم ﴿فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها﴾ أي لا يصرفنّك عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة وقيل معناه لا يمنعك عن الإيمان بالساعة من لا يؤمن بها وقيل عن العبادة ودعاء الناس إليها وقيل عن هذه الخصال ﴿واتبع هواه﴾ والهوى ميل النفس إلى الشيء ومعناه ومن بنى الأمر على هوى النفس دون الحق وذلك ان الدلالة قد قامت على قيام الساعة ﴿فتردى﴾ أي فتهلك كما هلك اي ان صددت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت والخطاب وان كان لموسى (ع) فهو في الحقيقة لسائر المكلفين وفي هذه الآيات دلالة على ان الله تعالى كلّم موسى وان كلامه محدث لأنه حل الشجرة وهي حروف منظومة .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ
عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ
أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ
تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾
وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً

أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ
أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾
وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ
أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ
يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر أَشدُدْ بقطع الهمزة وفتحها وأُشرِكهُ بضمها والباقون اشدد بهمزة الوصل واشركه بالفتح وفي الشواذ قراءة عكرمة واهس بالسين وقراءة ابي البرهسم[١] واهش بكسر الهاء .

[ **الحجة** ] الوجه في قراءة ابي عامر انه جعله خبراً وسائر القراء جعلوه دعاء وضم الهمزة في اشركه ضعيف جداً لأنه ليس إلى موسى اشراك هارون في النبوة بل ذلك إلى الله تعالى فالوجه فتح الهمزة على الدعاء ومن قرأ اهش بكسر الهاء فيمكن ان يكون اراد اهش بضم الهاء اي اكسر الكلاء بها للغنم فجاء بها على يغسل ان كان متعدياً كما جاء هرَّ الشيء يُهر ويهره إذا كرهه وشدَّ الحبل يشُدّه ويشِدّه ونمَّ الحديث ينُمّه وامـا اهس بالسين فمعناه اسوق وكان ينبغي ان يقول اهسَّ بها غنمي ولكن لما دخل السوق معنى الانتحاء لها والميل بها عليها استعمل على معها حملاً على المعنى .

**اللغة** ] التوكؤ والإتكاء بمعنى مثل التوقي والإتقاء والهش ضرب ورق الشجر ليتساقط والمآرب الحوائج واحدتها مأربة بضم الراء وفتحها وكسرها عن علي بن عيسى والسيرة والطريقة من النظائر ومعناه مرور الشيء في جهة وأصل الجناح من الجنوح وهو الميل لأن الطائر يميل به في طيرانه وعضد الإنسان جناحه لأن من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها

(١) ابو البرهسم كسفرجل من قراء الشام وفي نسختين مخطوطتين «إبراهيم» مكان «ابي البرهسم».

وقيل يريد بالجناح الجلب لأن فيه جنوح الأضلاع وقال الراجز « أضمّها للصدر والجناح » قال أبو عبيدة الجناحان الناحيتان والطغيان تجاوز الحد في العصيان وشرح الصدر توسعه ومنه شرح المعنى وهو بسط القول فيه والعقدة جملة مجتمعة يصعب تفكيكها والحل ضد العقد ونظيره الفصل والقطع والوزير حامل الثقل عن الرئيس مشتق من الوزر الذي هو الثقل والأزر الظهر يقال أزرني فلان على أمري أي كان لي ظهراً ومنه الميزر لإنه يشدُّ على الظهر والأزار لأنه يسيل على الظهر والتأزير التقوية ويمكن أن يكون أزر ووزر مثل أرخ وورخ وأكد ووكد قال امرؤ القيس :

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُها مَضَمُّ جَيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ(١)

[ **الإعراب** ] وما تلك بيمينك قال الزجاج تلك اسم مبهم يجري مجرى التي ويوصل كما توصل التي والمعنى وما التي بيمينك وأنشد الفراء :

عَدَسَ مَا لِعُبَّادٍ عَلَيْكِ إمَارَةٌ أمِنْتِ وَهٰذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ(٢)

أي والذي تحملين قال بعض المتأخرين إن الصحيح الذي لا غبار عليه أن يكون تلك مبتدأ وما خبره قدّم عليه لما فيه من معنى الإستفهام وبيمينك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من معنى الفعل في تلك وهو الإشارة قال وإنما قلنا ذلك لأن أسماء الإشارة إنما تبين بصفاتها كما أن الأسماء الموصولة تبين بصلاتها ولا يجوز وصف المبهم بالجملة لأن الجمل نكرات وقوله ﴿ **فإذا هي حية تسعى** ﴾ إذاً هذه ظرف المفاجأة وهي ظرف مكان تقديره فبالحضرة هي حية والعامل في الظرف تسعى وهذا يدل على إن إذاً هاهنا غير مضاف إلى الجملة لأنه لو كان كذلك لم يعمل فيه مما في الجملة شيء لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف وسيرتها إنتصب على تقدير سنعيدها إلى سيرتها فحذف الجار . من غير سوء في موضع نصب على الحال والتقدير تبيض غير برصاء فيه فيكون حالاً عن حال . آية أخرى إسم في موضع الحال أيضاً والمعنى تخرج بيضاء مبيَّنة قال الزجاج ويجوز أن يكون منصوبة على آتيناك آية أخرى ونؤتيك آية أخرى لأن في قوله ﴿ **تخرج بيضاء** ﴾ دليلاً على أنه يعطى آية أخرى . لنريك اللام يتعلق بقوله ﴿ **واضمم** ﴾ والمفعول الثاني من نري يجوز أن يكون محذوفاً وتقديره لنريك من آياتنا الكبرى آيات ويجوز أن يكون الكبرى صفة محذوف

---

(١) المحنية : منعطف الوادي . والضال : شجر السدر .

(٢) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب مراراً .

وهو المفعول الثاني والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا . هارون بدل من قوله ﴿ **وزيراً** ﴾ ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار فعل كأنه قال أعني هارون أخي أو استوزر لي هارون لأن وزيراً يدل عليه وأخي صفة لهارون ويجوز أن يكون بدلاً منه قال الزجاج يجوز أن يكون هارون مفعولاً أول لأجعل ووزيراً مفعولاً ثانياً له وعلى هذا فيكون مثل قوله تعالى ﴿ **وجعلوا لله شركاء الجن** ﴾ في أن المفعول الثاني من هذا الباب قد تقدم على المفعول الأول ولو قرأ بالرفع هارون لكان خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من هذا الوزير فقيل هو هارون وكثيراً نعت مصدر محذوف في الموضعين أي تسبيحاً كثيراً وذكراً كثيراً ويجوز أن يكون نعتاً لظرف محذوف تقديره نسبّحك وقتاً كثيراً ونذكرك وقتاً كثيراً .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه ما أعطى موسى من المعجزات فقال ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى** ﴾ سأله عما في يده من العصا تنبيهاً له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها والتأمل لها ﴿ **قال** ﴾ موسى ﴿ **هي عصاي اتوكؤ عليها** ﴾ أي أعتمد عليها إذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي ﴿ **وأهش بها على غنمي** ﴾ أي وأخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي ﴿ **ولي فيها مآرب أخرى** ﴾ ولم يقل أخر ليوافق رؤوس الآي أي حاجات أخرى فنصَّ على اللازم وكنّى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده ويركزها فيخرج منه الماء ويضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل وكان يطرد بها السباع وإذا ظهر عدوّ حاربت وإذا أراد الإستسقاء من بئر طالت وصارت شعبتاها كالدلو وكان يظهر عليها كالشمعة فتضيء له الليل وكانت تحدثه وتؤنسه وإذا طالت شجرة حناها بمحجنها[١] ﴿ **قال** ﴾ الله سبحانه ﴿ **ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى** ﴾ أي تمشي بسرعة وقيل صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعباناً وهي أكبر من الحيات عن ابن عباس وقيل أنه ألقاها وحانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إله الناظرون ويمرّ بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلقمها وتطعن أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فتجتّها[٢] وعيناه تتوقدان ناراًوقد عاد المحجن عنقاً فيه شعر مثل النيازك[٣] فلما عاين ذلك ولّى مدبراً ولم يعقّب ثم ذكر ربه فوقف إستحياء منه ثم نودي يا موسى إرجع إلى حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ﴿ **فقال خذها** ﴾ بيمينك ﴿ **ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى** ﴾ أي سنعيدها إلى الحالة الأولى عصاء وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خلّها بخلال فلما أمره سبحانه بأخذها أدلى طرف المدرعة على يده فقال مالك يا موسى أرأيت لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني

---

(١) المحجن : المنعطف الرأس . (٢) جث الشيء : قلعه من أصله . (٣) جمع النيزك : الرمح القصير .

عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ عليها بين الشعبتين عن وهب وقيل كانت العصا من آس الجنة أخرجها آدم (ع) وتوارثها الأنبياء إلى أن بلغ شعيباً فدفعها إلى موسى قال وهب كانت من عوسج وكان طولها عشرة أذرع على مقدار قامة موسى ﴿ **واضمم يدك إلى جناحك** ﴾ معناه واجمع يدك إلى ما تحت عضدك عن مجاهد والكلبي وقيل إلى جنبك وقيل أدخلها في جيبك وكنّى عن الجنب بالجناح ﴿ **تخرج بيضاء** ﴾ لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشدُّ ضوءاً عن ابن عباس ﴿ **من غير سوء** ﴾ من غير برص في قول الجميع قالوا وكان موسى ادم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردَّها فعادت إلى لونها الذي كانت عليه ﴿ **آية أخرى** ﴾ أي فنزيدك بها آية أخرى أو تخرج مبينة آية أخرى ﴿ **لنريك من آياتنا** ﴾ وحججنا ﴿ **الكبرى** ﴾ منها ولو قال الكبر على الجمع وصفاً لجميع الآيات لكان جائزاً وقيل معناه لنريك من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدلالتين وقيل إنها هلاك فرعون وقومه فلما حمله سبحانه الرسالة وأراه المعجزات أمره بالتبليغ فقال ﴿ **إذهب إلى فرعون** ﴾ فادعه إلي ﴿ **إنه طغى** ﴾ أي تجبر وتكبر في كفره ﴿ **قال** ﴾ موسى عند ذلك ﴿ **رب اشرح لي صدري** ﴾ أي وسّع لي صدري حتى لا اضجر ولا أخاف ولا اغتم ﴿ **ويسّر لي أمري** ﴾ أي سهّل عليَّ أداء ما كلفتني من الرسالة والدخول على الطاغي ودعائه إلى الحق ﴿ **وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** ﴾ أي واطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفقهوا كلامي وكان في لسان موسى (ع) رُتّه لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة[1] وقيل إن سبب تلك العقدة في لسانه جمرة طرحها في فيه وذلك لما أراد فرعون قتله لأنه أخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل فقالت آسية بنت مزاحم لا تفعل فإنه صبي لا يعقل وعلامة جهله أنه لا يميز بين الدرة والجمرة فأمر فرعون حتى أحضر الدرة والجمرة بين يديه فأراد موسى أن يأخذ الدرة فصرف جبرائيل يده إلى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير ومجاهد والسدي وقيل إنه إنحل ما كان بلسانه إلا بقية منه بدلالة قوله ﴿ **ولا يكاد يبين** ﴾ عن الجبائي وقيل استجاب الله تعالى دعاءه فأحل العقدة عن لسانه عن الحسن وهو الصحيح لقوله سبحانه ﴿ **أوتيت سؤلك يا موسى** ﴾ ومعنى قوله ﴿ **ولا يكاد يبين** ﴾ أي لا يأتي ببيان وحجة وإنما قالوا ذلك تمويهاً ليصرفوا الوجوه عنه ﴿ **واجعل لي وزيراً** ﴾ يؤازرني على المضي إلى فرعون ويعاضدني عليه وقيل اجعل لي معاوناً أتقوّى به

(١) تمتم تمتمة في الكلام : عجل فيه ولم يفهمه .

وبرأيه ومشاورته وقال ﴿ **من أهلي** ﴾ لأنه إذا كان الوزير من أهله كان أولى ببذل النصح له ثم بيّن الوزير وفسّره فقال ﴿ **هارون أخي** ﴾ وكان أخاه لأبيه وأمه وكان بمصر ﴿ **أشدد به أزري** ﴾ أي قوِّ به ظهري وأعنّي به ﴿ **واشركه في أمري** ﴾ أي أجمع بيني وبينه في النبوة ليكون أحرص على مؤازرتي لم يقتصر على سؤال الوزارة حتى سأل أن يكون شريكه في النبوة ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة وإنما سمي الوزير وزيراً لأنه يعين الأمير على ما هو بصدده من الأمور أخذ من المؤآزرة التي هي المعاونة وقيل إنما سمي وزيراً لأنه يتحمل الثقل عن الأمير من الوزر الذي هو الثقل وقيل لأنه يلتجيء الأمير إليه فيما يعرض له من الأمور من الوزر الذي هو الملجأ قالوا إن هارون كان أكبر من موسى بثلاث سنين وأتم طولاً وأبيض جسماً وأكثر لحماً وأفصح لساناً ومات قبل موسى بثلاث سنين﴿**كي نسبحك كثيراً**﴾أي ننزّهك عما لا يليق بك بيّن ( ع ) أنه إنما سأل هذه الحاجات ليتوصل بها إلى طاعة ربه وعبادته وتأدية رسالته لا للرياسة ﴿ **ونذكرك كثيراً** ﴾ أي نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك ومننت به علينا من تحميل رسالتك ﴿ **إنك كنت بنا بصيراً** ﴾ أي بأحوالنا وأمورنا عالماً وقيل بصيراً بإحتياجنا في النبوة إلى هذه الأشياء ﴿ **قال** ﴾ الله سبحانه إجابة له ﴿ **قد أوتيت سؤلك** ﴾ أي قد أعطيت مناك وطلبتك ﴿ **يا موسى** ﴾ فيما سألته والسؤال المنى والمراد فيما يسأله الإنسان وقال الصادق حدّثني أبي عن جدّي عن أمير المؤمنين ( ع ) قال كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلّمه الله عزّ وجلّ فرجع نبياً وخرجت ملكة سبأ كافرة فأسلمت مع سليمان وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى
ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ

فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ
بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

**[ القراءة ]** قرأ أبو جعفر ولتصنع بالجزم والباقون بكسر اللام والنصب وفي الشواذ قراءة أبي نهيك ولَتصنع بكسر اللام وفتح التاء .

**[ الحجة ]** قوله ﴿ ولتصنع ﴾ بالجزم مثل قولهم ولتعن بحاجتي فالمأمور غائب غير مخاطب لأن العاني بالحاجة غير المخاطب وليس ذلك مثل قوله ﴿ فلتفرحوا ﴾ فإن المأمور هناك مخاطب به ولتصنع على عيني قال أحمد بن يحيى معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني وقراءة الفراء ولِتُصنعَ على عيني بضم التاء وفتح العين معناه لتربى وتغذى بمرأى مني .

**[ اللغة ]** أصل المنِّ القطع ومنه أجر غير ممنون وحبل منين أي منقطع فالمن نعمة تقطع لصاحبها من غيره والمرة الكرة الواحدة من المر والقذف الطرح واليم البحر والاصطناع إفتعال من الصنع والصنع إتخاذ الخير لصاحبه وونى في الأمر يني ونيا ووَنىً ذا افتر فهو وان ومتوان فيه قال العجاج :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَر ... لَهُ الإِلَٰهُ مَا مَضَىٰ وَمَا غَبَر

**[ الإعراب ]** مرة ويحتمل أن يكون مصدراً ويحتمل أن يكون ظرفاً ويكون التقدير مرة أخرى أو وقتاً آخر . ما يوحى ما مصدرية وتقديره وأوحينا إلى أمك إيحاء وإن أقذفيه في موضع نصب بأنه مفعول أوحينا ولتصنع اللام يتعلق بألقيت أي لتربى ولتصنع وقوله على قدر في موضع النصب على الحال وتقديره جئت مقدراً ما قدر لك .

**[ المعنى ]** لمّا أخبر سبحانه موسى بأنه آتاه طلبته وأعطاه سؤله عدَّد عقيبه ما تقدَّم ذلك من نعمه عليه ومننه لديه فقال ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أي أنعمنا عليك من صغرك إلى كبرك جارية نعمتنا عليك متوالية فأجابتنا الآن دعاك تلوها ثم فسَّر سبحانه تلك النعمة فقال ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ﴾ أي حين أوحينا إلى أمك أي ألهمناها ما يلهم وهو ما

كان فيه سبب نجاتك من القتل -حتى عنيت بأمرك وقيل كانت رأت في المنام عن الجبائي ثم فسَّر ذلك الإيحاء فقال ﴿ **أن أقذفيه في التابوت** ﴾ أي إجعليه فيه بأن ترميه فيه ﴿ **فاقذفيه في اليم** ﴾ يريد النيل ﴿ **فليلقه اليم بالساحل** ﴾ وهو شط البحر لفظه أمر فكأنه أمر البحر كما أمر أم موسى والمراد به الخبر والمعنى حتى يلقيه البحر بالشط ﴿ **يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له** ﴾ يعني فرعون كان عدواً لله ولأنبيائه وعدواً لموسى خاصة لتصوره إن ملكه ينقرض على يده وكانت هذه المنة من الله سبحانه على موسى أن فرعون كان يقتل غلمان بني إسرائيل ثم خشي أن يفني نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنة ولا يقتل في سنة فولد موسى في السنة التي كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ أي جعلتك بحيث يحبّك من يراك حتى أحبّك فرعون فسلمت من شرّه وأحبّتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك وربتك في حجرها عن عكرمة وقيل معناه حببتك إلى عبادي فلا يلقاك أحد مؤمن ولا كافر إلا أحبَّك عن ابن عباس وهذا كما يقال ألبسه الله جمالاً وألقى عليه جمالاً وقال قتادة ملاحة كانت في عين موسى فما رآه أحد إلا عشقه ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ أي لتربى وتغذى بمرأى مني أي يجري أمرك على ما أريد بك من الرفاهة في غذائك عن قتادة وذلك أن من صنع لإنسان شيئاً وهو ينظر إليه صنعه كما يحب ولا يتهيأ له خلافه وقيل لتربى ويطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة لتصل إلى أمك عن الجبائي وقيل لتربى وتغذى بحياطتي وكلاءتي وحفظي كما يقال في لدعاء بالحفظ والحياطة عين الله عليك عن أبي مسلم ﴿ **إذ تمشي أختك فتقول** ﴾ الظرف يتعلق بتصنع والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك وقولها ﴿ **هل أدلّكم على من يكفله** ﴾ لأن هذا كان من أسباب تربية موسى على ما أراده الله وهو قوله ﴿ **إذ تمشي أختك** ﴾ يعني حين قالت لها أم موسى قصيّه فاتبعت موسى على أثر الماء وذلك أن أم موسى إتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه وألقته في النيل وكان يشرع من النيل نهر كبير في باغ فرعون فبينا هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ التابوت يجيء على رأس الماء فأمر بإخراجه فلما فتحوا رأسه إذا صبي به من أحسن الناس وجهاً فأحبَّه فرعون بحيث لا يتمالك وجعل موسى يبكي ويطلب اللبن فأمر فرعون حتى أتته النساء اللآتي كُنَّ حول داره فلم يأخذ موسى من لبن واحدة منهن وكانت أخت موسى واقفة هناك إذا أمرتها أمها أن تتبع التابوت فقالت إني آتي بإمرأة ترضعه وذلك قوله ﴿ **فتقول هل أدلكم على من يكفله** ﴾ أي أدلّكم على امرأة تربيه وترضعه وهي ناصحة له فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله ﴿ **فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها** ﴾ برؤيتك وبقائك ﴿ **ولا تحزن** ﴾ من خوف قتله أو غرقه وذلك أنها حملته إلى بيتها امنة مطمئنة قد جعل لها

فرعون أجرة على الرضاع ﴿ وقتلت نفساً ﴾ كان قتل قبطيّاً كافراً عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى قتل رجلاً خطأ وكان ابن إثنتي عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أي من غم القتل وكربه لأنه خاف أن يقتصوا منه بالقبطي فالمعنى خلّصناك من غم القصاص وآمنّاك من الخوف ﴿ وفتناك فتوناً ﴾ أي إختبرناك إختباراً ومعناه أنا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للإصطفاء بالرسالة وكان هذا من أكبر نعمه سبحانه عليه وقيل معناه وخلصناك من محنة بعد محنة منها أنه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الأطفال فيها ثم إلقاؤه في اليم ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه ثم جرّه لحية فرعون حتى همَّ بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى وخلصناك من المحن تخليصاً وقيل معناه وشددنا عليك التعمد في أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين ثم بيَّن ذلك فقال ﴿ ﴿ فلبثت سنين في أهل مدين ﴾ أي لبثت فيهم حين كنت راعياً لشعيب ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ أي في الوقت الذي قدر لإرسالك نبياً قال الشاعر :

نَـالَ الخِـلافَـةَ أوْ كـانَتْ لَـهُ قَـدَراً ... كَمـا أتى رَبَّـهُ مُـوسىٰ عَلىٰ قَدَرِ(١)

وقيل معناه جئت على الوقت الذي يوحى فيه إلى الأنبياء وهو على رأس أربعين سنة وقيل على المقدار الذي قدَّره الله لمجيئك وكتبه في اللوح المحفوظ والمعنى جئت في الوقت الذي قدَّره الله لكلامك ونبوتك والوحي إليك ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ أي لوحيي ورسالتي عن ابن عباس والمعنى إخترتك واتخذتك صنيعتي وأخلصتك لتنصرف على إرادتي ومحبتي وإنما قال لنفسي لأن المحبة أخصُّ شيء بالنفس وتبليغه الرسالة وقيامه بأدائها تصرف على إرادة الله ومحبته وقيل معناه إخترتك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي أنا أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم عن الزجاج ﴿ إذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ أي بحججي ودلالاتي وقيل بالآيات التسع عن ابن عباس ﴿ ولا تنيا في ذكري ﴾ أي ولا تضعفا في رسالتي عن ابن عباس وقيل ولا تفترا في أمري عن السدي وقيل ولا تقصرا عن محمد بن كعب أي لا يحملنكما خوف فرعون على أن تقصرا في أمري ﴿ إذهبا إلى فرعون ﴾ كرَّر الأمر بالذهاب للتأكيد وقيل إن في الأول خصَّ موسى بالأمر وفي الثاني أمرهما ليصيرا نبيّين وشريكين في الأمر ثم بيَّن من يذهبان إليه ﴿ أنه

(١) هذا البيت من قصيدة رائية لجرير بن عطية يمدح بها عمر بن عبد العزيز بن مروان .

طغى ﴾ أي جاوز الحدَّ في الطغيان ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ أي إرفقا به في الدعاء والقول ولا تغلظا له في ذلك عن ابن عباس، وقيل معناه كنياه عن السدي وعكرمة وكنيته أبو الوليد وقيل أبو العباس وقيل أبو مرة وقيل إن القول اللين هو هل لك إلى أن تـزكى وأهديـك إلى ربك فتخشى عن مقاتل وقيل هو أن موسى أتاه فقال له تسلم وتؤمن برب العالمين على أن لـك شبابك فلا تهرم وتكون ملكاً لا ينـزع الملك منك حتى تمـوت ولا تنزع منـك لذة الـطعام والشراب والجماع حتى تموت فإذا متَّ دخلت الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمـراً دون هامان وكان غائباً فلما قدم هامان أخبره بالذي دعاه إليه وأنه يريد أن يقبل منه فقال هامان قد كنت أرى أن لك عقلاً وإن لك رأياً بيّناً أنت ربٌّ وتريد أن تكون مربوباً وبينا أنت تعبد وتريد أن تعبد فقلَّبه عن رأيه وكان يحيى بن معاذ يقول هذا رفقك بمن يدعي الربوبية فكيف رفقك بمن يدعي العبودية ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ أي إدعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوقع التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق قال الـزجاج والمعنى في هذا عند سيبويه إذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد أتى من وراء ما يكون وإنما يبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم والمراد بيان الغرض بالبعثة أي ليتذكر ما أغفل عنه من ربوبية الله تعالى وعبـودية نفسـه ويخشى العقاب والـوعيد في قـوله سبحـانه ﴿ فقـولا له قـولاً ليناً ﴾ على دلالـة وجواب يـرفق في الدعـاء إلى الله وفي الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون أسرع إلى القبول وأبعد من النفور وقيل إن هارون كان بمصر فلما أوحى الله تعالى إلى موسى أن يأتي مصر أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى فتلقاه على مرحلة ثم إئتمرا وذهبا إلى فرعون .

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ

أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ
ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ
شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي
ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ
تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ نصر عن الكسائي خَلَقه بفتح اللام والباقون خَلْقه بسكون اللام وقرأ أهل الكوفة وروح وزيد عن يعقوب مهداً والباقون مهاداً بالألف .

[ **الحجة** ] من قرأ أعطى كل شيء خَلْقه فالمعنى أعطى كل شيء صورته أي خلق كل حيوان على صورة أخرى ثم هداه ومن قرأ خَلَقه بفتح اللام فإنه جملة من الفعل والفاعل في موضع جرّ بأنه صفة شيء والمفعول الثاني لأعطى محذوف فكأنه أعطى كل شيء مخلوق ما أوجبه تدبيره ثم هداه السبيل والمهد مصدر كالفرش والمهاد كالفراش والبساط في قوله ﴿ **جعل لكم الأرض فراشاً** ﴾ وفي موضع آخر بساطاً ويجوز أن يكون المهد إستعمل إستعمال الأسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال والأول أبين .

[ **اللغة** ] الفرط التقدم ومنه الفارط المتقدم إلى الماء قال « قَدْ فَرَطَ العجلُ عَلَيْنا وَعَجَل » ومنه الإفراط الإسراف لأنه تقدم بين يدي الحق والتفريط التقصير لأنه تأخر عما يجب فيه التقدم قال الزجاج القرن أهل كل عصر فيهم نبي أو إمام أو عالم يقتدى به فإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرناً والنهي جمع نهية وإنما قيل لأولي العقول أولو النهى لأنهم ينهون الناس عن القبائح وقيل لأنه ينتهي إلى آرائهم .

[ **الإعراب** ] إسمع جملة في موضع الرفع بكونها خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال. علمها عند ربي في كتاب. علمها مبتدأ وفي كتاب خبره وعند

ربي معمول الخبر وتقديره علمها ثابت في كتاب عند ربي ويجوز أن يكون قوله ﴿ **عند ربي** ﴾ صفة لكتاب فلما تقدَّم إنتصب على الحال تقديره في كتاب ثابت عند ربي ويجوز أن يكون عند ربي الخبر وفي كتاب، بدل منه ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وقوله ﴿ **لا يضل ربي** ﴾ تقدير لا يضل ربي عنه فحذف الجار والمجرور كما حذف من قوله ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً** ﴾ أي فيه . الذي جعل لكم الأرض . يجوز أن يكون في موضع جرّ بأنه صفة ربي ويجوز أن يكون في موضع رفع بأن يكون خبر مبتدأ محذوف . من نبات في موضع نصب صفة لقوله ﴿ **أزواجاً وشتى** ﴾ صفة له أيضاً فهي صفة بعد صفة وتارة منصوبة على المصدر .

[ **المعنى** ] لمّا أمر الله سبحانه موسى وهارون أن يمضيا إلى فرعون ويدعواه إليه ﴿ **قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا** ﴾ أي نخشى أن يتقدم فينا بعذاب ويعجّل علينا ﴿ **أو أن يطغى** ﴾ أي يجاوز الحدَّ في الإساءة بنا وقيل معناه أنا نخاف أن يبادر إلى قتلنا قبل أن يتأمل حجتنا أو أن يزداد كفراً إلى كفره بردّنا ﴿ **قال لا تخافا إنني معكما** ﴾ بالنصرة والحفظ معناه أني ناصركما وحافظكما ﴿ **اسمع** ﴾ ما يسأله عنكما فألهمكما جوابه ﴿ **وأرى** ﴾ ما يقصدكما به فأدفعه عنكما فهو مثل قوله ﴿ **فلا يصلون إليكما** ﴾ ثم فسَّر سبحانه ما أجمله فقال ﴿ **فأتياه** ﴾ أي فأتيا فرعون ﴿ **فقولا انا رسولا ربك** ﴾ أي أرسلنا إليك خالقك بما ندعوا إليه ﴿ **فارسل معنا بني إسرائيل** ﴾ أي أطلقهم وأعتقهم عن الاستعباد ﴿ **ولا تعذبهم** ﴾ بالإستعمال في الأعمال الشاقة ﴿ **قد جئناك بآية من ربك** ﴾ أي بدلالة واضحة ومعجزة لائحة من ربك تشهد لنا بالنبوة ﴿ **والسلام على من اتبع الهدى** ﴾ قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية وإنما معناه إن من إتبع الهدى سلم من عذاب الله ويدل عليه قوله بعده ﴿ **أنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى** ﴾ أي إنما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به واعرض عنه فأما من إتبعه فأنه يسلم من العذاب وهاهنا حذف وهو فأتياه فقالا له ما أمرهما الله تعالى به ثم ﴿ **قال** ﴾ لهما فرعون ﴿ **فمن ربكما** ﴾ أي فمن ربك وربه ﴿ **يا موسى** ﴾ وإنما قال ربكما على تغليب الخطاب وقيل تقديره فمن ربكما يا موسى وهارون فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر إختصاراً ولتسوى رؤوس الآي وأراد به فمن أيّ جنس من الأجناس ربكما حتى أفهمه فبين موسى أنه تعالى ليس له جنس وإنما يعرف سبحانه بأفعاله ﴿ **قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه** ﴾ معناه أعطى كل شيء خلقته أي صورته التي قدَّرها له ﴿ **ثم هدى** ﴾ أي هداه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك من ضروب هدايته عن مجاهد وعطية ومقاتل وقيل معناه أعطى كل شيء مثل خلقه أي زوجه من جنسه ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس

والسدي وقيل معناه أعطى خلقه كل شيء من النعم في الدنيا مما يأكلون ويشربون وينتفعون به ثم هداهم إلى طرق معايشهم وإلى أمور دينهم ليتوصلوا بها إلى نعم الآخرة عن الجبائي ﴿ **قال** ﴾ فرعون ﴿ **فما بال القرون الأولى** ﴾ أي فما حال الأمم الماضية فإنها لم تقرّ بالله وما تدعو إليه بل عبدت الأوثان ويعني بالقرون الأولى مثل قوم نوح وعاد وثمود ﴿ **فقال** ﴾ موسى ﴿ **علمها عند ربي** ﴾ أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم أعمالهم لها عند ربي ﴿ **في كتاب** ﴾ يعني اللوح المحفوظ والمعنى أن أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم وقيل المراد بالكتاب ما يكتبه الملائكة وقيل أيضاً أن فرعون إنما قال فما بال القرون الأولى حين دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث أي فما بالهم لم يبعثوا ﴿ **لا يضل ربي** ﴾ أي لا يذهب عليه شيء وقيل معناه لا يخطىء ربي ﴿ **ولا ينسى** ﴾ من النسيان عن أبي مسلم أي لا ينسى ما كان من أمرهم بل يجازيهم بأعمالهم وقيل معناه لا يغفل ولا يترك شيئاً عن السدي ثم زاد في الأخبار عن الله تعالى فقال ﴿ **الذي جعل لكم الأرض مهداً** ﴾ أي فرشاً ومهاداً أي فراشاً ﴿ **وسلك لكم فيها سبلاً** ﴾ والسلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى أدخل لكم أي لأجلكم في الأرض طرقاً تسلكونها وقال ابن عباس سهل لكم فيها طرقاً ﴿ **وأنزل من السماء ماء** ﴾ يعني المطر وتم الإخبار عن موسى ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولاً بما قبله من الكلام ﴿ **فأخرجنا به** ﴾ أي بذلك الماء ﴿ **أزواجاً** ﴾ أي أصنافاً ﴿ **من نبات شتى** ﴾ أي مختلفة الألوان أحمر وأبيض وأخضر وأصفر وكل لون منها زوج وقيل مختلفة الألوان والطعوم والمنافع فمنها ما يصلح لطعام الإنسان ومنها ما يصلح للتفكه ومنها ما يصلح لغير الإنسان من أصناف الحيوان ﴿ **كلوا** ﴾ أي مما أخرجنا لكم بالمطر من النبات والثمار ﴿ **وارعوا انعامكم** ﴾ أي واسيموا مواشيكم فيما أنبتناه بالمطر واللفظ للأمر والمراد الإباحة والتذكير بالنعمة ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي فيما ذكر ﴿ **لآيات** ﴾ أي دلالات ﴿ **لأولي النهي** ﴾ أي لذوي العقول الذين ينتهون عما حرَّم الله عليهم عن الضحاك وقيل لذوي الورع عن قتادة وقيل لذوي التقى عن ابن عباس ﴿ **منها خلقناكم** ﴾ أي من الأرض خلقنا أباكم آدم (ع) ﴿ **وفيها نعيدكم** ﴾ أي وفي الأرض نعيدكم إذا أمتناكم ﴿ **ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ أي دفعة أخرى إذا حشرناكم ﴿ **ولقد أريناه** ﴾ يعني فرعون ﴿ **آياتنا كلها** ﴾ يعني الآيات التسع أي معجزاتنا الدالة على نبوة موسى ﴿ **فكذّب** ﴾ بجميع ذلك ﴿ **وأبى** ﴾ أن يؤمن به وقيل معناه فجحد الدليل وأبى القبول ولم يرد سبحانه بذلك جميع آياته التي يقدر عليها ولا كل آية خلقها وإنما أراد كل الآيات التي أعطاها موسى.

[ **النظم** ] ووجه اتصال قوله ﴿ **فما بال القرون** ﴾ الأولى بما قبله من الدعاء إلى

التوحيد أن فرعون لما ظهرت المعجزات ودلائل التوحيد على يد موسى تحيَّر وخاف الفضيحة فأقبل على نوع آخر من السؤال تلبيساً وكثيراً ما يفعل ذلك أهل البدع عند ظهور الحجة وقيل لمّا دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث قال فما بال أولئك القرون لم يبعثوا .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر لا نخلفه بالجزم والباقون بالرفع وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو والكسائي سِوى بكسر السين والباقون بضمها وقرأ يومَ الزينة بالنصب هبيرة عن حفص وهي قراءة الحسن والأعمش والثقفي والباقون يوم الزينة بالرفع وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ورويس فيُسحِتكم بضم الياء وكسر الحاء والباقون فيَسْحَتكم بفتح الياء والحاء وقرأ أبو عمرو

أن هذين وقرأ ابن كثير وحفص أن هذان خفيف وقرأ الباقون أنَّ هذان وابن كثير وحده يشدد النون من هذان وقرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم والباقون فأجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم وقرأ ابن عامر وروح وزيد تخيل إليه بالتاء وهو قراءة الحسن والثقفي والباقون يخيل بالياء .

[ **الحجة والإعراب** ] فأما قوله ﴿ لا نخلفه ﴾ بالجزم فإنه يكون على جواب الأمر والقراءة المشهورة بالرفع على أن يكون لا نخلفه في موضع النصب بكونه صفة لقوله ﴿ موعداً ﴾ وهو الظاهر وأما قوله ﴿ سوى ﴾ فإنه المكان النصف فيما بين الفريقين قال موسى بن جابر :

وَجَــدْنـا أبـانـاً كـانَ حَـلَّ بِبَلْدَةٍ سِوى بَيْنَ قيسٍ قَيْسِ عَيْلانَ وَالْفِزْرِ(١)

قال أبو علي قوله ﴿ سوى ﴾ فِعَل من التسوية فكان المعنى مكاناً مستوياً مسافته على الفريقين فيكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر وهذا بناء يقل في الصفات ومثله قوم عِدى فأما فُعَل فهو في الصفات أكثر قالوا دليل خُتَع(٢) ومال لُبَد ورجل حُطَم وأما إنتصاب قوله ﴿ مكاناً ﴾ فلا يخلو من أن يكون مفعولاً للموعد أما على أنه مفعول به أو على أنه ظرف له أو يكون منتصباً بأنه المفعول الثاني ولا يجوز الأول ولا الثاني لأن الموعد قد وصف بالجملة التي هي لا نخلفه نحن وإذا وصف لم يجز أن يعمل عمل الفعل لاختصاصه بالصفة ولأنه إذا عطف عليه لم يجز أن يتعلق به بعد العطف عليه شيء منه وكذلك إذا أخبر عنه لم يجز أن يقع بعد الخبر عنه شيء يتعلق بالمخبر عنه لم يجز سيبويه هذا ضارب ظريف زيداً ولا هذا ضويرب زيداً إذا حقر إسم الفاعل لأن التحقير في تخصيصه الاسم بمنزلة إجراء الوصف عليه وقد جاء من ذلك شيء في الشعر قال بشر بن أبي حازم :

إذا فاقِدٌ خَطْباءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمى فِي الْخَليطِ المُبايِنِ(٣)

ويحتمل ذلك على إضمار فعل آخر كما ذهبوا إليه في نحو قول الشاعر :

---

(١) ابان : إسم جبل . والفزر : أبو قبيلة من تميم وهو سعيد بن زيد .

(٢) دليل ختع : ماهر بالدلالة . ومال لبد : كثير لا يخاف فناؤه كأنه التبد بعضه على بعض . ورجل حطم : لا يشبع لأنه يحطم كل شيء .

(٣) وفي رواية الأشموني « في الخليط المزايل » قوله « فاقد » المراد حمامة فقدت فرخها و « رجعت » أي صوتت وكررت صوتها و « سليمى » اسم ويقولون ضربته بين أذناه ومن يشتري الخفان وقيل انها لغة لبني الحرث بن كعب وهذا القول اختيار .

إِنَّ الـعَـرَارَةَ وَالـنَّـبُـوحَ لِـدَارِمٍ وَالْمُسْتَخِفُّ أَخُـوهُمُ الأَثْـقَـالا[١]

فإذا لم يجز ذلك كان مفعولاً ثانياً لقوله ﴿ **فاجعل** ﴾ فيكون بمنزلة قوله ﴿ **جعلوا القرآن عضين** ﴾ ونحوه وأما يوم الزينة فمن نصبه فعلى الظرف كما تقول قيامك يوم الجمعة فالموعد إذاً هنا مصدر والظرف، بعده خبر عنه قال ابن جني وهو عندي على حذف المضاف أي إن إنجاز موعدنا إياكم في ذلك اليوم ألا ترى أنه لا يراد أنه في ذلك اليوم يعدكم لأن الموعد قد وقع الآن وإنما يتوقع إنجازه في ذلك اليوم لكن في قوله ﴿ **وأن يحشر الناس ضحى** ﴾ نظر وظاهر حاله أن يكون مجرور الموضع حتى كأنه قال إنتظروا موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحى أي يوم هذا ولهذا فيكون أن يحشر معطوفاً على الزينة وقد يجوز أن يكون مرفوع الموضع عطفاً على الموعد فكأنه قال إنجاز موعدكم وحشر الناس ضحى في يوم الزينة أي هذان الفعلان في يوم الزينة وأما من رفع يوم الزينة فإن الموعد عنده ينبغي أن يكون زماناً فكأنه قال وقت وعدكم يوم الزينة كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا أي وقت بعثها حينئذ والعطف عليه بقوله ﴿ **وأن يحشر الناس ضحى** ﴾ يؤكّد الرفع لأن أن لا يكون ظرفاً بل هو حرف موصول في معنى المصدر وينبغي أن يكون على حذف المضاف أي وقت وعدكم يوم الزينة ووقت حشر الناس ضحى كما أن قولك ورودك مقدم الحاج إنما هو على حذف المضاف أي وقت قدوم الحاج وأما قوله ﴿ **فيسحتكم** ﴾ فإن سحت وأسحت بمعنى قال الفرزدق :

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إِلاّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ[٢]

وفسّر لم يدع على أنه بمعنى لم يبق وأما قوله﴿ **إن هذان لساحران** ﴾ فمن قرأ بتشديد النون من إن والألف من هذان فقد قيل فيه أقوال ( أحدها ) أن إنَّ بمعنى نعم وأنشدوا شعراً :

بَكَرَ العَوَاذِلُ فِي الضُّحىٰ يَلْحِينَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ
وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلا كَ وَقَدْ كَبُرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ

فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران وهذا لا يصح لأن إنَّ إذا كانت بمعنى نعم

---

(١) قائله الأخطل والعرارة : الشدة و لنبوح : العزو الكثرة . يمدح بني دارم بكثرة عددهم وحملهم الأمور الثقال التي يعجز غيرهم عن حملها وفي إعراب البيت خلاف ذكره ابن منظور في اللسان في « نبح » فراجع .

(٢) المجلف : الذي بقيت منه بقية . يريد إلا مسحتاً أو هو مجلف .

إرتفع ما بعدها بالإبتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر مبتدأ جاء على أصله وأما ما أنشد في ذلك من قوله :

خَالِي لأَنْتَ وَمَنْ جُرَيْرٌ خَالُهُ يَنَلِ العَلاءَ وَيَكْرُمِ الأَخْوَالا

وقوله :

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَة تَرْضَىٰ مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَة(١)

فمحمول على الشذوذ والضرورة وأيضاً فإن أبا علي قال ما قيل إن في الآية لا يقتضي أن يكون جوابه نعم لأنك إن جعلته جواباً لقول موسى ( ع ) ويلكم لا تفتروا على الله كذباً قالوا نعم هذان ساحران كان محالاً وإن جعلته على تقدير فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالاً أيضاً ( وثانيها ) ما قاله الزجاج أن تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدأ محذوف وهذا أيضاً مثل الأول لما قلناه ولأن سيبويه قال نعم عدة وتصديق وأن يصرف إلى الناصبة للإسم أولى وهو قراءة أبي عمرو وعيسى بن عمرو قال أبو علي هذا الذي قاله الزجاج لا يتجه لأمرين ( أحدهما ) أن الذي حمله النحويون على الضرورة لا يمتنع أن يستمر هذا التأويل فيه ولم يحمله مع ذلك عليه ( والآخر ) أن التأكيد باللام لا يتعلق به الحذف ألا ترى أن الأوجه في الزينة أن تم الكلام ولا يحذف ثم يؤكد فليس باللائق في التدبر ( وثالثها ) ما قاله المتقدمون من النحويين إن التقدير أنه هذان لساحران فحذف ضمير القصة وهذا أيضاً فيه نظر من أجل دخول اللام في الخبر ولأن إضمار الهاء بعد إن إنما يأتي في ضرورة الشعر نحو قوله :

إنَّ مَنْ لامَ فِي بَنِي بِنْتِ حَسّانِ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِي الْخُطُوبِ

وقوله :

إنَّ مَنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْماً يَلْقَ فِيهَا جَآذِراً وَظِبَاءَ(٢)

( ورابعها ) ما قاله علي بن عيسى وهو أنّ إنَّ لما كانت مشبهة بالفعل وليست بأصل في العمل أُلغيت هاهنا كما تلغى إذا خففت وهذا غير مستقيم أيضاً لأن الالغاء في إنَّ ما رأيناه في غير هذا الموضع وأيضاً فإنها قد أعملت مخففة في قوله تعالى ﴿ **وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم** ﴾ فكيف يجوز إلغاؤها في غير التخفيف وأيضاً فقد أعمل إسم الفاعل والمصدر

---

(١) والشاهد في دخول اللام على الخبر في البيتين وهو قوله لانت ـ في البيت الأول ـ ولعجوز ـ في البيت الثاني ـ مع أنها مختصة بالمبتدأ .

(٢) الجآذر جمع الجوذر : ولد البقرة الوحشية .

**لشبههما بالفعل ولا يجوز الغاؤهما وايضاً فإن اللام يمنع من هذا التأويل لأن انَّ إذا الغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء واللام لا يدخل على خبر المبتدأ على ما بيَّناه ( وخامسها ) إن هذه الألف ليست بألف التثنية وإنما هي الف هذا زيدت عليها النون وهذا قول الفراء وهو غير صحيح فإنه لا يجوز أن يكون تثنية إلا ويكون لها علم ولو كان على ما زعم لم تنقلب هذه الالف ياء في حال الجر والنصب ويدلُّ على أن هذه الألف للتثنية أن الألف التي كانت في الواحد قد حذفت كما حذقت الياء من الذي والتي إذا قلت اللذان واللتان ( وسادسها ) وهو أجود ما قيل فيه أن يكون هذان اسم انَّ بلغة كنانة يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان قال بعض شعرائهم :**

وَاهاً لِرَيّا ثُمَّ وَاهاً وَاهاً ... يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا
وَمَوْضِعُ الْخَلْخَالِ مِنْ رِجْلاهَا ... بِثَمَنٍ نُعْطِي بِهِ أَبَاهَا
إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ... قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا[1]

وقال آخر :

تَزَوَّدَ مِنّا بَيْنَ أُذْنَاهُ طَعْنَةً ... دَعَتْهُ إلىٰ هَابِي التُّرابِ عَقِيم

وقال آخر :

فَأطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاعِ وَلَوْ يَرىٰ ... مساغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّا

ويقولون ضربته بين أذناه ومن يشتري الخفان وقيل أنها لغة لبني الحرث بن كعب وهذا القول إختيار أبي الحسن وأبي علي الفارسي ومن قرأ أن هذين لساحران فهو صحيح مستقيم وزيف الزجاج هذه القراءة مخالفتها المصحف وقيل أنه إحتج في مخالفته المصحف بما روى أنه من غلط الكاتب ويروون عن عثمان وعائشة أن في هذا القرآن غلطاً تستقيمه العرب بألسنتها وهذا غير صحيح عند أهل النظر فإن أبا عمرو ومن ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ إلا بما أخذه من الثقات من السلف ولا يظن به مع علو رتبته أن يتصرف في كتاب الله من قبل نفسه فيغيّره ومن قرأ إن هذان بسكون النون من أن والألف فقد قال الزجاج يقوّي هذه القراءة قراءة أبيٍّ ما هذان إلا ساحران وروي عنه أيضاً أن هذان إلا ساحران وهذا يدل على أنه جعل اللام بمنزلة إلا والعجب أنه بصري المذهب والبصريون ينكرون مجيء اللام بمعنى إلا قالوا

---

(١) نسب جماعة هذه الأبيات إلى النجم العجلي منهم الشريف المرتضى ( ر ه ) في الأمالي ونسبها آخرون إلى رؤبة وقال بعض أنها لبعض أهل اليمن وفي بعض الروايات « لسلمى » .

لو كان كذلك لجاز أن تقول جاءني القوم لزيداً بمعنى إلا زيداً فالوجه الصحيح فيه أنه جعل أن هذه مخففة من الثقيلة وأضمر فيها إسمها ورفع ما بعدها على الإبتداء والخبر وجعل الجملة خبران وإذا كانت إن مخففة من الثقيلة لزمتها اللام ليكون فرقاً بينها وبين أن النافية وأماتشديد النون في قول ابن كثير ففيه وجهان ( أحدهما ) أن يكون عوضاً من ألف هذا التي سقطت من أجل حرف التثنية ( والآخر ) أن يكون للفرق بين النون التي تدخل على المبهم والنون التي تدخل على المتمكن وذلك أن هذه إنما وجدت مشددة مع المبهم وأما قوله ﴿ **فاجمعوا كيدكم** ﴾ قال أبو الحسن إنما يقولون بالقطع إذا قالوا إجمعوا على كذا فأما إذا قالوا أجمعوا أمركم وأجمعوا كيدكم فلا يقولون إلا بالوصل قال وبالقطع أكثر القراء قال فأما أن يكون لغة في هذا المعنى لأن باب فعلت وأفعلت كثير وأن يكون أجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على أمر مستأنف قال أبو علي فإن قيل فقد تقدم ذكر قوله ﴿ **فجمع كيده** ﴾ فإذا قيل فأجمعوا كيدكم كان تكريراً قيل لا يكون كذلك لأن ذلك في قصة وهذا في أخرى ذاك إخبار عن فرعون في جمعه كيده وسحره وهذا فيما يتواصى به السحرة في جمع كيدهم ويشبه أن يكون ذلك على لغتين كما ظنه أبو الحسن قال الشاعر :

وَأَنْتُمْ مَعْشَـرٌ زِيـدُوا عَـلىٰ مِـائَـةٍ فَـأَجْمِعُـوا أَمْـرَكُمْ طُـرّاً فَكِيـدُوني

فقوله ﴿ **فأجمعوا أمركم** ﴾ بمنزلة فأجمعوا كيدكم لأن كيدهم من أمرهم وأما قوله ﴿ **يخيَّل إليه** ﴾ فمن قرأ بالياء فإنه فعل فارغ وفاعله قوله ﴿ **إنها تسعى** ﴾ ومن قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فيه العائد إلى الحبال والعصي وأنها تسعى في محل الرفع لأنه بدل من ذلك الضمير وهو بدل الإشتمال ويجوز أن يكون موضعه على هذه القراءة نصباً أيضاً على معنى يخيل إليه كونها ذات سعي .

[ **المعنى** ] ثم حكى سبحانه عن فرعون أنه نسب موسى إلى السحر تلبيساً على قومه بأن قال ﴿ **اجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى** ﴾ أي من أرض مصر ﴿ **فلنأتينك بسحر مثله** ﴾ أي مثل ما أتيت به ﴿ **فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى** ﴾أي إضرب بيننا وبينك موعداً مكاناً يعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع منا في حضوره خلاف ثم وصف المكان بأنه تستوي مسافته على الفريقين ومكاناً بدل عن موعد وقيل مكاناً سوى أي عدلاً بيننا وبينك عن قتادة وقيل منصفاً بكون النصف بيننا وبينك عن مجاهد﴿**قال**﴾موسى ﴿ **موعدكم يوم الزينة** ﴾ وكان يوم لهم فسمي يوم الزينة لأن الناس يتزيَّنون فيه ويُزينون به الأسواق عن مجاهد وقتادة والسدي ﴿ **وأن يحشر الناس ضحى** ﴾ يعني ضحى ذلك اليوم ويريد بالناس أهل مصر بقول يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمرك فيكون

ذلك أبلغ في الحجة وأبعد من الشبهة قال الفراء يقول إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد قال وجرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم ﴿ **فتولى فرعون** ﴾ أي إنصرف وفارق موسى على هذا الوعد ﴿ **فجمع كيده** ﴾ أي حيلته ومكره وذلك جمع السحرة ﴿ **ثم أتى** ﴾ أي حضر الموعد ﴿ **قال لهم موسى** ﴾ أي قال للسحرة لأنهم أحضروا ما عملوا من السحر لبقابلوا بمعجزة موسى فوعظهم فقال ﴿ **ويلكم** ﴾ وهي كلمة وعيد وتهديد معناه ألزمكم الله الويل والعذاب ويجوز أن يكون على النداء نحو يا ويلتا فيكون الدعاء بالويل عليهم وقيل إن ويلكم كلمتان تقديرهما وي لكم فيكون مبتدأ وخبراً أو يكون ويلكم بمنزلة أتعجب لكم ﴿ **لا تفتروا على الله كذباً** ﴾ أي لا تشركوا مع الله أحداً عن ابن عباس وقيل لا تكذبوا على الله بأن تنسبوا معجزاتي إلى السحر وسحركم إلى أنه حق وبأن تنسبوا فرعون إلى أنه إلّه معبود ﴿ **فيسحتكم** ﴾ أي يستأصلكم ﴿ **بعذاب** ﴾ عن قتادة والسدي وقيل يهلككم عن ابن عباس والكلبي ومقاتل والجبائي وأصل السحت إستقصاء الخلق يقال سحت شعره إذا استأصله وسحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه ﴿ **وقد خاب من إفترى** ﴾ أي خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً عن قتادة إنقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه وجنته ﴿ **فتنازعوا أمرهم بينهم** ﴾ أي تشاور القوم وتفاوضوا في حديث موسى وهارون وفرعون وجعل كل واحد منهم ينازع لكلام صاحبه وقيل تشاورت السحرة فيما هيّئوه من الحبال والعصي وفيمن يبتدىء بالإلقاء ﴿ **وأسرّوا النجوى** ﴾ يعني أن السحرة أخفوا كلامهم وتناجوا فيما بينهم سرّاً من فرعون فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء والزجاج وقيل إن موسى لما قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذباً قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وأسرَّ بعضهم إلى بعض يتناجون عن محمد بن إسحاق وقيل أسروا النجوى بأن قالوا إن كان هذا ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمره عن قتادة وقيل تناجوا مع فرعون وأسروا عن موسى وهارون قولهم ﴿ **إن هذان** ﴾ لساحران عن الجبائي وأبي مسلم إن هذان يعني موسى وهارون ﴿ **لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما** ﴾ قاله فرعون وجنوده للسحرة ويريدون بالأرض أرض مصر ﴿ **ويذهبا بطريقتكم المثلى** ﴾ هي تأنيث الأمثل وهو الأفضل وهو الأشبه بالحق يقال فلان أمثل قومه أي أشرفهم وأفضلهم والمعنى يريدان أن يصرفا وجوه الناس إليهما عن أمير المؤمنين علي (ع) وقيل إن طريقتهم المثلى بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً أي يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم عن قتادة وأكثر المفسرين وقيل يذهبا بطريقتكم التي أنتم عليها في السيرة والدين عن الجبائي وأبي مسلم وابن زيد ﴿ **فاجمعوا كيدكم** ﴾ أي لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به ﴿ **ثم إئتوا صفاً** ﴾

أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأموركم وأشد لهيبتكم عن ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل ثم إئتوا موضع الجمع ويسمى المصلى الصف عن أبي عبيدة والمعنى ثم إئتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعبدكم وصلاتكم ﴿ **وقد أفلح اليوم من إستعلى** ﴾ أي وقد سعد اليوم من غلب وعلا عن ابن عباس قال بعضهم إن هذا من قول فرعون للسحرة وقال آخرون بل هو قول بعض السحرة لبعض ﴿ **قالوا يا موسى إما أن تلقي وأما أن نكون أول من ألقى** ﴾ هذا قول السحرة خيَّروه بين أن يلقوا أولاً ما معهم أو يلقي موسى عصاه ثم يلقون ما معهم ﴿ **قال** ﴾ موسى ﴿ **بل إلقوا** ﴾ أنتم ما معكم أمرهم بالإلقاء أولاً ليكون معجزه أظهر إذا ألقوا ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وهاهنا حذف أي فألقوا ما معهم ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ الضمير في إليه راجع إلى موسى وقيل إلى فرعون أي يرى الحبال من سحرهم أنها تسير وتعدو مثل سير الحيات وإنما قال يخيل إليه لأنها لم تكن تسعى حقيقة وإنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس طلب الزئبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن أنها تسعى .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾
وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ
وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم
مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ
عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ
وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا

عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ
مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُولَـٰٓئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَـٰتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾
جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن ذكوان تلقف بالرفع والباقون بالجزم إلا أن حفصاً يقرؤها خفيفة والآخرون مشددة وابن كثير برواية البزّي وابن فليح يشدّد التاء أيضاً وقرأ كيد سحر بغير ألف أهل الكوفة غير عاصم والباقون ساحر بالألف .

[ **الحجة** ] من قرأ تلقف بالرفع فإنه يرتفع لأنه في موضع الحال والحال يجوز أن يكون من الفاعل الملقى من المفعول الملقي فإن جعلته من الفاعل جعلته من المتلقف وان كان التلقف في الحقيقة للعصا لأن التلقف كان بالقائه فجاز أن ينسب إليه وإن جعلته من المفعول فإنه أنَّث على المعنى لأن الذي في يمينه عصا ومثل ذلك في أن يكون مرة للخطاب ومرة للمؤنث قوله **﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾** فهذا يكون على تحدث انت أيها الإنسان وعلى أن الأرض تحدث وأما تلقف بالجزم فعلى أن يكون جواباً كأنه قال ان تلقه تَلْقَف وتَلَقَّف ومن شدَّد التاء فإنما أراد تتلقف وهذا يكون على تتلقف أنت أيها المخاطب وعلى تتلقف هي إلا أنه ادغم التاء الأولى في التاء الثانية والادغام في هذا ينبغي أن لا يكون جائزاً لأن المدغم يسكن وإذا سكن لزم أن يجلب له همزة الوصل كما جلبت في أمثلة الماضي نحو ادّرأتم وأزينت واطّيروا وهمزة الوصل لا تدخل على المضارع قال وسألت احمد بن موسى كيف يبتدىء من ادغم فقال كلاماً معناه أنه يصير بالإبتداء الى قول من خفف ويدع الادغام ومن قرأ كيد ساحر فلأن الكيد للساحر في الحقيقة وليس للسحر الا أن يريد كيد ذي سحر فيكون في المعنى مثل كيد ساحر والاختلاف بين القراء في آمنتم والوجه في ذلك ذكرناه في سورة الأعراف(١) .

[ **اللغة** ] يقال لقفت الشيء وتلقفته والتقفته إذا أخذته بسرعة قال الكسائي الصبي في

(١) راجع ج ٢

الحجاز إذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيري والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير والايثار الاختيار والتزكي طلب الزكاء والزكاء النماء في الخبر ومنه الزكاة لأن المال ينمو بها .

[ **الإعراب** ] إنَّ مفصول من ما صنعوا لأن ما هاهنا موصولة وصنعوا صلته ويجوز أن يكون الموصول اسماً بمعنى الذي ويكون العائد من الصلة إلى الموصول محذوفاً ويجوز أن يكون حرفاً فيكون تقديره ان صنعهم والفرق بين آمنتم به وآمنتم له ان آمنتم به بالباء هو من الإيمان الذي هو ضد الكفر وآمنتم له بمعنى التصديق « من خلاف » يحتمل أن يكون من بمعنى عن أي عن خلاف ويحتمل ان يكون بمعنى على خلاف فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال « في جذوع النخل » في بمعنى على وإنما جاز ذلك لأن الجذع قد اشتمل عليهم وقد صاروا فيها قال الشاعر

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِي في جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلاّ بِأَجْدَعا[1]

« أيّنا أشد عذاباً وأبقى » تعليق ومعنى التعليق ان عملت تعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ والذي فطرنا موضعه جرّ عطف على ما جاءنا « فاقض ما أنت قاض » يجوز أن يكون ما مصدرية في تقدير الظرف أي فاقض القضاء مدة كونك قاضياً ويجوز أن يكون ما مفعوله أي فاقض ما أنت قاضيه فحذف الهاء « إنما تقضي هذه الحياة الدنيا » حذف المضاف وتقديره إنما تقضي أمور هذه الحياة الدنيا ويجوز أن يكون تقديره إنما تقضي مدة هذه الحياة الدنيا وهذه على القول الأول منصوبة مفعول بها وعلى الثاني منصوبة على الظرف ويجوز أن يكون الواو للقسم. جنات عدن يجب ان يكون بدلاً من الدرجات ولا يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأن قوله خالدين فيها نصب على الحال من قوله لهم ذو الحال الضمير المجرور باللام فعلى هذا لا يجوز الوقف على الدرجات العلى والدرجات مرتفع بالظرف بلا خلاف بينهم لأن الظرف جرى خبراً على المبتدأ وهو أولئك واعتمد عليه فيرتفع ما بعده .

[ **المعنى** ] **﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾** معناه فأحسّ موسى ووجد في نفسه ما يجده الخائف ويقال أوجس القلب فزعاً أي اضمر والسبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا انهم فعلوا مثل فعله ويظنّوا المساواة فيشكُّوا ولا يتّبعونه عن الجبائي

---

(١) أي صار انفهم أجدع .

وقيل انه خوف الطباع إذا رأى الانسان أمراً فظيعاً فإنه يحذره ويخافه في أول وهلة وقيل انه خاف أن يتفرق الناس قبل القائه العصا وقبل أن يعلموا ببطلان السحرة فيبقوا في شبهة وقيل انه خاف لأنه لم يدر أن العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية لأنه لا يعلم انها تتلقفها فكان ذلك موضع خوف لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون ربما ادّعوا المساواة لا سيما والاهواء معهم والدولة لهم فلما تلقفت زالت الشبهة وتحقق عند الجميع صحة أمر موسى وبطلان سحره ﴿**قلنا لا تخف انك انت الأعلى**﴾ عليهم بالظفر والغلبة ﴿**والق ما في يمينك**﴾ يعني العصاء ﴿**تلقف ما صنعوا**﴾ أي تبتلع ما صنعوا فيه من الحبال والعصي لأن الحبال والعصي اجسام ليست من صنعهم قالوا ولما القى عصاه صارت حية وطافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلها على كثرتها ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت ﴿**إنما صنعوا كيد ساحر**﴾ أي ان الذي صنعوه او ان صنيعهم كيد ساحر أي مكره وحيلته ﴿**ولا يفلح الساحر**﴾ أي لا يظفر الساحر ببغيته إذ لا حقيقة للسحر ﴿**حيث أتى**﴾ أي حيث كان من الأرض وقيل لا يفوز الساحر حيث أتى بسحره لأن الحق يبطله ﴿**فألقي السحرة سجداً**﴾ هاهنا محذوف وهو فألقى عصاه وتلقف ما صنعوا فألقي السحرة سجداً أي سجدوا ﴿**وقالوا آمنا برب هارون وموسى**﴾ أضافوه سبحانه إليهما لدعائهما إليه وكونهما رسولين له ﴿**قال**﴾ فرعون للسحرة ﴿**آمنتم له**﴾ أي لموسى والمعنى قد صدقتم له ﴿**قبل أن آذن لكم**﴾ أي من غير اذني لأنه بلغ من جهله انه لا يعتقد دين إلا بإذنه والفرق بين الاذن والامر انّ في الأمر دلالة على إرادة الآمر الفعل المأمور به وليس في الاذن ذلك وقوله ﴿**فإذا حللتم فاصطادوا**﴾ اذن وقوله ﴿**أقيموا الصلاة**﴾ أمر ﴿**إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر**﴾ معناه انه لأستاذكم وأنتم تلامذته وقد يعجز التلميذ عما يفعله الاستاذ وقيل انه لرئيسكم ومتقدمكم وأنتم اشياعه وأتباعه ما عجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً له واحتراماً وإنما قال ذلك ليوهم العوام ان ما أتوا به إنما هو لتواطؤ من جهتهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم ﴿**فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف**﴾ أي أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى ﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ أي على جذوع النخل ﴿**ولتعلمن**﴾ أيها الحسرة ﴿**أيّنا أشد عذاباً**﴾ لكم ﴿**وأبقى**﴾ وأدوم انا على إيمانكم أم رب موسى على ترككم الإيمان به ﴿**قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات**﴾ أي لن نفضلك ولن نختارك على ما أتانا من الادلة الدالة على صدق موسى وصحّة نبوته والمعجزات التي تعجز عنها قوى البشر ﴿**والذي فطرنا**﴾ أي وعلى الذي فطرنا أي خلقنا وقيل معناه لن نؤثرك والله الذي فطرنا على ما جاءنا من البينات وما ظهر لنا من الحق ﴿**فاقض ما أنت قاض**﴾ أي فاصنع ما أنت صانعه

على اتمام واحكام وقيل معناه فاحكم ما أنت حاكم وليس هذا بأمر منهم ولكن معناه أي شيء صنعت فإنا لا نرجع عن الإيمان ﴿**إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**﴾ أي إنما تصنع بسلطانك أو تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها ولا حكم وقيل معناه إنما تقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا دون الحياة الآخرة ﴿**إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا**﴾ من الشرك والمعاصي ﴿**وما أكرهتنا عليه من السحر**﴾ إنما قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من أيديهم وقيل ان السحرة قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم وعصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر ان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا ان يعملوا فذلك اكراههم عن عبد العزيز بن أبان ﴿**والله خير وأبقى**﴾ أي والله خير لنا منك وثوابه أبقى لنا من ثوابك وقيل معناه والله خير ثواباً للمؤمنين وأبقى عقاباً للعاصين منك وهذا جواب لقوله ولتعلمنَّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى وهاهنا انتهى الاخبار عن السحرة ثم قال الله سبحانه ﴿**إنه من يأت ربه مجرماً**﴾ وقيل انه من قول السحرة قال ابن عباس في رواية الضحاك المجرم الكافر وفي رواية عطاء يعني الذي أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون ﴿**فإن له نار جهنم لا يموت فيها**﴾ فيستريح من العذاب ﴿**ولا يحيي**﴾ حياة فيها راحة بل هو معاقب بأنواع العقاب ﴿**ومن يأته مؤمناً**﴾ مصدقاً بالله وبأنبيائه ﴿**قد عمل الصالحات**﴾ أي ادّى الفرائض عن ابن عباس ﴿**فأولئك لهم الدرجات العلى**﴾ يعني درجات الجنة وبعضها اعلى من بعض والعلى جمع العليا وهي تأنيث الأعلى ﴿**جنات عدن**﴾ أي إقامة ﴿**تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**﴾ معناه ان الثواب الذي تقدَّم ذكره جزاء من تطهر بالإيمان والطاعة عن دنس الكفر والمعصية وقيل تزكى طلب الزكاء بارادة الطاعة والعمل بها .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ

وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة لا تخف جزماً والباقون لا تخاف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم **قد** أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم وقرأ الباقون قد أنجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بالنون وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وسهل ووعدناكم بغير الالف والباقون بالألف وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام والباقون بالكسر في الموضعين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من رفع قوله لا تخاف فإنه حال من الفاعل في أضرب اي غير خائف ولا خاش ويجوز أن يقطعه من الأول اي أنت لا تخاف ومن قرأ لا تخف جعله جواب الشرط أي ان تضرب لا تخف دركاً ممن خلقك ولا تخش غرقاً بين يديك فأما من قال لا تخف دركاً ثم لا تخشى فيجوز أن يعطيه من الأول اي ان تضرب لا تخف وانت لا تخشى ولا يحمله على قول الشاعر « كَأَنْ لَمْ ترى قَبْلي أسِيراً يَمانيّاً »[١] ولا على نحو « إذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطلّقْ وَلاَ تَرَضّيهَا وَلاَ تملّق »[٢] لأن ذلك إنما يجيء في ضرورة الشعر كما أن قوله

(١) قائله عبد يغوث بن وقاص وقبله « وتضحك مني شيخة عبشمية » والشاهد في قوله « لم ترى » حيث اثبت الشاعر الالف مع الجازم .

(٢) قائله رؤبة بن العجاج .

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْبَاءُ تَنْمي بِما لاقَتْ لَبُونُ بَني زِيادِ(١)

كذلك ولكنك تقدر انك حذفت الألف المنقلبة عن اللام ثم اشبعت الفتحة لأنها في فاصلة فأثبت الألف الناشئة عن اشباع الفتحة ومثل هذا مما ثبت في الفاصلة قوله فأضلونا السبيلا وقد جاء اشباع هذه الفتحة في كلامهم قال

وَأَنْتَ عَنِ الْغَوائِلِ حِينَ تُرْمَىٰ وَمِنْ ذَمّ الرِّجالِ بِمُنْتَزاحِ

أي بمنتزح وحجة من قرأ وعدناكم ان ذلك يكون من الله سبحانه قال أبو الحسن زعموا أن واعدناكم لغة في وعدناكم فإذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على ان الفعل من اثنين فيكون القراءة بوعد أحسن لأن واعد بمعنى وعد ويعلم من وعد أنه فعل واحد لا محالة وليس واعد كذلك فالأخذ بالأبين أولى ومن قرأ أنجيناكم وواعدناكم فحجته قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى وحجة من قرأ يحل بكسر الحاء انه روي في زمزم إنه لِشاربٍ حل اي مباح له غير محظور عليه ولا ممنوع عنه فالحل والحلال في المعنى مثل المباح فهو خلاف الحظر والحجر والحرام والحرم فهذه الالفاظ معناها المنع والمباح من قولهم باح بالسر والامر يبوح به إذا لم يجعل دونه حظراً فمعنى يحل عليكم ينزل بكم وينالكم بعدما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم ووجه قراءة من قرأ يحل عليكم غضبي ان الغضب لما كان تتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال يحل اي ينزل فجعله بمنزلة قولهم حلَّ بالمكان يحلّ وعلى هذا جاء يصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريباً من دارهم فكما ان هذا عذاب قد أخبر عنه بأنه يحل كذلك اخبر عن الغضب بمثله وجعله بمنزلته لأنه يتبعه ويتّصل به .

[ اللغة ] اليبس اليابس وجمعه ايباس وجمع اليبس بسكون الباء يبوس قال الكميت « فَما زِدْتُهُ إلاّ يُبوساً وَما أرىٰ لَهُمْ رَحِماً والْحَمْدُ لِلّهِ تُوصَلُ » قال أبو زيد حلَّ عليه أمر الله يحلُّ حلولاً وحلَّ الدار يحلّها ولا وحلّ العقدة يحلّها حلاً وحلَّ له الصوم يحلُّ حلاّ وأحله الله احلالاً وحلّ عليه حقي يحلّ محلاً وأحلَّ الرجل من إحرامه احلالاً وحلّ يحلّ حلاّ والأسف أشد الغضب ويكون أيضاً بمعنى الحزن .

[ الإعراب ] هم أولاء مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون أولاء بدلاً من هم ويكون على أثري في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون على أثري في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في أولاء ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر .

(١) قائله قيس بن زهير وكان قد طردا إبلاً للربيع بن زياد في قصة مشهورة .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن حال بني إسرائيل فقال ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ بعدما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه ﴿ان أسر بعبادي﴾ أي سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾ أي اجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بضربك العصا لينفلق البحر فعدّى الضرب إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق كما يضرب الدينار ﴿لا تخف دركاً ولا تخشى﴾ أي لا تخاف ان يدركك فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقاً ومن قرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف ان يدركك فرعون وأنت لا تخشى شيئاً من أمر البحر مثل قوله يولّوكم الادبار ثم لا ينصرون ويجوز أن يكون في موضع الجزم على نحو ما ذكرناه في الحجة ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ معناه الحق جنوده بهم وبعث بجنوده خلفهم وفي أثرهم وفي الكلام حذف الهم فعلوا ذلك فدخل موسى وقومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده ﴿فغشيهم من أليم ما غشيهم﴾ أي جاءهم من البحر ما جاءهم ولحقهم منه ما لحقهم وفيه تعظيم للأمر ومعناه غشيهم الذي عرفتموه وسمعتم به ومثله قول ابي النجم « انا أبو النجم وشعري شعري » أي شعري الذي سمعت به وعلمته أي هلك فرعون ونجى موسى هذا كان عاقبة امرهم فليعتبر المعتبرون بهم ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ أي صرفهم عن الهدى والحق وما هداهم إلى الخير والرشد وطريق النجاة وإنما قال وما هدى بعد قوله أضلَّ ليتبين انه استمرّ على ذلك وما زال يضلهم ولا يهديهم وحسن حذف المفعول لمكان رأس الآية وإنما قال سبحانه تكذيباً لقول فرعون لقومه وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ثم خاطب سبحانه بني إسرائيل وعدَّد نعمه عليهم فقال ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون بمرأى منكم ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ وهو ان الله تعالى وعد موسى بعد ان أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة فيها بيان الشرائع والأحكام وما يحتاجون اليه ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعني في التيه وقد مرَّ بيان ذلك في سورة البقرة[1] ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ صورته صورة الأمر والمراد به الاباحة ﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي فلا تتعدوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم وقيل ان المعنى لا تتجاوزوا عن الحلال إلى الحرام وقيل معناه لا تتناولوا من الحلال للاستعانة به على المعصية ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي فيجب عليكم عقوبتي ومن ضم الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتي ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ أي هلك لأن من هوى من علو إلى سفل فقد هلك وقيل فقد هوى إلى النار قال الزجاج فقد صار إلى الهاوية ﴿وإني لغفار﴾ وهو فعال من المغفرة ﴿لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ بالله ورسوله ﴿وعمل صالحاً﴾ أي

(١) راجع ج ١

أدّى الفرائض ﴿ثم اهتدى﴾ أي ثم لزم الإيمان إلى أن يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشكّ في إيمانه عن ابن عباس وقيل ثم أخذ بسنة النبي ﷺ ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس أيضاً والربيع بن انس وقال أبو جعفر الباقر ( ع ) ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت ( ع ) فوالله لو أنَّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا لا كبَّه الله في النار على وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال ابن اسحاق كانت المواعدة ان يوافي الميعاد هو وقومه وقيل مع جماعته من وجوه قومه وهو متصل بقوله ﴿واعدناكم﴾ جانب الطور الأيمن فتعجل موسى من بينهم شوقاً الى ربه وخلفهم ليلحقوا به فقيل له ما أعجلك عن قومك يا موسى أي بأيّ سبب خلفت قومك وسبقتهم وجئت وحدك ﴿قال﴾ موسى في الجواب ﴿هم اولاء على أثري﴾ أي هؤلاء من ورائي يدركونني عن قريب وقيل معناه هم على ديني ومنهاجي عن الحسن وروي عنه أيضاً انه قال هم ينتظرون من بعدي ما الذي آتيهم به وليس يريد أنهم يتبعونه ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ أي سبقتهم إليك حرصاً على تعجيل رضاك أي لازداد رضا إلى رضاك ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنا قد فتنّا قومك﴾ أي امتحنّاهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإِله كما قال سبحانه ﴿الٓم﴾ أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿من بعدك﴾ أي من بعد انطلاقك ﴿وأضلّهم السامريّ﴾ أي دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه وضلوا عند دعائه فأضاف الضلال إلى السامري والفتنة الى نفسه ليدلَّ سبحانه على ان الفتنة غير الضلال وقيل ان معنى فتنّا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلي ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي المخلص ويعادي المنافق ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي رجع موسى من الميقات إلى بني إسرائيل شديد الغضب حزيناً عن ابن عباس وقيل جزءاً عن مجاهد وقيل متحسراً متلهفاً على ما فاته لأنه خشي ان لا يمكنه تدارك امر قومه عن الجبائي ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ أي صدقاً لايتاء الكتاب وهو التوراة لتعلموا ما فيه وتعلموا به فتستحقوا الثواب عن الجبائي وقيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاة من فرعون ومجيئهم إلى جانب الطور ووعده بالمغفرة لمن تاب وقيل هو ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا عن الحسن ﴿أفطال عليكم العهد﴾ أي مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم ان يحل عليكم﴾ أي يجب عليكم ﴿غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم ان تصنعوا صنعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فأخلفتم موعدي﴾ أي ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي ويبيّن ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي وقيل ان اخلافهم موعده انه

أمرهم اللحاق به فتركوا المسير على أثره للميقات وقيل هو أنه أمرهم أن يتمسكوا بطريقة هارونَ وطاعته ويعملوا بأمره الى ان يرجع فخالفوه .

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ
فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ
قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ
حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾
قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والكوفة وعاصم بمَلْكنا بالفتح وقرأ حمزة والكسائي وخلف بملكنا بضم الميم والباقون بملكنا بكسر الميم وقرأ ابن عامر وحفص ورويس حُمّلنا بالضم والتشديد والباقون حَمَلنا بفتح الحاء والتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم لم تبصروا بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وأبي والحسن وقتادة وأبي رجاء ونصر بن عاصم

فقبصت قبصة بالصاد وروي عن الحسن أيضاً قبضة بضم القاف .

[ **الحجة** ] قال ابو علي في قوله بملكنا هذه ثلاث لغات والكسر اكثر والفتح لغة فيه والمعنى ما اخلفنا موعدك بملكنا الصواب ولكن لخطئنا فأضيف المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول فأما من ضم الميم فإنه لا يخلو من ان يريد به مصدراً لِمَلِك أو يكون لغة في مصدر المالك فإن أريد الأول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لمكان ملكنا ويكون على هذا التقدير كقوله لا يسألون الناس الحافاً أي ليس منهم مسألة فيكون منهم الحاف فيها ليس انه أثبت ملكاً ما لم يثبت في قوله لا يسئلون الناس الحافاً مسألة منهم ومثل ذلك قول ابن ابي أحمر.

لَا تُفْزِعُ الإِرْنَبَ أَهْوَالُها ... وَلَا تَرَى الضَّبَ بِها يَنْجَحِرْ

أي ليس بها ارنب فيفزع لهولها ومثله قول ذي الرمة :

لَا تَشْتَكي سَقْطَةً مِنْها وَقَدْ رَقَصَتْ ... بِهَا الْمَفاوِزُ حَتّى ظَهْرُها حَدِبُ

أي ليس منها سقطة فتشتكي وقوله حملنا من حمل الأنسان الشيء وحملته إياه فمن قرأ حُمِّلنا فالمعنى جعلونا نحمل أوزار القوم ومن قرأ حَمَلنا اراد انهم فعلوا ذلك ومن قرأ بما لم يبصروا به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو اسرائيل ومن قرأ بالتاء صرف الخطاب إلى الجميع والقبض بالضاد باليد كلها وبالصاد باطراف الأصابع والقبضة بالضم القدر المقبوض والقبضة فعلك انت وقد ذكرنا الاختلاف في قوله يا ابن أم والوجه في ذلك في سورة الاعراف(١).

[ **اللغة** ] الوزر أصله الثقل ومنه الوزر الذنب لأن صاحبه قد حمل به ثقلاً والوزر الحمل والأوزار الأحمال والاثقال ومنه الأوزار للسلاح لأنها تثقل على لابسها والخوار الصوت المتردد الشديد التردد كصوت البقر ونحوه والعكوف الاقامة وملازمة الشيء ومنه الاعتكاف في المسجد ورقب يرقب رقباناً ورقبة انتظر والمرقب المكان العالي الذي يقف عليه الرقيب وارقبت فلاناً داري واعمرته والاسم الرقبى والعمرى وبصر بالشيء يبصر إذا صار عليماً به وأبصر يبصر إذا رأى .

[ **الاعراب** ] فكذلك القى السامري الكاف صفة مصدر محذوف لألقى تقديره القى

(١) راجع ج ٢

السامري القاء مثل القائنا، جسداً بدل من عجل. أن لا يرجع تقديره أفلا يرون ان لا يرجع ويجوز أن ينصب يرجع بأن ،يكون الناصبة للفعل ولا يكون أن المخففة من ان ضلوا جملة في موضع نصب على الحال وقد مضمرة ألّا تتبعني في موضع جرّ بمن المحذوف أو في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعي ولا زائدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد.

[ المعنى ] ﴿ **قالوا** ﴾ أي قال الذين لم يعبدوا العجل ﴿**ما أخلفنا موعدك بملكنا**﴾أي ونحن نملك من أمرنا شيئاً والمعنى انا لم نطق ردّ عبدة العجل عن عظيم ما ارتكبوه للرهبة لكثرتهم وقلتنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر الفاً والذين عبدوه كانوا ستمائة الف رجل ومن قرأ بملكنا بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم نقدر على ردهم ﴿**ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم**﴾ معناه ولكنا حملنا اثقالاً من حلي آل فرعون وهو ما استعادوه من حليهم حين أرادوا السير وقيل هو ما القاه البحر على الساحل من ذهبهم وفضتهم وحليهم بعد اغراقهم فأخذوه وقيل هو من اثقال الذنوب والآثام أي حملنا آثاماً من حلي القوم لأنهم استعاروا حلياً من القبط ليتزينوا بها في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة ان يعلموا بخروجهم فحملوهم وكان ذلك ذنباً منهم إذ كانوا مستأمنين فيما بينهم وقيل انهم كانوا في حكم الاسراء فيما بينهم فكان يحل لهم أخذ اموالهم فعلى هذا لا يمكن حمله على الإثم ﴿**فقذفناها**﴾ أي القيناها في النار لتذوب ﴿**فكذلك القى السامري**﴾ أيضاً ليوهم انه منهم عن الجبائي وقيل معناه فمثل ما القينا نحن من هذا الحلي في النار القى السامري أيضاً فاتبعناه وقيل ان هذا كلام مبتدأ من الله حكى عنهم انهم القوا ثم قال وكذلك القى السامري عن أبي مسلم ﴿**فأخرج لهم عجلاً جسداً**﴾ أي اخرج لهم من ذلك عجلاً جسيماً ﴿**له خوار**﴾ أي صوت وقد ذكرنا صفة العجل في سورة الاعراف ﴿**فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى**﴾ أي قال السامري ومن تبعه من السفلة والعوام هذا العجل معبودكم ومعبود موسى ﴿**فنسي**﴾ فيه قولان (أحدهما) انه من قول السامري ومن تبعه اي نسي موسى انه إلٰه وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وقيل معناه فنسي اي ضل وأخطأ الطريق وقيل معناه انه تركه هنا وخرج يطلبه (والثاني) انه قول الله تعالى اي فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الإيمان الذي بعث الله به موسى عن ابن عباس أيضاً وقيل معناه فنسي السامري الاستدلال على حدوث العجل وأنه لا يجوز ان يكون إلٰهاً وقيل فنسي السامري أي نافق وترك الإسلام ثم احتجَّ سبحانه عليهم فقال ﴿**أفلا يرون الا يرجع اليهم قولاً**﴾ أي أفلا يرى بنو إسرائيل ان العجل الذي عبدوه واتخذوه إلٰهاً لا يرد عليهم جواباً ﴿**ولا**

**يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾** ومن كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للعبادة قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوماً أمر السامري بني إسرائيل ان يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون وصاغه عجلاً في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادته في التاسع فأجابوه وجاءهم موسى بعد استكمال الاربعين قال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وكان مطاعاً في بني إسرائيل وقيل كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك في قلبه وقيل كان من بني إسرائيل فلما جاوز البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم إليه عن قتادة **﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾** أي من قبل عود موسى اليهم **﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾** يعني أن الله تعالى شدد عليكم التعبد فأعلموا إلّهكم واعبدوه ولا تعبدوا العجل موعظة ونصحاً ويحتمل ان يكون أُراد فتنكم السامري به وأضلكم **﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني﴾** أي اتبعوني فيما ادعوكم اليه **﴿وأطيعوا أمري﴾** في عبادة الله ولا تتبعوا السامري ولا تطيعوا امره في عبادة العجل **﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾** معناه لا نزال مقيمين على عبادته **﴿حتى يرجع الينا موسى﴾** فننظر ايعبده كما عبدناه أم لا فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفاً فلما رجع موسى (ع) وهو ممتليء غيظاً منهم ومن عبادتهم العجل وسمع الصياح والجلبة إذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير واستقبله هارون فألقى الالواح وأخذ يعاتب هارون **﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني﴾**أي هلا تتبعني بمن أقام على إيمانه عن ابن عباس وقيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم وقيل هلا لحقت بي حين رأيتهم ضلوا بعبادة العجل قبل استحكام الأمر والاصل ان لا مزيدة وتقديره ما منعك ان تتبعني **﴿أفعصيت أمري﴾** فيما أمرتك به يريد قوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه إلى عصيانه وقيل ان صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير لأن موسى (ع) كان يعلم ان هارون لا يعصيه في أمره (سؤال) متى قيل ان الظاهر يقتضي ان موسى كان امره باللحاق به فعصى هارون امره قلنا يجوز ان يكون امره بذلك بشرط المصلحة ورأى هارون الإقامة اصلح والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ويجوز ان يكون لم يامره بذلك وإنما أمره بمجاهدتهم وزجرهم عن القبيح وإنما عاتبه مع ان اللوم توجه على القوم لأن أمره بمفارقتهم لوم عليهم وقيل ان موقع الذنب ممن عظمت رتبته اعظم فلما كان هارون اجل من خلفه موسى خصّه باللائمة وهذا إنما يتّجه إذا ثبت لهارون ذنب فأما وهو نقي الجيب من جميع الذنوب بريء الساحة من العيوب فالقول الأول هو الوجه **﴿قال﴾** هارون **﴿يابن أمي لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾** قد فسرناه في سورة الاعراف وقيل كانت العادة جارية في القبض عليهما

في ذلك الزمان كما ان العادة في زماننا هذا القبض على اليد والمعانقة وذلك مما تختلف العادة فيه بالازمنة والامكنة وقيل انه اجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بيَّن (ع) عذره في مقامه معهم فقال **﴿إني خشيت ان تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾** يعني اني لو فارقتهم او قاتلتهم لصاروا احزاباً وتفرقوا فرقاً ففريق يلحقون بك معي وفريق يقيمون مع السامري على عبادة العجل وفريق يتوقفون شاكين في أمره مع اني لم آمن ان تركتهم ان يصيروا بالخلاف الى تسافك الدماء وشدة التصميم والثبات على اتباع السامري فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكاني فيهم وكنت اوجه اليهم من الانكار مقدار ما يتحمله الحال وذلك قوله يا قوم إنما فتنتم به فاعتذر بما يقبل مثله لأنه وجه واضح من وجوه الرأي وقوله **﴿ولم ترقب قولي﴾** معناه ولم تحفظ وصيتي ولم تعمل به حين قلت اخلفني في قومي واصلح ولما ظهرت براءة ساحة هارون اقبل على السامري **﴿قال﴾** له **﴿فما خطبك يا سامري﴾** أي ما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت فكأنه قال ما هذا الخطب والأمر العظيم الذي احدثت وما حملك عليه **﴿قال﴾** السامري **﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾** أي رأيت مالم يروه وقيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيرة **﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾** اي قبضت قبضة تراب من أثر قدم جبرائيل **﴿فنبذتها﴾** في العجل **﴿وكذلك﴾** أي وكما حدثتك يا موسى **﴿سولت لي نفسي﴾** اي زينت لي نفسي من اخذ القبضة والقائها في صورة العجل وقيل معناه حدثتني نفسي فأما حديث العجل وما الذي قبضه السامري وكيفية ذلك واختلافهم فيه فقد سبق ذكره.

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ

ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ
فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لن تخلفه بكسر اللام وقرأ الضرير لن نخلفه بالنون وكسر اللام وهو قراءة الحسن وقرأ الباقون لن تخلفه بفتح اللام وقرأ أبو جعفر لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء وتخفيف الراء وهو قراءة علي (ع) وابن عباس وقرأ أبو عمرو يوم ننفخ في الصُّورِ بالنون والباقون ينفخ بالياء وفتح الفاء وفي الشواذ قراءة أبي حيوة لامَساسِ وقرأ مجاهد وقتادة وسع كل شيء علماً وقرأ ابن عياض في الصور بفتح الواو.

[ **الحجة** ] قال ابو علي اخلفت يتعدى الى مفعولين لن تخلفه مثل لن تعطاه لما اسندت الفعل الى أحد المفعولين فأقمته مقام الفاعل بقي الفعل متعدياً إلى مفعول واحد وفاعله الذي يخلف هو الله تعالى أو موسى ومعناه سيأتيك به ولن يتأخر عنك ولن تخلفه اي سيأتيه ولا مذهب لك عنه وقال ابن جني معناه لن تصادفه مخلفاً كقول الاعشى .

أَثْوى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدا فَمضى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِداً[١]

وهو وعيد والمعنى في قراءة الأولى ابين وأما نخلفه بالنون فالمعنى لن نخلفك إياه اي لن ننقص منه ما عقدناه لك وقوله لنحرقنه من قولهم فلان يحرق عليَّ الأُرَّم اي سحكّ اسنانه بعضها ببعض غيظاً عليَّ قال زهير:

أَبي الضَّيْمَ وَالنُّعْمانُ يَحْرِقُ نابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْصى وَالسُّيُوفُ مَعاقِلُه[٢]

(١) أثوى بالمكان: أقام. وقتيلة: علم امرأة واخلف موعداً اي صادق سنها خلف المواعيد. ويروى « فمضت » كان « فمضى » ومعناه فمضت الليلة .

(٢) الضيم: الظلم. وأفصى: اي تخلص من الشر .

فكان لنحرقنه على هذا لنبردنه ولنحتنه حتاً يقال حرقت الحديد اي بردته فتحات وتساقط وقوله مساس مثل نزالِ وحذار قال ابن جني ولا يدخل على هذا الضرب من الكلام ما النافية بالنكرة فلا إذا في قوله لا مساس نفي للفعل كقولك لا امسك ولا أقرب منك فكأنه حكاية قول القائل مساس فكأنه قال لا أقول مساس قال الكميت « لا هَمام لي لا هَمامِ »(١) أي لا أقول همام ولا بد أن تكون الحكاية مقدرة الا ترى انه لا يجوز ان تقول لا اضرب فتنفى بلا لفظ الأمر لتنافي اجتماع لفظ الأمر والنهي فالحكاية اذا معتقدة مقدرة وأما قوله وسع كل شيء علماً فمعناه على ما قاله ابن جني انه خرق كل مصمت بعلمه لأنه بطن كل مخفي فصار لعلمه فضاء متسعاً بعدما كان متلاقياً مجتمعاً ومنه قوله تعالى **﴿إن السماوات والأرض كانتا رُتُقاً ففتقناهما﴾** وهذا في العمل وذاك في العلم والوجه في قوله ننفخ في الصور فنفخنا فيه من روحنا وقوله فيما بعده ونحشر الوجه في الياء قوله يوم ينفخ في الصور ونفخ في الصور وأما قوله في الصُوَر فإنه جمع صورة وقد يقال فيها صير وأصله صور قال

أَشْبَهْنَ مِنْ بَقَرِ الْخَلْصَاءِ أَعْيُنَها فَهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ صيرانِها صِيَرا(٢)

وصِوَراً أيضاً قال ابو عبيدة الصور جمع صورة ويقال الصور القرن ويقال فيه ثقب بعدد نفوس البشر فإذا نفخ فيه قام الناس من الارماس .

[ **اللغة** ] ظلت أصله ظللت وللعرب فيها مذهبان فتح الظاء وكسرها فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها ومن قال ظلت بالكسر نقل حركة اللام اليها للاشعار بأصلها ومثله مَست ومِست وفي مسست وهل أحست في أحسست قال الشاعر

خَلا إنَّ العِتاقَ مِنَ الْمَطايا أَحْسَنَ بِهِ فَهُنَّ إلَيْهِ شُوس(٣)

لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه ليطير عنه قشوره والصفصف الموضع المستوي الذي لا نبات به كأنه على صف واحد في استوائه والقاع الأرض الملساء وقيل مستنقع الماء وجمعه اقواع وقيعان وقيعة والأمت الاكمة ويقال مدَّ حبله حتى ما ترك فيه امتا وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه امتا اي انثناء قال الشاعر « ما في انجذاب سيره من امت » .

---

**(١)** هذا جزء من بيت له في مدح أهل البيت عليهم السلام وقبل هذا البيت قوله : «إن أمت لا أمت ونفسم نفسا ن من الشك في عمى أو تعام » وتمام البيت « عادلاً غيرهم من الناس طراً * بهم لا همام لي لا همام » ومعناه لا أهم بذلك وهو مبني على الكسر كقطام بقول لا اعدل بهم أحداً .

**(٢)** خلصاء : اسم موضع وصيران جمع صوار: قطيع البقر .

**(٣)** الشعر في جامع الشواهد .

[ المعنى ] ثم حكى سبحانه عن موسى ( ع ) ﴿قال﴾ للسامري ﴿فاذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس﴾ واختلف في معناه فقيل أنه أمر الناس بأمر الله ان لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضييقاً عليه والمعنى لك أن تقول لا أمس ولا أمس ما دمت حياً قال ابن عباس لك ولولدك والمساس فعال من المماسة ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضاً فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس احداً ولا يمسه أحد عاقبه الله تعالى بذلك وكان إذا لقي احداً يقول لا مساس اي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان مس واحد من غيرهم واحداً منهم حم كلاهما في الوقت وقيل ان السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد احداً من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائي ﴿وان لك موعداً لن تخلفه﴾ أي وعداً لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد ولن يتأخر عنك قال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيامة ﴿وانظر إلى إلٓهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ معناه وانظر إلى معبودك الذي ظلت على عبادته مقيماً يعني العجل ﴿لنحرقنه﴾ بالنار ﴿ثم لننسفنّه في اليم نسفاً﴾ أي لنذرينه في البحر قال ابن عباس فحرقه ثم ذراه في البحر وهذا يدل على انه كان حيواناً لحماً ودماً وعلى القراءة الأخرى لنحرقنه اي لنبردنه بالمبرد يدل على أنه كان ذهباً وفضة ولم يصر حيواناً ونبّه ( ع ) بذلك على ان ما يمكن سحقه أو احراقه لا يصلح للعبادة وقال الصادق ( ع ) ان موسى ( ع ) همَّ بقتل السامري فأوحى الله سبحانه اليه لا تقتله يا موسى فإنه سخي ثم أقبل موسى على قومه فقال ﴿إنما إلٓهكم الله الذي لا إلٓه إلا هو﴾ أي هو الذي يستحق العبادة ﴿وسع كل شيء علماً﴾ أي يعلم كل شيء علماً تاماً وهي لفظة عجيبة في الفصاحة وفي ذلك دلالة على ان المعدوم يسمى شيئاً لكونه معلوماً ثم قال الله لنبيّه ﷺ ﴿كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق﴾ أي مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه ونقص عليك من اخبار ما قد مضى وتقدم من الأمم والأمور ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني القرآن لأن فيه ذكر كل ما يحتاج اليه من أمور الدين ثم اوعد سبحانه على الاعراض عنه وترك الإيمان به فقال ﴿مَنْ أعرض عنه فإنه يحمل يووم القيامة وزراً﴾ أي حملاً ثقيلاً من الاثم يشقُّ عليه حمله لما فيه من العقوبة كما يشق حمل الثقيل ﴿خالدين فيه﴾ أي في عذاب ذلك الوزر وجزائه وهو الخلود في النار ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ تقديره ساء الحمل حملاً والحمل بمعنى المحمول أي بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة قال الكلبي بئس ما حملوا على أنفسهم من المأثم كفرهم بالقرآن ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ هو بدل من يوم القيامة وقد سبق معناه ﴿نحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين

اتخذوا مع الله إلّهاً يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سود العيون كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق وقيل زرقاً عمياً ترى زرقاً وهي عمي عن الفراء وقيل عطاشاً في مظهر عيونهم كالزرقة مثل قوله **﴿ونسوق المجرمين الى جهنم﴾** ورداً عن الأزهري **﴿يتخافتون بينهم﴾** أي يتسارّون بينهم فيقول المجرمون بعضهم لبعض **﴿إن لبثتم الا عشراً﴾** أي ما لبثتم الا عشر ليال عن ابن عباس وقتادة يعني من النفخة الأولى الى الثانية وذلك انه يكفُّ عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما لبثتم في الدنيا ينسون من شدة هول ذلك اليوم مدة لبثهم في الدنيا وقيل في القبر يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم كأنهم كانوا نياماً فانتبهوا وقيل انهم يقللون لبثهم في الدنيا طول ما هم لابثون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه **﴿نحن أعلم بما يقولون﴾** أي بما يتسارون بينهم **﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾** أي أصلحهم طريقة وأوفرهم عقلاً وأصوبهم رأياً وقيل اكثرهم سداداً عند نفسه **﴿إن لبثتم الا يوماً﴾** أي ما لبثتم إلا يوماً في الدنيا وفي القبور انما قال ذلك لأن اليوم الواحد والعشرة إذا قوبلت بيوم القيامة وما لهم من الأيام في النار كان اليوم الواحد اقرب إليه وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقيل انهم قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لأن الله يعذّبهم ثم يعيدهم عن الجبائي ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ **﴿ويسئلونك﴾** أي ويسئلك منكرو البعث عند ذكر القيامة **﴿عن الجبال﴾** ما حالها **﴿فقل﴾** يا محمد **﴿ينفسها ربي نسفاً﴾** أي يجعلها ربي بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الأرض منها شيء وقيل يصيرها كالهباء وقيل ان رجلاً من ثقيف سأل النبي ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها فقال ان الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها **﴿فيذرها﴾** أي فيدع اماكنها من الأرض إذا نسفها **﴿قاعاً﴾** أي أرضاً ملساء وقيل منكشفة عن الجبائي **﴿صفصفاً﴾** أي أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر وقيل القاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوى من الأرض الذي لا نبات فيه عن ابن عباس ومجاهد **﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾** أي ليس فيها منخفض ولا مرتفع عن عكرمة عن ابن عباس قال الحسن العوج ما انخفض من الأرض والامت ما ارتفع من الروابي وقيل لا ترى فيها وادياً ولا رابية عن مجاهد .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ

لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ
عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم والباقون فلا يخاف بالالف وقرأ يعقوب ان نقضي بالنون وحيه بالنصب والباقون يقضي بضم الياء وحيه بالرفع .

[ **الحجة** ] من قرأ فلا يخف فإنه على النهي ومن قرأ فلا يخاف فإنه على الخبر وتقديره فهو لا يخاف وموضع الفاء مع ما بعدها في الموضعين مجزوم ولكونه في موضع جواب الشرط والمبتدأ محذوف ومراد بعد الفاء وهو مؤمن في موضع نصب على الحال والعامل في الحال يعمل وذو الحال الذكر الذي في يعمل العائد الى من ومن قرأ من قبل ان نقضي اليك وحيه فإنه أضاف القضاء الى الله وجعل الوحي مفعوله والمعنى في القراءتين واحد .

[ **اللغة** ] الهمز اخفاء الكلام والصوت الخفي قال الراجز

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيساً إنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيساً

يعني صوت اخفاف الابل في سيرها والعنوة الخضوع والذل والعاني الاسير وأخذت

الشيء عنوة اي غلبة تذل المأخوذ منه وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة لأنه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر

هَلْ أَنْتَ مُطِيعي أيُّها القَلْبُ عَنْوَةً وَلَمْ تُلْحَ نَفْسٌ لَمْ تُلَمْ في احْتِيالِها

وقال آخر

فَما أَخَذوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ وَلٰكِنْ بِضَرْبِ الْمَشْرِفيّ اسْتَقالَها

والهضم النقص يقال هضمني حقي ويهضمني اي ينقصني وامرأة هضيم الحشا اي ضامرة الكشحين لنقصانه عن حدّ غيره ومنه هضمت المعدة الطعام أي نقصته مع تغييرها والعزم الإرادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل .

[ **الإعراب** ] يومئذ ظرف، يتبعون ولا عوج له جملة في موضع الحال والتقدير يتبعون الداعي غير معوجين عن إجابه لأن معناه لا عوج لهم عن دعائه أي لا يقدرون على ان لا يتبعوه قرآناً منصوب على الحال، وعربياً صفته وفي الحقيقة الحال قوله عربياً وانما ذكر قرآناً للبيان وكذلك الكاف في محل النصب بأنه صفة لمصدر محذوف .

[ **المعنى** ] ثم وصف سبحانه القيامة فقال ﴿ **يومئذ يتبعون الداعي** ﴾ أي يوم القيامة يتبعون صوت داعي الله الذي ينفخ في الصور وهو إسرافيل ( ع ) ﴿ **لا عوج له** ﴾ أي لدعاء الداعي ولا يعدل عن أحد بل يحشرهم جميعاً عن أبي مسلم وقيل معناه لا عوج لهم عن دعائه لا يميلون عنه ولا يعدلون عن ندائه أي يتبعونه سراعاً ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً عن الجبائي ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن** ﴾ أي خضعت الأصوات بالسكون لعظمه الرحمن عن ابن عباس ﴿ **فلا تسمع إلاّ همساً**﴾ وهو صوت الأقدام عن ابن عباس وابن زيد أي لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتاً خفياً كما يسمع من وطىء الإبل وقيل الهمس إخفاء الكلام عن مجاهد وقيل معناه إن الأصوات العالية بالأمر والنهي في الدنيا ينخفض ويذل أصحابها فلا تسمع منهم إلا الهمس ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً** ﴾ أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلا شفاعة من إذن الله له في أن يشفع ورضي قوله فيها من الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين والشهداء ثم قال سبحانه ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ الضمير يرجع إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم سبحانه جميع أقوالهم وأفعالهم قبل أن خلقهم وبعد أن خلقهم وما كان في حياتهم وبعد مماتهم لا يخفى عليه شيء من أمورهم تقدم أو تأخر عن أبي مسلم وقيل يعلم ما بين أيديهم من أحوال الآخرة

وماخلفهم من أحوال الدنيا ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ أي ولا يحيطون هم بالله علماً أي بمقدوراته ومعلوماته وقيل بكنه عظمته في ذاته وأفعاله وقيل لا يحيطون علماً بما بين أيديهم وما خلفهم إلا من أطلعه الله على ذلك عن الجبائي وقيل معناه ولا يدركونه بشيء من الحواس حتى يحيط علمهم به ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ أي خضعت وذلت خضوع الأسير في يد من قهره والمراد خضع أرباب الوجوه واستسلموا الحكم للحي الذي لم يمت ولا يموت وإنما أسند الفعل إلى الوجوه لأن أثر الذل يظهر عليها وقيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك أي يذلون وينسلخون عن ملكهم وعزهم وقد سبق معنى الحي القوم في مواضع ﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ أي وقد خاب عن ثواب الله من حمل شركاً إلى يوم القيامة عن ابن عباس وقيل قد خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافراً ظالماً ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ أي ومن يعمل شيئاً من الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به وإنما قال ذلك لأنه لا تنفع الطاعة من غير إيمان﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ أي لهو لا يخاف أن يظلم ويزاد عليه في سيئاته ولا أن يهضم أي ينقص من حسناته عن ابن عباس وقيل لا يخاف أن يؤخذ بذنب لم يعمله ولا أن تبطل حسنة عملها عن الضحاك وقيل لا يخاف ظلماً بأن لا يجزى بعمله ولا هضماً بالانتقاص من حقه عن ابن زيد ومن قرأ فلا يخف على النهي فمعناه فليأمن ولا يخف الظلم والهضم والنهي عن الخوف أمر بالأمن وفي هذه الآية دلالة على بطلان التحابط ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما أخبرناك بأخبَار القيامة ﴿ أنزلناه ﴾ أي أنزلنا هذا الكتاب ﴿ قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ أي كرّرنا فيه من الوعيد وذكرناه على وجوه مختلفة وبيّناه بألفاظ متفرقة ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصي وقيل ليتقي العرب من قبل أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك ﴿ أو يحدث لهم ذكراً ﴾ معناه أو يجدد القرآن لهم عظة واعتباراً أي يذكروا به عقاب الله للأمم فيعتبروا وقيل يحدث لهم شرفاً بإيمانهم به وإنما أضاف إحداث الذكر إلى القرآن لأنه يقع عنده كما قال وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي إرتفعت صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه أحد في صفاته لأنه أقدر من كل قادر وأعلم من كل عالم وكل عالم وقادر سواه محتاج إليه وهو غني عنه وكل قادر وعالم قادر على شيء عاجز عن شيء عالم بشيء جاهل بشيء وما هو عالم به يجوز أن ينساه أو يسهو عنه فهو معرض الزوال والله سُبحانه لم يزل عالماً قادراً ولا يزال كذلك والملك الذي يملك الدنيا والآخرة والحق الذي يحق له الملك وكل ملك سواه يملك بعض الأشياء ويبيد ملكه ويفنى ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ فيه وجوه ( أحدها ) أن معناه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل ( ع ) من إبلاغه

فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ معه ويعجل بتلاوته مخافة نسيانه أي تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأ معه ثم أقرأ بعد فراغه منه وهذا كقوله ﴿ **لا تحرّك به لسانك لتعجل به** ﴾ عن ابن عباس والحسن والجبائي ( وثانيها ) إن معناه ولا تقرأه لأصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه عن مجاهد وقتادة وعطية وأبي مسلم ( وثالثها ) إن معناه ولا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه لأنه تعالى إنما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة ﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾ أي إستزد من الله سبحانه علماً إلى علمك روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا أتى عليَّ يوم لا ازداد فيه علماً يقرّبني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه وقيل معناه زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك وقيل زدني قرآناً لأنه كلما إزداد من نزول القرآن عليه إزداد علماً عن الكلبي ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً** ﴾ معناه أمرناه وأوصينا إليه أن لا يقرب الشجرة ولا يأكل منها فترك الأمر عن ابن عباس ولم نجد له عقداً ثابتاً وقيل معناه فنسى من النسيان الذي هو السهو ولم نجد له عزماً على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد عن ابن زيد وجماعة وقيل ولم نجد له حفظاً لما أمر به عن عطية وقيل صبراً عن قتادة وروي عن ابن عباس أنه قال إنّما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسي ومن حمله على النسيان فما الذي نسيه فيه أقوال ( أحدها ) أنه نسي الوعيد بالخروج من الجنتان أكل ( والثاني ) أنه نسي قول الله سبحانه ﴿ **إن هذا عدوّ لك ولزوجك** ﴾ ( والثالث ) أنه نسي الاستدلال على أن النهي عن الجنس وقد نهى عن الجنس فنسي وظن أن النهي عن العين .

[ النظم ] وجه إتصال قوله ﴿ **وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً** ﴾ بما قبله أنه يتصل بقوله ﴿ **كذلك نقص عليك** ﴾ وقيل أنه يتصل بما قبله من قصة موسى أي كما أنزلنا التوراة على موسى أنزلنا عليك القرآن ووجه إتصال قوله ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم** ﴾ الآية بما قبله أنه لما ذكر تصريف الآيات والقرآن وإنَّ بها يتذكر أمره سبحانه بالتذكر وأن لا يكون مثل آدم في نسيان العهد وقيل إنه إتصل بقوله ﴿ **ولا تعجل بالقرآن** ﴾ أي لا تعجل خوف النسيان للفظه ولكن توكل على الله وسله التوفيق لحفظه فإن أباك آدم نسي ما عهد إليه وقيل أنه عطف على قوله ﴿ **وكذلك نقص عليك** ﴾ من أنباء ما قد سبق فقصَّ عليه قصة آدم ( ع ) عن أبي مسلم .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ

ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ
قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ
عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا
وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ
كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وأبو بكر وإنك لا تظموا بالكسر والباقون إنك بالفتح وفي الشواذ قراءة أبان بن تغلب ونحشره بالجزم .

[ **الحجة** ] من قرأ بالفتح فتقديره أن لك أن لا تجوع فيها وأن لك أنك لا تظمأ ولا يجوز أن تقول أن أنك منطلق لكراهة اجتماع حرفين متقاربي المعنى فإذا فصل بينهما جاز ومن كسر فقال فإنك لا تظمأ قطع الكلام الأول واستأنف ومن قرأ نحشره فإنه عطفه على موضع قوله ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ وموضعه جزم لكونه جواب الشرط .

[ **اللغة** ] ضحى الرجل يضحى ضحى إذا برز للشمس قال عمرو بن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلاً أَيْما إِذَا آلشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحىٰ وَأَيْما بِـالْعَشِيِّ فَيَخْصَـرُ[1]

(١) الخصر : ألم البرد .

يعني أمّا والضنك الضيق الصعب يقال منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لأن أصله المصدر قال « وإذا هم نزلوا بضنك فانزل ».

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه تفصيل ما أجمله من قصة آدم ( ع ) فقال ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا دم فسجدوا إلا إبليس** ﴾ قد مرَّ تفسيره ﴿ **أبى** ﴾ أي إمتنع من أن يسجد ﴿ **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك** ﴾ حواء ﴿ **فلا يخرجنكما من الجنة** ﴾ أي لا تطيعاه والمعنى لا يكونن سبباً لخروجكما من الجنة بغروره ووساوسه ﴿ **فتشقى** ﴾ أي فتقع في تعب العمل وكدّ الإكتساب والنفقة على زوجتك ونفسك ولذلك قال فتشقى ولم يقل فتشقيا وقيل لأن أمرهما في السبب واحد فاستوى حكمهما لاستوائهما في السبب والعلة وقيل لتستقيم رؤوس الآي قال سعيد بن جبير أنزل على آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويرشح العرق عن جبينه وذلك هو الشقاوة ﴿ **إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى** ﴾ أي في الجنة لسعة طعام الجنة وثيابها ﴿ **وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ أي لا تعطش ولا يصيبك حرّ الشمس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة قالوا ليس في الجنة شمس وإنما فيها ضياء ونور وظل ممدود ويسأل هاهنا فيقال كيف جمع بين الجوع والعري وبين الظمأ والضحى والجوع من جنس الظمأ والعري من جنس الضحى وأجيب عن ذلك بجوابين ( أحدهما ) أن الظمأ أكثر ما يكون من شدة الحر والحر إنما يكون من الضحى وهو الإنكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما في المعنى وكذلك الجوع والعري متشابهان من حيث أن الجوع عري في الباطن من الغذاء والعري للجسم في الظاهر ( والثاني ) إن العرب تلفُّ الكلامين بعضهما ببعض اتكالاً على علم المخاطب وأنه يرد كل واحد منهما إلى ما يشاكله كما قال امرؤ القيس :

كَـأَنِّـيَ لَـمْ أرْكَـبْ جَـواداً لِـلَذَّةٍ ... وَلَمْ أتَبَـطَّنْ كـاعِبـاً ذاتَ خَلْخـالِ
وَلَمْ أسْبَـإ ٱلزِّقَ ٱلـرَّوِيَّ وَلَمْ أقُـلْ ... لخَيْلي كِـرّ كَـرَّةً بَعْـدَ إجْفـالِ[1]

وكان حقه أن يقول كما قال عبد يغوث :

كَـأَنِّيَ لَمْ أرْكَبْ جَـواداً وَلَمْ أَقُـلْ ... لِخَيْليَ كِـرِّي نَفِّسِي عَنْ رِجـالِيـا
وَلَمْ أَسْبَـإ الـزِّقَّ ٱلـرَّوِيّ وَلَمْ أقُـلْ ... لِأَيْسـارِ صِدْقٍ أظْهِـرُوا ضَـوْءَ نـارِيـا

وقد يؤوّل قول امرء القيس على الجواب الأول ﴿ **فوسوس إليه الشيطان** ﴾ قد تقدّم بيانه

(١) السبا : تجارة الخمر .

﴿ **قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد** ﴾ أي على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿ **وملك لا يبلى** ﴾ جديده ولا يفنى وهذا كقوله ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** ﴾ الآية﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ هذا مفسر في سورة الأعراف ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ معناه خالف آدم ما أمره ربه به فخاب من ثوابه والمعصية مخالفة الأمر سواء كان الأمر واجباً أو ندباً قال الشاعر « أمرتك أمراً جازماً فعصيتني » ولا يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب يقولون فلان أمرته بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وإن لم يكن ذلك واجباً ولا شبهة إن لفظة غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر .

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ ٱلنَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدِمْ عَلَى إلْغَيِّ لائِماً(١)

ويجوز أن يكون معناه فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود ﴿ **ثم إجتباه ربه** ﴾ أي إصطفاه الله تعالى واختاره للرسالة ﴿ **فتاب عليه وهدى** ﴾ أي قبل توبته وهداه إلى ذكره وقيل هداه للكلمات التي تلقاها منه ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً** ﴾ يعني آدم وحواء ﴿ **بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى** ﴾ قد فسّرنا جميعها في سورة البقرة ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ﴾ أي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قال ابن عباس ضمن الله سبحانه لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية ﴿ **ومن أعرض عن ذكري** ﴾ أي ومن أعرض عن القرآن وعن الدلائل التي أنزلها الله تعالى لعباده وصدف عنها ولم ينظر فيها ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ أي عيشاً ضيقاً عن مجاهد وقتادة والجبائي وهو أن يقتر الله عليه الرزق عقوبة له على إعراضه فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه وإن أنفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه وقيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري والسدي ورواه أبو هريرة مرفوعاً وقيل هو طعام الضريع والزقوم في جهنم لأن مآله إليها وإن كان في سعة من الدنيا عن الحسن وابن زيد وقيل معناه أن يكون عيشه منغصاً بأن ينفق أنفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس وقيل هو الحرام في الدنيا الذي يؤدّي إلى النار عن عكرمة والضحاك وقيل عيشاً ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها وإنما العيش الرغد في الجنة عن أبي مسلم ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ أي أعمى البصر عن ابن عباس وقيل

(١) قائله قعنب الفرازي ونسبه بعض إلى المرقش يريدان من ظفر بمطلوبه حمده الناس ومن لم يظفر عابوه مع أنه لم يكن مقصراً .

أعمى عن الحجة عن مجاهد يعني أنه لا حجة له يهتدي إليها والأول هو الوجه لأنه الظاهر ولا مانع منه ويدل عليه قوله ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ قال الفراء يقال أنه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره وقد روى معاوية بن عمار قال سألت أبا عبد الله (ع) عن رجل لم يحجّ وله مال قال هو ممن قال الله ونحشره يوم القيامة أعمى فقلت سبحان الله أعمى قال أعماه الله عن طريق الحق فهذا يطابق قول من قال إن المعنى في الآية أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ
ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي وأبو بكر ترضى بضم التاء والباقون بفتحها .

[ **الحجة** ] حجة من فتح التاء قوله ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ وحجة من ضم التاء أنه جاء في صفة بعض الأنبياء وكان عند ربه مرضياً وكان معنى تَرضى تَرضى لفعلك ما أمرت به من الأفعال التي يرضاها الله أو ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة وترضى بما يعطيكه الله من الدرجة العالية والرتبة المرضية .

[ **اللغة** ] آناء الليل ساعاته واحدها إنى قال السعيدي :

حُلْوٌ وَمُـرٌّ كَعَـطْفِ القِـدْحِ مِـرَّتُـهُ  بِكُـلِّ إنى ٍ قَضَـاهُ اللَّيْـلُ يَنْتَعِـلُ(١)

[ الاعراب ] أفلم يهد لهم فاعل يهد مضمر يفسّره كم أهلكنا والمعنى أفلم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون وموضع كم نصب بأهلكنا .

[ المعنى ]﴿**قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها**﴾هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لم حشرتني أعمى ومعناه كما حشرناك أعمى جاءك محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والدلائل فأعرضت عنها وتعرضت لنسيانها فإن النسيان ليس من فعل الإنسان فيتوعد عليه ﴿ **وكذلك اليوم تنسى** ﴾ أي تصير بمنزلة من ترك كالمنسي بعذاب لا يفنى وقيل معناه كما حشرتك أعمى لتكون فضيحة كنت أعمى القلب فتركت آياتي ولم تنظر فيها وكما تركت أوامرنا فجعلتها كالشيء المنسي تترك اليوم في العذاب كالشيء المنسي ﴿ **وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه** ﴾ أي وكما ذكرنا نجزي من أشرك وجاوز الحد في العصيان ولم يؤمن بآيات ربه أي لم يصدّق بحجج ربه وكتبه ورسله ﴿ **ولعذاب الآخرة أشد** ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ **وأبقى** ﴾ أي أدوم لأنه لا يزول وعذاب الدنيا وعذاب القبر يزول ﴿ **أفلمْ يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون** ﴾يعني كفار مكة والمعنى أفلم يبيّن لهم طريق الاعتبار كثرة إهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا ويؤمنوا وقوله﴿**يمشون في مساكنهم**﴾ يريد أهل مكة كانوا يتّجرون إلى الشام فيمرون بمساكن عاد وثمود ويرون علامات الإهلاك وفي هذا تنبيه لهم وتخويف أي أفلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بأولئك ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي في إهلاكنا إياهم ﴿ **لآيات** ﴾ أي لعبراً ودلالات ﴿ **لأولي النهى** ﴾ أي لذوي العقول الذين يتدبّرون في أحوالهم ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك** ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله ﴿ **لكان لزاماً وأجل مسمى** ﴾ أي لكان العذاب لزاماً لهم واقعاً في الحال واللزام مصدر وصف به قال قتادة الأجل المسمى قيام الساعة وقال غيره هو الأجل الذي كتبه الله للإنسان أنه يبقيه إليه وقيل إن عذاب اللزام كان يوم بدر قتل الله فيه رؤوس الكفار ولولا ما قدر الله تعالى من آجال الباقين ووعدهم من عذاب الآخرة لكان ذلك القتل الذي نالهم يوم بدر لازماً لهم أبداً في سائر الأزمان ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أذاهم بأن قال ﴿ **فاصبر على ما يقولون** ﴾ من تكذيبك واذاهم إياك ﴿ **وسبّح بحمد ربك** ﴾ أي صل لربك بالحمد له والثناء عليه وقيل معناه سبّحه واحمده في

(١) نسبه في اللسان والسيرة إلى المتنخل الهذلي . والقدح السهم والمرة : القوة والشدة . وانتعل الرجل : ركب صلاب الأرض وحرارها وهذا البيت من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة .

هذه الأوقات ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿ وقيل غروبها ﴾ يعني صلاة العصر ﴿ ومن آناء الليل ﴾ أي ساعاته قال ابن عباس هي صلاة الليل كله وقيل يريد أول الليل المغرب والعشاء الآخرة ﴿ فسبّح وأطراف النهار ﴾ يعني الظهر وسمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني وهذا قول قتادة والجبائي ومن حمل التسبيح على الظاهر قال أراد بذلك المداومة على التسبيح والتحميد في عموم الأوقات ﴿ لعلك ترضى ﴾ بالشفاعة والدرجة الرفيعة وقيل بجميع ما وعدك الله به من النصر وأعزاز الدين في الدنيا والشفاعة والجنة في الآخرة .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ
ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا
لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ
وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ
ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب وسهل زهرة بفتح الهاء والباقون بسكونها وقرأ أهل المدينة والبصرة وقتيبة وحفص أو لم تأتهم بالتاء والباقون بالياء .

[ اللغة ] زهرة الحياة الدنيا حسنها ويجوز فتح العين فيها والزهرة النور الذي يروق عند الرؤية ومنه يقال لكل شيء مستنير زاهر ومنه الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وآله

قتادة وقيل حطاماً عن ابن عباس ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾ تركه على حاله ويجوز أن يكون كبيرهم في الخلقة ويجوز أن يكون أكبرهم عندهم في التعظيم قالوا جعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الكبير علّق الفأس في عنقه وخرج ﴿ لعلهم إليه يرجعون ﴾ أي لعلهم يرجعون إلى إبراهيم فيسألونه عن حال الأصنام لينبّههم على جهلهم وقيل لعلّهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من إتخذوه إلّهاً وفي الكلام هاهنا حذف تقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسّرة ﴿ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴾ من هذه الموصولة تقديره الذي فعل هذا بآلهتنا فإنه ظالم لنفسه لأنه يقتل إذا علم به وقيل إنهم قالوا من فعل هذا إستفهموا عمن صنع ذلك وأنكروا عليه فعله بقولهم نه لمن الظالمين إذ فعل ما لم يكن له أن يفعله ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ أي قال الرجل الذي سمع من إبراهيم قوله ﴿ لأكيدنّ أصنامكم ﴾ للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء وقيل إنهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا ويقول إنها لا تضرُّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فهو الذي كسرها وعلى القول الأول فإنما قالوا سمعنا فتى وإن لم يسمعوه كما يقال سمعت الله يقول أو سمعت الرسول يقول إذا بلغك عنه رسالة على لسان ثقة صدوق وقوله يقال له إبراهيم إرتفع إبراهيم على وجهين ( أحدهما ) يقال له هو إبراهيم والمعروف به إبراهيم وعلى النداء أي يقال له يا إبراهيم عن الزجاج .

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ
شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

وقال جرير :

بَنُو الْمُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دابِرَهُمْ أَمْسَوْا رَماداً فَلا أصْلٌ وَلا طَرَفُ

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم من قصة موسى وهارون بقصة إبراهيم (ع ) فقال ﴿ **ولقد آتينا** ﴾ أي أعطينا ﴿ **إبراهيم رشده** ﴾ يعني الحجج التي توصله إلى الرشد من معرفة الله وتوحيده وقيل معناه هداه أي هديناه صغيراً عن قتادة ومجاهد وقيل هو النبوة ﴿ **من قبل** ﴾ أي من قبل موسى وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وقيل من قبل بلوغه ﴿ **وكنّا به عالمين** ﴾ أنه أهل لإيتاء الرشد وصالح للنبوة ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه** ﴾ حين رآهم يعبدون الأصنام ﴿ **ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ والعامل في إذ قوله ﴿ **آتينا** ﴾ أي آتينا رشده في ذلك الوقت والتمثال إسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل وقيل إنهم جعلوها أمثلة لعلمائهم الذين انقرضوا وقيل إنهم جعلوها أمثلة للأجسام العلوية والمعنى ما هذه الصور التي أنتم مقيمون على عبادتها وروى العياشي بإسناده عن الأصبغ بن نباته أن علياً (ع ) مرَّ بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لقد عصيتم الله ورسوله ﴿ **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين** ﴾ فاقتدينا بهم إعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجة لعبادتهم إياها سوى إتباع الآباء ﴿ **قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين** ﴾ أي في ذهاب عن الحق ظاهر ذمَّهم على تقليد الآباء ونسبهم في ذلك إلى الضلال ﴿ **قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين** ﴾ معناه أجادٌ أنت فيما تقول محقّ عند نفسك أم لاعب مازح وإنما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عبادة الأصنام عليهم إذ أَلَفوا ذلك واعتادوه ﴿ **قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن** ﴾ أي بل إلٓهكم إلٓه السماوات والأرض الذي خلقهنّ وابتدأهنَّ فدلَّ على الله سبحانه بصنعه ﴿ **وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾ومعنى هذه الشهادة تحقيق الأخبار والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة فإبراهيم (ع ) شاهد بالحق لأنه دالٌ عليه بما يرجع إلى ثقة المشاهدة ثم أقسم إبراهيم (ع ) فقال ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم** ﴾ أي لأدبرن في بابهم تدبيراً خفياً يسؤكم ذلك وقيل إنما قال ذلك في سرٍّ من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل منهم فأفشاه عن قتادة ومجاهد ﴿ **بعد أن تولّوا مدبرين** ﴾ أي بعد أن تنطلقوا ذاهبين قالوا كان لهم في كل سنة مجمع وعيد إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام وسجدوا لها فقالوا لإبراهيم (ع ) ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكي رجلي وانصرف ﴿ **فجعلهم جذاذاً** ﴾ أي فجعل أصنامهم قطعاً قطعاً عن

إليك الكتاب فكذلك قد أنزلنا على موسى وهارون الكتاب فكذَّبوهما واستهزؤوا بهما .

﴿ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ
رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ
مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾
قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي جِذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي السماك بفتح الجيم .

[ **الحجة** ] قال أبو حاتم فيه لغات جُذاذا وجِذاذا وأجودها الضم كالحطام والرفات من جذذت الشيء إذا قطعته قال النابغة :

تَجِــذُّ السَّلُوقِيَّ المُضـاعَفَ نَسْجُــهُ ‎ ‎ ‎ ‎ وَيُوْقِدْنَ بِـالصُّفاحِ نـارَ الْحُباحِبِ[1]

(١) السلوقي : الدرع المنسوبة إلى سلوق : قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . قاله في وصف السيوف . وفي اللسان « تقد السلوقي » .

بخلاف الواو والذين يخشون في محل جرّ لأنه صفة للمتقين ويجوز أن يكون في محل نصب أو رفع على المدح وبالغيب في محل النصب على الحال .

[ المعنى ] لمّا تقدَّم الأنذار بالعذاب ذكر عقيبه ﴿ **ولئن مستهم نفحة** ﴾ أي أصابهم طرف عن ابن عباس وقيل قليل عن ابن كيسان وقيل نصيب عن ابن جريج وقيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن أبي مسلم ﴿ **من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين** ﴾ أي يدعون بالويل والثبور عند نزوله ثم قال سبحانه ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾ أي نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيامة وقيل معناه نحضر الموازين التي لا جور فيها بل كلها عدل وقسط لأهل يوم القيامة أو في يوم القيامة وقال قتادة معناه نضع العدل في المجازاة بالحق لكل أحد على قدر إستحقاقه فلا يبخس المثاب بعض ما يستحقه ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه وقد سبق الكلام في الميزان في سورة الأعراف ﴿ **فلا تظلم نفس شيئاً** ﴾ أي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في إساءة مسيء ﴿**وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها**﴾ أي جئنا بها والمراد احضرناها للمجازاة بها ﴿ **وكفى بنا حاسبين** ﴾ أي عالمين حافظين وذلك إن من حسب شيئاً علمه وحفظه عن ابن عباس وقيل محصين والحسب العدّ عن السدي ﴿ **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان** ﴾ أي اعطيناهما التوراة يفرّق بين الحق والباطل عن مجاهد وقتادة وقيل البرهان الذي فرّق به بين حق موسى وباطل فرعون وقيل هو فلق البحر ﴿ **وضياء** ﴾ أي وآتيناهما ضياء وهو من صفة التوراة أيضاً مثل قوله ﴿ **فيها هدى ونور** ﴾ والمعنى أنهم استضاؤوا بها حتى اهتدوا في دينهم ﴿ **وذكراً للمتقين** ﴾ يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه ثم وصف المتقين فقال ﴿ **الذين يخشون ربهم بالغيب** ﴾ أي في حال الخلوة والغيبة عن الناس وقيل في سرائرهم من غير رياء ﴿ **وهم من الساعة** ﴾ أي من القيامة وأهوالها ﴿ **مشفقون** ﴾أي خائفون ﴿ **وهذا ذكر مبارك انزلناه** ﴾أراد به القرآن انه ذكر ثابت نافع دائم نفعه إلى يوم القيامة وقيل سمّاه مباركاً لوفور فوائده من المواعظ والزواجر والامثال الداعية إلى مكارم الأخلاق والأفعال لمّا وصف التوراة اتبعه ذكر القرآن الذي آتاه نبيّنا ﷺ ﴿ **أفأنتم له منكرون** ﴾استفهام على معنى التوبيخ أي فلماذا تنكرونه وتجحدونه مع كونه معجزاً .

[ النظم ] وجه اتصال قصة موسى وهارون بما قبلها أنه لمّا تقدَّم ذكر الوحي بيَّن عقيبه إن إنزال القرآن على نبيّه ليس ببدع فقد أنزل على موسى وهارون التوراة وقيل إتّصل بقوله ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك** ﴾ والمعنى أن هؤلاء كما أنهم استهزؤوا بك مع أنا أنزلنا

ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ
مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر ونافع مثقال حبة بالرفع وفي لقمان مثله والباقون بالنصب وقرأ آتينا بها بالمدّ ابن عباس وجعفر بـن محمد ومجاهد وسعيد بن جبير والعلاء بن سيابة والباقون أتينا بالقصر .

[ الحجة ] وجه النصب وإن كان الظلامة مثقال حبـة وهذا أحسن لتقـدّم قولـه ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ فإذا ذكر تظلم فكأنه ذكر الظلامة كقولهم من كذب كـان شراً لـه ووجه الرفع أنه أسند الفعل إلى مثقال كمـا أسند في قـوله ﴿ وإن كـان ذو عسرة ﴾ أي ذا عسـرة وكذلك قول الشاعر « إذا كان يوم ذو كواكب أشهبا » ومن قرأ آتينا فهو فـاعَلْنا فهـو من آتى يوآتي موآتاة عن ابن جني وروي عن الصادق ( ع ) أنه قال معناه جازينا بها وعلى هذا فيجوز أن يكون من أفْعَلنا ويكون مفعول آتينا محذوفاً وتقديره آتيناها بها للجزاء .

[ اللغة ] النفحة الوقعة اليسيرة تقع بهم يقال نَفَح يَنْفَح نَفْحا ونفـح الطيب ينفَـح فله نفحة طيبة ونفحت الدابة إذا رمت بحافرها فضربت به ونفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد وأما حديث شريح أنه أبطل النفح من نفح الدابة فالمعنى أنه كان لا يلزم صاحبها شيئاً والقسط العدل وهو مصدر يوصف به والتقدير ونضع الموازين ذوات القسط .

[ الإعراب ] شيئاً إنتصب على أنه مفعول ثان لتظلم ويجـوز أن يكون منصـوباً على المصدر أي لا تظلم نفس ظلماً ومن رفع مثقال حبة فإنَّ كان تكون تامة ومن نصب فإنَّ كان ناقصة واسمها الضمير المستكن فيها العائد إلى شيء وكفى بنا حاسبين قال الزجاج إنتصب قوله ﴿ حاسبين ﴾ على التمييز أو على الحال ودخلت الباء في بنا لأنه خبـر في معنى الأمر والمعنى إكتفوا بالله حسيباً وقد روي عن ابن عباس أنه قرأ ضياء بغير واو ويكون على هذا منصوباً على الحال من الفرقان ويجوز أن يكون مفعولاً له وبالواو يكون عطفاً على الفرقان وتكون الواو داخلة على ضياء وإن كان صفة في المعنى دون اللفظ كما تدخل على الصفة التي هي صفة لفظاً قال سيبويه إذا قلت مررت بزيد وصاحبك وزيد هو الصاحب جاز ولو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالـواو لأن الفاء يقتضي التعقيب وتـأخير الإسم عن المعطوف عليه

نفوسهم ﴿ **ولا هم منها يصحبون** ﴾ أي ولا الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار يقول العرب صحبك الله أي حفظك الله وأجارك وقيل يصحبون أي ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتادة ﴿ **بل متعنا هؤلاء وآباءهم** ﴾في الدنيا بنعمها فلم نعاجلهم بالعقوبة ﴿ **حتى طال عليهم العمر** ﴾ أي طالت أعمارهم فغرَّهم طول العمر وأسباب الدنيا حتى أتوا ما أتوا ﴿ **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ أي ألم يَرَ هؤلاء الكفار أن الأرض نأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها وبموت أهلها وقيل بموت العلماء وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع ) قال نقصانها ذهاب عالمها وقيل معناه ننقصها من أطرافها بظهور النبي على من قاتله أرضاً فأرضاً وقوماً فقوماً فيأخذهم قراهم وأرضيهم عن الحسن وقتادة ومعناه أنا ننقصها من جانب المشركين ونزيدها في جانب المسلمين ﴿ **أفهم الغالبون** ﴾ أي أفهؤلاء الغالبون أم نحن ومعناه ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله الغالب وقد تقدَّم تفسير هذه الآية في سورة الرعد ﴿ **قل إنما أنذركم بالوحي** ﴾ أي قل يا محمد إنما أنذركم من عذاب الله وأخوّفكم بما أوحى الله إليَّ ﴿ **ولا يسمع الصم الدعاء** ﴾ شبَّههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا لأنهم لم ينتفعوا بالسمع والمعنى أنهم يستثقلون القرآن وسماعه وذكر الحق فهم في ذلك بمنزلة الأصم الذي لا يسمع ﴿ **إذا ما ينذرون** ﴾ أي يخوفون النظم إنما إتصل قوله أم لهم آلهة بقوله ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ وتقديره أفهم الخالدون أم لهم آلهة تمنع نفوسهم من الموت ومما ينزل الله بهم عن أبي مسلم وقيل إتصل بقوله ﴿ **من يكلؤكم** ﴾ أي أم لهم آلهة تكلؤهم وتمنعهم ووجه إتصال قوله ﴿ **قل إنما أنذركم بالوحي** ﴾ بما قبله إنه إتصل بقوله ﴿ **قل من يكلؤكم** ﴾ وتقديره لو تفكروا لعلموا أنه لا عاصم من الله وإنّ فيما أنذركم به من القرآن أعظم الآيات والحجج وقيل إنه اتصل بما تقدم من العظة بحال من مضى من الأمم والمعنى أن ذلك وجميع ما يعظمهم به من الوحي .

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب والباقون ولا يسمع بفتح الياء الصم بالرفع .

[ **الحجة** ] الوجه في قراءة ابن عامر أنه وجَّه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه قال ولا تسمع أنت يا محمد الصم كما قال وما أنت بمسمع من في القبور لأن الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم إليه صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل ووجه قراءة الباقين أنه جعل الفعل لهم ويقوّيه قوله ﴿ **إذا ما ينذرون** ﴾ .

[ **اللغة** ] الكلاءة الحفظ قال ابن هرمة :

إنَّ سُلَيْمى وَاللهُ يَكْلَؤُها ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُها(١)

والفرق بين السخرية والهزء إن في السخرية معنى طلب الذلة لأن التسخير التذليل فأما الهزء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول.

[ **الإعراب** ] أم لهم آلهة أم هذه هي المنقطعة وتقديره بل لهم آلهة ولا يستطيعون جملة مستأنفة لأنها لا تستقيم أن تكون صفة لآلهة ولا حالاً عنها لأن الله وصفها بقوله ﴿ **تمنعهم من دوننا** ﴾ على زعمهم ولا يستطيعون ضدُّ هذه الصفة .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر إستهزاء الكفار بالنبي والمؤمنين سلّى الله سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك بقوله ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك** ﴾ كما استهزأ هؤلاء ﴿ **فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون** ﴾ أي حلَّ بهم وبال إستهزائهم وسخريتهم وقوله ﴿ **منهم** ﴾ يعني من الرسل ﴿**قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن** ﴾ أي يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه وقيل من عوارض الآفات وهو إستفهام معناه النفي تقديره لا حافظ لكم من الرحمن ﴿ **بل هم عن ذكر ربهم معرضون** ﴾ أي بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا يؤمنون به ولا يتفكرون فيه وقيل معناه إنهم لا يلتفتون إلى شيء من المواعظ والحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم والتقريع ﴿ **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا** ﴾ تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا وعقوباتنا وتمَّ الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿ **لا يستطيعون نصر أنفسهم** ﴾ فكيف ينصرونهم وقيل معناه إن الكفار لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا يقدرون على دفع ما ينزل بهم عن

(١) رزئه : نقصه .

الإنسان من طين ( ورابعها ) ان معناه خلق الإنسان من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون عن أبي الحسن الأخفش **﴿سأريكم آياتي﴾** الدالة على وحدانيتي وعلى صدق محمد ﷺ فيما يوعدكم به من العذاب **﴿فلا تستعجلون﴾** في حلول العذاب بكم فإنه سيدرككم عن قريب قال ابن عباس في رواية عطاء يريد به النضر ابن الحرث وهو الذي قال **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر﴾** الآية ويريد بقوله **﴿سأريكم آياتي﴾** القتل يوم بدر **﴿ويقولون﴾** يعني ويقول المشركون للمسلمين **﴿متى هذا الوعد﴾** الذي تعدوننا يريدون وعد القيامة **﴿إن كنتم صادقين﴾** أي ويقولون ان كنتم صادقين في هذا الوعد فمتى يكون ذلك ثم قال سبحانه **﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النار﴾** أي لو علموا الوقت الذي لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم **﴿ولا عن ظهورهم﴾** يعني ان النار تحيط بهم من جميع جوانبهم **﴿ولا هم ينصرون﴾** وجواب لو محذوف وتقديره لعلموا صدق ما وعدوا به ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد ثم قال **﴿بل تأتيهم﴾** الساعة **﴿بغتة﴾** أي فجأة **﴿فتبهتهم﴾** أي فتحيّرهم **﴿فلا يستطيعون ردّها﴾** أي فلا يقدرون على دفعها **﴿ولا هم ينظرون﴾** أي لا يؤخرون إلى وقت آخر ولا يمهلون لتوبة أو معذرة .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾
قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ
نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم
بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

وقوله حين لا يكفُّون يجوز أن يكون مفعولاً به ليعلم ويجوز أن يكون ظرفاً له فيكون مفعول يعلم محذوفاً تقديره لو يعلمون الأمر حين لا يكفون وجواب لو محذوف وتقديره لانتهوا بغتة نصب على الحال من المفعول تقديره بل تأتيهم مبغوتين مفاجئين ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل وهو الضمير المستكن في تأتي والتقدير بل تأتيهم باغتة مفاجئة .

[ المعنى ] ثم خاطب نبيّه ﷺ وقال ﴿وإذا رآك﴾ أي إذا رآك يا محمد ﴿الذين كفروا﴾ وأنت تعيب آلهتهم وتدعوهم إلى التوحيد ﴿إن يتخذونك﴾ أي ما يتخذونك ﴿إلا هزواً﴾ أي سخرية يقول بعضهم لبعض ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي يعيب آلهتكم وذلك قوله إنها جماد لا ينفع ولا يضرّ ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ أي بتوحيده وقيل بكتابه المنزل ﴿هم كافرون﴾ أي جاحدون عجب الله سبحانه نبيّه ﷺ منهم حيث جحدوا الحي المنعم القادر العالم الخالق الرازق واتخذوا ما لا ينفع ولا يضرّ ثم ان من دعاهم الى تركها اتخذوه وهم أحق بالهزؤ عند من يدَّبر حالهم ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ قيل فيه قولان ( أحدهما ) ان المعني بالإنسان آدم ثم انه قيل في عجل ثلاث تأويلات منها أنه خلق بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة وهو آخر أيام السنة على سرعة معاجلاً به غروب الشمس عن مجاهد ومنها ان معناه في سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما أنشأه انشاء فكأنه سبحانه نبّه بذلك على الآية العجيبة في خلقه ومنها ان آدم ( ع ) لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنة وقيل همَّ بالوثوب فهذا معنى قوله من عجل عن ابن عباس والسدي وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) والقول الثاني ان المعني بالإنسان الناس كلهم ثم اختلف في معناه على وجوه ( أحدها ) ان معناه خلق الإنسان عجولاً اي خلق على حب العجلة في أمره عن قتادة وأبي مسلم والجبائي قال يعني أنه يستعجل في كل شيء يشتهيه وللعرب عادة في استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغة يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق إلا من نوم وبكثرة وقوع الشر منه ما خلق إلا من شر ومنه قول الخنساء في وصف البقرة « فإنما هي إقبال وادبار » ( وثانيها ) انه من المقلوب والمعنى خلقت العجلة من الإنسان عن أبي عبيدة وقطرب وهذا ضعيف لأنه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج إلى تأويل فلا فائدة في القلب ( وثالثها ) ان العجل هو الطين عن أبي عبيدة وجماعة واستشهدوا بقول الشاعر

وَالنَّبعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ تَنْبُتُ بَيْنَ الْماءِ وَالْعَجَلِ

ورواه ثعلب « والنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّماء مَنْبُتُهُ» فعلى هذا يكون كقوله وبدأ خلق

[ النظم ] يتصل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بما ذكر سبحانه من خلق الأشياء فإنه بيّن انه لم يخلقها للخلود وإنما خلقها ليتوصل بها الى نعيم الآخرة فلا بدّ لكل انسان من الموت والرجوع الى الجزاء عن القاضي .

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

[ اللغة ] الهزؤ اظهار خلاف الابطان لايهام النقص عن فهم القصد يقال هزأ منه يهزأ هزؤاً فهو هازىء ومثله السخرية ويقول العرب ذكرت فلاناً أي عبته قال عنترة

لا تَـذْكُـرِي مُـهْـرِي وَمَـا أَطْعَـمْـتُـهُ      فَيَكُـونَ جِلْدُكِ مِثْـلَ جِلْدِ الأَجْـرَبِ[1]

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته وهو مذموم والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته وهو محمود والاستعجال طلب الشيء قبل وقته الذي حقّه ان يكون فيه دون غيره .

[ الإعراب ] وإذا رآك العامل في إذا اتخذوا وهو معنى قوله **﴿إن يتخذونك إلا هزواً﴾** لأن معناه اتخذوك هزواً وقوله **﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾** تقديره قائلين أهـذا الذي يـذكر آلهتكم فحذف قائلين وهو في موضع الحال كما حذف ذلك من قوله **﴿والذين اتخـذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾** أي قائلين ما نعبدهم والباء في قوله بذكر الرحمن يتعلق بقوله كافرون

(١) المهر: ولد الفرس .

وتميل وتضطرب بهم وقيل لتستقر عن قتادة ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الرواسي ﴿فجاجاً﴾ أي طرقاً واسعة بينها لولا ذلك لما امكن ان يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار ثم بيَّن الفجاج فقال ﴿سبلاً لعلهم يهتدون﴾ بها إلى طريق بلادهم ومواطنهم وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ أي رفعنا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظاً من الشياطين بالشهب التي ترمي بها كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم عن الجبائي وقيل محفوظاً من ان تسقط كما قال ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا الآية وقيل محفوظاً من ان يطمع احد في ان يتعرض لها بنقض أو أن يحلقها بلى أو هدم على طول الدهر عن الحسن ﴿وهم عن آياتها﴾ أي عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث والحاجة إلى المحدث ﴿معرضون﴾ أي أعرضوا عن التفكر فيها ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ أي يجرون وقيل يدورون وأراد الشمس والقمر والنجوم لأن قوله الليل يدلّ على النجوم وقال ابن عباس يسبحون بالخير والشر بالشدة والرخاء وقيل معناه انه سبحانه جعل لكل واحد منهما فلكاً يدور فيه بسرعة كالسباحة وانما قال يسبحون لأنه أضاف اليها فعل العقلاء كما قال والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال النابغة الجعدي

تَمَــزَّزْتُهــا وَالــدِّيكُ يَــدْعُـو صِيـاحَــهُ    إِذَا مَــا بَنُــو نَعْشٍ دَنَــوْا فَتَصَــوَّبُـوا(١)

ثم قال سبحانه ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك﴾ يا محمد ﴿الخلد﴾ أي دوام البقاء في الدنيا ﴿أفإن مت﴾ أنت على ما يتوقعونه وينتظرونه ﴿فهم الخالدون﴾ أي أفهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال لئن متّ فإنهم أيضاً يموتون فأيُّ فائدة لهم في تمني موتك ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي لا بدّ لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت وتخرج عن كونها حية ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى وبالضراء والسراء وبالشدة والرخاء عن ابن عباس وقيل بما تكرهون وما تحبّون ليظهر صبركم على ما تكرهون وشكركم فيما تحبُّون عن ابن زيد وروي عن أبي عبد الله (ع) أن أمير المؤمنين (ع) مرض فعاده أخوانه فقالوا كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال بشرّ قالوا ما هذا كلام مثلك قال إن الله تعالى يقول ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ فتنة فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر وقال بعض الزهاد الشر غلبة الهوى على النفس والخير العصمة عن المعاصي ﴿فتنة﴾ أي ابتلاء واختبار أو شدة تعبد ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي إلى حكمنا تردّون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها .

(١) التمزز: شرب الشراب قليلا قليلا. وتصوب ضد تصعد .

التوحيد عطف عليه بيان العدل وقيل انه يتصل بقوله اقترب للناس حسابهم والحساب هو السؤال عما أنعم الله عليهم به وهل قابلوا نعمه بالشكر أم قابلوها بالكفر عن أبي مسلم ووجه اتصال قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بما قبله أن ما قدّمنا ذكره من التوحيد والعدل مذكور في القرآن وفي الكتب السالفة .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[ **اللغة** ] الرواسي الجبال رَسَت ترسُو رَسْواً إذا ثبتت بثقلها فهي راسية كما ترسو السفينة إذا وقفت متمكنة في وقوفها والميد الاضطراب بالذهاب في الجهات والفج الطريق الواسع بين الجبلين والفلك اصله كل شيء دائر ومنه فلكة المغزل ويقال فلك ثدي المرأة تفليكاً إذا استدار والسباحة والعوم والسبح والجري بمعنى .

[ **الإعراب** ] أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة أن تميد بكم أو حذار ان تميد ومن قال أن لا هنا مضمرة والتقدير لأن لا تميد فلا وجه لقوله وسبلا بدل من فجاج لأن الفج هو السبيل كل في فلك يسبحون جملة اسمية في موضع الحال وفي يتعلق بيسبحون أفإن مت فهم الخالدون شرط وجزاء دخلت الفاء في الشرط وفي الجزاء وقوله فتنة مفعول له والمعنى للفتنة ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال اي نبلوكم فاتنين ويجوز ان يكون منصوباً على المصدر لأن البلاء بمعنى الفتنة .

[ **المعنى** ] ثم بيّن سبحانه كمال قدرته وشمول نعمته بأن قال **﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾** أي جبالاً ثوابت تمنع الأرض من الحركة والاضطراب **﴿ان تميد بهم﴾** أي تتحرك

ارتضى﴾ الله دينه وقال مجاهد إلا لمن رضي الله عنه وقيل انهم أهل شهادة أن لا إلٰه إلا الله عن ابن عباس وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب وحقيقته انهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله ان يشفع فيه فيكون في معنى قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴿وهم من خشيته﴾ أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول ﴿مشفقون﴾ خائفون وجلون من التقصير في عبادته ﴿ومن يقل منهم إني إلٰه من دونه﴾ أي من يقل من هؤلاء الملائكة إني إلٰه تحق لي العبادة من دون الله ﴿فذلك﴾ أي فذلك القائل ﴿نجزيه جهنم﴾ يعني إن حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد وقيل انه عنى به إبليس لأنه الذي دعا الناس إلى عبادته عن ابن جريج وقتادة وقيل إن هذا لا يصحّ لأن الله سبحانه علّق الوعيد بالشرط ولأن إبليس ليس من الملائكة عند الأكثرين ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ يعني المشركين الذين يصفون الله بما لا يليق به وفي هذه الآية دلالة على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم وانهم مكلفون ﴿أو لم ير الذين كفروا﴾ استفهام يراد به التقريع والمعنى أولم يعلموا أنه سبحانه الذي يفعل هذه الأشياء ولا يقدر عليها غيره فهو الإلٰه المستحق للعبادة دون غيره ﴿ان السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ تقديره كانتا ذواتي رتق فجعلناهما ذواتي فتق والمعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس والحسن والضحاك وعطاء وقتادة وقيل كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين عن مجاهد والسدي وقيل كانت السماء رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات عن عكرمة وعطية وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء حي وقيل وخلقنا من النطفة كل مخلوق حي عن أبي العالية والأول اصح وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علوان قال سئل أبو عبد الله ( ع ) عن طعم الماء فقال له سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً طعم الماء طعم الحياة قال الله سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل معناه وجعلنا من الماء حياة كل ذي روح ونماء كل نام فيدخل فيه الحيوان والنبات والاشجار عن أبي مسلم ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي أفلا يصدّقون بالقرآن وبما يشاهدون من الدليل والبرهان .

[ **النظم** ] وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه قال فاسألوا أهل الذكر هل أرسلنا قبلك إلا رجالاً وهل اتخذوا آلهة من الأرض أي من الحجر والمدر والخشب فإن كله من الأرض عن أبي مسلم وقيل إنه يتصل بقوله لو أردنا ان نتخذ لهواً والمعنى أنهم أضافوا إليه الولد وأضافوا إليه الشريك ووجه اتصال قوله لا يسأل عما يفعل بما قبله انه لما بيّن

عن فعله وهو يسألهم ويجازيهم فلو كانوا آلهة لم يسألوا عن أفعالهم **﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾** وهذا استفهام انكار وتوبيخ أيضاً **﴿قل هاتوا برهانكم﴾** أي قل لهم يا محمد هاتوا حجتكم على صحة ما فعلتموه لأنهم لا يقدرون على ذلك أبداً وفي هذا دلالة على فساد التقليد لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم والبرهان هو الدليل المؤدّي الى العلم **﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾** أي وقل لهم يا محمد هذا القرآن ذكر من معي بما يلزمهم من الأحكام وذكر من قبلي من الأمم ممن نجا بالإيمان أو هلك بالكفر عن قتادة وقيل هذا ذكر من معي بالحق في اخلاص الآلهية والتوحيد في القرآن وعلى هذا ذكر من قبلي في التوراة والانجيل عن الجبائي. قال لأن القرآن ذكر أتاه الله ومن معه والتوراة والانجيل ذكر تلك الأمم وقال أبو عبد الله (ع) يعني بذكر من معي من معه وما هو كائن وبذكر من قبلي ما قد كان وقيل ان معناه في القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر ما أنزل الله من الكتب قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب ان الله أمر باتخاذ إلّه سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به وقال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أتى أمته بأن لهم إلّهاً غير الله فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله ويدل على صحة هذا قوله فيما بعد **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلّه إلا أنا فاعبدون﴾** فلمّا توجّهت الحجة عليهم ذمّهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال **﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾** عن التأمل والتفكر واختصَّ الاكثر منهم لأن فيهم من آمن **﴿وما أرسلنا من قبلك﴾** يا محمد **﴿من رسول﴾** أي رسولاً ومن مزيدة **﴿إلا نوحي اليه﴾** نحن أو يوحى اليه أي يوحي الله اليه **﴿بأنه لا إلّه﴾** أي لا معبود على الحقيقة **﴿إلا أنا فاعبدون﴾** أي فوجهوا العبادة إليَّ دون غيري **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾** يعني من الملائكة **﴿سبحانه﴾** نزَّه نفسه عن ذلك لأن اتخاذ الولد لا يخلو أما أن يكون على سبيل التوالد وعلى سبيل التبني وكلاهما لا يجوز عليه لأن الأول يقتضي ان يكون من قبيل الاجسام والثاني وهو التبني يكون بأن يقيم غير ولده مقام ولده وإذا كان حقيقة الولد مستحيلاً منه فالمشبه به كذلك وليس ذلك كالخلة لأنه من الاختصاص وحقيقته جائزة عليه **﴿بل عباد مكرمون﴾** أي ليسوا اولاد الله كما يزعمون بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله واصطفاهم **﴿لا يسبقونه بالقول﴾** أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم فكل أقوالهم طاعة لربهم وناهيك بذلك جلالة قدرهم **﴿وهم بأمره يعملون﴾** ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾** أي ما قدموا من أعمالهم وما أخّروا منها يعني ما عملوا وما هم عاملون **﴿ولا يشفعون إلا لمن**

[ الإعراب ] ام اتخذوا ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام في مثل قولك ازيد عندك أم عمرو وقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلا هذه صفة لآلهة وتقديره غير الله عما يفعل ما هذه الأجود أن تكون مصدرية ويحتمل أن تكون اسماً .

[ المعنى ] ثم عاد سبحانه إلى توبيخ المشركين فقال ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة من الأرض ﴿هم ينشِرون﴾ أي يحيون الأموات عن مجاهد يقال أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا وهو من النشر بعد الطي لأن المحيا كأنه كان مطوياً بالقبض عن الإدراك فانشر بالحياة والمعنى في ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الاحياء الذي من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التي يستحق بها العبادة فكيف يستحقون العبادة قال الزجاج ومن قرأ يَنشرون بفتح الياء فمعناه لا يموتون أبداً ويبقون احياء أي لا يكون ذلك وأقول قد يجوز أن يكون يَنشرون ويُنشرون بمعنى يقال نشر الله الميت بمعنى أنشر ثم ذكر سبحانه الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إلّه سواه فقال ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ ومعناه لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم وهذا هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلمون مسألة التوحيد وتقرير ذلك أنه لو كان مع الله سبحانه إلّه آخر لكانا قديمين والقدم من اخص الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين ومن حق كل قادرين أن يصح كون احدهما مريداً لضد ما يريده الآخر من اماتة واحياء او تحريك وتسكين او افقار وإغناء ونحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك محال واما أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين واما ان يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادراً فإذا لا يجوز أن يكون الإلّه إلا واحداً ولو قيل إنهما لا يتمانعان لأن ما يريده أحدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه والجواب ان كلامنا في صحة التمانع لا في وقوع التمانع وصحة التمانع يكفي في الدلالة لأنه يدل على انه لا بدّ من أن يكون احدهما متناهي المقدور فلا يجوز أن يكون إلّهاً ثم نزّه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إلّه فقال ﴿سبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ وإنما خصَّ العرش لأنه اعظم المخلوقات ومن قدر على اعظم المخلوقات كان قادراً على ما دونه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ معناه ان جميع افعاله حكمة وصواب ولا يقال للحكيم لم فعلت الصواب وهم يسألون لأنهم يفعلون الحق والباطل وقيل معناه أنه لا يسأل عن ادعاء الربوبية وهم مسؤولون إذا ادّعوها ويدل على هذا التأويل النظم والسياق وقيل معناه لا يحاسب على أفعاله وهم يحاسبون على أفعالهم وقيل معناه أنه لا يسأله الملائكة والمسيح

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۖ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۖ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ
إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر الا نوحي بالنون والباقون يوحي وقرأ ابن كثير ألم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون أولم يروا بالواو وفي الشواذ قراءة الحسن وابن محيصن الحق بالرفع فهم معرضون وقراءة الحسن أيضاً وعيسى الثقفي رتقاً بفتح التاء .

[ **الحجة** ] وجه النون انه أشبه بما تقدّم من قوله وما أرسلنا والياء في المعنى كالنون والوجه في قراءة الحسن الحق بالرفع الاستئناف فإن الوقف في هذه القراءة على قوله لا يعلمون والتقدير هذا الحق أو هو الحق فيحذف المبتدأ ويوقف على الحق ثم يستأنف فيقال فهم معرضون لأن أكثرهم لا يعلمون والوجه في قوله رتقاً بفتح التاء أنه قد كثر مجيء المصدر على فعل واسم المفعول منه على فعل مفتوح العين وذلك كالنفض والنفض والطرد والطرد فالرتق على هذا يكون للشيء المرتوق كما أن النفض المنفوض والهدم المهدوم فقراءة الجماعة رتقاً بسكون التاء كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد والخلق بمعنى المخلوق .

بحيث لا يصل عمله إليكم عن الجبائي ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل** ﴾ معناه بل نورد الأدلة القاهرة على الباطل وقيل نرمي بالحجة على الشبهة وقيل بالإيمان على الكفر ﴿ **فيدمغه** ﴾ أي يعلوه ويبطله وقيل يهلكه ﴿ **فإذا هو زاهق** ﴾ أي هالك مضمحل عن قتادة وتأويله أن الله سبحانه يظهر الحق بأدلته ويبطل الباطل فكيف يفعل الباطل واللعب ﴿ **ولكم الويل مما تصفون** ﴾ أي الهلاك لكم يا معشر الكفار مما تصفون الله تعالى به من إتخاذ الصاحبة والولد ﴿ **وله من في السماوات والأرض** ﴾ ملكاً وملكاً وخلقاً وهذا ردٌّ أيضاً على من أثبت له الولد والشريك أي وكيف يجوز عليه إتخاذ الشريك والولد ﴿ **ومن عنده** ﴾ يعني الملائكة الذين لهم عند الله تعالى المنزلة كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند وإن كانوا متفرقين في الأماكن ولا يراد بذلك قرب المسافة ﴿ **لا يستكبرون عن عبادته** ﴾ أي لا يأنفون ولا يترفعون عن عبادته وأراد بذلك نفس النبوءة عنهم لأن أحداً لا يستعبد ابنه ﴿ **ولا يستحسرون** ﴾ أي لا يعيبون عن قتادة والسدي وقيل لا يملون عن ابن زيد وقيل لا ينقطعون مأخوذ من البعير الحسير المنقطع بالأعياء ﴿ **يسبّحون** ﴾ أي ينزهون الله تعالى عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدوام ﴿ **الليل والنهار** ﴾ أي في الليل والنهار ﴿ **لا يفترون** ﴾ أي لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس في السهولة .

[ **النظم** ] إتصل قوله ﴿ **وله من في السماوات والأرض** ﴾ بما تقدَّم من ذكر هلاك الكفار فبيَّن سبحانه أنه لم يهلكهم إلا بالإستحقاق لأنه سبحانه تعالى خلقهم للعبادة فلما كفروا جازاهم بكفرهم ولولا ذلك لكان خلق السماوات والأرض وما بينهما لعباً لأن خلقهما إنما هو لأجل المكلفين وخلق المكلف إنما هو لتعريض الثواب ووجه اتصال قوله ﴿ **من عنده لا يستكبرون عن عبادته** ﴾ بما قبله أن هؤلاء الذين وصفتموهم بأنهم بنات الله هم عبيد الله على أتمّ وجوه العبودية وذلك يبطل معنى الولادة لأن الولادة لا تكون إلا مع المجانسة .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ
يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ
يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ

مساكنكم وقال ابن قتيبة معناه إلى نعمكم التي اترفتكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم والمعنى أن الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم ﴿ **لعلكم تسألون** ﴾ شيئاً من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم هذا قول قتادة وقيل لعلكم تسألون أي يسألكم رسولكم أن تؤمنوا كما سئل قبل نزول العذاب بكم وهذا استهزاء بهم أيضاً أي لا سبيل إلى هذا فتدبروا الأمر قبل حلوله وقيل لكي تسألوا عن **أعمالكم وعن تنعمكم في الدنيا بغير الحق وعما استحققتم به العذاب عن الجبائي وأبي مسلم** ﴿**قالوا**﴾ على سبيل التندم لما رأوا العذاب ﴿ **يا ويلنا إنا كنا ظالمين** ﴾ لأنفسنا حيث كذّبنا رسل ربنا والمعنى انهم إعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب والويل الوقوع في الهلكة ﴿**فما زالت تلك دعواهم** ﴾ أي لم يزالوا يقولون ياويلنا وتلك دعواهم ﴿**حتى جعلناهم حصيدا** ﴾ أي محصوداً مقطوعاً ﴿ **خامدين** ﴾ ساكني الحركات ميتين كما تخمد النار إذا انطفأت والمعنى استأصلناهم بالعذاب وأهلكناهم عن الحسن وقيل بالسيف وهو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد وقيل نزلت في قرية باليمن قتلوا نبياً لهم يقال له حنظلة فسلَّط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم ونكأ فيهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردّوهم إلى مساكنهم فقتل صغارهم وكبارهم حتى لم يبق لهم إسم ولا رسم ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين** ﴾ بل خلقناهما لغرض صحيح وهو أن يكون دلالة ونعمة وتعريضاً للثواب ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا** ﴾ اللهو المرأة عن الحسن ومجاهد وقيل هو الولد عن ابن عباس وقيل معناه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة والمعنى لو اتخذنا نساء أو ولداً لاتخذناه من أهل السماء ولم نتخذه من أهل الأرض يريد لو كان ذلك جائزاً عليه لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويسر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وقد أحسن ابن قتيبة في شرح اللهو هنا فقال التفسيران في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهوه وولده لهوه ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس :

أَلا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي كَبُرْتُ وَأَنْ لا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي

وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح وأمه ما قالت قال الله عز وجل ﴿ **لو أردنا أن نتخذ** ﴾ صاحبة وولداً كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا ولم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿ **إن كنا فاعلين** ﴾ أي ما كنا فاعلين عن قتادة ومجاهد وابن جريج وقيل معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾

[ اللغة ] القصم الكسر يقال قصمه يقصمه وهو قاصم الجبابرة والإنشاء الإيجاد ونظيره الإختراع والإبداع والركض العدو بشدة الوطىء وركض دابته ضربها برجله حتى تعدو وارتكاض الصبي اضطرابه في الرحم والترفة النعمة والمترفه المتنعم والزاهق من الأضداد يقال للهالك زاهق وللسمين من الدواب زاهق وزهقت نفسه تزهق زهوقاً أي تلفت والدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ يقال دمغه بدمغة إذا أصاب دماغه ومنه في صفة النبي ﷺ الدامغ جيشات الاباطيل والاستحسار الانقطاع من الاعياء يقال بعير حسير أي معي وأصله من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى انه كشف قوته باعياء وجمال حسري قال علقمة بن عبدة :

بِها جيَفُ الْحَسْرِيٰ فَأَمّا عِظامُها فَبِيضٌ وَأَمّا جِلْدُهٰا فَصَلِيب

[ الإعراب ] كم في موضع نصب بأنه مفعول قصمنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز ويجوز أن يكون صفة لكم والتقدير كثيرا من القرى قصمنا . إذا ظرف مكان العامل فيه يركضون وتلك في موضع رفع إسم زالت ودعواهم في موضع نصب خبر زالت وجائز أن يكون دعواهم إسماً وتلك خبراً . إن كنا فاعلين أي ما كنا فاعلين ويجوز أن تكون أن للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله إتخذناه من لدنا ومن عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ويجوز أن يكون ومن عنده معطوفاً على من في السماوات فيكون لا يستكبرون في موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين وكذا لا يستحسرون ويسبحون ولا يفترون كلها أحوال على هذا .

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال ﴿ وكم قصمنا ﴾ أي أهلكنا ﴿ من قرية ﴾ عن مجاهد والسدي وقيل عذَّبنا عن الكلبي ﴿ كانت ظالمة ﴾ أي كافرة يعني أهلها ﴿وأنشأنا﴾أي أوجدنا﴿بعدها﴾ أي بعد اهلاك أهلها﴿قوماً آخرين فلما أحسُّوا﴾ أي فلما أدركوا بحواسهم ﴿بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿إذا هم منها يركضون﴾ معناه إذا هم من القرية أو من العقوبة يهربون سراعاً هرب المنهزم من عدوّه ﴿ لا تركضوا ﴾ أي يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً لا تهربوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم﴾ أي وارجعوا إلى ما نعمتم فيه وإلى مساكنكم التي كفرتم وظلمتم فيها وقيل إنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء لا تركضوا وارجعوا إلى ما خولتم ونعمتم فيه وارجعوا إلى

**صدقناهم الوعد** ﴾ أي صدقناهم الوعد بأن العاقبة الحميدة تكون لهم ومعناه أنجزنا ما وعدناهم به من النصر والنجاة والظهور على الأعداء وما وعدناهم به من الثواب ﴿ **فأنجيناهم ومن نشاء** ﴾ أي فأنجيناهم من أعدائهم وأنجينا معهم من نشاء من المؤمنين بهم ﴿ **وأهلكنا المسرفين** ﴾ على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء قال قتادة المسرفين هم المشركون وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر نعمته عليهم بإنزال القرآن فقال ﴿ **لقد أنزلنا إليكم** ﴾ يا معشر قريش ﴿ **كتاباً فيه ذكركم** ﴾ أي فيه شرفكم إن تمسكتم به كقوله ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ وقيل هو خطاب للعرب لأنه أنزل القرآن بلغتهم وقيل هو خطاب لجميع المؤمنين لأن فيه شرفاً للمؤمنين كلهم وقيل إن معناه فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ودنياكم عن الحسن وقيل فيه ذكر مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال لتتمسكوا بها ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ ما فضلتم به على غيركم وقيل معناه أفلا تتدبرون فتعلمون أن الأمر على ما قلناه .

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ
كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّواْ
بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ (١٣) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا
خَٰمِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦)
لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧)
بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ
ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ
عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ

إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ نوحي بالنون حفص عن عاصم والباقون يوحى وقد تقدَّم ذكره في سورة يوسف ( ع ).

[ الإعراب ] أهلكناها في موضع الجر لأنه صفة قرية حسداً واحداً بمعنى الجمع أي وما جعلناهم أجساداً بمعنى ذوي أجساد ولذلك قال لا يأكلون وتقديره غير آكلين الطعام ومن نشاء في موضع نصب عطفاً على هم من قوله ﴿ **فأنجيناهم** ﴾ .

[ المعنى ] لمّا تقدّمت الحكاية عن الكفار بأنهم إقترحوا الآيات قال سبحانه مجيباً لهم ﴿ **ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها** ﴾ أي لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قرية جاءتهم الآيات التي طلبوها فأهلكناهم مصرين على الكفر ﴿ **أفهم يؤمنون** ﴾ عند مجيئها هذا إخبار عن حالهم وإن سبيلهم سبيل من تقدَّم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها وأهلكوا فهؤلاء أيضاً لو أتاهم ما إقترحوه لم يؤمنوا ولاستحقوا عذاب الاستئصال وقد حكم سبحانه في هذه الآية أن لا يعذبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم في ذلك وقيل ما حكم الله سبحانه بهلاك قرية إلا وفي المعلوم أنهم لا يؤمنون فلذلك لم يأت هؤلاء بالآيات المقترحة ﴿ **وما أرسلنا قبلك** ﴾ يا محمد ﴿ **إلا رجالاً** ﴾ هذا جواب لقولهم وما هذا إلا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل قبلك يا محمد إلا رجالاً من بني آدم﴿**نوحي إليهم**﴾ لا ملائكة لأن الشكل إلى الشكل أميل وبه آنس وعنه أفهم ومن الأنفة منه أبعد ﴿ **فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ إختلف في المعنى بأهل الذكر على أقوال فروي عن علي ( ع ) أنه قال نحن أهل الذكر وروي ذلك عن أبي جعفر ( ع ) ويعضده أن الله تعالى سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكراً رسولاً في قوله ﴿ **ذكراً رسولاً** ﴾ وقيل أهل الذكر أهل التوراة والإنجيل عن الحسن وقتادة وقيل هم أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم وقيل هم أهل القرآن والذكر هو القرآن وهم العلماء بالقرآن عن ابن زيد ﴿ **وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** ﴾ أي باقين لا يموتون هذا ردٌّ لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ومعناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام ولا يموتون حتى يكون أكلك الطعام وشربك وموتك علة في ترك الإيمان بك فإنا لم نخرجهم عن حدّ البشرية بالوحي قال الكلبي الجسد المجسد الذي فيه الروح ويأكل ويشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب جسماً وقال مجاهد الجسد ما لا يأكل ولا يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب نفساً ﴿ **ثم**

واستهزاء وقال ابن عباس معناه يستمعون القرآن مستهزئين غافلة قلوبهم عما يراد بهم ﴿ **وأسرّوا النجوى** ﴾ أي تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بيَّن من هم فقال ﴿ **الذين ظلموا** ﴾ أي أشركوا بالله ثم بيَّن سبحانه سرّهم الذي تناجوا به فقال ﴿ **هل هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ أي أنه آدمي مثلكم ليس مثل الملائكة ﴿ **أفتأتون السحر وأنتم تبصرون** ﴾ أي أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر نفروا الناس عنه بشيئين ( أحدهما ) أنه بشر ( والآخر ) أن ما أتى به سحر وقيل إن أسروا معناه أظهروا هذا القول فإن هذا اللفظ مشترك بين الإخفاء والإظهار والأول أصح ثم أمر سبحانه نبيّه فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿ **ربي** ﴾ الذي خلقني واصطفاني ﴿ **يعلم القول في السماء والأرض** ﴾ أي يعلم أسرار المتناجين لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ **وهو السميع** ﴾ لأقوالهم ﴿ **العليم** ﴾ بأفعالهم وضمائرهم ﴿ **بل قالوا إضغاث أحلام** ﴾ بل للإضراب عما حكى سبحانه أنهم قالوه أولاً وللإخبار عما قالوه ثانياً أي قالوا إن القرآن تخاليط أحلام رآها في المنام عن قتادة ﴿ **بل افْتراه** ﴾ أي ثم قالوا لا بل افْتراه أي تخرصه وافتعله ﴿ **بل هو شاعر** ﴾ أي ثم قالوا بل هو شاعر وهذا قول المتحير الذي بهره ما سمع فمرة يقول سحر ومرة يقول شعر ومرة يقول حلم ولا يجزم على أمر واحد وهذه مناقضة ظاهرة ﴿ **فليأتنا بآية كما أرسل الأولون** ﴾ معناه فليأتنا بآية ظاهرة يستدركها الخاص والعام كما أتى بها الأولون من الأنبياء قال ابن عباس بآية مثل الناقة والعصا وقال الزجاج إقترحوا بالآيات التي لا يكون معها إمهال وفي قوله سبحانه ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث** ﴾ دلالة ظاهرة على أن القرآن محدث لأنه تعالى أراد بالذكر القرآن بدلالة قوله ﴿ **وهذا ذكر مبارك أنزلناه** ﴾ وقوله ﴿ **أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون** ﴾ وقد وصفه بأنه محدث ويوضحه قوله ﴿ **ألا استمعوه** ﴾.

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ

فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة والكسائي وحفص قال ربي بالألف والباقون قل ربي .

**[ الحجة ] من قرأ قال فإنه على إضافة القول إلى الرسول والخبر عنه ومن قرأ قل فإنه على الخطاب .**

[ **الإعراب** ] من ذكر في موضع رفع ومن مزيدة . من ربهم صفة لذكر فيجوز أن يكون في موضع جر على لفظه ويجوز أن يكون في موضع رفع على محل الجار والمجرور . استمعوه في محل النصب على الحال **باضمار قد وتقديره ما يأتيهم ذكر رباني إلا مستمعاً** . وهم يلعبون حال من الواو وفي استمعوه. لاهية قلوبهم حال من الواو في يلعبون وإن شئت كان حالاً بعد حال وقوله ﴿ **واسروا النجوى الذين ظلموا** ﴾ موضع الذين ظلموا يجوز أن يكون رفعاً على وجوه ( أحدها ) أن يكون على البدل من الواو في أسروا ( والثاني ) أن يكون مرفوعاً على الذم فيكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا ( والثالث ) أن يكون فاعل أسروا على لغة من يقول أكلوني البراغيث وتكون الواو في أسروا حرفاً لعلامة الجمع كالتاء في قالت ولا يكون إسماً ويجوز أن يكون في موضع نصب على الذم بإضمار أعني .

[ **المعنى** ] ﴿ **اقترب للناس حسابهم** ﴾ اقترب افتعل من القرب والمعنى اقترب للناس وقت حسابهم يعني القيامة كما قال ﴿ **اقتربت الساعة** ﴾ أي دنا وقت محاسبة الله إياهم ومسألتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر وعن أوامره هل إمتثلوها وعن نواهيه هل إجتنبوها وإنما وصف ذلك بالقرب لأنه آت وكل ما هو آت قريب ولأن أحد إشراط الساعة مبعث رسول الله ﷺ فقد قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأيضاً فإن الزمان يقرب بكثرة ما مضى وقلة ما بقي فيكون يسيراً بالإضافة إلى ما مضى ﴿ **وهم في غفلة** ﴾ من دنّوها وكونها ﴿ **معرضون** ﴾ عن التفكر فيها والتأهب لها وقيل عن الإيمان بها وتضمنت الآية الحث على الاستعداد ليوم القيامة ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم** ﴾ يعني القرآن ﴿ **محدث** ﴾ أي محدث التنزيل مبتدأ التلاوة كنزول سورة بعد سورة وآية بعد آية ﴿ **إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم** ﴾ أي لم يستمعوه إستماع نظر وتدبر وقبول وتفكر وإنما استمعوه استماع لعب

# (٢١) سورة الأنبياء مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة

مكية كلها وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية في الباقين . .

[ **إختلافها** ] آية واحدة ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم كوفي .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن وقال أبو عبد الله (ع) من قرأ سورة الأنبياء حُبّاً لها كان ممن رافق النبيين أجمعين في جنات النعيم وكان مهيباً في أعين الناس حياة الدنيا .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد وافتتح هذه السورة بذكر القيامة فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم
مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾
لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ

وأبي رافع وقال أبو جعفر ( ع ) أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم أمرهم خاصة ﴿ **واصطبر عليها** ﴾ أي واصبر على فعلها وعلى أمرهم بها ﴿ **لا نسألك رزقاً** ﴾ لخلقنا ولا لنفسك بل كلفناك العبادة وأداء الرسالة وضمنّا رزق الجميع ﴿ **نحن نرزقك** ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع الخلق أي نرزق جميعهم ولا نسترزقهم وننفعهم ولا ننتفع بهم فيكون أبلغ في الإمتنان عليهم ﴿ **والعاقبة للتقوى** ﴾ أي العاقبة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي الأثر أن عروة الزبير كان إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته وقرأ ولا تمدن عينيك الآيات ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله ﴿ **وقالوا** ﴾ يعني الكفار ﴿ **لولا يأتينا** ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **بآية من ربه** ﴾ إقترحناها عليه كما أتى به الأنبياء ، نحو الناقة ﴿ **أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى** ﴾ أي أو لم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الأولى من إنباء الأمم التي أهلكناهم لما إقترحوا الآيات ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآية كحال أُولئك ﴿ **ولو أنا أهلكناهم** ﴾ يعني كفار قريش ﴿ **بعذاب من قبله** ﴾ أي من قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن ﴿ **لقالوا** ﴾ يوم القيامة ﴿ **ربنا لولا أرسلت إلينا** ﴾ أي هلا أرسلت ﴿ **رسولاً** ﴾ يدعونا إلى طاعتك ويرشدنا إلى دينك ﴿ **فنتبع آياتك** ﴾ أي نعمل بما فيها ﴿ **من قبل أن نذل** ﴾ بالعذاب ﴿ **ونخزى** ﴾ في جهنم وقيل من قبل أن نذل في الدنيا بالقتل والأسر ونخزى في الآخرة بالعذاب فقطّعنا عذرهم بإرسال الرسول فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **كل متربص** ﴾ أي كل واحد منا ومنكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم وأنتم تتربصون بنا الدوائر ﴿ **فتربصوا** ﴾ أنتم أي إنتظروا وهذا على وجه التهديد ﴿ **فستعلمون** ﴾ أي فسوف تعلمون فيما بعد ﴿ **من أصحاب الصراط السوي** ﴾ أي أهل الدين المستقيم ﴿ **ومن اهتدى** ﴾ إلى طريق الحق أي أنحن أم أنتم وفي قوله سبحانه ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله** ﴾ الآية دلالة على وجوب اللطف لأنه سبحانه بيَّن أنه إنما بعث الرسول إليهم لطفاً لهم وأنه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان في البعثة قطع العذر وإزاحة العلة وبالله التوفيق .

وسلم كان أزهر اللون أي نيّر اللون والزهراوان : البقرة وآل عمران ويوم الجمعة يوم أزهر .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج زهرة منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة لهم ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في به ويجوز أن يكون حالاً من ما متعنا به . ولو أنا أهلكناهم تقديره ولو ثبت إهلاكهم لأن لو يقتضي الفعل فيكون أنا أهلكناهم في موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر ومن أصحاب الصراط السوي تعلق بقوله ﴿ **فستعلمون** ﴾ وهو مبتدأ وخبر وكذلك من إهتدى .

[ **النزول** ]قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فبعثني إلى يهوديّ فقال قل إن رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال والله لا أبعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال والله لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض إذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا .

[ **المعنى** ] ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم** ﴾ وقد فسّرناه في سورة الحجر وقال أبي بن كعب في هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وروى أصحابنا عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قال لما نزلت هذه الآية إستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ثم قال هذه الكلمات التي تقدمت ﴿ **زهرة الحياة الدنيا** ﴾ أي بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية وقال ابن عباس وقتادة زينة الحياة الدنيا ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ أي لنعاملهم معاملة المختبر بشدة التعبد في العمل بالحق في هذه الأمور وإداء الحقوق عنه وقيل لنفتنهم أي لنشدّد عليهم التعبد بأن نكلفّهم متابعتك والطاعة لك مع كثرة أموالهم وقلة مالك وقيل معناه لنعذّبهم به لأن الله قد يوسّع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيباً له ولذلك قال ( ع ) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء ﴿ **ورزق ربك خير** ﴾ أي ورزق ربك الذي وعدك به في الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا ﴿ **وأبقى** ﴾ أي أدوم ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة** ﴾ معناه وأمر يا محمد أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة روى أبو سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب فاطمة وعليّ تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ورواه ابن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت ( ع ) وعن غيرهم مثل أبي برزة

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

[ اللغة ] النكس هو أن يجعل أسفل الشيء أعلاه ومنه النكس في العلة وهو أن يرجع إلى أول حاله ومنه النكس وهو السهم فوقه فيجعل أعلاه أسفله ويقال للمائق أيضاً نكس تشبيهاً بذلك .

[ الإعراب ] على أعين الناس في موضع الحال أي مرئياً مشهوداً بل فعله كبيرهم هذا من وقف على فعله ففاعله مضمر وتقديره فعله من فعله وكبيرهم مبتدأ وهذا خبره ومن لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله وهذا يكون صفة لكبيرهم أو بدلاً عنه وجواب الشرط الذي هو قوله إن كانوا ينطقون محذوف يدل عليه قوله بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم على الوجه الثاني ويقتضي أن يكون للشرط جزآن على هذا والجزاء الثاني معطوف على الأول التقدير إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسألوهم والمعنى إن لم يقدروا على النطق لم يقدروا على الفعل .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه ما جرى بين إبراهيم ما جرى بين إبراهيم وقومه في أمر الأصنام بقوله ﴿ **قالوا** ﴾ يعني قوم إبراهيم ﴿ **فأتوا به** ﴾ أي فجيئوا به ﴿ **على أعين الناس** ﴾ أي بحيث يراه الناس ويكون بمشهد منهم ﴿**لعلهم يشهدون** ﴾ عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل عن الحسن وقتادة والسدي قالوا كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة وقيل معناه لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به أي يحضرونه عن ابن إسحاق والضحاك ﴿ **قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم** ﴾ المعنى فلما جاؤوا به قالوا له هذا القول مقررين له على ذلك فأجابهم إبراهيم (ع ) بأن ﴿ **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون** ﴾ اختلفوا في معناه وتقديره على وجوه ( أحدها ) أنه مقيّد بقوله ﴿ **إن كانوا ينطقون** ﴾ والتقدير فقد فعله كبيرهم إن نطقوا فسألوهم فقد علّق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذباً ويكون كقول القائل فلان صادق فيما يقول إن لم يكن فوقنا سماء ( وثانيها ) إنه خرج مخرج الخبر وليس بخبر إنما هو إلزام يدلُّ عليه الحال فكأنه قال ما ينكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا والإلزام يأتي تارة بلفظ السؤال وتارة بلفظ الأمر وتارة بلفظ الخبر وربما يكون أحد هذه الأمور أبلغ فيه ووجه الإلزام إن هذه الأصنام إن كانت آلهة كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم لأن غير الإلّه لا يقدر أن يكسر الآلهة ( وثالثها ) إن تقديره فعله من فعله على ما تقدَّم ذكره وهو قول

الكسائي وأما ما ذكر فيه أنه أراد به الخبر عن الكبير وقال أنه غضب من أن يعبد معه الصغار فكسرهنَّ وما روي في ذلك من أن إبراهيم (ع ) كذب ثلاث كذبات قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة لما أراد الجبار أخذها وكانت زوجته أنها أختي فمما لا يعوّل عليه فقد دلَّت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على أن الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب وإن لم يقصدوا به غروراً ولا ضرراً كما لا يجوز عليهم التعمية في الأخبار ولا التقية لأن ذلك يؤدّي إلى التشكك في إخبارهم وكلام إبراهيم (ع ) يجوز أن يكون من المعاريض فقد أبيح ذلك عند الضرورة وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل وقد قيل في تفسير قوله إني سقيم إن معناه أني سأسقم لأنه لمانظر إلى بعض علم النجوم وقت نوبة حمى كانت تأتيه فقال إني سأسقم وقيل معناه إني سقيم عندكم فيما ادعوكم إليه وسنذكر الكلام فيه في موضعه وأما قوله في سارة أنها اختي فإنما أراد في الدين قال سبحانه إنما المؤمنون أخوة وقد دلَّ الدليل العقلي على أن الكذب قبيح لكونه كذباً فلا يحسن على وجه من الوجوه ﴿ **فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون** ﴾ معناه فرجع بعضهم إلى بعض وقال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه وما نرى الأمر إلا كما قال وقيل معناه فرجعوا إلى عقولهم وتدبّروا في ذلك إذ علموا صدق إبراهيم فيما قاله وحاروا عن جوابه فأنطقهم الله بالحق فقالوا إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤاله وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ **ثم نكسوا على رؤوسهم** ﴾ إذ تحيَّروا وعلموا أنها لا تنطق ثم إعترفوا بما هو حجة عليهم فقالوا ﴿ **لقد علمت** ﴾ يا إبراهيم ﴿ **ما هؤلاء ينطقون** ﴾ فكيف نسألهم فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجة ﴿ **قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم** ﴾ أي أفتوجّهون عبادتكم إلى الأصنام التي لا تنفعكم شيئاً إن عبدتموها ولا تضركم إن تركتموها لأنها لو قدرت على نفعكم وضرّكم لدفعت عن أنفسها من دون الله سبحانه الذي يقدر على ضرركم ونفعكم على أنه ليس كل من قدر على الضر والنفع إستحقَّ العبادة وإنما يستحقها من قدر على أصول النعم التي هي الحياة والشهوة والقدرة وكمال العقل وقدر على الثواب والعقاب ثم قال إبراهيم (ع ) مهجناً لأفعالهم مستقذراً لها ﴿ **أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله** ﴾ قال الزجاج معنى أف لكم تباً لأعمالكم وأفعالكم وقد ذكرنا إختلاف القراء فيه وما قيل في تفسيره في سورة بني إسرائيل ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ أي أفلا تتفكرون بعقولكم في أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ﴿ **قالوا حرّقوه** ﴾ والمعنى فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرّقوه بالنار ﴿ **وانصروا آلهتكم** ﴾ أي وادفعوا عنها

وعظّموها ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ أي إن كنتم ناصريها والمعنى فلا تنصرونها إلا بتحريقه بالنار قال ابن عمر ومجاهد إن الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار رجل من أكراد فارس فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقال وهب إنما قاله نمرود وفي الكلام حذف قال السدي فجمعوا الحطب حتى أن الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيُشترى به حطب وحتى أن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثم رموه ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ معناه فلما جمعوا الحطب وألقوه في النار قلنا للنار ذلك وهذا مثل فإن النار جماد لا يصح خطابه والمراد أنا جعلنا النار برداً عليه وسلامة لا يصيبه من أذاها شيء كما قال سبحانه وتعالى ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ والمعنى أنه صيَّرهم كذلك لا أنه خاطبهم وأمرهم بذلك وقيل يجوز أن يتكلم الله سبحانه بذلك ويكون ذلك صلاحاً للملائكة ولطفاً لهم وذكر في كون النار برداً على إبراهيم وجوه ( أحدها ) إن الله سبحانه أحدث فيها برداً بدلاً من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذه ( وثانيها ) إن الله سبحانه حال بينها وبينه فلم تصل إليه ( وثالثها ) إن الإحراق إنما يحصل بالاعتمادات التي في النار صعداً فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات وعلى الجملة فقد علمنا إن الله سبحانه منع النار من إحراقه وهو أعلم بتفاصيله **قال أبو العالية لو لم يقل سبحانه وسلاماً لكانت تؤذيه من شدة بردها ولكان بردها أشد عليه من حرها فصارت سلاماً عليه ولو لم يقل على إبراهيم لكان بردها باقياً على الأبد وقال أبو عبدالله** ( ع ) لما أجلس إبراهيم في المنجنيق وأرادوا أن يرموا به في النار أتاه جبرائيل ( ع ) فقال السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة فقال أما إليك فلا فلما طرحوه دعا الله فقال يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فحسرت النار عنه وأنه لمحتبٍ ومعه جبرائيل ( ع ) وهمايتحدثان في روضة خضراء وروى الواحدي بالإسناد مرفوعاً إلى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم ( ع ) في النار نزل إليه جبرائيل ( ع ) بقميص من الجنة وطنفسة[1] من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدّثه تمام الخبر وقال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم ( ع ) غير وثاقه وقيل إن إبراهيم ( ع ) أُلقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة ﴿ وأرادوا به كيداً ﴾ معناه إن الكفار أرادوا بإبراهيم ( ع ) كيداً أي شرّاً وتدبيراً في إهلاكه ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾ قال ابن عباس هو أن سلّط الله على نمرود وخيله البعوض حتى

---

(١) الطنفسة : البساط . الحصير .

أخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته والمعنى أنهم كادوه أرادوا أن يكيدوه بسوء فانقلب عليهم ذلك .

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي
بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا
جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟
لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

[ **اللغة** ] النافلة العطية الخاصة والنفل الذي يجر الحمد فيما زاد على حد الواجب ومنهاالنافلة للصلاة وهي الفضل على الفرائض وقيل النافلة الغنيمة قال « لله نافلة الأعز الأفضل »[1] .

[ **الإعراب** ] نافلة نصب على الحال من يعقوب وقيل أنه نصب على المصدر من وهبنا وتقديره وهبنا له هبة ويهدون صفة لائمة ومفعولاه محذفان تقديره يهدون الناس الطريق وحذف التاء من إقامة لأن الإضافة عوض عنها ولا يجوز ذلك في غير الإضافة لا يقال أقام إقاماً كما يقال إقامة ولوطاً منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره وآتينا لوطاً آتيناه إلا أنه إذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود والنصب في لوطاً أحسن لتكون الجملة فعلية معطوفة على جملة فعلية وفاسقين يجوز أن يكون منصوباً بكونه صفة لقوم سوء ويجوز أن يكون خبر لكان ويكون خبراً بعد خبر .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه تمام نعمته على إبراهيم (ع) فقال ﴿ ونجيناه ﴾ أي من

(١) هذا عجز بيت للبيد بن ربيعة .

نمرود وكيده والمعنى ورفعناه ﴿ ولوطاً ﴾ من الهلكة وهو ابن أخي إبراهيم فـآمن به ﴿ **إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين** ﴾ اختلف فيها فقيل هي أرض الشام أي نجينا من كُوثى إلى الشام عن قتادة قال وإنما قال باركنا فيها لأنها بلاد خصب وقيل إلى أرض بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء عن الجبائي وقيل نجاهما إلى مكة كما قال إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً عن ابن عباس ﴿ **ووهبنا له إسحاق** ﴾ أي وهبنا لإبراهيم إسحاق حين سأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين ﴿ **ويعقوب نافلة** ﴾ قال ابن عباس وقتادة نافلة راجع إلى يعقوب فإنه زاده من غير دعاء فهو نـافلة وقيل إنـه راجع إلى إسحـاق ويعقوب جميعـاً لأنه أعطاهما إياه من غير جزاء ولا استحقاق عن مجاهد ﴿ **وكلا جعلنا صـالحين** ﴾ أي وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب صالحين للنبوة والرسالة وقيل معناه حكمنا بكونهم صـالحين وهو غاية ما يوصف به من الثناء الجميل ﴿ **وجعلناهم أئمـة** ﴾ يقتدى بهم في أفعـالهم وأقوالهم يهدون الخلق إلى طريق الحق وإلى الدين المستقيم ﴿ **بأمرنا** ﴾ فمن إهتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم فالنعمة لنا عليه ﴿ **وأوحينا إليهم فعـل الخيرات** ﴾ قـال ابن عباس شـرائع النبـوة ﴿ **وإقـام الصلاة** ﴾ أي إقـامة الصـلاة ﴿ **وإيتاء الـزكاة** ﴾ أي إعـطاء الزكـاة ﴿ **وكانـوا لنـا عابدين** ﴾ أي مخلصين في العبادة ﴿ **ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً** ﴾ ومعناه وأعطينا لوطاً حكمة وعلماً وقيل الحكم النبوة وقيل هو الفصل بين الخصوم بالحق أي جعلناه حاكماً وعلَّمناه ما يحتاج إلى العلم به ﴿ **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث** ﴾ وهي قرية سدوم على ما روي والخبائث التي كانوا يعملونها هي أنهم كانوا يأتون الذكران في إدبارهم ويتضارطون في أنديتهم وقيل هي ما حكى الله تعالى أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر وغير ذلـك من القبائـح وأراد بالقـرية أهلهـا ثم ذمَّهم فقال ﴿ **إنهم كـانوا قـوم سوء فاسقين** ﴾ أي خارجين عن طاعة الله تعالى ﴿ **وأدخلناه في رحمتنـا** ﴾ أي في نعمتنا ومنتنـا ﴿ **إنه من الصالحين** ﴾ أي بسبب أنه من الصالحين الذين أصلحوا أفعالهم فعملوا بما هـو الحسن منها دون القبيح وقيل أراد بكونه من الصالحين أنه من الأنبياء .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ
ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ

إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ
شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب لتحصنكم بالتاء وقرأ أبو بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب لنحصنكم بالنون والباقون ليحصنكم بالياء .

[ **الحجة** ] من قرأ بالياء فيجوز أن يكون الفاعل إسم الله لتقدم قوله علمناه ويجوز أن يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس ويجوز أن يكون داود ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى لأنه الدرع مؤنث ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه .

[ **اللغة** ] النفش بفتح الفاء وسكونها أن تنتشر الإبل والغنم بالليل فترعى بلا راع وإبل نفاش واللبوس إسم للسلاح كله عند العرب درعاً أو جوشنا أو سيفاً أو رمحاً قال الهذلي يصف رمحاً .

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَئِيسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلِ (١)

وقيل هو كل ما يلبس من ثياب ودرع وقيل هو الدرع وأصل اللباس من الإختلاط ومنه سميت المرأة لباساً وسمي الليل لباساً لأنه يباشر الناس بظلمته والإحصان الإحراز وأصله من المنع .

[ **الإعراب** ] ونوحاً معطوف على قوله ﴿ **إذ نفشت** ﴾ ظرف لقوله ﴿ **يحكمان** ﴾ وقوله ﴿ **وكنا لحكمهم شاهدين** ﴾ يجوز أن يكون في موضع الجر بالعطف على يحكمان أي وقت حكمهما في الحرث وكوننا شاهدين له ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال وكلا

(١) الروق : القرن من كل ذي قرن . والمجفل : المسرع شبه رمحه بقرن الثور الوحشي .

منصوب لأنه مفعول أول لآتينا وحكماً مفعول ثان له يسبِّحن في موضع نصب على الحال من الجبال والطير عطف على الجبال ويجوز أن يكون مفعولاً معه وتقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه قصة نوح وداود على قصة إبراهيم ( ع ) ولوط فقال ﴿ **ونوحاً إذ نادى** ﴾ أي دعا ربه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً وقال إني مغلوب فانتصر وغير ذلك ﴿ **من قبل** ﴾ أي من قبل ابراهيم ولوط ﴿ **فاستجبنا له** ﴾ أي اجبناه إلى ما التمسه ﴿ **فنجيناه وأهله من الكرب العظيم** ﴾ أي من الغم الذي يصل حرّه إلى القلب وهو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدة وتحمل الإستخفاف من السقاط من أعظم الكرب ﴿ **ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا** ﴾ أي منعناه منهم بالنصرة حتى لم يصلوا إليه بسوء وقيل معناه نصرناه على القوم ومِنْ بمعنى عَلى عن أبي عبيدة ﴿ **انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين** ﴾ صغارهم وكبارهم وذكورهم وإناثهم ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم** ﴾ أي وآتينا داود وسليمان حكماً وعلماً إذ يحكمان وقيل تقديره واذكر داود وسليمان حين يحكمان في الحرث في الوقت الذي نفشت فيه غنم القوم أي تفرَّقت ليلاً ﴿ **وكنا لحكمهم شاهدين** ﴾ أي بحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شيء وإنما جمع في موضع التثنية لإضافة الحكم إلى الحاكم وإلى المحكوم لهم وقيل لأن الإثنين جمع فهو مثل قوله ﴿ **إن كان له إخوة** ﴾ وهو يريد أخوين واختلف في الحكم الذي حكما به فقيل أنه زرع وقعت فيه الغنم ليلاً فأكلته عن قتادة وقيل كان كرماً وقد بدت عَنَاقِيدُه فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله عن ابن مسعود وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقال الجبائي أوحى الله تعالى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل ولم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد وهذا هو الصحيح المعوَّل عليه عندنا وقال علي بن عيسى والبلخي يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد لأن رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من رأي غيره فإذا جاز التعبد بإلتزام حكم غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الوجه والذي يدلُّ على صحة القول الأول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوحى إليه وله طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن على أن الحكم بالظن والإجتهاد والقياس قد بيَّن أصحابنا في كتبهم أنه لم

يتعبد بها في الشرع إلا في مواضع مخصوصة ورد النص بجواز ذلك فيها نحو قِيَم المتلفات وأروش الجنايات وجزاء الصيد والقبلة وما جرى هذا المجرى وأيضاً فلو جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه كما يجوز للمجتهدين أن يختلفا ومخالفة الأنبياء تكون كفراً هذا وقد قال الله سبحانه ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ فأخبر سبحانه أنه إنما ينطق عن جهة الوحي ويقوّي ما ذكرناه قوله تعالى ﴿ **ففهمناها سليمان** ﴾ أي علّمناه الحكومة في ذلك وقيل إن سليمان قضى بذلك وهو ابن إحدى عشر سنة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قضى بحفظ المواشي على أربابها ليلا وقضى بحفظ الحرث على أربابه نهاراً ﴿ **وكلا آتينا حكماً وعلماً** ﴾ أي وكل واحد من داود وسليمان أعطيناه حكمة وقيل معناه النبوة وعلم الدين والشرع ﴿ **وسخرنا مع داود الجبال يسبِّحن والطير** ﴾ قيل معناه سيَّرنا الجبال مع داود حيث سار فعبَّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على إن مسخرها قادر لا يجوز عليه مما يجوز على العباد عن الجبائي وعلي بن عيسى وقيل إن الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح معه بالغداة والعشي معجزة له عن وهب ﴿ **وكنا فاعلين** ﴾ أي قادرين على فعل هذه الأشياء ففعلناها دلالة على نبوته ﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم** ﴾ أي علّمناه كيف يصنع الدرع قال قتادة أول من صنع الدرع داود (ع) وإنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله ﴿ **لتحصنكم من بأسكم** ﴾ أي ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم عن السدي وقيل معناه من حربكم أي في حالة الحرب والقتال فإن البأس في اللغة هو شدة القتال ﴿ **فهل أنتم شاكرون** ﴾ لنعم الله تعالى عليكم وعلى أنبيائه قبلكم وهذا تقرير للخلق على شكره فإن إنعامه على الأنبياء إنعام على الخلق وقيل إن سبب إلانة الحديد لداود (ع) أنه كان نبيًّا ملكاً وكان يطوف في ولايته متنكراً يتعرف أحوال عماله ومتصرفيه فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صورة آدمي فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام وقال ما سيرة داود فقال نعمت السيرة لولا خصلة فيه قال وما هي قال أنه يأكل من بيت مال المسلمين فتنكره وأثنى عليه وقال لقد أقسم داود أنه لا يأكل من بيت مال المسلمين فعلم الله سبحانه صدقه فألان له الحديد كما قال وألَنّا له الحديد وروي أن لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك فصبر ولم يسأله حتى فرغ من ذلك فقام ولبس وقال نعمت الجنة للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله .

﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى
ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ
ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا
لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ
وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ
وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ
لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

[ **اللغة** ] الريح هو الجو يشتدُّ تارة ويضعف تارة وهي جسم لطيف منفش يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والعصوف شدة حركة الريح عصفت تعصف عصفاً وعصوفاً إذا اشتدت والعصف التبن لأن الريح تعصفه بتطييرها له .

[ **الاعراب** ] ولسليمان اللام يتعلق بسخرنا والتقدير وسخرنا لداود الجبال وسخرنا لسليمان الريح عاصفة نصب على الحال تجري بأمره في موضع الحال أيضاً فهو حال بعد حال ويحتمل أن يكون حالاً عن الحال التي هي عاصفة ومن يغوصون له عطف على الريح ومن الشياطين في موضع نصب على الحال من سخرنا وذو الحال من يغوصون له ويجوز أن يكون حالاً من يغوصون له وذو الحال الواو ومعهم في موضع نصب على أنه صفة بعد صفة تقديره وأهلاً مثلهم كائنين معهم وانتصب رحمة بأنه مفعول له .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه بقصة سليمان على ما تقدَّم فقال ﴿ **ولسليمان الريح** ﴾ أي وسخَّرنا لسليمان الريح ﴿ **عاصفة** ﴾ أي شديدة الهبوب قال ابن عباس إذا أراد أن تعصف الريح عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخيت وذلك قوله رخاء حيث أصاب ﴿ **تجري بأمره** ﴾ أي بأمر سليمان ﴿ **إلى الأرض التي باركنا فيها** ﴾ وهي أرض الشام لأنها كانت مأواه وقد سبق

ذكرها في هذه السورة وقيل كانت الريح تجري في الغداة مسيرة شهر وفي الرواح كذلك وكان يسكن بعلبك ويبني له بيت المقدس ويحتاج إلى الخروج إليها وإلى غيرها وقال وهب وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الجن والأنس حتى يجلس على سريره ويجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح إلى حيث أراد ﴿ **وكنا بكل شيء عالمين** ﴾ فإنما أعطيناه ما أعطيناه لما علَّمناه من المصلحة ﴿ **ومن الشياطين من يغوصون له** ﴾ أي وسخَّرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلىء والغوص النزول إلى تحت الماء﴿**ويعملون عملاً دون ذلك**﴾ أي سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما ﴿ **وكنا لهم حافظين** ﴾ لئلا يهربوا منه ويمتنعوا عليه وقيل يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه عن الفراء والزجاج ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه** ﴾ أي واذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنة به ﴿ **إني مسني الضر** ﴾ أي نالني الضرُّ وأصابني الجهد ﴿ **وأنت أرحم الراحمين** ﴾ أي ولا أحد أرحم منك وهذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء وهو من لطيف الكنايات في طلب الحاجات ومثله قول موسى رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴿ **فاستجبنا له** ﴾ أي أجبنا دعاءه ونداءه ﴿ **فكشفنا ما به من ضر** ﴾ أي أزلنا ما به من الأوجاع والأمراض﴿**وآتيناه أهله ومثلهم معهم**﴾قال ابن عباس وابن مسعود ردَّ الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم وكذلك ردَّ الله عليه أمواله ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها وبه قال الحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل أنه خُيِّر أيوب فاختار إحياء أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا فأوتي على ما إختار عن عكرمة ومجاهد قال وهب وكان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار سبعة بنين وسبع بنات ﴿ **رحمة من عندنا** ﴾ أي نعمة منّا عليه ﴿ **وذكرى للعابدين** ﴾ أي موعظة لهم في الصبر والإنقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه لأنه لم يكن في عصر أيوب أحد أكرم على الله منه فابتلاه بالمحن العظيمة فأحسن الصبر عليها فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها ولا يجزع ويعلم أن عاقبة الصبر محمودة ﴿ **وإسماعيل وإدريس وذا الكفل** ﴾ أي واذكر هؤلاء الأنبياء وما أنعمت عليهم من فنون النعمة ثم قال ﴿ **كل من الصابرين** ﴾ صبروا على بلاء الله والعمل بطاعته فأما إسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به ولا ضرع وقام ببناء الكعبةوأما إدريس فإنه صبر على الدعاء إلى الله وكان أول من بعث إلى قومه فدعاهم إلى الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالى ورفعه إلى السماء السادسة وأما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل أنه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ولكنه تكفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ويعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له عن أبي موسى الأشعري وقتادة ومجاهد وقيل هو نبي إسمه ذو

الكفل عن الحسن قال ولم يقص الله خبره مفصلاً وقيل هو الياس عن ابن عباس وقيل كان نبياً وسمي ذا الكفل بمعنى أنه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله عن الجبائي وقيل هو اليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس وليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة ودفع إليه كتاباً بذلك فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمي ذا الكفل والكفل في اللغة هوالخط وفي كتاب النبوة بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال كتبت إلى أبي جعفر (ع) أسأله عن ذي الكفل وما اسمه وهل كان من المرسلين فكتب (ع) أن الله بعث مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وإن ذا الكفل منهم وكان بعد سليمان بن داود (ع) وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود (ع) ولم يغضب قطُّ إلا لله تعالى وكان اسمه عدويا بن ادارين ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ أي وأدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء في نعمتنا وأراد غمرناهم بالرحمة ولو قال رحمناهم لما أفاد ذلك بل أفاد أنه فعل بهم الرحمة ﴿ إنهم من الصالحين ﴾ أي إنما أدخلناهم في رحمتنا لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب فظن أن لن يُقْدَرَ بضم الياء والباقون نقدر بالنون وكسر الدال وقرأ ابن عامر وأبو بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم والباقون ننجي بالنونين .

[ الحجة ] قوله إن لن نقدر عليه إن هذه مخففة من الثقيلة وتقديره ظن أنه لن نقدر

عليه أي لن نضيق عليه ومن قرأ لن يقدر عليه فهو مثل الأول في المعنى بني الفعل للمفعول به وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل ومن قرأ نجي المؤمنين بنون واحدة قال أبو بكر السراج هو وهم لأن النون لا تدغم في الجيم وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم فحذفت في الكتابة وهي في اللفظ ثابتة قال أبو علي والقول في ذلك إن عاصماً ينبغي أن يكون قرأ بنونين وأخفى الثانية فظن السامع أنه مدغم وكذلك غيره .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه قصة يونس ( ع ) فقال ﴿**وذا النون**﴾ أي واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبها يونس بن متى ﴿ **إذ ذهب** ﴾ أي حين ذهب ﴿ **مغاضباً** ﴾ لقومه عن ابن عباس والضحاك أي مراغماً لهم من حيث أنه دعاهم إلى الإيمان مدة طويلة فلم يؤمنوا حتى أوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له ﴿ **فظن أن لن نقدر عليه** ﴾ أي لن نضيق عليه عن عطا وجماعة من المفسرين وقيل ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي والجبائي قال الجبائي ضيَّق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعته السمكة ومن قال أنه خرج مغاضباً لربه وأنه ظن أن لن يقدر الله على أخذه بمعنى أنه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء فإن مغاضبة الله كفرٌ أو كبيرة عظيمة وتجويز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبيّ من أنبياء الله تعالى وقال ابن زيد إنه إستفهام معناه التوبيخ وتقديره فظنَّ إن لن نقدر عليه وأنكره علي بن عيسى وقال لا يجوز حذف الاستفهام من غير دليل عليه وقد جاء في كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله أنشد النحويون قول عمر بن أبي ربيعة :

ثُمَّ قَالُوا تَحِبُّهَا قُلْتُ بَهْراً     عَدَدَ القَطْرِ وَالْحِصىٰ وَالتُّرابِ(١)

أي أتحبها ﴿ **فنادى في الظلمات** ﴾ قيل إنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت عن ابن عباس وقتادة وقيل كان حوت في بطن حوت عن سالم بن أبي الجعد ﴿ **إن لا إله إلا أنت سبحانك** ﴾ لما أراد السؤال والدعاء قدّم ذكر التوحيد والعدل ثم قال ﴿ **إني كنت من الظالمين** ﴾ أي من الذين يقع منهم الظلم وإنما قاله على سبيل الخشوع والخضوع لأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى لأن العقوبة عداوة للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتأديب الصبي وغيره وبقاؤه في بطن الحوت حيّاً

---

(١) قوله « بهراً » أي بهرني بهرا بمعنى غلبني غلبة أي احبها حباً بهرني بهراً .

معجزة له ﴿ فاستجبنا له ونجّيناه من الغم ﴾ أي من بطن الحوت ﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ أي ننجيهم إذا دعونا به كما أنجينا ذا النون ثم قال سبحانه ﴿ وزكريا ﴾ أي واذكر زكريا ﴿ إذ نادى ربه ﴾ ودعاه يا ﴿ ربّ لا تذرني فرداً ﴾ بغير وارث ولا ولد يعينني على أمر الدين والدنيا في حياتي ويرثني بعد وفاتي ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ هذا ثناء على الله سبحانه بأنه الباقي بعد فناء خلقه وأنه خير من بقي حيّاً بعد ميت وإن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو سبحانه ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ روى الحرث بن المغيرة قال قلت لأبي عبد الله ( ع ) إني من أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد فقال إدع وأنت ساجد رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين قال ففعلت فولد لي علي والحسين ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ بأن كانت عقيمة فجعلناها ولوداً عن قتادة وقيل كانت هرمة فرددنا عليها شبابها عن أبي مسلم وقيل كانت سيئة الخلق فجعلناها حسنة الخلق ﴿ أنهم ﴾ يعني زكريا ويحيى وقيل معناه أن الأنبياء الذين تقدم ذكرهم ﴿ كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ أي يبادرون إلى الطاعات والعبادات ﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ أي للرغبة والرهبة رغبة في الثواب ورهبة من العقاب وقيل راغبين وراهبين عن الضحاك وقيل رغباً ببطون الأكف ورهباً بظهور الأكف ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ أي متواضعين عن ابن عباس وقيل الخشوع المخافة الثابتة في القلب عن الحسن وقيل معناه أنهم قالوا حال النعمة اللهم لا تجعلها إستدراجاً وحال السيئة اللهم لا تجعلها عقوبة بذنب سلف منا وفي قوله سبحانه ﴿ يسارعون في الخيرات ﴾ دلالة على أن المسارعة إلى كل طاعة مرغب فيها وعلى أن الصلاة في أول الوقت أفضل .

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وحِرْم بكسر الحاء بغير ألف والباقون وحرام وهو قراءة الصادق ( ع ) وفي الشواذ قراءة الحسن وابن أبي إسحاق أمة واحدة بالرفع وقرأ ابن عباس وقتادة وحَرِم وفي رواية أخرى عن ابن عباس وحَرَم وهي قراءة عكرمة وأبي العالية .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حِرْم وحرام لغتان وكذلك حل وحلال وكل واحد من حرم وحرام إن شئت رفعته بالإبتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام وخبره محذوف وتقديره وحرام على قرية أهلكناها بأنهم لا يرجعون مقضي أو ثابت أو محكوم عليه وإن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف وجعلت لا زائدة والمعنى حرام على قرية أهلكناها رجوعهم كما قال فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وإن شئت جعلته خبر مبتدأ وأضمرت مبتدأ كما ذكرت ويكون المعنى حرام على قرية أهلكناها بالاستئصال رجوعهم لأنهم لا يرجعون وتكون لا غير زائدة والمعنى حرام عليهم أنهم ممنوعون من ذلك وقال الزجاج تقديره وحرام على قرية أهلكناها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون أبداً كما قال سبحانه ﴿ **ختم الله على قلوبهم** ﴾ الآية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتدأ محذوف وهو قوله ﴿ **أن يتقبل منهم عمل وأنهم لا يرجعون** ﴾ في موضع نصب لأنه مفعول له فأما من قرأ حَرِم على قرية فإنه من حرم فهو حرم أي نمر ماله قال زهير :

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ(١)

وأما حَرَم فمعناه ظاهر ومن قرأ أمة بالرفع جعله بدلاً من أمتكم ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأمة منصوبة على الحال والعامل فيها معنى الإشارة وذو الحال الأمة الأولى وفي الحقيقة الحال الأولى قوله ﴿ **واحدة** ﴾ التي هي صفة الأمة كقوله تعالى ﴿ **قرآناً عربياً** ﴾ والتقدير ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ أي مجتمعة غير متفرقة .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم بقصة عيسى ( ع ) فقال ﴿ **والتي أحصنت فرجها** ﴾ يعني مريم ابنة عمران أي واذكر مريم التي حفظت فرجها وحصنته وعفت وامتنعت من الفساد ﴿ **فنفخنا فيها من روحنا** ﴾ أي أجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ فأضاف الروح إلى نفسه على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر وقيل إن معناه أمرنا جبرائيل فنفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في رحمها ﴿ **وجعلناها وابنها آية**

---

(١) قوله « خليل » يعني به المحتاج الفقير المختل الحال . و « مسغبة » بمعنى المجاعة . يصف رجلاً بالجود .

**للعالمين﴾**إنما قال آية ولم يقل آيتين لأنه في موضع دلالة فلا يحتاج إلى أن تثنى الآيةفيهما أنها جاءت به من غير فحل فتكلم في المهد بما يوجب براءة ساحتها من العيب ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ أي هذا دينكم دين واحد عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأصل الأمة الجماعة التي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماعهم بها على مقصد واحد وقيل معناه جماعة واحدة في أنها مخلوقة مملوكة لله تعالى أي فلا تكونوا إلا على دين واحد وقيل معناه هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم من الأنبياء فريقكم الذي يلزمكم الإقتداء بهم في حال اجتماعهم على الحق كما يقال هؤلاء أمتنا أي فريقنا وموافقونا على مذهبنا ﴿ **وأنا ربكم** ﴾ الذي خلقكم ﴿**فاعبدوني**﴾ ولا تشركوا بي شيئاً ثم ذكر اليهود والنصارى بالإختلاف فقال ﴿ **وتقطّعوا أمرهم بينهم** ﴾ أي فرَّقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض عن الكلبي وابن زيد والنقطع هذا بمنزلة التقطيع ثم قال مهدداً لهم ﴿ **كل إلينا راجعون** ﴾ أي كل ممن اجتمع وافترق راجع إلى حكمنا في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا فنجازيهم بأعمالهم ﴿ **فمن يعمل من الصالحات** ﴾ التقدير فمن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب وغير ذلك من أنواع الطاعات ﴿ **وهو مؤمن** ﴾ شرط الإيمان لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله تعالى ﴿ **فلا كفران لسعيه** ﴾ أي فلا جحود لإحسانه في عمله بل يشكر ويثاب عليه ﴿ **وإنا له كاتبون** ﴾ أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك ويثبتوه فلا يضيع منه شيء وقيل كاتبون أي ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعة ومنه الكتيبة لأنه ضم رجال إلى رجال ﴿ **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ إختلف في معناه على وجوه ( أحدها ) أن لا مزيدة والمعنى حرام على قرية مهلكة بالعقوبة أن يرجعوا إلى دار الدنيا عن الجبائي وقيل إن معناه واجب عليها إنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها عن قتادة وعكرمة والكلبي قال عطا يريد حتم مني والمراد إن الله تعالى كتب على من أهلك أن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتماً وفي ذلك تخويف لكفار مكة بأنهم إن عذّبوا وأهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة وقد جاء الحرام بمعنى الواجب في شعر الخنساء :

وَإنَّ حَـراماً لا أَرَى الـدَّهْرَ بـاكِيـاً    عـلىٰ شَجْـوَةٍ إلاَّ بَكَيْتُ عَلىٰ صَخْرِ[1]

( وثانيها ) إن معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أن يتقبل منهم عمل لأنهم

---

(١) الشجوة : الحزن . وفي نسخة مخطوطة وكذا في اللسان « على عمرو » مكان « على صخر » ونسب البيت في اللسان إلى عبد الرحمن المحاربي .

لا يرجعون إلى التوبة ( وثالثها ) إن معناه حرام أن لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون أحياء للمجازاة عن أبي مسلم وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر ( ع ) أنه قال كل قرية أهلكها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد ذكرنا إختلافهم في يأجوج ومأجوج في سورة الكهف وفي الشواذ قراءة ابن مسعود من كل حدث وقراءة ابن السميفع حصب جهنم ساكنة الصاد وقراءة ابن عباس حضب بالضاد مفتوحة وقراءة علي ( ع ) وعائشة وابن الزبير وأبي بن كعب وعكرمة حطب بالطاء .

[ الحجة ] من خففّ فتحت فلأن الفعل في الظاهر مسند لى هذين الإسمين وأراد فتح سدّ يأجوج ومأجوج ومن شدَّد حمله على الكثرة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب والجدث القبر بلغة الحجاز والجدف بالفاء بلغة تميم وفي الحطب لغات وحطب وحصب بالصاد وخضب

بالضاد ولا يقال حصب بالصاد إلا إذا أُلقي في التنور أو في الموقد وقال أحمد بن يحيى أصل الحصب الرمي حطباً كان أو غيره قال الأعشى :

فَـلا تَـكُ فِي حَـرْبِنـا مُحْصِبـاً　　لِتَجْعَـلَ قَـوْمَـكَ شَتَّى شُعُوبـاً(١)

فأما الحصب ساكناً بالصاد والضاد فالطرح فهو مصدر وقع موقع اسم المفعول كالخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد .

[ **اللغة** ] الحدب الإرتفاع من الأرض بين الإنخفاض والحدبة خروج الظهر ورجل أحدب والنسول الخروج عن الشيء الملابس يقال نسل ينسِل وينسَل قال امرؤ القيس :

فَـإِنْ يَـكُ قَـدْ سَـاءَتْـكَ مِنّي خَلِيقَـةٌ　　فَسُلِّي ثِيَـابِي مِنْ ثِيَـابِـكِ تَـنْسَـلي(٢)

ونسل ريش الطائر إذا سقط وقيل النسول الخروج بإسراع نحو نسلان الذئب قال :

نَـسَـلانُ الـذِّئْبِ أَمْـسَىٰ قَـارِبـاً　　بَـرَدَ الـلَّيْـلُ عَـلَيْـهِ فَـنَـسَـلْ

وشخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله وشخص من بلد إلى بلد وشخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه والحسيس والحس الحركة .

[ **الإعراب** ] واقترب الوعد قال الفراء معنى الواو الطرح والمعنى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق قال الزجاج الواو لا يجوز أن يطرح عند البصريين وجواب إذا عندهم قوله ﴿ **يا ويلنا** ﴾ وها هنا قول محذوف أي قالوا يا ويلنا وقوله ﴿ **فإذا هي شاخصة** ﴾ إذاً ظرف مكان والعامل فيه شاخصة وهي ضمير القصة في محل رفع بالإبتداء وأبصار الذين كفروا مبتدأ آخر وشاخصة خبر مقدم والجملة خبر هي وقيل أنَّ تمام الكلام عند قوله هي وتقديره فإذاً هي بارزة واقعة يعني أنها من قربها كأنها وقعت ثم ابتدأ فقال ﴿ **شاخصة أبصار الذين كفروا** ﴾ على تقديم الخبر على المبتدأ .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم أنهم لا يرجعون إلى الدنيا وعدهم بالرجوع إلى الآخرة وبيَّن علامة ذلك فقال ﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج** ﴾ أي فتحت جهتهم والمعنى انفرج سدّ يأجوج ومأجوج بسقوط أو هدم أو كسر وذلك من إشراط الساعة ﴿ **وهم من كل حدب**

(١) الاحصاب : إثارة الحصاء وهو كناية عن إثارة الفتنة .

(٢) كان امرؤ القيس مفركاً لا تحبه النساء ولا تكاد امرأة تصبر معه ، يخاطب في هذا البيت امرأة ويقول لها إن سائك خلقي فانزعي نفسي من نفسك .

**ينسلون** ﴾ أي وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون عن قتادة وابن مسعود والجبائي وأبي مسلم يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين وقيل إن قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم إلى الحشر عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث يعني القبر ويدل عليه قوله ﴿ **فإذا هم من الأجداث** ﴾ إلى ربهم ينسلون ﴿ **واقترب الوعد الحق** ﴾ أي الموعود الصدق ومعناه اقترب قيام الساعة ﴿ **فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا** ﴾ معناه فإذا القصة أن أبصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم أي لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهو له ينظرون إلى تلك الأهوال عن الكلبي ﴿ **يا ويلنا** ﴾ أي يقولون يا ويلنا ﴿ **قد كنّا في غفلة من هذا** ﴾ اشتغلنا بأمور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه ﴿ **بل كنا ظالمين** ﴾ بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره ثم قال سبحانه ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله** ﴾يعني الأصنام ﴿ **حصب جهنم** ﴾ أي وقودها عن ابن عباس وقيل حطبها عن مجاهد وقتادة وعكرمة وأصل الحصب الرمي فالمراد أنهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك وأبي مسلم ويسأل على هذا فيقال أن عيسى (ع) قد عُبد والملائكة قد عبدوا والجواب أنهم لا يدخلون في الآية لأن ما لما لا يعقل ولأن الخطاب لأهل مكة وإنما كانوا يعبدون الأصنام فإن قيل فأيّ فائدة في إدخال الأصنام النار وقيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فتكون زيادة في حسرتهم وغمهم ويجوز أن يرمى بها في النار توبيخاً للكفار حيث عبدوها وهي جماد لا تضرّ ولا تنفع وقيل إن المراد بقوله ﴿ **وما يعبدون من دون الله الشياطين** ﴾ دعوهم إلى عبادة غير الله فأطاعوهم كما قال يا أبت لا تعبد الشيطان ﴿ **أنتم لها واردون** ﴾ خطاب للكفار أي أنتم في جهنم داخلون وقيل إن معنى لها إليها لقوله ﴿ **بأن ربك أوحى لها** ﴾ أي إليها ﴿ **لو كان هؤلاء** ﴾ الأصنام والشياطين ﴿ **إلهة** ﴾ كما تزعمون ﴿ **ما وردوها** ﴾ أي ما دخلوا النار ولامتنعوا منها ﴿ **وكل** ﴾ من العابد والمعبود ﴿ **فيها** ﴾ أي في النار ﴿ **خالدون** ﴾ دائمون ﴿ **لهم فيها زفير** ﴾أي صوت كصوت الحمار وهو شدة تنفسهم في النار عند إحراقها لهم ﴿ **وهم فيها لا يسمعون** ﴾ أي لا يسمعون ما يسرُّهم ولا ما ينتفعون به وإنما يسمعون صوت المعذّبين وصوت الملائكة الذين يعذّبونهم ويسمعون ما يسوءهم عن الجبائي وقيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم إنّ في النار أحداً يعذّب غيره عن عبد الله بن مسعود قالوا ولما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن الزبعري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فال يا محمد ألست تزعم أن عزيراً رجل صالح وإن عيسى (ع) رجل صالح وإن مريم امرأة صالحة قال بلى قال فإن هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار فأنزل الله هذه الآية ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى** ﴾

أي الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعادة عن ابن زيد وكأنه يذهب إلى الكلمة بأنه سيسعد أو إلى العدة لهم على طاعتهم فأنث الحسنى ﴿ **أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها** ﴾ أي يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذي يحس ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم** ﴾ من نعيم الجنة وملاذها ﴿ **خالدون** ﴾ أي دائمون والشهوة طلب النفس اللذة يقال إشتهى شهوة وقيل إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير ومريم والملائكة الذين عبدوا من دون الله وهم كارهون إستثناهم من جملة ما يعبدون من دون الله عن الحسن ومجاهد وقيل إن الآية عامة في كل من سبقت له الموعدة بالسعادة ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر** ﴾ أي الخوف الأعظم وهو عذاب النار إذا أطبقت على أهلها عن سعيد بن جبير وابن جريج وقيل هو النفخة الأخيرة لقوله ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله عن ابن عباس وقيل هو حين يؤمر بالعبد إلى النار عن الحسن وقيل هو حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادى يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أمَّ به قوماً محتسباً ورجل أذَّن محتسباً ومملوك أدّى حق الله عزّ وجلّ وحق مواليه ﴿ **وتتلقاهم الملائكة** ﴾ أي تستقبلهم الملائكة بالتهنئة يقولون لهم ﴿ **هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾ في الدنيا فأبشروا بالأمن والفوز .

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ
أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى
ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ
أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ
أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ

ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر تطوى بالتاء والضم السماء بالرفع والباقون نطوى بالنون السماء بالنصب وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر للكتب على الجمع والباقون للكتاب وقرأ حفص قال رب والباقون قل ربي وقرأ أبو جعفر رب إحكم بضم الباء وقرأ زيد عن يعقوب ربي إحكم وهو قراءة ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن والباقون رب إحكم وفي الشواذ قراءة الحسن كطي السجل بسكون الجيم وقراءة أبي زرعة بن عمرو السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقراءة أبي السماك السجل بفتح السين وسكون الجيم .

[ **الحجة** ] من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به ومن قرأ يوم نطوي السماء فالفاعل هو الله سبحانه والمعنى واحد وفي إن إنتصاب يوم وجهان عند أبي علي ( أحدهما ) أن يكون بدلاً من الهاء المحذوفة من الصلة ألا ترى إن المعنى هذا يومكم الذي توعدونه والآخر أن يكون منتصباً بنعيده والمعنى نعيد الخلق إعادة كإبتدائه أي كإبتداء الخلق ومثله في المعنى كما بدأكم تعودون وتقديره كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف في الموضعين وأقام المضاف إليه مقامه والمعنى يعود خلقكم عوداً كبدئه ومثله في المعنى كما بدأنا أول خلق نعيده ومن أفرد الكتاب ولم يجمع فإنه واحد يراد به الكثرة ومن قرأ للكتب فإن المراد به الجمع ومن قرأ قال رب أراد قال الرسول ومن قرأ قل فهو على قل أنت يا محمد وقراءة أبي جعفر رب إحكم معناه يا رب إحكم وهي ضعيفة عند النحويين البصريين وقد جاء مثله في المثل وهو قولهم : أصبح ليل وأطرق كراً وافتد مخنوق أي يا ليل ويا كروان ويا مخنوق وقد جاء في الشعر وهو :

عَجِبْتُ لِعَطَّارٍ أَتَانَا يَسُومُنَا ... بِدِسْكِرَةِ المَرَّانِ دُهْنَ الْبَنَفْسَجِ (١)
فَقُلْتُ لَهُ عَطَّارُ هَلاّ أَتَيْتَنَا ... بِنَوْرِ الخَزامى أَوْ بِخَوْصَةِ عَرْفَجِ

---

(١) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه بناء للخدم والحشم . ومران : موضع . وخزامى : نبت طيب الريح كذا العرفج .

أراد يا عطار ومن قرأ رب إحكم فالمعنى ظاهر .

[ **الإعراب** ] الكاف في قوله ﴿ **كطي السجل** ﴾ في محل النصب لأنه صفة مصدر محذوف تقديره نطوي السماء طيّاً مثل طيّ السجل فإن كان السجل إسماً للصحيفة فالمصدر الذي هو طي مضاف إلى المفعول في المعنى وإن كان إسم ملك أو كاتب فهو مضاف إلى الفاعل في المعنى فإن كان مفعولاً كان اللام بمعنى من أجل وإن كان فاعلاً كان اللام للإختصاص وعدا علينا منصوب على المصدر قال الزجاج لأن قوله ﴿ **نعيده** ﴾ بمعنى قد وعدنا ذلك والأجود أن يقدّر عاملاً محذوفاً لأن القرّاء يقفون على قوله ﴿ **نعيده** ﴾ قال جامع العلوم الكاف في كما بدأنا من صلة نعيده وإن كان متقدماً ومثله كما علّمه الله فليكتب رحمة للعالمين نصب على الحال أو على أنه مفعول له وإنما إلّهكم إلّه واحد في محل رفع بإسناد يوحي إليه وقيامه مقام الفاعل وعلى سواء في موضع نصب على الحال من الفاعلين والمفعولين والتقدير أذنتكم واستوينا نحن وأنتم فيكون الحال من الفريقين ماتوعدون في موضع رفع بأنه فاعل قريب لأنه اعتمد على همزة الاستفهام فهو كقولهم أقائم أخوك ويجوز أن يكون مبتدءاً وقريب خبره وعلى الوجهين فهما مفعولا أدري أي أعلم علقتهما همزة الاستفهام والتقدير أقريب ما توعدون أم بعيد فبعيد عطف على قريب والنية فيه التأخير . وأن أدري لعله فتنة لكم مفعول أدري محذوف والتقدير ما أدري كيف يكون الحال .

[**المعنى**]﴿**يوم نطوي السماء**﴾المراد بالطي هنا هو الطي المعروف وأن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته وقيل إن طي السماء ذهابها عن الحس ﴿ **كطي السجل للكتب** ﴾ والسجل صحيفة فيها الكتب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي وعلى هذا فمعناه نطويها كما تطوى الصحيفة المجعولة للكتاب ويجوز أن يكون المراد بالكتاب المكتوب وقيل أن السجل ملك يكتب أعمال العباد عن أبي عمرو والسدي وقيل هو ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه عن عطا وقيل هو إسم كاتب كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس في رواية ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً[1] كذلك نعيدهم روي ذلك مرفوعاً وقيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناه أي قدرتنا إلى الإعادة كقدرتنا على الابتداء عن الحسن والزجاج وقيل معناه نهلك كل شيء كما كان أول مرة عن ابن عباس ﴿ **وعداً علينا** ﴾ أي وعدناكم ذلك وعداً ﴿ **إنا كنا فاعلين** ﴾ ما وعدناكم من ذلك ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) أن الزبور كتب الأنبياء ومعناه كتبنا

(١) الغرل جمع الأغرل : الأقلف وهو الذي لم يختن .

في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته في الذكر أي أم الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وهو إختيار الزجاج قال لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد وزبرت، كتبت ( وثانيها ) أن الزبور الكتب المنزلة بعد التوراة والذكر هوالتوراة عن ابن عباس والضحاك ( وثالثها ) أن الزبور زبور داود والذكر توراة موسى عن الشعبي وروي عنه أيضاً أن الذكر القرآن وبعد بمعنى قبل **﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾** قيل يعني أرض الجنة يرثها عبادي المطيعون عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد فهو مثل قوله **﴿ وأورثنا الأرض ﴾** وقوله **﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾** وقيل هي الأرض المعروفة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفتوح بعد إجلاء الكفار كما قال صلى الله عليه وآله وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها عن ابن عباس في رواية أخرى وقال أبو جعفر عليه السلام هم أصحاب المهدي ( ع ) في آخر الزمان ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما قد ملئت ظلماً وجوراً وقد أورد الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتاب البعث والنشور أخباراً كثيرة في هذا المعنى حدثنا بجميعها عنه حافده أبو الحسن عبيد الله بن محمد ابن أحمد في شهور سنة ثماني عشرة وخمسمائة ثم قال في آخر الباب فأما الحديث الذي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندي عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الناس إلا شحاً ولا الدنيا إلا إدباراً ولا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم فهذا حديث تفرّد به محمد بن خالد الجندي قال أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن خالد رجل مجهول واختلف عليه في إسناده فرواه مرة عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومرة عن إبان بن أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منقطع والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي ( ع ) أصحُّ إسنادا وفيها بيان كونه من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا لفظه ومن جملتها ما حدثنا أبو الحسن حافده عنه قال أخبرنا أبو علي الروذباري قال أخبرنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود السجستاني في كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقري عن زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منّي أو من أهل بيتي وفي بعضها يواطىء إسمه إسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما

ملئت ظلماً وجوراً وبالإسناد قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال حدثني عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثني أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة (ع) ﴿ **إن في هذا** ﴾ يعني إن في الذي أخبرناكم به مما توعدنا به الكفار من النار والخلود فيها وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها وقيل معناه إن في هذا القرآن ودلائله ﴿ **لبلاغاً** ﴾ أي كفاية ووصلة إلى البغية والبلاغ سبب الوصول إلى الحق ﴿ **لقوم عابدين** ﴾ لله مخلصين له قال كعب هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يصلّون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سمّاهم عابدين ﴿ **وما أرسلناك** ﴾ يا محمد ﴿ **إلا رحمة للعالمين** ﴾ أي نعمة عليهم قال ابن عباس رحمة للبرِّ والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والمسخ وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآية هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فآمنت بك لما أثنى الله عليّ بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وقد قال إنما أنا رحمة مهداة وقيل إن الوجه في أنه نعمة على الكافر أنه عرضه للإيمان والثواب الدائم وهداه وإن لم يهتد كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه وإن لم يقبل وفي الآية دلالة على بطلان قول أهل الجبر في أنه ليس لله على الكافر نعمة لأنه سبحانه بيِّن أنَّ في إرسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمةعلى العالمين وعلى كل من أرسل إليهم ثم قال له(ع)﴿**قل إنما يوحى إليّ إنما إلٰهكم إلٰه واحد فهل أنتم مسلمون** ﴾ أي مستسلمون منقادون لذلك بأن تتركوا عبادة غير الله وقيل معناه الأمر أي أسلموا كقوله ﴿ **فهل أنتم مُنتهون**﴾ أي انتهوا ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي أعرضوا ولم يسلموا ﴿ **فقل آذنتكم** ﴾ أي أعلمتكم بالحرب ﴿ **على سواء** ﴾ أي إيذاناً على سواء إعلاماً نستوي نحن وأنتم في علمه لا إستيذاناً به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم ومثله قوله ﴿ **فانبذ إليهم على سواء** ﴾ وقيل معناه أعلمتكم بما يجب الإعلام به على سواء في الإيذان لم أبين الحق لقوم دون قوم ولم أكتمه لقوم دون قوم وفي هذا دلالة على بطلان قول أصحاب الرموز وإن للقرآن بواطن خصَّ بالعلم بها أقوام ﴿ **وأن أدري** ﴾ أي وما أدري ﴿ **أقريب أم بعيد ما توعدون** ﴾ يعني أجل يوم القيامة فإنَّ الله تعالى هو العالم بذلك وقيل معناه أذنتكم بالحرب ولا أدري متى أؤذن فيه ﴿ **إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون** ﴾ أي إن الله يعلم السر والعلانية ﴿ **وإن أدري** ﴾ أي وما أدري ﴿ **لعله** ﴾ كناية عن غير مذكور ﴿ **فتنة لكم** ﴾ أي لعل ما أذنتكم به اختيار لكم وشدة تكليف ليظهر صنيعكم عن الزجاج وقيل لعل

هذه الدنيا فتنة لكم عن الحسن وقيل لعل تأخير العذاب محنة واختبار لكم لترجعوا عما أنتم عليه ﴿ **ومتاع إلى حين** ﴾ أي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم ﴿ **قل رب إحكم بالحق** ﴾ أي فوّض أمورك يا محمد إلى الله وقل يا رب إحكم بيني وبين من كذّبني بالحق قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا شهد قتالاً قال رب إحكم بالحق أي أفصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقيل معناه احكم بحكمك الحق وهو إظهار الحق على الباطل ﴿ **وربنا الرحمن** ﴾ الذي يرحم عباده ﴿ **المستعان** ﴾ الذي يعينهم في أمورهم فجمع بين الرحمة والمعونة اللتين تضمنتا أصول النعم ﴿ **على ما تصفون** ﴾ من كذبكم وباطلكم في قولكم هل هذا إلا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولداً وقيل معناه وربنا الرحمن المستعان على دفع ما تصفون .

# (٢٢) سورة الحج مدنية وآياتها ثمان وسبعون

مكية عن ابن عباس وعطا إلا آيات قال الحسن هي مدنية غير آيات نزلت في السفر وقال بعضهم غير ست آيات وقال بعضهم غير أربع .

[ عدد آيها ] ثمان وسبعون آية كوفي سبع مكي وست مدني خمس بصري أربع شامي .

[ إختلافها ] خمس آيات الحميم والجلود كلاهما كوفي وعاد وثمود غير الشامي وقوم لوط حجازي كوفي سماكم المسلمين مكي .

[ فضلها ] أبي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجّها وعمرة اعتمرها بعدد من حجَّ واعتمر فيما مضى وفيما بقي وقال أبو عبد الله ( ع ) من قرأها في كل ثلاثة أيام لم يخرج من سنة حتى يخرج إلى بيت الله الحرام وإن مات في سفره دخل الجنة .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سورة الأنبياء بالدعاء إلى التوحيد والإعلام بأن نبيَّه رحمة للعالمين إفتتح هذه السورة بخطاب المكلفين ليّتقوا الشرك ومخالفة الدين فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ
شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ
ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم
مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ
عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سَكرى وما هم بسَكرى والباقون سكارى في الموضعين وفي الشواذ قراءة الأعرج والحسن بخلاف سُكرى بضم السين وقرأ أبو جعفر وربأت بالهمزة هاهنا وفي حم والباقون وربت .

[ **الحجة** ] قالوا رجل سكران وامرأة سكرى والجمع سُكارى وسكارى بضم السين وفتحها إلا أن القراءة بالضم وأما سَكرى في الجمع فهو مثل صرعى وجرحى وذلك لأن السكر كأنه علة لحقت عقولهم كما أن الصرع والجرح علة لحقت أجسامهم وفعلى مختص في الجمع بالمبتلين كالمرضى والسقمى والهلكى وأما سُكرى بالضم فيجوز أن يكون إسماً مفرداً على فعلى بمعنى الجمع وأما قوله ﴿ ربت ﴾ فهو من ربا يربو إذا زاد وأما الهمز فيمن ربأت القوم إذا أشرفت عليهم عالياً لتحفظهم وهذا كأنه ذهب إلى علو الأرض لما فيها من إفراط الربو فإذا وصف علوها دلَّ على أن الزيادة شاعت فيها .

[ اللغة ] الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة وقيل إن أصله زل فضوعف للمبالغة وأثبته البصريون قالوا إن زل ثلاثي وزلزل رباعي وإن اتفق بعض الحروف في الكلمتين لأنه لا يمتنع مثل هذا ألا ترى أنهم يقولون دمث ودمثر وسبط وسبطر وليس أحدهما مأخوذاً من الآخر وإن كان معناهما واحداً لأن الزاي ليست من حروف الزيادة والزلزال بالفتح الإسم قال الشاعر :

يَعْرِفُ الْجاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّ هْرَ فِيهِ النَّكْراءُ وَالزَّلْزالُ

والذهول الذهاب عن الشيء دهشاً وحيرة يقال ذهب عنه يذهلَ ذهولاً وذَهْلا بمعنى والذهل السلو قال « صَحا قَلْبُهُ يا عِزَّ أَوْ كادَ يَذْهَلُ »[1] والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة والحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر أو على رأس والمريد المتجرد للفساد وقيل إن أصله الملاسة فكأنه متملس من الخير ومنه صخرة مرداء أي ملساء ومنه الأمرد والممرد من البناء المتطاول المتجاوز والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم والهمود الدروس والدثور قال الأعشى :

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسْمِكَ شاحِباً وَأَرى ثِيابَكَ بالِياتٍ هُمَّداً[2]

والبهيج الحسن الصورة .

[ الإعراب ] العامل في يوم ترونها قوله ﴿ تذهل ﴾ أي تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عما أرضعته ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون التقدير تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عن إرضاعها ولدها ومفعول أرضعت محذوف على الوجهين ومرضعة جار على الفعل يقال امرأة مرضع أي ذات إرضاع أرضعت ولدها أو أرضعته غيرها ومرضعة ترضع قال امرؤ القيس :

وَمِثْلِكِ حُبْلى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُها عَنْ ذي تَمائِمَ مُحْوِلِ[3]

وسكارى نصب على الحال وإن جعلت ترى بمعنى الظن فهو المفعول الثاني له كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله الهاء في عليه يعود إلى الشيطان والهاء في أنه يحتمل وجهين أن يكون ضمير الأمر والشأن وأن يكون عائداً إلى الشيطان وإنما فتحت أن في قوله ﴿ فأنه

(١) « عز » مرخم عزة : علم امرأة .

(٢) الشاحب : المتغير اللون من هزل أو مرض أو سفر .

(٣) هذا بيت من معلقه ، المشهورة . يقول فرب امرأة حبلى وامرأة ذات رضيع أتيتها ليلاً فشغلتها عن ولدها الذي علقت عليه العود وقد أتى عليه حول كامل فخدعت مثلهما مع اشتغالهما بأنفسهما فكيف تتخلصين عني ؟

يضله ﴾ على أحد وجهين أن يكون عطفاً على الأولى للتأكيد والمعنى كتب عليه أنه من تولاه يضله وتأويله كتب على الشيطان إضلال متوليه وهدايتهم إلى عذاب السعير وهذا قول الزجاج وفيه نظر لأن الأصل في التوكيد أن لا يدخل حرف العطف بين المؤكد والمؤكد فالقول الصحيح فيه أن يكون على معنى فالشأن أنه يضله فيكون مبنياً على مبتدأ مضمر ونقر مرفوع بالعطف على خلقناكم أو للإستئناف ويكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نقر . وما نشاء يجوز أن يكون مفعول نقر ويجوز أن يكون ظرف زمان ويكون مفعول نقر محذوفاً وتقديره ونقر في الأرحام الولد مدة مشيئتنا وطفلاً منصوب على الحال ثم لتبلغوا أي لأن تبلغوا والجار والمجرور معطوف على محذوف تقديره لترضعوا وتشبوا ثم لتبلغوا أشدكم لكيلا يعلم إذا إجتمع اللام بمعنى كي مع كي فالحكم للام وكي يكون بمعنى أنْ واللام يتعلق بيُرَدّ .

[ النزول ] قال عمران بن الحصين وأبو سعيد الخدري نزلت الأيتان من أول السورة ليلاً في غزاة بني المصطلق وهم حيٌّ من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحثّوا المطي، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس من بين باك أي جالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون أيّ يوم ذاك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم أبعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم وكم فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يا رسول الله فقال أبشروا فإن معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلا كثرتاه ما أنتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الأسود أو كرقم في ذراع البكر أو كشامة في جنب البعير ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبّروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي ثم قال ويدخل من أمتي، سبعون ألفاً الجنة بغير حساب وفي بعض الروايات أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله سبعون ألفاً قال نعم ومع كل واحد سبعون الفاً فقام عكاشه بن محصن فقال يا رسول الله إدع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم إجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال إدع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عباس كان الأنصاري منافقاً فلذلك لم يدع له .

[ المعنى ] خاطب الله سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾

معناه يا أيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم واخشوا معصية ربكم كما يقال إحذر الأسد والمراد إحذر افتراسه لا عينه ﴿ إن زلزلة الساعة ﴾ أي زلزلة الأرض يوم القيامة عن ابن عباس والحسن والسدي والمعنى أنها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقيل إن هذه الزلزلة قبل قيام الساعة وإنما أضافها إلى الساعة لأنها من إشراط ظهورها وآيات مجيئها عن علقمة والشعبي ﴿ شيء عظيم ﴾ أي أمر عظيم هائل لا يطاق وقيل معناه أن شدة يوم القيامة أمر صعب وفي هذا دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً فإن الله سبحانه سمّاها شيئاً وهي معدومة ﴿ يوم ترونها ﴾ معناه يوم ترون الزلزلة أو الساعة ﴿ تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴾ أي تشغل كل مرضعة عن ولدها وتنساه وقيل تسلو عن ولدها ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ أي تضع الحبالى ما في بطونها وفي هذا دلالة على أن الزلزلة تكون في الدنيا فإن الرضاع ووضع الحمل إنما يتصور في الدنيا قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ومن قال إن المراد به يوم القيامة قال أنه تهويل لأمر القيامة وتعظيم لما يكون فيه من الشدائد أي لو كان ثم مرضعة لذهلت أو حامل لوضعت وإن لم يكن هناك حامل ولا مرضعة ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ من شدة الخوف والفزع ﴿ وما هم بسكارى ﴾ من الشراب وقيل معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمرُّ بهم لأنهم يضطربون أضطراب السكران ثم علّل سبحانه ذلك فقال ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ هذا إخبار عن المشركين الذين يخاصمون في توحيد الله سبحانه ونفي الشرك عنه بغير علم منهم بل للجهل المحض وقيل إن المراد به النضر بن الحرث فإنه كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وينكر البعث ﴿ ويتّبع كل شيطان مريد ﴾ يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال وإن كان المراد بالآية النضر بن الحرث فالمراد بالشيطان المريد شيطان الإنس لأنه كان يأخذ من الأعجام واليهود ما يطعن به على المسلمين ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ﴾ معناه أنه يتبع كل شيطان كتب الله على ذلك الشيطان في اللوح المحفوظ أنه يضل من تولاه فكيف يتبع مثله ويعدل بقوله عمن دعاه إلى الرحمة وقيل معناه كتب على الشيطان أنه من تولاه أضلّه الله تعالى وقيل معناه كتب على المجادل بالباطل إن من اتبعه وولاه يضله عن الدين ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ ثم ذكر سبحانه الحجة في البعث لأن أكثر الجدال كان فيه فقال ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب ﴾ أي في شك ﴿ من البعث ﴾ والنشور والريب أقبح الشك ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ معناه فالدليل على صحته أنا خلقنا أصلكم وهو آدم (ع) من تراب فمن قدر على أن يصير التراب بشراً سوياً حيّاً في الإبتداء

قدر على أن يحيي العظام ويعيد الأموات ﴿ ثم من نطفة ﴾ معناه ثم خلقنا أولاده ونسله من نطفة في أرحام الأمهات وهي الماء القليل يكون من الذكر والأنثى وكل ماء صاف فهو نطفة قلَّ أم كثر ﴿ ثم من علقة ﴾ بأن تصير النطفة علقة وهي القطعة من الدم الجامد ﴿ ثم من مضغة ﴾ أي شبه قطعة من اللحم ممضوغة فإن معنى المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم ﴿ مخلّقة وغير مخلقة ﴾ أي تامة الخلق وغير تامة عن ابن عباس وقتادة وقيل مصورة وغير مصورة وهي ما كان سقطاً لا تخطيط فيه ولا تصوير عن مجاهد ﴿ لنبيّن لكم ﴾ معناه لندلّكم على مقدورنا بتصريفكم في ضروب الخلق أو لنبيّن لكم أن من قدر على الإبتداء قدر على الإعادة أو لنبيّن لكم ما يزيل ريبكم فحذف المفعول ﴿ ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ معناه ونبقي في أرحام الأمهات ما نشاء إلى وقت تمامه عن مجاهد وقيل ونقرّ من قدرنا له أجلاً مسمى في رحم أمه إلى أجله ﴿ ثم نخرجكم طفلاً ﴾ أي نخرجكم من بطون أمهاتكم وأنتم أطفال والطفل الصغير من الناس وإنما وحّد والمراد به الجمع لأنه بمعنى المصدر كقولهم رجل عدل ورجال عدل وقيل أراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ وهو حال اجتماع العقل والقوة وتمام الخلق وقيل هو وقت الاحتلام والبلوغ وقد سبق تفسير الأشد واختلاف العلماء في معناه ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ أي قبل بلوغ الأشد أي يقبض روحه فيموت في حال صغره أو شبابه ﴿ ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر ﴾ أي أسوأ العمر وأخبثه عند أهله وقيل أحقره وأهونه وهي حال الخوف وإنما صار أرذل العمر لأن الإنسان لا يرجو بعده صحة وقوة وإنما يرتقب الموت والفناء بخلاف حال الطفولية والضعف الذي يرجى له الكمال والتمام بعدها ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ أي لكيلا يستفيد علماً وينسى ما كان به عالماً وقيل معناه لكي يصير إلى حال ينعدم عقله أو يذهب عنه علومه هرماً فلا يعلم شيئاً مما كان علمه وإذا ذهب أكثر علومه جاز أن يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة واحتجّ بقوله ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي قرأوا القرآن ثم ذكر سبحانه دلالة أخرى على البعث فقال ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ يعني هالكة عن مجاهد أي يابسة دارسة من أثر النبات ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء ﴾ وهو المطر ﴿ اهتزت ﴾ أي تحركت بالنبات والاهتزاز شدة الحركة في الجهات ﴿ وربت ﴾ أي زادت أي أضعفت نباتها وقيل إنتفخت لظهور نباتها عن الحسن ﴿ وأنبتت ﴾ يعني الأرض ﴿ من كل زوج ﴾ أي من كل صنف ﴿ بهيج ﴾ مؤنق للعين حسن الصورة واللون .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ

وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ
عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

[ الإعراب ] ثاني عطفه منصوب على الحال تقديره ثانياً عطفه له في الدنيا خزي له خزي مبتدأ وخبر وفي يتعلق بما يتعلق به اللام والمبتدأ وخبره في محل الرفع بأنه خبر . من يجادل خبر بعد خبر . ذلك بأن الله هو الحق وذلك بما قدمت يداك يجوز أن يكون ذلك مبتدءاً والجار والمجرور في موضع الخبر ويجوز أن يكون التقدير الأمر ذلك فيكون ذلك خبر مبتدأ محذوف .

[ المعنى ] لمّا قدَّم سبحانه ذكر الأدلة عقَّبه بما يتصل به فقال ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ معناه ذلك الذي سبق ذكره من تصريف الخلق على هذه الأحوال وإخراج النبات بسبب أن الله هو الحق أي ليعلموا أنه الذي يحقّ له العبادة دون غيره وقيل هو الذي يستحق صفات التعظيم ﴿ **وأنه يحيي الموتى** ﴾ لأن من قدر على إنشاء الخلق فإنه يقدر على إعادته ﴿ **وإنه على كل شيء قدير** ﴾ أما المعدومات فيقدر على إيجادها وأما الموجودات فيقدر على إفنائها وإعادتها ويقدر على جميع الأجناس ومن كل جنس على ما لا نهاية له ﴿ **وإن الساعة آتية لا ريب فيها** ﴾ أي وليعلموا أن القيامة آتية لا شك فيها ﴿ **وإن الله يبعث من في القبور** ﴾ أي يحييهم للجزاء لأن ما ذكرناه يدل على البعث على الوجه الذي بيّناه ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** ﴾ سبق تفسيره ﴿ **ولا هدى** ﴾ أي لا يرجع فيما يقوله إلى علم ولا دلالة ﴿ **ولا كتاب منير** ﴾ أي مضيء له نور يؤدّي من تمسك به إلى الحق والمعنى أنه لا يتبع أدلة العقل ولا أدلة السمع وإنما يتبع الهوى والتقليد وفي هذا دلالة على أن الجدال بالعلم صواب وبغير العلم خطأ لأن الجدال بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق وبغير العلم يدعو إلى

إعتقاد الباطل ﴿ ثاني عطفه ﴾ أي متكبراً في نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه إذا تكبر وتجبَّر وعطفا الرجل جانباه من عن يمين أو شمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وقيل معناه لاوي عنقه إعراضاً وتكبّراً عن الله ورسوله عن قتادة ومجاهد ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أي ليضلَّ الناس عن الدين ومن فتح الياء أراد ليضل هو عن طريق الحق المؤدّي إلى توحيد الله ﴿ له في الدنيا خزي ﴾ أي هوان وذل وفضيحة بما يجري له على ألسنة المؤمنين من الذم وبالقتل وغير ذلك ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ أي النار التي تحرقهم ﴿ ذلك ﴾ أي يقال له ذلك العذاب ﴿ بما قدمت يداك ﴾ أي بما كسبت يداك ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ في تعذيبه لأن الله لا يظلم ولا يعاقب إبتداء ولا يزيد على الجزاء وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة الذين ينسبون كل ظلم في العالم إلى الله تعالى .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ روح وزيد عن يعقوب خاسر الدنيا والآخرة بالجر وهو قراءة مجاهد وحميد بن قيس والباقون خسر بغير ألف والآخرة بالنصب وقرأ أهل البصرة وابن عامر وورش

ثم ليقطع بكسر اللام والباقون بسكونها وكذلك ثم ليقضوا وزاد ابن عامر وليـوفوا وليـطوّفوا بالكسر فيهما أيضاً وقـرأ أبو بكـر وليوفـوا بتشديـد الفاء والأعشـى عنـه بكسر الـلام أيضاً والباقون وليوفوا ساكنة الواو خفيفة الفاء .

[ **الحجة** ] من قرأ خسر الدنيا والآخرة فإن هذه الجملة تكون بدلاً من قوله ﴿ **انقلب على وجهه** ﴾ فكأنه قال وإن أصابته فتنة خسر الدنيا والآخرة ومثله قول الشاعر :

إنْ يَجْبُنُـوا أَوْ يَغْـدِرُوا أَوْ يَبْخَلُوا لا يَحْفِلُوا يَغْـدُوا عَلَيْـكَ مُـرَجَّلِينَ كَـأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فقوله ﴿ **يغدوا عليك** ﴾ بدل من لا يحفلوا ومن قرأ خاسر الدنيا والآخرة فإنه منصوب على الحال وأما قوله ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ فإن أصل هذه اللام الكسر فإذا دخلها الواو والفاء أو ثم فمن أسكنها مع الفاء والواو فإن الفاء والواو يصيران كشيء واحد في نفس الكلمة لأن كـل واحد منهما لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف وفخذ فأما ثم فهو منفصل عن الكلمة وليست كالواو والفاء فمن أسكن اللام معها شبَّه الميم في ثم بالفاء والواو وجعله كقولهم أراك مُنْتَفْخاً كقول العجاج ( أَراكَ مُنْتَصْباً وَما تَكَرْدَسا ) ومثل ذلك قولهم وَهْيَ فَهْيَ .

[ **اللغة** ] الحرف والطرف والجانب نظائر والإطمئنـان التمكن والفتنة هـاهنا المحنـة والإنقلاب الرجوع والعشير الصاحب المعاشر أي المخالط والنصرة المعونة وقيل إن النصرة هاهنا الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من أعطاني أعطاه الله قال الفقعسي(١) .

وَإِنَّـكَ لا تُـعْـطِي امْـرءاً فَـوْقَ حَـظِّهِ وَلا تَمْلِكُ الشِّقَ الَّـذِي الْغَيْـثُ نَـاصِـرُهُ

أي معطيه وجائده ويقال نصر الله أرض فلان أي جاد عليهـا بالمـطر والسبب كل مـا يتوصل به إلى الشيء ومنه قيل للحبل سبب وللطريق سبب وللباب سبب .

**الإعراب** ] يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه قال الزجاج إختلف الناس في تفسير هذه اللام فقال البصريون والكوفيون معنى هذه اللام التأخير والتقدير يدعو من لضـرّه أقرب من نفعه ولم يشرحـوه قال وشـرحه أن الـلام لليمين والتوكيـد فحقها أن تكـون في أول الكلام فقدمت لتجعل في حقها وإن كان أصلها أن يكون في آخره كما أن لام أن حقها أن تكون في الإبتداء فلما لم يجز أن تلي إن جعلت في الخبر مثل قولك أن زيداً لقائم فهذا قول وقالوا أيضاً أن يدعو معه هاء مضمرة وإن ذلك في موضع رفع ويدعو في موضع الحال المعنى ذلك

(١) ونسبه الشريف المرتضى في الأمالي إلى مضرس بن ربعى .

**هو الضلال البعيد يدعوه أي في حال دعائه إياه ويكون لمن ضره أقرب مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء وخبره لبئس المولى ولبئس العشير وفيه وجه آخر أغفله الناس وهو أن يكون ذلك في تأويل الذي وهو في موضع نصب لوقوع يدعو عليه ويكون لمن ضرّه مستأنفاً وهو مثل قوله وما تلك بيمينك يا موسى ومعناه وما التي بيمينك وقال أبو علي ان اللامات التي هي حروف دالة على معان سوى الجارة والتي للأمر على أربعة أضرب ( أحدها ) تدخل على خبر ان إذا** خففت **أو** على غير خبرها ليفصل بين أن النافية والمؤكدة مثل قوله وإن كانوا ليقولون وإن كاد ليضلنا ( والثاني ) يختص بالدخول على الفعل المضارع والماضي ويكون جواباً للقسم نحو قوله ﴿ **لأملئن جهنم** ﴾ وقول امرىء القيس « لَنَامُوا فَمَا إن مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ »[1] ( والثالث ) يدخل في الشرط إذا كان جزاؤه معتمداً على قسم نحو قوله ﴿ **ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا** ﴾ ( والرابع ) يختص بالدخول على الأسماء المبتدأة وهي التي تدخل على خبر أن ويدخل على الفعل لمضارع إذا كان للحال وكان خبراً لأن وهو أحد جهتي مضارعة الفعل المضارع للاسم وقد تدخل هذه اللام في ضرورة الشعر على خبر المبتدأ في غير أن وذلك كقوله « أُمُّ الحُلَيْس لَعَجُوزٌ شَهْرَبَة »[2] وكما حكى أبو الحسن في حكاية نادرة أن زيداً وجهه لحسن فإذا كان هذه اللام حقّها أن تدخل على المبتدأ أو على إسم أن أو خبرها من حيث أدخلها على المبتدأ وكان دخولها على خبر المبتدأ ضرورة مع أنه المبتدأ في المعنى فدخوله في الموصول والمراد به الصلة ينبغي أن لا يجوز لأن الصلة ليست بالموصول كما أن خبرَ المبتدأ المبتدأ فمن زعم أن اللام في لمن ضرّه حكمها أن تكون في المبتدأ الذي في الصلة ثم قدّم على الموصول كان مخطئاً وأيضاً فإن اللام إذا كان حكمه أنه يكون في الصلة ثم قدّم على الموصول فذلك غير سائغ كما أن سائر ما يكون في الصلة لا يتقدّم على الموصول قال والوجه في ذلك أن يجعل قوله ﴿ **يدعو** ﴾ تكراراً للفعل الأول على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء من فاعله ولا تجعلها متعدية إذ قد تعدت مرّة ويجوز أن تجعل مع يدعو هاء مضمرة ويكون في موضع نصب على الحال من ذلك فكأنه قال ذلك هو الضلال البعيد مدعواً ويجوز أن تجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعو على أن يكون ذلك في معنى الذي يكون هو الضلال البعيد صلته كما قال أبو إسحاق أيضاً فتكون اللام في هذه الوجوه داخلة على اسم مبتدأ موصول ولا موضع للجملة التي هي لمن ضرّه أقرب من نفعه

---

(١) وقبله « حلفت لها بالله حلفة فاجر » والشعر بتمامه في جامع الشواهد .

(٢) وبعده « ترضى من اللحم بعظم الرقبة » والشعر في جامع الشواهد .

الآية لأنها لا تقع موقع مفرد ويكون اللام في قوله ﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ في موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ وتكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه وأقول إن إعرابه على الوجه الأول أن يكون ما لا يضرُّه مفعول يدعو وما لا ينفعه معطوفاً عليه وذلك مبتدأ وهو الضلال البعيد خبره ويدعو تكراراً للفعل الأول وعلى الوجه الثاني يكون يدعو حالاً من معنى الإشارة في ذلك وعلى الوجه الثالث يكون ذلك إسماً موصولاً بمعنى الذي والجملة صلته والموصول والصلة في موضع نصب بأنه المفعول ليدعو واللام في لمن ضره لام الابتداء والموصول والصلة في موضع رفع بالإبتداء ولبئس المولى جواب القسم والقسم والمقسم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والعائد إلى المبتدأ هو الضمير المحذوف من الجملة لأن التقدير لبئس المولى هو ولبئس العشير هو قال الزجاج وفيه وجه آخر وهو أن يكون يدعو في معنى يقول ويكون من في موضع رفع وخبره محذوف ويكون المعنى لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي ومثله قول عنترة :

يَــدْعُـونَ عَنْتَـرَ وَالـرِّمَـاحُ كَـأَنَّهـا ... أَشْـطَانُ بِئْـرٍ فِي لَبَـانِ الأَدْهَمِ (١)

أي يقولون يا عنتر ويجوز أن يكون يدعو في معنى يسمى كما قال ابن أحمر :

أَهْـوىٰ لَهـا مِشْقَصـاً حَشْـراً فَشَبْـرَقهـا ... وَكُنْتُ أَدْعُـو قَـذاهـا الإِثْمِـدَ الفَـرِد (٢)

وأقول إنما قال خبر المبتدأ هنا محذوف لأن من يعبد الصنم لا يقول لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفاً .

[ **النزول** ] قيل نزلت هذه الآية ومن الناس من يعبد الله على حرف في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة فكان أحدهم إذا صحَّ جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن إليه وإن أصابه وجع في المدينة وولدت امرأته جارية قال ما أصبت في هذا الدين إلا شرّاً عن ابن عباس .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر الكفار وما تعاطوه من الجدال ذكر سبحانه بعده حال مقلدة الضلال والدعاة إلى الضلال فقال ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف أي طرف حبل أو نحوه عن علي بن عيسى قال وذلك

(١) هذا بيت من المعلقة . الشطن : الحبل الذي يستقى به واللبان الصدر شبه النصل الطويل .
(٢) وسنان حشر أي دقيق . وشبرقها أي مزقها . والأثمد : حجر يكتحل به . والقذى : ما يقع في العين من تبنة وغيرها .

من اضطرابه في طريق العلم إذا لم يتمكن من الدلائل المؤدّية إلى الحق فينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلّها وقيل على حرف أي على شك عن مجاهد وقيل معناه انه يعبد الله بلسانه دون قلبه عن الحسن قال الدين حرفان أحدهما اللسان والثاني القلب فمن اعترف بلسانه ولم يساعده قلبه فهو على حرف **﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾** أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثرة مال اطمأنَّ على عبادة الله بذلك الخير **﴿وإن أصابته فتنة﴾** أي اختبار بجدب وقلة مال **﴿انقلب على وجهه﴾**أي رجع عن دينه إلى الكفر والمعنى انصرف إلى وجهه الذي توجَّه منه وهو الكفر**﴿خسر الدنيا والآخرة﴾**أي خسر الدنيا بفراقه وخسر الآخرة بنفاقه**﴿ذلك هو الخسران المبين﴾** أي الضرر الظاهر لفساد عاجله وآجله وقيل خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الآخرة الثواب والجنة **﴿يدعو من دون الله ما لا يضرُّه وما لا ينفعه﴾** أي يدعو هذا المريد بعبادته سوى الله ما لا يضرُّه إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده **﴿ذلك﴾** الذي فعل **﴿هو الضلال البعيد﴾** عن الحق والرشد يدعوه على الوجه الآخر معناه **﴿يدعو﴾** الذي هو الضلال البعيد **﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾** قال السدي يعني الذي ضرّه في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيداً قيل لضره انه أقرب من نفعه على معنى أنه كائن **﴿لبئس المولى﴾** أي لبئس الناصر هو **﴿ولبئس العشير﴾** أي الصاحب المعاشر المخالط هو يعني الصنم يخالطه العابد ويصاحبه ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الإيمان فقال **﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾** بالله وصدَّقوا رسله **﴿وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد﴾** بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأعدائه وأهل معصيته من الإهانة لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع ثم قال **﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾** الهاء في ينصره عائدة إلى النبي ﷺ عن ابن عباس وقتادة والمعنى من كان يظن أن الله لن ينصر نبيّه محمداً ﷺ ولا يعينه على عدوّه **﴿في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء﴾** أي فليشدد حبلاً في سقفه **﴿ثم ليقطع﴾** أي ليمدد ذلك الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً والمعنى فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله ناصره ولا ينفعه غيظه وهو قوله **﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾** أي صنعه وحيلته **﴿ما يغيظ﴾** ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده غيظه عن قتادة وأكثر المفسرين وقيل فليمدد بسبب إلى السماء معناه فليطلب شيئاً يصل به إلى السماء المعروفة ثم ليقطع نصر الله ووحي الله عن محمد ﷺ وليزل بكيده ما يغيظه من نصر الله له ونزول الوحي عليه أي لا يتهيأ له ذلك ولا سبيل له إليه فليتجرع ما يغيظه وإنما قال سبحانه ذلك على وجه التبعيد أي كما لا يتهيأ لهم الوصول إلى السماء كذلك لا يتهيأ لهم ازالة ما يغيظهم من أمر رسول الله ونصره على أعدائه دائماً وإنما ذكر السماء لأن النصر يأتيه من قبل السماء ومن

الملائكة عن أبي علي الجبائي وقيل ان الهاء في ينصره عائدة إلى من عن مجاهد والضحاك وأبي مسلم ثم اختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس أن الله لا ينصره فليجهد جهده وليصعد السماء ثم ليقطع المسافة فلينظر هل ينفعه كيده في ازالة غيظه لما يدعى إليه من دين الله فإن الذي حكم الله به لا يبطل بكيد الكائد عن أبي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق ويقال أرض منصورة أي ممطورة والمعنى من ظنَّ أن الله لا يرزقه في الدنيا والآخرة فليختنق نفسه أي لا يمكنه تكثير رزقه أي كما لا يقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد كذلك لا يقدر عليه بسائر انواع الكيد وهذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما أعطاه الله أي مثله مثل من فعل بنفسه هذا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾

[ الإعراب ] خبر ان الأولى جملة الكلام مع ان الثانية وزعم الفراء ان قولك ان زيداً أنه لقائم وروى ان هذه الآية إنما صلحت في الذي قال الزجاج لا فرق بين الذي وغيره في باب ان ان قلت ان زيداً انه قائم كان جيداً قال جرير

إنَّ الْخَلِيفَةَ إنَّ اللَّهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه أنه نزل الآيات حجة على الخلق فقال ﴿وكذلك﴾ أي ومثل

ما تقدَّم من آيات القرآن ﴿أنزلناه﴾ يعني القرآن ﴿آيات بينات﴾ أي حججاً واضحات على التوحيد والعدل والشرائع ﴿وإن الله يهدي من يريد﴾ أي وأنزلنا إليك أن الله يهدي إلى الدين من يريد وقيل إلى النبوة وقيل إلى الثواب وقيل يهدي من يهتدى بهداه ﴿إن الـذين آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿والـذين هـادوا﴾ وهم اليهـود ﴿والصـابئين والنصـارى والمجـوس والـذين أشركوا﴾ ظاهر المعنى ﴿ان الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ أي يبيّن المحق من المبطل بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحقّ ويسودُّ وجه المبطل والفصل التمييز بين الحق والباطل ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عليم مطّلع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب ثم خاطب النبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين فقال ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم ﴿إن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض﴾ من العقلاء ﴿والشمس﴾ أي ويسجـد الشمس ﴿والقمر والنجـوم والجبال والشجـر والدواب﴾ وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود وهو الخضوع والذل والانقياد لخالقها فيما يريد منها ﴿وكثير من النـاس﴾ يعني المؤمنين الذين يسجـدون لله تعالى وانقـطع ذكر السـاجدين ثم ابتـدأ فقـال ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ أي ممن أبى السجود ولا يوحّده سبحانه قال الفراء قوله وكثير حق عليه العذاب يدل على أن المعنى وكثير أبى السجود لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بتركه السجود ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ معناه من يهنه الله بأن يشقيه ويدخله جهنم فما له من مكرم بالسعادة أي بادخاله الجنة لأنه لا يملك العقوبة والمثوبة سـواه ﴿إن الله يفعل مـا يشاء﴾ من الإنعام والانتقام بالفريقين من المؤمنين والكافرين .

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ
فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ
غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟
إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

[ القراءة ] قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤاً بالنصب وفي سورة فاطر مثله والباقون بالجر في الموضعين الا يعقوب فإنه قرأ هاهنا بالنصب وفي فاطر بالجر وترك أبو جعفر وأبو بكر وشجاع الهمزة الأولى منه في جميع القرآن وفي الشواذ قراءة ابن عباس يحلون بفتح الياء وتخفيف اللام .

[ الحجة ] قال أبو علي وجه الجر في لؤلؤ انهم يحلون فيها من أساور من ذهب ومن لؤلؤ ووجه النصب انه على ويحلون لؤلؤاً ويجوز أن يكون عطفاً على موضع الجار والمجرور لأن المعنى في يحلون فيها من أساور يحلون أساور وقال ابن جني يحلون من حلي يحلى يقال لم أحل منه بطائل أي لم أظفر ويجوز أن يكون من قولهم امرأة حالية أي ذات حلى .

[ اللغة ] الخصم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى يقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم ونساء خصم وقد يجوز في الكلام هذان خصمان اختصموا وهؤلاء خصم اختصموا قال الله تعالى ﴿وهل اتيك نبأ الخصم﴾ إذ تصوروا المحراب وهكذا حكم المصادر إذا وصف بها أو أخبر بها نحو عدل ورضى وصوم وفطر وزور وحري وقمن وما أشبه ذلك وإنما قال في الآية خصمان لأنهما جمعان وليسا برجلين ومثله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والحميم الماء المغلي والصهر الإذابة يقال صهرته فانصهر قال

تَرْوي لَقىً أُلْقِيَ فِي صَفْصَفٍ     تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَما يَنْصَهِرْ(١)

يعني ولدها والمقامع جمع مقمعة وهي مدقة الرأس من قمعه قمعاً إذا ردعه والحريق بمعنى المحرق كالأليم والأساور جمع اسوار وفيه ثلاث لغات اسوار بالألف وسِوار وسُوار بالكسر والضم والجمع اسورة .

[ النزول ] قيل نزلت الآية هذان خصمان اختصموا في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة وعلي بن أبي طالب (ع) قتل

(١) قائله ابن احمر يصف فرخ قطاة. قوله « تروى » اي تسوق اليه الماء اي تصير له كالراوية. والصفصف الفلاة. وقوله « تصهره الشمس. . » أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك .

الوليد بن عتبة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب قتل شيبة بن ربيعة عن أبي ذر الغفاري وعطا وكان أبو ذر يقسم بالله تعالى انها نزلت فيهم ورواه البخاري في الصحيح وقيل نزلت في أهل القرآن وأهل الكتاب عن ابن عباس وقيل في المؤمنين والكافرين عن الحسن ومجاهد والكلبي وهذا قول أبي ذر إلا أن هؤلاء لم يذكروا يوم بدر .

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم ذكر المؤمنين والكافرين بيّن سبحانه ما أعدّه لكل واحد من الفريقين فقال هذان خصمان أي جمعان فالفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا في قوله ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين**﴾ الآية ﴿**اختصموا في ربهم**﴾ أي في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيّكم وديننا قبل دينكم وقال المسلمون بل نحن احق بالله منكم آمنّا بكتابنا وكتابكم ونبيّنا ونبيكم وكفرتم انتم بنبيّنا حسداً فكان هذا خصومتهم وقيل ان معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار**﴾ قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار وقيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشد ما تكون حرّاً عن سعيد بن جبير وقيل أن النار تحيط بهم كإحاطة اللباب التي يلبسونها بهم ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**﴾ أي الماء المغلي فيذيب في ما بطونهم من السحوم وتساقط الجلود وفي خبر مرفوع أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها ﴿**يصهر به ما في بطونهم والجلود**﴾ أي يذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود ﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾ قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد يضرب بها الرأس وروى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض وقال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرّون ساعة فذلك قوله ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها**﴾ أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم حين ليس لها مخرج ردّوا اليها بالمقامع ﴿**وذوقوا عذاب الحريق**﴾ أي ويقال لهم ذوقوا والذوق طلب ادراك الطعم والحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الذين هم المؤمنون ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا**﴾ بالله وأقرّوا بوحدانيته ﴿**وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ أي من تحت ابنيتها وأشجارها ﴿**يحلون فيها**﴾ أي يلبسون الحلي فيها ﴿**من أساور**﴾ وهي حلي اليد ﴿**من ذهب ولؤلؤاً**﴾ أي ومن لؤلؤ ﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾ أي ديباج حرّم الله سبحانه لبس

الحرير على الرجال في الدنيا وشوّقهم إليه في الآخرة فأخبر أن لباسهم في الجنة حرير ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ أي أرشدوا في الجنة إلى التحيات الحسنة يحيّي بعضهم بعضاً ويحيّيهم الله وملائكته بها وقيل معناه ارشدوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله عن ابن عباس وزاد ابن زيد والله أكبر وقيل ارشدوا إلى القرآن عن السدي وقيل إلى القول الذي يلتذونه ويشتهونه وتطيب به نفوسهم وقيل إلى ذكر الله فهم به يتنعمون ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ والحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد إلى عباده بنعمه عن الحسن أي الطالب منهم أن يحمدوه وروي عن النبي ﷺ انه قال ما أحد أحبُّ إليه الحمد من الله عزّ ذكره وصراط الحميد هو طريق الإسلام وطريق الجنة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ
نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ
أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ
يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ
فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا
وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ

فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب سواء بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي مجلز ومجاهد وعكرمة والحسن رجالاً بالتشديد والضم وهو المروي عن أبي عبد الله ( ع ) وقراءة ابن أبي إسحاق والزهري والحسن بخلاف رجالاً بالضم والتخفيف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي وجه الرفع في سواء أنه خبر مبتدأ مقدم والمعنى العاكف فيه والبادي سواء ليس أحدهما بأحق به من صاحبه وهذا يدل على أن أرض الحرم لا تملك ولو ملكت لم يستويا فيها وصار العاكف فيها أولى بها من البادي لحق ملكه ولكن سبيلها سبيل المساجد التي من سبق إليها كان أولى بها ومن نصب سواء اعمل المصدر اعمال اسم الفاعل فرفع العاكف به كما يرفع بمستوى لو قال جعلناه مستوياً العاكف فيه والبادي ووجه اعماله أن المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفة في نحو قولهم رجل عدل فيصير عدل كعادل ويجوز في نصب سواء وجه آخر وهو ان تنصبه على الحال فإذا نصبته عليها وجعلت قوله للناس مستقراً جاز أن يكون حالاً يعمل فيها معنى الفعل وذو الحال الذكر الذي في المستقر ويجوز أن يكون حالاً من الفعل الذي هو جعلناه فإن جعلتها حالاً من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال والعامل فيها الفعل وجواز كون للناس مستقراً على أن يكون المعنى أنه جعل للناس ونصب لهم منسكاً ومتعبداً كما قال إن أول بيت وضع للناس وأما قوله رجّالاً فهو جمع راجل مثل طالب وطلاب وكاتب وكتاب واما رُجالا بتخفيف الجيم فهو غريب في الجمع فهو نحو ظُؤار وعُراق ورُخال في جمع ظئر وعرق ورخل .

[ **اللغة** ] العاكف المقيم الملازم للمكان والبادي أصله من بدا يبدو إذا ظهر والبدو خلاف الحضر سمي بذلك لظهوره والبادي في الآية الطارىء والمكان ما يتمكن عليه الشيء قيل هو اسم لما احاط بالشيء والمكان والموضع والمستقر نظائر والرجال جمع راجل مثل صحاب وقيام وفي جمع صاحب وقائم والضامر المهزول اضمره السير والعميق البعيد قال الراجز « يقطعن بعد النازح العميق » والبائس الذي به ضرّ الجوع والفقير الذي لا شيء له يقال بؤس فهو بائس أي صار ذا بؤس وهو الشدة قال الأزهري لا يعرف التفث في لغة العرب إلا من قول ابن عباس وأهل التفسير وقال النضر بن شميل هو اذهاب الشعث .

[ **الإعراب** ] خبر ان الذين كفروا محذوف يدل عليه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من

عذاب أليم فالمعنى ان الذين كفروا نذيقهم العذاب الأليم ومن يرد فيه بالحاد الباء فيه زائدة تقديره ومن يرد فيه الحاداً والباء في قوله بظلم للتعدية وما جاءت الباء فيه مزيدة قول الشاعر

بِوادٍ يَمانٍ يُنْبِتُ الشَّثُّ صَدْرُهُ ... وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ والشُّبُهانِ(١)

وقول الأعشى

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنا أرْماحُنا ... مِلْءَ الْمَراجِلِ والصَّرِيحَ الأجْرَدا(٢)

وقول امرىء القيس

ألا هَلْ أتاها وَالْحَوادِثُ جَمَّةٌ ... بِأنّ امْرَءَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرا(٣)

وقال الزجاج والذي يذهب إليه أصحابنا ان الباء ليست بملغاة والمعنى عندهم ومن ارادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله

أُرِيدُ لأنْسىٰ ذِكْرَها فَكَأنَّما ... تَمَثَّلَ لِي لَيْلىٰ بِكُلِّ سَبِيلِ

والمعنى أريد وارادتي لهذا على كل ضامر في موضع نصب على الحال أي يأتوك رجالاً وركباناً ويأتين في موضع جرّ لأن المعنى في قوله وعلى كل ضامر على ابل ضامرة آتية من كل فج عميق وروي عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قرأ يأتون فعلى هذا يعود الضمير في يأتون إلى الناس.

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه حال الكفار فقال **﴿إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله﴾** عطف بالمضارع على الماضي لأن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ويقوّيه قوله الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ويجوز أن يكون المعنى أن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدّون الناس عن طاعة الله **﴿والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس﴾** أي مستقراً ومنسكاً ومتعبداً وقيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخصّ به بعض دون بعض قال الزجاج جعلناه للناس وقف تام ثم قال **﴿سواء العاكف فيه والباد﴾** أي العاكف المقيم فيه والباد الذي ينتابه(٤) من غير اهله مستويان في سكناه والنزول به فليس أحدهما احق بالمنزل يكون فيه من

---

(١) الشث: شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به. والمرخ والشبهان: نوعان من الشجر.

(٢) المراجل: ضرب من الثياب. والصريح الأجرد أراد به اللبن الخالص الذي لا رغوة فيه.

(٣) قال في اللسان: بيقر الرجل. وقول امرىء القيس ( في هذا البيت ) يحتمل جميع ذلك.

(٤) أي يقصده ويأتيه.

الآخر غير أنه لا يخرج احد من بيته عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير قالوا ان كراء دور مكة وبيعها حرام والمراد بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام وقيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه عن الحسن ومجاهد والجبائي والظاهر يدل عليه وعلى هذا يكون المعنى في قوله جعلناه للناس أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم فالعاكف والباد سواء في حكم النسك وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدّعون أنهم أربابه وولاته **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾** والالحاد العدول عن القصد واختلف في معناه هاهنا فقيل هو الشرك وعبادة غير الله تعالى عن قتادة فكأنه قال ومن يرد فيه ميلاً عن الحق بأن يعبد غير الله ظلماً وعدواناً وقيل هو الاستحلال للحرام والركوب للآثام عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد وقيل هو كل شيء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم وقيل هو دخول مكة بغير احرام عن عطاء **﴿نذقه من عذاب أليم﴾** أي نعذبه عذاباً وجيعاً وقيل ان الآية نزلت في الذين صدّوا رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾** معناه واذكر يا محمد إذ وطأنا لابراهيم مكان البيت وعرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدي ان الله تعالى لما أمره ببناء الكعبة لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً[1] فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن رفع أيام الطوفان وقال الكلبي بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها رأس تتكلم فقامت بحيال الكعبة وقالت يا إبراهيم إبن على قدري وقيل ان المعنى جعلنا البيت مثوبة ومسكنة عن ابن الانباري **﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾** أي وأوحينا اليه ان لا تعبد غيري قال المبرد كأنه قال وحدّني في هذا البيت لان معنى لا تشرك بي شيئاً وحدّني **﴿وطهر بيتي﴾** من الشرك وعبادة الأوثان عن قتادة **﴿للطائفين والقائمين والركع السجود﴾** مفسر بسورة البقرة والمراد بالقائمين المقيمين بمكة وقيل القائمين في الصلاة عن عطا **﴿وأذّن في الناس بالحج﴾** أي ناد في الناس وأعلمهم بوجوب الحج واختلف في المخاطب به على قولين ( أحدهما ) انه إبراهيم عن علي وابن عباس واختاره أبو مسلم قال ابن عباس قام في المقام فنادى يا أيها الناس ان الله دعاكم الى الحج فأجابوا بلبيك اللهم لبيك ( والثاني ) ان المخاطب به نبينا محمد عليه أفضل الصلوات اي واذن يا محمد في الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع أي أعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجبائي وجمهور المفسرين على القول الأول وقالوا اسمع الله

---

(١) الخجوج من الرياح: الشديدة .

تعالى صوت ابراهيم كل من سبق علمه بأنه يحج إلى يوم القيامة كما اسمع سليمان مع ارتفاع منزلته وكثرة جنوده حوله صوت النملة مع خفضه وسكونه وفي رواية عطا عن ابن عباس قال لما أمر الله سبحانه إبراهيم ان ينادي في الناس بالحج صعد أبا قبيس ووضع اصبعه في أذنيه وقال يا أيها الناس أجيبوا ربكم فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأول من أجابه أهل اليمن **﴿يأتوك رجالاً﴾** أي مشاة على أرجلهم **﴿وعلى كل ضامر﴾** أي ركباناً قال ابن عباس يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم إلا وقد هزل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لبنيه يا بني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا إليها مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف حسنة **﴿يأتين من كل فج عميق﴾** أي طريق بعيد وروي مرفوعاً عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول يا ملائكتي انظروا الى عبادي شعثاً غبراً أقبلوا يضربون إليّ من كل فجّ عميق فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فإذا أفاض القوم إلى جَمْع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله يقول يا ملائكتي عبادي وقفوا وعادوا من الرغبة والطلب فأشهدكم اني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم وقوله **﴿ليشهدوا منافع لهم﴾** قيل يعني بالمنافع التجارات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل التجارة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة عن مجاهد وقيل هي منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) ويكون المعنى ليحضروا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في الآخرة **﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾** اختلف في هذه الأيام وفي الذكر فيها فقيل هي أيام العشر وقيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج في آخرها والمعدودات أيام التشريق عن الحسن ومجاهد وقيل هي أيام التشريق يوم النحر وثلاثة بعده والمعدودات أيام العشر عن ابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر (ع) واختاره الزجاج قال لأن الذكر هاهنا يدل على التمسية على ما ينحر لقوله **﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾** أي على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم وهذه الأيام تختص بذلك وقيل ان الذكر فيها كناية عن الذبح لأن صحة الذبح لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعاً وقيل هو التكبير قال أبو عبد الله التكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة الظهر من يوم النحر يقول الله أكبر لا إله

إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والبهيمة أصلها من الإبهام وذلك أنها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق والانعام الابل واشتقاقها من النعمة وهي اللين سميت بذلك للين اخفافها وقد يجتمع معها البقر والغنم فيسمى الجميع انعاماً اتساعاً وان انفردا لم يسميا انعاماً **﴿فكلوا منها﴾** أي من بهيمة الأنعام وهذا اباحة وندب وليس بواجب **﴿وأطعموا البائس الفقير﴾** فالبائس الذي ظهر عليه اثر البؤس من الجوع والعري وقيل البائس الذي يمدّ يده بالسؤال ويتكفف للطلب امر سبحانه أن يعطى هؤلاء من الهدي **﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾** أي ليزيلوا اشعث الاحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال طيب عن الحسن وقيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس وابن عمر قال الزجاج قضاء التفث كناية عن الخروج من الاحرام الى الإحلال **﴿وليوفوا نذورهم﴾** أي وليتموا نذورهم بقضائها ولم يقل بنذورهم لأن المراد بالايفاء الإتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن وقيل هو ما نذروا من اعمال البرّ في أيام الحج وربما نذر الانسان ان يتصدق إن رزقه الله الحج وان كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل ان يفي بها هناك **﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾** هذا أمر وظاهره يقتضي الوجوب وقيل اراد به طواف الزيارة لأنه من أركان افعال الحج بلا خلاف وقيل انه طواف الصدر[1] لأنه سبحانه أمر به عقيب المناسك كلها وروى اصحابنا أن المراد به طواف النساء الذي يستباح به وصل النساء وذلك بعد طواف الزيارة فإنه إذا طاف طواف الزيارة حلّ له كل شيء إلا النساء فإذا طاف طواف النساء حلت له النساء والبيت العتيق هو الكعبة وإنما سمي عتيقاً لأنه اعتق من أن يملكه العبيد عن مجاهد وسفيان بن عيينة وأبي مسلم وقيل إنما سمي عتيقاً لأنه أعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه وما قصده جبار قبل نبينا ﷺ إلا أهلكه الله تعالى وإنما لم يهلك الحجاج حين نقضه وبناه ثانياً ببركة نبينا ﷺ فإن الله سبحانه أمن ببركته هذه الأمة من عذاب الاستئصال عن مجاهد وقيل سمي به لأنه أعتق من الطوفان فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت وقيل سمي به لأنه قديم فهو أول بيت وضع للناس بناه آدم (ع) ثم جدَّده إبراهيم (ع) عن ابن زيد **﴿ذلك﴾** قيل ههنا وقف ومعناه الأمر ذلك اي هكذا أمر الحج والمناسك **﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾** أي فالتعظيم خير له عند ربه أي في الآخرة والحرمة ما لا يحل انتهاكه وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وهي في هذه الآية ما نهي عنها ومنع من الوقوع فيها

---

(١) قال الطريحي: طواف الصدر: طواف الرجوع من منى .

وتعظيمها ترك ملامستها واختار أكثر المفسرين في معنى الحرمات هنا انها المناسك لدلالة مايتصل بها من الآيات على ذلك وقيل معناها ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله والحرمات قصاص **﴿وأحلت لكم الأنعام﴾** أي الإبل والبقر والغنم **﴿إلا ما يتلى عليكم﴾** يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة والموقوذة ونحوها **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾** من هنا للتبيين والتقدير فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وروى اصحابنا ان اللعب بالشطرنج والنرد وسائر أنواع القمار من ذلك وقيل انهم كانوا يلطخون الاوثان بدماء قرابينهم فسمي ذلك رجساً **﴿واجتنبوا قول الزور﴾** يعني الكذب وقيل هو تلبية المشركين لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وروى أصحابنا انه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية وروى ايمن بن خريم عن رسول الله ﷺ انه قام خطيباً فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ **﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾** يريد أنه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور .

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

[ القراءة ] قرأ أهل المدينة فتخّطفه بفتح الخاء مشدداً والباقون فتخطفه بسكون الخاء

والتخفيف وقرأ منسكاً بالكسر هل الكوفة غير عاصم والباقون منسكاً بالفتح وفي الشواذ قراءة الحسن وابن أبي إسحاق والمقيمي الصلاة بالنصب .

[ **الحجة** ] تَخَطَّف تَتَخَطَّف فحذف تاء التفعل وهما في كلا القراءتين حكاية حال تكون والمعنى في ذلك انه في مقابلة قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكفره بما فيه أمان من الخرور ونجاة من الهوى واختطاف الطير فصار كمن خرَّ من السماء فهوت به الريح فلم يكن له معتصم والأصل في المنسك الفتح لأنه لا يخلو من أن يكون مصدراً أو مكاناً وكلاهما مفتوح العين من باب يفعل الا أنه قد جاء اسم المكان منه في كلمات على المفعل نحو المطلع والمسجد شاذاً عن القياس ومن قرأ والمقيمي الصلاة فإنه حذف النون تخفيفاً لا لتعاقبها الاضافة وشبَّه ذلك بالذين واللذان في قول الشاعر

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[(١)]

وقول الأخطل

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَ اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلَالَا

ونحوه بيت الكتاب

وَالْحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِهِم وَكَفُ[(٢)]

وقال آخر

قَتَلْنَا نَاجِياً بِقَتِيلِ عَمْرو وَخَيْرُ الطَّالِبي التَّرَةَ الْغَشُومُ[(٣)]

[ **اللغة** ] الخطف والاخطاف الاستلاب والسحيق البعيد والسحوق النخلة الطويلة والشعائر علامات مناسك الحج التي تشعر بما جعلت له وأشعرت البدن اعلمتها بما يشعر أنها هدي والمنسك موضع العبادة والنسك العبادة يقال نسك ينسك وينسك أي تعبد وقيل هو عبادة الذبح والنسيكة الذبيحة يقال نسكت الشاة ذبحتها والاخبات الخضوع والطمأنينة وأصله من الخبت وهو المكان المطمئن وقيل المنخفض .

[ **المعنى** ] قال سبحانه ﴿**حنفاء لله**﴾ أي مستقيمي الطريقة على أمر الله مائلين عن سائر الأديان وهي نصب على الحال ﴿**غير مشركين به**﴾ أي حجاجاً مخصلصين وهم

---

(١) حان الرجل: هلك. وفلج: اسم بلد . (٢) الوكف: العيب . (٣) الترة: الثأر. ورجل غشوم: أي ظالم .

مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج به احداً ثم ضرب سبحانه مثلاً لمن أشرك فقال ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء**﴾ أي سقط من السماء ﴿**فتخطفه الطير**﴾ أي تأخذه بسرعة قال ابن عباس يريد تخطف لحمه ﴿**أو تهوي به الريح**﴾ أي تسقطه ﴿**في مكان سحيق**﴾ أي بعيد مفرط في البعد قال الزجاج اعلم الله سبحانه ان بعد من أشرك به من الحق كبعد من خرّ من السماء فذهب به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد وقال غيره شبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة فهو هالك لا محالة ﴿**ذلك**﴾ أي الأمر ذلك الذي ذكرنا ﴿**ومن يعظم شعائر الله**﴾ أي معالم دين الله والاعلام التي نصبها لطاعته ثم اختلف في ذلك فقيل هي مناسك الحج كلها عن ابن زيد وقيل هي البدن وتعظيمها استسمانها واستحسانها عن مجاهد وعن ابن عباس في رواية مقسم والشعائر جمع عشيرة وهي البدن إذا أشرعت أي اعلمت عليها بأن يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم انها هدي فالذي يهدي مندوب الى طلب الاسمن والأعظم وقيل شعائر الله دين الله كله وتعظيمها التزامها عن الحسن ﴿**فإنها**﴾ أي فإن تعظيمها لدلالة تعظيم عليه ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه فقال فإنها ﴿**من تقوى القلوب**﴾ أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب وقيل أراد صدق النية ﴿**لكم فيها**﴾ أي في الشعائر ﴿**منافع**﴾ فمن تأول ان الشعائر الهدي قال ان منافعها ركوب ظهورها وشرب ألبانها إذا احتيج اليها وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو قول عطاء بن أبي رباح ومذهب الشافعي وعلى هذا فقوله إلى أجل مسمى معناه الى أن ينحر وقيل ان المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهورها وأصوافها وأوبارها ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ أي إلى ان يسمى هدياً وبعد ذلك تنقطع المنافع عن مجاهد وقتادة والضحاك والقول الأول أصح لأن قبل ان تسمي هدياً لا تسمى شعائر ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجارة إلى أجل مسمى إلى أن يعود من مكة ومن قال ان الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع أي الأجر والثواب والأجل المسمى القيامة ﴿**ثم محلها إلى البيت العتيق**﴾ ومن قال ان شعائر الله هي البدن قال معناه ان محل الهدي والبدن الكعبة وقيل محله الحرم كله وقال أصحابنا ان كان الهدي للحج فمحله منى وان كان للعمرة المفردة فمحله مكة قبالة الكعبة بالجزورة ومحلها حيث يحل نحرها ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال معناه ثم محل الحج والعمرة والطواف بالبيت العتيق وان منتهاها الى البيت العتيق لأن التحلل يقع بالطواف والطواف يختص بالبيت ومن قال ان الشعائر هي الدين كله فيحتمل ان يكون معناه ان محل ما اختص منها بالاحرام هو البيت العتيق وذلك الحج والعمرة في القصد له والصلاة في التوجه إليه ويحتمل ان يكون معناه ان

أجرها على رب البيت العتيق ﴿ولكل امة جعلنا منسكاً﴾ أي لكل جماعة مؤمنة من الذين سلفوا جعلنا عبادة في الذبح عن مجاهد وقيل قرباناً احل لهم ذبحه وقيل متعبداً وموضع نسك يقصده الناس وقيل منهاجاً وشريعة عن الحسن ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي تعبدناهم بذلك ليذكروا اسم الله على ما رزقناهم من بهيمة الأنعام وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها وفي هذا دلالة على ان الذبائح غير مختصة بهذه الأمة وان التسمية على الذبح كانت مشروعة قبلنا ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي معبودكم الذي توجهون اليه العبادة واحد لا شريك له والمعنى فلا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله اسلموا﴾ أي انقادوا وأطيعوا ﴿وبشر المخبتين﴾ أي المتواضعين المطمئنين الى الله عن مجاهد وقيل الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي إذا خوفوا بالله خافوا ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلايا والمصائب في طاعة الله ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها يؤدُّونها كما أمرهم الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي يتصدَّقون من الواجب وغيره عن ابن عباس .

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا
لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا
صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ
وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ
لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ
لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ

وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء يعقوب وقرأ الأول بالتاء أبو جعفر وقرأ الباقون بالياء فيهما وقرأ ابن كثير وأهل البصرة ان الله يدفع بغير الف والباقون يدافع بالألف وقرأ أهل المدينة ويعقوب ولولا دفاع الله بالألف والباقون دفع الله بغير الف وقرأ اهل المدينة وحفص أذن بضم الألف يقاتلون بفتح التاء وقرأ أبو بكر وأبو عمرو ويعقوب أذن بضم الألف يقاتلون بكسر التاء وقرأ ابن عامر اذن بفتح الالف يقاتلون بفتح التاء والباقون اذن فتح الألف يقاتلون بكسر التاء وقرأ أهل الحجاز لهدمت خفيفة الدال والباقون بالتشديد وأظهر التاء عاصم ويعقوب وأدغمه الآخرون وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابو جعفر الباقر ( ع ) وقتادة وعطاء والضحاك صوافن بالنون وقرأ الحسن وشقيق وأبو موسى الأشعري وسليمان التيمي صوافي وقرأ جعفر بن محمد ( ع ) وصلوات بضم الصاد واللام وقرأ الجحدري والكلبي وصلوات بضم الصاد وفتح اللام .

[ **الحجة** ] التأنيث في تنال للجماعة وللفظ التقوى والتذكير لمعنى الجمع لأن التقوى بمعنى الاتقاء والدفع مصدر دفع والدفاع مصدر دافع وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو طارقت النعل وعاقبت اللص واما قوله اذن للذين يقاتلون فالقراءات فيها متقاربة والمأذون لهم في القتال اصحاب رسول الله ﷺ وما ظلموا به ان المشركين أخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم هاجروا إلى المدينة فمن قرأ اذن على بناء الفعل للفاعل فلما تقدم من ذكر الله سبحانه وقوله للذين يقاتلون في موضع نصب ومن قرأ يقاتلون فالمعنى انهم يقاتلون عدوهم الظالمين لهم ومن قرأ أذن على بناء الفعل للمفعول به فالمعنى على أن الله سبحانه اذن لهم في القتال والجار والمجرور في موضع رفع وقوله لهدمت بالتخفيف وانما جاز لأن ذلك قد يكون للقليل والكثير تقول ضربت زيداً ضربة وضربته الف ضربة فاللفظ في القلة والكثرة على حالة واحدة وهدمت بالتشديد يختص بالكثرة قال الشاعر

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بْنِ عَمَّارِ

فأما من قال صوافن فمثل الصافنات وهي الجياد من الخيل إلا أنه استعمل هنا في

الابل والصافن الرافع احدى رجليه معتمداً منها على سنبكها[١] قال عمرو بن كلثوم

تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا

والصوافي الخوالص لوجه الله واما صَلَوات وصُلُوات فيمكن ان يكون جمع صلاة وإن كانت غير مستعملة فيكون مثل حجرة وحُجُرات وحَجَرات .

[ **اللغة** ] البدن جمع بدنة وهي الابل المبدنة بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الابل أي سمنتها وقيل اصل البدن الضخم وكل ضخم بدن وبدن بَدْنا وبُدْنا إذا ضخم وبدن تبديناً إذا اسن وثقل لحمه بالاسترخاء وفي الحديث اني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود وقال ( وكُنْتُ خِلْتُ الشَّيْبَ والتَّبْدِينا )[٢] والوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس اذا وقعت في المغيب للغروب ووجب الحائط وقع ووجب القلب اضطرب بأن وقع ما يوجب اضطرابه ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به ووجب البيع إذا وقع وجوباً والصواف المصطفة الأزهري عن ابن الاعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر وقنعت الى فلان خضعت له بالفتح والمعتر والمعتري واحد وروي عن الحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد انهم قرأوا المعتري يقال عراه واعتراه وعرَّه واعترَّه كله بمعنى أتاه وقصده قال طرفة

فِي جِفَانٍ نَعْتَرِي نَادِيَنَا وَسَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنَبْرُ[٣]

ويقال قنع الرجل الى فلان قنوعاً إذا سأل قال الشماخ

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ

والصومعة أصلها من الانضمام ومنه الأصمع للاصق الاذنين وكل منضم فهو متصمع قال ابو ذؤيب يصف صائداً

فَرَمَىٰ فَأَنْفَذَ مِنْ نُحُوصٍ عَائِطٍ سَهْماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعُ[٤]

والبيع كنائس اليهود .

---

(١) السنبك : طرف الحافر .

(٢) قائله حميد الأرقط وبعده « والهم مما يذهل القرينا » .

(٣) النادي : المجلس والسديف : لحم السنام وقيل شحمه . والصنبر : برد الشتاء .

(٤) النحوص : الاتان الوحشية . والعائط من النوق : التي لم تحمل اول سنة يطرقها الفحل . والمتصمع من السهام : المنضم الريش من الدم .

[ **الإعـراب** ] والبدن منصـوب باضمـار فعل تقـديره وجعلنـا البدن جعلنـاها صـواف منصوب على الحال الذين أخرجوا من ديارهم في محل الجر بأنه من الذين يقاتلون ويجوز أن يكون في موضع الرفع على تقديرهم الذين أخرجوا وفي محل النصب على المدح على تقدير أعني الذين أخرجوا بغير حق في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف وتقديره اخرجوا اخراجاً بهذه الصفة إلا أن يقولـوا ربنا الله الا هـاهنا لنقض النفي وتقديره إلا بأن يقولوا أي بقولهم وبعضهم منصوب على البدل من الناس وهو بدل البعض من الكل والتقدير دفع الله بعض الناس ببعض .

[ **المعنى** ] ثم عاد إلى ذكر الشعائر فقال **﴿والبدن﴾** وهي الابـل العظام وقيـل الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والاضاحي عن عطاء والسدي **﴿جعلناها لكم من شعائـر الله﴾** أي من اعلام دينه وقيل من علامات مناسك الحج والمعنى جعلناها لكم فيها عبادة الله من سوقها إلى البيت واشعارها وتقليدها ونحرها والاطعـام منها **﴿لكم فيهـا خير﴾** أي نفـع في الدنيا والآخرة وقيل أراد بالخير ثواب الآخرة وهو الوجه لأنه الغرض المطلوب **﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾** أي في حال نحرها وعبَّر به عن النحر قال ابن عباس هو أن يقول الله أكبر لا إلّه إلا الله والله أكبر اللهم منك ولك **﴿صواف﴾** أي قياماً مقيدة على سنة محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل هو أن تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاثة تنحر كذلك فيسوي بين أوظفتها لئلا يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد وقيل هو أن تنحر وهي صافة أي قائمة ربـطت يديهـا ما بين الرسغ والخف إلى الركبة عن أبي عبد الله ( ع ) هذا في الإبل فأما البقر فـإنه يشـدّ يداهـا ورجلاها ويطلق ذنبها والغنم يشـد ثلاث قـوائم منها ويـطلق فرد رجـل منها **﴿فـإذا وجبت جنوبها﴾** أي سقطت إلى الأرض وعبّر بذلك عن تمام خروج الروح منها **﴿فكلوا منها﴾** وهذا اذن وليس بأمر لأن أهل الجاهلية كانوا يحرّمونها على نفوسهم وقيل ان الأكل منها واجب إذا تطوع بها **﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾** اختلف في معناهما فقيـل ان القانـع الذي يقنـع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه من اللحم ويسأل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وإبراهيم وقيل القانع الذي يسأل والمعتـر الذي يتعـرض ولا يسأل عن الحسن وسعيد بن جبير وقال أبو جعفر ( ع ) وأبو عبد الله ( ع ) القانع الذي يقنع بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً والمعتر المادّ يده لتطعمه وفي رواية الحلبي عن أبي عبد الله ( ع ) قال القانع الذي يسأل فيرضى بما أعطي والمعتر الذي يعتري رجاءه ممن لا يسأل وروي عن ابن عباس انه قال في جواب نافع بن الأزرق لما سألـه عن ذلك القانع الذي يقنع بما أعطي والمعتر الذي يعتري الأبواب أما سمعت قول زهير

عَلىٰ مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلّينَ السَّمَاحَةَ وَالْبَذْلُ

وروي عنهم (ع) أنه ينبغي أن يطعم ثلثه ويعطي القانع والمعتر ثلثه ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي **﴿كذلك﴾** أي مثل ما وصفناه **﴿سخّرناها لكم﴾** أي ذلّلناها لكم حتى لا تمنع عما تريدون منها من النحر والذبح بخلاف السباع الممتنعة ولتنتفعوا بركوبها وحملها ونتاجها نعمة منا عليكم **﴿لعلكم تشكرون﴾** ذلك **﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾** أي لن تصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها وإنما يصعد إليه التقوى عن الحسن وهذا كناية عن القبول وذلك إنما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل إليه فخاطب الله سبحانه عباده بما اعتادوه في مخاطباتهم وكانوا في الجاهلية إذا ذبحوا الهدي استقبلوا الكعبة بالدماء فنضحوها حول البيت قربة إلى الله وقيل معناه لن تبلغوا رضا الله بذلك وإنما تبلغونه بالتقوى **﴿كذلك سخّرها لكم﴾** تقدّم تفسيره **﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾** أي على ما بيّن لكم وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وقيل هو ان يقول الله أكبر على ما هدانا **﴿وبشر المحسنين﴾** أي الموحدين عن ابن عباس وقيل الذين يعملون أعمالاً حسنة ولا يسيئون إلى غيرهم ثم بيّن سبحانه دفعه عن المؤمنين بشارة لهم بالنصر فقال **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾** غائلة المشركين بأن يمنعهم منهم وينصرهم عليهم **﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾** وهم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه عن ابن عباس وقيل من ذكر اسم غير الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن الزجاج ثم بيَّن سبحانه أذنه لهم في قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصرة فقال **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾** أي بسبب انهم ظلموا وقد سبق معناه في الحجة وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيء مشجوج ومضروب إلى رسول الله ﷺ ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم صلوات الله عليه وآله اصبروا فإني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة وهي أول آية نزلت في القتال وفي الآية محذوف وتقديره أذن للمؤمنين أن يقاتلوا أو بالقتال من أجل أنهم ظلموا بأن أخرجوا من ديارهم وقصدوا بالايذاء والاهانة **﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾** وهذا وعد لهم بالنصر معناه أنه سينصرهم ثم بيَّن سبحانه حالهم فقال **﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾** يحتمل معناه أن يكون أراد أخرجوا إلى المدينة فتكون الآية مدنية ويحتمل إلى الحبشة فتكون الآية مكية وذلك بأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروا إلى الخروج وقوله بغير حق معناه من غير أن استحقوا ذلك عن الجبائي أي لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده وقال أبو جعفر (ع) نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد عليهم السلام الذين أخرجوا من ديارهم واخيفوا **﴿ولولا**

دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ قد تقدَّم الكلام في هذا ﴿لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد﴾ أي صوامع في أيام شريعة عيسى وبيع في أيام شريعة موسى ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ عن الزجاج والمعنى ولولا أن دفع الله بعض الناس ببعض لهدم في كل شريعة بناء المكان الذي يصلي فيه وقيل البيع للنصارى في القرى والصوامع في الجبال والبراري ويشترك فيها الفرق الثلاث والمساجد للمسلمين والصلوات كنيسة اليهود عن أبي مسلم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوة فعرّبت وقال الحسن اراد بذلك عين الصلاة وهدم الصلاة بقتل فاعليها ومنعهم من اقامتها وقيل أراد بالصلوات المصلّيات كما قال لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وأراد المساجد ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ الهاء تعود إلى المساجد وقيل إلى جميع المواضع الذي تقدمت لأن الغالب فيها ذكر الله ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ هذا وعد من الله بأنه سينصر من ينصر دينه وشريعته ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ أي قادر قاهر .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟
عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ
ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾

[ القراءة ] قرأ أهل البصرة اهلكتها بالتاء والباقون اهلكناها والمعنى واحد .

[ اللغة ] يقال خوت الدار خواء ممدوداً فهي خاوية وخوى جوف الإنسان من الطعام خوى مقصوراً فهو خوى والتعطيل ابطال العمل بالشيء ولهذا يقال للدهري معطل لأنه أبطل

العمل بالعلم على مقتضى الحكمة والمشيد المرتفع من الأبنية شاد الرجل بناه يشيده وشيده ويشيّده قال عدي بن زيد

شَادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَهُ كِلْساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ(١)

وقال امرؤ القيس

وتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلا أُطُماً إلاّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ(٢)

وقيل المشيد المجصص والمبني بالشيد والشيد الجص والجيار والجيار الصاروج .

[ **المعنى** ] ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ والتمكين اعطاء ما يصحُّ معه الفعل فإن كان الفعل لا يصح الا بآلة فالتمكين اعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة وكذلك ان كان لا يصح الفعل إلا بعلم ونصب ودلالة واضحة وسلامة ولطف وغير ذلك فالتمكين اعطاء جميع ذلك وإن كان الفعل يكفي في صحة وجوده مجرد القدرة فخلق القدرة التمكين فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصحُّ الفعل منهم وسلَّطناهم في الأرض أدّوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة ﴿**وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ وهذا يدلُّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف، هو الحق لأنه يعرف صحته والمنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفة صحته قال الزجاج هذه صفة مَنْ في قوله من ينصره وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة وقال أبو جعفر (ع) نحن هم والله ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾ هو كقوله وإلى الله ترجع الأمور ومعناه انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور اليه بلا مانع ولا منازع ثم عزى سبحانه نبيّه ﷺ عن تكذيبهم إياه وخوف مكذّبيه بذكر من كذبوا أنبيائهم فأهلكوا فقال ﴿**وإن يكذبوك**﴾ يا محمد ﴿**فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين**﴾ كل أمة من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيّها ثم قال ﴿**وكذب موسى**﴾ ولم يقل وقوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل وكانوا آمنوا به وإنما كذَّبه فرعون وقومه ﴿**فأمليت للكافرين**﴾ أي أخَّرت عقوبتهم وأمهلتهم يقال املى الله لفلان في العمر إذا أخّر عنه أجله

---

(١) الكلس: مثل الصاروج يبنى به. والذرى جمع الذروة: أعلى الشيء. والوكور جمع الكثير الموكر: عش الطائر وان لم يكن فيه. وهذا البيت من قصيدة لعدي بن زيد قالها في ذم الدنيا ومن هذه القصيدة قوله «اين كسرى،كسرى الملوك انوشر * وان أم أين قبله سابور».

(٢) الاطم الحصون والجندل: الحجارة .

﴿ثم أخذتهم﴾ أي بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام معناه التقرير أي فكيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً قال الزجاج المعنى ثم أخذتهم فأنكرت ابلغ انكار ثم ذكر سبحانه كيف عذّب المكذبين فقال ﴿فكأين من قرية أهلكناها﴾ أي وكم من قرى اهلكناها وأخذناها والاختيار التاء وذلك لقوله فأمليت ﴿وهي ظالمة﴾ أي وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي خالية من أهلها ساقطة على سقوفها ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قوله من قرية أي وكم من بئر بار أهلها وغار ماؤها وتعطلت من دلائها فلا مستقى منها ولا وارد لها ﴿وقصر مشيد﴾ أي وكم من قصر رفيع محصص تداعى الخراب بهلاك أهله فلم يبق فيه داع ولا مجيب وأصحاب الآبار ملوك البدو وأصحاب القصور ملوك الحضر وفي تفسير أهل البيت (ع) في قوله وبئر معطلة ان المعنى وكم من عالم لا يرجع إليه ولا ينتفع بعلمه وقال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور انزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضرموت ثم انهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم نبياً يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم وعطلت بئرهم وخرب قصر ملكهم .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ
ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن
مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾
قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟
فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم مما يعدون بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد وفي سبا أيضاً في موضعين والباقون معاجزين بالألف في السورتين .

[ الحجة ] حجة من قرأ يعدون بالياء ان قبله يستعجلونك وحجة من قرأ بالتاء ان ذلك أعم وقوله معاجزين أي ظانين ومقدرين ان يعجزونا لأنهم ظنّوا ان لا بعث ولا نشور فهو كقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومعجزين ينسبون من تبع النبي ﷺ إلى العجز نحو جهلّته نسبته إلى الجهل وروي عن مجاهد انه فسّر معجزين مثبطين اي يثبطون الناس عن النبي ﷺ .

[ المعنى ] ثم حثَّ سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبة لرسلهم فقال ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي أولم يسر قومك يا محمد في أرض اليمن والشام عن ابن عباس ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ أي يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ اخبار الأمم المكذبة ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ الهاء في أنها ضمير القصة والجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج وقوله التي في الصدور من التوكيد الذي يريده العرب في الكلام كقوله عشرة كاملة وقوله يقولون بأفواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل انه انما ذكر ذلك لئلا يتوهم إلى غير معنى القلب نحو قلب النخلة فيكون أنفى للبسّ بتجوز الاشتراك وكذلك قوله يقولون بأفواههم لأن القول قد يكون بغير الفم والمعنى ان الأبصار وإن كانت عمياء فلا تكون في الحقيقة كذلك إذا كان أصحابها عارفين بالحق وإنما يكون العمى عمي القلب الذي يقع معه الجحود بوحدانية الله ﴿ويستعجلونك﴾ يا محمد ﴿بالعذاب﴾ أن ينزل بهم ويستبطونه ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أي في انزال العذاب بهم قال ابن عباس يعني يوم بدر ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ اختلف في معناه على وجوه ( أحدها ) أن يوماً من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد وفي رواية اخرى عن ابن عباس أنه أراد أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض كألف سنة ويدل عليه ما روي ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ويكون المعنى على هذا انهم يستعجلون العذاب وان يوماً من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة ( وثانيها ) ان المعنى وأنَّ يوماً عند ربك وألف سنة في قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وبين تأخّره في القدرة إلا أنه سبحانه تفضل بالامهال إذ لا

يفوته شيء عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطا ( وثالثها ) ان يوماً واحداً كألف سنة في مقدار العذاب لشدته وعظمته كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة وكذلك نعيم الجنة لأنه يكون في مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم والسرور مثل ما يكون في ألف سنة من أيام الدنيا لو بقي منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله عن الجبائي وهذا كما يقال في المثل « أيام السرور قصار وأيام الهموم طوال » وقال الشاعر

يَطُولُ الْيَوْمَ لا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فيهِ قَصِيرٌ

وقال .

تَطَاوَلْنَ أَيَّامُ مَعْنٍ بِنَا فَيَوْمٌ كَشَهْرَينِ إذْ يُسْتَهَلّ

وقال جرير « وَيَوْمٌ كأَبْهَامِ الْحُبَارَىٰ لهوْتُهُ »(١) ثم اعلم سبحانه انه أخذ قوماً بعد الاملاء والامهال فقال ﴿**وكأين من قرية أمليتَ لها وهي ظالمة**﴾ مستحقة لتعجيل العقاب ﴿**ثم أخذتها**﴾ أي أهلكتها ﴿**وإليّ المصير**﴾ لكل احد ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**﴾ أي مخوّف عن معاصي الله مبيّن لكم ما يجب عليكم فعله وما يجب عليكم تجنبه ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**﴾ من الله لمعاصيهم ﴿**ورزق كريم**﴾ يعني نعيم الجنة فإنه أكرم نعيم في أكرم دار ﴿**والذين سعوا في آياتنا**﴾ أي بذلوا الجهد في ابطال آياتنا وبالغوا في ذلك وأصل السعي الاسراع في المشي ﴿**معاجزين**﴾ أي مغالبين عن ابن عباس والمعاجزة محاولة عجز المغالب وقيل مقدرين انهم يسبقوننا والمعاجزة المسابقة وقيل ظانين ان يعجزوا الله أي يفوتوه ولن يعجزوه عن قتادة وهذا مثل ما تقدم ومن قرأ معجزين فمعناه مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ عن مجاهد وقيل قاصدين تعجيز رسولنا وقيل ناسبين من تبعه إلى العجز ﴿**أولئك أصحاب الجحيم**﴾ أي الملازمون للجحيم أي النار .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ

---

(١) الحبارى: طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً منه وهو على شكل الاوزة، برأسه وبطنه غبرة. وفي المثل: أقصر من ابهام الحبارى .

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾
وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ
لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾
وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً
أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[ **النزول** ] روي عن ابن عباس وغيره ان النبي ﷺ لما تلا سورة والنجم وبلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى فسرَّ بذلك المشركون فلما انتهى إلى السجدة سجد المسلمون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم فهذا الخبر ان صحَّ محمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع وذكر اسماء آلهتهم وقد علموا من عادته ﷺ انه كان يعيبها قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغرانيق العلى وألقى ذلك في تلاوته توهم ان ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل باغوائه ووسوسته وهذا أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله .

[ **المعنى** ] ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾ من هنا مزيدة والتقدير ما أرسلنا قبلك رسولاً ولا نبياً وإنما ذكر اللفظين لاختلاف فائدتهما فالرسول الذي أرسله الله تعالى ولا يحمل عند الاطلاق على غير رسول الله ﷺ والنبي الذي له الرفعة والدرجة العظيمة بالإرسال وقيل ان بينهما فرقاً فالرسول الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي الذي يوحى إليه في منامه فكلُّ رسول نبي وليس كل نبي رسولاً وقيل بل الرسول هو المبعوث إلى أمة والنبي هو الذي لا يبعث إلى أمة عن قطرب وقيل ان الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام والنبي الذي يحفظ شريعة غيره عن الجاحظ والقول هو الأول لأن الله سبحانه خاطب

بينا ﷺ مرة بالنبي ومرة بالرسول فقال يا أيها الرسول ويا أيها النبي فالرسول والنبي واحد لأن الرسول يعمُّ الملائكة والبشر والنبي يختص البشر فجمع بينهما هنا وفي قوله وكان رسولاً نبياً ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ قال المرتضى لا يخلو التمني في الآية من ان يكون معناه التلاوة كما قال حسان بن ثابت

تَمَنّى كِتابَ اللّهِ أوّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهُ لاقَى حِمَامَ المَقادِرِ

أو يكون تمني القلب فإن كان المراد التلاوة فالمعنى ان من أرسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرَّفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود وأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بغروره ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي يزيله ويدحضه بظهور حججه وخرج هذا على وجه التسلية للنبي ﷺ لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها وان كان المراد تمني القلب فالوجه ان الرسول متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور وسوس اليه الشيطان بالباطل يدعوه إليه وينسخ الله ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وترك استماع غروره قال وأما الأحاديث المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند أصحاب الحديث وقد تضمنت ما ينزه الرسل (ع) عنه وكيف يجوز ذلك على النبي ﷺ وقد قال الله سبحانه كذلك لنثبت به فؤادك وقال سنقرؤك فلا تنسى وان حمل ذلك على السهو فالساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة ونظمها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأنا نعلم ضرورة ان الساهي لو انشأ قصيدة لم يجز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي تقتضيه فائدته ويمكن أن يكون الوجه فيه ما ذكرناه في النزول لأن من المعلوم انهم كانوا يلقون عند قراءته طلباً لتغليطه ويمكن ان يكون كان هذا في الصلاة لأنهم كانوا يلقون في قراءته وقيل أيضاً انه كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا الآيات قال تلك الغرانيق العلى على سبيل الانكار عليهم وعلى ان الأمر بخلاف ما قالوه وظنّوه وليس يمتنع ان يكون هذا في الصلاة لأن الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد وقيل ان المراد بالغرانيق الملائكة وقد جاء ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون انه يريد آلهتهم وقيل ان ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فلما ظنَّ المشركون ان المراد به آلهتهم نسخت تلاوته وقال البلخي ويجوز أن يكون النبي ﷺ سمع هاتين الكلمتين من قومه وحفظهما فلما قرأ ألقاها الشيطان في ذكره فكاد أن يجريها على لسانه فعصمه الله ونبَّهه ونسخ وسواس الشيطان وأحكم آياته

بأن قرأها النبي ﷺ محكمة سليمة مما أراد الشيطان ويجوز أن يكون النبي ﷺ لما انتهى إلى ذكر اللات والعزى قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظنَّ الجهال ان ذلك من قول النبي ﷺ فسجدوا عند ذلك والغرانيق جمع غرنوق وهو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق وغرانق إذا كان ممتلياً ريا ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أي يبقي آياته ودلائله وأوامره محكمة لا سهو فيها ولا غلط ﴿والله عليم﴾ بكل شيء ﴿حكيم﴾واضع للأشياء مواضعها ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ أي ليجعل ذلك تشديداً في التعبد وامتحاناً عن الجبائي والمعنى انه شدَّد المحنة والتكليف على الذين في قلوبهم شك وعلى الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يلقيه الشيطان ﴿وان الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ أي في معاداة ومخالفة بعيدة عن الحق ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وبتوحيده وبحكمته ﴿إنه الحق من ربك﴾ أي ان القرآن حق لا يجوز عليه التبديل والتغيير ﴿فيؤمنوا به﴾ أي فيثبتوا على إيمانهم وقيل يزدادوا إيماناً إلى إيمانهم ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي تخشع وتتواضع لقوة إيمانهم ﴿وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ أي طريق واضح لا عوج فيه أي يثبتهم على الدين الحق وقيل يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي في شك من القرآن عن ابن جريج وهذا خاص فيمن علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون من الكفار ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة وعلى غفلة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ قيل انه عذاب يوم بدر عن قتادة ومجاهد وسمّاه عقيماً لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ومثله قول الشاعر

عَقُمَ النِّسَاءُ فَلا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ... إنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ لَعَقِيمُ

وقيل إنما سمى ذلك اليوم عقيماً لأنه لم يكن فيه للكفار خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير عن الضحاك واختاره الزجاج وقيل المراد به يوم القيامة والمعنى حتى تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة وسمّاه عقيماً لأنه لا ليلة له عن عكرمة والجبائي .

[ **النظم** ] اتصلت الآية الأولى بما تقدم من ذكر الكفار وما متَّعوا به من نعيم الدنيا ولما رأى النبي ﷺ ما مني به أصحابه من الاقتار تمنى لهم الدنيا فبيَّن سبحانه ان ذلك التمني من وساوس الشيطان وان ما أعدَّه لهم من نعيم الآخرة خير وقيل اتصل بقوله إنما انا لكم نذير مُبين فبيَّن سبحانه أنه بشر وأن حاله كحال الرسل قبله .

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل المدينة مدخلاً بالفتح والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر القيامة بيَّن صفته فقال ﴿ **الملك يومئذ لله** ﴾ لا يملك أحد سواه شيئاً بخلاف الدنيا ﴿ **يحكم بينهم** ﴾ أي يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بيَّن حكمه فقال ﴿ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم** ﴾ ينعمون فيها ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين** ﴾ يهينهم ويذلهم ﴿ **والذين هاجروا في سبيل الله** ﴾ أي فارقوا أوطانهم وخرجوا من مكة إلى المدينة ﴿ **ثم قتلوا** ﴾ في الجهاد ﴿ **أو ماتوا** ﴾ في الغربة﴿ **ليرزقنهم الله رزقاً حسناً** ﴾ وهو رزق الجنة عن الحسن والسدي والرزق الحسن ما إذا رآه لا تمتد عينه إلى غيره وهذا لا يقدر عليه غير الله تعالى ولذلك قال ﴿ **وإن الله لهو خير الرازقين** ﴾ وقيل بل هو مثل قوله ﴿ **بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ ﴿ **ليدخلنهم مدخلاً يرضونه** ﴾ لأنه لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان وبمعنى المصدر ﴿ **وإن الله لعليم** ﴾ بأحوالهم ﴿ **حليم** ﴾ عن معاجلة الكفار بالعقوبة ﴿ **ذلك** ﴾ أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿ **ومن عاقب بمثل ما عوقب به** ﴾ أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه والأول لم يكن عقوبة ولكن كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام ﴿ **ثم بغي عليه** ﴾

أي ظلم بإخراجه من منزله يعني ما فعله المشركون من البغي على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مفارقة ديارهم ﴿ **لينصرنه الله** ﴾ يعني المظلوم الذي بغي عليه ﴿ **إن الله لعفو غفور** ﴾ روي أن الآية نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يقاتلون في هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ
خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى
ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل العراق غير أبي بكر ما يدعون هنا وفي لقمان بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] من قرأ تدعون بالتاء فعلى الخطاب للمشركين وحجته قوله يا أيها الناس ضرب مثل ومن قرأ بالياء فعلى الحكاية وحجته قوله يكادون يسطون .

[ **الإعراب** ] فتصبح الأرض إنما رفع لأنه لم يجعله جواباً للاستفهام والمراد به الخبر

ومثله قول الشاعر :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ وَهَلْ يُخْبِرَنْكَ الْيَوْمَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ[1]

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك النصر ﴿ **بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ أي يدخل ما انتقص من ساعات الليل في النهار وما إنتقص من ساعات النهار في الليل ﴿ **وأن الله سميع** ﴾ لدعاء المؤمنين ﴿ **بصير** ﴾ بهم ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين ﴿ **بأن الله هو الحق** ﴾ أي ذو الحق في قوله وفعله وقيل معناه إنه الواحد في صفات التعظيم التي من إعتقده عليها فهو محق ﴿ **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل** ﴾ لأنه ليس عنده نفع ولا ضر ﴿ **وإن الله هو العلي** ﴾ عن الأشياء ﴿ **الكبير** ﴾ الذي كل شيء سواه يصغر مقداره عن معناه ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء** ﴾ أي مطراً ﴿ **فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ بالنبات ﴿ **إن الله لطيف** ﴾ بإرزاق عباده من حيث لا يحتسبون ﴿ **خبير** ﴾ بما في قلوبهم وقيل اللطيف المحيط بتدبير دقائق الأمور الذي لا يتعذر عليه شيء يتعذر على غيره ﴿ **له ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ أي له التصرف في جميع ذلك ﴿ **وأن الله لهو الغني الحميد** ﴾ الغني الحي الذي ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته وأفعاله ﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض** ﴾ من الحيوان والجماد ﴿ **والفلك تجري في البحر بأمره** ﴾ أي وسخّر لكم الفلك في حال جريها ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** ﴾ أي يمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بإرادته والمعنى إلا إذا أذن الله في ذلك بأن يريد إبطالها وإعدامها ﴿ **إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ برأفته ورحمته بهم فعل هذا التسخير وأمسك السماء من الوقوع .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ
وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ
فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

(١) قائله جميل والسملق : القاع المستوى الأملس والأجرد لا شجر فيه .

فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه دلالة أخرى على وحدانيته فقال ﴿ **وهو الذي أحياكم** ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿ **ثم يميتكم** ﴾ عند إنتهاء آجالكم ﴿ **ثم يحييكم** ﴾ للبعث والحساب وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الاحياء قدر على إعادة الاحياء ﴿ **إن الإنسان لكفور** ﴾ أي جحود فإنه مع هذه الأدلة الدالة على الخلق يجحد الخالق ﴿ **لكل أمة** ﴾ أي لكل قرن مضى ﴿ **جعلنا منسكا هم ناسكوه** ﴾ أي شريعة هم عاملون بها عن ابن عباس وقيل مكاناً يألفونه وموضعاً يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحج من هذا لأنها مواضع العبادات فيه فهي متعبدات الحج وقيل موضع قربان أي متعبد في إراقة الدماء مني أو غيره عن مجاهد وقتادة ﴿ **فلا ينازعنك في الأمر** ﴾ هذا نهي لهم عن منازعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نهي له لأن المنازعة تكون من إثنين فإذا وجّه النهي إلى من ينازعه فقد وجّه إليه ومنازعتهم قولهم أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة أي فلا يخاصمنك في أمر الذبح وقيل معناه ليس لهم أن ينازعوك في شريعتهم وقد نسخت هذه الشريعة الشرائع المتقدمة ﴿ **وادع إلى ربك** ﴾ أي لا تلتفت إلى منازعتك وادع إلى توحيد ربك وإلى دينه ﴿ **إنك لعلى هدى مستقيم** ﴾ أي على دين قيم ﴿ **وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون** ﴾ أي إن خاصموك في أمر الذبيحة فقل الله أعلم بتكذيبكم فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه وإن جادلوك على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحجة فلا تجادلهم على هذا الوجه وادفعهم بهذا القول وقيل معناه وإن نازعوك في نسخ الشريعة فحاكمهم إلى الله ﴿ **الله يحكم بينكم يوم القيامة** ﴾ أي يفصل بينكم ﴿ **فيما كنتم فيه تختلفون** ﴾ أي فيما تذهبون فيه إلى خلاف ما يذهب ثم قال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المكلفين ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض** ﴾ من قليل وكثير لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ **إن ذلك في كتاب** ﴾ أي مثبت في الكتاب المحفوظ عن الجبائي ﴿ **إن ذلك على الله يسير** ﴾ أي كتبته في اللوح المحفوظ على الله يسير لا يحتاج إلى معالجة خطوط وحروف وإنما يقول كن فيكون وقيل إن الحكم بينكم يسير على الله .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا

لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ
فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟
ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ
ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب وسهل إن الذين يدعون بالياء والباقون بالتاء .

[ اللغة ] السطوة إظهار الحال الهائلة للإخافة يقال سطا عليه يسطو سطوة وسطا به والإنسان مسطو به والسطوة والبطشة بمعنى .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن حال الكفار فقال ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً** ﴾ أي حجة ﴿ **وما ليس لهم به علم** ﴾ إنها آلهة وإنما قال ذلك لأن الإنسان قد يعلم أشياء من غير حجة ودليل كالضروريات ﴿ **وما للظالمين من نصير** ﴾ أي وما للمشركين من مانع من العذاب ثم أخبر سبحانه عن شدة عنادهم فقال ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا** ﴾ يعني من القرآن وغيره من حجج الله ﴿ **بينات** ﴾ أي واضحات لمن تفكر فيها وهي منصوبة على الحال ﴿ **تعرف** ﴾ يا محمد ﴿ **في وجوه الذين كفروا المنكر** ﴾ أي الإنكار وهو مصدر يريد أثر الإنكار من الكراهة والعبوس ﴿ **يكادون يسطون** ﴾ أي يقعون ويبطشون من شدة الغيظ ﴿ **بالذين يتلون عليهم آياتنا** ﴾ والمعنى يكادون يبسطون إليهم أيديهم بالسوء يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **أفأنبئكم بشر من ذلكم** ﴾ وأكره إليكم

من هذا القرآن الذي تستمعون وأشدّ عليكم منه ثم فسَّر ذلك فقال ﴿ النار ﴾ أي هو النار ﴿ وعد الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ أي المرجع والمأوى ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ قال الأخفش إن قيل فأين المثل الذي ذكر الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى أن الله قال ضرب لي مثل أي شبه في الأوثان ثم قال فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي وقال القتيبي هاهنا مثل لأنه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذباباً وقيل معناه أثبت حديثاً يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمة أي نصبتها وأثبتها وقيل معناه جعل ذلك كالشيء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على أهل الذمة ﴿ إن الذين يدعون من دون الله ﴾ يعني الأصنام وكان ثلثمائة وستين صنماً حول الكعبة ﴿ لن يخلقوا ذباباً ﴾ في صغره وقلته ﴿ ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئاً ﴾ مما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه ﴿ لا يستنقذوه منه ﴾ أي لا يقدرون على استنقاذه منه ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ الطالب الذباب والمطلوب الصنم عن ابن عباس وروي عنه على العكس من هذا وهو أن الطالب الصنم والمطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب والمسلوب وقيل إن معناه راجع إلى العابد والمعبود أي جهل العابد والمعبود وقهر العابد والمعبود عن الضحاك وهو معنى قول السدي الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه والصنم المطلوب إليه ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له عن الحسن والفراء وقيل معناه ما عرفوه حق معرفته عن الأخفش وقيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب ﴿ إن الله لقوي عزيز ﴾ أي قادر لا يقدر أحد على مغالبته ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلًا ﴾ يعني جبرائيل وميكائيل ﴿ ومن لناس ﴾ يعني النبيين ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ سميع بأقوالهم بصير بضمائرهم وأفعالهم .

[ النظم ] إنما إتصل قوله ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ بقوله ﴿ إنك على صراط مستقيم ﴾ أي ومن خالفك على الكفر والضلال وإنما إتصل قوله ﴿ يا أيها الناس ﴾ ضرب مثل بقوله ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا حجة لهم فيه ﴾ والمعنى أن من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره وإذا سلبه الذباب شيئاً لا يقدر على استرداده فكيف يستحق أن يعبد ثم قال ما قدروا الله حق قدره أي من أشرك غيره معه في العبادة مع كمال قدرته فما عرفه حق معرفته ثم قال الله يصطفي من الملائكة رسلًا ليعلم أنه سبحانه إنما إصطفاهم لعبادتهم إياه فمن

جعل الملائكة والأنبياء أولاداً فإنه لم يعظمه حق عظمته ولم يعرفه حق معرفته إذ جعل من يعبده سبحانه معبوداً .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

[ الإعراب ] حق جهاده منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر من حرج من مزيدة أي ما جعل عليكم حرجاً ملة أبيكم منصوبة بإضمار فعل تقديره واتبعوا والزموا ملة أبيكم لأن قبله جاهدوا في الله حق جهاده قال المبرد عليكم ملة أبيكم وقال الزجاج وجائز أن يكون منصوباً على تقدير وافعلوا الخير فعل أبيكم .

[ المعنى ] لمّا وصف الله سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقّبه بقوله ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ يعني ما بين أيدي الخلائق من القيامة وأحوالها وما يكون في مستقبل أحوالهم ﴿ وما خلفهم ﴾ أي وما يخلفونه من دنياهم وقيل يعلم ما بين أيديهم أي أول أعمالهم وما خلفهم آخر أعمالهم عن الحسن وقيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء وما يكون بعد خلقهم عن علي بن عيسى ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ يوم القيامة فلا يكون لأحد أمر ولا نهي ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴾ أي

صلّوا ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ بفعل ما تعبدكم به من العبادات ﴿ وافعلوا الخير ﴾ قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ومعناه لا تقتصروا على فعل الصلاة والواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من أنواع البر من إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وبرّ الوالدين وما جانسها ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي لكي تفلحوا وتسعدوا ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ أكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى وقال السدي هو أن يطاع فلا يعصى وقال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله وإن كانوا الآباء والأبناء وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال هو مجاهدة الهوى والنفس ﴿ هو اجتباكم ﴾ أي اختاركم واصطفاكم لدينه ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ أي من ضيق لا مخرج منه ولا مخلص من عقابه بل جعل التوبة والكفارات وردّ المظالم مخلصاً من الذنوب فليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به فلا عذر لأحد في ترك الإستعداد للقيامة وقيل معناه أن الله سبحانه لم يضيّق عليكم أمر الدين فلن يكلّفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم في تركه وقيل أنه يعني الرخص عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة عن الكلبي ومقاتل واختاره الزجاج ﴿ ملة أبيكم إبراهيم ﴾ أي دينه لأن ملة إبراهيم داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإنما سماه أباً للجميع لأن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال وأزواجه أمهاتهم عن الحسن وقيل إن العرب من ولد إسماعيل وأكثر العجم من ولد إسحاق وهما إبنا إبراهيم فالغالب عليهم أنهم أولاده ﴿ هو سماكم المسلمين ﴾ أي الله سمّاكم المسلمين عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو كناية عن إبراهيم عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل إنزال القرآن ﴿ وفي هذا ﴾ أي وفي هذا القرآن ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ أي ليكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً عليكم بالطاعة والقبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولاً تشهدون على الأمم الماضية بأن الرسل قد بلّغوهم رسالة ربهم وأنهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار ولمؤمنهم الجنة بشهادتكم وهذا من أشرف المراتب وهو مثل قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ الآية وقيل معناه ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربه إليكم وتكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا إليهم ما بلغه الرسول إليكم ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ قال قتادة فريضتان واجبتان إفترضهما الله عليكم فأدُّوهما إلى الله وروى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة ﴿ واعتصموا بالله ﴾ أي تمسكوا بدين الله عن الحسن وقيل معناه امتنعوا بطاعته عن معصيته وقيل امتنعوا بالله من

أعدائكم أي أجعلوه عصمة لكم مما تحذرون وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه عن مقاتل ﴿ **هو مولاكم** ﴾ أي وليكم وناصركم والمتولي لأموركم ومالككم ﴿ **فنعم المولى** ﴾ هو لمن تولاه ﴿ **ونعم النصير** ﴾ هو لمن استنصره وقيل فنعم المولى إذ لم يمنعكم الرزق حين عصيتموه ونعم النصير إذا أعانكم لما أطعتموه .

# (٢٣) سورة المؤمنون مكية وآياتها ثماني عشرة ومائة

[ عدد آيها ] مائة وثماني عشرة آية كوفي تسع عشرة في الباقين .

[ إختلافها ] آية واحدة وأخاه هارون غير الكوفي .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وقال أبو عبد الله ( ع ) من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيين والمرسلين .

[ تفسيرها ] ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين في العبادة وأفعال الخير على طريق الإجمال وافتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان تلك الأفعال فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ
ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد هنا وفي المعارج والباقون لأماناتهم على الجمع وقرأ على صلاتهم بالأفراد أهل الكوفة غير عاصم والباقون على صلواتهم على الجمع .

[ الحجة ] قال أبو علي وجه الأفراد في الأمانة أنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثرة ووجه الجمع قوله إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ومما أفردت فيه الأمانة والمراد به الكثرة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من الأمانة أن أؤتمنت المرأة على فرجها يريد تفسير قوله ﴿ ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ﴾ ووجه الأفراد في الصلاة أنها مصدر ووجه الجمع أنها صارت بمنزلة الإسم لاختلاف أنواعها والجمع فيه أقوى لأنه صار إسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة إليها .

[ المعنى ] ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ أي فاز بثواب الله الذين صدَّقوا بالله وبوحدانيته وبرسله وقيل معنى أفلح بقي أي قد بقيت أعمالهم الصالحة وقيل معناه قد سعد قال لبيد « ولقد أفلح من كان عقل » قال الفراء يجوز أن يكون قد هاهنا لتأكيد الفلاح للمؤمنين ويجوز أن يكون تقريباً للماضي من الحال ألا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون المعنى في الآية إن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف فقال ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ أي خاضعون متواضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والأعراض عما سواها فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود وأما بالجوارح فهو غض البصر والإقبال عليها وترك الالتفات والعبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع بصره إلى السماء في صلاته فلما نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض

﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ اللغو في الحقيقة هو كل قول أو فعلٍ لا فائدة فيه يعتدّ بها فذلك قبيح محظور يجب الإعراض عنه وقال ابن عباس اللغو الباطل وقال الحسن هو جميع المعاصي وقال السدي هو الكذب وقال مقاتل هو الشتم فإن كفار مكة كانوا يشتمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فنهوا عن إجابتهم وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله وفي رواية أخرى أنه الغناء والملاهي ﴿ **والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾ أي مؤدّون فعبَّر عن التأدية بالفعل لأنه فعل قال أمية بن أبي الصلت « المطعمونَ الطَّعامَ فِي السَّنَةِ الأَزْمَةِ وَالْفَاعِلُونَ لِلْزَّكَوَاتِ »(١) قال ابن عباس للصدقة الواجبة مؤدّون ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ قال الليث الفرج إسم لجميع سؤات الرجال والنساء والمراد بالفروج هاهنا فروج الرجال بدلالة قوله ﴿ **إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم** ﴾ قال الزجاج المعنى أنهم يلامون في إطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم ودلَّ على المحذوف ذِكر اللوم في قوله ﴿ **فإنهم غير ملومين** ﴾ وملك اليمين في الآية المراد به الإماء لأن الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم وإنما قيل للجارية ملك يمين ولم يقل في الدار ونحوها ملك يمين لأن ملك الجارية أخص منه إذ يجوز له نقض بنية الدار وليس له نقض بنية الجارية وله عارية الدار وليس له عارية الجارية للوطء حتى توطأ بالعارية وإنما أطلق سبحانه إباحة وطء الأزواج والإماء وإن كانت لهن أحوال يحرم وطؤهن فيها كحال الحيض والعدة للجارية من زوج لها وما أشبه ذلك لأن الغرض بالآية بيان جنس من يحل وطؤها دون الأحوال التي لا يحل فيها الوطء ﴿ **فمن ابتغى وراء ذلك** ﴾ أي طلب سوى الأزواج والولائد المملوكة ﴿ **فأولئك هم العادون** ﴾ أي الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ أي حافظون وافون والأمانات ضربان أمانات الله تعالى وأمانات العباد فالأمانات التي بين الله تعالى وبين عباده هي العبادات كالصيام والصلاة والإغتسال وأمانات العباد هي مثل الودائع والعوارى والبياعات والشهادات وغيرها وأما العهد فعلى ثلاثة أضرب أوامر الله تعالى ونذور الإنسان والعقود الجارية بين الناس فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات والعهود والقيام بما يتولاه منها ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ أي يقيمونها في أوقاتها ولا يضيعونها وإنما أعاد ذكر الصلاة تنبيهاً على عظم قدرها وعلو رتبتها عنده تعالى ﴿ **أولئك هم الوارثون** ﴾ معناه إن من كانوا بهذه الصفات

---

(١) الأزمة : الشدة والقحط .

واجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقيل إن معنى الميراث هنا أنهم يصيرون إلى الجنة بعد الأحوال المتقدمة وينتهي أمرهم إليها كالميراث الذي يصير الوارث إليه ثم وصف الوارثين فقال ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ وهو إسم من أسماء الجنة عن الحسن ولذلك أنّث فقال ﴿ هم فيها خالدون ﴾ وقيل هو إسم لرياض الجنة عن مجاهد وأبي علي الجبائي وقيل هو جنة مخصوصة ثم اختلف في أصله فقيل إنه إسم رومي فعرب وقيل هو عربي وزنه فعلول وهو البستان الذي فيه كرم قال جرير « يا بُعْدَ يَبْرِينَ مِنْ بابِ الْفَرادِيس »[١] وقال الجبائي معنى الوراثة هنا أن الجنة ونعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾

(١) وقبله « فقلت للركب إذ جد الرحيل بنا » ويبرين موضع من أصقاع بحرين .

[ القراءة ] قرأ ابن عامر وأبو بكر عَظْماً فكسونا العَظْم على الأفراد وقرأ زيد عن يعقوب عَظْماً فكسونا العظام والباقون على الجمع في الموضعين .

[ الحجة ] قال أبو علي الجمع أشبه بما جاء في التنزيل إذا كنا عظاماً ورفاتاً إذا كنا عظاماً نخرة من يحيي العظام والأفراد لأنه إسم جنس فأفرد كما يفرد المصادر وغيرها من الأجناس نحو الدرهم والإنسان وليس ذلك على حد قوله :

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ(١)

ولكنه على ما أنشده أبو زيد :

لَقَدْ تَعَلَّلْتُ عَلىٰ أيانِقٍ صُهْبٍ قَلِيلاتِ القُرادِ اللاّزِقِ(٢)

فالقراد يراد به الكثرة لا محالة .

[ اللغة ] السلالة إسم لما يسل من الشيء كالكساحة إسم لما يكسح وتسمى النطفة سلالة والولد سلالة وسليلة والجمع سلالات وسلائل فالسلالة صفوة الشيء التي يخرج منها كالسلافة قال الشاعر :

وَهَلْ كُنْت إلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيْلَةَ أفْرَاسٍ تَجلَّلَهَا بَغْلُ(٣)

والنطفة الماء القليل وقد يقال للماء الكثير أيضاً ومنه قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات مصارعهم دون النطفة يريد النهر وأن يعني الخوارج ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً يعني بحر المشرق وبحر المغرب .

[ الإعراب ] في قرار بي موضع الصفة لنطفة وعلقة حال من النطفة بعد الفراغ من الفعل وكذلك القول في مضغة وعظام ولحماً مفعول ثان لكسونا وخلقاً مصدر أنشأنا من غير لفظه من نخيل وأعناب صفة لجنات وكذلك قوله لكم فيها فواكه كثيرة .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه على وجه القسم ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من

---

(١) زمن خميص أي شديد .

(٢) تعلل بالأمر : تشاغل . وإيانق جمع أينق وهي جمع الناقة . والأصهب من الإبل : الذي يخالط بياضه حمرة . والقراد : دويبة تعض الإبل . ومعنى قليلات : إن جلودها ملس لا يثبت عليها قراد الأرنق لأنها سمان ممتلئة .

(٣) المهرة : ولد الفرس . وقال بعضهم لأن قوله « بغل » تصحيف ، وإن صوابه نغل بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب لأن البغا لانسان .

طين ﴾ المراد بالإنسان ولد آدم (ع) وهـو إسم الجنس فيقع على الجميـع عن ابن عباس ومجاهد وأراد بالسلالة الماء يسل من الظهر سلا من طين أي من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفة سلت تلك النطفة من طين وقيل أراد بالإنسان آدم (ع) لأنه إستل من أديم الأرض عن قتادة ﴿ **ثم جعلناه** ﴾ يعني ابن آدم الذي هو الإنسان ﴿ **نطفة في قرار مكين** ﴾ يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هُيِّأ لاستقـراره فيه إلى بلوغ أمَـده الـذي جعل لـه ﴿ **ثم خلقنا النـطفة علقـة فخلقنا العلقـة مضغة** ﴾ مفسّـر في سورة الحـج ﴿ **فخلقنا المضغة عـظاماً** ﴾ أي جعلنـا تلك المضغة من اللحم عـظاماً ﴿ **فكسـونا العـظام لحماً** ﴾ أي فأنبتنا اللحم على العظام كاللباس . بيَّن سبحانه تنقل أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه لينبِّه على بدائع حكمته وعجائب صنعته وكمال نعمته ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾ أي نفخنا فيه الروح عن ابن عباس ومجاهـد وعكرمـة والشعبي والضحاك وقيـل هو نبات الشعر والأسنان وإعطاء الفهم عن قتادة وقيل يعني ثم أنشأناه ذكـراً وأنثى عن الحسن ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ أي تعالى الله ودام خبره وثبت وقيل معناه استحق التعـظيم بأنه قديم لم يزل ولا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذي هو الثبوت وقال أحسن الخالقين لأنه لا تفاوت في خلقه وأصل الخلق التقدير يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية تصنعون ويصنع الله وهو خير الصانعين وفي هذا دليل على أن اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدراً تقديراً لا تفاوت فيه وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى ودليله قوله ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سـرح كان يكتب لـرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ إلى قوله ﴿ **خلقاً آخـر** ﴾ خطر ببـاله فتبـارك الله أحسن الخالقين فلما أملاها رسول الله كذلك قال عبد الله إن كان نبياً يوحى إليه فأنا نبيٌّ يوحى إليّ فلحق بمكة مرتداً ولو صحَّ هذا فإن هذا القدر لا يكون معجزاً ولا يمتنع أن يتفق ذلـك من الواحد منا لكن هذا الشقي إنما اشتبه عليه أو شبّه على نفسه لما كان في صدره من الكفر والحسد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **ثم أنكم بعد ذلك** ﴾ أي بعدمـا ذكرنـا من تمام الخلق ﴿ **لميتون** ﴾ عند إنقضاء آجالكم ﴿ **ثم أنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ أي تحشرون إلى الموقف والحساب والجزاء أخبر الله سبحانه أن هذه البنية العجيبة المبنية على أحسن إتقان وإحكام تنقض بالموت لغرض صحيـح وهو البعث والإعـادة وهذا لا يمنـع من الإحياء في القبور لأن إثبات البعث في القيامة لا يدل على نفي ما عداه ألا ترى أن الله سبحـانه أحيـا الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف وأحيا قوم موسى على الجبل بعد ما أماتهم وفي الآية

دلالة على فساد قول النظام في أن الإنسان هو الروح وقول معمر إن الإنسان شيء لا ينقسم وأنه ليس بجسم ﴿ **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق** ﴾ أي سبع سماوات كـل سماء طـريقة وسميت بذلك لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق المـلائكة عن الجبـائي وقيل الطرائق الـطباق وكـل طبقة طـريقة عن ابن زيـد وقيل إن مـا بين كل سمـائين مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والأرض عن الحسن ﴿ **وما كنا عن الخلق غافلين** ﴾ إذ بنينا فوقهم سبع سماوات أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل معناه ما خلقناهم عبثاً بل خلقناهم عالمين بأعمالهم وأحوالهم عن الجبائي وفي هذا دلالـة على أنه عـالم بجميع المعلومات وفيه زجر عن السيئات وترغيب في الطاعات ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء** ﴾ أي مطراً وغيثاً ﴿ **بقدر** ﴾ أي بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد ولا ينقص عنه فيهلك بل على ما توجبه المصلحة ﴿ **فأسكناه في الأرض** ﴾ أي جعلنا له الأرض مسكناً جمعناه فيه لينتفـع به يريد ما يبقى في المستنقعات والدحلان[1] أقرَّ الله الماء فيها لينتفع الناس بها في الصيف عند إنقطاع المطر وقيل معناه جعلنا عيوناً في الأرض وروى مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله ﴿ **وأنزلنا من السمـاء ماء بقـدر** ﴾ الآية ﴿ **وإنـا على ذهاب بـه لقادرون** ﴾ أي ونحن على إذهابه قادرون ولو فعلناه لهلك جميع الحيوانات نبَّه سبحانه بذلـك على عظيم نعمتـه على خلقه بإنزال الماء من السماء ﴿ **فأنشأنا لكم** ﴾ أي أحدثنا وخلقنا لنفعكم ﴿ **به** ﴾ أي بسبب هذا الماء ﴿ **جنات من نخيل وأعناب لكم** ﴾ يا معاشر الخلق ﴿ **فيها فواكه كثيرة** ﴾ تتفكهون بها ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ وإنما خصَّ النخل والأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة والطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التي عرفوها .

[ **النظم** ] وجه إتصال الآيات بما قبلها أنه سبحانه لما ذكر نعمته على المؤمنين بما أعدَّ لهم في الآخرة ابتدأ بذكر نعمه عليهم في مبتدء خلقه تنبيهاً لهم على النظر فيها وترغيباً في التمسك بالحسنات المذكورة ولمّا بيَّن أحوال الآخرة بيَّن متى يكون البعث ودلَّ بذلك على أن من قدر على خلق الإنسان في هذا الترتيب والتركيب العجيب قدر على الإعادة ثم أبان عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السماوات ثم بيَّن أنه لا يغفل عن عباده إذ لا يشغله

---

(١) الدحلان جمع الدحل : المصنع يجمع الماء .

فعل عن فعل ثم بيّن أنه قادر لذاته حيث أنزل من السماء الماء وأسكنه في الأرض بأن فرّقه في البحار والأنهار والعيون ثم بيّن سبحانه أنه قادر على إذهابه دلالة على أن هذه النعمة وقعت باختياره ثم ذكر تفصيل النعمة .

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ
مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ
فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ
مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو طور سيناء بكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب عن روح تنبت بالدهن بضم التاء والباقون تنبت بفتح التاء وضم الباء وفي الشواذ قراءة الحسن والزهري والأعرج تنبت بضم التاء وفتح الباء وقد ذكرنا إختلافهم في نسقيكم في سورة النحل .

[ **الحجة** ] قال أبو عمرو من قرأ سيناء بفتح السين لم ينصرف الإسم عنده في معرفة ولا نكرة لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث ولا تكون للإلحاق لأن فعلال لا يكون إلا في المضاعف فلا يجوز أن يلحق به شيء فهذا إذاً كموضع أو بقعة تسمى بطرفاء أو صحراء ومن قرأ سيناء بالكسر فالهمزة فيها منقلبة عن الياء كعلباء وسيساء[1] وهي الياء التي

(١) العلباء : عصبة في صفحة العنق . والسيساء : منتظم فقار الظهر .

أظهرت في نحو دِرْحايَة[١] وإنما لم ينصرف على هذا القول وإن كان غير مؤنث لأنه جعل اسم بقعة فصار بمنزلة امرأة سميت بجعفر ومن قرأ تُنْبِتُ بالدهن احتمل وجهين ( أحدهما ) **أن يجعل الجار زائداً يريد تنبت الدهن كما في قوله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ وقد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول به في نحو قوله:**

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لاقَتْ لَبُونَ بَنِي زِيَادٍ[٢]

**وقد زيدت مع هذه الكلمة بعينها في قوله :**

بِوادٍ يَمانٍ تَنْبُتُ الشَّتُّ حَوْلَهُ ... وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشُّبُهانِ[٣]

**حملوه على ينبت أسفله المرخ ويجوز أن تكون الباء متعلقاً بغير هذا الفعل الظاهر ويقدر مفعولا محذوفاً تقديره تنبت جناها أي ثمرتها وفيها دهن وصبغ كما تقول خرج بثيابه وركب بسلاحه ومن قرأ تَنبت بالدهن جاز أن يكون الجار فيه للتعدي أنبته ونبت به ويجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في الوجه الأول ولا يكون للتعدي ولكن تنبت وفيها دهن وقد قالوا انبت بمعنى نبت فكان الهمزة في انبت مرة للتعدي ومرة لغيرها ويكون من باب أخال واجرب واقطف أي صار ذا خال وجرب[٤] ومن قرأ تُنْبَت فهو على معنى تنبت وفيها دهنها وتؤكد ذلك قراءة عبدالله تخرج بالدهن أي تخرج من الأرض ودهنها معها قال ابن جني ذهبوا في بيت زهير حتى إذا أنبت البقل»[٥] إلى انه في معنى نبت وقد يجوز أن يكون محذوف المفعول بمعنى حتى إذا انبت البقل ثمره قال ومن ذهب إلى زيادة الباء في قوله تنبت بالدهن فمضعوف المذهب لأنه يزيد حرفاً لا حاجة له إلى اعتقاد زيادته .**

**[ المعنى ]** ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال **﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾** أي وأنشأنا لكم بذلك المطر شجرة يعني شجرة الزيتون وخصَّت بالذكر لما فيها من العبرة بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة وسيناء إسم المكان الذي به هذا الجبل في أصح الأقوال وهي نبطية في قول الضحاك وحبشية في قول عكرمة وهي إسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها عن مجاهد

(١) الدرحاية من الرجال : القصير السمين البطين .

(٢) مضى البيت في صفحة ٣٦ من هذا الجزء فراجع .

(٣) مضى البيت في صفحة ١٤٠ من هذا الجزء فراجع .

(٤) [ وقطف ].

(٥) هذا جزء من بيت تمامه

« رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل »

وقيل سيناء البركة فكأنه قيل جعل البركة عن ابن عباس وقتادة وقيل طور سيناء الجبل المشجر أي كثير الشّجر عن الكلبي وقيل هو الجبل الحسن عن عطاء وهو الجبل الذي نودي منه موسى (ع) وهو ما بين مصر وايلة عن ابن زيد ﴿ **تنبت بالدهن** ﴾ أي تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت ﴿ **وصبغ للآكلين** ﴾ والصبغ ما يصطبغ به من الآدم وذلك أن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتدام به والمراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فإنه يدهن به ويؤتدم جعل الله في هذه الشجرة آدماً ودهناً فالآدم الزيتون والدهن الزيت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الزيت شجرة مباركة فأتدموا به وادّهنوا ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة** ﴾ أي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى ﴿ **نسقيكم مما في بطونها** ﴾ أراد به اللبن ومن قرأ بضم النون أراد إنا جعلنا ما في ضروعها من اللبن سقياً لكم ومن فتح النون جعل ذلك مختصاً بالسقاة وهو مفسر في سورة النحل ﴿ **ولكم فيها منافع كثيرة** ﴾ في ظهورها وألبانها وأوبارها وأصوافها وأشعارها ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ أي من لحومها وأولادها والتكسب بها ﴿ **وعليها** ﴾ يعني على الإبل خاصة ﴿ **وعلى الفلك تحملون** ﴾ وهذا كقوله ﴿**وحملناهم في البر والبحر**﴾ أما في البر فالإبل وأما في البحر فالسفن ولما قدَّم سبحانه ذكر الأدلة الدالة على كمال قدرته فأتبعها بذكر شمول نعمته على كافة خليقته عقَّب ذلك بذكر إنعامه عليهم بإرسال الرسل فقال ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه** ﴾ قيل إنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه عن ابن عباس وقيل في سبب نوحه أنه كان يدعو على قومه بالهلاك وقيل هو مراجعته ربه في شأن ابنه ﴿ **فقال يا قوم اعبدوا الله** ﴾ أي أطيعوه ووحِّدوه ﴿ **ما لكم من إله غيره** ﴾ بدأ بالتوحيد لأنه الأهم ﴿ **أفلا تتقون** ﴾ عذاب الله في ترك الإيمان به ﴿ **فقال الملأ** ﴾ أي الأشراف ﴿ **الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم** ﴾ أي يتشرف ويترأس عليكم بأن يصير متبوعاً وأنتم له تبع فيكون له الفضل عليكم ﴿ **ولو شاء الله** ﴾ أن لا يعبد شيء سواه ﴿ **لأنزل ملائكة** ﴾ ولم يرسل بشراً آدمياً ﴿ **ما سمعنا بهذا** ﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿ **في آبائنا الأولين** ﴾ أي في الأمم الماضية ﴿ **إن هو إلا رجل به جنة** ﴾ أي حالة جنون ﴿ **فتربصوا به حتى حين** ﴾ أي انتظروا موته فتستريحوا منه وقيل فانتظروا أفاقته من جنونه فيرجع عما هو عليه وقيل معناه احبسوه مدة ليرجع عن قوله .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا

فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ
فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ
أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو بكر عن عاصم مَنزِلاً بفتح الميم وكسر الزاي والباقـون مُنزَلاً بضم الميم وفتح الزاي .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ مُنزَلاً بالضم جاز أن يكون مصدراً وأن يكون مـوضعاً للإنزال فعلى الوجه الأول جاز أن يعدّى الفعل إلى مفعول آخر وعلى الوجه الثاني قد تعدى إلى مفعولين ومن قرأ منزلاً أمكن أن يكون مصدراً وأن يكون موضع نزول ودل أنزلني على نزلت .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه أن نوحاً لما نسبه قومه إلى الجنون ولم يقبلوا منـه ﴿ **قال رب أنصرني بما كذبوني**﴾ أي بتكذيبهم إياي والمعنى أنصرني بإهلاكهم ﴿ **فأوحينا إليه أن أصنع الفلك بأعيننا** ﴾ أي بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا بعينه وقيـل معناه بـأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين فإنهم يحرسونك من كل من يمنعك منه ﴿ **ووحينا** ﴾ أي بأمرنا وإعلامنا إياك كيفية فعلها ﴿ **فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها** ﴾ أي فادخل في السفينة ﴿ **من كل زوجين إثنين وأهلك، إلا من سبق عليه القول منهم** ﴾ مفسر في سورة هود ﴿ **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** ﴾ أي لا تكلمني في شأنهم ﴿ **إنهم مغرقون** ﴾ أي هالكون ﴿ **فإذا إستـويت أنت** ﴾ يا نـوح ﴿ **ومن معك على الفلك** ﴾ أي السفينـة ﴿ **فقل الحمـد الله الذي نجانا** ﴾ أي خلصنا ﴿ **من القوم الظالمين** ﴾ لنفوسهم بجحدهم توحيد الله ﴿ **وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً** ﴾ أي إنزالاً مباركاً أو نزولاً مباركاً بعد الخروج من السفينة وذلك تمام النجاة عن مجاهد وقيل المنزل المبارك هو السفينة عن الجبائي قيل لأنه سبب النجاة وقيل معناه أنزلني

مكاناً مباركاً بالماء والشجر عن الكلبي وقيل معنى البركة أنهم تـوالدوا وكثـروا عن مقاتـل ﴿ **وأنت خير المنزلين** ﴾ لأنه لا يقدر أحد على أن يصون غيره من الآفات إذا أنـزله منـزلاً ويكفيه جميع ما يحتاج إليه إلا أنت قال الحسن كان في السفينة سبعـة أنفس من المؤمنين ونـوح ثامنهم وقيـل ثمانـون ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي في أمـر نوح والسفينـة وهلاك أعـداء الله ﴿ **لآيات** ﴾ أي دلالات للعقلاء يستدلّون بها على التوحيد ﴿ **وإن كنا لمبتلين** ﴾ معنـاه وإن كنا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره ومتعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا ومعرفتنا .

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾
وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ
أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾
قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر هيهاتِ هيهاتِ بـالكسر والبـاقون بـالفتح وفي الشـواذ قراءة

عيسى بن عمر هيهاتٍ هيهـاتٍ بالتنـوين والكسر وقـراءة أبي حَيْوَة هيهـاتٌ هيهاتٌ بـالرفـع والتنوين وقراءة عيسى الهمداني هيهات هيهات مرسلة التاء .

[ **الحجة** ] قال ابن جني أما الفتح وهو قراءة العامة فعلى أنه واحد وهو اسم سمي به الفعل في الخبر وهو اسم بعد. كما انّ شتّان اسم افتـرق وأُفّ اسم أتضجر ومن كسـر فقال هيهاتٍ منوّناً أو غير منوّن فهو جمع هيهاة وأصلها هيهيات فحذف الألف لأنه في آخر اسم غير متمكن كما حذفت يـاء الذي وألف ذا في التثنيـة إذا قلت اللذان وذان ومن نوَّن ذهب إلى التنكير أي بُعداً بُعداً ومن لم ينوِّن ذهب إلى التعريف أراد البعد البعد ومن فتح وقف بالهاء لأنها كهاء ارطأة ومن كسر كتبها بالتاء لأنها جماعة ومن قال هيهاتٌ بالتنوين والرفع فإنه يكتبها بالهاء ويكون اسماً معرباً فيه معنى البعد وقوله لما توعدون خبر عنه فكأنه قال البعد لوعدكم وأما هيهات ساكنة التاء فينبغي ان تكون جماعة وتكتب بالتـاء وأجريت في الـوقف مجراهـا في الوصل وتقول العرب هيهات لما تبغي وهيهات منزلك قال جرير

فَـهَيْـهَـاتَ هَيْـهَـاتَ الْعَـقِـيـقَ ومَـنْ بِـهِ وَهَـيْـهَـاتَ خِـلٌّ بِـالْـعَقِـيقِ نُـوَاصِـلُه[1]

ويروى ايهات واختار الفراء الوقف على هيهات بالتاء لأن قبلها ساكناً فصارت كتأنيث اخت وقال أبو علي إنما كرر هيهات في الآية وفي البيت للتأكيد وأما اللتان في الآية ففي كل واحدة منهما ضمير مرتفع يعود إلى إلى الاخراج إذ لا يجوز خلوه من الفاعل والتقدير هيهات اخراجكم لأن قوله إنكم مخرجون بمعنى الاخراج أي بعد اخراجكم للوعـد إذ كان الـوعد اخراجكم بعد موتكم استبعـد اعداء الله اخراجهم لـمـا كانت العـدة به بعـد الموت ففـاعل هيهات هو الضمير العائد إلى انكم مخرجون الذي هو بمعنى الاخراج وامـا في البيت ففي هيهات الأول ضمير العقيق وفسّر ذلك ظهوره مع الثاني .

[ **الإعراب** ] اختلفوا في أن الثانية من قوله سبحانه ﴿**أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون**﴾ وكذلك قوله ﴿**ألم يعلموا أنه من يحـادد الله ورسولـه فإن لـه نار جهنم**﴾ وقوله ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تـاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم**﴾ فقال سيبويه إن الثانية في هذه المـواضع الثـلاث بدل من الأولى وقال أبو عمرو الجرمي وأبو العباس المبرد أنها مكررة للتأكيد وطول الكلام وقال أبو الحسن إنها مرتفع بالظرف واختاره أبو علي الفارسي وزيف القولين الأولين وأقول أن انَّ الأولى في

(١) العقيق: اسم موضع وفي اللسان « نحاوله » بدل « نواصله » .

قوله أيعدكم انكم مع اسمها وخبرها في موضع نصب على أنه المفعول الثاني من الوعد ويكون تقديره على مذهب سيبويه أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أي أيعَدكم كونكم مخرجين بعد موتكم وكونكم تراباً وعظاماً وأما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره أيعدكم أنكم بعد موتكم مخرجون وأما على مذهب أبي الحسن وأبي علي فتقديره أيعدكم أنكم إذا متّم اخراجكم واتقوا انكم وقت موتكم أو بعد موتكم اخراجكم فقوله انكم مخرجون في موضع رفع بالظرف الذي هو قوله إذا متّم وقوله إذا متّم مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعة موقع خبر ان الأولى وموضع اذا نصب كما انتصب يوم في قولك يوم الجمعة القتال والعامل في الظرف في الأصل الفعل المحذوف أو معنى الفعل مثل قولك يحدث أو حادث أو يكون أو كائن ولا يجوز ان يكون العامل فيه الاخراج نفسه إذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام ولا يكون له خبر ثم يحذف هذا المضمر لدلالة الظرف عليه وقيامه مقامه ويصير الذكر الذي كان في المضمر من المحدث عنه في الظرف وذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان يرتفع بالفعل كما في نحو قولك زيد ذهب وزيد ذاهب فلما قام الظرف مقام الفعل متأخراً عن الاسم قام مقامه أيضاً مبتدأ فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك إذا في الآية تقديره في الأصل إذا متم اخراجكم كائن أو حادث أو يكون أو يحدث ثم اختزل الفعل او معنى الفعل على ما قاله أبو علي فانتصب إذا بذلك كما ينتصب غداً في قولك غداً الرحيل وحذف الخبر كما حذف من غد ثم قام إذا مقام الفعل فرفع قوله إنكم مخرجون كما رفع قولك غدا الرحيل وعلى هذا فيجوز ان نقول هنا ان موضع اذا نصب بحادث أو يحدث المضمر في قولك اذا متم اخراجكم يحدث أو حادث ويجوز أن نقول ان الاسم الذي هو انكم مخرجون واقع موقع جواب شرط إذا ويرفع بفعل مضمر تقديره أيعدكم إذا متم يعاد اخراجكم او يحدث اخراجكم ويكون موضع إذا نصب بذلك الفعل فأما تقدير ارتفاع ان الثانية بالظرف في الآيتين الأخيرتين فقد تقدّم بيانه في موضعيهما من هذا الكتاب فلا معنى لإعادته فقد أجاز أبو عثمان وغيره اضمار الظرف وأعماله كما قالوا في انتصاب مثلهم في بيت الفرزدق

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإِذْ ما مِثْلَهُمْ بَشَرُ[1]

انه على ظرف مضمر .

[ المعنى ] ثم عطف سبحانه على قصة قوم نوح فقال ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز. وضماير الجمع مرجعها قريش .

أحدثنا وخلقنا من بعد قوم نوح ﴿قرناً آخرين﴾ أي جماعة آخرين من الناس والقرن أهل العصر على مقارنة بعضهم لبعض قيل يعني عاد أقوم هود لأنه المبعوث بعد نوح وقيل يعني ثمود لأنهم أهلكوا بالصيحة عن الجبائي ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ سبق تفسيره ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ أي بالبعث والجزاء ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ أي نعمناهم فيها بضروب الملاذ ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ من الاشربة فليس هو أولى بالرسالة منا ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ فيما يدعوكم اليه ﴿إنكم اذا لخاسرون﴾ باتباعه ﴿أيعدكم﴾ هذا الرسول ﴿إنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً﴾ وصرتم بعد الموت رميماً ﴿إنكم مخرجون﴾ من قبوركم احياء ﴿هيهات﴾ فيه ضمير مرتفع عائد إلى قوله انكم مخرجون والمعنى هيهات هو أي بُعَد اخراجكم جِدّاً حتى امتنع ﴿هيهات لما توعدون﴾ قال ابن عباس بعداً بعداً لما توعدون وقال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم ليوم البعث ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي ليس الحياة إلا الحياة التي نحن فيها القريبة منا ﴿نموت ونحيا﴾ أي يموت قوم منا ويحيا قوم ولا نبعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء عن الكلبي وقيل يموت قوم ويولد قوم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بعد ذلك ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي اختلق كذباً ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ أي بمصدّقين فيما يقول ﴿قال رب انصرني بما كذبوني﴾ تقدّم بيانه ﴿قال﴾ أي قال الله سبحانه ﴿عما قليل﴾ أي عن قليل من الزمان والوقت يعني عند الموت لو عند نزول العذاب وما ها هنا مزيدة ﴿ليصبحن نادمين﴾ هذا وعيد لهم واللام للقسم .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ
ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾
وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر تترى بالتنوين والباقون بغير تنوين ومن نوّن وقف بالألف لا غير ومن لم ينوِّن ومذهبه الامالة وقف بالياء وهي ألف ممالة والباقون بالألف وقد ذكرنا اختلافهم في ربوة في سورة البقرة .

[ الحجة ] قال أبو علي تترى فعلى من المواترة ان يتبع الخبر الخبر والكتاب الكتاب فلا يكون بينهما فصل كثير والأقيس ان لا يصرف لإنّ المصادر قد يلحق أواخرها ألف التأنيث كالدعوى والعدوىٰ والذكرى والشورى ولم نعلم شيئاً من المصادر لحق آخرها الياء للالحاق فمن قال تترى امكن ان يريد به فعلى من المواترة فيكون الألف بدلاً من التنوين وان كان في الخط بالياء كان للالحاق والالحاق في غير المصادر ليس بالقليل نحو ارطى ومعزى ولزم ان يحمل على فعل دون فعلى ومن قال تترى وأراد به فعلى فحكمه ان يقف بالألف مفخمة ولا يمليها ومن جعل للالحاق أو للتأنيث امال الألف إذا وقف عليها .

[ المعنى ] لمّا قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه عقّبه بالأخبار عن اهلاكهم فقال ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صاح بهم جبرائيل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم ﴿بالحق﴾ أي باستحقاقهم العقاب بكفرهم ﴿فجعلناهم غثاء﴾ وهو ما جاء به السيل من نبات قد يبس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وعيدان شجرة فهو غثاء والمعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء وهمدوا ﴿فبعداً﴾ أي الزم الله بعداً من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ المشركين المكذّبين ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي من بعد هؤلاء ﴿قروناً آخرين﴾ أي أمماً وأهل اعصار آخرين ﴿ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون﴾ هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت امة قبل اجلها المضروب لها ولا تتأخر عنه وقيل عنى بالعذاب الموعود لهم على التكذيب انه لا يتقدّم على الوقت المضروب لهم لذلك ولا يتأخر

عنه والأجل هو الوقت المضروب لحدوث امر من الأمور والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم والأجل المشروط بحسب الشرط والمراد بالأجل المذكور في الآية الأجل المحتوم ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ أي متواترة يتبع بعضهم بعضاً عن ابن عباس ومجاهد وقيل متقاربة الأوقات وأصله الاتصال لاتصاله بمكانه من القوس ومنه الوتر وهو الفرد عن الجمع المتصل قال الأصمعي يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيهة ﴿كلما جاء امة رسولها كذبوه﴾ ولم يقرُّوا بنبوته ﴿فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ يعني في الإهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أي يتحدث بهم على طريق المثل في الشر وهو جمع احدوثة ولا يقال هذا في الخير والمعنى إنا صيَّرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم إلا حديثهم ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ ظاهر المعنى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ أي بدلائلنا الواضحة ﴿وسلطان مبين﴾ أي وبرهان ظاهر بيّن ﴿إلى فرعون وملئه﴾ خصَّ الملأ وهم الأشراف بالذكر لأن الآخرين كانوا أتباعاً لهم ﴿فاستكبروا﴾ أي تجبَّروا وتعظَّموا عن قبول الحق ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ أي متكبرين قاهرين قهروا أهل أرضهم واتخذوهم خولاً ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أي أنُصدّق لانسانين خلقهم مثل خلقنا ويسمى الانسان بشراً لانكشاف بشرته وهي جلدته الظاهرة حتى احتاج إلى لباس يكنُّه وغيره من الحيوان مغطى البشرة بصوف أو ريش أو غيره لطفاً من الله سبحانه بخلقه إذ لم يكن هناك عقل يدبّر امره مع حاجته إلى ما يكنُّه والانسان يهتدي إلى ما يستعين به في هذا الباب ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ أي مطيعون طاعة العبد لمولاه قال الحسن كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ أي فكذَّبوا موسى وهارون فكان عاقبة تكذيبهم ان أهلكهم الله وغرقهم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي لكي يهتدوا إلى طريق الحق والصواب ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ وهذا مثل قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين أي حجة على قدرتنا على الاختراع وآية عيسى انه خلق من غير ذكر وآية مريم انها حملت من غير فحل ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ أي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً واسعاً يقال أوى إليه يأوي أوياً وأواه غيره يؤويه ايواء أي جعله مأوى له والربوة التي أويا اليها هي الرملة من فلسطين عن أبي هريرة وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتادة وكعب قال كعب وهي أقرب الأرض إلى السماء وقيل هي حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقيل ﴿ذات قرار ومعين﴾ معناه أي ذات موضع قرار أي هي أرض مستوية يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك وسعيد وقيل ذات ثمار عن قتادة ذهب إلى أنه لأجل الثمار

يستقرُّ فيها ساكنوها ومعين ماء جار ظاهر العيون مفعول من عِنْتُهُ أعينه ويجوز ان يكون فعيلاً من معن يمعن معانة والماعون الشيء القليل في قول الزجاج قال الراعي

قَوْمٌ عَلَى الإِسْلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ... مَا عُونَهُمْ ويُبَدِّلُوا التَّنْزِيلا

قالوا معناه رفدهم وقيل زكاتهم وقال عبيد بن الأبرص

وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌ ... أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهُوبٌ(١)

واللهب شق في الجبل ممعن مارٌ والمعن الشيء السهل الذي ينقاد ولا يعتاص وامعن بحقه وأذعن أي أقرّ قال ابن الأعرابي سالت معانه أي مسائله ومجاريه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة وإنَّ هذه بالكسر وقرأ ابن عامر وأنْ بالفتح والتخفيف والباقون وأنَّ هذه بالفتح .

[ الحجة ] قال أبو علي من قرأ وأنَّ هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل وسيبويه انه محمول على الجار والتقدير لأن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي اتقوني لهذا ومثل ذلك عندهم قوله وانَّ المساجد أي ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وكذلك عندهما لايلاف قريش فكأنه قال فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش أي ليقابلوا هذه النعمة

(١) الوهي: الشق في الشيء والهضبة: الجبل المنبسط .

بالشكر والعبادة للمنعم بها وعلى هذا التقدير يحمل قراءة ابن عامر ألا ترى ان إذا خففت اقتضت ما يتعلق بها اقتضاءها وهي غير مخففة وقال بعض النحويين موضع ان المفتوحة جر عطفاً على قوله بما تعملون وأمة واحدة نصب على الحال والكوفيون يسمونه قطعاً ومن كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح ولكن يجعلها كلاماً مستأنفاً .

[ **المعنى** ] لما أخبر الله سبحانه عن ايتائه الكتاب للاهتداء ثم عما أولاه من سايغ النعماء خاطب الرسل بعد ذلك فقال **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾** قيل هو خطاب للرسل كلهم وأمر لهم ان يأكلوا من الحلال عن السدي وروي عن النبي ﷺ أنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقيل أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع عن الحسن ومجاهد وقتادة والكلبي ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا قال الحسن أما والله ما عني به اصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا الى الحلال منه **﴿واعملوا صالحاً﴾** أي ما أمركم الله به وقيل انه خطاب عيسى ( ع ) خاصة **﴿إني بما تعملون عليم﴾** هذا بيان السبب الداعي إلى اصلاح العمل فإن العاقل إذا عمل لمن يعلم عمله ويجازيه على حسب ما يعمل من عمله وبقدر استحقاقه أصلح العمل **﴿وإن هذه امتكم أمة واحدة﴾** أي دينكم دين واحد عن الحسن وابن جريج ويعضده قوله انا وجدنا آباءنا على امة أي على دين قال النابغة

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لِنَفْسِي رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعٌ

وقيل هذه جماعتكم وجماعة من قبلكم واحدة كلكم عباد الله تعالى عن الجبائي **﴿وأنا ربكم فاتقون﴾** أي لهذا فاتقوا **﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾** تفسير الآيتين قد تقدَّم في سورة الأنبياء **﴿زبراً﴾** أي كتباً وهو جمع زبور عن الحسن وقتادة ومجاهد والمعنى تفرَّقوا في دينهم وجعلوه كتباً دانوا بها وكفروا بما سواها كاليهود وكفروا بالإنجيل والقرآن والنصارى كفروا بالقرآن وقيل معناه احدثوا كتباً يحتجون بها لمذهبهم عن ابن زيد ومن قرأ زُبَراً وهو ابن عامر فمعناه جماعات مختلفة فهي جمع زبرة أي تفرقوا احزاباً وانتصب زُبُراً على الحال من أمرهم والعامل فيه تقطع وقال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتباً مختلفة على قراءة من قرأ زبراً فعلى هذا يكون زبراً مفعولاً ثانياً **﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾** أي كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون انهم على الحق ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال **﴿فذرهم﴾** يا محمد **﴿في غمرتهم﴾** أي جهلهم وضلالتهم وقيل في حيرتهم وقيل في غفلتهم وهي متقاربة **﴿حتى**

حين﴾ أي وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾ معناه أيظن هؤلاء الكفار أن ما نعطيهم ونزيدهم من اموال وأولاد انما نعطيهم ثواباً ومجازاة لهم على اعمالهم أو لرضانا عنهم ولكرامتهم علينا ليس الأمر كما يظنون بل ذلك املاء لهم واستدراج لهوانهم علينا وللابتلاء في التعذيب لهم ونظيره وقوله فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمني وروى السكوني عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول يحزن عبدي المؤمن إذا اقترت عليه شيئاً من الدنيا وذلك أقرب له مني ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك أبعد له مني ثم تلا هذه الآية إلى قوله ﴿بل لا يشعرون﴾ ثم قال إن ذلك فتنة لهم ومعنى نسارع نسرع ونتعجل وتقديره نسارع لهم به في الخيرات فحذف به للعلم بذلك كما حذف الضمير من قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم والخيرات المنافع التي يعظم شأنها ونقيضها الشرور وهي المضار التي يشتدُّ أمرها والشعور العلم الذي يدق معلومه وفهمه على صاحبه كدقة الشعر وقيل هو العلم من جهة المشاعر وهن الحواس ولهذا لا يوصف القديم سبحانه به .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ (٦١)

[ القراءة ] في الشواذ قراءة النبي ﷺ وعائشة وابن عباس وقتادة والأعمش يأتون ما أتوا مقصوراً .

[ الحجة ] معنى قوله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم يعطون الشيء ويشفقون ان لا يقبل منهم ومعنى يأتون ما آتوا انهم يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله .

[ المعنى ] ـم بيّن سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه احوال الكفار الفجار فقال ﴿إن

**الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾** أي من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه والخشية انزعاج النفس يتوهم المضرة **﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾** أي بآيات الله وحججه من القرآن وغيرها يصدّقون **﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾** أي لا يشركون بعبادة الله تعالى غيره من الأصنام والأوثان لأن خصال الإيمان لا تتم إلا بترك الاشراك **﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾** أي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقيل أعمال البرّ كلها **﴿وقلوبهم وجلة﴾** أي خائفة عن قتادة وقال الحسن المؤمن جمع احساناً وشفقة والمنافق جمع اساءة وأمناً وقال أبو عبد الله معناه خائفة أن لا يقبل منهم وفي رواية اخرى يؤتى ما آتى وهو خائف راج وقيل أن في الكلام حذفاً واضماراً وتأويله قلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم لعلمهم **﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾** أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون أن لا يقبل منهم وإنما يخافون ذلك لأنهم لا يأمنون التفريط **﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾** معناه الذين جمعوا هذه الصفات وكملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات ويسابقون اليها رغبة منهم فيها وعلماً بما ينالون بها من حسن الجزاء **﴿وهم لها سابقون﴾** أي وهم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة وقيل معناه وهم اليها سابقون وقال الكلبي سبقوا الأمم إلى الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها أمثالهم من أهل البرّ والتقوى .

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ
بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ
أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا
مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم
مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾
أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ

بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

[ القراءة ] قرأ نافع تُهجرون بضم التاء وكسر الجيم والباقون تَهجُرون بفتح التاء وضم الجيم وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وابن عباس وعكرمة سَمراً تهجرون وقراءة ابن محيصن سُمَّراً وقراءة يحيى ولو اتبع بضم الواو .

الحجة ] قال أبو علي من قال تهجرون فالمعنى انكم كنتم تهجرون آياتي وما يتلى عليكم من كتابي فلا تنقادون له وتكذبون به وتهجرون تأتون بالهجر والهذيان وما لا خير فيه من الكلام وقال ابن جني قوله تهجرون معناه تكثرون من الهجر أو هجر النبي ﷺ أو كتابه أو تُكثرون من الاهجار وهو الافحاش في القول لأن فعَّل للتكثير والسُمَّر جمع سامر والسامر القوم يسمرون أي يتحدثون ليلاً قال ذو الرمة :

وَكَمْ عَـرَّسَتْ بَعْـدَ السُّـرىٰ مِنْ مُعَـرَّسٍ بِـهِ مِنْ عَـزِيفِ الْجِنِّ أَصْـواتُ سَـامِـرِ(١)

قال قطرب السامر قد يكون واحداً أو جماعة وقيل أنه أخذ من السُمرة وهي اللون الذي بين السواد والبياض فقيل لحديث الليل السمر لأنهم كانوا يقعدون في ظل القمر يتحدثـون وقيل ان السمر ظل القمر .

[ اللغة ] الوسع الحال التي يتسع بها السبيل إلى الفعل والوسع دون الطاقة والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر والنهي والاعلام مأخوذ من الكلفة في الفعل والله سبحانه يكلّف عباده تعريضاً اياهم للنفع الذي لا يحسن الابتـداء بمثله وهو الثـواب وأصل الغمـرة الستر والتغـطية يقـال غمرت الشيء إذا سترته وغمـرات الموت شـدائده وكـل شـدة غمـرة قـال الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا والجؤار الاستغاثة ورفع الصوت بها والنكوص رجوع القهقرى وهو المشي على الأعقاب إلى خلف وهو أقبح مشية مثل بها اقبح حال وهي الاعراض عن الداعي إلى الحق .

(١) التعريس: نزول القوم في السفر في آخر الليل للاستراحة. والسرى: سير الليل. وعزيف الجن: صوته.

[ **الإعراب** ] وسعها مفعول ثان لنكلف « بالحق » ان جعلت الحق مصدراً فالباء مزيدة والتقدير ينطق الحق وان جعلته صفة محذوفاً فالتقدير ينطق بالحكم الحق ومفعول ينطق محذوف، هم لها عاملون جملة في موضع رفع لأنها صفة لأعمال مستكبرين منصوب على الحال من قوله تنكصون وذو الحال وتنكصون خبر كان وسامراً اسم للجمع منصوب لأنه حال .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه أنه لا يكلف احداً إلا دون الطاقة بعد ان أخبر عن حال الكافرين والمؤمنين فقال **﴿ولا نكلف نفساً﴾** أي لا نكلفها أمراً ولا نأمرها **﴿إلا وسعها﴾** أي دون طاقتها **﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾** معناه وعند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق أي يشهد لكم وعليكم بالحق كتبته الملائكة بأمرنا يريد صحائف الأعمال **﴿وهم لا يظلمون﴾** أي يوفون جزاء أعمالهم فلا ينقص من ثوابهم ولا يزاد في عقابهم ولا يؤاخذون بذنب غيرهم **﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾** بل ردّ لما سبق وابتداء الكلام والمعنى ان قلوب الكفار في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن وقيل في جهل وحيرة عن الحسن والجبائي **﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾** أي ولهم أعمال ردية سوى هذا الجهل يعملون تلك الأعمال فيستحقون بها وبالكفر العقوبة من الله تعالى وقيل ولهم أعمال أي خطايا من دون الحق عن قتادة وأبي العالية ومجاهد وقيل ولهم أعمال من دون الأجل الذي أجلت لهم في موتهم لا بدَّ ان يعملوها عن الحسن ومجاهد في رواية اخرى وابن زيد وقيل أعمال اصغر من ذلك أي دون الكفر كما يقال هذا دون هذا في القدر هم عاملون إلى ان يفني آجالهم فهم مشتغلون بها **﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾** أي يكون هذا دأبهم حتى إذا أخذنا متنعميهم ورؤساءهم بعذاب الآخرة ويقال عذاب الدنيا وهو عذاب السيف في يوم بدر عن ابن عباس وقيل هو الجوع حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف فابتلاهم الله سبحانه بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب عن الضحاك **﴿إذا هم يجأرون﴾** أي يضجُّون لشدة العذاب ويجزعون وقيل يستغيثون عن ابن عباس وقيل يصرخون إلى الله بالتوبة فلا يقبل منهم **﴿لا تجأروا اليوم﴾** أي يقال لهم لا تتضرعوا اليوم **﴿إنكم منا لا تنصرون﴾** هذا ايناس لهم من دفع العذاب عنهم **﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾** أي تقرأ **﴿فكنتم﴾** أيها الكافرون المعذّبون **﴿على أعقابكم تنكصون﴾** أي تدبرون وتستأخرون وترجعون القهقرى مكذبين **﴿مستكبرين به﴾** أي متكبرين على سائر الناس بالحرم او بالبلد يعني مكة أن لا يظهر عليكم فيه احد عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل مستكبرين بمحمد ﷺ أن تطيعوه وبالقرآن ان تقبلوه فإنها

كناية عن غير مذكور في الجميع ﴿سامراً﴾ أي تسمرون بالليل أي تتحدثون في معائب النبي ﷺ ﴿تهجرون﴾ الحق بالاعراض عنه وتهجرون أي تفحشون في المنطق ثم قال سبحانه ﴿أفلم يدبروا القول﴾ أي ألم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق نبيّنا ﷺ ﴿أم جاءهم ما لم يأت آبائهم الأولين﴾ قال ابن عباس يريد أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم وكذلك أرسلنا محمداً ﷺ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾ قال ابن عباس أليس هو محمداً الذي قد عرفوه صغيراً وكبيراً صادق اللسان أميناً وافياً بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالاعراض عنه بعدما عرفوا صدقه وأمانته مع شرف نسبه قبل الدعوة ﴿أم يقولون به جنة﴾ قال ابن عباس يريد وأيُّ جنون ترون به وفي هذا دلالة على جهلهم حيث أقرّوا له بالعقل والصدق أولا ثم نسبوه إلى الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون لينفروا الناس عنه أو لأنه يطمع في إيمانهم فهو يطمع في غير مطمع ﴿بل جاءهم بالحق﴾ المعنى بل جاءهم بالقرآن والدين الحق وليس به جنة ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ لأنه لم يوافق مرادهم ﴿ولو اتبع الحق اهواءهم﴾ الحق هو الله تعالى عن أبي صالح وابن جريج والسدي والمعنى ولو جعل الله لنفسه شريكاً كما يهوون ﴿لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾ ووجه الفساد ما تقدم ذكره عند قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل الحق ما يدعو إلى المصالح والمحاسن والأهواء ما تدعو إلى المفاسد والمقابح ولو اتبع الحق داعي الهوى لدعا إلى المقابح ولفسد التدبير في السماوات والأرض لأنها مدبرة بالحق لا بالهوى وقيل معناه لفسدت احوال السماوات والأرض لأنها جارية على الحكمة لا على الهوى ومن فيهن اي ولفسد من فيهن وهو اشارة الى العقلاء من الملائكة والانس والجن وقال الكلبي وما بينهما من خلق فيكون عاماً ووجه فساد العالم بذلك انه يوجب بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه وان لا يوثق بوعد ولا وعيد ولا يؤمن انقلاب عدل الحكيم ﴿بل آتيناهم بذكرهم﴾ أي بما فيه شرفهم وفخرهم لأن الرسول ﷺ منهم والقرآن نزل بلسانهم ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أي شرفهم ﴿معرضون﴾ وبالذل راضون وقيل الذكر البيان للحق عن ابن عباس .

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ

لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا
هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

[ اللغة ] أصل الخراج والخرج واحد وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة ومنه خراج الأرض وهما مصدران يجمعان وقد سبق اختلاف القراء فيه في سورة الكهف والاستكانة الخضوع وهو استفعل من الكون والمعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الأزهري أكانه الله يكينه أي أخضعه حتى ذل ومات فلان بكينة سوء اي بحال سوء وقيل ان استكان من السكينة والسكون إلا أن الفتحة اشبعت فنشأت منها الف فصار استكانوا الأصل استكنوا على افتعلوا قال عنترة في اشباع الفتحة

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرِي غَضُوبٍ جَسْرَةٍ    زَيَّافَةٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُكْدَمِ (١)

يريد ينبع فأشبع الفتحة وقال آخر

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوائِلِ حِينَ تُرْمَي    وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ (٢)

أي بمنتزح يقال استكن واستكان وتمسكن بمعنى .

---

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة. والذفرى: ما خلف الاذن. والجسرة: الناقة الموثقة الخلق. والزيف التبختر. والفنيق: الفحل من الابل. والمكدم من الفحول: القوي. يقول ينبع هذا العرق من خلف أذن الناقة الخ شبهها بالفحل في تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها .

(٢) مضى البيت في صفحة ٣٦ من هذا الجزء.

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿أم تسألهم﴾ يا محمد على ما جئتهم به من القرآن والإيمان ﴿خرجا﴾ أي اجراً ومالاً يعطونك فيورث ذلك تهمة في حالك أو يثقل عليهم قبول قولك لأجله ﴿فخراج ربك خير﴾ أي فرزق ربك في الدنيا خير منه عن الكلبي وقيل فأجر ربك في الآخرة خير منه عن الحسن ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي أفضل من أعطى وآجر وفي هذا دلالة على ان في العباد من يرزق غيره بإذن الله ﴿وإنك لتدعوهم إلى صرا ط مستقيم﴾ من التوحيد واخلاص العبادة والعمل بالشريعة ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي لا يصدّقون بالنشأة الآخرة ﴿عن الصراط لناكبون﴾ أي عن الدين الحق عادلون ومائلون وقيل معناه انهم في الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنة ويسرة إلى النار عن الجبائي ﴿ولو رحمناهم﴾ في الآخرة ﴿وكشفنا ما بهم من ضر﴾ ورددناهم إلى دار التكليف ﴿للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ مثل قوله ولو ردّوا لعادوا عن الجبائي وأبي مسلم وقيل أنه في الدنيا أي ولو أنا رحمناهم وكشفنا ما بهم من جوع ونحوه لتمادوا في ضلالتهم وغوايتهم يترددون عن ابن جريج ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ معناه انا قد أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب وضيق الرزق والقتل بالسيف ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أي ما تواضعوا ولا انقادوا ﴿وما يتضرعون﴾ أي وما يرغبون إلى الله في الدعاء وقال أبو عبد الله ( ع ) الاستكانة الدعاء والتضرع رفع اليد في الصلاة ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ أي هذا دأبهم حتى إذا فتحنا عليهم نوعاً آخر من العذاب وذاك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم سنين كسني يوسف فجاعوا حتى أكلوا العلهر وهو الوبر بالدم عن مجاهد وقيل هو القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة عن الجبائي وقيل ذلك حين فتح مكة وقال أبو جعفر ( ع ) هو في الرجعة ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ أي آيسون من كل خير متحيّرون ثم بيّن سبحانه أنه المنعم على خلقه بأنواع النعم فقال ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والافئدة﴾ أي خلق هذه الحواس ابتداء لا من شيء وخصّ هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل ويسمع ويتفكر فيعلم ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي يقل شكركم لها وقليلاً منصوب على المصدر وتقديره تشكرون قليلاً لهذه النعم التي أنعم الله بها عليكم وقيل معناه انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحّدونه عن مقاتل ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ أي خلقكم وأوجدكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ أي يحييكم في أرحام أمهاتكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي وله تدبيرها بالزيادة والنقصان وقيل وله ملك اختلافهما وهو ذهاب احدهما ومجيء الآخر ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أفلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا ان لذلك صانعاً قادراً

عالماً حياً حكيماً لا يستحق الإلهية سواه ولا تحسن العبادة إلا له .

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾
قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل
لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة سيقولون الله في الآيتين والباقون لله ولم يختلفوا في الأولى .

[ **الحجة** ] أما قراءة أهل البصرة فجواب على ما يوجبه اللفظ ومن قرأ لله فعلى المعنى وذلك أنه إذا قيل من مالك هذه الدار فأجيب لزيد فإن الجواب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ فإن الذي يقتضيه اللفظ أن يقال زيد وإنما استقام ذلك لأن معنى من مالك هذه الدار ولمن هذه الدار واحد فلذلك أجيب تارة على اللفظ وتارة على المعنى .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال **﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾** المنكرون للبعث بعد الموت ثم حكى مقالتهم فقال **﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾** وهذا جهل منهم لأنهم لو تفكروا في ان النشأة الأولى اعظم منه لما استعظموه وقد أقرّوا بأن الله خالقهم **﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا﴾** أي وعد آباؤنا هذا الذي تعدنا

من البعث ﴿من قبل﴾ أي من قبل مجيئك فما صدق وعدهم ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقة له وإنما يجري مجرى حديث السمر الذي يكتب للاطراف به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث والنشور فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ أي لمن خلق الأرض وملكها ومن فيها من العقلاء ﴿إن كنتم تعلمون سيقولون﴾ في الجواب ﴿لله﴾ وإنما قال ذلك لأنهم كانوا يقرّون بأن الله هو الخالق ﴿قل أفلا تذكرون﴾ أي فقل لهم عند ذلك أفلا تتفكرون فتعلمون أنه تعالى قادر على ذلك ومن قدر عليه قدر على احياء الموتى لأنه ليس ذلك بأعظم منه ثم زاد في الحجة فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهم أيضاً ﴿من رب السماوات السبع﴾ أي من مالكها والمتصرف فيها ﴿ورب العرش العظيم﴾ أي ومن مالك العرش ومدّبره لأنهم كانوا يقرّون بأن الله خالق السماوات وان الملائكة سكان السماوات والعرش عندهم عبارة عن الملك إلا أن يكون أتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم أخبرانهم ﴿سيقولون الله﴾ في الجواب عن ذلك أي ان رب السماوات ورب العرش هو الله ومن قرأ لله فالمعنى انها لله ﴿قل أفلا تتقون﴾ أي فعند ذلك يلزمهم الحجة فقل لهم افلا تتقون عذابه على جحد توحيده والاشراك في عبادته وفي انكار البعث ثم زاد في الحجة فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهم أيضاً ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ والملكوت من صفات المبالغة في الملك كالجبروت والرهبوت وقال مجاهد ملكوت كل شيء خزائن كل شيء ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أي يمنع من السوء من يشاء ولا يمتنع منه من أراده بسوء يقال أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته وأجرت عليه إذا حميت عنه ويحتمل أن يكون أراد في الدنيا أي من قصد عبداً من عباده بسوء قدر على منعه ومن أراد الله بسوء لم يقدر على منعه احد ويحتمل أن يكون أراد في الآخرة اي يجير من العذاب ولا يجار عليه منه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون ذلك فأجيبوا ﴿سيقولون﴾ في الجواب ﴿لله قل فأنى تسحرون﴾ أي فكيف يخيل إليكم الحق باطلاً والصحيح فاسداً مع وضوح الحق وتمييزه من الباطل وقيل معناه فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه من قولهم سحرت اعيننا فلم نبصر وقيل معناه فكيف تخدعون ويموه عليكم كقول امرىء القيس « وَنُسحَرُ بِالطَّعامِ وبِالشَّرابِ »(١) أي ونخدع ﴿بل آتيناهم بالحق وانهم لكاذبون﴾ معناه إنا جئناهم بالحق وبيّنا لهم الحق الذي فيه بيان كذبهم ولكنهم أصرُّوا على باطلهم وكذبهم .

[ النظم ] وإنما اتصلت الآية الأولى بما قبلها بمعنى انهم لو تفكّروا لعلموا ولكن

(١) وقبله « أرنا موضعين لحتم غيب » وقد مر بتمامه في ج ٦ .

عوَّلوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الأولون فعلى هذا تكون متصلة بقوله أفلا تعقلون وقيل انه جواب الاستفهام في قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين والآية الأخيرة معطوفة على ما تقدَّم من أدلة التوحيد وهي رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ان الأصنام آلهة وان الله سبحانه له ولد وان الملائكة بنات الله .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير حفص عالم الغيب بالرفع والباقون بالجر إلا أن رويساً إذا وصل جر وإذا ابتدأ رفع .

[ **الحجة** ] وجه الرفع أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هو عالم الغيب ووجه الجر ان يكون صفة الله تعالى ويكون اضافة عالم حقيقية بمعنى اللام ويجوز أن يكون بدلاً فتكون الاضافة غير حقيقية والغيب في تقدير النصب الأول يكون بمعنى الماضي والثاني بمعنى

الحاضر ولا يكون بمعنى المستقبل .

[ اللغة ] الهَمْزة شدة الدفع ومنه الهمزة للحرف الذي يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد ودفع وهمزة الشيطان دفعه بالاغواء الى المعاصي وقوس همَزى شديدة الدفع للسهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين وكل فصل بين شيئين برزخ ومعنى من ورائهم هنا من أمامهم وقدامهم قال الشاعر

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلاةُ وَرَائِيَا

[ الإعراب ] قوله إذا لذهب كل إلّه بما خلق جواب لو مقدر والتقدير ولو كان معه إلّه إذا لذهب وإذا هنا حشو بين أو وجوابه فهي لغو غير عامل « إمَّا تُرِيَنِّي » ان للشرط ضمت إليها ما مسلطة والمعنى انها سلطت نون التأكيد على دخولها الفعل المضارع ولو لم تكن هي لم يجز أن تريني وجواب الشرط فلا تجعلني ورَبِّ معترض بين الشرط والجزاء وبالتي هي أحسن الموصولة والصلة في موضع جر بأنهما صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة التي هي أحسن ورب أرجعوني جاء الخطاب على لفظ الجميع لأنه سبحانه يقول انا نحن نزلنا الذكر وانا نحن نحيي وهذا اللفظ يعرفه العرب للجليل الشأن يخبر به الجماعة فكذلك جاء الخطاب في أرجعوني وقال المازني أنه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال رب أرجعني أرجعني أرجعني وإلى يوم يبعثون إلى تتعلق بما يتعلق به مِنْ في قوله ومن ورائهم برزخ ويوم مضاف إلى يبعثون لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال .

[ المعنى ] ثم أكَّد سبحانه ما قدَّمه من أدلة التوحيد بقوله ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ أي لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحالة ذلك عليه فمن المحال أن يكون له ولد فلا يجوز عليه التشبيه بما هو مستحيل ممتنع إلا على النفي والتبعيد واتخاذ الولد هو ان يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له وكذلك التبني انما هو جعل الجاعل ابن غيره ومن يصح ان يكون ابناً له مقام ابنه ولذلك لا يقال تبنى شاب شيخاً ولا تبني الإنسان بهيمة لما استحال ان يكون ذلك ولداً له ﴿وما كان معه من إلّه﴾ من هاهنا وفي قوله من ولد مؤكدة فهو آكد من أن يقول ما اتخذ الله ولداً وما كان معه إلّه نفى عن نفسه الولد والشريك على آكد الوجوه ﴿إذا لذهب كل إلّه بما خلق﴾ والتقدير إذ لو كان معه إلّه آخر لذهب كل إلّه بما خلق أي لميّز كل إلّه خلقه عن خلق غيره ومنعه من الاستيلاء على ما خلقه أو نصب دليلاً يميّز به بين خلقه وخلق غيره فإنه كان لا يرضى ان يضاف خلقه وانعامه إلى غيره ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي ولطلب بعضهم قهر بعض ومغالبته وهذا معنى قول المفسرين ولقاتل بعضهم بعضاً كما

يفعل الملوك في الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضاً عن مراده وهو مثل قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو ان كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلّهاً يكون قادراً لذاته فيؤدّي الى ان يكون قادراً على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة فيكون غالباً ومغلوباً من حيث انه قادر لذاته وأيضاً فإن من ضرورة كل قادرين صحة التمانع بينهما فلو صحّ وجود إلّهين صحّ التمانع بينهما من حيث انهما قادران وامتنع التمانع بينهما من حيث أنهما قادران للذات ،وهذا محال وفي هذا دلالة على اعجاز القرآن لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمة وجيزة تضمنت ما تضمنته هذه فإنها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانية الله وكمال قدرته ثم نزَّه نفسه عما وصفوه به فقال ﴿**سبحان الله عما يصفون**﴾ أي عما يصفه به المشركون من اتخاذه الولد والشريك ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ أي يعلم ما غاب وما حضر فلا يخفى عليه شيء ﴿**فتعالى الله عما يشركون**﴾ والمعنى انه عالم بما كان وبما سيكون وبما لم يكن ان لو كان كيف يكون ومن كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لأنه الأعلى من كل شيء في صفته ثم قال لنبيه ﷺ ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**رب اما تريني ما يوعدون**﴾ أي ان أريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل يوم بدر ﴿**رب فلا تجعلني في القوم الظالمين**﴾ أي مع القوم الظالمين والمعنى فأخرجني من بينهم عندما تريد احلال العذاب بهم لئلا يصيبني ما يصيبهم وفي هذا دلالة على جواز ان يدعو الإنسان بما يعلم ان الله يفعله لا محالة لأن من المعلوم ان الله تعالى لا يعذب أنبياءه مع المعذبين ويكون الفائدة في ذلك اظهار الرغبة إلى الله ﴿**وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون**﴾ هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه انا لا نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا على ذلك ولكن ننظرهم ونمهلهم لمصحلة توجب ذلك، قال الكلبي هذا أمر شهده اصحاب رسول الله ﷺ بعد موته وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله انهما سمعا رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع وهو بمعنى لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفني في كتيبة يضاربونكم قال فغمز من خلف منكبه الأيسر فالتفت فقال أو عليٌّ فنزل قل رب أما تريني الآيات ثم أمره ﷺ بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال ﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**﴾ أي ادفع بالاغضاء والصفح اساءة المسيء عن مجاهد والحسن وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجج على ألطف الوجوه وأوضحها وأقربها إلى الإجابة والقبول ﴿**نحن اعلم بما يصفون**﴾ أي بما يكذبون ويقولون من الشرك والمعنى انا نجازيهم بما يستحقونه ثم أمره ﷺ فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**رب أعوذ بك**﴾ أي اعتصم بك ﴿**من همزات الشياطين**﴾ أي من

نزعاتهم ووساوسهم عن ابن عباس والحسن والمعنى من دعائهم إلى الباطل والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك ﴿وأعوذ بك رب ان يحضرون﴾ أي يشهدوني ويقاربوني ويصدّوني عن طاعتك وقيل معناه أن يحضروني في الصلاة عند تلاوة القرآن وقيل في الأحوال كلها ثم عاد سبحانه إلى قوله أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً فقال ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ يعني ان هؤلاء الكفار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف فيقول احدهم رب أرجعون على لفظ الجمع وفي معناه قولان ( أحدهما ) انهم استغاثوا اولًا بالله ثم رجعوا إلى مسائلة الملائكة فقالوا لهم ارجعون أي ردّوني الى الدنيا عن ابن جرير ( والآخر ) انه على عادة العرب في تعظيم المخاطب كما قال قرة عين لي ولك لا تقتلوه وروى النضر بن شميل قال سألوا الخليل عن هذا ففكر ثم قال سألتموني عن شيء لا أحسنه ولا أعرف معناه فاستحسن الناس منه ذلك ﴿لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾ أي في تركتي والمعنى أؤدّي عنها حق الله تعالى وقيل معناه في دنياي فإنه ترك الدنيا وصار إلى الآخرة وقيل معناه اعمل صالحاً فيما فرطت وضيَّعت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي وقال الصادق ( ع ) انه في مانع الزكاة يسأل الرجعة عند الموت ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم ﴿كلا﴾ أي لا يرجع إلى الدنيا ﴿إنها﴾ أي مسألة الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقيل معناه وهي كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة مثل قوله ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وروى العياشي بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال قلت لأبي الحسن الرضا ( ع ) جعلت فداك يعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون قال ويحك ان مسألتك لصعبة اما قرأت قوله عز وجل ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولعلا بعضهم على بعض﴾ لقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون ان لو كان كيف كان يكون وقال ويحكي قول الأشقياء رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقد علم الشيء الذي لم يكن لو كان كيف كان يكون وهو السميع البصير الخبير العليم ﴿من ورائهم﴾ أي ومن بين أيديهم ﴿برزخ إلى يوم يبعثون﴾ أي حاجز بين الموت والبعث في يوم القيامة من القبور عن ابن زيد وقيل حاجز بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وهم فيه إلى يوم يبعثون عن ابن عباس ومجاهد وقيل البرزخ الامهال إلى يوم القيامة وهو القبر وكل فصل بين شيئين هو برزخ عن علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان احداً لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطراراً وانه من أهل الثواب أو العقاب عن الجبائي .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ
فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾
تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي
تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا
شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا
ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ
مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ
تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالألف وفتح الشين والباقون شقوتنا بكسر الشين من غير الف وقرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير عاصم سخرياً بضم السين والباقون بكسرها وكذلك في سورة صٓ .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الشقوة مصدر كالرقة والفطنة والشقاوة كالسعادة فالقراءة بهما جميعاً سائغة وقال أبو زيد اتخذت فلاناً سُخرياً وسِخرياً إذا هزئت منه وقد سخرت منه اسخر سخرياً وسَخَر قال أبو عبيدة اتخذتموهم سِخريا تسخرون منهم وسُخريا تَسْخَرونهم ويقال أيضاً ان من الهزء سُخري وسِخري ومن السخرية مضمومة لا غير وحكي عن الحسن وقتادة ان ما كان من العبودة فهو سخري بالضم وما كان من الهزء فبالكسر قال أبو علي الأكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه ويرى انه انما كان أكثر لأن السخر مصدر سخرت وفَعل وفِعل قد

يكونان بمعنى نحو المثل والمثل والشبه والشبه في حرف آخر فكذلك السخر والسخر الا ان المكسورة الزمت ياء النسب دون المفتوحة مما اتفقوا في القسم على الفتح في لعمر الله ولم يعتد بياء النسب كما لم يعتد بها في نحو احمر واحمري ودوار ودواري والوجه في الضم على ما حكي عن يونس ان السخري قد يقال بالضم بمعنى الهزء واتفق القراء على الضم في الزخرف لأنه من السخرة وانقياد بعضهم لبعض في الأمور وذلك لا يكون إلا بالضم .

[ **اللغة** ] اللفح والنفح : بمعنى الا ان اللفح اشد تأثيراً وأعظم من النفح وهو ضرب من السموم للوجه والنفح ضرب الريح الوجه والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدو الاسنان قال الاعشى

وَلَـهُ الْـمَـقْـدَمُ لا مِـثْـلَ لَـهُ سَـاعَـةَ الشِّـدْقُ عَنِ النَّـابِ كلح[1]

وخسأت فلاناً أخسأه خسأً إذا زجرته ليتباعد فخسأ وهو خاسيء ومعنى اخسأ أي تباعد تباعد سخط .

[ **الإعراب** ] العامل في إذا نفخ وبينهم ويومئذ خبر لا المحذوف تقديره فلا انساب تثبت بينهم تلفح وجوههم النار في موضع النصب على الحال والعامل فيه خالدون .

[**المعنى**]ثم بيَّن سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال﴿**فإذا نفخ في الصور**﴾قيل أن المراد به نفخة الصعق عن ابن عباس وقيل نفخة البعث عن ابن مسعود والصور جمع صورة أي إذا نفخ فيه الأرواح واعيدت احياء عن الحسن وقيل ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل (ع ) بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامة لوقت اعادة الخلق عن اكثر المفسرين ﴿**فلا انساب بينهم يومئذ**﴾ أي لا يتواصلون بالانساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً عن الحسن والمعنى انه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فإن المقصود بالأنساب دفع ضرّ أو جرُّ نفع فإذا ذهب هذا المقصود فكأن الأنساب قد ذهبت ومثله يوم يفرُّ المرء من اخيه وامه وأبيه وقيل معناه لا يتفاخرون بالانساب كما كانوا يفعلونه في الدنيا عن ابن عباس والجبائي ولابدَّ من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا انساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها والمعنى انه لا يفضل بعضهم بعضاً يومئذ بنسب وإنما يتفاضلون باعمالهم وقال النبي ﷺ كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حبي ونسبي ﴿**ولا يتساءلون**﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن

(١) الشدق : جانب الفم .

الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن للقيامة احوالاً ومواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة ومنها حال يلتفتون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال هذه تارات يوم القيامة وقيل إنما يتساءلون عند دخول الجنة وإنما يسأل بعض اهل الجنة بعضاً فإنهم لا يفزعون من اهوال القيامة عن السدي ﴿**فمن ثقلت موازينه**﴾ بالطاعات ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ الناجون ﴿**ومن خفت موازينه**﴾ عن الطاعات ﴿**فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون**﴾ وقد تقدَّم تفسير الآيتين واختلاف المفسرين في كيفية الميزان والوزن في سورة الأعراف ﴿**تلفح وجوههم النار**﴾ أي يصيب وجوههم لفح النار ولهبها ﴿**وهم فيها كالحون**﴾ أي عابسون عن ابن عباس وقيل هو ان تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم كالرؤوس المشوية عن الحسن ﴿**ألم تكن آياتي تتلى عليكم**﴾ أي ويقال لهم أو لم يكن القرآن يقرأ عليكم وقيل الم تكن حججي وبيّناتي وأدلّتي تقرأ عليكم في دار الدنيا ﴿**فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا**﴾ أي شقاوتنا ومعناهما واحد وهو المضرة اللاحقة في العافية والسعادة المنفعة اللاحقة في العافية ويقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة شقي والمعنى استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاء ﴿**وكنا قوماً ضالين**﴾ أي ذاهبين عن الحق ولما كانت سيئاتهم التي شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوة توسعاً ومن اكبر الشقاوة ان تترك عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره وتترك الأدلة ويتبع الهوى ﴿**ربنا اخرجنا منها**﴾ أي من النار ﴿**فإن عدنا**﴾ لما تكره من الكفر والتكذيب والمعاصي ﴿ **فإنا ظالمون**﴾ لأنفسنا قال الحسن هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار ﴿**قال اخسئوا فيها**﴾ أي ابعدوا بعد الكلب في النار وهذه اللفظة زجر للكلاب وإذا قيل ذلك للإنسان يكون للاهانة المستحقة للعقوبة ﴿**ولا تكلمون**﴾ وهذه مبالغة للاذلال والإهانة واظهار الغضب عليهم لأن من لا يكلم اهانة له فقد بلغ به الغاية في الأذلال وقيل معناه ولا تكلمون في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم وهي على صيغة النهي وليست بنهي لأن الأمر والنهي مرتفعان في الآخرة لارتفاع التكليف ﴿**انه كان فريق من عبادي**﴾ أي طائفة من عبادي وهم الأنبياء والمؤمنون ﴿**يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين**﴾ أي يدعون بهذه الدعوات في الدنيا طلباً لما عندي من الثواب ﴿**فاتخذتموهم**﴾ انتم يا معشر الكفار ﴿**سخرياً**﴾ أي كنتم تهزؤون وتسخرون منهم وقيل معناه تستعبدونهم وتصرفونهم في اعمالكم وحوائجكم كرهاً بغير أجر وقيل انهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا انظروا إلى هؤلاء رضوا من الدنيا بالعيش الدني طمعاً في ثواب الآخرة وليس وراءهم آخرة

ولا ثواب فهو مثل قوله وإذا مرّوا بهم يتغامزون ﴿حتى انسوكم ذكري﴾ أي نسيتم ذكـري لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الانساء إلى عبادة المؤمنين وان لم يفعلوه لما كانوا السبب في ذلك ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ ظاهر المعنى .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (١١١) قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ (١١٣) قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١١٨)

[ **القراءة** ] قرأ حمـزة والكسائي انهم بكسـر الألف وقل كم لبثتم وقـل ان لبثتم على الأمر وقرأ ابن كثير قال كم لبثتم فقط وقرأ الباقون انهم بفتح الالف وقال في الموضعين وقرأ اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء والباقون بضم التاء وفتح الجيم .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من فتح أَنَّ فالمعنى لأنهم هم الفائزون ويجوز ان يكون انهم في موضع المفعول الثاني لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين قال سبحانه وجزاهم بما صبـروا جنة وحريراً وتقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز وفاز الرجل إذا نال ما أراد وقالوا فوّز الرجل إذا مات ويشبه ان يكون ذلك على التفاؤل له اي صار إلى ما احب والمفازة المهلكة على وجه التفاؤل أيضاً ومن كسر إنَّ استأنف فقطعه عما قبله ومثله لبيك ان الحمد والنعمة لك وان

الحمد بالكسر والفتح ومن قرأ قل كم لبثتم كان على قل ايها السائل عن لبثهم وقال على الاخبار عنه وزعموا ان في مصاحف اهل الكوفة قل في الموضعين وحجة من قال ترجعون انا إليه راجعون وقد تقّدم ذكر هذا النحو.

[ **الاعراب** ] كم لبثتم كم في محل النصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه لبث وعدد منصوب على التمييز والعامل فيه كم ولا يمنع كم من العمل الفصل الكثير لأن كم الخبرية تجرّ المميز فإذا فصل بينها وبين معمولها نصبت كالاستفهامية فلان تنصب الاستفهامية مع الفصل اولى وقليلاً صفة مصدر محذوف تقديره ان لبثتم إلا قليلاً عبثاً ويجوز ان يكون مصدراً وضع موضع الحال وتقديره أفحسبتم إنما خلقناكم عابثين ويجوز أن يكون مفعولاً له أي للعبث. لا إله إلا هو في موضع النصب على الحال على تقدير فتعالى الله عديم المثل والاولى ان يكون جملة مستأنفة. ورب العرش خبر مبتدأ محذوف فهي جملة اخرى مستأنفة بدلالة حسن الوقف على المواضع الثلاثة على الحق وعلى هو وعلى الكريم . لا برهان له به جملة منصوبة الموضع بأنه صفة لقوله إلهاً فهي صفة بعد صفة .

[ **المعنى** ] ثم اخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال ﴿**اني جزيتهم اليوم بما صبروا**﴾ أي بصبرهم على أذاكم وسخريتكم واستهزائكم بهم ﴿**انهم هم الفائزون**﴾ أي الظافرون بما أرادوا الناجون في الآخرة والمراد بقوله اليوم أيام الجزاء لا يوم بعينه ﴿**قال**﴾ أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث وهو سؤال توبيخ وتبكيت لمنكري البعث ﴿**كم لبثتم في الأرض**﴾ أي القبور ﴿**عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم**﴾ لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم ومكثهم لكونهم أمواتاً وقيل انه سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم استقلوا حياتهم في الدنيا لطول لبثهم ومكثهم في النار عن الحسن قال ولم يكن ذلك كذباً منهم لأنهم أخبروا بما عندهم وقيل ان المراد به يوماً أو بعض يوم من أيام الآخرة قال ابن عباس أنساهم الله قدر لبثهم فيرون انهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب ﴿**فسئل العادين**﴾ يعني الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد عن مجاهد وقيل يعني الحساب لأنهم يعدُّون الشهور والسنين عن قتادة ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**إن لبثتم**﴾أي ما مكثتم ﴿**إلا قليلاً**﴾ لأن مكثهم في الدنيا أو في القبور وإن طال فإنه متناه قليل بالإضافة إلى طول مكثهم في عذاب جهنم ﴿**لو انكم كنتم تعلمون**﴾ صحة ما أخبرناكم به وقيل معناه لو كنتم تعلمون قصر أعماركم في الدنيا وطول مكثكم في الآخرة في العذاب لما اشتغلتم بالكفر والمعاصي وآثرتم الفاني على الباقي ثم قال سبحانه لهم

﴿أفحسبتم﴾ معاشر الجاحدين للبعث والنشور الظانين دوام الدنيا ﴿إنما خلقناكم عبثاً﴾ أي لعباً وباطلاً لا لغرض وحكمة ومثله أيحسب الإنسان أن يترك سدى والمعنى افظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم انكم لا تحشرون ولا تسئلون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عابثاً والله سبحانه غني لا يلحقه منفعة فلا بدَّ من أن يكون خلق الخلق لينفعهم ويعرضهم للثواب بأن يتعبدهم وإذا تعبدهم فلا بدَّ من الفرق بين المطيع والعاصي وذلك إنما يكون بعد البعث ﴿وانكم الينا لا ترجعون﴾ أي وحسبتم انكم لا ترجعون إلى حكمنا والموضع الذي لا يملك الحكم فيه غيرنا ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي تعالى عما يصفه به الجهال من الشريك والولد وقيل معناه تعالى الله من ان يفعل شيئاً عبثاً والملك الحق الذي يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك وكل ملك غيره فملكه مستعار ولأنه يملك جميع الأشياء من جميع الوجوه وكل ملك سواه يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه والحق هو الشيء الذي من اعتقد كان على ما اعتقده فالله هو الحق لأن من اعتقد انه ﴿لا إله إلا هو﴾ فقد اعتقد الشيء على ما هو به ﴿رب العرش الكريم﴾ أي خالق السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن وقيل الكريم الكثير الخير وصف العرش به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله ولاتيان الخير من جهته وخصَّ العرش بالذكر مع كونه سبحانه رب كل شيء تشريفاً وتعظيماً كقوله رب هذا البيت ﴿ومن يدع مع الله إلٰهاً آخر لا برهان له به﴾ أي لا حجة له فيما يدعيه يعني أن من صفته انه لا حجة له به ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ معناه فإنما معرفة مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه فيجازيه على قدر ما يستحقه وقيل معناه فإنما مكافأته عند الله تعالى والمكافأة والمحاسبة بمعنى ﴿انه لا يفلح الكافرون﴾ اي لا يظفر ولا يسعد الجاحدون لنعم الله والمنكرون لتوحيده والدافعون للبعث والنشور ولما حكى سبحانه أقوال الكفار أمر نبيَّه ﷺ بالتبري منهم والانقطاع إليه سبحانه فقال ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿رب اغفر﴾ الذنوب ﴿وارحم﴾ وأنعم على خلقك ﴿وأنت خير الراحمين﴾ أي افضل المنعمين وأكثرهم نعمة واوسعهم فضلاً.

# (٢٤) سورة النور مدنية وآياتها أربع وستون

مدنية بلا خلاف .

[ عدد آيها ]

اربع وستون آية عراقي شامي آيتان حجازي :

[ اختلافها ] آيتان بالغدو والآصال ويذهب بالأبصار كلاهما عراقي شامي .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة النور اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي وروى الحاكم ابو عبد الله في الصحيح بالإسناد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلّموهن المغزل وسورة النور يعني النساء وروى عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (ع) قال حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها في كل ليلة أو في كل يوم لم يزن أحد من أهل بيته أبداً حتى يموت فإذا مات شيَّعه إلى قبره سبعون الف ملك يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر والنهي وابتدأ هذه السورة بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ

وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وفرضناها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير غير ابن فليح رأفة بفتح الهمزة والباقون بسكون الهمزة وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سورة بالنصب والزانية والزاني بالنصب وروي عن عمر بن عبد العزيز وعيسى الهمداني سورة أيضاً بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي التثقيل في فرضناها لكثرة ما فيها من الفرض والتخفيف يصلح للقليل والكثير ومن حجة التخفيف ان الذي فرض عليك القرآن لرادّك قال ولعل رأفة التي قرأها ابن كثير لغة واما قراءة سورة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة ولا يجوز ان يكون مبتدأ لأنها نكرة ولا يبتدأ بالنكرة حتى توصف وان جعلت انزلناها وفرضناها صفة لها بقي المبتدأ بلا خبر فإن جعلت تقديره يتلى عليكم سورة أنزلناها جاز ومن قرأ سورة بالنصب فعلى اضمار فعل يفسّره أنزلناها والتقدير انزلنا سورة انزلناها الا أن هذا الفعل لا يظهر لأن التفسير يغني عنه ومثله قول الشاعر :

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ وَلا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا(١)

أي واخشى الذئب فلما اضمره فسَّره بقوله اخشاه ويجوز ان يكون الفعل الناصب لسورة من غير لفظ الفعل بعدها على معنى التخصيص اي اقرؤوا سورة وتأملوا سورة انزلناها كقوله سبحانه ناقة الله وسقياها اي احفظوا ناقة الله وكذلك قوله الزانية والزاني انتصب بفعل مضمر اي اجلدوا الزانية والزاني فلما اضمر الفعل الناصب فسَّره بقوله فاجلدوا كل واحد منهما وجاز دخول الفاء في هذا الوجه لأنه موضع امر ولا يجوز زيداً فضربته لأنه خبر وإنما

(١) الشعران لربيع بن ضبع الفزازي وهو من معمري العرب من ابيات قالها بعد ما بلغ مايتين واربعين سنة كما في امالي الشريف(قده) والخزانة وغيره.

جاز في الامر لمضارعته الشرط الا تراه دالاً على الشرط ولذلك انجزم جوابه في قولك زرني اكرمك لأن معناه فإنك ان تزرني اكرمك فلما آل معناه إلى الشرط جاز دخول الفاء في الفعل المفسّر للمضمر وتقول على هذا بزيد فأمرر وعلى عمرو فاغضب .

[ اللغة ] السورة مأخوذة من سور البناء وهو ارتفاعه وقيل هو ساق من اسواقه فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في النفوس وعلى القول الثاني يكون تسميتها بذلك لأنها قطعة من القرآن وقيل ان السورة المنْزلة الشريفة والجلالة قال النابغة .

أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ الــلَّهَ أَعْــطَاكَ سُــورَةً تَــرٰى كُــلَّ مَــلْكٍ دُونَهٰــا يَتَــذَبْــذَبُ
لِأَنَّــكَ شَــمْسٌ وَالْــمُــلُوكُ كَــوَاكِــبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَــمْ يَبْــدُ مِنْهُــنَّ كَــوْكَبُ(١)

وقيل أصله الهمز وقيل اشتقاقها من اسأرت إذا ابقيت في الإناء بقية ومنه الحديث إذا شربتم فأساروا إلا أنه أجمع على تخفيفها كما أجمع على تخفيف برية وروية وأصلها من برا الله الخلق وروأت في الأمر واصل الفرض من فرض القوس وهو الحزُّ الذي فيه الوتر ثم اتّسع فيه فجعل في موضع الايجاب وفصّل بين الفرض والواجب فإن الفرض واجب بجعل جاعل لأنه فرضه على صاحبه كما انه أوجبه عليه والواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل كوجوب شكر المنعم فجرى دلالة الفعل على الفاعل في انه يدل من غير جعل جاعل والزنا هو وطء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد مع العلم بذلك او غلبة الظن وليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء في الحيض والنفاس حرام ولا يكون زنا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره ورأسه وفأده وهذا قياس والرأفة التحنن والتعطف وفيه ثلاث لغات سكون الهمزة وفتحها ومدها وقال الأخفش الرأفة رحمة في توجع .

[ **المعنى** ] ﴿**سورة انزلناها**﴾ أي هذه سورة قطعة من القرآن لها أول وآخر انزلها جبرائيل (ع ) بأمرنا ﴿ **وفرضناها** ﴾ أي وأوجبنا عليكم العمل بها وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة وقيل معناه وفرضنا فيها اباحة الحلال وحظر الحرام عن مجاهد وهذا يعود إلى معنى أوجبناها وقيل معناه وقدَّرنا فيها الحدود عن عكرمة وهو من قوله فنصف ما فرضتم وفسَّر أبو عمرو معنى القراءة بالتشديد بأن قال معناها فصّلناها وبيّناها بفرائض مختلفة ﴿**وأنزلنا فيها آيات بينات**﴾ أي دلالات واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا وقيل اراد بها الحدود

(١) يخاطب النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وفي البيت الثاني كلام لطيف ذكره الشريف المرتضى. (ره) في الامالي ج ١ : ٤٨٧ فراجع.

والأحكام التي شرع فيها ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تتذكروا فتعلموا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات وابتدأ بحكم الزنا فقال ﴿الزانية والزاني﴾ معناه التي تزني والذي يزني اي من زنى من النساء ومن زنى من الرجال فيفيد العموم في الجنس ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة﴾ يعني إذا كانا حرين بلغين بكرين غير محصنين فأما إذا كانا محصنين أو كان احدهما محصناً كان عليه الرجم بلا خلاف والإحصان هو أن يكون له فرج يغدو إليه ويروح على وجه الدوام أو يكون حراً فأما العبد فلا يكون محصناً وكذلك الأمة لا تكون محصنة وإنما عليهما نصف الحد خمسون جلدة لقوله سبحانه فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقيل إنما قدّم ذكر الزانية على الزاني لأن الزنى منهن اشنع واعير وهو لأجل الحبل اضر لأن الشهوة فيهن اكثر وعليهن اغلب وقوله فاجلدوا هذا خطاب للأئمة ومن يكون منصوباً للأمر من جهتهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلا للأئمة وولاتهم بلا خلاف ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ معناه إن كنتم تصدّقون بالله وتقرُّون بالبعث والنشور فلا تأخذكم بهما رحمة تمنعكم من اقامة الحدود عليهما فتعطّلوا الحدود عن عطا ومجاهد وقيل معناه لا تأخذكم بهما رأفة تمنع من الجلد الشديد بل أوجعوهما ضرباً ولا تخففوا كما يخفف في حدّ الشارب عن الحسن وقتادة وسعيد بن المسيب والنخعي والزهري وقوله في دين الله أي في طاعة الله وقيل في حكم الله عن ابن عباس كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي وليحضر حال اقامة الحد عليهما ﴿طائفة﴾ أي جماعة ﴿من المؤمنين﴾ وهم ثلاثة فصاعداً عن قتادة والزهري وقيل الطائفة رجلان فصاعداً عن عكرمة وقيل اقله رجل واحد عنت ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ويدل على ذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وهذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع وقيل اقلها اربعة لأن اقل ما يثبت به الزنا شهادة اربعة عن ابن زيد وقيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى رأي الإمام والمقصود ان يحضر جماعة يقع بهم اذاعة الحدّ ليحصل الاعتبار وقوله ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ اختلف في تفسيره على وجوه (احدها) ان المراد بالنكاح العقد ونزلت الآية على سبب وهو ان رجلاً من المسلمين استأذن النبي ﷺ في ان يتزوج أم مهزول وهي امرأة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها فنزلت الآية عن عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والزهري والمراد بالآية النهي وان كان ظاهره الخبر ويؤيده ما روي عن أبي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) أنهما قالا هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله ﷺ مشهورين

بالزنا فنهى الله عن اولئك الرجال والنساء على تلك المنزلة فمن شهر بشيء من ذلك واقيم عليه الحدّ فلا تزوّجوه حتى تعرف توبته (وثانيها) ان النكاح هنا الجماع والمعنى انهما اشتركا في الزنا فهي مثله عن الضحاك وابن زيد وسعيد بن جبير وفي احدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين في انه خرج مخرج الاغلب الأعم (وثالثها) ان هذا الحكم كان في كل زان وزانية ثم نسخ بقوله وانكحوا الأيامى منكم الآية عن سعيد بن المسيب وجماعة (ورابعها) ان المراد به العقد وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة فإنه لا يجوز له ان يتزوج بها روي ذلم عن جماعة من الصحابة وإنما قرن الله سبحانه بين الزاني والمشرك تعظيماً لأمر الزنا وتفخيماً لشأنه ولا يجوز أن تكون هذه الآية خبراً لأنا نجد الزاني يتزوج غير الزانية ولكن المراد هنا الحكم أو النهي سواء كان المراد بالنكاح العقد أو الوطء وحقيقة النكاح في اللغة الوطء ﴿**وحرم ذلك على المؤمنين**﴾ أي حرّم نكاح الزانيات أو حرّم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن أو لا يطأهن الا زان أو مشرك .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وابي زرعة باربعة بالتنوين .

[ **الحجة** ] من قرأ بأربعة شهداء بغير تنوين اضاف العدد إلى شهداء وان كان الشهداء من الصفات وساغ ذلك لأنهم استعملوها استعمال الاسماء كقولهم إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة ونحو ذلك فحسن اضافة اسم العدد اليها كما يضاف إلى الاسم الصريح ومن قرأ بالتنوين جعل شهداء صفة لأربعة في موضع جر ويجوز ان يكون في موضع نصب من جهتين (أحدهما) ان يكون على معنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء وعلى الحال من النكرة اي لم يأتوا بأربعة في حال الشهادة قال الزجاج .

[ **الإعراب** ] موضع الذين يرمون رفع بالابتداء ومن قرأ الزانية والزاني بالنصب فيكون على ذلك موضع والذين يرمون نصباً على معنى اجلدوا الذين يرمون المحصنات والمحصنات هنا اللاتي احصن فروجهن بالعفة والذين تابوا في محل النصب على الاستثناء

من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً عند من قال ان شهادتهم مقبولة ويكون قوله وأولئك هم الفاسقون صفة لهم ويجوز ان يكون في موضع جر على البدل من هم في لهم ومن قال ان شهادة القاذف غير مقبولة فعنده يكون في موضع النصب على الاستثناء من قوله واولئك هم الفاسقون.

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر حدّ الزنا عقَّبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا فقال سبحانه **﴿والذين يرمون المحصنات﴾** أي يقذفون العفائف من النساء بالفجور والزنا وحذف لدلالة الكلام عليه **﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾** أي ثم لم يأتوا على صحة ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون انهم رأوهن يفعلن ذلك **﴿فاجلدوهم﴾** أي فاجلدوا الذين يرمونهن بالزنا **﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً﴾** نهى سبحانه عن قبول شهادة القاذف على التأبيد وحكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك فقال **﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا﴾** اعمالهم **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** واختلف في هذا الاستثناء إلى ماذا يرجع على قولين (أحدهما) انه يرجع إلى الفسق خاصة دون قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً فيزول عنه اسم الفسق بالتوبة ولا تقبل شهادته إذا تاب بعد اقامة الحد عليه عن الحسن وقتادة وشريح وإبراهيم وهو قول ابي حنيفة واصحابه (والآخر) ان الاستثناء يرجع إلى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حداً ولم يحد عن ابن عباس في رواية الوالبي ومجاهد والزهري ومسروق وعطا وطاوس وسعيد بن جبير والشعبي وهو اختيار الشافعي واصحابه وقول ابي جعفر ( ع ) وابي عبد الله ( ع ) قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال زعم اهل العراق ان شهادة القاذف لا تجوز فاشهد لاخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة لما شهد على المغيرة بن شعبة تب تقبل شهادتك أو ان تبت تقبل شهادتك فابى أبو بكرة ان يكذب نفسه وقال الزجاج ليس القاذف بأشد جرماً من الكافر والكافر إذا اسلم قبلت شهادته فالقاذف ايضاً حقه إذا تاب ان تقبل شهادته يعضد هذا القول ان المتكلم بالفاحشة لا ينبغي ان يكون اعظم جرماً من مرتكبها ولا خلاف في العاهر انه إذا تاب قبلت شهادته فالقاذف إذا تاب ونزع مع انه ايسر جرماً يجب ان تقبل شهادته وقال الحسن يجلد القاذف وعليه ثيابه ويجلد الرجل قائماً والمرأة قاعدة وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) ومن شرط توبة القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته وبه قال الشافعي وقيل أنه لا يحتاج إلى ذلك وهو قول مالك والآية وردت في النساء وحكم الرجال حكمهن ذلك في الاجماع وإذا كان القاذف عبداً أو أمة فالحد اربعون جلدة عند اكثر الفقهاء وروى اصحابنا ان الحدّ ثمانون في الحر والعبد سواء وظاهر الآية يقتضي ذلك وبه قال عمر بن عبد العزيز

والقاسم بن عبد الرحمن .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع والباقون اربع شهادات بالنصب وقرأ حفص والخامسة الثانية بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع ان ساكنة النون لعنة الله بالرفع وإن غضب الله عليها بكسر الضاد ورفع الله وقرأ يعقوب ان لعنة الله وان غضب الله برفع لعنة وغضب جميعاً والباقون ان لعنة الله وان غضب الله بالتشديد والنصب في الموضعين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من نصب اربع شهادات نصبه بالشهادة وينبغي ان يكون قوله شهادة احدهم مبنياً على ما يكون مبتدأ تقديره فالحكم أو فالفرض ان تشهد اربع شهادات او فعليهم ان يشهدوا وان شئت حملته على المعنى لأن المعنى يشهد أحدهم وقوله بالله يجوز أن يكون من صلة الشهادة لأنك اوصلتها بالشهادة ومن صلة شهادات إذا نصبت الاربع وقياس من اعمل الثاني ان يكون قوله بالله من صلة شهادات وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه كما تقول ضربت وضربني زيد ومن رفع فقال شهادة احدهم اربع شهادات بالله فإن الجار والمجرور من صلة شهادات ولا يجوز ان يكون من صلة شهادة لأنك إن وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة والموصول الا ترى ان الخبر الذي هو اربع شهادات يفصل

قوله انـه لمن الصادقين في قـول من نصب اربع شهـادات يجوز ان يكـون من صلة شهادة احدهم فتكون الجملة التي هي انـه لمن الصادقين في مـوضع نصب لأن الشهـادة كالعلم فيتعلق بها ان كما يتعلق بالعلم والجملة في موضـع نصب بأنـه مفعول بـه واربع شهـادات ينتصب انتصاب المصدر ومن رفـع اربع شهـادات لم يكن إنه لمن الصـادقين إلا من صلة شهادات دون صلة شهادة لأنك ان جعلته من صلة شهادة فصّلت بين الصلة والموصول ومن قرأ ان لعنة الله عليـه وان غضب الله عليها فمعنـاه انه لعنـة الله عليه وانـه غضب الله عليها خففت الثقيلة المفتوحة على اضمار القصة والحـديث ولا تكون في ذلـك كالمكسـورة لأن الثقيلة المفتوحة موصولة والموصول يتشبث بصلته اكثر من تشبث غير الموصول بما يتصل به واهل العربية يستقبحون ان تلي الفعل حتى يفصل بينها وبين الفعل بشيء ويقولون استقبحوا ان تحذف ويحذف ما تعمل فيه وان تلي ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما فتجتمع هذه الاتساعات فيها فإن فصل بينها وبين الفعل بشيء لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وقوله أفلا يرون الا يرجع اليهم قولاً وعلمت ان قد قام فإن قلت فقد جاء وان ليس للإنسان إلا ما سعى وجاء نودي أن بورك من في النار ومن حولها فالجواب فإن ليس يجري مجرى ما ونحوها مما ليس بفعل وأما قوله نودي ان بورك فإن قولـه بورك على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا ولاقد ولا السين ولا شيء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفصل ووجه قراءة نافع ان ذلك قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر وقـد يجيء في الشعر وان لم يكن شيء يفصل بين ان وبين ما تدخل عليه من الفعل فإن قلت فلم لا تكون ان في قوله ان غضب الله ان الناصبة للفعل وصل بالماضي فيكون كقراءة من قرأ وامرأة مؤمنـة أن وهبت نفسها للنبي فإن ذلك لا يسهل الا ترى انها متعلقة بالشهادة والشهادة بمنزلة العلم لا تقع بعدها الناصبة.

[ **النزول** ] الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت الآية والذين يرمون المحصنات قال عاصم بن عدي يا رسول الله إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين وان التمس اربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى قال كذلك انزلت الآية يا عاصم قال فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن اميـة يسترجـع فقال مـا وراءك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن إمرأتي خولة فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره هلال بالذي كان فبعث اليها فقال ما يقول زوجك فقالت يا رسول الله إن ابن سحما كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشيء من القرآن فربما تركه عندي وخرج زوجي فلا أدري أدركته الغيرة أم بخل عليّ بالطعام فأنزل الله آية اللعان ﴿ **والذين يرمون أزواجهم** ﴾ الآيات وعن الحسن قال لما

نزلت والذين يرمون المحصنات، الآية قال سعد بن عبادة يا رسول الله ارايت ان رأى رجل مع أمرأته رجلاً فقتله تقتلونه وان اخبر بما رأى جلد ثمانين افلا يضربه بالسيف فقال رسول الله ﷺ كفى بالسيف شاه اراد ان يقول شاهداً ثم امسك وقال لولا ان يتابع فيه السكران والغيران وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد يفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لأتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال النبي ﷺ يا معشر الانصار ما تسمعون إلى ما قال سيدكم فقالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة له فاجترى رجل منا ان يتزوجها فقال سعد بن عبادة يا رسول الله بأبي انت وامي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك فقال فإن الله يأبى إلا ذاك فقال صدق الله ورسوله فلم يلبثوا الا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له قد رأى رجلاً مع امرأته فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال إني جئت أهلي عشاء فوجدت معها رجلاً رأيته بعيني وسمعته باذني فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رأى الكراهة في وجهه فقال هلال إني لأرى الكراهة في وجهك والله يعلم اني لصادق واني لأرجو ان يجعل الله فرجاً فهمَّ رسول الله بضربه وقال واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا عن الكلام حين عرفوا ان الوحي قد نزل فأنزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات فقال ﷺ ابشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل فرجاً فقال قد كنت ارجو ذاك من الله تعالى فقال ﷺ ارسلوا اليها فجاءت فلاعن بينهما فلما انقضى اللعان فرَّق بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه.

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم حكم القذف للأجنبيات عقَّبه بحكم القذف للزوجات فقال ﴿**والذين يرمون ازواجهم**﴾ بالزنا ﴿**ولم يكن لهم شهداء**﴾ يشهدون لهم على صحة ما قالوا ﴿**الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات**﴾ قال الزجاج معناه فشهادة احدهم التي تدرأ حد القاذف اربع شهادات ومن نصب فمعناه فالذي يدرءُ عنهم العذاب ان يشهد أحدهم اربع شهادات ﴿**بالله انه لمن الصادقين**﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿**والخامسة**﴾ اي والشهادة الخامسة ﴿**ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين**﴾ فيما رماها به من الزنا والمعنى ان الرجل يقول اربع مرات مرة بعد مرة اخرى اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما ذكرت عن هذه المرأة من الفجور فإن هذا حكم خصَّ الله به الأزواج في قذف نسائهم فتقوم الشهادات الأربع مقام الشهود الأربعة في دفع حد القذف عنهم ثم يقول في المرة الخامسة لعنة الله عليَّ ان كنت

من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ﴿**ويدرءُ عنها العذاب**﴾ ويدفع عن المرأة حد الزنا ﴿**ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين**﴾ معناه ان تقول المرأة اربع مرات مرة بعد اخرى اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به من الزنـا ﴿**والخامسـة ان غضب الله عليها**﴾ أي وتقول في الخامسة غضب الله عليَّ ﴿**إن كان من الصادقين**﴾ فيما قدفني به من الزنا ثم يفرِّق الحاكم بينهما ولا تحل له ابداً وكان عليها العدة من وقت لعـانها ﴿**ولـولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم**﴾ جواب لولا محذوف تقديره ولولا فضل الله عليكم بالنهي عن الزنا والفواحش واقامة الحدود لتهالك الناس ولفسد النسل وانقطع الانساب عن ابي مسلم وقيل معناه لولا افضال الله وانعامه عليكم وان الله عواد على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب منهما عذاب عظيم اي لبيِّن الكاذب منهما فيقام عليه الحدّ وقيل لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم بما تركبون من الفاحشة ومثله قـوله لـو رأيت فلاناً وفي يده السيف والمعنى لرأيت شجاعاً أو لرأيت امرا هائلاً وقال جرير .

كَـذَبَ الْعـوَاذِلُ لَـوْ رَأَيْـنَ مَنـاخَنـا ... بِـحَـزِيـزِ رامَـةَ وَالْـمَـطِيّ سَـوامُ[١]

وجاء في المثل لو ذات سوار لطمتني :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ
عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ
مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ

(١) الحزيز في اللغة : المكان الغليظ المنقاد. وهو في مواضع كثيرة منها حزيز رامة: وهو اسم موضع قرب البصرة . والسوام : راعيه. وفي رواية الحموي في المعجم «ولقد نظرت فرد نظرتك الهوى * بحزيز رامة . . .» وعليها فلا شاهد في هذا البيت .

ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْـلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ
بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ
هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وهو قراءة ابي رجا وحميد الأعرج وقراءة الفراء كِبره بكسر الكاف وفي الشواذ قراءة عائشة وابن عباس وابن معمر إذ تَلِقُونَهُ(١) وقراءة ابن السميقع تُلْقُونَه والقراءة المشهورة تَلَقَّونه .

[ **الحجة** ] من ضم كبره اراد عظمه ومن كسر أراد وزره وإثمه قال قيس بن الخطيم :

تَـنَـامُ عَـنْ كُـبْـرِ شَـانِـهَـا فَـإِذَا ... قَـامَـتْ رُوَيْـداً تَـكَـادُ تَـنْـغَـرِفُ(٢)

أي عن معظم شأنها واما قوله تلقونه فمعناه تسرعون فيه وتخفون اليه قال الراجز «جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّأْمِ تَلِقْ»(٣) أي تخف واصله تَلِقون فيه او اليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل الى المفعول وقيل ان الولق الكذب فكان الكاذب يستمر في الكذب ويسرع فيه وجاء في حديث علي ( ع ) كذبت وولقت وأما تُلْقُونَه فمعناه تلقونه بأفواهكم وأما تَلَقَّونه فهو من تلقّيت الحديث من فلان أي أخذته منه وقبلته .

[ **النزول** ] روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهما عن عائشة انها قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً اقرع بين نسائه فأيّتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وذلك بعدما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله ﷺ حتى فرغ من غزوه وقفل(٤) وروي انها كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة قالت ودنونا من المدينة فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحل فلمست صدرتي فإذا عِقد من جِزْع ظَفار(٥) قد انقطع فرجعت فالتمست

---

(١) من ولق يلق ولقاً في سيره: أسرع .

(٢) العزف: التثني والانقصاف اي تتثنى من دقة خصرها.

(٣) وقبله «ان الجليد زلق وملق * كذنب العقرب شوال علق * جاءت به عنس. . .» يهجو به جليد الكلابي ويريد انه ينزل قبل الجماع.

(٤) اي رجع .

(٥) الجزع الخرز اليماني وظفار كقطام: قرية من قرى يمن ينسب اليها الجزع الظفاري.

عِقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذي كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكـانت النساء إذا ذاك خفـافاً لم يهبلهن اللحم(١) ﴿ولم يغشهن اللحم في﴾ إنمـا يأكلن العُلقـة من الطعـام فبعثوا الجمـل وساروا ووجـدت عِقدي وجئت منـازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسمـوت منزلي الـذي كنت فيه وظننت ان القـوم سيفقدوني فيرجعون إليّ فبينا انا جالســة إذ غلبتني عيناي فنمت وكـان صفوان بن المعـطل السلمي قد عرَّس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسـان نائم فعـرفني حين رآني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلَّمني بكلمة حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين(٢) في حرّ الظهيـرة فهلك من هلك فيَّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي سلول فقـدمنا المـدينة فـاشتكيت حين قدمتهـا شهراً والناس يفيضون في قول اهل الإفك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يرثيني في وجعي غير اني لا اعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكى إنما يدخـل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالسر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلاً إلى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكُنُف وامرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا وانطلقت انا وأم مسطح وأمها بنت صخرة بـن عامر خالة ابي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلاً قد شهد بدراً فقالت اي بنتاه ألم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فأخبرتني بقول اهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لي أن آتي أبويَّ قالت وانا اريد ان اتيقن الخبر من قبله فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبويَّ وقلت لأمي يا أماه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلَّ ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا اكثرن عليها قلت سبحان الله أو قد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب (ع) حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما اسامة فـأشار على رسـول الله ﷺ بالذي علم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً فأما عـلي بن أبي طالـب عليـه أفضـل الصلوات فقـال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة وان تسأل الجارية تصدّقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة قـالت بريـرة والذي بعثـك بالحق ان رأيت عليهـا امراً قط

(١) اي لم يكثر عليهن اللحم والشحم. والعلقة: القليل من الطعام. (٢) الوغر: شدة توقد الحر.

اغمضه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها قالت وأنا والله اعلم اني بريئة وما كنت أظن ان ينزل في شأني وحي يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله رؤيا يبرئني الله بها فأنزل الله تعالى على نبيّه وأخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحي حتى انه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ قال ابشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا احمد إلا الله فهو الذي أنزل براءتي فأنزل الله تعالى ان الذين جاؤوا بالافك الآيات العشر .

[ المعنى ] ﴿ **إن الذين جاؤوا بالإفك** ﴾ أي بالكذب العظيم الذي قلب فيه الأمر عن وجهه ﴿ **عصبة منكم** ﴾ أيها المسلمون قال ابن عباس وعائشة منهم عبد الله بن أبي سلول وهو الذي تولّى كبره ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ﴿ **لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خير لكم** ﴾ هذا خطاب لعائشة وصفوان لأنهما قُصدا بالإفك ولمن إغتمَّ بسبب ذلك وخطاب لكل من رمى بسبب عن ابن عباس أي لا تحسبوا غمّ الإفك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله تعالى يبرىء عائشة ويأجرها بصبرها واحتسابها ويلزم أصحاب الإفك ما إستحقّوه بالإثم الذي إرتكبوه في أمرها وقال الحسن هذا خطاب للقاذفين من المؤمنين والمعنى لا تحسبوا أيها القذفة هذا التأديب شراً لكم بل هو خير لكم فإنه يدعوكم إلى التوبة ويمنعكم عن المعاودة إلى مثله ﴿**لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم** ﴾ أي لكل امرىء من القذفة جزاء ما إكتسبه من الإثم بقدر ما خاض وأفاض فيه وقيل معناه على كل امرىء منهم عقاب ما اكتسب كقوله ﴿ **وإن أسأتم لها** ﴾ أي فعليها ﴿ **والذي تولى كبره** ﴾ أي تحمل معظمه ﴿ **منهم له عذاب عظيم** ﴾ المراد به عبد الله بن أبي سلول أي فإنه كان رأس أصحاب الإفك كان يجتمع الناس عنده ويحدثهم بحديث الإفك ويشيع ذلك بين الناس ويقول قال امرأة نبيّكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها والعذاب العظيم عذاب جهنم في الآخرة وقيل المراد به مسطح بن أثاثة وقيل حسان بن ثابت فإنه روي أنه دخل على عائشة بعد ما كفّ بصره فقيل لها أنه يدخل عليك وقد قال فيك ما قال وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عائشة أليس قد كفّ بصره فأنشد حسان قوله فيها :

حِصَانٌ رِزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ     وَتُصْبِحُ غَرْثَىٰ مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ (١)

---

(١) الحصان هنا العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها التي لا تتصرف كثيراً . وامرأة رزان : إذا كانت ذات ثبات =

فقالت عائشة لكنك لست كذلك ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ معناه هلا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين له ظن المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيراً لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم محنة فكأنها جرت على جماعتهم فهو كقوله ﴿ **فسلموا على أنفسكم** ﴾ عن مجاهد وعلى هذا يكون خطاباً لمن سمعه فسكت ولم يصدق ولم يكذب وقيل هو خطاب لمن أشاعه والمعنى هلا إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بأنفسكم لو خلوتم بها وذلك لأنها كانت أم المؤمنين ومن خلا بأمه فإنه لا يطمع فيها وهي لا تطمع فيه ﴿ **وقالوا هذا إفك مبين** ﴾ أي وهلا قالوا هذا القول كذب ظاهر ﴿ **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** ﴾ أي هلا جاءوا على ما قالوه ببينة وهي أربعة شهداء يشهدون بما قالوه ﴿ **فإذا لم يأتوا بالشهداء** ﴾ أي فحين لم يأتوا بالشهداء ﴿ **فأولئك** ﴾ الذين قالوا هذا الإفك ﴿ **عند الله** ﴾ أي في حكمه ﴿ **هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة** ﴾ بأن أمهلكم لتتوبوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ﴿ **لمسَّكم** ﴾ أي أصابكم ﴿ **فيما أفضتم** ﴾ أي خضتم ﴿ **فيه** ﴾ من الإفك ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ أي عذاب لا إنقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب فيه لولا فضله فقال ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم** ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد ومقاتل وقيل معناه تقبلونه من غير دليل ولذلك إضافة إلى اللسان وقيل معناه يلقيه بعضكم إلى بعض عن الزجاج ﴿ **وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً** ﴾ أي تظنون أن ذلك سهل لا إثم فيه ﴿ **وهو عند الله عظيم** ﴾ في الوزر لأنه كذب وافتراء .

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

= ووقار . وما تزن : أي ماتتهم . وغرثى أي جائعة . والغوافل جمع غافلة . يريد أنها لا ترتع في أعراض الناس .

ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

[ **المعنى** ] ثم زاد سبحانه في الإنكار عليهم فقال ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم** ﴾ أي هلا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث ﴿ **ما يكون لنا أن نتكلم بهذا** ﴾ أي لا يحلّ لنا أن نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا أن نتكلم به ﴿ **سبحانك** ﴾ يا ربنا ﴿ **هذا** ﴾ الذي قالوه ﴿ **بهتان عظيم** ﴾ أي كذب وزور عظيم عقابه أو نتحيرَ من عظمه وقيل إنَّ سبحانك هنا معناه التعجب كقول الأعشى « سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ »(١) وقيل معناه ننزهك ربنا من أن نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الإفك فقال ﴿ **يعظكم الله** ﴾ أي ينهاكم الله عن مجاهد وقيل يحرم الله عليكم ﴿ **أن تعودوا لمثله** ﴾ عن ابن عباس وقيل معناه كراهة أن تعودوا أو لئلا تعودوا إلى مثله من الإفك ﴿ **أبداً** ﴾ أي طول أعماركم ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي مصدقين بالله ونبيّه قابلين موعظة الله ﴿ **ويبيّن الله لكم الآيات** ﴾ في الأمر والنهي ﴿ **والله عليم** ﴾ بما يكون منكم ﴿ **حكيم** ﴾ فيما يفعله لا يضع الشيء إلا في موضعه ثم هدَّد القاذفين فقال ﴿ **إن الذين يحبُّون أن تشيع الفاحشة** ﴾ أي يفشوا ويظهروا الزنا والقبائح ﴿ **في الذين آمنوا** ﴾ بأن ينسبوها إليهم ويقذفوهم بها ﴿ **لهم عذاب أليم في الدنيا** ﴾ بإقامة الحد عليهم ﴿ **والآخرة** ﴾ وهو عذاب النار ﴿ **والله يعلم** ﴾ ما فيه من سخط الله وما يستحق عليه من المعاقبة ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ ذلك ثم ذكر فضله ومنّته عليهم فقال ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رؤوف رحيم** ﴾ لعاجلكم بالعقوبة ولكنه برحمته أمهلكم لتتوبوا وتندموا على ما قلتم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه .

[ **النظم** ] لمّا بيَّن سبحانه أحكام قذف المحصنات وعظم أمره عقَّب ذلك بأحكام قذف الزوجات ثم عطف بعد ذلك قذف الأمهات فإن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين بدلالة قوله تعالى ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين** ﴾ الآية .

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) وقبله « أقول لما جاءني فخره » . قاله في علقمة بن علاثة .

لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ
فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن
يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ
وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ روح عن يعقوب ما زكّى منكم بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أبو جعفر ولا يتأل وهو قراءة زيد بن أسلم وأبي رجا وأبي مجلز والباقون لا يأتل. وروي عن علي (ع ) ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء كما يروى بالياء أيضاً وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يوم يشهد عليهم بالياء والباقون تشهد وفي الشواذ قراءة مجاهد وأبي روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع .

[ **الحجة** ] الوجه في قوله ﴿ ما زكّى ﴾ بالتشديد أنه قال والله يزكي وأما قوله ﴿ ولا يتأل ﴾ فإنه من تألى إذا حلف وفي الحديث ومن يتأل على الله يكذبه وهو الذي يحلف فيقول والله لا يدخل فلان الجنة وفلان النار وأنشد الأصمعي « عجاجة هجاجة تألى لأصبحن الأحقر الأذلا » وأما لا يأتل ففيه ثلاثة أقوال ( أحدها ) من الألية التي هي اليمين أيضاً يقال

ايتلى وتألى وإلى بمعنى والآخر أنه من قولهم ما ألوت في كذا أي ما قصرت والمعنى ولا يقصر وقال الأخفش أنه يحتمل الأمرين وقوله ﴿ **ولتعفوا ولتصفحوا** ﴾ بالتاء مثل ما روي فلتفرحوا بالتاء على الأصل وقد تقدم القول فيه ومن قرأ يوم يشهد بالياء فلأن تأنيث الألسنة ليس بحقيقي ولأنه حصل بين الفعل والفاعل فصل ومن قرأ بالتاء فعلى أن الألسنة مؤنثة ومن قرأ الحق بالرفع جعله وصفاً لله تعالى أي يوفيهم الله الحق دينهم مثل قوله ﴿ **إلى الله مولاهم الحق** ﴾.

[ **النزول** ] قيل إن قوله ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم** ﴾ الآية نزلت في أبي بكر ومسطح بن أثاثة وكان ابن خالة أبي بكر وكان من المهاجرين ومن جملة البدريين وكان فقيراً وكان أبو بكر يجري عليه ويقوم بنفقته فلما خاض في الإفك قطعها وحلف أن لا ينفعه بنفع أبداً فلما نزلت الآية عاد أبو بكر إلى ما كان وقال والله إني لأحب أن يغفر الله لي والله لا أنزعها عنه أبداً عن ابن عباس وعائشة وابن زيد وقيل نزلت في يتيم كان في حجر أبي بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في جماعة من الصحابة أقسموا على أن لا يتصدقوا على رجل تكلّم بشيء من الإفك ولا يواسوهم عن ابن عباس وغيره .

[ **المعنى** ] ثم نهى سبحانه عن اتباع الشيطان فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ أي آثاره وطرقه التي تؤدّي إلى مرضاته وقيل وساوسه ﴿ **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر** ﴾ هذا بيان سبب المنع من اتباعه ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** ﴾ بأن لطف لكن وأمركم بما تصيرون به أزكياء ونهاكم عما تصيرون بتركه أزكياء ﴿ **ما زكى منكم من أحد أبداً** ﴾ أي ما صار منكم أحد زكياً ومن في من أحد مزيدة وقيل معناه ما طهر منكم أحد من وسوسة الشيطان وما صلح ﴿ **ولكن الله يزكي من يشاء** ﴾ أي يطهر بلطفه من يشاء وهو من له لطف يفعله سبحانه به ليزكو عنده ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ يفعل المصالح والألطاف بالمكلفين لأنه يسمع أصواتهم وأقوالهم ويعلم أحوالهم وأفعالهم وفي الآية دلالة على أن الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريده الشيطان لأنه إذا ذمَّ سبحانه الأمر بالفحشاء والمنكر فخالق الفحشاء والمنكر ومريدهما أولى بالذم تعالى وتقدس عن ذلك وفيها دلالة على أن أحداً لا يصلح إلا بلطفه ﴿ **ولا يأتل** ﴾ أي ولا يحلف أولا يقصر ولا يترك ﴿ **أولو الفضل منكم والسعة** ﴾ أي أولو الغنى والسعة في المال ﴿ **أن يؤتوا أولي القربى** ﴾ قال الزجاج معناه أن لا يؤتوا فحذف لا أي لا يحلفوا أن لا يؤتوا وقيل لا يقصروا أن يؤتوا ولا يتركوا جهداً في الإنفاق على أقربائهم ﴿ **والمساكين والمهاجرين في**

سبيل الله ﴾ وقد اجتمع في مسطح الصفات الثلاث كان قريناً لأبي بكر مسكيناً مهاجراً قال الجبائي وفي قصة مسطح دلالة على أنه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدراً بخلاف قول النوائب ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ هذا أمر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمن أساء إليهم والصفح عنهم وقال لهم ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عمن أساء إليكم ﴿ والله غفور رحيم إن الذين يرمون المحصنات ﴾ أي يقذفون العفائف من النساء ﴿ الغافلات ﴾ عن الفواحش ﴿ المؤمنات ﴾ بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ أي أبعدوا من رحمة الله في الدارين وقيل استحقوا اللعنة فيهما وقيل عذّبوا في الدنيا بالجلد وردّ الشهادة وفي الآخرة بعذاب النار ﴿ ولهم ﴾ مع ذلك ﴿ عذاب عظيم ﴾ وهذا الوعيد عام لجميع المكلفين عن ابن عباس وابن زيد ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ بيَّن الله سبحانه أن ذلك العذاب يكون في يوم تشهد ألسنتهم فيه عليهم بالقَذف وسائر أعضائهم بمعاصيهم وفي كيفية شهادة الجوارح أقوال ( أحدها ) أن الله تعالى يبنيها بُنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة ( والثاني ) إن الله تعالى يفعل فيها كلاماً يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح وأضيف الكلام إليها على التوسع لأنها محل الكلام ( والثالث ) إن الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة وأما شهادة الألسن فبأن يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنه لا ينفعهم الجحود وأما قوله ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ فأنه يجوز أن تخرج الألسنة ويختم على الأفواه ويجوز أن يكون الختم على الأفواه في حال شهادة الأيدي والأرجل ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ أي يتمّم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء ويجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق ﴾ أي يعلمون الله ضرورة في ذلك اليوم ويقرُّون أنه الحق لأنه يقضي بالحق ويعطي بالحق ويأخذ بالحق ﴿ المبين ﴾ أي الذي يظهر لهم حقائق الأمور ويبيّن جلائل الآيات .

[ **النظم** ] بدء سبحانه فبيَّن حكم القاذف أولاً وأوجب عليه الحد وردّ شهادته وسمّاه فاسقاً فعلم أن المراد به أهل الملة ثم عقَّبه بحديث الإفك لإتصاله به ثم ذكر صنفاً آخر من القذفة وهم المنافقون بقوله ﴿ إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾ وبيَّن ما لهم من الغضب واللعنة ثم عمَّ الجميع بالوعيد في قوله ﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ الآيات عن أبي مسلم .

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

[ **اللغة** ] الإستيناس طلب الأنس بالعلم أو غيره تقول العرب إذهب فاستأنس هل ترى أحداً ومنه قوله ﴿ فإن آنستم منهم رشداً ﴾ أي علمتم وروي عن ابن عباس أنه قال إنما هي تستأذنوا يعني قوله ﴿ تستأنسوا ﴾ وكذلك يروى عن عبد الله وروي عن أبي حتى تسلموا وتستأنسوا[1] وكذلك قرأ ابن عباس .

[ **المعنى** ] قال سبحانه ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات** ﴾ قيل في معناه أقوال ( أحدها ) أن الخبيثات من الكلِم للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلم والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلم ألا ترى أنك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه ولا مما يقول عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والحسن ( والثاني ) إن معناه الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من السيئات والطيبات من الحسنات

(١) وفي نسخة « حتى تسلموا أو تستأذنوا ».

للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد ( والثالث ) الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن أبي مسلم والجبائي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع ) قالا هي مثل قوله ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** ﴾ الآية أن أناساً هَمُّوا أن يتزوَّجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم ﴿ **أُولئك مبرؤون مما يقولون** ﴾ أي الطيبون مبرؤون أي منزَّهون من الكلام الخبيث عن مجاهد وقال الفراء يعني به عائشة وصفوان بن المعطل وهو بمنزلة قوله تعالى ﴿ **فإن كان له أخوة والأم تحجب بالأخوين** ﴾ فجاء على تغليب لفظ الجمع ﴿ **لهم مغفرة** ﴾ أي لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم ﴿ **ورزق كريم** ﴾ أي عطية من الله كريمة في الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا** ﴾ أي حتى تستأذنوا عن ابن مسعود وابن عباس قال اخطأ الكاتب فيه وكان يقرأ حتى تستأذنوا وقيل تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستيذان وقد بيَّن الله تعالى ذلك في قوله ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا** ﴾ عن مجاهد والسدي وقيل معناه حتى تستعلموا وتتعرفوا عن أبي أيوب الأنصاري قال قلنا يا رسول الله ما الإستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت وعن سهل بن سعد قال أطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه مِدرَى[1] يحكُّ به رأسه أو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما الإستيذان من النظر وروي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أستأذن على أمي فقال نعم قال أنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها ﴿ **وتسلموا على أهلها** ﴾ قيل إن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره حتى تسلموا على أهلها وتستأنسوا وتستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا وقيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا فقد روي أن رجلاً استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنحنح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلّميه وقولي له قل السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل ﴿ **ذلكم خير لكم** ﴾ معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ مواعظ الله وأوامره ونواهيه فتتبعونها ﴿ **فإن لم تجدوا** ﴾ معناه فإن لم تعلموا ﴿ **فيها أحداً** ﴾ يأذن لكم في الدخول ﴿ **فلا تدخلوها** ﴾ لأنه ربما كان فيها ما

---

(١) المدرى : المشط .

لا يجوز أن تطلعوا عليه ﴿ حتى يؤذن لكم ﴾ أي حتى يأذن لكم أرباب البيوت في ذلك بيَّن الله سبحانه بهذا أنه لا يجوز دخول دار الغير بغير إذنه وإن لم يكن صاحبها فيها ولا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقاً لقوله ( ع ) إنما جعل الإستيذان لأجل النظر وإلا أن يكون الباب مفتوحاً لأن صاحبه بالفتح أباح النظر ﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** ﴾ أي فانصرفوا ولا تلجوا عليهم وذلك بأن يأمروكم بالإنصراف صريحاً أو يوجد منهم ما يدل عليه ﴿ **هو أزكى لكم** ﴾ معناه أن الإنصراف أنفع لكم في دينكم ودنياكم وأطهر لقلوبكم وأقرب إلى أن تصيروا أزكياء ﴿ **والله بما تعملون عليم** ﴾ أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه ﴿ **ليس عليكم جناح** ﴾ أي حرج وإثم ﴿ **أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة** ﴾ يعني بغير استئذان ﴿ **فيها متاع لكم** ﴾ قيل في معنى هذه البيوت أقوال ( أحدها ) أنها الحانات والحمامات والأرحية عن الصادق ( ع ) وعن محمد بن الحنفية وقتادة ويكون معنى متاع لكم أي إستمتاع لكم ( الثاني ) إنها الخرابات المعطلة ويدخلها الإنسان لقضاء الحاجة عن عطا ( والثالث ) أنها الحوانيت وبيوت التجار التي فيها أمتعة الناس عن ابن زيد قال الشعبي وأذنهم أنهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس علمّوا ( والرابع ) أنها مناخات الناس في أسفارهم يرتفقون بها عن مجاهد والأولى حمله على الجميع ﴿ **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ﴾ لا يخفى عليه شيء من ذلك .

[ **النظم** ] وجه اتصال الآية بما قبلها أنه سبحانه لما عظم شأن الزنا والقذف أكَّد ذلك بالنهي عن دخول بيوت الناس إلا بعد الإستئذان والإستئناس ليكونوا أبعد من التهمة وأقرب إلى العصمة من السيئة .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ
وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا
يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ

أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ
ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غيرَ أولي الأربة بالنصب والباقون بالجر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنين ويا أيه الساحر وأيه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها .

[ **الحجة** ] قال أبو علي « غير » فيمن جرّ صفة للتابعين والمعنى لا يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا اربة لهم في النساء والأربة الحاجة لأنهم في أنهم لا إربة لهم كالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يقووا عليها ومنه قوله ﴿ **فاصبحوا ظاهرين** ﴾ وجاز وصف التابعين بغير لأنهم غير مقصودين بأعيانهم فأجري لذلك مجرى النكرة وقد قيل إن التابعين جاز أن يوصفوا بغير في هذا لقصر الوصف على شيء بعينه فإذا قصر على شيء بعينه زال الشياع عنه فاختص فالتابعون ضربان ذو أربة وغير ذي أربة وليس ثالث وإذا كان كذلك جاز لاختصاصه أن يجري وصفاً على المعرفة وعلى هذا الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وكذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر لأن المسلمين وغيرهم لا يخلو من أن يكونوا أصحاء أو زمنى فإذا وصفوا بأحد الشيئين زال الشياع فساغ الوصف به لذلك ومن نصب غير إحتمل ضربين ( أحدهما ) أن يكون إستثناء والتقدير لا يبدين زينتهن إلا للتابعين إلا ذا الأربة منهم فإنهم لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا أربة ( والآخر ) أن يكون حالاً والمعنى أو الذين يتبعونهن عاجزين عنهن وذو الحال ما في التابعين من الذكر وقال الوقف على يا أيها وأيها بالألف لأنهما إنما أسقطت لسكونها وسكون لام المعرفة فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين وظهرت الألف فأما ضم الهاء في قراءة ابن عامر فلا يتّجه لأن آخر الإسم هو الياء الثانية من أيٍّ فينبغي أن يكون المضموم آخر الإسم ولو جاز

أن يضم هـذا من حيث كان مضموماً إلى الكلمـة لجاز أن يضم الميم من اللهم لأنـه آخر الكلمة ووجه الأشكال والشبهة في ذلك أنه وجد هذا الحرف قد صـار في بعض المواضـع التي يدخل فيها بمنزلة ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل وغلام هذه المرأة فلما وجدها في أوائل المبهمة كذلك جعلها في الآخر أيضاً بمنزلة شيء من نفس الكلمة واستجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف في قولهم هلمَّ فأجري عليه الإعراب لما كان كالشيء الذي من نفس الكلمة فإن قلت فإنه قد حرّك الياء التي قبلها بالضم في يا أيها الرجل فإنه يجوز أن نقول حركة أيُّ في هذه المواضع كحركات الإتباع في نحو امرىء وامروء فهذا وجه شبهته .

[ اللغة ] أصل الغض النقصان يقال غض من صوته ومن بصره أي نقص ومنه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بـن عوف هنيئاً لـك خرجت من الـدنيا ببـطنتك لم تتغضغض منهـا بشيء يقال غضغضت الشيء فتغضغض إذا نقص والإربـة فعلة من الأرب كالمشية والجلسة وفي الحديث إن رجـلاً إعترض النبي صلى الله عليـه وآله وسلم ليسـأله فصاحوا به فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الرجل أَرِبَ ما لَه قال ابن الأعرابي أي إحتاج فسأل ما له وقيل معناه حاجة جاءت به فدعوه وما مزيدة عن الأزهري(١) .

[ الإعراب ] يغضوا من أبصارهم مجزوم لأنه جواب شرط مقدر والتقدير قل للمؤمنين غضوا من أبصاركم فإنك إن تقل لهم يغضوا ويجوز أن يكون مجزوماً على تقدير ليغضوا من أبصارهم ومثل ذلك قوله ﴿ **يغضضن** ﴾ وإن لم يظهر فيه الإعراب لكونه مبنياً ومـا ظهر في مـوضع نصب على البـدل من زينتهن وقـولـه منهـا من هنـا للتبيين والجـار والمجـرور مـع المحذوف في موضع نصب على الحال .

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه ما يحلُّ من النظر وما لا يحلُّ منه فقال ﴿ **قل** ﴾ يـا محمد ﴿ **للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ عما لا يحل لهم النظر إليه ﴿ **ويحفظوا فروجهم** ﴾ عمن لا يحل لهم وعن الفواحش وقيل إن من مزيدة وتقديره يغضوا أبصارهم عن عورات النسـاء وقيل إنها للتبعيض لأن غض البصر إنما يجب في بعض المـواضع عن أبي مسلم والمعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرِّم وقيل إنها لابتداء الغاية وقال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفروج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن المراد بـه الستر حتى لا

(١) وذكروا في الحديث وجوهاً أخر راجع النهاية لابن الأثير واللسان مادة « أرب » .

ينظر إليها أحد وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) قال فلا يحل للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ أي أنفع لدينهم ودنياهم وأطهر لهم وأنفى للتهمة وأقرب إلى التقوى ﴿ إن الله خبير ﴾ أي عليم ﴿ بما يصنعون ﴾ أي بما يعملونه أي على أيّ وجه يعملونه ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ أي لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم ومن هو في حكمه ولم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر إليه بل المراد مواضع الزينة وقيل الزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل (أحدها) إن الظاهرة الثياب والباطنة الخلخالان والقرطان والسواران عن ابن مسعود (وثانيها) إن الظاهرة الكحل والخاتم والخدان والخضاب في الكف عن ابن عباس والكحل والسوار والخاتم عن قتادة (وثالثها) إنها الوجه والكفان عن الضحاك وعطا والوجه والبنان عن الحسن وفي تفسير علي بن إبراهيم الكفان والأصابع ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جيبها أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل أنهن كنَّ يلْقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهنّ وكنّى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها وقيل إنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن وأعناقهن قال ابن عباس تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ يعني الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة وقيل معناه لا يضعن الجلباب والخمار عن ابن عباس ﴿ إلا لبعولتهن ﴾ أي لأزواجهن يبدين مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم وتحريكاً لشهوتهم فقد روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم لعن السلتاء من النساء والمرهاء فالسلتاء التي لا تخضب والمرهاء التي لا تكتحل ولعن المسوفة والمفسلة فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت سوف أفعل والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت أنا حائض وهي غير حائض ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن ﴾ وهؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهن بالأسباب والأنساب ويدخل أجداد البعولة فيه وإن علوا وأحفادهم وإن سفلوا يجوز إبداء الزينة لهم من غير إستدعاء لشهوتهم ويجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ ﴿ أو نسائهن ﴾ يعني النساء المؤمنات ولا يحل لهنَّ أن يتجردن ليهودية أو نصرانية أو مجوسية إلا إذا كانت أمة وهو معنى قوله ﴿ أو ما ملكت أيمانهن ﴾ أي من الإماء عن ابن جريج ومجاهد والحسن وسعيد بن المسيب قالوا ولا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته وقيل معناه العبيد والإماء وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقال الجبائي أراد مملوكاً له لم يبلغ مبلغ الرجال ﴿ أو

**التابعين غير أولي الإربة من الرجال** ﴾ إختلف في معناه فقيل التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله المولى عليه عن ابن عباس وقتادةوسعيدبن جبير وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل هو العنين الذي لا إرب له في النساء لعجزه عن عكرمة والشعبي وقيل إنه الخصي المجبوب الذي لا رغبة له في النساء عن الشافعي ولم يسبق إلى هذا القول وقيل إنه الشيخ الهم لذهاب أربه عن يزيد بن أبي حبيب وقيل هو العبد الصغير عن أبي حنيفة وأصحابه ﴿ **أو الطفل** ﴾ أي الجماعة من الأطفال ﴿ **الذين لم يظهروا على عورات النساء** ﴾ يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء ولم يقووا عليها لعدم شهوتهم وقيل لم يطيقوا مجامعة النساء فإذا بلغوا مبلغ الشهوة فحكمهم حكم الرجال ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ قال قتادة كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك وقيل معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها أو يسمع صوته عن ابن عباس ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ أي تفوزون بثواب الجنة وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة أورده مسلم في الصحيح والمراد بالتوبة الإنقطاع إلى الله تعالى .

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ
عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا
لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ
إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ

﴿ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٣٤﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) .

[ **الحجة** ] اللام في هن متعلقة بغفور أي غفور لهن .

[ **اللغة** ] الأيامى جمع أيم وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكراً أو ثيباً ويقال للرجل الذي لا زوجة له أيم أيضاً قال جميل :

أُحِبُّ الأَيامىٰ إذْ بُثَيْنَةَ أَيِّمٌ وَأَحْبَبْتُ لَمّا أَنْ غَنِيْتِ الغَوانِيا[1]

وقال الشاعر :

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَتَأَيمي يَدَا الدَّهْرِ ما لَمْ تَنْكِحِي أَتَأَيَّمُ[2]

والفعل منه آمت المرأة تئيم أيمة وأيوما والإنكاح التزويج يقال نكح إذا تزوَّج وأنكح غيره إذا زوَّجه والاستعفاف والتعفف سواء وهو طلب العفة واستعمالها ويقال رجل عف وامرأة عفة والكتاب والمكاتبة أن يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤدّيه إليه فإذا أدّاه عتق وأصله من الجمع وكل شيء جمعته إلى شيء فقد كتبته ومنه الكتاب لتداني بعض حروفه إلى بعض وهنا قد جمع العبد نجوم المال وقيل جمع ماله إلى مال السيد .

[ **الإعراب** ] أحد مفعولي إنكحوا محذوف تقديره وانكحوا رجالكم الأيامى من نسائكم أو نساءكم الأيامى من رجالكم وانكحوا الصالحين من عبادكم إماءكم الصالحات أو الصالحات من إمائكم عبادكم الصالحين لأن الأيامى يشتمل على الرجال والنساء والصالحين يشتمل عليهما أيضاً وقوله ﴿ **منكم ومن عبادكم وإمائكم** ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومن للتبيين وكل موضع يكون من مع معمولة والعامل فيه في محل النصب على الحال لا يكون إلا كذلك .

[ **المعنى** ] ثم أمر سبحانه عباده بالنكاح وأغناهم عن السفاح فقال ﴿ **وانكحوا الأيامى منكم** ﴾ ومعناه زوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم وهذا أمر ندب

(١) الغانية من النساء : الشابة المتزوجة وجمعها غوان .

(٢) وفي بعض النسخ « وإن كنت افتى منكم أتأيم » بدل المصراع الأخير .

واستحباب وقد صحّ عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أحب فطرتي فليستنّ بسنتي ومن سنتي النكاح وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[١] وروى عطا بن السايب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال هل تزوجت قلت لا قال فتزوج قال، ولقيني في العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوّج فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي هريرة قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول شراركم عزّابكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما وعن أبي إمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أربع لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكراً والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله أنثى ومضلل الناس يريد الذي يهزأ بهم يقول للمسكين هلم أعطك فإذا جاء يقول ليس معي شيء ويقول للمكفوف إتق الدابة وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم يَسُلّله ﴿ **والصالحين من عبادكم وامائكم** ﴾ أي وزوّجوا المستورين من عبيدكم وولائدكم وقيل إن معنى الصلاح ههنا الإيمان عن مقاتل ثم رجع إلى الأحرار فقال ﴿ **إن يكونوا فقراء** ﴾ لا سعة لهم للتزويج ﴿ **يغنهم الله من فضله** ﴾ وعدهم سبحانه أن يوسّع عليهم عند التزويج ﴿ **والله واسع** ﴾ المقدور كثير الفضل ﴿ **عليم** ﴾ بأحوالهم وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك وقال أبو عبد الله (ع) من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه لقوله سبحانه ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله** ﴾ هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد المهر والنفقة أن يتعفف ولا يدخل في الفاحشة ويصبر حتى يوسّع الله عليه من رزقه ثم بيّن سبحانه ما يسهل سبيل النكاح فقال ﴿ **والذين يبتغون الكتاب** ﴾ أي يطلبون المكاتبة ﴿ **مما ملكت أيمانهم** ﴾ من العبيد والاماء ﴿ **فكاتبوهم** ﴾ والمكاتبة أن يكاتب الإنسان عبده على مال ينجمه عليه ليؤدّيه إليه في هذه النجوم المعلومة وهذا أمر ندب واستحباب وترغيب عند جميع الفقهاء وقيل أنه أمر حتم وإيجاب إذا طلبه العبد وعلم فيه الخير عن عطا وعمر بن دينار والطبري ﴿ **إن علمتم فيهم خيراً** ﴾ أي صلاحاً ورشداً عن ابن عباس وروي عنه أيضاً

(١) الوجاء : رض عروق البيضتين حتى تنفضح فيكون شبيهاً بالخصاء شبه الصوم به لأنه يكسر الشهوة كالوجاء .

إن علمتم فيهم قدرة على الإكتساب لأداء مال الكتابة ورغبة فيه وأمانة وهو قول ابن عمر وابن زيد والثوري والزجاج قال الحسن إن كان عنده مال فكاتبه وإلا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح بها فيسألهم وروي أن عبداً لسلمان قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تطعمني أوساخ الناس فأبى عليه وقال قتادة يكره أن يكاتب العبد ويقول لا يكاتبه إلا يسأل الناس ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ أي حطّوا عنهم من نجوم الكتابة شيئاً عن ابن عباس وقتادة وعطا وقيل معناه ردّوا عليهم يا معشر السادة من المال الذي أخذتم منهم شيئاً وهو إستحباب وقيل هو إيجاب وقال قوم من المفسرين أنه خطاب للمؤمنين بمعونتهم على تخليص رقابهم من الرق ومن قال أنه خطاب للسادة اختلفوا في قدر ما يجب فقيل يتقدر بربع المال عن الثوري وروي ذلك عن علي (ع) وقيل ليس فيه تقدير بل يحط عنه شيء منه وهو الصحيح وقيل أنه يعطى سهمه من الصدقات في قوله وفي الرقاب قال الحسن لولا الكتابة لما جاز له أخذ الصدقة وقال أصحابنا أن المكاتبة ضربان مطلق ومشروط فالمشروط أن يقول لعبده في حال الكتابة متى عجزت عن أداء ثمنك كنت مردوداً في الرق فإذا كان كذلك جاز له ردّه في الرق عند العجز والمطلق ينعتق منه عند العجز بحساب ما أدّى من المال ويبقى مملوكاً بحساب ما بقي عليه ويرث ويورث بحساب ما عتق ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم** ﴾ أي امائكم وولايدكم ﴿ **على البغاء** ﴾ أي على الزنا ﴿ **إن أردن تحصناً** ﴾ أي تعففاً وتزويجاً عن ابن عباس وإنما شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن فإن لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائدة الشرط ﴿ **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** ﴾ أي من كسبهن وبيع أولادهن قيل أن عبد الله بن أبي كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشكون إليه فنزلت الآية ﴿ **ومن يكرههن** ﴾ أي ومن يجبرهن على الزنا من سادتهن ﴿ **فإن الله من بعد إكراههن غفور** ﴾ للمكرهات لا للمكره لأن الوزر عليه ﴿ **رحيم** ﴾ بهن ﴿ **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات** ﴾ أي واضحات ظاهرات ومن قرأ بفتح الباء فمعناه مفصلات بيّنهن الله وفصّلهن ﴿ **ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم** ﴾ وأخباراً من الذين مضوا من قبلكم وقصصاً لهم وشبهاً من حالهم بحالكم لتعتبروا بها ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ أي وزجراً للمتقين عن المعاصي وخصّهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها .

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ

فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ
ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن
تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب كوكب دُرِيّ مضمومة الدال مشددة الباء تَوَقَّدَ بفتح التاء والدال وتشديد القاف وقرأ أبو عمرو ودِرِّيء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد كما تقدم وقرأ الكسائي درىء مكسورة الدال ممدودة مهموزة تُوقَدُ بضم التاء والتخفيف والرفع وقرأ نافع وابن عامر وحفص دُرّي غير مهموزة يوقد بضم الياء والرفع وقرأ أبو بكر وحمزة دُرّيء مضمومة الدال مهموزة ممدودة توقد بضم التاء وتخفيف القاف وقرأ خلف دري مضمومة الدال غير مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف وقرأ ابن عامر وأبو بكر يُسَبَّح له فيها بفتح الباء والباقون بكسرها .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ دُرِّيّ يحتمل قوله أمرين ( أحدهما ) أن يكون نسبة إلى الدر لفرط صفائه ونوره ويجوز أن يكون فُعِّيلا من الدَرْيء فخففت الهمزة فانقلبت ياء كما تنقلب من النسيء والنبيء ومن قال دِرّيء كان فِعّيلا من الدرء مثل السِكّير والفِسّيق والمعنى إن الخفاء إندفع عنه لتلألؤه في ظهوره فلم يخف كما يخفى السهى ونحوه ومن قرأ دُرّيء كان فعيلاً من الدَرْء الذي هو الدفع وقد حكى سيبويه عن أبي الخطاب كوكب دُرِّيء من

الصفات ومن الأسماء المُرِّيق للعُصْفُر ومما يمكن أن يكون على هذا البناء العُلّية ألا تراه أنه من علا ومنه السُرّية . الأولى أن تكون فعلية ومن قرأ تُوقَد كان فاعله المصباح لأن المصباح هو الذي توقد قال امرؤ القيس :

سَمَـوْتُ إِلَيْهَـا وَالنُّجُـومُ كَـأَنَّهَـا     مَصَـابِيـحُ رُهْبَـانٍ تُشَبُّ لِقَفَّالِ[1]

ومن قرأ يوقد كان فاعله المصباح أيضاً ومن قرأ تَوَقَّدَ كان فاعله الزجاجة والمعنى على مصباح الزجاجة فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجة أو يريد بالزجاجة القنديل فقال توقد على لفظ الزجاجة وإن كان يريد القنديل ومعنى توقد من شجرة أي من زيت شجرة فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء ومن قرأ يسبح له بفتح الباء أقام الجار والمجرور مقام الفاعل ثم فسَّر من يسبح فقال رجال أي يسبح له رجال فرفع رجالاً بهذا المضمر الذي دلَّ عليه قوله يسبح لأنه إذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح ومثله قول الشاعر :

لِيُبْـكَ يَـزِيـدُ ضَـارِعٌ لِخُصُـومَـةٍ     وَمُخْتَبِطٌ مِمَّـا تُـطِيـحُ الـطَّوَائِـحُ[2]

[ **اللغة** ] المشكاة قيل أنها رومية معربة وقال الزجاج يجوز أن تكون عربية لأن في الكلام مثل لفظها شكوة وهي قربة صغيرة فعلى هذا تكون مِفعلة منها وأصلها مشكوة فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها والمصباح السراج وأصله من البياض والأصبح الأبيض .

[ **الإعراب** ] قيل في تقدير قوله ﴿ **نور السماوات** ﴾ وجهان ( أحدهما ) أن يكون على حذف المضاف وتقديره ذو نور السماوات والأرض على حد قوله أنه عمل غير صالح ( والثاني ) أن يكون مصدراً وضع موضع اسم الفاعل كقوله ﴿ **إن أصبح ماؤكم غوراً** ﴾ أي غائراً وكما قالت الخنساء :

تَـرْتَـعُ مَـا رَتَعَتْ حَتّى إِذَا ادَّكَـرَتْ     فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارٌ[3]

وعلى هذا تكون الإضافة غير حقيقية والسماوات في تقدير النصب فيها مصباح حملة في موضع الجر لأنها صفة مشكاة المصباح في زجاجة جملة في موضع رفع بأنها صفة

---

(١) شب النار : أوقدها . والقفال : المسافرون .

(٢) الشعر في جامع الشواهد وكذا الشعر الآتي وقد مر في الكتاب أيضاً غير مرة .

(٣) مر بمعناه في المجلد الثالث .

مصباح والعائد منها إليه لام العهد تقديره فيها مصباح ذلك المصباح في زجاجة أو هو في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري الجملة في موضع جر بأنها صفة زجاجة وقوله زيتونة بدل من شجرة والباقي صفة نور خبر مبتدأ محذوف أي هو نور على نور متعلق بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور في بيوت يتعلق بمحذوف وفي موضع جرّ بكونه صفة لمشكاة فانتقل الضمير من المحذوف إليه حيث سدّ مسدّه بغير حساب في موضع نصب بكونه صفة لمفعول محذوف وتقديره يرزق من يشاء رزقاً بغير حساب أي غير محسوب .

[ المعنى ] ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ إختلف في معناه على وجوه ( أحدها ) الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس ( والثاني ) الله منور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وأبي عالية والضحاك ( والثالث ) مزين السماوات بالملائكة مزين الأرض بالأنبياء والعلماء عن أبي بن كعب وإنما ورد النور في صفة الله تعالى لأن كل نفع وإحسان وإنعام منه وهذا كما يقال فلان رحمة وفلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه وعلى هذا قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنْمَا يُبَيِّنُ فِي الظَّلْمَاءِ لِلْنَاسِ نُورُهَا

وإنما المعنى إنا نسعى فيما ينفعهم ومنا خيرهم وكذا قول أبي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامىٰ عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الهُلاّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ في نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

لم يعن بقوله أبيض بياض لونه وإنما أراد كثرة افضاله واحسانه ونفعه والاهتداء به ولهذا المعنى سمّاه الله تعالى سراجاً منيراً ﴿مثل نوره﴾ فيه وجوه ( أحدها ) أن المعنى مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين وهو الإيمان في قلوبهم عن أبي بن كعب والضحاك وكان أبي يقرأ مثل نور من آمن به ( والثاني ) مثل نوره الذي هو القرآن في القلب عن ابن عباس والحسن وزيد بن أسلم ( والثالث ) أنه عنى بالنور محمد ﷺ وأضافه إلى نفسه تشريفاً له عن كعب وسعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله ﷺ ( الرابع ) أن نوره سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وعدله التي هي في الظهور والوضوح مثل النور عن أبي مسلم ( الخامس ) أن النور هنا الطاعة أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية اخرى ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون

المصباح خلف تلك الزجاجة ويكون للكوة باب آخر يوضع المصبَاح فيه وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وهو مثل الكوة والمصباح السراج وقيل المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة عن مجاهد ﴿**المصباح في زجاجة**﴾ أي ذلك السراج في زجاجة وفائدة اختصاص الزجاجة بالذكر أنه اصفى الجواهر فالمصباح فيه أضوأ ﴿**الزجاجة كأنها كوكب دري**﴾ أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه وإذا جعلته من الدرء وهو الدفع فمعناه المندفع السريع الوقع في الانقضاض ويكون ذلك أقوى لضوئه ﴿**يوقد من شجرة مباركة**﴾ أي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة ﴿**زيتونة**﴾ أراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لأن فيها أنواع المنافع فإن الزيت يسرج به وهو ادام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وثفله ويغسل برماده الابريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى اعصار وقيل انه خصَّ الزيتونة لأن دهنها اصفى وأضوء وقيل لأنها اول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتها منزل الأنبياء وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم فلذلك سميت مباركة ﴿**لا شرقية ولا غربية**﴾ أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب فهي ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف فزيتها يكون اصفر عن ابن عباس والكلبي وعكرمة وقتادة فعلى هذا يكون المعنى انها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا هي غربت ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هي شرقية غربية اخذت بحظها من الأمرين وقيل معناه إنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية عن الحسن وقيل معناه إنها ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل بل يصيبها الشمس والظل عن السدي وقيل ليست من شجر الشرق ولا من شجر الغرب لأن ما اختص باحدى الجهتين كان أقل زيتاً وأضعف ضوءاً لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب عن ابن زيد ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ من صفائه وفرط ضيائه ﴿**ولو لم تمسسه نار**﴾ أي قبل أن تصيبه النار وتشتعل فيه واختلف في هذا المشبه والمشبه به على أقوال ( أحدها ) انه مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة لا شرقية ولا غربية أي لا يهودية ولا نصرانية توقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوة وهي إبراهيم (ع ) يكاد نور محمد ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم به كما ان ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار أي تصبه النار عن كعب وجماعة من المفسرين وقد قيل أيضاً ان المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ كما سمي سراجاً في موضع آخر من شجرة مباركة يعني ابراهيم لأن اكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية لا نصرانية ولا يهودية لأن النصارى تصلي الى المشرق واليهود تصلي الى المغرب يكاد زيتها يضيء اي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر قبل أن يوحى إليه

﴿نور على نور﴾ أي نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل ان المشكاة عبد المطلب والزجاجة عبد الله والمصباح هو النبي ﷺ لا شرقية ولا غربية بل مكية لأن مكة وسط الدنيا عن الضحاك وروي عن الرضا (ع) أنه قال نحن المشكاة فيها والمصباح محمد ﷺ يهدي الله لولايتنا من أحب وفي كتاب التوحيد لأبي جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبي جعفر الباقر (ع) في قوله كمشكاة فيها مصباح قال نور العلم في صدر النبي ﷺ المصباح في زجاجة الزجاجة صدر علي (ع) صار علم النبي ﷺ الى صدر علي علم النبي علياً يوقد من شجرة مباركة نور العلم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل أن يسأل نور على نور أي امام مؤيد بنور العلم والحكمة في اثر امام من آل محمد ﷺ وذلك من لدن آدم (ع) إلى أن تقوم الساعة فهؤلاء الاوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم يدل عليه قول ابي طالب في رسول الله ﷺ

أَنْتَ الأَمِينُ مُحَمَّدُ قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ
لِمُسَوَّدِينَ أَطَاهِرِ كَرُمُوا وَطَابَ الْمَوْلِدُ
أَنْتَ السَّعِيدُ مِنَ السُّعُودِ تَكَنَّفَتْكَ الأَسْعَدُ
مِنْ لَدُنْ آدَمَ لَمْ يَزَلْ فِينَا وَصِيٌّ مُرْشِدُ
وَلَقَدْ عَرَفْتُكَ صَادِقاً وَالْقَوْلُ لا يَتَفَنَّدُ
مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِالصَّوابِ وَأَنْتَ طِفْلٌ أَمْرَدُ

تحقيق هذه الجملة يقتضي ان الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والإيمان شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة وأغصانها التنزيل وأوراقها التأويل وخدمها جبرائيل وميكائيل (وثانيها) أنه مثل ضربه الله للمؤمن والمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح الإيمان والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة هي الإخلاص لله وحده لا شريك له فهي خضراء ناعمة كشجرة التفّ بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أيّ حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت وكذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شيء من الفتر فهو بين اربع خلال ان أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين القبور نور على نور وكلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى الجنة نور يوم القيامة عن أبي بن كعب (وثالثها) انه مثل القرآن في

قلب المؤمن فكما ان هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء يكاد حجج القرآن تتضح وإن لم تقرأ وقيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها وتدبَّرها ولو لم ينزل القرآن نور على نور يعني ان القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا به نوراً على نور عن الحسن وابن زيد وعلى هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدلة فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض ولا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفادة وقال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة **﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾** أي يهدي الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الإيمان إذا علم ان له لطفاً وقيل معناه يهدي الله لنبوته وولايته من يشاء ممن يعلم أنه يصلح لذلك ويضرب الله الأمثال للناس تقريباً إلى الافهام وتسهيلاً لدرك المرام **﴿والله بكل شيء عليم﴾** فيضع الأشياء ومواضعها **﴿في بيوت أذن الله ان ترفع﴾** معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والجبائي ويعضده قول النبي ﷺ المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ثم قيل انها أربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل ومسجد بيت المقدس بناه سليمان ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله ﷺ وقيل هي بيوت الأنبياء وروي ذلك مرفوعاً انه سئل النبي ﷺ لما قرأ الآية أيُّ بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت عليّ وفاطمة قال نعم من أفاضلها ويعضد هذا القول قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً وقوله ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فالإذن يرفع بيوت الأنبياء والأوصياء مطلق والمراد بالرفع التعظيم ورفع القدر من الارجاس والتطهير من المعاصي والأدناس وقيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى **﴿ويذكر فيها اسمه﴾** أي يتلى فيها كتابه عن ابن عباس وقيل تذكر فيها أسماؤه الحسنى **﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾** أي يصلى له فيها بالبكور والعشايا عن ابن عباس والحسن والضحاك وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة وقيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه ووصفه بالصفات التي يستحقها لذاته وأفعاله التي كلها حكمة وصواب ثم بيَّن سبحانه المسبح فقال **﴿رجال لا تلهيهم﴾** أي لا تشغلهم ولا تصرفهم **﴿تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة﴾** أي اقامة الصلاة حذف الهاء لأنها عوض عن الواو في أقوام فلما أضافه صار المضاف اليه عوضاً عن الهاء وروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) أنهم قوم إذا

حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجراً ممن يتّجر. **﴿وإيتاء الزكاة﴾** أي إخلاص الطاعة لله تعالى عن ابن عباس وقيل يريد الزكاة المفروضة عن الحسن **﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾** أراد يوم القيامة تتقلب فيه احوال القلوب والأبصار وتنتقل من حال الى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها عن الجبائي وقيل تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وتتقلب الأبصار يمنة ويسرة من أين تؤتى كتبهم وأين يؤخذ بهم أم من قِبَل اليمين ام من قبل الشمال وقيل تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر والأبصار بالعمى بعد البصر وقيل معناه تنتقل القلوب عن الشك إلى اليقين والإيمان والأبصار عما كانت تراه غيّاً فتراه رشداً فمن كان شاكاً في دنياه أبصر في آخرته ومن كان عالماً ازداد بصيرة وعلماً فهو مثل قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد عن البلخي **﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله﴾** أي يفعلون ذلك طلباً لمجازاة الله إياهم بأحسن ما عملوا ولتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقّوه بأعمالهم من فضله وكرمه **﴿والله يرزق﴾** أي يعطي **﴿من يشاء بغير حساب﴾** أي بغير مجازاة على عمل بل تفضلاً منه سبحانه والثواب لا يكون إلا بحساب والتفضل يكون بغير حساب .

[ **النظم** ] اتصلت الآية الأولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لأنه تعالى لما بيَّن وجوه المنافع والمصالح وعلم الشرائع فيما سبق بيَّن بعده ان منافع أهل السماوات والأرض منه لأن اسم النور يطلق على ذلك كما تقدم بيانه وقيل انها اتصلت بما قبلها اتصال العلة بالمعلول فكأنه قال أنزلنا آيات بينات ومواعظ بالغات فهديناكم بها لأنا نهدي اهل السماوات والأرض واتصل قوله في بيوت بقوله كمشكاة فيها مصباح على ما تقدم بيانه وقيل يتصل بيسبح ويكون فيها تكريراً على التوكيد والمعنى يسبح الله رجال في بيوت أذن الله ان ترفع فيكون كقولك في الدار قام زيد فيها .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ
ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ
فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ

ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير في رواية البزي سحاب بغير تنوين ظلمات بالجر وفي رواية القواس وابن فليح سحاب بالتنوين ظلمات بالجر والباقون كلاهما بالرفع والتنوين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قوله أو كظلمات معناه أو كذي ظلمات ويدل على حذف المضاف قوله إذا أخرج يده لم يكد يراها فالضمير الذي أضيف اليه يده يعود الى المضاف المحذوف ومعنى ذي ظلمات انه في ظلمات ومعنى ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج الذي في الموج وقوله خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فإنه يجوز أن يكون ظلمة الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقوله **﴿فنادى في الظلمات ظلمة البحر﴾** وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ويجوز أن يكون الالتقام كان بالليل فهذه ظلمات ومن قرأ سحاب ظلمات فرفع ظلمات كان خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض ومن قرأ سحاب ظلماتٍ جاز أن يكون تكريراً وبدلاً من ظلمات الأولى ومن قرأ سحاب ظلمات بإضافة سحاب إلى الظلمات فالظلمات هي الظلمات التي تقدم ذكرها فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب وارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة والمطر .

[ **اللغة** ] السراب شعاع يتخيل كالماء يجري على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر والآل شعاع يرتفع بين السماء والأرض كالماء ضحوة النهار والآل يرفع الشخص الذي فيه وإنما قيل سراب لأنه ينسرب أي يجري كالماء وقيعة جمع قاع وهو الواسع من الأرض المنبسطة وفيه يكون السراب ولجة البحر معظمه الذي يتراكب أمواجه فلا يرى ساحله والتج البحر التجاجاً .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال **﴿والذين كفروا أعمالهم﴾** التي يعملونها ويعتقدون انها طاعات **﴿كسراب بقيعة﴾** أي كشعاع بأرض مستوية **﴿يحسبه الظمآن ماء﴾** أي يظنّه العطشان ماء **﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾** أي حتى إذا انتهى اليه رأى أرضاً لا ماء فيها وهو قوله لم يجده شيئاً أي شيئاً مما حسب وقدر فكذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نافعاً وان له عليه ثواباً وليس له ثواب **﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾** قيل معناه ووجد

الله عند عمله فجازاه على كفره وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب الظمآن مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم والمعنى وجد امر الله ووجد جزاء الله وقيل معناه وجد الله عنده بالمرصاد فأتم له جزاه **﴿والله سريع الحساب﴾** لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على افعالهم في حالة واحدة وسئل امير المؤمنين ( ع ) كيف يحاسبهم في حالة واحدة فقال كما يرزقهم في حالة واحدة وقيل ان المراد به عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام عن مقاتل ثم ذكر مثلاً آخر لأعمالهم فقال **﴿أو كظلمات﴾** أي أو أفعالهم مثل ظلمات **﴿في بحر لجي﴾** أي عظيم اللجة لا يرى ساحله وقيل هو العميق الذي يبعد عمقه عن ابن عباس **﴿يغشاه موج﴾** أي يعلو ذلك البحر اللجي موج **﴿من فوقه موج﴾** أي فوق ذلك الموج موج **﴿من فوقه سحاب﴾** أي من فوق الموج سحاب **﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾** يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب والمعنى ان الكافر يعمل في حيرة ولا يهتدي لرشده فهو من جهله وحيرته كمن هو في هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه واعتقاده متقلب في ظلمات وروي عن أبيّ أنه قال ان الكافر يتقلب في خمس ظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة الى ظلمة وهي النار **﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾** اختلف في معناه فقيل لا يراها ولا يقارب رؤيتها فهو نفي للرؤية وعن مقاربة الرؤية لأن دون هذه الظلمة لا يرى فيها عن الحسن واكثر المفسرين ويدل عليه قول ذي الرمة

إذا غَيَّـرَ النَّـأْيُ الـمُحِبِّيـنَ لَمْ يَكَـدْ      عَـلىٰ كُـلِّ حَـالٍ حُبُّ مَيَّـةَ يَبْـرَحُ[١]

ويروى رسيس الهوى من حب مية يبرح وقال آخر « ما كدت أعرف إلا بعد انكاري » وقال الفراء كاد صلة والمعنى انه لم يرها وقيل لا يراها إلا بعد جهد ومشقة رؤية تخيل لصورتها لأن حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفي ان تكون نافية وإذا دخلها دلّت على أن يكون الأمر وقع بعد بطء عن المبرد **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾** أي من يجعل الله له نجاة وفرجاً فما له من نجاة وقيل ومن لم يجعل الله له نوراً في القيامة فما له من نور .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن

(١) مية : اسم محبوبة ذي الرمة . والنأى : البعد . يقول ان العشاق اذا بعدوا عمن يحبون زالت المحبة عنهم وأما انا فعلى كل حال لا يزول حبها عن قلبي . ورسيس الهوى على الرواية الثانية : مسه وأثره وبقيته .

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۢ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ
وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ
يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ
وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾
يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ
وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ
مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ
مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر يُذهِب بالأبصار بضم الياء وكسر الهاء والباقون يذهب .

[ **الحجة** ] من قرأ يُذهِب فالباء زائدة وتقديره يذهب الأبصار ومثله قوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقول الهذلي

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَىٰ لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[1]

أي شربن ماء البحر قال ابن جني إنما يزاد هذا الباء لتوكيد معنى التعدي كما يزاد

(١) لجج جمع لجة وهي في الأصل معظم الماء وأراد لجج البحر « نئيج » مأخوذ من قولهم ناج : إذا مرت مرأ سريعاً يصف السحاب .

اللام لتوكيد معنى الاضافة في قوله « يابوس للحرب ضراراً لأقوام » وان شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه يلوي بالأبصار أي يستأثر بالأبصار وقد ذكرنا اختلافهم في قوله خلق كل دابة فيه والوجه في سورة ابراهيم .

[ **اللغة** ] الازجاء والتزجية والسوق وزجا الخراج يزجو زجاء إذا انساق الى أهله وتيسر جبايته والركام المتراكم بعضه على بعض والركمة الطين المجموع والودق المطر ودقت السماء تدق ودقاً اذا امطرت قال الشاعر

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها وَلا أَرْضٌ أَبْقَلَ أَبْقَالَها[1]

والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين والبرد أصله من البرد خلاف الحر وسحاب برد أتى بالبرد ويقال سمي البَرد لانه يبرد وجه الأرض أي يقشره من بردت الشيء بالمبرد والسنا مقصوراً الضوء وهو بالمد الرفعة .

[ **الإعراب** ] صافّات -حال من الطير وينزل من السماء مِنْ لابتداء الغاية لأن السماء مبدأ لإنزال المطر من جبال من للتبعيض لأن البرد بعض الجبال التي في السماء مِنْ بَرَد من لتبيين الجنس لأن جنس الجبال جنس ابرد عن علي بن عيسى والتحقيق ان قوله من جبال بدل من قوله من السماء وقوله فيها في يتعلق بمحذوف وتقديره من جبال كائنة في السماء فالجار والمجرور في موضع الصفة لجبال تقديره من جبال سماوية وقوله من برد يتعلق بمحذوف آخر في محل جرّ لأنه صفة بعد صفة تقديره من جبال سماوية بَردية ومفعول ينزل محذوف أي ينزل من جبال في السماء من برد برداً كما يقال أخذت من المال شيئاً وقوله على بطنه في موضع نصب على الحال وكذلك قوله على رجلين وعلى أربع ومن الأولى والثالثة بمعنى ما .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه الآيات التي جعلها نوراً للعقلاء العارفين بالله وصفاته فقال **﴿ألم تر﴾** أي ألم تعلم يا محمد لأن ما ذكر في الآية لا يرى بالأبصار وإنما يعلم بالأدلة والخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين **﴿ان الله يسبح له من في السماوات والأرض﴾** والتسبيح التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه ولا يليق به أي ينزهه أهل السماوات وأهل الأرض بألسنتهم وقيل عنى به العقلاء وغيرهم وكنّى عن الجميع بلفظة من تغليباً للعقلاء على غيرهم **﴿والطير﴾** أي ويسبّح له الطير **﴿صافات﴾** أي واقفات في الجوّ

(١) قائله عامربن جوين الطائي . والمزنة : السحابة البيضاء . وأبقلت الأرض : خرج بقلها .

مصطفّات الأجنحة في الهواء وتسبيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث ﴿**كل قد علم صلاته وتسبيحه**﴾ معناه ان جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه الى توحيده وتسبيحه وتنزيهه وقيل ان الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء عن مجاهد وجماعة وقيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه اي صلاة نفسه وتسبيح نفسه فيؤدّيه في وقته فيكون الضمير في علم الكل وفي الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى وهو أجود لأن الاشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها على الله وإنما يعلم الله تعالى ذلك ﴿**والله عليم بما يفعلون**﴾ أي عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها ﴿**ولله ملك السماوات والأرض**﴾ والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير فملك السماوات والأرض لا يصح إلا لله وحده لأنه القادر على الاجسام لا يقدر على خلقها غيره فالملك التام لا يصحُّ إلا له سبحانه ﴿**وإلى الله المصير**﴾ أي المرجع يوم القيامة ثم قال ﴿**ألم تر**﴾ أي ألم تعلم ﴿**ان الله يزجي سحاباً**﴾ أي يسوقه سوقاً رفيقاً إلى حيث يريد ﴿**ثم يؤلّف بينه**﴾ أي يضمّ بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ﴿**ثم يجعله ركاماً**﴾ أي متراكماً متراكباً بعضه فوق بعض ﴿**فترى الودق يخرج من خلاله**﴾ أي ترى المطر والقطر يخرج من خلال السحاب أي مخارج القطر منه ﴿**وينزل من السماء من جبال فيها من برد**﴾ أي وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد برداً والسماء السحاب لأن كل ما علا مطبقاً فهو سماء ويجوز ان يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها عن البلخي وغيره وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندي بيتان من تبن أي قدر بيتين عن الفراء وقيل أراد السماء المعروفة فيها جبال من برد مخلوقة عن الحسن والجبائي ﴿**فيصيب به**﴾ أي بالبرد أي بضرره ﴿**من يشاء**﴾ فيهلك زرعه وماله ﴿**ويصرفه عمن يشاء**﴾ أي ويصرف ضرره عمن يشاء فيكون أصابته نقمة وصرفه نعمة ﴿**يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**﴾ أي يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴿**يقلب الله الليل والنهار**﴾ أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما وإدخال احدهما في الآخر ﴿**إن في ذلك**﴾ التقليب ﴿**لعبرة**﴾ أي دلالة ﴿**لأولي الأبصار**﴾ أي لذوي العقول والبصائر ﴿**والله خلق كل دابة**﴾ أي كل حيوان يدبّ على وجه الأرض ولا يدخل فيه الجن والملائكة ﴿**من ماء**﴾ أي من نطفة وقيل عنى به الماء لأن أصل الخلق من الماء لأن الله خلق الماء وجعل بعضه ناراً فخلق الجن منها وبعضه ريحاً فخلق منه الملائكة وبعضه طيناً فخلق منه آدم (ع) فأصل الحيوان كلّه الماء ويدل عليه قوله ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حيّ فمنهم من يمشي على بطنه**﴾ كالحية والحوت والدود ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ كالانس والطير ﴿**ومنهم من يمشي**

**على أربع﴾** كالأنعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لأنه كالذي يمشي على أربع في رأي العين فترك ذكره لإن العبرة تكفي بذكر الأربع قال البلخي ان الفلاسفة تقول كل ما له قوائم كثيرة فإن اعتماده إذا سعى على أربعة قوائم فقط وقال أبو جعفر (ع) ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك **﴿يخلق الله ما يشاء﴾** أي يخترع ما يشاء وينشئه من الحيوان وغيره وقال المبرد قوله كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على الاغلب فلذلك قال من لغير ما يعقل **﴿إن الله على كل شيء قدير﴾** يخلق هذه الأشياء لقدرته عليها فاختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق اصلها يدل على أن لها قادراً خالقاً عالماً حكيماً **﴿لقد أنزلنا الآيات مبينات﴾** أي دلالات واضحات بينات **﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** أي من جملة تلك الدواب وعنى به المكلفين دون من ليس بمكلف والصراط المستقيم الايمان لأنه يؤدّي إلى الجنة وقيل ان المراد يهدي في الآخرة الى طريق الجنة .

﴿ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟
أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وقالون عن نافع ويعقوب ويتقه بكسر القاف والهاء مكسورة مختلسة غير مشبعة وقرأ أبو عمرو وحمزة في رواية العجلي وخلاد وأبو بكر في رواية حماد ويحيى ويَتَّقه بكسر القاف وسكون الهاء وقرأ حفص ويَتَّقِه بسكون القاف وكسر الهاء غير مشبعة والباقون يَتَّقِهِ بكسر القاف والهاء مشبعة وروي عن علي ( ع ) انه قرأ قولُ المؤمنين بالرفع وهو قراءة الحسن بخلاف ابن أبي اسحاق وهو مثل قراءة من قرأ فما كان جوابُ قومه بالرفع وقد ذكرنا الوجه فيه وقرأ أبو جعفر وحده لِيُحْكَمَ بينهم بضم الياء وفتح الكاف في الموضعين وفي البقرة وآل عمران مثل ذلك وقد ذكرناه هناك .

[ الحجة ] قال أبو علي الوجه ويتقه موصولة بياء لأن ما قبل الهاء متحرك ومن قرأ ويَتَّقِهِ لا يبلغ بها الياء فالوجه فيه ان الحركة غير لازمة قبل الهاء ألا ترى ان الفعل إذا رفع دخلته الياء ومن قرأ ويتقه بسكون الهاء فلأن ما يتبع هذه الهاء من الياء والواو زيادة فردَّ إلى الأصل وحذف ما يلحقه من الزيادة ويقوّي ذلك ما حكي عن سيبويه انه سمع من يقول هذه أمة الله في الوصل والوقف وزعم ابو الحسن ان قوله له أرِقانِ[1] ونحوه لغة يجرونها في الموصل مجراها في الوقف فيحذفون منها كما حذفوا في الوقف وحملها سيبويه على الضرورة وأما قراءة حفص ويَتَّقْهْ فوجهه أن تَقِهِ من يتقه مثل كَتِف فكما يسكن نحو كَتْف كذلك تسكن القاف من تَقِه وعلى هذا قول الشاعر

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أبٌ ... وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوانِ[2]

ومثله « فَبَاتَ مُنْتَصِباً وما تَكَرْدَسا »[3] فلما أسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه حرّك الهاء بالكسر كما حرّك الدال بالفتح في لم يلده .

[ اللغة ] قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحقي أي طاوعني لما كنت التمسه منه وصار يسرع إليه وناقة مذعان منقادة والحيف الجور ينقص الحق والفوز أخذ

---

(١) هذا جزء من بيت لرجل من ازد السراة يصف برقاً وتمامه « فظلت لدى البيت الحرام اخيله * ومطواي مشتاقان له ارقان » . وقوله اخيله اي انظر الى مخيلته والهاء عائدة على البرق في بيت قبله . ومطواي اي صاحباي .

(٢) نسب البيت الى عمرو الجنبي وله قصة مع امرىء القيس وروى « الارب مولود وليس له ولد . . ا هـ » والمراد من المولود الذي ليس له أب عيسى بن مريم عليه السلام ومن الذي لم يلده ابوان ادم عليه السلام وقيل أراد به القوس لأنها تؤخذ من شجرة معينة واحدة وقيل أراد البيضة وهذا البيت مع بيتين بعده من الالغاز ذكره في شرح الاشموني ج ٣ : ٣١٤ .

(٣) التكردس : التجمع والتقبض .

الحظ الجزيل من الخير .

[ النزول ] قيل نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الاشرف وحكى البلخي انه كانت بين علي وعثمان منازعة في ارض اشتراها من علي (ع) فخرجت فيها أحجار وأراد ردَّها بالعيب فلم يأخذها فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ فقال الحكم بن أبي العاص ان حاكمته إلى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه اليه فنزلت الآيات وهو المروي عن أبي جعفر (ع) أو قريب منه .

[ المعنى ] ﴿ويقولون آمنا بالله﴾ أي صدّقنا بتوحيد الله ﴿وبالرسول وأطعنا﴾ هما فيما حكما ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ أي يعرض عن طاعتهما طائفة منهم ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد قولهم آمنا ﴿وما أولئك﴾ الذين يدعون الإيمان ثم يعرضون عن حكم الله ورسوله ﴿بالمؤمنين﴾ وفي هذه الآية دلالة على ان القول المجرد لا يكون إيماناً إذ لو كان ذلك كذلك لما صح النفي بعد الإثبات ﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ أي إلى كتاب الله وحكمه وشريعته ﴿ورسوله﴾ أي وإلى حكم رسوله ﴿ليحكم بينهم﴾ الرسول وإنما افرد بعد قوله إلى الله ورسوله لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى فحكم الله ورسوله واحد ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عما يدعون إليه ﴿وان يكن لهم الحق﴾ أي وإن علموا أن الحق يقع لهم ﴿يأتوا اليه﴾ أي إلى النبي ﷺ ﴿مذعنين﴾ مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكراً عليهم ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ أي شكّ في نبوتك ونفاق وهو استفهام يراد به التقرير لأنه اشدّ في الذّم والتوبيخ أي هذا أمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينة كما جاء في نقيضه من المدح على طريق الاستفهام نحو قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ(١)

﴿أم ارتابوا﴾ في عدلك أي رأوا منك ما رابهم لأجله امرك ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم﴾ اي يجور الله عليهم ﴿ورسوله﴾ أي ويميل رسوله في الحكم ويظلمهم لأنه لا وجه في الأمتناع عن المجيء إلا احد هذه الأوجه الثلاثة ثم أخبر سبحانه انه ليس شيء من ذلك فقال ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ نفوسهم وغيرهم وفي هذه الآية دلالة على ان خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين وإذا كان كذلك فالقطع عليه أولى ان يكون خلافاً للدين ثم

(١) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب ايضاً غير مرة .

وصف سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا﴾** أي سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا امره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرّهم عن ابن عباس ومقاتل وقيل معناه قبلنا هذا القول وانفذنا له واجبنا إلى حكم الله ورسوله **﴿وأولئك هم المفلحون﴾** أي الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد وروي عن أبي جعفر (ع) ان المعنى بالآية امير المؤمنين عليه افضل الصلوات **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** فيما امراه ونهيا عنه **﴿ويخش الله﴾** أي ويخش عقاب الله في ترك أوامره وارتكاب نواهيه **﴿ويتقه﴾** أي ويتق عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه **﴿فأولئك هم الفائزون﴾** وقيل معناه ويخش الله في ذنوبه التي عملها ويتقه فيما بعد.

[ النظم ] قيل اتصلت الآية الأولى بقوله ويضرب الله الأمثال للناس ويعود الضمير في قوله ويقولون اليهم وان كان يقع على بعضهم فكأنه قال ويقول جماعة من هؤلاء الناس آمنا عن أبي مسلم وقيل لنه لما تقدّم ذكر المؤمن والكافر عقّبه سبحانه بذكر المنافق .

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو بكر كما استخلف بضم التاء والباقون بفتح التاء وقرأ ابن كثير وابو بكر ويعقوب وسهل وليُبْدِلنهم من الابدال والباقون بالتشديد من التبديل.

[ **الحجة** ] قال أبو علي الوجه في كما استخلف بفتح التاء واللام لأن اسم الله قد تقدَّم ذكره والضمير في ليستخلفنهم يعود إليه فكذلك في قوله كما استخلف والوجه في استخلف انه يراد به ما يراد باستخلف والتبديل والابدال بمعنى وقيل ان التبديل تغيير حال إلى حال اخرى يقال بدل صورته والابدال رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه قال «عزل الأمير بالأمير المبدل».

[ **الإعراب** ] وأقسموا بالله جهد إيمانهم اصله واقسموا بالله يجهدون الإيمان جهداً فحذف الفعل واقيم مصدره مضافاً إلى المفعول مقامه كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين إيمانهم طاعة مبتدأ وخبره محذوف تقديره طاعة معروفة اولى بكم وأفضل لكم ليستخلفنهم جواب قسم يدل عليه قوله وعد الله لأن وعده سبحانه كالقسم يعبدونني يجوز ان يكون جملة مستأنفة على طريق الثناء عليهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال.

[ **المعنى** ] ولمّا بيَّن الله سبحانه كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ﷺ والله لو امرتنا بالخروج من ديارنا وأموالنا لفعلنا فقال الله سبحانه ﴿**وأقسموا بالله جهداً إيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن**﴾ اي حلفوا بالله اغلظ إيمانهم وقدر طاقتهم انك ان امرتنا بالخروج في غزواتك لخرجنا ﴿**قل**﴾ لهم يا محمد ﴿**لا تقسموا**﴾ أي لا تحلفوا وتمَّ الكلام ﴿**طاعة معروفة**﴾ أي طاعة حسنة للنبي ﷺ خالصة صادقة افضل واحسن من قسمكم بما لا تصدقون فحذف خبر المبتدأ للعلم به وقيل معناه ليكن منكم طاعة والقول المعروف هو المعروف صحته ﴿**ان الله خبير بما تعملون**﴾ أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم امرهم سبحانه بالطاعة فقال ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**اطيعوا الله**﴾ فيما امركم به ﴿**واطيعوا الرسول**﴾ فيما اتاكم به واحذروا المخالفة ﴿**فإن تولوا**﴾ أي فإن تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله والأصل تتولوا فحذف أحد التاءين ﴿**فإنما عليه**﴾ أي على الرسول ﴿**ما حمل**﴾ أي كلف وأمر من التبليغ واداء الرسالة ﴿**وعليكم ما حملتم**﴾ أي كلفتم من الطاعة والمتابعة ﴿**وان تطيعوه**﴾ أي وان تطيعوا الرسول ﴿**تهتدوا**﴾ إلى الرشد والصلاح وإلى طريق الجنة ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾ أي ليس عليه الا اداء الرسالة بيان الشريعة وليس عليه الاهتداء وإنما ذلك عليكم ونفعه عائد اليكم والمبين البين الواضح ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم**﴾ أي صدقوا بالله

وبرسوله وبجميع ما يجب التصديق بـه ﴿وعملوا الصالحـات﴾ أي الطاعـات الخالصـة لله ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى ليورثنهم أرض الكافر من العرب والعجم فيجعلهم سكانها وملوكها ﴿كما استخلف الـذين من قبلهم﴾ قال مقـاتل يعني بني إسرائيل إذ اهلك الله الجبابرة بمصر وأورثهم ارضهم وديارهم وأموالهم وعن أبي ابن كعب قال لما قدم رسول الله ﷺ واصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية وعن المقداد بن الاسود عن رسول الله ﷺ انه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا ادخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من أهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وقيل انه اراد بالأرض أرض مكة لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ يعني دين الإسلام الذي امرهم ان يدينوا به وتمكينه ان يظهره على الدين كله كما قال زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل تمكينه بإعزاز اهله واذلال اهـل الشرك وتمكين اهله من اظهـاره بعد ان كـانوا يخفـونه ﴿وليبـدلنهم من بعـد خوفهم امنا﴾ أي وليصيرنهم بعد ان كانوا خائفين بمكة آمنين بقـوة الإسلام وانبسـاطه قـال مقاتل وقد فعل الله ذلك بهم وبمن كان بعدهم من هذه الأمة مكّن لهم في الأرض وابدلهم امناً من بعد خوف وبسط لهم في الأرض فقد انجز وعده لهم وقيل معناه وليبدلنهم من بعد خوفهم في الدنيا امناً في الآخرة ويعضده ما روي عن النبي ﷺ انه قال حاكياً عن الله سبحانه اني لا اجمع على عبد واحد بين خوفين ولا بين امنين ان خافني في الدنيا امنته في الآخرة وان امنني في الدنيا خوّفته في الآخرة ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ هذا استئناف كلام في الثناء عليهم ومعناه لا يخافون غيري عن ابن عباس وقيل معناه لا يراؤون بعبادتي أحداً وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم الا بوحي من الله عز وجل ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ أي بعد هذه النعم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ذكر الفسق بعد الكفر مع ان الكفر اعظم من الفسق لأن الفسق في كل شيء هو الخروج إلى اكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر وافحشه وقيل معناه من جحد تلك النعمـة بعد انعام الله تعالى بها فأولئك هم العاصون لله عن ابن عباس واختلف في الآية فقيل انها واردة في اصحاب النبي ﷺ وقيل هي عامة في أُمة محمد ﷺ عن ابن عباس ومجاهـد والمروي عن اهل البيت (ع) انها في المهدي من آل محمد ﷺ وروي العياشي بإسناده عن علي بن الحسين (ع) انه قرأ الآية وقال هم والله شيعتنا اهل البيت يفعـل الله ذلك بهم على يـدي

رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وروي مثل ذلك عن أبي جعفر ( ع ) وابي عبد الله ( ع ) فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي واهل بيته صلوات الرحمن عليهم وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي ( ع ) منهم ويكون المراد بقوله كما استخلف الذين من قبلهم هو أن جعل الصالح للخلاف خليفة مثل آدم وداود وسليمان ( ع ) ويدل على ذلك قوله إني جاعل في الأرض خليفة ويا داود انا جعلناك خليفة في الأرض وقوله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكاً عظيماً وعلى هذا اجماع العترة الطاهرة واجماعهم حجة لقول النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض وأيضاً فإن التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده .

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر وحمزة لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ بالياء جاز أن يكون فاعله أحد شيئين أما ان يكون تضمن ضميراً للنبي ﷺ أي لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين فالذين في موضع نصب بأنه المفعول الاول ومعجزين المفعول الثاني ويجوز ان يكون فاعل الحسبان الذين كفروا ويكون المفعول الثاني محذوفاً وتقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين ومن قرأ بالتاء ففاعل تحسبن المخاطب .

[ **المعنى** ] ثم أمر سبحانه بإقامة امور الدين فقال **﴿واقيموا الصلوة﴾** أي قوموا بأدائها واتمامها في اوقاتها **﴿وآتوا الزكوة﴾** المفروضة **﴿واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾** اي لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعم الجزيلة ثم قال **﴿لا تحسبن﴾** يا محمد أو أيها السامع **﴿الذين كفروا معجزين﴾** أي سابقين فائتين في الأرض يقال طلبته فأعجزني أي فاتني

وسبقني أي لا يفوتونني ومن قرأ بالياء فمعناه لا يظنن الكافرون انهم يفوتونني ﴿ومأواهم النار﴾ اي مستقرهم ومصيرهم النار ﴿ولبئس المصير﴾ أي بئس المستقر والمأوى وإنما وصفها بذلك وإن كانت حكمة وصواباً من فعل الله تعالى لما ينال الصائر اليها من الشدائد والآلام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير حفص ثَلَاث عورات بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ عن الأعمش عَوَرات بفتح الواو وقرأ أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) يضعن من ثيابهن وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من رفع كان خبر المبتدأ محذوفاً كأنه قال هذا ثلاث عورات فأجمل بعد التفصيل ومن نصب جعله بدلاً من قوله ثلاث مرات فإن قلت فإن قوله ثلاث مرات

زمان بدلالة أنه فسّر بزمان وهو قوله من قبل صلاةالفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرةومن بعد صلاة العشاء وليس العورات بزمان فكيف يصح وليس هي هو قيل يكون ذلك على ان تضمر الاوقات كأنه قال اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعراب المضاف والعَوْرات جمع عورة وحكم ما كان على فَعْله من الأسماء تحريك العين في الجمع نحو جَفْنة وجَفَنات إلا ان عامة العرب كرهوا تحريك العين فيما كان عينه واواً أو ياء لما كان يلزم من الانقلاب إلى الألف فأسكنوا وقالوا عورات وبيضات إلا ان هذيلاً حرّكوا العين منها فقالوا عَوَرات ولَوَزات وانشد بعضهم :

أَخُــو بَيَضَــاتٍ رَائـحٌ مُـتَـأَوِّبٌ رَفِيقٌ بِمَسْحِ المَنْكِبَيْنِ سَبُـوحُ[1]

فحرك الياء من بيضات والجيد عند النحويين الأول ومن قرأ من ثيابهن فلأنه لا يوضع كل الثياب وإنما يوضع بعضها وروي عن أبي عبد الله ( ع ) انه قال هو الجلباب إلا ان تكون امة فليس عليها جناح ان تضع خمارها.

[ **اللغة** ] التبرج اظهار المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره وأصله الظهور ومنه البرج البناء العالي لظهوره .

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم احكام النساء والرجال ومن ابيح له الدخول على النساء استثنى سبحانه هاهنا أوقاتاً من ذلك فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستذنكم الذين ملكت ايمانكم**﴾ معناه مُرُوا عبيدكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا ارادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم عن ابن عباس وقيل اراد العبيد خاصة عن ابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) وابي عبد الله ( ع ) ﴿**والذين لم يبلغوا الحلم منكم**﴾ من احراركم وأراد به الصبي الذي يميزّ بين العورة وغيرها وقال الجبائي الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال وعلى الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أي في ثلاث اوقات من ساعات الليل والنهار ثم فسّرها فقال ﴿**من قبل صلاة الفجر**﴾ وذلك أن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحبّ ان يراه غيره في تلك الحال ﴿**وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة**﴾ يريد عند القائلة ﴿**ومن بعد صلاة العشاء**﴾ الآخرة حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها امر الله بالاستئذان في هذه الأوقات التي يتخلى الناس فيها وينكشفون وفصّلها ثم اجملها بعد التفصيل فقال

(١) الرائح بمعنى الذاهب. والمتاوب : الراجع : ورفيق بمسح المنكبين اي عالم بتحريكهما كناية عن حسن جريه ومهارته في السير. وسبوح اي حسنُ الحركة . وفي اللسان «ابو بيضات . . . ا ه».

**﴿ثلاث عورات لكم﴾** أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سمى سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدي كان اناس من الصحابة يعجبهم ان يواقعوا نساءهم في هذه الأوقات الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله سبحانه ان يأمروا الغلمان والمملوكين ان يستأذنوا في هذه الساعات الثلاث **﴿ليس عليكم﴾** يعني المؤمنين الأحرار **﴿ولا عليهم﴾** يعني الخدم والغلمان **﴿جناح بعدهن﴾** أي حرج في ان لا يستأذنوا في غير هذه الأوقات الثلاثة ثم بينَّ المعنى فقال **﴿طوّافون عليكم﴾** أي هم خدمكم فلا يجدون بدّاً من دخولهم عليكم في غير هذه الأوقات ويتعذر عليهم الاستئذان في كل وقت كما قال سبحانه ويطوف عليهم ولدان مخلدون أي يخدمهم وقال النبي ﷺ انها من الطوافين عليكم والطوافات جعل الحرة بمنزلة العبيد والاماء وقال مقاتل ينقلبون فيكم ليلاً ونهاراً **﴿بعضكم على بعض﴾** أي يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي **﴿كذلك﴾** أي كما بيَّن لكم ما تعبدكم به في هذه الآية **﴿يبيّن الله لكم الآيات﴾** أي الدلالات على الاحكام **﴿والله عليم﴾** بما يصلحكم **﴿حكيم﴾** فيما يفعله **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾** يعني من الأحرار **﴿فليستأذنوا﴾** أي في جميع الاوقات **﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾** من الأحرار الكبار الذين امروا بالاستئذان على كل حال في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الاوقات والطفل والعبد يستأذن في العورات الثلاث **﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾** مرَّ معناه قال سعيد بن المسيب ليستأذن الرجل على امه فإنما نزلت هذه الآية في ذلك **﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾** وهن المسنات من النساء اللاتي قعدن عن التزويج لان لا يرغب في تزويجهن وقيل هن اللاتي ارتفع حيضهن وقعدن عن ذلك اللاتي لا يطمعن في النكاح اي لا يطمع في جماعهن لكبرهن **﴿فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن﴾** يعني الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وقيل يعني الخمار والرداء عن جابر بن زيد وقيل ما فوق الخمار من المقانع وغيرها ابيح لهن القعود بين يدي الاجانب في ثياب ابدانهن مكشوفة الوجه واليد فالمراد بالثياب ما ذكرناه لاكل الثياب **﴿غير متبرجات بزينة﴾** أي غير قاصدات بوضع ثيابهن اظهار زينتهن بل يقصدن به التخفيف عن انفسهن فاظهار الزينة في القواعد وغيرهن محظور واما الشابات فإنهن يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار ويؤمرن بلبس اكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن وقد روي عن النبي ﷺ انه قال للزوج ما تحت الدرع وللابن والاخ ما فوق الدرع ولغير ذي محرم اربعة اثواب درع وخمار وجلباب وازار **﴿وان يستعففن﴾** اي واستعفاف القواعد وهو ان يطلبن العفة بلبس الجلابيب **﴿خير لهن﴾** من وضعها وان سقط الحرج عنهن فيه **﴿والله سميع﴾**

لأقوالكم ﴿عليكم﴾ بما في قلوبكم .

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا
مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا
أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ
ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[ اللغة ] الحَرَج الضيق من الحَرَجة وهي الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه وجمعها حَرَجات وحِراج قال .

أيـا حَـرَجـاتِ الحَيِّ حِينَ تَـحَمَّـلوُا بِـذي سَـلَمٍ لاجَـادَكُـنَّ رَبِـيـعُ(١)

وحرج فلان إذا أثم وتحرج من كذا إذا تأثم من فعله والأشتات المتفرقون وهو جمع شت .

[ الاعراب ] جميعاً نصب على الحال وكذلك اشتاتاً وتحية منصوب لأنها مصدر سلّموا لأن التحية بمعنى التسليم من عند الله صفة تحية .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر الاستيذان عقّبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في

(١) قيل انه يعاتب الطرق التي سارت فيها المحبوبة للفراق.

الانبساط بالأكل والشرب فقال ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ الذي كفّ بصره ﴿ولا على الأعرج﴾ الذي يعرج من رجليه او احدهما ﴿حرج ولا على المريض﴾ العليل ﴿حرج﴾ أي إثم واختلف في تأويله على وجوه (أحدها) ان المعنى ليس عليكم في مؤاكلتهم حرج لأنهم كانو يتحرَّجون من ذلك ويقولون ان الاعمى لا يبصر فنأكل جيد الطعام دونه والأعرج لا يتمكن من الجلوس والمريض يضعف عن الأكل عن ابن عباس والقراء (وثانيها) ان المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد احللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكان اولئك يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمني في أكلهم من بيت اقاربهم أو من بيت من يدفع اليهم المفتاح إذا اخرج للغزو عن سعيد بن المسيب والزهري (وثالثها) ان المعنى ليس على الأعمى والأعرج والمريض ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه ويكون قوله ولا على أنفسكم كلاماً مستأنفاً فأول الكلام في الجهاد وآخره في الأكل عن ابن زيد والحسن والجبائي (ورابعها) ان العمي والعرج والمرضى كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لأن الناس كانوا يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعام اعمى ولا أعرج ولا مريض عن سعيد بن جبير والضحاك ( وخامسها ) أن الزمنى والمرضى رخّص الله سبحانه لهم في الأكل من بيوت من سمَّاهم في الآية وذلك ان قوماً من اصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وقراباتهم فكان اهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد ﴿ولا على أنفسكم﴾ أي وليس عليكم حرج في انفسكم ﴿ان تأكلوا من بيوتكم﴾ أي بيوت عيالكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج وقيل معناه من بيوت اولادكم فنسب بيوت الاولاد إلى الآباء لأن الاولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم ويدل عليه قوله ﷺ انت ومالك لابيك وقوله ﷺ إن اطيب ما يأكل المؤمن كسبه وان ولده من كسبه ولذلك لم يذكر الله بيوت الابناء حين ذكر بيوت الآباء والاقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت الاقارب بعد الاولاد فقال ﴿او بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم﴾ إلى قوله ﴿أو بيوت خالاتكم﴾ وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مرَّ في سفره بغنم وهو عطشان ان يشرب من رِسْله[1] توسعة منه على عباده ولطفاً لهم ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق العطن وقال الجبائي ان الآية منسوخة بقوله لا تدخلوا

---

(١) الرسل : اللبن.

بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وبقول النبي ﷺ لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة نفس منه والمروي عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم انهم قالوا لا بأس بالاكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف وقوله ﴿**أو ما ملكتم مفاتحه**﴾ معناه أو بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح هنا الخزائن لقوله وعنده مفاتح الغيب وقيل هي التي يفتح الغيب بها عن ابن عباس قال عنى بذلك وكيل الرجل وقَيِّمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثِمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته وقبل إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس يطعم الشيء اليسير عن عكرمة وقيل هو الرجل يولي طعام غيره يقوم عليه فلا بأس ان يأكل منه عن السدي ﴿**أو صديقكم**﴾ رفع الحرج عن الأكل من بيت صديقه بغير إذن إذا كان عالماً بأنه تطيب نفسه بذلك والصديق هو الذي صدقك عن مودّته وقيل هو الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك ولفظ الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع قال جرير :

دَعَوْنَ الْهَوىٰ ثَمَّ أرْتَمَيْنَ قُلُوبَنا بِأَسْهُمِ أَعْداءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

وقال الحسن وقتادة يجوز دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استئذان في الاكل وقال أبو عبد الله (ع) لهو والله الرجل يأتي بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه وروي ان صديقاً للربيع بن خثيم دخل منزله واكل من طعامه فلما عاد الربيع إلى المنزل اخبرته جاريته بذلك فقال إن كنت صادقة فأنت حرة ﴿**ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً او اشتاتاً**﴾ أي مجتمعين أو متفرقين وذكر في تأويله وجوه (احدها) ان حياً من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده فإنما لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما كانت معه الإبل الحُفَّل[1] فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله سبحانه ان الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه عن قتادة والضحاك وابن جريج (وثانيها) ان معناه لا بأس بأن يأكل الغني مع الفقير في بيته فإن الغني كان يدخل على الفقير من ذوي قرابته أو صداقته فيدعوه إلى طعامه فيتحرج عن ابن عباس (وثالثها) انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا ان يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الانفراد وعلى الاجتماع عن أبي صالح والأقوال متقاربة والأولى الحمل على العموم ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم**﴾ أي ليسلم بعضكم على بعض عن الحسن فيكون كقوله ان اقتلوا انفسكم وقيل معناه فسلّموا على أهليكم وعيالكم عن جابر وقتادة والزهري والضحاك وقيل معناه فإذا دخلتم بيوتاً يعني المساجد فسلّموا على من فيها

(١) التحفيل : ان لا تحلب الناقة اياماً ليجتمع اللبن في ضرعها. وحفل جمع حافل: الممتلئة الضروع.

عن ابن عباس والأولى حمله على العموم وقال إبراهيم إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابو عبد الله (ع) هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردّون عليه فهو سلامكم على انفسكم ﴿**تحية من عند الله**﴾ أي هذه تحية حاّكم الله بها عن ابن عباس وقيل معناه علّمها الله وشرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحاً ثم وصف التحية فقال ﴿**مباركة طيبة**﴾ أي إذا ألزمتموها كثر خيركم وطاب أجركم وقيل مؤبدة حسنة جميلة عن ابن عباس وقيل إنما قال مباركة لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله وسلّمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا والآخرة وقال طيبة لما فيها من طيب العيش بالتواصل وقيل لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم ﴿**كذلك**﴾ أي كما بيَّن لكم هذه الأحكام والآداب ﴿**يبيّن الله لكم الآيات**﴾ أي الأدلة على جميع ما يتعبدّكم به ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ أي لتعقلوا معالم دينكم .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

[ **اللغة** ] التسلل الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من

جملتهم والسلة السرقة في الخفية وكذلك الاسلال ومنه الحديث لا اغلال ولا اسلال واللواذ ان يستتر بشيء مخافة من يراه وقيل اللواذ الاعتصام بالشيء بأن يدور معه حيث دار من قولهم لاذ به وقال الزجاج الملاوذة المخالفة هاهنا بدلالة قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ويقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم إلى ما انهيكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه . .

[ **الإعراب** ] لو اذا مصدر وضع موضع الحال والتقدير يتسللون منكم ملاوذين يخالفون عن امره أي يخالفون الله عن امره بمعنى يجاوزون امره. ويوم يرجعون يوم منصوب بالعطف على محذوف وهو ظرف زمان والتقدير ما أنتم تثبتون عليه الآن ويوم يرجعون اليه خرج من الخطاب إلى الغيبة .

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم ذكر المعاشرة مع الاقرباء والمسلمين بيَّن سبحانه في هذه الآية كيفية المعاشرة مع النبي ﷺ فقال **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾** أي ليس المؤمنون على الحقيقة إلا الذين صدقوا بتوحيد الله وعد له وأقرّوا بصدق رسوله **﴿وإذا كانوا معه﴾** أي مع رسوله **﴿على امر جامع﴾** وهو الذي يقتضي الإجماع عليه والتعاون فيه من حضور حرب أو مشورة في أمر أو صلاة جمعة أو ما أشبه ذلك **﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾** أي لم ينصرفوا عن الرسول أو عن ذلك الأمر إلا بعد ان يطلبوا الأذن منه في الانصراف **﴿إن الذين يستأذنونك﴾** يا محمد **﴿اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾** أي فهم الذين يصدقون بالله ورسوله على الحقيقة دون الذين ينصرفون بلا استئذان **﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾** أي متى ما استأذنك هؤلاء المؤمنون ان يذهبوا لبعض مهماتهم وحاجاتهم **﴿فأذن لمن شئت منهم﴾** خَيَّر سبحانه نبيَّه ﷺ بين أن يأذن وأن لا يأذن وهكذا حكم من قام مقامه من الأئمة **﴿واستغفر لهم الله﴾** أي واطلب المغفرة لهم من الله بخروجهم من جملة من معك واستغفار النبي ﷺ لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذي تقع معه المغفرة **﴿ان الله غفور﴾** للمؤمنين أي ساتر لذنوبهم **﴿رحيم﴾** بهم أي منعم عليهم ثم امر سبحانه جميع المكلفين فقال **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾** اختلف في تأويله على وجوه (احدها) انه سبحانه علّمهم تفخيم النبي ﷺ في المخاطبة واعلمهم فضله فيه على سائر البرية والمعنى لا تقولوا له عند دعائه يا محمد أو يا ابن عبد الله ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت عن ابن عباس ومجاهد وقتادة (وثانيها) انه نهى عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا دعاءه عليكم إذا اسخطتموه فإن دعاءه موجب مجاب بغير شك

وليس كدعاء غيره عن ابن عباس في رواية أخرى (وثالثها) ان المعنى ليس الذي يأمركم به الرسول ويدعوكم اليه كما يدعو بعضكم بعضاً لأن في القعود عن امره قعوداً عن امر الله تعالى عن أبي مسلم ﴿**قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا**﴾ قال ابن عباس هو ان يلوذ بغيره فيهرب وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان وفيه معنى التهديد بالمجازاة وقال مجاهد كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه وقيل معناه يستترون ويستخفون تقية والتجاء ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن امره**﴾ حذرهم سبحانه عن مخالفة نبيه صلى الله عليه وآله أي فليحذر الذين يعرضون عن امر الله تعالى وإنما دخلت عن لهذا المعنى وقيل عن أمر النبي ﷺ ﴿**ان تصيبهم فتنة**﴾ أي بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق وقيل عقوبة في الدنيا ﴿**أو يصيبهم عذاب اليم**﴾ في الآخرة وفي هذا دلالة على ان أوامر النبي ﷺ على الإيجاب لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال ﴿**ألا ان لله ما في السماوات والأرض**﴾ اي له التصرف في جميع ذلك ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه ولا مخالفة امره فليس للعبد ان يخالف امر مالكه ﴿**قد يعلم ما انتم عليه**﴾ من الخيرات والمعاصي ومن الإيمان والنفاق لا يخفى عليه شيء من احوالكم ﴿**ويوم يرجعون اليه**﴾ يعني يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو ﴿**فينبّئهم بما عملوا**﴾ من الخير والشر والطاعات والمعاصي ﴿**والله بكل شيء**﴾ من اعمالهم وغيرها ﴿**عليم**﴾ معناه يردّون اليه للجزاء فيجازي كُلًا على قدر عمله من الثواب والعقاب .

# (٢٥) سورة الفرقان مكية وآياتها سبع وسبعون

مكية كلها عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر** ﴾ إلى قوله ﴿ **غفوراً رحيماً** ﴾ .

[ **عدد آيها** ] وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب وروى اسحاق بن عمار عن أبي الحسن الرضا ( ع ) قال ابن عمار لا تدع قراءة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها في كل ليلة لم يعذبه الله ابداً ولم يحاسبه وكان منزلته في الفردوس الأعلى .

[ **تفسيرها** ] اتصلت هذه السورة بسورة النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السورة تضمن ﴿ **إن لله ما في السماوات والأرض** ﴾ وإنه بكل شيء عليم ومفتتح هذه السورة ان ﴿ **له ملك السماوات والأرض** ﴾ سبحانه من قدير حكيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (١)
الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا (٢) واتخذوا

مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ
ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ
هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ
لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن
ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة غير عاصم نأكل منها بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر ويَجْعَلُ لك بالرفع والباقون بالجزم.

[ **الحجة** ] من قرأ يأكل منها بالياء فإنه يعني به النبي ﷺ ومن قرأ نأكل منها فكأنه اراد انه تكون له المزية علينا في الفضل بأكلنا من جنته ومن قرأ ويجعل لك بالجزم عطف على موضع جعل لأنه جزاء الشرط قال الشاعر.

أَنّي سَلَكْتَ فَإِنَّني لَكَ كاشِحٌ ... وَعَلى انْتِقاصِكَ في الحَياةِ وَأَزْدَدِ[1]

(١) الكاشح: العدو الذي يضمر العداوة.

ومن رفع قطعه مما قبله واستأنف :

[ **الاعراب** ] قال الزجاج التقدير جاءوا بظلم وزور فلما سقطت الباء افضى الفعل فنصب الفعل واقول انه يجوز جاءوا ظلماً بمعنى اتوا ظلماً قال طرفة .

عَلىٰ غَيْرِ ذَنْبٍ جِئْتُهُ غَيْرَ أَنَّني نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ[1]

فمعنى جئته فعلته . اكتتبها جملة في موضع نصب على الحال من اساطير الاولين وقد مضمرة وأساطير خبر مبتدأ محذوف ويأكل الطعام حال والعامل فيه ما تعلق به اللام في قوله ما لهذا الرسول فيكون منصوباً بإضماران . كيف ضربوا كيف في محل النصب على المصدر والتقدير ضرب اي ضربوا لك الامثال ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من الواو في ضربوا التقدير انظر أمنكرين ضربوا لك الأمثال ام لا . ان شاء جعل لك خيراً من ذلك الشرط والجزاء صلة الذي وجنات بدل من قوله خيراً .

[ **المعنى** ] ﴿**تبارك**﴾ تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته وكثرت عن ابن عباس والبركة والكثرة من الخير وقيل معناه تقدَّس وجلَّ بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره واصله من بروك الطير فكأنه قال ثبت ودام فيما لم يزل ولا يزال عن جماعة من المفسرين وقيل معناه قام بكل بركة وجاء بكل بركة ﴿**الذي نزل الفرقان**﴾ أي القرآن الذي يفرّق بين الحق والباطل والثواب والخطأ في امور الدين بما فيه من الحثّ على افعال الخير والزجر عن القبائح والشر ﴿**على عبده**﴾ محمد ﷺ ﴿**ليكون**﴾ محمد ﷺ بالقرآن ﴿**للعالمين**﴾ أي لجميع المكلفين من الانس والجن ﴿**نذيراً**﴾ أي مخوّفاً بالعقاب وداعياً لهم إلى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال ﴿**الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً**﴾ كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون ﴿**ولم يكن له شريك في الملك**﴾ يشاركه فيما خلق ويمنعه عن مراده ﴿**وخلق كل شيء**﴾ مما يطلق عليه اسم المخلوق ﴿**فقدَّره تقديراً**﴾ على ما اقتضته الحكمة والتقدير تبيين مقادير الاشياء للعباد فيكون معناه قدر الاشياء بأن كتبها في الكتاب الذي كتبه الملائكة لطفا لهم وقيل خلق كل شيء فقدَّر طوله وعرضه ولونه وسائر صفاته ومدة بقائه عن الحسن ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال ﴿**واتخذوا من دونه**﴾ أي من دون الله ﴿**آلهة**﴾ من الاصنام والاوثان وجهوا عبادتهم إليها ثم وصف آلهتهم بما ينبيء انها لا تستحق العبادة فقال ﴿**لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون**﴾ أي وهي مخلوقة

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة ومعبد هذا اخوه . والحمولة : الابل التي تطيق ان يحمل عليها ولهذا البيت قصة طويلة مذكورة في هامش المعلقات العشر . ورواية الزوزني وغيره هكذا .

مصنوعة **﴿ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً﴾** فيدفعونه عن انفسهم **﴿ولا نفعاً﴾** فيجرّونه إلى انفسهم أي لا يقدرون على دفع ضرٍ ولا على على جرٍّ نفع **﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾** أي لا يستطيعون اماتة ولا احياء **﴿ولا نشوراً﴾** ولا اعادة بعد الموت يقال انشره الله فنشر فإن جميع ذلك يختصُّ الله تعالى بالقدرة عليه والمعنى فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله ثم اخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال **﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه﴾** أي ما هذا القرآن إلا كذب افتراه محمد ﷺ واختلفه من تلقاء نفسه **﴿واعانه عليه قوم آخرون﴾** قالوا اعان محمداً ﷺ على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من اهل الكتاب وقيل انهم قالوا اعانة قوم اليهود عن مجاهد **﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾** أي فقد قالوا شركاً وكذباً حين زعموا أنَّ القرآن ليس من الله ومتى قيل كيف اكتفى بهذا القدر في جوابهم قلنا انه لمّا تقدَّم التحدّي وعجزهم عن الاتيان بمثله اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك **﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾** معناه وقالوا ايضاً هذه احاديث المتقدمين وما سطروه في كتبهم انتسخها وقيل استكتبها **﴿فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾** أي تملى عليه طرفي نهاره حتى يحفظها وينسخها والأصيل العشي لأنه اصل الليل وأوله وفي هذا بيان مناقضتهم وكذبهم لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره وقالوا أنه كتب وقد علموا انه كان لا يحسن الكتابة فكيف كتب ولم يستكتب ثم قال سبحانه **﴿قل﴾** يا محمد لهم تكذيباً لقولهم **﴿أنزله﴾** أي انزل القرآن **﴿الذي يعلم السر﴾** أي الخفيات **﴿في السماوات والأرض﴾** على ما اقتضاه علمه ببواطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس والصدور **﴿انه كان غفوراً رحيماً﴾** حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل انعم عليهم بإرسال الرسول اليهم لتأكيد الحجة وقطع المعذرة **﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾** كما نأكل **﴿ويمشي في الأسواق﴾** في طلب المعاش كما نمشي **﴿لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً﴾** أي هلا انزل اليه ملك فيكون معيناً له على الإنذار والتخويف وهذا أيضاً من مقالاتهم الفاسدة لأن الملك لو كان معيناً له على الرسالة ومخوفاً من ترك قبولها ولو فعل تعالى ذلك لأدّى ذلك الى استصغار كل واحد منهما من حيث انه لم يقم بنفسه في اداء الرسالة ولأن الجنس إلى الجنس اميل وبه آنس **﴿أو يلقى اليه كنز﴾** يستغني به عن طلب المعاش قال ابن عباس أو ينزل اليه مال من السماء **﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾** أي بستان يأكل من ثمارها ومن قرأ بالنون فالمعنى نأكل نحن معه ونتبعه **﴿وقال الظالمون﴾** أي المشركون للمؤمنين **﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾** أي ما تتبعون إلا رجلاً مخدوعاً مغلوباً على عقله وقد سبق تفسير

المسحور في بني إسرائيل ﴿أنظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي الأشباه لأنهم قالوا تارة هو مسحور وتارة هو محتاج متروك حتى تمنّوا له الكنز وتارة انه ناقص عن القيام بالأمور ﴿فضلّوا﴾ بهذا عن الهدى وعن وجه الصواب وطريق الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ لإلزامك الحجة من الوجوه المذكورة وقيل معناه لا يستطيعون سبيلاً إلى ابطال امرك وقيل معناه لا يستطيعون سبيلاً إلى الحق مع ردّهم الدلائل والحجج واتباعهم التقليد والإلف والعادة ﴿تبارك﴾ أي تقدّس ﴿الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي اقترحوه من الكنز والبستان ثم فسرَّ الذي هو خير مما اقترحوه فقال ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ليكون ابلغ في الزهو واسرع في نضج الثمار ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ أي وسيجعل لك قصوراً في كل بستان قصراً والقصور البيوت المبنية المشيدة المطولة عن مجاهد وأراد في الآخرة أي سيعطيك الله في الآخرة اكثر مما قالوا وقيل أراد به في الدنيا لأن جبرائيل (ع) عرض عليه ذلك كله فاختار الزهد في الدنيا .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم
مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا
ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا
وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ
خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ
ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن
دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ
وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ

صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص ويعقوب ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن عامر فنقول بالنون والباقون بالياء وقرأ أبو جعفر وزيد عن يعقوب ان نُتَّخَذ بضم النون وفتح الخاء وهو قراءة زيد بن ثابت وابي الدرداء وروى عن جعفر بن محمد (ع) وزيد بن علي والباقون نَتَّخِذ بفتح النون وكسر الخاء وروي بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم يقولون بالياء والقراءة المشهورة بالتاء وقرأ حفص فما تستطيعون بالتاء والباقون بالياء وروي عن علي (ع) ويُمَشَّون في الأسواق بضم الياء وفتح الشين المشددة.

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ يحشرهم بالياء قوله كان على ربك وعداً مسئولاً ويوم يحشرهم ربك ومن قرأ نحشرهم بالنون فيقول بالياء فعلى انه افرد بعد ان جمع كما افرد بعد الجمع في قوله وآتينا موسى الكتاب الى قوله الا تتخذوا من دوني وكيلاً وقراءة ابن عامر ويوم نحشرهم فنقول حسن لاجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع قال ابن جني من قرأ أن نتخذ بضم النون فإن قوله من اولياء في موضع الحال أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك اولياء ودخلت من زائدة لمكان النفي تقول اتخذت زيداً وكيلاً فإن نفيت قلت ما اتخذت زيداً من وكيل وكذلك اعطيته درهماً وما أعطيته من درهم وهذا في المفعول به وأما قراءة الجماعة ان نتَّخِذَ من دونك من اولياء فإن قوله من أولياء في موضع المفعول اي اولياء فهو كقولك ضربت رجلاً فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل والمعنى في قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ لسنا ندَّعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا والمعنى في قوله فقد كذَّبوكم بما تقولون بالتاء كذبوكم في قولكم أنهم شركاء وأنهم آلهة وذلك في قولهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ومن قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى فقد كذَّبوكم أي ما كنتم تعبدون بقولهم وقولهم هو نحو ما قالوه في قوله وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وقوله فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون وقوله فما يستطيعون بالياء معناه فما يستطيع الشركاء صرفاً ولا نصراً لكم ومن قرأ بالتاء فمعناه فما تستطيعون انتم ايها المتخذون للشركاء من دونه صرفاً

ولا نصراً ومن قرأ يُمَشُّون فمعناه يدعون إلى المشي ويحملهم حامل على المشي وجاء على فَعَّل لتكثير فعلهم لأنهم جماعة .

[ **اللغة** ] السعير النار الملتهبة مأخوذة من أسعار النار وهو شدة إيقادها أسعرتها إسعاراً وسعَّرها الله تسعيراً والتغيظ الهيجان والغليان ومنه قيل لشدة الغضب الغيظ ومقرنين مأخوذ من القرن وهو الحبل يشدّ فيه بعيران أو أبعرة ثم يستعمل في كل مجتمعين والثبور الهلاك وثبر الرجل فهو مثبور أهلك قال ابن الزبعري :

إذَ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

ويقال ما خبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه فكان المثبور ممنوع من كل خير حتى هلك والبور الهلكى وهو جمع الباير وقيل هو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث قال ابن الزبعري :

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إذْ أنَا بُورُ

وأصل الباب من بارت السلعة تبور إذا كسدت فلا تشترى فكأنها بقيت وفسدت .

[ **الإعراب** ] مكاناً ظرف لألقى . مقرنين نصب على الحال . ثبوراً مصدر فعل محذوف تقديره ثبر ثبوراً . ودعوا هنا بمعنى قالوا وهنالك يحتمل أن يكون ظرف زمان وأن يكون ظرف مكان أي دعوا في ذلك اليوم أو في ذلك المكان . كانت لهم جزاء ومصيراً في موضع نصب على الحال من وعد وقد مضمرة وذو الحال الضمير المحذوف العائد من الصلة إلى الموصول . لهم فيها ما يشاؤن جملة أخرى في موضع الحال من قوله ﴿ **المتقون وما أرسلنا قبلك من المرسلين** ﴾ مفعول أرسلنا محذوف تقديره وما أرسلنا قبلك رسلاً ويدل عليه قوله ﴿ **من المرسلين** ﴾ إلا أنهم ليأكلون الطعام إن مع اسمه وخبره مستثنى عن الرسل المحذوفة تقديره وما أرسلنا قبلك رسلاً إلا هم يأكلون الطعام وهذا كما يقال ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرّم لي وليست كسرة أن لأجل اللام فإن دخولها وخروجها واحد في هذا الموضع وقيل ما في الآية كقول الشاعر :

مَا أعْطَيَانِي وَلاَ سَألْتُهُمَا إلاّ وَإنّي لَحَاجِزٌ كَرَمِي

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه سوء اعتقادهم وما أعدَّه لهم على قبيح فعالهم ومقالهم فقال ﴿ **بل كذَّبوا بالساعة** ﴾ أي ما كذَّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق بل لأنهم لم

يقرّوا بالبعث والنشور والثواب والعقاب ﴿ **واعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً** ﴾ أي ناراً تتلظى ثم وصف ذلك السعير فقال ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد** ﴾ أي من مسيرة مائة عام عن السدي والكلبي وقال أبو عبد الله (ع) من مسيرة سنة ونسب الرؤية إلى النار وإنما يرونها هم لأن ذلك أبلغ كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظاً وذلك قوله ﴿ **سمعوا لها تغيظاً وزفيراً** ﴾ وتغيظها تقطعها عند شدة إضطرابها وزفيرها صوتها عند شدة التهابها كإلتهاب الرجل المغتاظ والتغيظ لا يسمع وإنما يعلم بدلالة الحال عليه وقيل معناه سمعوا لها صوت تغيظ وغليان قال عبيد بن عميران جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا خرَّ لوجهه وقيل التغيظ للنار والزفير لأهلها كأنه يقول رأوا للنار تغيظاً وسمعوا لأهلها زفيراً ﴿ **وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً** ﴾ معناه وإذا ألقوا من النار في مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح عن أكثر المفسرين وفي الحديث قال (ع) في هذه الآية والذي نفسي بيده أنهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط ﴿ **مقرنين** ﴾ أي مصفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الإغلال وقيل قرنوا مع الشياطين في السلاسل والأغلال عن الجبائي ﴿ **دعوا هنالك ثبوراً** ﴾ أي دعوا بالويل والهلاك على أنفسهم كما يقول القائل واثبورا أي واهلاكاه وقيل وانصرافاه عن طاعة الله فتجيبهم الملائكة ﴿ **لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً** ﴾ أي لا تدعوا ويلاً واحداً ويلاً كثيراً أي لا ينفعكم هذا وإن كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم أكبر من أن تدعوا مرة واحدة ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ذلك** ﴾ يعني ما ذكره من السعير ﴿ **خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت** ﴾ تلك الجنة ﴿ **لهم جزاء** ﴾ على أعمالهم ﴿ **ومصيراً** ﴾ أي مرجعاً ومستقراً ﴿ **لهم فيها ما يشاؤون** ﴾ ويشتهون من المنافع واللذات ﴿ **خالدين** ﴾ مؤبّدين لا يفنون فيها ﴿ **كان على ربك وعداً مسؤولاً** ﴾ قال ابن عباس معناه أن الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى وقيل معناه أن الملائكة سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا إلى مسألتهم وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم عن محمد بن كعب وقيل أنهم سألوا الله تعالى في الدنيا الجنة بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأتاهم ما طلبوا ﴿ **ويوم نحشرهم** ﴾ أي نجمعهم ﴿ **وما يعبدون من دون الله** ﴾ يعني عيسى وعزير والملائكة عن مجاهد وقيل يعني الأصنام عن عكرمة والضحاك ﴿ **فيقول** ﴾ الله تعالى لهؤلاء المعبودين ﴿ **أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل** ﴾ أي طريق الجنة والنجاة ﴿ **قالوا** ﴾ يعني المعبودين من الملائكة والأنس أو الأصنام إذا أحياهم الله وأنطقهم ﴿ **سبحانك** ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك وعن أن يكون معبود سواك ﴿ **ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء** ﴾ أي ليس لنا أن نوالي أعداءك بل أنت وليّنا من

دونهم وقيل معناه ما كان يجوز لنا وللعابدين وما كان يحقُّ لنا أن نأمر أحداً بأن يعبدنا ولا يعبدك فإنا لو أمرناهم بذلك لكنّا واليناهم ونحن لا نوالي من يكفر بك ومن قرأ نتخذ فمعناه ما كان يحقُّ لنا أن نعبد ﴿ **ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر** ﴾ معناه ولكن طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم ومتعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه ﴿ **وكانوا قوماً بوراً** ﴾ أي هلكى فاسدين هذا تمام الحكاية عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين من عبدتهم ﴿ **فقد كذبوكم** ﴾ أي كذَّبكم المعبودون أيها المشركون ﴿ **بما تقولون** ﴾ أي بقولكم أنهم آلهة شركاء لله ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذَّبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا الآية ﴿ **فما يستطيعون صرفاً** ﴾ أي فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم ﴿ **ولا نصراً** ﴾ لكم بدفع العذاب عنكم ومن قرأ بالتاء فالمعنى فما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرف العذاب عن أنفسكم ولا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب ﴿ **ومن يظلم منكم** ﴾ نفسه بالشرك وارتكاب المعاصي ﴿ **نذقه** ﴾ في الآخرة ﴿ **عذاباً كبيراً** ﴾ أي شديداً عظيماً ثم رجع سبحانه إلى مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **وما أرسلنا قبلك** ﴾ يا محمد ﴿ **من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ قال الزجاج وهذا احتجاج عليهم في قوله ﴿ **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق** ﴾ أي فقل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعاً منهم ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة** ﴾ أي امتحاناً وابتلاء وهو إفتتان الفقير بالغني يقول لو شاء الله لجعلني مثله غنياً والأعمى بالبصير يقول لو شاء الله لجعلني مثله بصيراً وكذلك السقيم بالصحيح عن الحسن وقيل هو إبتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون إنظروا إلى هؤلاء الذين إتَّبعوا محمداً من موالينا ورذالنا فقال الله لهؤلاء الفقراء ﴿ **أتصبرون** ﴾ أيها الفقراء على الأذى والاستهزاء ﴿ **وكان ربك بصيراً** ﴾ إن صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل وقيل معناه أتصبرون أيها الفقراء على فقركم ولا تفعلون ما يؤدّي إلى مخالفتنا أتصبرون أيها الأغنياء فتشكرون ولا تفعلون ما يؤدّي إلى مخالفتنا ﴿ **وكان ربك بصيراً** ﴾ أي عليماً فيغني من أوجبت الحكمة إغناءه ويفقر من أوجبت الحكمة إفقاره وقيل بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع عن ابن جريج .

﴿ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً
مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾
وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ
يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ
يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ
سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى
عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾
وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو تشقق خفيفة الشين هاهنا وفي سورة قٓ والباقون تشّقق مشددة الشين وقرأ ابن كثير ننزل بنونين خفيفةً الملائكة بالنصب والباقون ونزل بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام والملائكة بالرفع .

[ **الحجة** ] تشقق أصله تتشقق فادغم التاء في الشين والتخفيف أكثر في الكلام لأن الحذف أخفّ عليهم من الإدغام ومن قرأ ونُنزّل الملائكة تنزيلاً فإنْ أنزل مثل نزل ومثله في التنزيل وتبتلّ إليه تبتيلاً فجاء المصدر على فعَّل قال الشاعر « وَقَدْ تَطَوَّيتُ انْطِوٰاءَ الخِضْبِ »[1] .

[ **اللغة** ] الرجاء ترقب الخير الذي يقوّي في النفس وقوعه ومثله الطمع والأمل واللقاء المصير إلى الشيء من غير حائل والعتو الخروج إلى أفحش الظلم وأصل الحَجْر الضيق

(١) قائله رؤبة وبعده « بين قتاد ردهة وشقب » والخصب : ضرب من الحيات . قيل ويجوز أن يكون أراد الوتر لأنه من معاني الخصب أيضاً .

وسميّ الحرام حَجْراً لضيقه بالنهي عنه قال المتلمس:

حَنَّتْ إِلَى النَخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حَجْرٌ حَرَامٌ أَلا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ[1]

ومنه حجر الكعبة لأنه لا يدخل عليه في الطواف وإنما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهي عنه والحجر العقل لما فيه من التضييق في القبيح والهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه وفلان كناية عن واحد بعينه من الناس لأنه معرفة وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العرب أنهم كنوا عن كل مذكر بفلان وعن كل مؤنثه بفلانة فإذا كنوا عن البهائم أدخلوا عليه الألف واللام فقالوا الفلان والفلانة .

[ **الإعراب** ] يوم يرون الملائكة العامل في يوم معنى قوله ﴿ **لا بشرى يومئذ للمجرمين** ﴾ فإنه يدل على يحزنون ويومئذ توكيد ليوم يرون ولا يجوز أن يكون يوم يرون منصوباً بلا بشرى لأن ما يتصل بلا لم يعمل فيما قبلها وحجراً منصوب لأنه مفعول ثاني لفعل مقدر وهو جعل الله عليكم الجنة حجراً محجوراً . أصحاب الجنة يومئذ خير العامل في يومئذ خير . ويوم تشقق العامل فيه محذوف تقديره واذكر يوم تشقق . الملك يومئذ الحق للرحمن يومئذ من صلة الملك الذي هو المصدر والحق صفة له والجار والمجرور الذي هو للرحمن في موضع خبر المبتدأ الذي هو الملك ويجوز أن يكون يومئذ ظرفاً وهو بدل من يوم تشقق ويكون العامل فيهما الظرف الذي هو قوله للرحمن وأن تقدما عليه . ويوم يعض يجوز أن يكون العامل فيه اذكر ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله . ويقول جملة في موضع الحال . ياليتني المنادى محذوف وتقديره يا صاحبي ليتني . ويا ويلتا منادى مضاف أصله يا ويلتي تعالي فإنه وقتك فابدل من الكسرة فتحة ومن الياء الفا لثقل الكسرة والياء وخفة الفتحة والألف .

[ **النزول** ] قال ابن عباس نزل قوله ﴿ **ويوم يعض الظالم** ﴾ في عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف وكانا متخالين وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعا الناس

---

(١) فاعل حنت : النوق . والدهاريس بمعنى الدواهي . وهذا البيت من قصيدة له قالها بعدما هجا هو وطرفة عمرو بن هند ملك العراق فقتل طرفة بيد عامله ببحرين وهرب المتلمس إلى الشام وبلغه أن عمرو يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه وقصتهما طويلة ذكرها في الأغاني ٢١ : ١٢٧ ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ومجمع الأمثال ١ : ٣٥ وأمالي الشريف ١ : ١٨٣ . وغيرها .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وبلغ ذلك أبي بن خلف فقال صبات يا عقبة قال لا والله ما صبات ولكن دخل عليَّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبيٌّ ما كنت براض عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة وارتدَّ وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبراً(١) وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد بيده في المبارزة وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد بزاقه في وجهه فأحرق خدَّيْه وكان أثر ذلك فيه حتى مات وقيل نزلت في كل كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى وقال أبو عبد الله (ع) ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار تجري فيمن بعده إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً .

[ **المعنى** ] ثم حكى سبحانه عن حال الكفار بقوله ﴿ **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** ﴾ أي لا يأملون لقاء جزائنا وهذا عبارة عن إنكارهم البعث والمعاد وقيل معناه لا يخافون فهي لغة تهامة وهذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد لأن من رجا شيئاً خاف فوته فإنه إذا لم يخف كان يقيناً ومن خاف شيئاً رجا الخلاص منه فوضع أحدهما موضع الآخر ﴿ **لولا أنزل علينا الملائكة** ﴾ أي هلا أنزل الملائكة ليخبرونا بأن محمد نبيٌّ ﴿ **أو نرى ربنا** ﴾ فيخبرنا بذلك ويأمرنا باتباعه وتصديقه قال الجبائي وهذا يدل على أنهم كانوا مُجَسِّمة فلذلك جوّزوا الرؤية على الله ثم أقسم الله عزَّ اسمه فقال ﴿ **لقد استكبروا** ﴾ بهذا القول ﴿ **في أنفسهم** ﴾ أي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق ﴿ **وعتوا** ﴾ بذلك أي طغوا وعاندوا ﴿ **عتوا كبيراً** ﴾ أي طغياناً وعناداً عظيماً وتمرّدوا في ردّ أمر الله تعالى غاية التمرد ثم أعلم سبحانه أن الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وإن الله تعالى قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم فقال ﴿ **يوم يرون الملائكة** ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ **بشرى يومئذ للمجرمين** ﴾ أي لا بشارة لهم بالجنة والثواب قال الزجاج والمجرمون الذين أجرموا الذنوب وهم في هذا الموضع الذين إجترموا الكفر بالله عز وجل ﴿ **ويقولون حجراً محجوراً** ﴾ أي ويقول

(١) يقال للرجل إذا شدت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه قتل صبراً .

الملائكة لهم حراماً محرماً عليكم سماع البشرى عن قتادة والضحاك وقيل معناه ويقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجراً محجوراً دماؤنا عن مجاهد وابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل الذي يخاف منه القتل في الجاهلية في الأشهر الحرم فيقول حجراً أي حرام عليك حرمتي في هذا الشهر فلا يبدأه بشرٍّ فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظناً منهم أنه ينفعهم وقيل معناه يقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله عن عطا عن ابن عباس وقيل يقولون حجراً محجوراً عليكم أن تتعوذوا فلا معاذ لكم ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل** ﴾ أي قصدنا وعمدنا كما في قول الشاعر :

وَقَدِمَ الْخَوٰارِجَ الضُّلاّلُ إلىٰ عِبٰادِ رَبِّهِمْ فَقٰالُوا إنَّ دِمٰاءَكُمْ لَنٰا حَلاٰلٌ

وفي هذا بلاغة عجيبة لأن التقدير قصدنا إليه قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن رآه قبل فيغيّره وأراد به العمل الذي عمله الكفار في الدنيا مما رجوا به النفع والأجر وطلبوا به الثواب والبرّ نحو إنصافهم لمن يعاملهم ونصرهم للمظلوم وأعتاقهم وصدقاتهم وما كانوا يتقرّبون به إلى الأصنام ﴿ **فجعلناه هباء منثوراً** ﴾ وهو الغبار يدخل الكوة من شعاع الشمس عن الحسن ومجاهد وعكرمة وقيل هو رهج الدواب[1] عن ابن زيد وقيل هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب عن قتادة وسعيد بن جبير وقيل هو الماء المهراق عن ابن عباس والمنثور المتفرق وهذا مثل والمعنى تذهب أعمالهم باطلاً فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر سبحانه فضل أهل الجنة على أهل النار فقال ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ** ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ **خير مستقراً** ﴾ أي أفضل منزلاً في الجنة ﴿ **وأحسن مقيلاً** ﴾ أي موضع قائلة قال الأزهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتدَّ الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس وابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال البلخي معنى خير وأحسن هنا أنه خير في نفسه وحسن في نفسه لا بمعنى أنه أفعل من غيره كما في قوله وهو أهون عليه أي هو هيّن عليه وكما يقال الله أكبر لا بمعنى أنه أكبر من شيء غيره ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام** ﴾ عطف على قوله ﴿ يوم يرون ﴾ المعنى تتشقق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وثيابه عن أبي علي الفارسي وقيل تتشقق السماء

---

(١) الرهج : ما أثير من الغبار .

عن الغمام الأبيض عن الفراء وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكةوهو قوله﴿ **ونزّل الملائكة تنزيلاً** ﴾ وقال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ثم تتشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا من الانس والجن ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن** ﴾ أي الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر الملوك فيه وقيل إن الملك ثلاثة أضرب ملك عظمة وهو لله تعالى وحده وملك ديانة وهو بتمليك الله تعالى وملك جبرية وهو بالغلبة ﴿ **وكان يوماً على الكافرين عسيراً** ﴾ أعسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلّوها في دار الدنيا وفي هذا بشارة للمؤمنين حيث خصَّ بشدة ذلك اليوم الكافرين ﴿ **ويوم يعضّ الظالم على يديه** ﴾ ندماً وأسفاً وقيل هو عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام في كل ظالم نادم يوم القيامة وكل خليل يخالُّ غيره في غير ذات الله قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل ﴿ **يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً** ﴾ أي ليتني إتّبعت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وإتّخذت معه سبيلاً إلى الهدى ﴿ **يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً** ﴾ يعني أبيا ﴿ **خليلا** ﴾ وقيل أراد به الشيطان عن مجاهد وإن قلنا إن المراد بالظالم هنا جنس الظلمة فالمراد به كل خليل يضلُّ عن الدين ولو قال لما اتخذ فرعون وهامان وإبليس وجميع المضلين لطال فقال فلاناً حتى يتناول كل خليل مضلّ عن الدين ﴿ **لقد أضلني** ﴾ أي صرفني وردّني ﴿ **عن الذكر** ﴾ أي عن القرآن والإيمان به ﴿ **بعد إذ جاءني** ﴾ مع الرسول وتمَّ الكلام هنا ثم قال الله ﴿ **وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾ لأنه يتبرأ منه في الآخرة ويسلمه إلى الهلاك ولا يغني عنه شيئاً ﴿ **وقال الرسول** ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يشكو قومه ﴿ **يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** ﴾ يعني هجروا القرآن وهجروني وكذَّبوني عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكاً لا يسمعونه ولا يتفهمونه وقيل إن قوله وقال الرسول معناه ويقول كما في قول الشاعر :

مِثْلُ الْعَصَافِيرِ أَحْلاماً وَمَقْدُرَةً لَوْ يُوْزَنُونَ بِزِفّ الرِّيشِ ما وَزَنُوا[1]

أي ما يزنون .

---

(١) قائله قعنب بن أم صاحب . والزف : صغار الريش قاله في هجاء قوم وحقرهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾
فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ
تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ
لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ
أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ
نُشُورًا ﴿٤٠﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة مسلم بن محارب فَدَمِّرانِّهِمْ تدميراً على التأكيد بالنون الثقيلة وروي ذلك عن علي (ع) وعنه فَدَمِّراهُمْ وهذا كأنه أمر لموسى وهارون أن يدمّراهم .

[ اللغة ] العدو المتباعد عن النصرة للبغضة من عدا يعدو إذا باعد خطوه وعدا عليه باعد خطوه للايقاع به وتعدى في فعله إذا أبعد في الخروج عن الحق ومنه عدوتا الوادي

لأنهما بعداه ونهايتاه والترتيل التبيين في تثبيت وترسل وثغر رَتَل ورَتْل بفتح التاء وسكونها إذا كان مفلجاً لا لصص فيه[1] التدميـر الاهلاك لأمر عجيب ومنه التنكيل يقال دمَّر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه والرس البئر التي لم تطوَ بحجارة ولا غيرها والتتبير الاهلاك والاسم من التيار ومنه قيل التِبْر لِقطعِ الذهب .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج هادياً ونصيراً منصوب على وجهين (أحدهما) الحال أي كفى ربك في حال الهداية والنصـر (والآخر) ان يكـون منصوبـاً على التمييز أي كفى ربـك من الهداة والنصار. جملةً نصب على الحال معناه مجموعاً وأحسن مجرور بالعطف على الحق. على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره يحشرون مكبوبين وقـوم نوح منصـوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره أغرقنا قوم نوح والعامل في لما أغرقناهم وعاداً وثمود وما بعد ذلك عطف على الهاء والميم في قوله وجعلناهم ويجوز أن يكون عطفاً على معنى واعتدنا للظالمين عذاباً ويكون تقديره وعدنا للظالمين بالعذاب ووعدنا عـاداً وكلا منصـوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره. المعنى وأنذرنا كلا ضربنا له الأمثال وتبرنا كلا. مطر السوء منصوب لأنه مصدر أمطرت تقديره إمطار السوء .

[ **المعنى** ] ثم عزَّى الله سبحـانه نبيّـه بقولـه **﴿وكـذلـك جعلنـا لكـل نبي عـدواً من المجرمين﴾** أي وكما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدواً من كفار قومه عن ابن عباس والمعنى في جعله إياهم عدواً لأنبيائه أنه تعـالى أمـر الأنبياء (ع) أن يـدعـوهم إلـى الإيمـان بـالله تعـالى وتـرك ما ألفوه من دينهـم وديـن آبائهم وإلى ترك عبادة الأصنـام وذمهـا وكانت هذه أسبابـاً داعية إلى العداوة فإذا أمرهم بها فقد جعلهم عدواً لهم **﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾** أي حسبك بالله هادياً إلى الحق وناصراً لأوليائه في الدنيا والآخرة على أعدائهم وقيل هادياً للأنبياء إلى التحرز عن عداوة المجرمين بالاعتصام بحبله **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾** معناه وقال الكفـار لرسـول الله ﷺ هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور جملة واحدة قال الله تعالى **﴿كذلك﴾**أي نزَّلناه كذلك متفرّقاً **﴿لنثبت به فؤادك﴾** أي لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل حادثة وكل امر كان ذلـك أقوى لقلبـه وأزيـد في بصيـرتـه وقيـل إنمـا أنـزلـت الكتـب جمـلة واحـدة لأنهـا نـزلـت عـلى الأنبيـاء يـكتبـون ويقـرؤون فـنزلـت عـليهـم مكتـوبة والقـرآن إنمـا نُـزّل عـلى نبيّ أميّ

(١) المفلجة من الاسنان المنفرجة. واللصص تقارب الاسنان .

لا يكتب ولا يقرأ ولذلك نزل متفرقاً وأيضاً فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ما هو جواب لمن سأله عن أمور وفيه ما هو انكار لما كان وفيه ما هو حكاية شيء جرى فاقتضت الحكمة انزاله متفرقاً ﴿ورتَّلناه ترتيلاً﴾ أي بيَّناه تبييناً ورسّلناه ترسيلاً بعضه في أثر بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل فصَّلناه تفصيلاً عن السدي وقيل فرَّقناه تفريقاً عن النخعي وروي أن النبي ﷺ قال يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتّله ترتيلاً قال وما الترتيل قال بيّنه تبييناً ولا تنثره نثر الدقَل ولا تهذه هذَّ الشعر(١) قفوا عند عجائبه وحرّكوا به القلوب ولا يكونن همُّ احدكم آخر السورة ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي ولا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في ابطال امرك ومخاصمتك ﴿إلا جئناك بالحق﴾ الذي يبطله ويدحضه ﴿وأحسن تفسيراً﴾ أي وبأحسن تفسيراً مما أتوا به من المثل أي بياناً وكشفاً ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي يسحبون على وجوههم إلى النار وهم كفار مكة وذلك أنهم قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه هم شرُّ خلق الله فقال الله سبحانه ﴿أولئك شر مكاناً﴾ أي منزلاً ومصيراً ﴿وأضل سبيلاً﴾ أي ديناً وطريقاً من المؤمنين وروى انس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري في الصحيح ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء وأممهم تسلية للنبي فقال ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً يعينه على تبليغ الرسالة ويتحمل عنه بعض أثقاله ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذَّبوا بآياتنا﴾ يعني فرعون وقومه وفي الكلام حذف أي فذهبا اليهم فلم يقبلوا منهما وجحدوا نبوتهما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أي أهلكناهم اهلاكاً بأمر فيه اعجوبة ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾ أي وأغرقنا قوم نوح بالطوفان وهو مجيء السماء بماء منهمر وتفجير الأرض عيوناً حتى التقى الماء على أمر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيّاً فقد كذب بجميع الأنبياء ﴿وجعلناهم للناس آية﴾ أي عبرة وعظة ﴿واعتدنا﴾ أي وهيّأنا ﴿للظالمين عذاباً اليماً﴾ سوى ما حلَّ بهم في الدنيا ﴿وعاداً وثمود﴾ أي وأهلكنا عاداً وثمود ﴿وأصحاب الرس﴾ وهو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوة فيها عن عكرمة وقيل انهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذَّبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الأرض فهلكوا عن وهب وقيل الرس قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيَّهم فأهلكهم الله عن قتادة وقيل كان لهم نبي يسمى حنظلة فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير والكلبي وقيل هم أصحاب رس والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار فنسبوا إليها عن كعب ومقاتل وقيل

(١) الدقل: رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً والهذ سرعة القراءة .

اصحاب الرس كان نساؤهم سحاقات عن أبي عبد الله (ع) قروناً بين ذلك كثيراً أي وأهلكنا أيضاً قروناً كثيراً بين عاد وأصحاب الرس على تكذيبهم وقيل بين نوح وأصحاب الرس والقرن سبعون سنة وقيل أربعون سنة عن إبراهيم **﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾** أي وكلا بيّنا لهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا عن مقاتل وقيل معناه بيّنا لهم الأحكام في الدين والدنيا **﴿وكلا تبرّنا تتبيراً﴾** أي وكلا اهلكنا اهلاكاً على تكذيبهم وجحودهم قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته **﴿ولقد أتوا﴾** يعني كفار مكة **﴿على القرية التي امطرت مطر السوء﴾** يعني قرية قوم لوط امطروا بالحجارة **﴿أفلم يكونوا يرونها﴾** في أسفارهم إذا مرُّوا بها فيخافوا ويعتبروا **﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾** يعني بل رأوها وإنما لم يعتبروا بها لأنهم كانوا لا يخافون البعث وقيل لا يأملون ثواباً ولا يؤمنون بالنشأة الثانية فركبوا المعاصي .

۞ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ

صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ البرجمي نَسقيه بفتح النون والباقون نُسقيه بضم النون وفي الشواذ قراءة الأعرج من اتخذ الألاهة هواه وقراءة ابن السميفع الرياح بشرى .

[ **الحجة** ] قد مضى الفرق بين نسقي ونُسقى فيما تقدَّم[1] الألاهة الشمس وقيل أُلهة بالضم غير مصروفة وانشد

تَـرَوَّحْـنَـا مِـنَ الـلَّعْـبَـاءِ عَـصْـراً ةَأَعْـجَـلْـنَـا الْأَلَاهَـةَ أنْ تَـصُـبَـا[2]

ويروى وأعجلنا الالإهة ومن قرأ وألهتكَ فمعناه وعبادتك وقد يجوز أن يكون اراد هذه المعرفة فأضافها اليه لعبادته لها فيكون كقولك ويذرك وشمسك اي والشمس التي تعبدها ومن قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال اي مبشرة كقولهم هلم جرا أي جاراً أو منجراً ويأتينك سعياً وقد ذكرنا الاختلاف بين القراء فيه وما لهم من الاحتجاج في كل وجه منه في سورة الأعراف وذكرنا اختلافهم في ليذكروا في سورة بني إسرائيل .

[ **اللغة** ] القبض جمع الأجزاء المنبسطة واليسير السهل القريب واليسير أيضاً نقيض العسير وأيسر الرجل ملك من المال ما تتيسّر به الأمور عليه وقيل اليد اليسرى لأنه يتيسر بها العمل مع اليمنى وتياسر أخذ في جهة اليد اليسرى والسبات قطع العمل ومنه سَبَت رأسه يسبته سبتاً إذا حلقه ومنه يوم السبت وهو يوم قطع العمل والنشر خلاف الطيّ واناسي جمع انسان جعلت الياء عوضاً عن النون وقد قالوا ايضاً اناسين وقد يجوز أيضاً ان يكون جمع انسي فيكون مثل كرسي وكراسي .

[ **الإعراب** ] أهذا الذي بعث الله رسولاً العائد من الصلة إلى الموصول محذوف لطول الكلام أي بعثه الله رسولاً منصوب على الحال من الهاء المحذوفة وان كاد ليضلنا إنْ مخففة واسمه محذوف تقديره انه كاد وهو ضمير الأمر والشأن واللام في ليضلنا لام التأكيد التي تقع في خبر إن كيف مدَّ الظل كيف في محل النصب على الحال من الضمير المستكن في مَدَّ والتقدير امبدعاً مدَّ الظل ام لا ويجوز ان يكون في موضع المصدر والتقدير أي مد مد الظل وقال الزجاج الأجود أن يكون « ألم تر » من رؤية القلب ويجوز أن يكون من رؤية العين

---

(١) يعني في سورة النحل فراجع ج ٣ من هذه الطبعة .

(٢) قيل ان الشعر لمية بنت عتبة وهي ام البنين .

وبشراً نصب على الحال في الوجوه كلها من الرياح والعامل فيه ارسل. مما خلقنا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال .

[ **المعنى** ] ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم فقال **﴿وإذا رأوك﴾** أي وإذا شاهدوك يا محمد **﴿ان يتخذونك إلا هزواً﴾** أي ما يتخذونك إلا مهزواً به والمعنى أنهم يستهزؤون بك ويستصغرونك ويقولون على وجه السخرية **﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾** أي بعثه الله إلينا رسولاً **﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾** قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عبادة آلهتنا وتأويله قد قارب أن يأخذ بنا في غير جهة عبادة آلهتنا على وجه يؤدي إلى هلاكنا فإن الإضلال الأخذ بالشيء إلى طريق الهلاك **﴿لولا أن صبرنا عليها﴾** أي على عبادتها لأزلنا عن ذلك وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه فقال سبحانه متوعّداً لهم **﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾** الذي ينزل بهم في الآخرة عياناً **﴿من أضل سبيلاً﴾** أي من أخطأ طريقاً عن الهدى أهم أم المؤمنون ثم عجّب سبحانه نبيّه ﷺ من نهاية جهلهم فقال **﴿أرأيت من اتخذ إلٓهه هواه﴾** أي من جعل إلٓهه ما يهواه وهو غاية الجهل وكان الرجل من المشركين يعبد الحجر والصنم فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ يعبد الآخر عن سعيد بن جبير وقيل معناه أرأيت من ترك عبادة خالقه وإلٓهه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندك عن عطاء عن ابن عباس وقيل من اطاع هواه واتبعه فهو كالإلٓه له وترك الحق عن القتيبي **﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾** أي أفأنت كفيل حافظ يحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهواه من دون الله أي لست كذلك وقيل معناه أتقدر أنت يا محمد أن تهديه إذا لم يتدبَّر ولم يتفكر أي لا تقدر على ذلك لأن الوكيل هو الكافي للشيء ولا يكون كذلك إلا وهو قادر عليه ثم قال للنبي ﷺ **﴿أم تحسب﴾** يا محمد **﴿أن أكثرهم يسمعون﴾** ما تقوله سماع طالب للافهام **﴿أو يعقلون﴾** ما تقوله لهم وتقرأ عليهم وما يعاينونه من المعجزات والحجج أي لا تظن ذلك **﴿ان هم إلا كالأنعام﴾** أي ما هم إلا كالبهائم التي تسمع النداء ولا تعقل **﴿بل هم أضل سبيلاً﴾** من الأنعام لأنهم مكّنوا من المعرفة فلم يعرفوا والانعام لم يمكنوا منها ولأن الانعام الهمت منافعها ومضارها فهي لا تفعل ما يضرّها وهؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة وسعوا في هلاك أنفسهم وتجنَّبوا سبيل نجاتهم فهم أضلُّ منها ثم نبَّه سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته وكمال قدرته فقال **﴿ألم تر﴾** الخطاب للنبي ﷺ والمراد به سائر المكلفين **﴿إلى ربك كيف مد الظل﴾** أي ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل وقيل معناه ألم تعلم فيكون من رؤية القلب عن الزجاج وذكر أن هذا على القلب وتقديره ألم تر إلى الظل كيف مدّه ربك يعني الظل من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس عن ابن عباس والضحاك

وسعيد بن جبير وجعله ممدوداً لأنه لا شمس معه كما قيل في ظل الجنة ممدوداً إذا لم تكن معه الشمس وقال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لأنه ظل الأرض عن الجبائي والبلخي ﴿**ولو شاء لجعله ساكناً**﴾ أي مقيماً دائماً لا يزول ولا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به فهو مثل قوله سبحانه قل أرأيتم إن جعل الله عليكم سرمداً إلى يوم القيامة الآية في المعنى وفي هذا اشارة الى أنه قادر على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدوداً بخلاف ما يقوله الفلاسفة ﴿**ثم جعلنا الشمس عليه**﴾ أي على الظل ﴿**دليلاً**﴾ قال ابن عباس تدل الشمس على الظل بمعنى أنه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة وكل الأشياء تعرف بأضدادها وقيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً بإذهابها إياه عند مجيئها عن ابن زيد وقيل لأن الظل يتبع الشمس في طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل وإذا انحطت الشمس طال الظل وقيل ان على هنا بمعنى مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلاً على وحدانيتنا ﴿**ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً**﴾ أي قبضنا الظل بارتفاع الشمس لأن الشمس كلما تعلو ينقص الظل فجعل سبحانه ذلك قبضاً وأخبر أن ذلك يسير بمعنى أنه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبي إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضاً خفياً والمعنى ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى ننسخها شيئاً فشيئاً وقيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس الينا أي إلى الموضع الذي حكمنا بكون الظل فيه. قبضاً يسيراً أي خفياً وإنما قيل ذلك لأن الظل لا يذهب بغروب الشمس دفعة بل يذهب جزءاً فجزأ بحدوث الظلام فكلما حدث جزء من الظلام نقص جزء من الظل ﴿**وهو الذي جعل لكم الليل لباساً**﴾ أي غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابسه فالله سبحانه ألبسنا الليل وغشانا به لنسكن ونستريح من كدِّ الأعمال كما قال في موضع آخر لتسكنوا فيه ﴿**والنوم سباتاً**﴾ أي راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه ﴿**وجعل النهار نشوراً**﴾ لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من نشور البعث وقيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق لابتغاء الرزق عن ابن عباس ﴿**وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته**﴾ مضى الكلام فيه في سورة الأعراف ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهوراً**﴾ أي طاهراً في نفسه ومطهّراً لغيره مزيلاً للأحداث والنجاسات ﴿**لنحيي به بلدة ميتاً**﴾ قد مات بالجدب وأراد بالبلدة البلد أو المكان فلذلك قال ميتاً بالتذكير والمعنى لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت قال ابن عباس لنخرج به النبات والثمار ﴿**ونسقيه مما خلقنا أنعاماً**﴾ أي ولنسقي من ذلك

الماء انعاماً جمة أو نجعله سقياً لأنعام ﴿**وأناسي كثيراً**﴾ أي أناساً كثيرة ﴿**ولقد صرفناه**﴾ أي صرفنا المطر بينهم يدور في جهات الأرض وقيل قسمناه بينهم يعني المطر فلا يدوم على مكان فيهلك ولا ينقطع عن مكان فيهلك ويزيد لقوم وينقص لآخرين على حسب المصلحة ﴿**ليذكروا**﴾ أي ليتفكروا ويستدلّوا به على سعة مقدورنا ولأنه لا يستحق العبادة غيرنا ﴿**فأبى اكثر الناس إلا كفوراً**﴾ أي جحوداً لما عدَّدناه من النعم وانكاراً فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا عن عكرمة وقيل فأبوا إلا كفوراً بالبعث والنشور .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم
بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ
ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾
قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ
وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ
فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا
ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي لما يأمرنا بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ بالتاء قال انهم تلقوا امر النبي ﷺ إياهم بالرد وزادهم امره إياهم بالسجود نفوراً عما أمروا به ومن قرأ بالياء فالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود على وجه الانكار منهم لذلك ولا يكون أنسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له لأنهم أنكروا الرحمن تعالى بقولهم وما الرحمن وأقول اذا جعلت ما بمعنى الذي على ما ذكره فالتقدير أنسجد لما يأمرنا بالسجود له وترتيب الحذف فيه على الوجه الذي تقدَّم بيانه في قوله سبحانه فاصدع بما تؤمر فلا وجه لإعادته[1] وإن جعلت ما مصدرية فإنك لا تحتاج إلى حذف شيء ويكون تقديره أنسجد لأمرك أو لأمره .

[ **اللغة** ] أصل المرج الخلط ومنه أمر مريج أي مختلط وفي الحديث مرجت عهودهم أي اختلطت ومرجت الدابة وأمرجتها إذا خليتها ترعى وعذب الماء عذوبة فهو عذب والفرات اعذب المياه يقال فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات إذا عذب والملح الاجاج الشديد الملوحة والنسب ما يرجع الى ولادة قريبة والصهر خلطة تشبه النسب القرابة والمصاهرة في النكاح المقاربة وفي الحديث كان يؤسّس مسجد قبا فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه أي يدنيه يقال صهره وأصهره .

[ **الإعراب** ] هذا عذب فرات مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال وكذلك قوله وهذا ملح اجاج بالعطف عليه وذو الحال احد البحرين مبشراً ونذيراً نصب على الحال من شاء نصب على الاستثناء والمستثنى منه الكاف والميم في أسألكم وان يتخذ في موضع نصب بأنه مفعول شاء الذي خلق السماوات والأرض في موضع جرّ تقديره وتوكّل على الحي الذي لا يموت خالق السماوات والأرض ويحتمل أن يكون في موضع نصب او رفع على المدح والثناء على تقدير أعني الذي خلق أو هو الذي خلق والرحمن بالرفع القراءة وورد عن بعضهم في الشواذ بالجر ففي الرفع وجوه (أحدها) الابتداء وخبره فاسأل به عن الزجاج وفيه نظر لأن الفاء إنما يجوز في خبر ما فيه الألف واللام إذا جاز فيه معنى الشرط ولا يصحّ ذلك هنا ( والثاني) ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن ( والثالث) ان يكون بدلاً من الضمير المستكن في استوى (والرابع) أن يكون فاعل استوى واما الجر فعلى ان يكون صفة وتقديره وتوكل على الحي الخالق الرحمن ونفوراً مفعول ثان لزاد .

---

(١) راجع المجلد الثالث

[ المعنى ] ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها رسولاً لعظيم منزلتك لدينا والنذير هو الداعي إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب وقيل انه اخبار عن قدرته سبحانه والمعنى لو شئنا لقسمنا بينهم النذر كما قسمنا الأمطار بينهم ولكنا نفعل ما هو الأصلح لهم والأعود عليهم في دينهم ودنياهم فبعثناك إليهم كافة ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يدعونك إليه من المداهنة والاجابة إلى ما يريدون ﴿وجاهدهم﴾ في الله ﴿به﴾ أي بالقرآن عن ابن عباس ﴿جهاداً كبيراً﴾ أي تاماً شديداً وفي هذا دلالة على أن من أجلّ الجهاد وأعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حلّ شبه المبطلين وأعداء الدين ويمكن أن يتأول عليه قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني احد البحرين ﴿عذب فرات﴾ أي طيب شديد الطيب ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة وقيل الفرات البارد والأجاج الحار وقيل الاجاج المُرّ عن قتادة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ أي حجاباً وحاجزاً من قدرة الله تعالى يمنعها من الاختلاط ﴿وحجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً أن يفسد الملح العذب ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ أي خلق من النطفة إنساناً وقيل أراد به آدم (ع) فإنه خلق من التراب الذي خلق من الماء وقيل أراد به أولاد آدم فإنهم المخلوقون من الماء ﴿فجعله نسباً وصهراً﴾ أي فجعله ذا نسب وصهر والصهر حرمة الختونة وقيل النسب الذي لا يحلّ نكاحه والصهر النسب الذي يحلّ نكاحه كبنات العم والخال عن الفراء وقيل النسب سبعة أصناف والصهر خمسة ذكرهم الله في قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ عن قتادة والضحاك وقد تقدَّم بيانه في سورة النساء وقيل النسب البنون والصهر البنات اللاتي يستفيد الإنسان بهن الاصهار فكأنه قال فجعل منه البنين والبنات وقال ابن سيرين نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب زوّج فاطمة (ع) علياً (ع) فهو ابنَ عمه وزوج ابنته فكان نسباً وصهراً ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي قادراً على ما أراد ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرُّهم﴾ من الأصنام والأوثان ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ الظهير العون والمعين أي معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي عن الحسن ومجاهد وقال الزجاج لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله فإن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل ظهيراً أي هيناً كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجته إذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت إليها واستهان بها والظهير بمعنى المظهور وهو المتروك المستخف به ومنه قوله ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ والأول أوجه وقالوا عنى بالكافر أبا جهل ﴿وما

**أرسلناك﴾** يا محمد **﴿إلا مبشراً﴾** بالجنة **﴿ونذيراً﴾** من النار وقد سبق معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار **﴿ما أسئلكم عليه﴾** أي على القرآن وتبليغ الوحي **﴿من أجر﴾** تعطونيه **﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾** بإنفاقه ما له في طاعة الله واتباع مرضاته والمعنى إني لا أسألكم لنفسي أجراً ولكني لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله سبحانه بل ارغب فيه وأحثُّ عليه وفي هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على تبليغ الرسالة أجراً لقالوا إنما يطلب اموالنا **﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾** أي فوِّض أمورك إليه فإنه ينتقم لك ولو بعد حين فإنه الحي الذي لا يموت فلن يفوته الانتقام **﴿وسبّح بحمده﴾** أي أحمده منزهاً له عما لا يجوز عليه في صفاته بأن تقول الحمد لله رب العالمين الحمد لله على نعمه وإحسانه الذي لا يقدر عليه غيره الحمد لله حمداً يكافيء نعمه في عظيم المنزلة وعلةّ المرتبة وما أشبه ذلك وقيل معناه وأعبده وصلّ له شكراً منك له على نعمه **﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾** أي عليماً فيحاسبهم ويجازيهم بها فحقيق بهم أن يخافوه ويراقبوه **﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما﴾** أي ما بين هذين الصنفين **﴿في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن﴾** قد سبق تفسيره في سورة الاعراف **﴿فسئل به خبيراً﴾** اختلف في تأويله فقيل ان المعنى فاسأل عنه خبيراً والباء بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى عن ابن جريج وأنشد في قيام الباء مقام عن قول علقمة بن عبدة

فَإنْ تَسْأَلُوني بِالنِّسَاءِ فَإنَّني ... خَبِيرٌ بِأَغْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ ... وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ(١)
إذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أوقَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي وِدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقول الأخطل

دَعِ المُعَمَّرَ لا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ ... وَاسْأَلْ بمَصْقَلَةَ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلا

وقيل ان الخبير هنا محمد ﷺ والمعنى ليسأل كل منكم عن الله تعالى محمداً فإنه الخبير العارف به قيل ان الباء على أصلها والمعنى فاسأل بسؤالك أيها الانسان خبيراً يخبرك بالحق في صفته ودلَّ قوله فاسأل على السؤال كما قالت العرب من كذب كان شراً له أي كان الكذب شراً له ودلَّ عليه كذب وقد مرَّ ذكر أمثاله وقيل ان الباء فيه مثل الباء في قولك لقيت بفلان ليثاً إذا وصفت شجاعته ولقيت به غيثاً إذا وصفت سماحته والمعنى أنك إذا رأيته رأيت

---

(١) الثراء كثرة المال. وشرح الشباب اوله .

الشيء المشبه به والمعنى فاسأله عنه فإنه لخبير به وروي أن اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه فاسأل به خبيراً قال نفطويه أي سلني عنه فإنك تسأل بسؤالك [1] خبيراً ﴿**وإذا قيل لهم**﴾ أي لهؤلاء المشركين ﴿**اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن**﴾ أي وأيّ شيء الرحمن والمعنى أنا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من أسماء الله عزَّ اسمه مذكور في الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله فقيل لهم انه من اسماء الله ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل ريان وعطشان في النهاية من الري والعطش وفرحان وجذلان إذا كان في النهاية من الفرح والجذل ﴿**أنسجد لما تأمرنا**﴾ مرَّ تفسيره ﴿**وزادهم نفوراً**﴾ أي زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان عن مقاتل والمعنى انهم ازدادوا عند ذلك نفوراً عن الحق وقبول قول النبي ﷺ .

[ **النظم** ] وجه اتصال الآية بما قبلها أن فيها اخبار انه سبحانه أفرده بالارسال مراعاة لحسن التدبير في تمييزه بالاكرام والإجلال لعلمه بما فيه من الخلال الموجبة في الحكمة إرساله إلى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله ولقد صرَّفناه بينهم ليذَّكروا ثم ذكر من التصريف للآيات بقوله وهو الذي مرج البحرين ما يدلُّ على وحدانيته وكمال قدرته ثم عجب سبحانه من اعراضهم عن الآيات مع وضوحها وظهورها ومقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله ويعبدون من دون الله الآية ثم بيَّن انه أراد بتصريف الآيات الخير والإحسان بقوله وما أرسلناك الآية ثم بيَّن انه لا يسألهم عليه أجراً لئلا ينفروا عنه ثم بيَّن سبحانه أنه كما لا يسألهم أجراً أنه يتوكل عليه في أمره ويفوّض إليه علم المصالح فيما كلّفه ثم هدَّد سبحانه عباده بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيراً فإنه إذا لم يذهب عليه ذنوبهم لا يذهب عليه جزاؤهم .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾
وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

(١) [ إياي ] .

ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ
يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سُرُجاً بضمتين من غير ألف والباقون سراجاً وقرأ حمزة وخلف أن يَذْكُرَ خفيفاً والباقون يَذَّكَّر بتشديدتين وقرأ أهل المدينة وابن عامر يقتروا بضم الياء وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء وضم التاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل يضعف له العذاب بالتشديد والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن عامر يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع وقرأ أبو بكر يضاعف بالألف والرفع ويخل بالرفع وقرأ نافع وأبو عمرو وأهل الكوفة إلا أبا بكر يضاعف بالألف والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن كثير وحفص فيهي مهاناً بإشباع كسرة الهاء وذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن ووافقه حفص في هذا الموضع فقط وقرأ يبدل الله بسكون الباء البرجمي عن أبي بكر مختلفاً عنه والباقون بالتشديد .

[ **الحجة** ] من قرأ سراجاً فحجته قوله وجعل فيها سراجاً ومن قرأ سرجاً فحجته قوله ﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾ فشبهت الكواكب بالمصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله الزجاجة كأنها كوكب دري وإنما المصباح الزجاجة في المعنى وقد سبق

القول في يذكر ويَذَّكَّرَ فيما مضى والإقتار خلاف الايسار قال الشاعر :

لَكُمْ مَسْجِدَ اللَّه المزوران والْحَصىٰ لَكُمْ قِبْصُهُ مِنْ بَيْنِ أَثْرىٰ وَأَقْتَرا(١)

تقديره من بين رجل أثرى ورجل اقترا فأقام الصفة مقام الموصوف ومثله في التنزيل ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أبو علي يجوز أن يكون على قبيل مردوا مثل قوله ومن آياته يريكم البرق واما قَتَر يَقْتِرُ ويَقْتُرُ فمثل عكف يعكفُ ويعكِف وعرش يعرُش ويعرِش فمن ضمَّ الياء أراد لم يُقْتِروا في انفاقهم لأن المسرف مشرف على الإقتار ومن فتح الياء فالمعنى لم يضيقوا في الانفاق ومن قرأ يضاعف بالجزم جعله بدلاً من الفعل الذي هو جزاء الشرط وهو قوله يلق اثاماً وذلك ان تضعيف العذاب هو لقي جزاء الاثام في المعنى ومثله قول الشاعر

إِنْ يَجْبُنُوا أو يغدروا أو يَبْخَلُوا لا يَحْفِلُوا يَغدو عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فغدوهم مرجلين في المعنى ترك الاحتفال وقد أبدل من الشرط كما أبدل من الجزاء وذلك في قول الشاعر

مَتىٰ تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيارِنَا تَجِدْ حَطباً جَزلاً ونَاراً تَأَجَّجَا(٢)

فأبدل تلمم من تأتنا لأن الإلمام اتيان في المعنى قال أبو علي ومثل حذف الجزاء الذي هو مضاف في المعنى في قوله يلق اثاماً اي جزاء اثام قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم المعنى من جزاء ما كسبوا وقال أبو عبيدة يلق أثاماً أي عقوبة وأنشد لمسافع الليثي

جَزى اللَّهُ ابنَ عرْوَةَ حَيْثُ أَمْسىٰ عَقُوقاً والْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

قال وابن عروة رجل من ليث كان دلَّ عليهم ملكاً من غسان فأغار عليهم قال أبو علي ويمكن ان يكون هذا من قول بشر :

---

(١) قائله الكميت. وأراد من قوله « مسجد الله » مسجد مكة ومسجد المدينة « والحصى » أراد به العدد العديد من الاهل والتبع. والقبص بمعنى العدد الكثير من الناس والضمير في قبصه يعود الى الحصى يقال ان بني فلان لفي قبص الحصى .

(٢) الشعر في جامع الشواهد .

فَكانَ مَقامُنَا نَدعو عَلَيْهِم بِأَسْفَلِ ذِي المَجازِ لَهُ أثامُ(١)

ومن رفع يضاعف ويخلد قطعه عما قبله واستأنف واما يضاعف ويضعف فهما في المعنى سواء وكذلك ويبدِّل ويبدل .

[ **اللغة** ] قال أبو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة النهار والنهار خلفة الليل لأن احدهما يخلف الآخر قال زهير

بِهَا الْعَيْنُ والآرامُ يَمْشينَ خِلْفَةً وأطلاؤها ينهضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ(٢)

والهون مصدر الهين في السكينة والوقار والغرام اشد العذاب وهو اللازم الملحّ ومنه الغريم لملازمته والحاحه وفلان مغرم بالنساء أي ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر بن أبي حازم

ويوْم النِّسارِ ويومُ الْجِفارِ كانا عَذاباً وَكانا غَراما(٣)

وقال آخر

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غَراماً وَإنْ يُعْطِ جَزيلاً فَإِنَّهُ لا يُبالي

[ **الإعراب** ] الذين يمشون خبر المبتدأ الذي هو عباد الرحمن ويجوز أن يكون خبره أولئك يجزون الغرفة ويكون الذين يمشون صفة العباد وهوناً في موضع الحال وسلاماً نصب على المصدر بفعل محذوف وتقديره فتسلم منكم سلاماً لا نجاهلكم كأنهم قالوا تسلما منكم . ومستقراً ومقاماً منصوبان على التمييز والمخصوص بالذم محذوف وتقديره ساءت مستقراً جهنم وكان بين ذلك قواماً أي كان الانفاق ذا قوام بين الاسراف والاقتار فقوله بين ذلك تبيين لقوام وان شئت علقته بنفس كان وان شئت علقته بخبر كان أي ثابتاً بين ذلك فيكون خبراً بعد خبر .

[ **المعنى** ] ثم مدح سبحانه نفسه بأن قال ﴿تبارك﴾ وقد مرّ معناه في أول السورة

---

(١) في اللسان « بابطع ذي المجاز» . وذو المجاز موضع سوق خلف العرفة بفرسخ كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام .

(٢) هذا بيت من معلقته الشهيرة يصف داراً . وبها العين اي البقر العين فحذف الموصوف . والعين جمع عيناء واسعة العين . والارام جمع ريم الظبي الأبيض والاطلاء جمع طلا ولد الظبية . والجثوم القعود .

(٣) النسار والجفار موضعان وقعت فيهما حروب للعرب .

**﴿الذي جعل في السماء بروجاً﴾** يريد منازل النجوم السبعة السيارة التي هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي اثنا عشر برجاً الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وقيل هي النجوم الكبار عن الحسن ومجاهد وقتادة وسميت بروجاً لظهورها **﴿وجعل فيها سراجاً﴾** يعني الشمس ومن قرأ سُرُجاً أراد الشمس والكواكب معها **﴿وقمراً منيراً﴾** أي مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس **﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾** أي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل وهو قوله لمن أراد أن يذكر عن عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع قال تقضي صلاة النهار بالليل وصلاة الليل بالنهار وقيل معناه انه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل احدهما اسود والآخر أبيض عن مجاهد **﴿لمن أراد أن يذكر﴾** أي يتفكر ويستدل بذلك على ان لهما مدبّراً ومصرّفاً لا يشبههما ولا يشبهانه فيوجّه العبادة اليه **﴿أو أراد شكوراً﴾** يقال شكر يشكر شكراً وشكوراً أي أراد شكر نعمة ربه عليه فيهما وعلى القول الأول فمعناه أو أراد النافلة بعد اداء الفريضة **﴿وعباد الرحمن﴾** يريد أفاضل عباده وهذه اضافة التخصيص والتشريف كما يقال ابني من يطيعني أي ابني الذي انا عنه راض ويكون توبيخاً لأولاده الذين لا يطيعونه **﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾** أي بالسكينة والوقار والطاعة غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين عن ابن عباس ومجاهد وقال أبو عبد الله (ع هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر وقيل معناه حلماء علماء لا يجهلون وان جهل عليهم عن الحسن وقيل اعفاء اتقياء عن الضحاك **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾** بما يكرهونه أو يثقل عليهم **﴿قالوا﴾** في جوابه **﴿سلاماً﴾** أي سداداً من القول لا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش عن مجاهد وقيل سلاماً أي قولاً يسلمون فيه من الاثم أو سلموا عليهم دليله قوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم وقال قتادة كانوا لا يجاهلون اهل الجهل وقال ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحون بين أطوافهم وهو قوله **﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾** قال الزجاج كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة ساجدين وقائمين طالبين لثواب ربهم فيكونون سُجّداً في مواضع السجود وقياماً في مواضع القيام **﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾** أي يدعون بهذا القول وغراماً أي لازماً مُلحّاً دائماً غير مفارق **﴿إنها ساءت**

مستقراً ومقاماً﴾ أي إن جهنم بئس موضع قرار واقامة هي ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ واختلف في معنى الاسراف فقيل هو النفقة في المعاصي والاقتار الامساك عن حق الله تعالى عن ابن عباس وقتادة وقيل السرف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار التقصير عما لا بد منه عن إبراهيم النخعي وروي عن معاذ انه قال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال من أعطى في غير حق فقد أسرف ومن منع عن حق فقد قتر وروي عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة انه قال ليس في المأكول والمشروب سرف وان كثر ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ أي وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار لا اسرافاً يدخلون به في حد التبذير ولا تضييقاً يصيرون به في حد المانع لما يجب وهذا هو المحمود والقوام من العيش ما أقامك وأغناك وقيل القوام بالفتح وهو العدل والاستقامة وبالكسر ما يقوم به الأمر ويستقر عن تغلب وقال أبو عبد الله (ع) القوام هو الوسط وقال (ع) أربعة لا يستجاب لهم دعوة رجل فاتح فاه جالس في بيته فيقول يا رب ارزقني فيقول له ألم آمرك بالطلب ورجل كانت له امرأة يدعو عليها يقول يا رب أرحني منها فيقول ألم أجعل أمرها بيدك ورجل كان له مال فأفسده فيقول يا رب ارزقني فيقول ألم آمرك بالاقتصاد ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة فيقول ألم آمرك بالشهادة ﴿والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر﴾ أي لا يجعلون لله سبحانه شريكاً بل يوجّهون عبادتهم اليه وحده ﴿ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله﴾ أي حرَّم الله قتلها ﴿إلا بالحق﴾ والنفس المحرم قتلها نفس المسلم والمعاهد والمستثناة قتلها نفس الحربي ومن يجب قتلها على وجه القود والارتداد أو للزناء بعد الإحصان وللسعي في الأرض بالفساد ﴿ولا يزنون﴾ والزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج وفي هذا دلالة على أن اعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بالإسناد عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أعظم قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت ثم أيُّ قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال قلت ثم أيُّ قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر الآية ﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل هذه الخصال جميعاً ﴿يلق أثاماً﴾ أي عقوبة وجزاء لما فعل قال الفراء اثمه الله يأثمه إثماً واثاماً أي جزاه جزاء الإثم وقال الشاعر

وَهَلْ يأثمني اللّهُ في أنْ ذَكَرْتُها ... وَعَلَّلْتُ أَصْحابِي بِها لَيْلَةَ النَّفْرِ[1]

---

(١) قائله صعيب بن الاسود. يعني هل يجزيني الله جزاء اثمي بأن ذكرت هذه المرأة في غنائي وليلة النفر ليلة الخروج من منى الى مكة.

وقيل ان اثاماً اسم واد في جهنم عن عبد الله بن عمر وقتادة ومجاهد وعكرمة ثم فسَّر سبحانه لقي الآثام بقوله **﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾** يريد سبحانه مضاعفة اجزاء العذاب لا مضاعفة الاستحقاق لأنه تعالى لا يجوز ان يعاقب بأكثر من الاستحقاق لأن ذلك ظلم وهو منفي عنه وقيل معناه انه يستحق على كل معصية منها عقوبة فيضاعف عليه العقاب وقيل المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن قتادة **﴿ويخلد فيه مهاناً﴾** أي ويدوم في العذاب مستحقاً به وإنما قال ذلك لأنه عزَّ اسمه قد يوصل الآلام إلى بعض المكلفين لا على وجه الاستخفاف والاهانة فبيَّن أنه يوصل العقاب إليهم على وجه الاهانة ثم استثنى من جملتهم التائب بقوله **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾** قال قتادة إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه قال والتبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر وقيل يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام بالشرك إيماناً وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصاناً عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل ان معناه أن يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة عن سعيد بن المسيب ومكحول وعمرو بن ميمون واحتجّوا بالحديث الذي رواه مسلم في الصحيح مرفوعاً إلى أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحُّوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا كذا وهو مقرٌّ لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول أن لي ذنوباً ما أراها هاهنا قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه **﴿وكان الله غفوراً﴾** أي ساتراً لمعاصي عباده **﴿رحيماً﴾** أي منعماً عليهم بالرحمة والفضل .

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا

صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير حفص وذريتنا والباقون ذرياتنا على الجمع وقرأ يلقون بفتح الياء والتخفيف أهل الكوفة غير حفص والباقون يُلقّون بضم الياء والتشديد وفي قراءة اهل البيت (ع) واجعل لنا من المتقين اماماً والقراءة المشهورة واجعلنا للمتقين اماماً وفي قراءة ابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الذرية تكون واحدة وتكون جمعاً فمن قرأ وذريتنا على الافراد فإنه أراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعاً ومن جمع فكما يجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع نحو قوم وأقوام وجاء في الحديث صواحبات يوسف وحجة من قرأ ويُلَقّون قوله ولقّاهم نضرة وسروراً وحجة من خفف فسوف يلقون غياً ومن قرأ فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور الى الغيبة ألا ترى ان قبله قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم .

[ **اللغة** ] القُرَّة مصدر يقال قرَّت عينه قرة ويكون من القرور وهو برد العين عند السرور ويكون أيضاً من استقرارها عند السرور وقوله اماماً مصدر من أمّ فلان فلاناً اماماً كما قيل قام قياماً وصام صياماً ولذلك وحدَّه هنا من جمع اماماً فقال ائمة فَلأنه قد كثر في معنى الصفة وقيل انه إنما وحَّد لأنه جاء على الجواب كقول القائل من أميركم فيقول المجيب هؤلاء اميرنا قال الشاعر .

يَا عَاذلاتي لا تُردْنَ مَلاَمَتِي إنَّ الْعَوَاذِل لَسْنَ لي بِأَمِيرِ[1]

وقيل إنما وحّد لأن المعنى واجعل كل واحد منا اماماً فاجمل فالمعنى معنى التفصيل وقال الزجاج تأويل ما يعبؤ بكم أي وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان أي ما كان له عندي وزن ولا قدر وأصل العبء في اللغة الثقل وقيل اصله من تهيئة الشيء يقال عبئت الطيب اعبؤ عباً إذا هيأته قال الشاعر يصف أسداً

---

(١) الشعر في جامع الشواهد.

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وبِمَنْكَبَيْهِ عَبيراً، بَاتَ تَعْبَأُهُ عَرُوسُ (١)

أي تهيئه وعبأت الجيش بالتشديد والتخفيف إذا هيّأته وما اعبؤ به أي لا أهيء به أمراً .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **ومن تاب** ﴾ أي أقلع عن معاصيه وندم عليها ﴿ **وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً** ﴾ أي يرجع إليه مرجعاً عظيماً جميلاً وفرّق علي بن عيسى بين التوبة إلى الله والتوبة من القبيح لقبحه بأنَّ التوبة إلى الله تقتضي طلب ثوابه وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصي فإنه ينبغي أن يوجّه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه فإنه يرجع إلى الله فيكافيه وقيل معناه من تاب وعمل صالحاً فقد إنقطع إلى الله فاعرفوا ذلك له فإن من إنقطع إلى خدمة بعض الملوك فقد أحرز شرفاً فكيف المنقطع إلى الله سبحانه ثم عاد سبحانه إلى وصف عباده المخلصين فقال ﴿ **والذين لا يشهدون الزور** ﴾ أي لا يحضرون مجالس الباطل ويدخل فيه مجالس الغناء والفحش والخناء وقيل الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله وقيل الزور أعياد أهل الذمة كالسعانين (٢) وغيرها عن محمد بن سيرين وقيل هو الغناء عن مجاهد وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) وأبي عبد الله ( ع ) وقيل يعني شهادة الزور عن علي بن أبي طلحة فيكون المراد أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق وأصل الزور تمويه الباطل بما يوهم أنه حق ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾ واللغو المعاصي كلها أي مرّوا به مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه والإختلاط بأهله عن الحسن والكلبي والتقدير إذا مرّوا بأهل اللغو وذوي اللغو مرّوا منزّهين أنفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه ولم يخوضوا معهم في ذلك فهذه صفة الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزّه وأكرم نفسه عنه وقيل مرورهم كراماً هو أن يمرّوا بمن يسبّهم فيصفحون عنه وبمن يستعين بهم على حقّ فيعينونه وقيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن أبي جعفر ( ع ) ومجاهد وأصل اللغو هو الفعل الذي لا فائدة فيه ولهذا يقال للكلمة التي لا تفيد لغو وليس المراد به القبيح فإن فعل الساهي والنائم لغو وليس بحسن ولا قبيح إلا ما يتعدّى إلى الغير على الخلاف فيه ﴿ **والذين إذا ذكروا**

(١) العبير: الزعفران .

(٢) الشعانين: عيد معروف للنصارى قبل عيدهم الكبير بأسبوع كما قاله ابن الأثير .

**بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً** ﴾ أي إذا وعظوا بالقرآن والأدلة التي نصبها الله لهم نظروا فيها وتفكّروا في مقتضاها ولم يقعوا عليها صمّاً كأنهم لم يسمعوها وعمياناً كأنهم لهم يروها لكنهم سمعوها وأبصروها وانتفعوا بها وتدبّروا لها قال الحسن كم من قارىء يقرؤها فخرَّ عليها أصم وأعمى وقال الأخفش لم يخرُّوا عليها أي لم يقيموا وقال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صمٌّ لم يسمعوها وعمي لم يروها ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ أي إجعل أزواجنا وذرياتنا قرة أعين بأن نراهم يطيعون الله عن الحسن وقيل معناه إرزقنا من أزواجنا أولاداً ومن ذريتنا أعقاباً قرة أعين أي أهل طاعة تقرُّ بهم أعيننا في الدنيا بالصلاح وفي الآخرة بالجنة ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾ أي إجعلنا ممن يقتدي بنا المتقون طلبوا العزَّ بالتقوى لا بالدنيا وقيل معناه إجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتّم أي يقتدي بنا من بعدنا وعلى هذا فيجوز أن يكون اللام في اللفظ في المتقين وفي المعنى في نا والتقدير واجعل المتقين لنا إماماً ومثله قول الشاعر « كَأَنَّنا رَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الآلا »[(١)] والتقدير يرفعه الآل ثم أخبر سبحانه عن جميع هذه الأوصاف فقال ﴿ **أُولئك يجزون الغرفة** ﴾ أي يثابون الدرجة الرفيعة في الجنة ﴿ **بما صبروا** ﴾ على أمر ربهم وطاعة نبيهم وعلى مشاقّ الدنيا وصعوبة التكليف وقيل هي غرف الزبرجد والدر والياقوت عن عطا والغرفة في الأصل بناء فوق بناء وقيل الغرفة إسم لأعلى منازل الجنة وأفضلها كما أنها في الدنيا أعلى المساكن ﴿ **ويلقون فيها تحية وسلاماً** ﴾ أي تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وهي كل قول يسرُّ به الإنسان وبالسلام بشارة لهم بعظيم الثواب وقيل التحية الملك العظيم والسلام جميع أنواع السلامة وقيل التحية البقاء الدائم وقال الكلبي يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب بالسلام ﴿ **خالدين** ﴾ أي مقيمين ﴿ **فيها** ﴾ من غير موت ولا زوال ﴿ **حسنت** ﴾ الغرفة ﴿ **مستقراً ومقاماً** ﴾ أي موضع قرار واستقامة ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ما يعبؤ بكم ربي** ﴾ أي ما يصنع بكم ربي عن مجاهد وابن زيد وقيل ما يبالي بكم ربي عن أبي عمرو بن العلاء وما لا يعبؤ به فوجوده وعدمه سواء ﴿ **لولا دعاؤكم** ﴾ أي لولا دعاؤه إياكم إلى الدين والإسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول والمعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربي أي أيُّ نفع له فيكم وأيُّ ضرر يعود إليه من عدمكم وأيُّ قدر لكم عند الله حتى يدعوكم إلى الإيمان لكن الواجب في الحكمة دعاؤكم إلى الدين وإرسال الرسول وقد فعل وقيل معناه لولا عبادتكم له وإيمانكم به وتوحيدكم إياه عن الكلبي ومقاتل والزجاج فيكون الدعاء بمعنى

(١) عجز بيت للنابغة. وصدره « حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا ». والرعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً. والقف: ما ارتفع من الأرض وغلظ. والآل: السراب.

العبادة وفي هذا دلالة على أن من لا يعبد الله ولا يطيعه فلا وزن له عند الله وقيل معناه ما يعبؤ بعذابكم ربي لولا دعاء بعضكم بعضاً إلى الشرك والشرّ عن البلخي ودليله ما يفعل الله بعذابكم الآية وقيل معناه لولا دعاؤكم له إذا مسّكم ضرٌّ أو أصابكم سوء رغبة له وخضوعاً له وروى العياشي بإسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لأبي جعفر (ع) كثرة القراءة أفضل أم كثرة الدعاء أفضل قال كثرة الدعاء أفضل وقرأ هذه الآية فقد كذبتم الخطاب لأهل مكة أي أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته ﴿ **فقد كذبتم** ﴾ يا معاشر الكفار الرسول ﴿ **فسوف يكون لزاماً** ﴾ أي فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إياه لازماً لكم قال صخر الغي :

فَإِمّا يَنْجُوا مِنْ حَتْفِ أرْضِي فَقَدْ لَقِيا حُتُوفَهُما لِزاماً[1]

أي أنه واقع لا محالة قال الزجاج تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم فلا تعطون التوبة وتلزمكم به العقوبة وقال أبو عبيدة لزاماً فيصلا وقيل في تفسير اللزام أنه القتل يوم بدر عن ابن مسعود وأبي بن كعب وقيل هو عذاب الآخرة وقال أبو ذؤيب في اللزام :

فَفاجَأَهُ بِعادِيَةٍ لِزامٍ كَما يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ[2]

فلزام معناه كثيرة يلزم بعضها بعضاً ولقيف متساقط متهدم وبالله التوفيق .

---

(١) الحتف : الموت .

(٢) العادية : جماعة القوم يعدون للقتال . يصف كثرة الجيش وشبهها بحوض متهدم يتفجر الماء من جوانبه .

# (٢٦) سورة الشعراء مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

مكية كلها غير قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الآيات إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة .

[ **عدد آيها** ] مائتان وسبع وعشرون آية كوفي وشامي والمدني الأول وست في الباقين .

[ **إختلافها** ] أربع آيات طسم كوفي فلسوف تعلمون غير الكوفي ما كنتم تعبدون غير البصري وما تنزلت به الشياطين عراقي شامي والمدني الأول .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بنوح (ع) وكذَّب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم (ع) وبعدد من كذَّب بعيسى (ع) وصدّق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت سورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طَه وطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصلة نافلة وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه وأسكنه الله في جنة عدن وسط الجنة مع النبيين والمرسلين والوصيين الراشدين ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً وأعطي في الآخرة من الأجر الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوَّجه الله مائة حوراء من الحور العين .

[ **تفسيرها** ] ذكر الله سبحانه في مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب وذكر في مفتتح هذه السورة وصف الكتاب فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير الأعشى والبرجمي وحفص طَسم ويَس وحَم بالإمالة والباقون بالفتح والتفخيم وابن كثير أشد فتحاً وتفخيماً وكذلك عاصم ثم يعقوب والآخرون لا يفتحون فتحاً شديداً وقرأ أبو جعفر وحمزة بإظهار النون من سين عند الميم والآخرون يدغمون .

[ **الحجة** ] قال أبو علي تبيين النون هو الوجه لأن حروف الهجاء في تقدير الإنفصال والإنقطاع مما بعدها فإذا كان كذلك وجب تبيين النون لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب إخفاءها ووجه إخفائها مع هذه الحروف أن همزة الوصل قد وصلت ولم تقطع وهمزة الوصل إنما تذهب في الدرج فلما سقطت همزة الوصل وهي لا تسقط إلا في الدرج مع هذه الحروف في ألف لام ميم الله كذلك لا يبين النون ويقدر فيها الإتصال بما قبلها ولا يقدر الإنفصال .

[ **الإعراب** ] أن لا يكونوا في محل نصب بأنه مفعول له والتقدير لأن لا يكونوا أو بأن

لا يكونوا ظلت أعناقهم في موضع جزم عطفاً على تنزل من ذكر في محل رفع ومن مزيدة وكم في موضع نصب بأنه مفعول أنبتنا وأنبتنا في موضع نصب على الحال وقد مضمرة والتقدير مثبتاً .

[ **المعنى** ] ﴿ **طسّم** ﴾ قد بيّنا معاني هذه الحروف المقطعة في أول البقرة فلا معنى لإعادته وقال مجاهد والضحاك إن طسّم وطّس من أسماء القرآن وقال ابن عباس في رواية الوالبي طسّم قسم وهو من أسماء الله عز وجل وقال القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه وروي عن ابن الحنفية عن علي ( ع ) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت طسّم قال الطاء طور سيناء وسين الاسكندرية والميم مكة وقيل الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ أشار بتلك إلى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو كالحاضر لحضور المعنى في النفس والتقدير تلك الآيات التي وعدتم بها هي آيات الكتاب أي القرآن والمبين الذي يبيّن الحق من الباطل ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾ أي لعلك مهلك نفسك وقاتل نفسك بأن لا يكونوا مؤمنين وبأن يقيموا على الكفر إنما قال ذلك سبحانه تسلية لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وتخفيفاً عنه بعض ما كان يصيبه من الإغتمام لذلك ﴿ **أن نشأ نتزل عليهم من السماء آية** ﴾ أي دلالة وعلامة تلجئهم وتضطرهم إلى الإيمان ﴿ **فظلت أعناقهم لها** ﴾ أي لتلك الآية ﴿ **خاضعين** ﴾ منقادين وقيل في ذلك وجوه ( أحدها ) إن المراد فظل أصحاب الأعناق لها خاضعين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه ( وثانيها ) أنه جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ( وثالثها ) إن الخضوع مردود إلى المضمر الذي أضيف الأعناق إليه عن الأخفش والمبرد وأبي عبيدة وأنشدوا قول جرير :

أرىٰ مَـرَّ السِّنِـينَ أخَـذْنَ مِـنّـي كَمَـا أَخَـذَ السِّـرَارُ مِنَ الْهِـلاَلِ(١)

( ورابعها ) إن المراد بالأعناق الرؤساء والجماعات يقال جاءني عنق من الناس أي جماعة ( وخامسها ) إنه لما وصف الأعناق بصفة ما يعقل نسب إليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر :

تَمَزَّزْتُها وَالـدِّيـكُ يَـدْعُـو صِيَـاحَـهُ إِذَا مَـا بَنُو نَعْشٍ دَنَـوْا فَتَصَـوَّبُـوا(٢)

(١) السرار : آخر الشهر ليلة يستسر الهلال .

(٢) مر البيت بمعناه في صفحة ٧٤ من هذا الجزء

وروي نادى صياحه وذكر أبو حمزة الثمالي في هذه الآية أنها صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان وتخرج له العواتق من البيوت وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني أمية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتخضع لنا أعناقهم بعد صعوبتها وتلين ﴿ **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين** ﴾ أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنه لا يأتيهم ذكر من الرحمن محدث أي جديد يعني القرآن كما قال أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال إن هو إلا ذكر إلا اعرضوا عن الذكر ولم يتدبّروا فيه ﴿ **فقد كذبوا فسيأتيهم** ﴾ فيما بعد يعني يوم القيامة ﴿ **أنباء ما كانوا به يستهزؤون** ﴾ وهي مفسّرة في سورة الانعام ﴿ **أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج** ﴾ معناه من كل نوع معه قرينه ﴿ **كريم** ﴾ أي حسن وقيل نافع محمود مما يحتاج إليه وقيل من كل صنف يكرم على أهله وقيل كريم مما يأكل الناس والانعام عن مجاهد وقال الشعبي الناس نبات الأرض كما قال سبحانه والله أنبتكم من الأرض نباتاً فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ أي لدلالة على وحدانيتنا وكمال قدرتنا ﴿ **وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾ أي لا يصدّقون بذلك ولا يعترفون به عناداً وتقليداً لأسلافهم وهرباً من مشقة التكليف قال سيبويه كان هنا مزيدة ومجازه وما أكثرهم مؤمنين ﴿ **وإن ربك** ﴾ يا محمد ﴿ **لهو العزيز** ﴾ أي القادر والذي لا يعجز والغالب الذي لا يغلب ﴿ **الرحيم** ﴾ أي المنعم على عباده بأنواع النعم .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾
وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ
عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا
مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ
فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى

فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا
وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ
حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ
جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب ويضيقَ ولا ينطلقَ بالنصب فيهما والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وحماد بن سلمة ألا تتقون بالتاء وقراءة الشعبي وفَعَلْتَ فِعْلَتَك .

[ **الحجة** ] من قرأ يضيقُ ولا ينطلقُ بالرفع عطف على أخاف ومن قرأ بالنصب عطف على أن يكذبون أي أخاف أن يكذبون وأن يضيق صدري ولا ينطلق لساني ومن قرأ ألا تتقون بالتاء فهو على إضمار القول أي فقل لهم ألا تتقون ومن قرأ فِعلتك بكسر الفاء فهي مثل الرِكْبة والجِلْسة تكون كناية عن الحال التي يكون عليها وقد يكون المصدر على هذه الزنة تقول نشدته بالله نِشْدة .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج موضع إذ نصب على معنى واتلِ عليهم هذه القصة فيما تتلو والدليل عليه قوله عطفاً على هذه القصة **﴿ واتلِ عليهم نبأ إبراهيم إن ائت القوم الظالمين ﴾**

موضعه نصب بأنه مفعول نادى أي ناداه بهذه الكلمة رسول رب العالمين واحد في معنى الجمع كقوله فإنهم عدوٌ لي ويجوز أن يكون كل واحد منهما رسولاً . إن عبدت بني إسرائيل في موضع رفع لأنه بدل من نعمة تقديره وتلك نعمة تعبيدك بني إسرائيل وتركك إياي غير عبد ويجوز أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول له أي إنما صارت نعمة لأن عبدت بني إسرائيل والمعنى لو لم تفعل ما فعلت لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم فإنما صارت نعمة لما فعلت من البلاء . فماذا تأمرون يجوز أن يكون ما في موضع رفع بالإبتداء وذا بمعنى الذي على تقدير فأيُّ شيء الذي تأمرونه ويجوز أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول تأمرون ويكون مع ذا بمنزلة إسم واحد وتقديره أيّ شيء تأمرون .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه أقاصيص رسله تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتحريضاً له على الصبر ثقة بنزول النصر وابتدأ بقصة موسى وفرعون فقال ﴿ **وإذ نادى ربك** ﴾ أي واذكر يا محمد واتل عليهم الوقت الذي نادى فيه ربك الذي خلقك ﴿ **موسى إن أئت القوم الظالمين** ﴾ هذا أمر بعد النداء وتقديره قال له يا موسى إن أئت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي وظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب ثم بين القوم الموصوفين بهذه الصفة فقال ﴿ **قوم فرعون** ﴾ وهو عطف بيان ﴿ **ألا يتقون** ﴾ إنما قاله بالياء لأنه على الحكاية ومعناه أما آن لهم أن يتّقوا ويصرفوا عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والتقوى مجانبة القبائح بفعل المحاسن وأصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف وبينه ﴿ **قال** ﴾ موسى ﴿ **رب إني أخاف أن يكذبون** ﴾ بالرسالة ولا يقبلوا مني والخوف إنزعاج النفس بتوقيع الضر ونقيضه الأمن وهو سكون النفس إلى خلوص النفع ﴿ **ويضيق صدري** ﴾ بتكذيبهم إيّاي ﴿ **ولا ينطلق لساني** ﴾ أي لا ينبعث بالكلام للعقدة التي كانت فيه وقد مرًّ بيانها وقد يتعذر ذلك لآفة في اللسان وقد يتعذر لضيق الصدر وغروب المعاني التي تطلب للكلام ﴿ **فأرسل إلى هارون أخي** ﴾ يعني ليعاونني كما يقال إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا إليك أي لتعيننا وإنما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة وقال الجبائي لم يسأل موسى ( ع ) ذلك إلا بعد أن أذن الله له في ذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم في مسألته ﴿ **ولهم عليَّ ذنب** ﴾ يعني قتل القبطي الذي قتله موسى ( ع ) أي لهم عليّ دعوى ذنب ﴿ **فأخاف أن يقتلوني** ﴾ خاف أن يقتلوه بتلك النفس لا لإبلاغ الرسالة فإنه علم أن الله تعالى إذا بعث رسولاً تكفل بمعونته على تبليغ رسالته ﴿ **قل** ﴾ الله ﴿ **كلا** ﴾ وهو زجر أي لا يكون ذلك ولن يقتلوك به فإني لا أسلّطهم عليك ﴿ **فاذهبا** ﴾ أنت وأخوك وحذف ذكر هارون وإجابة موسى إلى ما اقترحه من إرساله معه إلى فرعون لدلالة قوله فاذهبا عليه ﴿ **بآياتنا** ﴾ أي بدلالاتنا ومعجزاتنا

التي خصّصناكُما بها ﴿ **أنا معكم مستمعون** ﴾ أي نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم ومستمع هنا في موضع سامع لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء إليه وذلك لا يجوز عليه سبحانه وإنما أتى بهذه اللفظة لأنه أبلغ في الصفة وأوكد وهو قوله ﴿ **إني معكما أسمع وأرى** ﴾ وإنما قال أنّا معكم لأنه أجراهما مجرى الجماعة ﴿ **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** ﴾ أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته وترك الإشراك به ولم يقل رسولا رب العالمين لأن الرسول قد يكون في معنى الجمع قال الهذلي :

أَلْكِنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ(١)

أي غير الرسل وقيل إن الرسول بمعنى الرسالة كما في قوله :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُمْ ... بِسِرٍّ وَلا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ

أي برسالة وقال العباس بن مرداس :

ألا مَنْ مُبَلِّغٍ عَنِّي خُفَافاً ... رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهاها

فأنث الرسول تأنيث الرسالة وقد يقع المصدر موقع الصفة كما تقع الصفة موقع المصدر فيكون مجازه أنا ذوا رسالة رب العالمين ﴿ **أن أرسل معنا بني إسرائيل** ﴾ أي أمرك الله بأن أرسلهم وأطلقهم من الاستعباد وخلّ عنهم وفي الكلام حذف تقديره أنهما أتيا فرعون وبلغا الرسالة على ما أمرهما الله تعالى به ﴿ **قال** ﴾ فرعون لموسى ﴿ **ألم نربك فينا وليداً** ﴾ والتربية تنشية الشيء حالاً بعد حال معناه ألم تكن فينا صبياً صغيراً فربّيناك ﴿ **ولبثت فينا من عمرك سنين** ﴾ أي أقمت سنين كثيرة عندنا وهي ثماني عشرة سنة عن ابن عباس وقيل ثلاثين سنة عن مقاتل وقيل أربعين سنة عن الكلبي وإنما قال ذلك إمتناناً عليه بإحسانه إليه وقيل أنه أظهر لؤمه حيث ذكر صنائعه ﴿ **وفعلت فعلتك التي فعلت** ﴾ يعني قتل القبطي ﴿ **وأنت من الكافرين** ﴾ لنعمتنا وحق تربيتنا عن ابن عباس وعطاء ومقاتل وقيل معناه وأنت من الكافرين بآلهك إذ كنت معناه على ديننا الذي تعيب وتقول إنه كفر عن الحسن والسدي ﴿ **قال** ﴾ موسى ﴿ **فعلتها إذا وأنا من الضالين** ﴾ أي فعلت هذه الفعلة وأنا من الجاهلين لم أعلم بأنها تبلغ القتل وقيل معناه من الناسين عن ابن زيد وقيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدّي إلى قتله عن الجبائي وقيل من الضالين عن طريق الصواب لأني ما تعمدته وإنما وقع مني خطأ كمن يرمي طائراً فيصيب إنساناً وقيل من الضالين عن النبوة أي لم يوح إلي تحريم قتله

---

(١) قوله الكني إليها أي كن رسولي وتحمل رسالتي إليه .

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ أي ذهبت من بينكم حذراً على نفسي إلى مدين لما خفتكم أن تقتلوني بمن قتلته ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي نبوة وقيل إن الحكم العلم بما تدعو إليه الحكمة وهو الذي وهبه الله تعالى لموسى من التوراة والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام ﴿ **وجعلني من المرسلين** ﴾ أي نبياً من جملة الأنبياء ﴿ **وتلك نعمة تمنُّها عليَّ إن عبدت بني إسرائيل** ﴾ يقال عبده واعبده إذا إتخذه عبداً وقيل في معناه أقوال ( أحدها ) أن فيه إعترافاً بأن تربيته له كانت نعمة منه على موسى وإنكاراً للنعمة في ترك إستعباده ويكون ألف التوبيخ مضمراً فيه فكأنه يقول أو تلك نعمة تمنها علي إن عبدت بني إسرائيل ولم تعبدني ( وثانيها ) إنه إنكار للمنة أصلاً ومعناه أتمنّ عليَّ بأن ربّيتني مع استعبادك قومي هذه ليست بنعمة يريد أنَّ إتخاذك بني إسرائيل الذين هم قومي عبيداً أحبط نعمتك التي تمنّ بها عليَّ ( وثالثها ) إن معناه إنك لو كنت لا تستعبد بني إسرائيل ولا تقتل أبناءهم لكانت أمّي مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمتن عليَّ بما كان بلاؤك سبباً له عن الزجاج وزاد الأزهري لهذا بياناً فقال إن فرعون لما قال لموسى ( ع ) ألم نربك فينا وليداً فاعتد عليه بأن رباه وليداً منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى ( ع ) له تلك نعمة تعتد بها عليَّ لأنك عبدت بني إسرائيل ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي فلم يلقوني في اليم فإنما صارت لك علي نعمة لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك ( ورابعها ) إن فيه بيان أنه ليس لفرعون عليه نعمة لأن الذي تولى تربيته أمه وغيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه أنك تمنّ عليَّ بأن استعبدت بني إسرائيل حتى ربوني وحفظوني عن الجبائي ( **قال فرعون وما رب العالمين** ﴾ أي أيُّ جنس رب العالمين الذي تدعوني إلى عبادته ﴿ **قال** ﴾ موسى في جوابه ﴿ **رب السماوات والأرض** ﴾ أي مبدعهما ومنشئهما وخالقهما ﴿ **وما بينهما** ﴾ من الحيوان والجماد والنبات ﴿ **إن كنتم موقنين** ﴾ بأن الرب من كان بهذه الصفة أو موقنين بأن هذه الأشياء محدثة وليست من فعلكم والمحدث لا بدَّ له من محدث ولم يشتغل موسى لجواب ما سأله فرعون لأن الله تعالى ليس بذي جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته وصفاته وبيان الحجة الدالة عليه من خلقه الذي يعجز المخلوقون عن مثله ﴿ **قال** ﴾ فرعون ﴿ **لمن حوله ألا تستمعون** ﴾ يريد ألا تستمعون مقالة موسى عن ابن عباس وقيل معناه ألا تصغون إليه وتفهمون ما يقوله معجباً من قوله وإنما عجب فرعون من حوله من جوابه لأنه طلب منه أيُّ أجناس الأجسام هو جهلاً منه بالتوحيد لأنه لو كان كأحد أجناس الأجسام لكان محدثاً كسائر الأجسام التي هي من جنسه لحلول الحوادث فيه ودلَّه موسى على الله بدلالة أفعاله التي بها يجب أن يستدل عليه تعالى فقال فرعون انظروا إلى هذا أسأله عن شيء فيجيب عن غيره فجرى موسى ( ع ) على عادته

في الرفق وتأكيد الحجة وتكريرها ﴿ **قال ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ وإنما ذكره تأييداً لما قبله وتوكيداً له فإن فرعون كان يدَّعي الربوبية على أهل عصره دون من قبله فبيَّن إن المستحق للربوبية من هو رب أهل كل عصر ومالك تدبيرهم فعند ذلك ﴿ **قال** ﴾ فرعون إذ لم يقدر على جواب لكلام موسى (ع) يموه عليهم ﴿ **إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون** ﴾ لأني أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى (ع) بالجواب عما نسبه إليه من الجنون ولكن إشتغل بتأكيد الحجة والزيادة في الإبانة بأن ﴿ **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** ﴾ ذلك وتدبرونه وقيل إن كنتم تعلمون أنه إنما يستحق العبادة من كان بهذه الصفة فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى ﴿ **قال** ﴾ مهدّداً له ﴿ **لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ أي من المحبوسين قالوا وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت فلما توعده بالسجن ﴿ **قال أولو جئتك بشيء مبين** ﴾ معناه أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقي وكذبك وحجة ظاهرة تدل على نبوتي .

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ
بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ
أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ

ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟
حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾

[ **المعنى** ] ﴿ **قال** ﴾ فرعون لموسى ﴿ **فأت به إن كنت من الصادقين** ﴾ أي هات ما إدّعيت من المعجزات إن كنت صادقاً ﴿ **فألقى** ﴾ حينئذ موسى ﴿ **عصاه فإذا هي ثعبان** ﴾ أي حيَّة عظيمة وقيل الثعبان الذكر من الحيات ﴿ **مبين** ﴾ ثعبان لا شبهة فيه ﴿ **ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين** ﴾ أي وأخرج يده من كمه أو جيبه على ما روي فإذا هي بيضاء بياضاً نورياً كالشمس في إشراقها للناظرين إليها ﴿ **قال** ﴾ فرعون ﴿ **للملأ** ﴾ الأشراف من قومه ﴿ **حوله إن هذا** ﴾ يعني موسى ﴿ **لساحر عليم** ﴾ بالسحر والحيل ﴿ **يريد أن يخرجكم من أرضكم** ﴾ ودياركم ويتغلب عليها ﴿ **بسحره فماذا تأمرون** ﴾ في بابه وإنما شاور قومه في ذلك مع أنه كان يقول لهم أنه إلّه لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه وعلى قومه إن الإلّه لا يجوز أن يشاور غيره كما ذهب عليهم إن الإلّه لا يجوز أن يكون جسماً محتاجاً فاعتقدوا إلّهيته مع ظهور حاجته ﴿ **قالوا أرجه وأخاه** ﴾ قد مرَّ تفسيره واختلاف القراء فيه في سورة الأعراف ﴿ **وأبعث في المدائن حاشرين** ﴾ يحشرون الناس من جميع البلدان ﴿ **يأتوك بكل سحار عليم** ﴾وفي الكلام حذف تقديره أنه أنفذ الحاشرين في البلدان فحشروهم﴿**فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** ﴾ أي لوقت يوم بعينه اختاروه وعيَّنوه وهو يوم عيدهم يوم الزينة ﴿ **وقيل للناس** ﴾ أي لأهل مصر ﴿ **هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** ﴾ لموسى وأخيه ﴿ **فلما جاء السحرة** ﴾ وحضروا بين يدي فرعون ﴿ **قالوا** ﴾ له ﴿ **أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين** ﴾ أي هل لنا أجرة وجزاء على غلبتنا إياه إن نحن غلبناه ﴿ **قال** ﴾ فرعون

﴿ **نعم** ﴾ لكم على ذلك الأجر الجزيل ﴿ **وإنكم** ﴾ مع ما تعطون من الجزاء والأجر ﴿ **إذا لمن المقربين** ﴾ والمقرب المدني من مجلس الكرامة ﴿ **قال لهم** ﴾ أي للسحرة ﴿ **موسى ألقوا ما أنتم ملقون** ﴾ هذا بصورة الأمر والمراد به التحدي ﴿ **فألقوا حبالهم وعصيهم** ﴾ أي طرحوا ما كان معهم من الحبال والعصي ﴿ **وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ والعزة القوة التي يمتنع بها من لحاق ضيم لعلو منزلتها وهذا القول قَسَمٌ منهم وإن كان غير مبرور ﴿ **فألقى** ﴾ عند ذلك ﴿ **موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون** ﴾ أي أن العصا تتناول جميع ما موَّهوا به في أوجز مدة من الزمان ﴿ **فألقي السحرة ساجدين** ﴾ لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما أتعبوا به نفوسهم فيه وعلموا إن ذلك من عند الله إذ أحد من البشر لا يقدر عليه ﴿ **قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون** ﴾ فعند ذلك ﴿ **قال** ﴾ فرعون مهدّداً لهم ﴿ آمنتم ﴾ أي صدّقتم له فيما يدعو إليه ﴿ **قبل أن آذن لكم** ﴾ أي أنا في تصديقه ﴿ **أنه لكبيركم** ﴾ أي أستاذكم وعالمكم ﴿ **الذي علَّمكم السحر فلسوف تعلمون** ﴾ فيما بعد ما أفعله بكم عقوبة لكم على تصديقكم إياه ثم فسَّر ذلك بقوله ﴿ **لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف** ﴾ يعني قطع اليد من جانب والرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ **ولأصلبنكم أجمعين** ﴾ مع ذلك على الجذوع ولا أترك أحداً منكم لا تناله عقوبتي ﴿ **قالوا** ﴾ في جوابه عن ذلك ﴿ **لا ضير** ﴾ أي لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره ضيراً وضرَّه يضرُّه ضرراً ﴿ **إنا إلى ربنا منقلبون** ﴾ أي إلى ثواب ربنا راجعون فيجازينا على إيماننا وصبرنا بالنعيم الدائم الذي لا ينقضي ولا يضرّنا قطعك وصلبك فإنه ألم ساعة عن قريب ينقضي قال الحسن لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم ولا قطعه وقيل إن أول من قطع الأيدي والأرجل فرعون .

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ
فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾
وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم
مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ

وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا
ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ
فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة حاذرون بالألف والباقون بغير ألف وقرأ فاتبعوهم موصولة الألف مشدَّدة التاء زيد عن يعقوب وقرأ الباقون فاتبعوهم بقطع الألف وسكون التاء وقرأ حمزة ونصير عن الكسائي وخلف ترىء الجمعان بكسر الراء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب إن كنا أول المؤمنين بكسر الهمزة من أن وقراءة ابن أبي عامر حادرون بالدال غير المعجمة وقراءة الأعرج وعبيد بن عمير إنا لمدّركون بتشديد الدال وقراءة عبد الله بن الحرث وأزلقنا بالقاف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قال أبو عبيدة رجل حَذِر وحَذُر وحاذر قال ابن أحمر :

هَلْ يَنْسَأَنْ يَوْمِي إِلىٰ غَيْرِهِ أَنّي حَوالي وَأَنّي حَذِر

حوالي أي ذو حيلة وقال العباس بن مرادس :

وَإِنّي حَاذِرٌ أَنْمي سِلاحِي إِلىٰ أَوْصَالِ ذَيَّالٍ مَنيعِ[1]

ووجه إمالة الحركة على الراء من ترائى أن قياسه أن يكون تراآى في الموقف مثال تراعى فأمال فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة التي أميلت ليميل الألف نحو الياء كما قالوا رأى

(١) فرس ذيال أي طويل القد. وقيل طويل الذنب. والأوصال بمعنى المفاصل .

أمالوا فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة فإن قيل فإذا وصل وقيل تراه الجمعان فهلا لم يجز إمالة الفتحة التي على الراء لأنه إذا كان إمالتها لإمالة فتحة الهمزة وما يوجب إمالة الفتحة فقد سقط وهو الألف المنقلبة من الياء التي سقطت لإلتقاء الساكنين فإذا سقطت لم يجز إمالة فتحة الهمزة فإذا لم يجز إمالة فتحة الهمزة وجب أن لا يجوز إمالة فتحة الراء فقيل إن إمالة فتحة الراء في ترآى جائزة في الوصل مع سقوط الألف من تفاعل لإلتقاء الساكنين وما سقط الألف عن تفاعل لإلتقاء الساكنين فهو عندهم في حكم الثابت يدلُّ على ذلك قولهم « وَلَا ذَاكِرَاً اللهَ إلَّا قليلاً »(١) فنصب مع سقوط التنوين لإلتقاء الساكنين كما ينصب إذا ثبت وزعم أبو الحسن أنه قد قرأ في القتلى الحر بإمالة فتحة اللام مع سقوط الألف وقال ابن جني قوله إن كنا أول المؤمنين من الكلام الذي يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه أنا أحفظه عليك إن كنت وافياً ولن يضيع لك جميل عندي إن كنت شاكراً أي فكما تعلم إن هذا معروف من حالي فثق بوفائي وشكري ومثله بيت كتاب سيبويه :

أَتَـغْضِـبُ أنْ أُذْنـا قُتَيْبَـةَ حُـزَّتـا ... جِهاراً وَلَمْ تَغْضِبْ لِقَتْلِ ابْنِ خازِمٍ

فشرط بذلك وقد كان ووقع قبل ذلك وقد جاء به أبو تمام فقال :

وَمَكـارِمـاً عُتُـقَ النِّجـارِ تَـلِيـدَةً ... إنْ كـانَ هَضْبُ عِمـايَتَيْنِ تَلِيـداً(٢)

أي كما كان هضب عمايتين تليدا فكذلك هذه المكارم وأما قوله حادرون فالحادر القويّ الشديد ومنه الحادرة الشاعرة وحدر الرجل إذا قوي جسمه وامتلأ لحماً وشحماً قال الأعشى :

وَعَسِيـرٍ أدْمـاءَ حـادِرَةِ الـعيـنِ ... خَنُـوفٍ عَيْـرانَـةٍ شِمْـلالِ(٣)

ويقال أدركت الشيء وأدركته بمعنى ومن قرأ وأزلفنا بالفاء فالآخرون موسى وأصحابه ومن قرأ بالقاف فالآخرون فرعون وأصحابه أي أهلكناهم .

[ اللغة ] سرى وأسرى لغتان وقد فرّق بينهما والشرذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة

(١) هذا عجز بيت لابي الأسود الدئلي. وصدره « فألفيته غير مستعتب » والشعر بتمامه مذكور في جامع الشواهد . وكذا الشعر الآتي .

(٢) النجار : الأصل . وعتق جمع عتيق: الكريم. والتليد: القديم. والهضب: الجبل. وعمايتين: جبلان .

(٣) العسير: الناقة التي اعتاطت فلم تحمل سنتها. والادمة في الابل: البياض الشديد. والخنوف: الدابة التي تميل رأسها إلى فارسها في عدوها. والعيرانة: القوية. وناقة شملال: خفيفة سريعة.

وشرذمة كل شيء بقيته القليلة قال الراجز :

جَـاءَ الـشِّتَـاءُ وَقَـمِيـصِي أخْـلاَقْ ... شَـرَاذِمٌ يَضْحَـكُ مِنْهـا التَّـوَّاقْ[1]

والفرق بين الحذر والحاذر أن الحاذر الفاعل للحذر والحذر المطبوع على الحذر والكنوز الأموال المخبأة في مواضع غامضة من الأرض بعضها على بعض ومنه كناز التمر وغيره مما يعبأ بعضه على بعض والمقام الموضع الذي يقام فيه والكريم الحقيق بإعطاء الخير الجزيل وهي صفة تعظيم في المدح واتبع فلان فلاناً وتبعه إذا اقتفى أثره والإشراق الدخول في وقت شروق الشمس ويقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت وصفت وأشرقنا دخلنا في الشروق وتراء الجمعان أي تقابلا بحيث يرى كل منهما صاحبه ويقال تراءى ناراً هما إذا تقابلا وإنما جاز تثنية الجمع لأنه يقع عليه صفة التوحيد فتقول هذا جمع واحد كما تقول جملة واحدة والإدراك اللحاق يقال أدرك قتادة الحسن أي لحقه وأدرك الزرع أي لحق ببلوغه وأدرك الغلام أي بلغ وأدركت القدرِ نضجت والطود الجبل قال الأسود بن يعفر :

حَـلُّوا بِـأَنْـقُـرَةٍ يَـجِيشُ عَـلَيْـهِـمُ ... مَـاءُ الْفُـرَاتِ يجيءُ مِنْ أطْـوَادِ

والازدلاف الإدناء والتقريب ومنه المزدلفة[2] أبو عبيدة أزلفنا جمعنا وليلة المزدلفة ليلة جمع قال الشاعر :

وَكُـلُّ يَـوْمٍ مَضىٰ أَوْ لَـيْلَةٍ سَـلَفَتْ ... فِيهَـا النُّفُـوسُ إِلىٰ الآجَالِ تَـزْدَلِفُ

والآخر بفتح الخاء الثاني من قسمي أحد يقال نجى الله أحدهما وأهلك الآخر وبكسر الخاء هو الثاني من قسمي الأول يقال نجى الأول وهلك الآخر .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن السحرة أنهم قالوا لفرعون حين آمنوا ﴿ **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا** ﴾ أي ما فعلناه من السحر وغيره ﴿ **أن كنا أول المؤمنين** ﴾ أي لأنا كنا أول من صدَّق موسى وأقرَّ بنبوته وبما دعانا إليه من التوحيد ونفي التشبيه وقيل أنهم أول من آمن عند تلك الآية أو أول من آمن من آل فرعون لأن بني إسرائيل كانوا آمنوا به ﴿ **وأوحينا**

(١) قيل ان التواق في البيت: اسم ابنه . هي انقرة التي ببلاد الروم واختاره الحموي في المعجم وفيه « نزلوا بأنقرة يسيل عليهم » بدل المصراع الأول .

(٢) [قال] .

**إلى موسى أن أسر بعبادي** ﴾ سبق تفسيره في سورة طه ﴿ **إنكم متبعون** ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر ﴿ **فأرسل فرعون في المدائن حاشرين** ﴾ يحشرون إليه الناس ويجمعون له الجيوش ليقبضوا على موسى وقومه لمّا ساروا بأمر الله عز وجل فلما حضروا عنده ﴿ **قال** ﴾ لهم ﴿ **إن هؤلاء** ﴾ يعني أصحاب موسى ﴿**الشرذمة قليلون** ﴾ أي عصابة من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون قال المفسرون وكان الشرذمة الذين قلّلهم فرعون ستمائة ألف ولا يحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ **وإنهم لنا لغائظون** ﴾ يقال غاظه واغتاظه وغيظه إذا أغضبه أي أنّهم غاظونا لمخالفتهم إيانا في الدين ثم لخروجهم من أرضنا على كره منا وذهابهم بالحلى الذي استعاروها وخلوصهم من استعبادنا ﴿ **وإنا لجميع حاذرون** ﴾ أي خائفون شرّهم وحاذرون أي مؤدّون مقوون أي ذوو أداة وقوة مستعدّون شاكون في السلاح وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ ثم أخبر سبحانه عن كيفية إهلاكهم بقوله ﴿ **فأخرجناهم** ﴾ يعني آل فرعون ﴿ **من جنات** ﴾ أي بساتين ﴿ **وعيون** ﴾ جارية فيها ﴿ **وكنوز** ﴾ أي أموال مخبأة وخزائن ودفاين ﴿ **ومقام كريم** ﴾ أي منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس وقيل هو مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحفُّ بها الاتباع فيأتمرون بأمرهم وقيل المنازل الحسان التي كانوا مقيمين فيها في كرامة وقيل يريد مرابط الخيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها أكرم مقام متروك ﴿ **كذلك** ﴾ أي كما وصفنا لك أخبارهم ﴿ **وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ وذلك إن الله سبحانه ردَّ بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه وأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والعقار والمساكن والديار ﴿ **فاتبعوهم مشرقين** ﴾ يعني قوم فرعون أدركوا موسى وأصحابه حين شرقت الشمس وظهر ضوؤها وذلك قوله ﴿ **فلما تراء الجمعان** ﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿ **قال أصحاب موسى إنا لمدركون** ﴾ أي سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿ **قال** ﴾ موسى ثقة بنصر الله تعالى ﴿ **كلا** ﴾ لن يدركونا ولا يكون ما تظنّون فانتهوا عن هذا القول ﴿ **إن معي ربي** ﴾ بنصره ﴿**سيهديني**﴾ أي سيرشدني إلى طريق النجاة وقيل سيكفيني عن السدي ﴿ **فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر** ﴾ وهو نهر النيل ما بين أيلة ومصر وقيل هو بحر قلزم ما بين اليمن ومكة إلى مصر وفيه حذف أي فضرب ﴿ **فانفلق** ﴾ أي فانشق البحر وظهر فيه إثنا عشر طريقاً وقام الماء عن يمين الطريق ويساره كالجبل العظيم وذلك قوله ﴿ **فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ أي فكان كل قطعة من البحر كالجبل العظيم والفرق الاسم لما إنفرق والفرق مصدر ﴿ **وأزلفنا ثم الآخرين** ﴾ أي قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم عن

ابن عباس وقتادة وقيل معناه جمعنا في البحر فرعون وقومه عن أبي عبيدة وقيل معناه وقرّبناهم إلى المنية لمجيء وقت هلاكهم ﴿ **وأنجينا موسى ومن معه أجمعين** ﴾ يعني بني إسرائيل أنجينا جميعهم من الغرق والهلاك ﴿ **ثم أغرقنا الآخرين** ﴾ فرعون وجنوده ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ معناه إن في فرق البحر وإنجاء موسى وقومه وإغراق فرعون وقومه لَدلالة واضحة على توحيد الله وصفاته التي لا يشاركه فيها غيره ﴿ **وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾ معناه أنهم مع هذا السلطان الظاهر والبرهان الباهر والمعجز القاهر ما آمن أكثرهم فلا تستوحش يا محمد من قعود قومك عن الحق الذي تأتيهم به وتدلّهم عليه فقد جروا على عادة أسلافهم في إنكار الحق وقبول الباطل ﴿ **وإن ربك لهو العزيز** ﴾ في سلطانه ﴿ **الرحيم** ﴾ بخلقه وقيل العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم في أنجائه من الهلاك لأوليائه وقيل أنه لم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون ومريم التي دلَّت على عظام يوسف .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ
لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ
أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا
وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾

وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾
فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾
قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾
إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا
لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً
فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

[ **اللغة** ] الأقدم الموجود قبل غيره ومثله الأول والأسبق والقد وجود الشيء لا إلى أول والتبريز الإظهار يقال أبرزه وبرّزه فبرز يبرز بروزاً والغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثواب كبكبوا أصله كببوا إلا أنه ضوعف بتكرير الفاء أي دهدهوا وطرح فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة والحميم القريب الذي تودّه ويودُّك .

[ **الإعراب** ] هل يسمعونكم أصله أن يتعدى إلى ما كان صوتاً مسموعاً تقول سمعت كلامك فإن وقع على جوهر تعدّى إلى مفعولين ولا يكون الثاني منهما إلا صوتاً كقولك سمعت زيداً يقرأ ولا يجوز سمعت زيداً يقوم لأن القيام لا يكون مسموعاً وقوله ﴿ **هل يسمعونكم إذ تدعون** ﴾ على حذف المضاف والتقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف

ودلَّ عليه قوله إذ تدعون . إلا رب العالمين إستثناء منقطع ويجوز أن يكون غير منقطع على تقدير فإن جميع ما عبدتم عدوٌ لي إلا رب العالمين وقد عبدوا مع الله تعالى الأصنام . إلا من أتى الله الموصول والصلة في محل النصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف تقديره يوم لا ينفع أحداً مال ولا بنون إلا من أتى الله ويجوز أيضاً أن يكون منصوباً على الإستثناء . هم فيها مبتدأ وخبر . يختصمون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون يختصمون خبر المبتدأ وفيها يتعلق به فيكون منصوباً بإضمار أن في جواب التمني .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **واتل عليهم** ﴾ يا محمد ﴿ **نبأ إبراهيم** ﴾ أي خبر إبراهيم فإنه شجرة الأنبياء وبه إفتخار العرب وفيه تسلية لك وعظة لقومك ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه** ﴾ على وجه الإنكار عليهم ﴿ **ما تعبدون** ﴾ أي أيُّ شيء تعبدون من دون الله ﴿ **قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين** ﴾ أي فنظل لها مُصَلّين عن ابن عباس وقيل معناه فنقيم على عبادتها مداومين ﴿ **قال** ﴾ إبراهيم ﴿ **هل يسمعونكم** ﴾ أي هل يسمعون دعاءكم ﴿ **إذ تدعون** ﴾ معناه هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم ﴿ **أو ينفعونكم** ﴾ إذا عبدتموهم ﴿ **أو يضرون** ﴾ إن تركتم عبادتها وفي هذا بيان إن الدين إنما يثبت بالحجة ولولا ذلك لم يحاجّهم إبراهيم (ع ) هذا الحجاج ﴿ **قالوا بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون** ﴾ وهذا أخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام ﴿ **قال** ﴾ ابراهيم (ع ) منكراً عليهم التقليد ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون** ﴾ أي الذي كنتم تعبدونه من الأصنام ﴿ **أنتم** ﴾ الآن ﴿ **وآباؤكم الأقدمون** ﴾ أي المتقدمون أي والذين كان آباؤكم يعبدونهم وإنما دخل لفظة كان لأنه جمع بين الحال والماضي ﴿ **فإنهم عدوٌ لي** ﴾ معناه إن عبادة الأصنام مع الأصنام عدوٌ لي إلا أنه غلب ما يعقل وقيل أنه يعني الأصنام وإنما قال فإنهم فجمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوة التي لا تكون إلا من العقلاء وجعل الأصنام كالعدو في الضرر من جهة عبادتها ويجوز أن يكون قال فإنهم لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك إستثنى فقال ﴿ **إلا رب العالمين** ﴾ إستثناء من جميع المعبودين قال الفراء أنه من المقلوب والمعنى فإني عدوٌ لهم ومن عاديته فقد عاداك ثم وصف رب العالمين فقال ﴿ **الذي خلقني** ﴾ وأخرجني من العدم إلى الوجود ﴿ **فهو يهديني** ﴾ أي يرشدني إلى ما فيه نجاتي وقيل الذي خلقني لطاعته فهو يهديني إلى جنته ﴿ **والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفيني** ﴾ معناه أنه يرزقني ما أتغذى به ويفعل ما يصحُّ بدني ﴿ **والذي يميتني ثم يحيين** ﴾ أي يميتني بعد أن كنت حيّاً ويحييني يوم القيامة بعد أن أكون ميتاً ﴿ **والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ﴾ أي يوم الجزاء وإنما قال ذلك على سبيل الإنقطاع منه إلى الله تعالى لا على سبيل أنَّ له خطيئة

يحتاج إلى أن يغفر له يوم القيامة لأن عندنا لا يجوز أن يصع من الأنبياء شيء من القبائح وعند جميع أهل العدل وإن جوَّزوا عليهم الصغائر فإنها تقع عندهم محبطة مكفرة فليس شيء منها غير مغفور فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة وقيل معناه أطمع أن يغفر لمن يشفعني فيه فأضافه إلى نفسه كقوله سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر وإنما قال وإذا مرضت فأضاف المرض إلى نفسه وإن كان من الله إستعمالاً لحسن الأدب فإن المقصود شكر نعمة الله تعالى ولو كان المقصود بيان القدرة لأضافه إلى الله تعالى ونظيره قول الخضر (ع) فأردت أن أعيبها ثم قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وإنما حذف الياءات لأنه رؤوس الآيات وهذا الكلام من إبراهيم (ع) إنما صدر على وجه الإحتجاج على قومه والإخبار بأنه لا يصلح للإلّهية إلا من فعل هذه الأفعال ثم حكى الله عنه أنه سأله وقال ﴿ **رب هب لي حكماً** ﴾ والحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة وقيل إنه العلم عن ابن عباس يعني علماً إلى علم وفقهاً إلى فقه وقيل إنه النبوة عن الكلبي ﴿ **وألحقني بالصالحين** ﴾ أي بمن قبلي من النبيين في الدرجة والمنزلة وقيل معناه إفعل بي من اللطف ما يؤدّيني إلى الصلاح والإجتماع مع النبيين في الثواب وفي هذا دلالة على عظم شأن الصلاح وهو الإستقامة على ما أمر الله تعالى به ودعا إليه ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾ أي ثناء حسناً في آخر الأمم وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة فأجاب الله سبحانه دعاه فكل أهل الأديان يثنون عليه ويقرُّون بنبوته والعرب تضع اللسان موضع القول على الإستعارة لأن القول يكون بها وكذلك يسمون اللغة لساناً قال الأعشى باهلة :

إنِّي أتَتْني لِسَاناً لا أسُرُّ بِها     مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سخر

وقيل إن معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله ويقوم بالحق وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **واجعلني من ورثة جنة النعيم** ﴾ أي من الذين يرثون الفردوس ﴿ **واغفر لأبي أنه كان من الضالين** ﴾ أي من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده ووصفه بأنه ضال يدلُّ على أنه كان كافراً كفر جهالة لا كفر عناد وقد ذكرنا الوجه في إستغفار إبراهيم لأبيه في سورة التوبة ﴿ **ولا تحزني يوم يبعثون** ﴾ أي لا تفضحني ولا تعيرني بذنب يوم تحشر الخلائق وهذا الدعاء كان منه (ع) على وجه الإنقطاع إلى الله تعالى لما بيّنا أن القبيح لا يجوز وقوعه من الأنبياء (ع) ثم فسَّر ذلك اليوم بأن قال ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون** ﴾ أي لا ينفع المال والبنون أحداً إذ لا يتهيأ لذي المال أن يفتدي من شدائد ذلك اليوم

به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد وقيل سليم من الفساد والمعاصي وإنما خصَّ القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سَلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أن الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد وروي عن الصادق (ع) أنه قال هو القلب الذي سلم من حب الدنيا ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين** ﴾ أي قربت لهم ليدخلوها ﴿ **وبرزت الجحيم للغاوين** ﴾ أي أظهرت وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق والصواب ﴿ **وقيل لهم** ﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ ﴿ **أينما كنتم تعبدون من دون الله** ﴾ من الأصنام والأوثان وغيرهما وإنما وُبّخوا بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم ﴿ **هل ينصرونكم** ﴾ بدفع العذاب عنكم في ذلك اليوم ﴿ **أو ينتصرون** ﴾ لكم إذا عوقبتم وقيل ينتصرون أي يمتنعون من العذاب ﴿ **فكبكبوا فيها** ﴾ أي جمعوا وطرح بعضهم على بعض عن ابن عباس وقيل نكسوا فيها على رؤوسهم عن السدي ﴿ **هم** ﴾ يعني الآلهة التي تعبدونها ﴿ **والغاوون** ﴾ أي والعابدون والمعنى إجتمع المعبودون من دون الله والعابدون لها في النار ﴿ **وجنود إبليس أجمعون** ﴾ أي وكبكب معهم جنود إبليس يريد من إتبعه من ولده وولد آدم ﴿ **قالوا وهم فيها يختصمون** ﴾ أي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضاً ﴿ **تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسوّيكم برب العالمين** ﴾ وإن هذه هي المخففة من الثقيلة أي إنا كنا في ضلال ومعناه لقد كنا في ضلال عن الحق بيّن وذهاب عن الصواب ظاهر إذ سوّيناكم بالله وعدلناكم به في توجيه العبادة إليكم ﴿ **وما أضلنا إلا المجرمون** ﴾ أي إلا أولونا الذين إقتدينا بهم عن الكلبي وقيل إلا الشياطين عن مقاتل وقيل الكافرون الذين دعونا إلى الضلال ثم أظهروا الحسرة فقالوا ﴿ **فما لنا من شافعين** ﴾ يشفعون لنا ويسألون في أمرنا ﴿ **ولا صديق حميم** ﴾ أي ذي قرابة بهمّه أمرنا والمعنى ما لنا من شفيع من الأباعد ولا صديق من الأقارب وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وروى العياشي بالإسناد عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله (ع) قال والله لنشفعن لشيعتنا والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس فما لنا من شافعين ولا صديق حميم إلى قوله ﴿ **فنكون من المؤمنين** ﴾ وفي رواية أخرى حتى يقول عدونا وعن ابان بن تغلب قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول إن المؤمن ليشفع يوم القيامة

لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبابتيه يا رب خويدمي كان يقيني الحرَّ والبرد فيشفع فيه وفي خبر آخر عن أبي جعفر (ع) قال أن المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة فيقول يا رب جاري كان يكفُّ عني الأذى فيشفع فيه وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً ثم قالوا ﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ المصدّقين فتحلُّ لنا الشفاعة ﴿ إن في ذلك ﴾ أي فيما قصصناه ﴿ لآية ﴾ أي دلالة لمن نظر فيها واعتبر بها ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلام له بأن الشرّ قديم ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ مضى معناه .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ
نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ
تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى
وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب وأتباعك وهو قراءة ابن مسعود والضحاك وابن السميفع والفراء والباقون واتبعك .

[ **الحجة** ] يحتمل قوله واتباعك وجهين ( أحدهما ) أن يكون مبتدأ والأرذلون خبره والمعنى لماذا نؤمن لك وإنما إتباعك الأرذلون ( والآخر ) أن يكون معطوفاً على الضمير في أنؤمن أي أنؤمن نحن وإتباعك والأرذلون صفة للإتباع وجاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل وهو قوله لك فصار طول الكلام به كالعرض من توكيد الضمير بقوله نحن والمعنى أنؤمن لك واتباعك الأرذلون فنعدُّ في عدادهم .

[ **اللغة** ] الأرذلون والأراذل السفلة وأوضاع الناس والرذل الوضيع والرذيلة نقيض الفضيلة والطرد إبعاد الشيء على وجه التنفير طرده يطرده واطرده جعله طريداً وأطرد في الباب استمر في الذهاب كالطريد والرجم الرمي بالحجارة ولا يقال للرمي بالقوس رجم ويسمى المشتوم مرجوماً لأنه يرمى بما يذم والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي وأصل النهاية بلوغ الحد والنهي الغدير لانتهاء الماء إليه والفتح الحكم والفتاح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل قال الشاعر :

أَلا أَبْلِغْ بَنِي أعْيا رَسُولاً ... فَإنّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيٌّ

والفلك السفن يقع على الواحد والجمع والمشحون من شحنه يشحنه شحناً إذا ملأه بما يسدُّ خلله وشحن الثغر بالرجال ومنه الشحنة .

[ **الإعراب** ] ما علمي ما حرف نفي وعلمي مبتدأ وتقديره ما علمي ثبت أو حصل بما كانوا يعملون .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه حديث نوح ( ع ) فقال ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين** ﴾ دخلت التاء في كذبت والقوم مذكر لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة نوح المرسلين لأن من كذب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وقال أبو جعفر ( ع ) يعني بالمرسلين نوحاً والأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم ( ع ) ﴿ **إذ قال لهم أخوهم نوح** ﴾ أي في النسب لا في الدين ﴿ **ألا تتقون** ﴾ عذاب الله تعالى في تكذيبي ومخالفتي ﴿ **إني لكم رسول أمين** ﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ بطاعته وعبادته ﴿**وأطيعوني**﴾ فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد ﴿ **وما أسألكم عليه** ﴾ أي على الدعاء إلى التوحيد ﴿ **من أجر** ﴾ من مزيدة ﴿ **إن أجري** ﴾ ما

جزائي وثوابي ﴿ إلا على رب العالمين ﴾ وخالق الخلائق أجمعين ثم كرَّر عليهم قوله ﴿ فاتقوا الله وأطيعوني ﴾ لاختلاف المعنى لأن التقدير فاتقوا الله وأطيعوني لأني رسول أمين واتقوا الله وأطيعوني لأني لا أسألكم عليه أجراً فتخافوا تلف أموالكم به وكل واحد من هذين المعنيين يقوّي الداعي إلى قبول قول الغير ويبعد عن التهمة ﴿ قالوا أنؤمن لك ﴾ أي نصدّقك فيما تقول ﴿ واتبعك الأرذلون ﴾ أي وقد إتبعك سفلة الناس وأراذلهم وخساسهم عن قتادة وقيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز عن عطا وقيل يعنون الحاكة والأساكفة عن الضحاك وعلقمة والمعنى إن إتباعك أراذلنا وفقراؤنا وأصحاب الأعمال الدنية والمهن الخسيسة فلو إتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم وهذا جهل منهم لأنه ليس في إيمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه فإن الرذل إذا أطاع سلطانه إستحق التقرب عنده دون الشريف العاصي ﴿ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الله وقد أجابوني إليه ﴿ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ أي ليس حسابهم إلا على ربي الذي خلقني وخلقهم لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين ﴾ أي ما أنا بالذي لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأرذلون لأني لست إلا نذيراً مخوّفاً من معصية الله داعياً إلى طاعته مبيّناً لها ﴿ قالوا ﴾ له عند ذلك ﴿ لئن لم تنته يا نوح ﴾ أي إن لم ترجع عما تقوله وتدعو إليه ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ بالحجارة عن قتادة وقيل من المرجومين بالشتم عن الضحاك ﴿قال﴾نوح ﴿رب إن قومي كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي فاقض بيننا قضاء بالعذاب لأنه قال ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ أي من ذلك العذاب ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ﴾ أي فخلّصناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس وغيرهم من الحيوانات ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ أي بعد نجاة نوح ومن معه ﴿ الباقين ﴾ أي الخارجين عن السفينة الكافرين به ﴿ إن في ذلك لآية﴾ واضحة على توحيد الله ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ وليس هذا بتكرار وإنما كل واحد في قصة على حدة فهذا ذكر آية في قصة نوح وما كان من شأنه بعد ذكر آية مما كان في قصة إبراهيم وذكر آية أخرى في قصة موسى وفرعون فبين أنه ذكر كلاً من ذلك لما فيه من الآية الباهرة ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ في إهلاك قوم نوح بالغرق ﴿ الرحيم ﴾ في إنجائه نوحاً ومن معه في الفلك .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ
جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو جعفر والكسائي خلق الأولين بفتح الخاء والباقون بضم الخاء واللام وفي الشواذ قراءة قتادة تُخلِدون بضم التاء وكسر اللام .

[ **الحجة** ] قال أبو علي خلق الأولين عادتهم وخلق الأولين إختلافهم وكذبهم مثل قوله ﴿ **وتخلقون إفكاً** ﴾ وإن هذا إلا إختلاق وخلد الشيء إذا بقي وأخلدته وخَلَّدْته وأخلد إلى كذا إذا أقام عليه ولزمه وقيل أخلد الرجل إذا أبطأ عنه الشيب .

[ **اللغة** ] الريع الإرتفاع من الأرض وجمعه أرياع وريعة قال ذو الرمة :

طِراقُ الْخَوافِي مُشْرِفُ فَوْقَ رِيعَةٍ    نَـدىٰ لَيْلِهِ فِي رِيشِـهِ يَتَـرَقْـرَقُ[1]

(١) الطراق في الريش: ان يكون بعضها فوق بعض. والخوافي: ريشان من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. وترقرق: بمعنى تلألأ .

ومنه الريع في الطعام وهو إرتفاعه بالزيادة والنماء وقال أبو عبيدة الريع الطريق بين الجبلين في الإرتفاع وقيل هو الفج الواسع والمصانع مأخذ الماء جمع مصنع قال أبو عبيدة كل بناء مصنعة وقال قتادة ومجاهد المصانع هي القصور والحصون والبطش العسف قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه وهو في صفة الله سبحانه مدح وفي صفة غيره ذمٌّ لأن معناه في العبد أنه يتكلف الجبرية .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن عاد فقال ﴿ **كذبت عاد المرسلين** ﴾ والتأنيث لمعنى القبيلة لأنه أراد بعاد القبيلة ﴿ **إذ قال لهم أخوهم** ﴾ في النسب ﴿ **هود ألا تتقون** ﴾ الله باجتناب معاصيه ﴿ **إني لكم رسول أمين** ﴾ إلى قوله ﴿ **رب العالمين** ﴾ مرَّ تفسيره ﴿ **أتبنون بكل ريع** ﴾ أي بكل مكان مرتفع وقيل بكل شرف عن ابن عباس وقيل بكل طريق عن الكلبي والضحاك ﴿ **آية تعبثون** ﴾ أي بناء لا تحتاجون إليه لسكناكم وإنما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو كأنه جعل بناهم ما يستغنون عنه عبثاً منعم عن ابن عباس في رواية عطا ويؤيده الخبر المأثور عن أنس بن مالك إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قال له أصحابه هذا لرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس أعرض عنه وصنع ذلك به مراراً حتى عرف الرجل الغضب والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه وقال والله إني لأنكر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدري ما حدث فيَّ وما صنعت قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسوّاها بالأرض فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فلم ير القبة فقال ما فعلت القبة التي كانت ههنا قالوا شكا إلينا صاحبها أعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال إن لكل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بدَّ منه وقيل معناه أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسائلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم عن الكلبي والضحاك وقيل إن هذا في بنيان الحمام أنكر هود عليهم إتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً عن سعيد بن جبير ومجاهد ﴿ **وتتخذون مصانع** ﴾ أي حصوناً وقصوراً مشيدة عن مجاهد وقيل مأخذاً للماء تحت الأرض عن قتادة ﴿ **لعلكم تخلدون** ﴾ كأنكم تخلدون فيها فلا تموتون فإن هذه الأبنية بناء من يطمع في الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مباني للخلود لا تتفكرون في الموت ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾ البطش الأخذ باليد أي إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة به عاقبتموه عقوبة من يريد التجبر بارتكاب العظائم كما قال إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وقيل معناه وإذا عاقبتم قتلتم فمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ مرَّ معناه ﴿ **واتقوا الذي أمدَّكم بما تعلمون** ﴾ أي

أعطاكم ما تعلمون من الخير . والأمداد إتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شيء على إنتظام وهؤلاء أمدُّوا بأنواع من النعم وهو قوله ﴿ **أمدَّكم بأنعام وبنين وجنات وعيون** ﴾ فأعطاهم رزقهم على أدرار ﴿ **إني أخاف عليكم** ﴾ إن عصيتموني ﴿ **عذاب يوم عظيم** ﴾ يريد يوم القيامة وصفه بالعظم لما فيه من الأهوال العظيمة ﴿ **قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين** ﴾ أي أنهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا عن الكلبي والمعنى أنا لا نقبل ما تدعونا إليه على كل حال أوعظت أم سكت أي حصول الوعظ منك وارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا ﴿ **إن هذا إلا خلق الأولين** ﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين الذين ادَّعوا النبوة ولم يكونوا أنبياء وأنت مثلهم ومن قرأ خلق الأولين بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذي نحن عليه من تشييد الأبنية واتخاذ المصانع والبطش الشديد إلا عادة الأولين من قبلنا وقيل معناه ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين في أنهم كانوا يحيون ويموتون ولا بعث ولا حساب وقيل معناه ما الذي تدّعيه من النبوة والرسالة إلا عادة الأولين ﴿ **وما نحن بمعذبين** ﴾ على ما تدعيه لا في الدنيا ولا بعد الموت ﴿ **فكذبوه فأهلكناهم** ﴾ بعذاب الاستئصال ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ قد مرَّ تفسيره .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ
بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ

بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ
وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ
ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة والشام فارهين بالألف والباقون فرهين بغير الألف .

[ **الحجة** ] قال الزجاج فرهين اشرين مرحين وفارهين حاذقين أبو عبيدة قال قد جاء فارهين في معنى فرهين وأنشد :

لا أَسْتَكِينُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ ... فَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهَ اللَّبَبِ(١)

أي مرح اللبب .

[ **اللغة** ] الهضيم اللطيف في جسمه ومنه هضيمة الحشا أي لطيفة الحشا ومنه هضمه حقه أي نقصه لأنه لطف جسمه بنقصه ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن والمُسَحَّر الذي قد سحر مرة بعد أخرى وهو أن يكون ممن له سَحْر أي رئة ومنه قولهم انتفخ سَحْره قال لبيد

فَإِنْ تَسْأَلِينا فِيم نَحْنُ فَإِنَّنا ... عَصَافِيرُ مِنْ هذا الأَنَامِ المُسَحَّرِ

أي المعلل بالطعام والشراب على أمر يخفى كخفاء السحر والشرب الحظ من الماء قال

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْها غَيْرَ أنْ نَطَقَتْ ... حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذاتِ أَوْقَالٍ(٢)

أي لم يمنع حظها من الماء والسوء الضر الذي يشعر به صاحبه لأنه يسؤوه وقوعه

(١) الأزمة الشدة والقحط . وفي اللسان « فاره الطلب » .
(٢) الوقل ثمرة شجر المقل . وجمعه أو قال وفي اللسان سحوق ذات أوقال» وقال السحوق ما طال من شجر المقل .

والعقر قطع شيء من بدن الحي فإذا كثر انتفت معه الحياة وإذا قل لم ينتف .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن ثمود فقال ﴿**كذبت ثمود المرسلين**﴾ وهو مفسر في هذه السورة إلى قوله ﴿**أتتركون فيما ههنا آمنين**﴾ معناه أتظنون أنكم تتركون فيما أعطاكم الله من الخير في هذه الدنيا آمنين من الموت والعذاب وهذا اخبار بأن ما هم فيه من النعم لا يبقى عليهم وانها ستزول عنهم ثم عدَّد نعمهم التي كانوا فيها فقال ﴿**في جنات**﴾ أي بساتين يسترها الشجر ﴿**وعيون**﴾ جارية ﴿**وزروع ونخل طلعها هضيم**﴾ الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لأنه يطلع من النخل والهضيم اليانِع النضيج عن ابن عباس وقيل هو الرطب اللين عن عكرمة وقيل هو الضامر بدخول بعضه في بعض عن الضحاك وقيل هو الذي إذا مس تفتت عن مجاهد وقيل هو الذي ليس فيه نوى عن الحسن ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**﴾ أي حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهة فهو فاره وفرهين اشرين بطرين عن ابن عباس ﴿**فاتقوا الله**﴾ في مخالفته ﴿**وأطيعون**﴾ فيما أمركم به ﴿**ولا تطيعوا أمر المسرفين**﴾ يعني الرؤساء منهم وهم تسعة رهط من ثمود الذين عقروا الناقة ثم وصفهم فقال ﴿ **الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا**﴾ في جوابه ﴿**إنما أنت من المسحرين**﴾ قد أصبت بسَحْر ففسد عقلك فصرت لا تدري ما تقول وهو بمعنى لمسحورين والمراد سحرت مرة بعد أخرى وقيل معناه من المخدوعين وقيل من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب عن ابن عباس وقيل معناه انت مخلوق مثلنا لك سحر أي رئة تأكل وتشرب فلم صرت أولى منا بالنبوة ﴿**ما أنت إلا بشر مثلنا**﴾ أي آدمي مثلنا ﴿**فأت بآية**﴾ أي بمعجزة تدل على صدقك ﴿**إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة**﴾ وهي الناقة التي أخرجها الله تعالى من الصخرة عشراء ترغو على ما اقترحوه ﴿**لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**﴾أي لها حظ من الماء لا تزاحموها فيه ولكم حظ لا تزاحمكم فيه وروي عن أمير المؤمنين (ع انه قال ان اول عين نبعت في الأرض هي التي فجرها الله لصالح فقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿**ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم**﴾ هذا مع ما بعده مفسَّر في سورة الأعراف والقصة مشروحة هناك .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ

إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾
قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾
فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

[ اللغة ] العادي والظالم والجائر نظائر وهو من العدوان وأصله من العدو والذي هو الاسراع في السعي والقالي المبغض يقال قلاه يقليه قلى أبغضه الغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره والغبر البقية من اللبن في الاخلاف قال الحرث بن حلزة .

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبارِها　　إِنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ[(١)]

والتدمير الإهلاك بأهول الأمور .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط فقال ﴿**كذبت قوم لوط المرسلين**﴾ وقد فسَّرناه إلى قوله ﴿**أتأتون الذكران من العالمين**﴾ أي تصيبون الذكور من جملة الخلائق ﴿ **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم** ﴾ أي وتتركون ما خلقه الله لكم من الأزواج والنساء والزوجة هي التي وقع عليه العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوجة وزوج قال سبحانه

---

(١) الكسع أن يؤخذ ماء بارد فيضرب به ضروع الابل الحلوبة اذا أرادوا تغزيرها ليجف لبنها ويكون اقوى لاولادها التي تنتجها. والشول جمع الشائلة التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها. يوصي الشاعر ابنه باطعام الاضياف. يقول لا تضرب الماء البارد على ضرع الابل تطلب بذلك قوة نسلها وأحلبها للأضياف فلعل عدواً يغير عليها فيكون نتاجها له دونك .

اسكن انت وزوجك الجنة ﴿**بل أنتم قوم عادون**﴾ أي ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ﴿**قالوا لئن لم تنته يا لوط**﴾ وترجع عما تقوله ولم تمتنع عن دعوتنا وتقبيح أفعالنا ﴿**لتكونن من المخرجين**﴾ عن بلدنا ﴿**قال**﴾ لوط لهم عند ذلك ﴿**إني لعملكم من القالين**﴾ أي من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه فقال ﴿**رب نجّني وأهلي مما يعملون**﴾ أي من عاقبة ما يعملونه وهو العذاب النازل بهم وأجاب الله سبحانه دعاءه قال ﴿**فنجيناه وأهله أجمعين**﴾ يعني من العذاب الذي وقع بهم ويجوز أن يكون أراد نجيناه وأهله من نفس عملهم وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك والأول اوضح ويدل عليه قوله ﴿**إلا عجوزاً في الغابرين**﴾ وأراد بالعجوز امرأته لأنها كانت تدل اهل الفساد على أضيافه فكانت من الباقين في العذاب وهلكت فيما بعده مع من خرج من القرية بما أمطره الله من الحجارة﴿**ثم دمرنا الآخرين**﴾ أهلكناهم بالخسف وقيل بالائتفاك وهو الانقلاب ثم امطر على من كان غائباً منهم عن القرية الحجارة من السماء وهو قوله ﴿**وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين**﴾ أي بئس واشتد مطر الكافرين مطرهم وما بعده مفسر قبل .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ
ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ
عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز والشام ليكة بالنصب غير مهموز هاهنا وفي ص والباقون الأيكة باثبات الهمزة والجر في الموضعين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفتها وألقيت حركتها على اللام فقلت الَيْكَة كما قالوا الحَمْرَ ومن قال لَحْمَر قال لَيْكَة وقول من قال أصحاب ليكةَ بفتح التاء مشكل لأنه فتح مع لحاق لام المعرفة الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال بلحمر فيفتح وانما يخرج هذا على أن المعنى قد سمي بكلمة تكون اللام فيها فاء ولم اسمع بها وقال الزجاج جاء في التفسير ان اسم المدينة التي ارسل اليها شعيب كان ليكة .

[ **اللغة** ] الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف والجمع الأيك قال

تَجْلُو بقادمتَيْ حَمامَةِ أيْكَةٍ     بَرَداً أُسِفَّ لِثاتُهُ بِالإثمدِ (١)

المخسر المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان اخسر يخسر اخساراً اذا جعله يخسر في ماله ونقيضه اربحه والجبلة الخليقة التي طبع عليها الشيء بكسر الجيم والباء وقيل أيضاً بضمها ويسقطون الهاء أيضاً قال أبو ذؤيب

مَنايا يَقَرّبْنَ الْحُتُوفَ لأهْلِها     جِهاراً وَيَسْتَمْتِعْنَ بِالأنَسِ الجِبْلِ (٢)

وقال آخر

وَالْمَوْتُ أعظم حادِثٍ     مِمّا يَمُرُّ عَلَى الْجِبِلَّة

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن شعيب فقال ﴿**كذب أصحاب لئيكة المرسلين**﴾ وهم

---

(١) شبه شفتي محبوبته بمقدمي جناح الحمامة . وثغرها بالبرد ذر بالاثمد .

(٢) يقول الناس كلهم متعة للموت يستمتع بهم .

أهل مدين عن ابن عباس وقيل أنهم غيرهم عن قتادة وقال ان الله سبحانه أرسل شعيباً إلى أمتين ﴿**إذ قال لهم شعيب**﴾ ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من نسبهم وكان من أهل مدين فلذلك قال في ذلك الموضع وإلى مدين اخاهم شعيباً ﴿**ألا تتقون اني لكم رسول أمين**﴾ مفسر فيما قبل إلى قوله ﴿**رب العالمين**﴾ وإنما حكى الله سبحانه دعوة كل نبي بصيغة واحدة ولفظ واحد اشعاراً بأن الحق الذي تأتي به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والإخلاص في عبادته وطاعة رسله وان أنبياء الله تعالى لا يكونون إلا أمناء الله في عباده فإنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجرة على رسالته لما في ذلك من التنفير عن قبولهم ثم قال ﴿**أوفوا الكيل**﴾ أي أعطوا الكيل وافياً غير ناقص ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد ﴿**ولا تكونوا من المخسرين**﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن ﴿**وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾ أي بالعدل الذي لا حيف فيه يعني زنوا وزناً يجمع الأيفاء والاستيفاء وذكرنا الأقوال في القسطاس في سورة بني اسرائيل ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ أي ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها ﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد والعثي اشد الفساد والخراب عن أبي عبيدة ﴿**واتقوا الذي خلقكم**﴾ أي أوجدكم بعد العدم ﴿**والجبلة**﴾ أي الخليقة ﴿**الأولين**﴾ يعني وخلق الأمم المتقدمين ﴿**قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا**﴾ مرَّ معناه ﴿**وان نظنك لمن الكاذبين**﴾ أي وانا نظنك كاذباً من جملة الكاذبين وان هذه مخففة من الثقيلة ولذلك لزمها اللام في الخبر ﴿**فأسقط علينا كسفاً من السماء**﴾ أي قطعاً من السماء جمع كسفة عن ابن عباس ﴿**إن كنت من الصادقين**﴾ في دعواك ﴿**قال**﴾ شعيب ﴿**ربي أعلم بما تعملون**﴾ ومعناه انه ان كان في معلومه انه ان بقاكم تبتم أو تاب بعضكم لم يقتطعكم بالعذاب وان كان في معلومه انه لا يفلح واحد منكم فسيأتيكم عذاب الاستئصال ثم قال ﴿**فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة**﴾ أصابهم حرّ شديد سبعة أيام وحبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابة فلما خرجوا اليها طلباً للبرد من شدة الحرّ الذي أصابهم أمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم فكان من أعظم الأيام في الدنيا عذاباً وذلك قوله ﴿**انه كان عذاب يوم عظيم**﴾ ومعنى الظلة هاهنا السحابة التي قد أظلتهم ﴿**إن في ذلك لآية**﴾ مفسر إلى آخره .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ
ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ
سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾
ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي
لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الحجاز وأبو عمرو وحفص وزيد نزل بالتخفيف الروح الامين بالرفع والباقون نزَّل بالتشديد الروح الأمين بالنصب وقرأ ابن عامر أو لم تكن بالتاء آية بالرفع والباقون لم يكن بالياء آية بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن الاعجميين وقراءته أيضاً فتأتيهم بغتة بالتاء ما تنزلت به الشياطون.

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قال نزل به بالتشديد قوله فإنه نزَّله على قلبك وتنزَّل الملائكة بالروح فإنه مطاوع نزل وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق ومن اسند الفعل إلى الروح فقال نزل به الروح الأمين فإنه ينزل بأمر الله تعالى فمعناه معنى المثقلة والوجه في قراءة ابن عامر أو لم تكن لهم آية إنَّ في تكن ضمير القصة والحديث لأن ما يقع تفسيراً للقصة والحديث من الجملة إذا كان فيها اسم مؤنث جاز تأنيث المضمر على شريطة التفسير كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فإنها لا تعمى الابصار وكذلك أن يعلمه

علماء بني إسرائيل لما كان فيه مؤنث جاز أن يؤنث تكن فآية مرتفعة بأنها خبر المبتدأ الذي هو أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولا يمتنع ان لا يضمر القصة والحديث ولكن يرفع ان يعلمه بقوله تكن وان كان في تكن علامة التأنيث لأن ان يعلمه في المعنى هو الآية فيحمل الكلام على المعنى كما حمل على المعنى في قوله فله عشر أمثالها فأنث لما كان المراد بالأمثال الحسنات وكذلك قراءة من قرأ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقال ابن جني في قراءة الحسن الاعجميين انها تفسير للغرض في القراءة المجمع عليها وهي قوله بعض الاعجميين وذلك ان ما كان من الصفات على افعل ومؤنثه فعلى لا يجمع بالواو والنون ولا بالالف والتاء فكان قياسه ان لا يجوز فيه الأعجمون لأن مؤنثه عجمي لكن سببه انه اريد به الاعجميون ثم حذف ياء النسب وجعل جمعه بالواو والنون دليلاً عليها وامارة لإرادتها كما جعلت صحة الواو في عواور امارة لإرادة الياء في عواوير وقوله فتأتيهم بغتة بالتاء معناه فتأتيهم الساعة فأضمر الساعة لدلالة العذاب الواقع فيها عليها ولكثرة ما يرد في القرآن من ذكر إتيانها وأما قوله الشياطون فقد قال الفراء فيه غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال إذا جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤية فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن مع انا نعلم انه لم يقرأ به إلا وقد سمعه قال ابن جني هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين عليه وتشابههما عنده ونحو منه قولهم مسيل فيمن اخذه من السيل ثم قالوا في جمعه مسلان وامسلة وفي معين معنان وامعنة مع ان الأقوى ان يكون معنان من العين فالشياطون غلط لكن يشبهه كما ان من همز مصائب كذلك عندهم وقال الزمخشري الوجه فيه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخيَّر بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان تقول هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشق من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل .

[ **اللغة** ] الاعجم الذي يمتنع لسانه عن العربية والعجمي نقيض العربي والأعجمي نقيض الفصيح .

[ **الإعراب** ] لا يؤمنون به في موضع النصب على الحال وبغتة مصدر وضع موضع الحال. سنين ظرف زمان لمتعناهم. ما اغنى ما نافية ومفعول اغنى محذوف وتقديره ما اغنى عنهم تمتعهم شيئاً. ذكرى في محل النصب لأنه مفعول له . وما ينبغي فاعل ينبغي مستكن فيه عائد إلى مصدر تنزل تقديره وما ينبغي لهم ان يتنزلوا به .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه أمر القرآن بعد ان قصَّ أخبار الأنبياء ( ع ) ليتصل بها

حديث نبيّنا ﷺ فقال ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به﴾ أي نزل الله بالقرآن ﴿الروح الأمين﴾ يعني جبرائيل (ع) وهو أمين الله لا يغيّره ولا يبدّله وسمّاه روحاً لأنه يحيي به الدين وقيل لأنه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل لأنه جسم روحاني ﴿على قلبك﴾ يا محمد وهذا على سبيل التوسع لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل (ع) فيحفظه وينزل به على الرسول ويقرأه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه وقيل معناه لقنك الله حتى تلقنته وثبته على قلبك وجعل قلبك وعاء له ﴿لتكون من المنذرين﴾ أي لتخوّف به الناس وتنذرهم بآيات الله ﴿بلسان عربي مبين﴾ أي بلغة العرب مبين للناس ما بهم اليه الحاجة في دينهم وقيل اراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه ولا يقولوا ما نفهم ما قال محمد عن مجاهد وقيل لسان جرهم وإنما جعله عربياً لأن المنزل عليه عربي والمخاطبون به عرب ولأنه تحدّى بفصاحته فصحاء العرب وقد تضمنت هذه الآية تشريف هذه اللغة لأنه سمّاها مبيناً ولذلك اختارها لأهل الجنة ﴿وانه﴾ أي وان ذكر القرآن وخبره ﴿لفي زبر الأولين﴾ أي في كتب الأولين على وجه البشارة به وبمحمد ﷺ لا بمعنى ان الله أنزله على غير محمد ﷺ وواحد الزبر زبور وقيل معناه انه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد والعدل والاعتراف بالبعث واقاصيص الأمم مثل الذي نزل في القرآن ﴿ولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل﴾ معناه أو لم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل بمجيئه على ما تقدَّمت البشارة دلالة لهم على صحة نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وكانت اليهود تبشّر به وتستفتح على العرب به وكان ذلك سبب إسلام الاوس والخزرج على ما مرَّ بيانه وعلماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وأصحابه عن ابن عباس وقيل هم خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد عن عطية ﴿ولو نزلناه على بعض الاعجمين﴾ أي ولو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب وعلى من لا يفصح ﴿فقرأه عليهم﴾ أي على العرب ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ أي لم يؤمنوا به وانفوا من اتباعه لكنا أنزلناه بلسان العرب على افصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبَّروا فيه وليكون ادعى إلى اتباعه وتصديقه وقيل معناه لو نزلناه على اعجم من البهائم أو غيرها لما آمنوا به وان كان فيه زيادة اعجوبة عن عبد الله بن مطيع وروي عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن هذه الآية وهو على بعير فأشار إليه وقال هذا من الأعجمين ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ أي كما أنزلنا القرآن عربياً مبيناً أمررناه وأدخلناه واوقناه في قلوب الكافرين بأن أمرنا النبي ﷺ حتى قرأه عليهم وبيّنه لهم ثم بيَّن انهم مع ذلك ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ فيلجئهم إلى الإيمان به وهذا خبر عن الكفار الذين علم الله انهم لا يؤمنون أبداً ﴿فيأتيهم﴾ أي العذاب

الذي يتوقعونه ويستعجلونه ﴿**بغتة**﴾ أي فجأة ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ بمجيئه ﴿**فيقولوا هل نحن منظرون**﴾ أي مؤخرون لنؤمن ولنصدق قال مقاتل لما اوعدهم النبي ﷺ بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيباً له فقال الله ﴿**أفبعذابنا يستعجلون**﴾ توبيخاً لهم ثم قال ﴿**أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون**﴾ أي أرأيت إن أنظرناهم وأخّرناهم سنين ومتّعناهم بشيء من الدنيا ثم اتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متّعوا في تلك السنين من النعيم لازديادهم في الآثام واكتسابهم من الاجرام وهو استفهام في معنى التقرير ﴿**وما اهلكنا من قرية**﴾ أي وما اهلكنا قرية ﴿**إلا لها منذرون**﴾ أي إلا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال الرسل ﴿**ذكرى**﴾ أي تذكيراً وموعظة لهم ليتّعظوا ويصلحوا فإذا لم يصلحوا مع التخويف والتحذير واستحقّوا عذاب الاستئصال باصرارهم على الكفر والعناد اهلكناهم ﴿**وما كنا ظالمين**﴾ أي وما ظلمناهم بالاهلاك لأنا لا نظلم أحداً ، نفى سبحانه عن نفسه الظلم وفي هذا تكذيب لمن زعم ان كل ظلم وكفر في الدنيا هو من خلقه وارادته وغاية الظلم ان يعاقب عباده على ما خلقه فيهم وأراده منهم تعالى الله عن ذلك وتقدّس ﴿**وما تنزّلت به**﴾ أي بالقرآن ﴿**الشياطين**﴾ كما يزعمه بعض المشركين ﴿**وما ينبغي لهم**﴾ انزال ذلك أي الشياطين ﴿ **وما يستطيعون** ﴾ ذلك ولا يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزة عن ان يموّه بها المبطل فإنه إذا أراد ان يدلّ بها على صدق الصادق اخلصها بمثل هذه الحراسة حتى تصحّ الدلالة بها ومعنى قول العرب ينبغي لك ان تفعل كذا انه يطلب منك فعله في مقتضى العقل من البغية التي هي الطلب ﴿**انهم عن السمع لمعزولون**﴾ أي مصروفون عن استماع القرآن أي عن المكان الذي يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثاقبة وقيل معناه ان الشياطين عن سمع القرآن منحون عن قتادة فإن العزل تنحية الشيء عن موضع إلى خلافه وازالته عن امر إلى نقيضه قال مقاتل قالت قريش إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد ﷺ فاكذبهم الله تعالى بأن قال انهم لا يقدرون بأن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب .

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل المدينة وابن عامر فتوكل بالفاء والباقون بالواو .

[ **الحجة** ] هو في مصاحف اهل المدينة والشام بالفاء وفي مصاحف مكة والعراق بالواو والوجهان حسنان

[ **اللغة** ] عشيرة الرجل قرابته سمّوا بذلك لأنه يعاشرهم وهم يعاشرونه .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ والمراد به سائر المكلفين فقال **﴿فلا تدع مع الله إلٰهاً آخر فتكون من المعذبين﴾** يسبب ذلك وإنما أفرده بالخطاب ليعلم ان العظيم الشأن إذا أوعد فمن دونه كيف حاله وإذا حذر هو فغيره اولى بالتحذير **﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾** أي رهطك الادنين اي انذرهم بالأفصاح من غير تليين بالقول كما تدعو إليه مقاربة العشيرة وإنما خصَّهم بالذكر تنبيهاً على انه ينذر غيرهم وانه لا يداهنهم لاجل القرابة ليقطع طمع الاجانب عن مداهنته في الدين وقيل انه ﷺ أمر بأن يبدأ بهم في الانذار والدعاء إلى الله ثم بالذين يلونهم كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار لأن ذلك هو الذي يقتضيه حسن الترتيب وقيل انه إنما خصَّهم لأنه يمكنه ان يجمعهم ثم ينذرهم وقد فعل ذلك النبي ﷺ واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب انه قال لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة[١] ويشرب العسّ فأمر علياً ( ع ) برجل شاة فأدمها[٢] ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرعشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب[٣] من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت ﷺ يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم انذرهم رسول الله ﷺ فقال يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم

---

(١) وفي بعض الروايات «الجذعة» وفي بعضها «الجفرة» . وهي من اولاد المعز ما بلغ اربعة اشهر وفصل عن أمه واخذ في الرعي . والعس : القدح الكبير .
(٢) أدم الخبز: خلطه بالادام .
(٣) القعب : القدح الضخم الغليظ .

قال من يؤاخيني ويوآزرني ويكون وليبي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي (ع) أنا فقال في المرة الثالثة أنت فقام القوم وهم يقولون لابي طالب اطع ابنك فقد أمَّر عليك اورده الثعلبي في تفسيره وروي عن أبي رافع هذه القصة وانه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عسا فشربوا كلهم حتى رووا ثم قال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتي الأقربين وانتم عشيرتي ورهطي وان الله لم يبعث نبياً إلا جعل من اهله اخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في اهله فأيّكم يقوم فيبايعني على انه اخي ووارثي ووزيري ووصيّي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبيّ بعدي فسكت القوم فقال ليقومنَّ قائمكم أو ليكوننَّ في غيركم ثم لتندمنّ ثم اعاد الكلام ثلاث مرات فقام علي (ع) فبايعه وأجابه ثم قال ادن مني فدنا منه ففتح فاه ومجَّ في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبو لهب فبئس ما حبوت به[1] ابن عمك أنْ أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً فقال ﷺ ملأته حكمة وعلماً وعن ابن عباس قال لما نزلت الآية صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرأيتكم ان اخبرتكم ان العدُّو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقونني قالوا بلى قال فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب وتبَّ﴾ إلى آخر السورة وفي قراءة عبد الله بن مسعود وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أي ألن جانبك وتواضع لهم وحسن اخلاقك معهم عن أبي زيد وغيره ﴿فإن عصوك﴾ يعني اقاربك انذارك إياهم وخالفوك فيما تدعوهم إليه ﴿فقل﴾ لهم ﴿اني بريء مما تعملون﴾ أي من اعمالكم القبيحة وعبادتكم الأصنام ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ أي فوّض امرك إلى العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم بأوليائه ليكفيك كيد اعدائك الذين عصوك فيما امرتهم به ﴿الذي يريك حين تقوم﴾ أي الذي يبصرك حين تقوم من مجلسك أو فراشك إلى الصلاة وحدك وفي الجماعة وقيل معناه يراك حين تقوم في صلاتك عن ابن عباس وقيل حين تقوم بالليل لأنه لا يطلع عليه أحد غيره وقيل حين تقوم للانذار واداء الرسالة ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ اي ويرى تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود عن ابن عباس وقتادة والمعنى يراك حين تقم إلى الصلاة مفرداً وتقلبك في الساجدين إذا صليت في جماعة وقيل معناه وتقلبك في اصلاب الموحدين

---

(١) أي اعطيت به.

من نبيّ إلى نبيّ حتى اخرجك نبياً عن ابن عباس في رواية عطا وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله صلوات الله عليهما قالا في اصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى اخرجه من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (ع ) وروي جابر عن ابي جعفر (ع ) قال قال رسول الله ﷺ لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي ثم تلا هذه الآية ﴿انه هو السميع العليم﴾ يسمع ما تتلو في صلاتك ويعلم ما تضمر فيها .

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع يَتْبعهم ساكنة التاء والباقون يَتَّبعهم .

[ **الحجة** ] الوجهان حسنان يقال تبعت القوم واتبعتهم اتبعهم .

[ **اللغة** ] الافاك الكذاب وأصل الافك القلب والأفاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق إلى جهة الكذب والاثيم الفاعل للقبيح يقال أثم يأثم أثماً إذا ارتكب القبيح وتأثم إذا ترك الإثم والهائم الذاهب على وجهه عن الكسائي وقيل هو المخالف للقصد عن أبي عبيدة .

[ **الاعراب** ] انتصب قوله أيَّ منقلب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره سيعلم الذين ظلموا انقلاباً اي انقلاب ينقلبون ولا يجوز ان يكون معمول سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما يعمل فيه ما بعده والعلة في ذلك الاستخبار قبل الخبر ورتبة الاستخبار

التقديم فلا يجوز ان يعمل فيه الخبر لأن الخبر بعده وذلك انه موضوع على انه جواب مستخبر .

[ **المعنى** ] لما اخبر الله سبحانه ان القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين وانه وحي من الله عقّبه بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال **﴿هل انبئكم﴾** أي هل اخبركم **﴿على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾** أي إنما يتنزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصي وهم الكهنة وقيل طليحة ومسيلمة عن مقاتل ولست بكذاب ولا أثيم فلا يتنزل عليك الشياطين وإنما يتنزل عليك الملائكة **﴿يلقون السمع﴾** معناه ان الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنة والكذابين ويخلطون به كثيراً من الاكاذيب ويوحونه اليهم **﴿وأكثرهم﴾** أي واكثر الشياطين **﴿كاذبون﴾** وقيل اكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون إلى الكهنة **﴿وهذا﴾** كان قبل ان أوحي إلى النبي ﷺ وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾** قال ابن عباس يريد شعراء المشركين وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وأبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وأبو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلّموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد ﷺ وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي ﷺ واصحابه فذلك قوله يتبعهم الغاوون وقيل الغاوون الشياطين عن قتادة ومجاهد وقيل أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الاشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة وقيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبّوا وإذا قالوا كذبوا وإنما صار الاغلب عليهم الغي لأن الغالب عليهم الفسق فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه ذلك إلى الكذب ووصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل وقيل انهم القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم وفي تفسير علي بن إبراهيم انهم الذين يغيرون دين الله تعالى ويخالفون أمره قال وهل رأيتم شاعراً قط تبعه احد إنما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك وروى العياشي بالإسناد عن أبي عبد الله (ع) قال هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا **﴿ألم تر انهم في كل واد يهيمون﴾** أي في كل فن من الكذب يتكلّمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون ويذمّون بالباطل عن ابن عباس وقتادة والمعنى أنهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعني فيخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم ويريدونها فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه

قـولهم على الجهل بمـا يقولـون من لغو وبـاطل وغلوّ في مـدح وذم ﴿**وانهم يقولـون ما لا يفعلون**﴾ أي يحثّـونَ على اشياء لا يفعلونهـا وينهون عن اشيـاء يرتكبـونهـا ثم استثنى من جملتهم فقال ﴿**الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ وهم شعراء المؤمنين مثـل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وردّوا هجاء من هجاه وفي الحديث عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل وقال النبي ﷺ لحسـان بن ثابت اهجهم أو هـاجهم وروح القدس معك رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان (ع) اشعر من الثلاثة ﴿**وذكروا الله كثيراً**﴾ لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعـر همَّهم ﴿**وانتصـروا**﴾ من المشـركين للرسـول والمؤمنين ﴿**من بعـد مـا ظلموا**﴾ قال الحسن انتصروا بما يحبُّون الانتصار به في الشريعة وهو نظير قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم اي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدَّد الظالمين فقال ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون**﴾ أي سوف يعلم أيّ مرجع يرجعون وايّ منصرف ينصرفون لأن منصرفهم إلى النار نعوذ بالله منها.

# (٢٧) سورة النمل مكية وآياتها ثلاث وتسعون

[ **عدد آيها** ] خمس وتسعون آية حجازي أربع بصري شامي ثلاث كوفي .

[ **إختلافها** ] آيتان وأولوا بأس شديد حجازي من قوارير غير الكوفي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ طسٓ سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره أيضاً فقال :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ
ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى

ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ
لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة ورويس عن يعقوب بشهاب قبس منوناً غير مضاف وقرأ الباقون بشهاب قبس مضافاً .

[ **الحجة واللغة** ] قال أبو عبيدة الشهاب النار والقبس ما اقتبست وأنشد :

فِـي كَـفِّـهِ صَـعْـدَةٌ مُـثَـقَّـفَـةٌ    فِيهـا سِـنَـانٌ كَشُـعْلَةِ الْـقَـبَسِ (١)

وقال غيره كل ذي نور فهو شهاب قال أبو علي يجوز أن يكون قبس صفة ويجوز أن يكون إسماً غير صفة فأما الصفة فإنهم يقولون قبسته أقبسه قبساً والقبس الشيء المقبوس فإذا كان القبس صفة فالأحسن أن يجري على شهاب كما جرى على الموصوف في قوله « كأنه ضرم بالكف مقبوس » وإن كان مصدراً غير صفة حسنت فيه الإضافة ولا يحسن ذلك في الصفة لأن الموصوف لا يضاف إلى صفته وقال أبو الحسن الإضافة أجود وأكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب ولو قلت سوار ذهب ودار آجر كان عربياً قال أبو علي جعل أبو الحسن القبس فيه غير وصف ألا ترى أنه جعله بمنزلة الآجر والذهب وليس واحد منهما صفة .

[ **الإعراب** ] هدى وبشرى في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية

(١) الصعدة : القناة التي نبتت مستوية . ومثقفة أي مستوية .

ومبشرة والعامل فيهما معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من آيات وعلى أن يكون خبراً بعد خبر أن بورك أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول يعني قيل له بورك ولا يجوز أن يكون مخففة من الثقيلة على تقدير أنه بورك لأنه كان يكون لا بدَّ من قَدْ والهاء في أنه ضمير الشأن وأنا الله مبتدأ وخبر وألق عصاك عطف على بورك أي نودي أن بورك وإن ألق عصاك .

[ المعنى ] ﴿ طسٓ ﴾ سبق تفسيره ﴿ **تلك** ﴾ إشارة إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن ﴿ **آيات القرآن وكتاب مبين** ﴾ أضاف الآيات إلى القرآن وآيات القرآن هي القرآن فهو كقوله ﴿ **إنه لحق اليقين والقرآن والكتاب** ﴾ معناهما واحد وصفه بالصفتين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الأمرين جميعاً ووصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا ومعناه أن الله بيَّن فيه أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وإذا وصفه بأنه بيان فإنه يجري مجرى وصفه له بالنطق بهذه الأشياء في ظهور المعنى به للنفس والبيان هو الدلالة التي تبين بها الأشياء والمبين المظهر ﴿ **هدى وبشرى للمؤمنين** ﴾ أي هدى من الضلالة إلى الحق بالبيان الذي فيه والبرهان وباللطف فيه من جهة الإعجاز الدال على صحة أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبشرى للمؤمنين بالجنة والثواب ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يكون تقديره هادياً ومبشراً ويجوز أن يكون في موضع رفع والتقدير هو هدى وبشرى ثم وصف المؤمنين فقال ﴿ **الذين يقيمون الصلاة** ﴾ بحدودها وواجباتها ويداومون على أوقاتها ﴿ **ويؤتون الزكاة** ﴾ أي ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم إلى من يستحقها ﴿ **وهم بالآخرة** ﴾ أي بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء ﴿ **هم يوقنون** ﴾ لا يشكُّون فيه ثم وصف من خالفهم فقال ﴿ **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون** ﴾ إختلف في معناه فقيل إن المعنى زيّنا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها بأحسن وجوه التزيين والترغيب فهم يتحيَّرون بالذهاب عنها عن الحسن والجبائي وأبي مسلم وقيل زينا لهم أعمالهم بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم إلى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى ويتردَّدون في الحيرة وقيل معناه حرمناهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم فتزينت أعمالهم في أعينهم وحليت في صدورهم ﴿ **أُولئك الذين لهم سوء العذاب** ﴾ أي شدة العذاب وصعوبته ﴿ **وهم في الآخرة هم الأخسرون** ﴾ أي لا أحد أخسر صفقة منهم لأنهم يخسرون الثواب ويحصل لهم بدلاً منه العقاب ﴿ **وإنك** ﴾ يا محمد ﴿ **لتلقى القرآن** ﴾ أي لتعطى ﴿ **من لدن حكيم** ﴾ في أمره ﴿ **عليم** ﴾ بخلقه أي من عند الله لأن الملك يلقيه من قبل الله سبحانه وقيل معناه لتلقن قال علي بن عيسى عليم

بمعنى عالم إلا أن في عليم مبالغة فهو مثل سامع وسميع لأن في قولنا عالم يفيد أن له معلوماً كما أن قولنا سامع يفيد أن له مسموعاً وإذا وصفناه بأنه عليم أفاد أنه متى يصح معلوم فهو عالم به كما أن سميعاً يفيد أنه متى وجد مسموع فلا بدَّ أن يكون سامعاً له ﴿ **إذ قال موسى لأهله** ﴾ قال الزجاج العامل في إذ أذكر أي أذكر في قصة موسى إذ قال لأهله أي امرأته وهي بنت شعيب ﴿ **إني آنست** ﴾ أي أبصرت ورأيت ﴿ **ناراً** ﴾ ومنه إشتقاق الإنس لأنهم مرئيون وقيل آنست أي أحسست بالشيء من جهة يؤنس بها وما آنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك إليه ﴿ **سآتيكم منها بخبر** ﴾ معناه فالزموا مكانكم لعلي آتيكم من هذه النار بخبر الطريق وأهتدي بها إلى الطريق لأنه كان أضلّ الطريق ﴿ **أو آتيكم بشهاب قبس** ﴾ أي بشعلة نار والشهاب نور كالعمود من النار وكل نور يمتد مثل العمود يسمى شهاباً وإنما قال لامرأته آتيكم على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعة في الأنس بها والسكون إليها في الأمكنة الموحشة ﴿ **لعلكم تصطلون** ﴾ أي لكي تستدفؤا بها وذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد وكانوا شاتين عن الحسن وقتادة ﴿ **فلمّا جاءها** ﴾ أي جاء موسى إلى النار يعني التي ظنَّ أنها نار وهي نور ﴿ **نودي أن بورك من في النار ومن حولها** ﴾ قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار إلا إشتعالاً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة برطوبتها تطفىء النار فعجب منها وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت إليها فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أن نودي والمراد به نداء الوحي أن بورك من في النار ومن حولها أي بورك فيمن في النار وهم الملائكة وفيمن حولها يعني موسى وذلك أن النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من في النار وعليك يا موسى ومخرجه الدعاء والمراد الخبر قال الكسائي تقول العرب باركه الله وبارك عليه وبارك فيه وقيل بورك من في النار معناه من في النار سلطانه وقدرته وبرهانه فالبركة ترجع إلى اسم الله وتأويله تبارك من نور هذا النور ومن حولها يعني موسى والملائكة وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقيل معناه بورك من في طلب النار وهو موسى (ع) فحذف المضاف ومن حولها الملائكة أي دامت البركة لموسى والملائكة وهذا تحية من الله سبحانه لموسى (ع) بالبركة كما حيًّا إبراهيم (ع) بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ثم نزَّه سبحانه نفسه فقال ﴿ **سبحان الله رب العالمين** ﴾ أي تنزيهاً له عما لا يليق بصفاته تعالى عن أن يكون جسماً يحتاج إلى جهة أو

عرضاً يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلم بآلة ثم أخبر سبحانه موسى عن نفسه وتعرف إليه بصفاته فقال ﴿ يا موسى أنه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ أي إن الذي يكلّمك هو الله العزيز أي القادر الذي لا يغالب ولا يمتنع عليه شيء الحكيم في أفعاله المحكم لتدابيره ثم أراه سبحانه آية يعلم بها صحة النداء فقال ﴿ وألق عصاك ﴾ وفي الكلام حذف تقديره فألقاها فصارت حية ﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾ أي تتحرّك كما يتحرّك الجان وهو الحية التي ليست بعظيمة وإنما شبَّهها بالجان في خفة حركتها واهتزازها مع أنها ثعبان في عظمها ولذلك هاله ذلك حتى ولّى مدبراً وقيل إن الحالتين مختلفتان لأن الحال التي صارت ثعباناً هي الحال التي لقي فيها فرعون والحال التي صارت جاناً هي الحال التي خاطبه الله في أول ما بعثه نبياً ﴿ ولّى مدبراً ﴾ أي رجع إلى ورائه ﴿ ولم يعقب ﴾ أي لم يرجع وكل راجع معقّب والمفسرون يقولون لم يلتفت ولم يقف فقال الله سبحانه ﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون ﴾ وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهي له عن الخوف يقول له أنك مرسل والمرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب فيخاف عقابي على ذلك .

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة زيد بن أسلم وأبي جعفر القاري إلا من ظلم بفتح الهمزة خفيفة اللام وقرأ علي بن الحسين ( ع ) وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد .

[ **الحجة** ] قال ابن جني من عدل إلى هذه القراءة فكأنه خفي عليه إنقطاع الاستثناء في القراءة الفاشية فإن من هذه القراءة في موضع رفع بالابتداء أو يكون للشرط كقولك من

يقم إضرب ومن هناك منصوبة على الاستثناء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله ﴿ مَبْصَرة ﴾ كقولك هدى ونوراً وقد كثرت المفعلة بمعنى الشياع والكثرة في الجواهر والأحداث جميعاً كقولهم أرض مضبة كثيرة الضباب ومفعاة كثيرة الأفاعي ومحياة ومحواة كثيرة الحيات هذا في الجواهر وأما الأحداث فكقولك البطنة موسنة وأكل الرطب مَورَدة ومحمة ومنه المسعاة والمعلاة والحق مجدرة بك ومخلقة وفي كله معنى الكثرة من موضعين ( أحدهما ) المصدرية التي فيه والمصدر إلى الشياع والعموم ( والآخر ) التاء وهي لمثل ذلك .

[ **الإعراب** ] بيضاء منصوبة على الحال ومن غير سوء يتعلق ببيضاء وفي تسع آيات يتعلق بألق وأدخل يدك ومعناه إلقاء العصا وإدخال اليد في جيبك من جملة الآيات التسع التي يظهر هاله . إلى فرعون يتعلق بمحذوف والتقدير مرسلاً إلى فرعون فهو في موضع الحال ظلماً وعلواً مفعول له وكيف في موضع نصب بأنه خبر كان .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **إلا من ظلم** ﴾ المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الأنبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبائح فيكون هذا إستثناء منقطعاً وإنما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء وغيرهم في معنى شملهم وهو التكليف ﴿ **ثم بدل حسناً بعد سوء** ﴾ أي بدَّل توبة وندماً على ما فعله من القبيح وعزماً أن لا يعود إليه في المستقبل ﴿ **فإني غفور رحيم** ﴾ أي ساتر لذنبه قابل لتوبته ﴿ **وادخل يدك إلى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ أعطاه آية أخرى وقد سبق بيانها ﴿ **في تسع آيات** ﴾ أي مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها ﴿ **إلى فرعون وقومه** ﴾ فحذف أو يكون تقديره مرسلاً بها إلى فرعون ومبعوثاً إليه ومثله قول الشاعر :

رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهـا فَصَـدَّتْ مَخـافَـةً وَفِي الحَبْـلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَـرُوقُ[1]

والتقدير رأتني مقبلاً بحبليها وقال الزجاج في تسع آيات معناه من تسع آيات أي أظهر هاتين الآيتين من جملة تسع آيات كقولهم خذ لي عشراً من الإبل فيها فحلان والمعنى منها فحلان والآيات التسع مفسرة في سورة بني إسرائيل ﴿ **إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾ أي خارجين عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا** ﴾ أي حججنا ومعجزاتنا

(١) قائله حميد بن ثور . وروعاء الفؤاد : حديده . وفروق بمعنى الخائف .

﴿ مبصرة ﴾ أي واضحة بيّنة على من أبصر أنها خارجة عن قدرة البشر وهو مثل قوله ﴿ وآتينا ﴾ ثمود الناقة مبصرة وقد مرَّ بيانه ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ أي ظاهر بيّن ﴿ وجحدوا بها ﴾ وأنكروها ولم يقرّوا بأنها من عند الله تعالى قال أبو عبيدة الباء زائدة والمعنى جحدوها كما قال العجاج « نضرب بالسيف ونرجو بالفرج » ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ أي عرفوها وعلموها يقيناً بقلوبهم وإنما جحدوها بألسنتهم ﴿ ظلماً ﴾ على بني إسرائيل وقيل ظلماً على أنفسهم ﴿ وعلوّاً ﴾ أي طلباً للعلو والرفعة وتكبّراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (ع) ﴿ فانظر ﴾ يا محمد أو أيها السامع ﴿ كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ في الأرض بالمعاصي .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ
دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ
شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ
جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا
مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ
وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ
ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

[ اللغة ] الوزع أصله المنع والكفّ يقال وزعه عن الظلم قال النابغة :

عَلىٰ حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبِ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّـا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ(١)

وقال آخر :

أَلَمْ تَـزِعِ الْهَـوىٰ إِذْ لَمْ تُـواتي بَـلىٰ وَسَلَوْتُ عَـنْ طَلَبِ الْفَـتَـاةِ

والحطم الكسر ومنه الحطمة من أسماء جهنم والحطام ما تحطم والايزاع الالهام وفلان موزع بكذا أي مولع به قال الزجاج أوزعني تأويله في اللغة كفّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك وكفني عما يباعد منك .

[ **الإعراب** ] لا يحطمنكم في موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكاً حال مؤكدة لأن تبسم في معنى ضحك وقال بعض المتأخرين يجوز أن يكون حالاً بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولاً ثم آل أمره إلى الضحك .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على قصة موسى ( ع ) قصة داود وسليمان ( ع ) فقال سبحانه ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علماً** ﴾ أي علماً بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدواب عن ابن عباس ﴿ **وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** ﴾ أي اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء وبالمعجزة والملك والعلم الذي أتاناه وبالإنة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس وإنما نكر قوله علماً ليدل على أنه أراد علماً إحتاجا إليه مما ينبيء عن صدقهما في دعوى الرسالة ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ في هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم وهو قول الحسن وقيل معناه أنه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر أولاده ومعنى الميراث هنا أنه قام مقامه في ذلك فأطلق عليه إسم الإرث كما أطلق على الجنة إسم الإرث عن الجبائي وهذا خلاف للظاهر والصحيح عند أهل البيت ( ع ) هو الأول ﴿ **وقال** ﴾ سليمان مظهراً لنعمة الله وشاكراً إياها ﴿ **يا أيها الناس علمنا منطق الطير** ﴾ أهل العربية يقولون أنه لا يطلق النطق على غير بني آدم وإنما يقال الصوت لأن النطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير إلا أنه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سمّاه منطقاً مجازاً وقيل أنه أراد حقيقة المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجي كالطيطوى قال المبرد العرب تسمي كل مبين عن نفسه ناطقاً ومتكلماً قال رؤبة :

---

(١) المشيب: الشيب وابيضاض الشعر. والصبا: الميل إلى هوى النفس. وقوله « تصح » من الصحو، وهو زوال السكر. وقوله « على حين » الجار والمجرور متعلق بأسبل في البيت الذي قبله وهو قوله « :

« فأسبل مني عبرة فرددتها على النحر منها مستهل ودامع»

لَوْ أنَّنِي أُعْطِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ عِلْمَ سُلَيْمانَ كَلامَ النَّمْلِ

والحكل ما لا يسمع له صوت وقال علي بن عيسى أن الطير كانت تكلم سليمان معجزة له كما أخبر عن الهدهد ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنا لأن إفهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها ﴿ **وأوتينا من كل شيء** ﴾ أي من كل شيء يؤتى الأنبياء والملوك وقيل من كل ما يطلبه طالب لحاجته إليه وانتفاعه به وقيل من كل شيء علماً وتسخيراً في كل ما يصلح أن يكون معلوماً لنا أو مسخراً لنا غير أن مخرجه مخرج العموم فيكون أبلغ وأحسن وروى الواحدي بالإسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه (ع) قال أعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع وأعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ﴿ **إن هذا لهو الفضل المبين** ﴾ أي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يخفى على أحد وهذا قول سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله عليه ويحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الأخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين ﴿ **وحشر لسليمان جنوده** ﴾ أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة بدلالة قوله ﴿ **من الجن والإنس والطير** ﴾ قال المفسّرون كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض والمعنى وحشر لسليمان جنوده أي جمع له جموعه في مسير له وقال محمد بن كعب بلغنا أن سليمان بن داود كان معسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع فيه منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلّه الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن

الرواح إلى الصباح ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي يمنع أولهم على آخرهم عن ابن عباس ومعنى ذلك أن على كل صنف من جنوده وزعة ترد أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرَّقوا كما تقوم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك وهو أن تدفع أخراهم وتوقف أولاهم وقيل معناه يحبسون عن ابن زيد وهو مثل الأول في أنه يحبس أولاهم على أخراهم ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل ﴾ أي فسار سليمان وجنوده حتى إذا أشرفوا على واد وهو بالطائف عن كعب وقيل هو بالشام عن قتادة ومقاتل ﴿ قالت نملة ﴾ أي صاحت بصوت خلق الله لها ولما كان الصوت مفهوماً لسليمان عبَّر عنه بالقول وقيل كانت رئيسة النمل ﴿ يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ﴾ أي لا يكسرنكم ﴿ سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ بحطمكم ووطئكم فإنهم لو علموا بمكانكم لم يطؤوكم وهذا يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض لما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا إذا كانت مأمورة بطاعته فلا بدَّ أن يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته ولا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما يستدرك به ذلك وقد علمنا أنه تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة أن يصيبها الندى فتنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها بأربع قطع لأنها تنبت إذا شقت بنصفين فمن هداها إلى هذا فإنه جلَّ جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها وقيل إن ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (ع) قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه ﴿ فتبسم ﴾ سليمان ﴿ ضاحكاً من قولها ﴾ وسبب ضحك سليمان التعجب وذلك إن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجَّب وضحك وقيل أنه تبسَّم بظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغاً عرفه النمل وقيل إن الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال حتى سمع ذلك فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسَّم من حذرها ﴿ وقال رب أوزعني ﴾ أي ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ ﴾ بأن علَّمتني منطق النمل واسمعتني قولها من بعيد حتى أمكنني الكف وأكرمتني بالنبوة والملك ﴿ وعلى والدي ﴾ أي أنعمت على والدي بأن أكرمته بالنبوة وفصل الخطاب وألنت له الحديد وعلى والدتي بأن زوَّجتها نبيك وجعل النعمة عليها نعمة لله سبحانه عليه يلزمه شكرها ﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي وفِّقني لأن أعمل صالحاً في المستقبل ترضاه ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ قال ابن عباس يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين أي أدخلني في جملتهم وأثبت إسمي مع أسمائهم وأحشرني في زمرتهم وقال ابن زيد في عبادك معناه مع

عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لأن النمل هاهنا أجري مجرى الآدميين حتى نطق كما ينطق الآدميون وإنما يقال لما لا يعقل إدخلي وفي الخبر دخلت أو دخلن وروي أن نمل سليمان هذا كان كأمثال الذئاب والكلاب .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ
كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ
بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ
ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾
أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير أو ليأتينّني بنونين أولاهما مشددة مفتوحة والباقون بنون واحدة مشددة وقرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف والباقون بضم الكاف وقرأ أبو عمرو وابن كثير في رواية البزي من سباء بفتح الهمزة وقرأ ابن كثير في رواية القواس وابن فليح من سبا بغير همزة وقرأ الباقون من سبأ مجرورة منونة ومثله سواء في سورة سبأ لقد كان لسبأ وقرأ أبو جعفر والكسائي ورويس عن يعقوب الا يسْجدوا خفيفة اللام وقرأ الباقون ألّا يسجدوا مثل قوله ألا يقولوا ومن خفَّف وقف على الايا وابتدأ اسجدوا وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ما تخفون وما تعلنون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] من قرأ ليأتيني حذف النون الثالثة التي هي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات ومن قرأ ليأتينني فهو على الأصل ومكَث ومكُث لغتان ومما يقوي الفتح وقوله انكم ماكثون وقوله ماكثين فيه ابداً وقال سيبويه ثمود وسبا مرة للقبيلتين ومرة للحيين قال أبو علي يريد ان هذه الاسماء منها ما جاء على أنه اسم الحي نحو معد وقريش وثقيف ومنها ما يستوي فيه الأمران كثمود وسبأ وقال أبو الحسن في سبأ ان شئت صرفت فجعلته اسم أبيهم أو اسم الحي وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة قال والصرف أحب إليّ لأنه قد عرف أنه اسم أبيهم وان كان اسم الأب يصير كالقبيلة الا اني أحمله على الاصل وقال غيره هو اسم رجل واليمانية كلها تنسب إليه يقولون سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال انّ سبأ اسم رجل فغلط لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرِبَ من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام قال الشاعر

مِنْ سَبَي الحَاضِرِينَ مَأرِبَ إذ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيلِهِ الْعَرِمَا

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ومن صرفه فلأن يكون اسماً للبلد قال جرير

الواردون وتيمٌ في ذُرى سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أعْناقَهُمْ جلْدُ الْجَوَامِيس[1]

ومن قرأ ألا يَسجدوا فالتقدير فصدَّهم عن السبيل لأن لا يسجدوا على أنه مفعول له قال أبو علي وهذا هو الوجه لتجري القصة على سننها ولا يفصل بين بعضها وبعض ما ليس منها وان كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لأنه يجري مجرى الاعتراض وكأنّه لما قيل وزيَّن لهم الشيطان اعمالهم فصدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون فدلّ هذا الكلام على انهم لا يسجدون لله قال الا يا قوم اسجدوا لله خلافاً عليهم ووجه دخول حرف التنبيه على الأمر انه موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به عليه كما ان النداء موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المنادى لما ينادي له من اخبار أو أمر أو نهي ونحو ذلك مما يخاطب به وإذا كان كذلك فيجوز أن لا تريد منادى في نحو قولك الا يسجدوا كما لا تريد المنادى في نحو قوله :

يا لَعْنَةُ اللَّهِ والأقْوَامِ كُلِّهِمُ وَالصَّالِحِينَ عَلىٰ سِمْعَانَ مَنْ جَارِ[2]

وكذلك ما حكي عن أبي عمرو من قوله يا ويل له ويجوز ان يراد بعد يا مأمورون فحذفوا كما حذف في قوله يا لعنة الله فكما ان يا هاهنا لا يجوز أن يكون إلا لغير اللعنة

---

(١) الذرى جمع الذروة : أعلى كل شيء .

(٢) الشعر في جامع الشواهد . وسمعان اسم رجل .

كذلك يجوز أن يكون المأمورون مرادين وحذفوا من اللفظ وقد جاء هذا في مواضع من الشعر فمن ذلك ما أنشده أبو زيد

فَقَالَتْ الا يَا اسْمَعْ نعظْكَ بِخطَّةٍ　　فَقُلْتُ سَمِيعاً فَانْطِقي وَأَصِيبِي

وأنشد الزجاج لذي الرمة

الَا يَا أَسْلِمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى البِلَىٰ　　وَلَا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ(١)

وللأخطل

الَا يا أسْلَمِي يَا هِنْدُ هِند بَني بَدْرٍ(٢)　　وَلَا زَالَ حَيّانا عِدىً آخِرَ الدَّهْرِ(٣)

ومما يؤكد قراءة من قرأ ألّا يسجدوا بالتشديد انها لو كانت مخففة لما كانت في يسجدوا ياء لأنها اسجدوا ففي ثبات الياء في المصحف دلالة على التشديد ومن قرأ يخفون ويعلنون بالياء فلأن الكلام على الغيبة وقراءة الكسائي فيهما بالتاء لأن الكلام قد دخله خطاب على قراءة اسجدوا لله ومن قرأ الايا اسجدوا فيجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة .

[ **الإعراب** ] كان أبو عمرو يسكن الياء في قوله مالي لا أرى الهدهد ويفتح في قوله ومالي لا أعبد الذي فطرني لئلا يقف الواقف على مالي ويبتدىء بلا اعبد ولا أرى في موضع نصب على الحال. أم كان من الغائبين أم منقطعة التقدير بل أهو من الغائبين وكان بمعنى يكون واللام في لأعذبنّه جواب قسم مقدر أي والله لأعذبّنه غير بعيد منصوب لأنه صفة ظرف أو صفة مصدر تقديره فمكث وقتاً غير بعيد أو مكثا غير بعيد ويسجدون في موضع نصب على الحال من وجدت .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن سليمان فقال **﴿وتفقّد الطير﴾** أي طلبه عند غيبته **﴿فقال مالي لا أرى الهدهد﴾** أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب مالي أراك كئيباً ومعناه مالك

---

(١) قوله أسلمي أمر من السلامة وهي البراءة من العيوب المنادى محذوف تقديره « يا درامية أسلمي » وقوله « يا دارمي » تأكيد للمنادى الأول ومي » مرخم مية محبوبته وورد ذكرها كثيراً في شعر ذي الرمة. والبلى الاندراس. والانهلال انصباب المطر بشدة. والجرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئاً. والقطر المطر .

(٢) وفي رواية « بني بكر » .

(٣) أي ولو كان بين قبيلتي وقبيلتك عداوة .

ولكنّه من القلب الذي يوضح المعنى واختلف في سبب تفقده الهدهد فقيل انه احتاج اليه في سفره ليدلّه على الماء لأنه يقال انه يرى الماء في بطن الأرض كما يراه في القارورة عن ابن عباس وروى العياشي بالاسناد قال قال أبو حنيفة لأبي عبد الله (ع كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى احدكم الدهن في القارورة فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك قال أبو عبد الله (ع ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال وكيف ذلك قال الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يؤخذ بعنقه قال أبو عبد الله (ع يا نعمان أما عملت انه إذا نزل القدر أغشى البصر وقيل إنما تفقده لاخلاله بنوبته عن وهب وقيل كانت الطيور تظلّه من الشمس فلما أخلَّ الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه ﴿أم كان من الغائبين﴾ معناه أتأخر عصياناً أم غاب لعذر وحاجة قال المبرد لما تفقّد سليمان الطير ولم ير الهدهد قال مالي لا أرى الهدهد على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال أم كان من الغائبين أي بل أكان من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول واستفهم عن حاله وغيبته ثم أوعده على غيبته فقال ﴿لأعذبنّه عذاباً شديداً﴾ معناه لأعذبنّه بنتف ريشه والقائه في الشمس عن ابن عباس وقتادة ومجاهد جاهد وقيل بأن أجعله بين أضداده وكما صحَّ نطق الطير وتكليفه في زمانه معجزة له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنه كان مأموراً بطاعته فاستحق العقاب على غيبته ﴿أو لأذبحنّه﴾ أي لأقطعن حلقه عقوبة على عصيانه ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ أي بحجة واضحة تكون له عذراً في الغيبة ﴿فمكث غير بعيد﴾ أي فلم يلبث سليمان إلا زماناً يسيراً حتى جاء الهدهد وقيل معناه فلبث الهدهد في غيبته قليلاً ثم رجع وعلى هذا فيجوز أن يكون التقدير فمكث في مكان غير بعيد قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجة ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطَّلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك بأمر لم يخبرك به ولم يعلم به الانس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ أي بخبر صادق وعلم الإحاطة وهو أن يعلم الشيء من جميع جهاته التي يمكن أن يعلم عليها تشبيهاً بالسور المحيط بما فيه وفي الكلام حذف تقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سبب غيبته فقال احطت بما لم تحط به وفي هذا دلالة على أنه يجوز أن يكون في زمن الأنبياء من يعرف ما لا يعرفونه وسبأ مدينة بأرض اليمن عن قتادة وقيل ان الله تعالى بعث إلى سبأ اثني عشر نبياً عن السدي وروى علقمة بن وعلة عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامَنَ منهم ستة وتشأم أربعة فالذين تشأموا لخم وجذام وغسان وعاملة والذين تيامنوا كنده والاشعرون والازد ومذحج وحمير

وانمار ومن الانمار خثعم وبجيلة **﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾** أي تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد **﴿وأوتيت من كل شيء﴾** وهذا اختار عن سعة ملكها أي من كل شيء من الأموال وما يحتاج إليه الملوك من زينة الدنيا وقال الحسن وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقيل شرحبيل ولدها أربعون ملكاً آخرهم أبوها [ شرحبيل ][1] قال قتادة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر قيلاً[2] كل قيل منهم تحت رايته ألف مقاتل **﴿ولها عرش عظيم﴾** أي سرير اعظم من سريرك وكان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وعليه سبعة أبيات عل كل بيت باب مغلق وعن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في الهواء ثلاثون ذراعاً وقال أبو مسلم المراد بالعرش الملك **﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾** أي عبادتهم للشمس من دون الله **﴿فصدَّهم عن السبيل﴾** أي صرفهم عن سبيل الحق **﴿فهم لا يهتدون﴾** قال الجبائي لم يكن الهدهد عارفاً بالله تعالى وانما أخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلا على الملائكة والانس والجن فيرانا الصبي على عبادة الله فيتصوران ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له ان ما خالف فعل سليمان باطل وهذا الذي ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنه لا يجوز أن يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدها حسن والآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه وما لا يجوز أن يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدها حسن والأخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه وبمزا يجوز عليه وما لا يجوز هذا مع نسبة تزين أعمالهم وصعّهم عن طريق الحق إلى الشيطان وهذا مقالة من يعرف العدل وان القبيح غير جائز على الله سبحانه **﴿ألا يسجدوا لله﴾** قد بيَّنا ان التخفيف إنما هو على معنى الامر بالسجود ودخلت الياء للتنبيه او على تقدير الايا قوم اسجدوالله وقيل انه امر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض في الكلام وقيل انه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله وقاله لسليمان عند عوده اليه استنكاراً لما وجدهم عليه والقراءة بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا لله وذكر الفراء ان القراءة بالتشديد لا توجب سجدة التلاوة وهذا غير صحيح لأن الكلام قد تضمَّن الذم على ترك السجود فيه دلالة على وجوب السجود وهو كقوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الآية **﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾**

---

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين وكذا في نسخة البحار . (٢) القيل الرئيس .

الخبء المخبوء وهو ما أحاط به غيره حتى منع من ادراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته أخبؤه خبأً وما يوجده الله تعالى فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب وهو كل ما غاب عن الادراك فالمعنى يعلم غيب السماوات والأرض عن عكرمة ومجاهد وقيل ان خبء السماوات المطر وخبء الأرض النبات والاشجار عن ابن زيد **﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾** أي يعلم السر والعلانية **﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾** إلى ها هنا تمام الحكاية لما قاله الهدهد ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله تعالى والعرش سرير الملك الذي عظمه الله ورفعه فوق السماوات السبع وجعل الملائكة تحفّ به وترفع أعمال العباد اليه وتنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى وهو أعظم خلق الله تعالى .

﴿ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس الا تغلوا بالغين المعجمة من الغلو .

[ **المعنى** ] ولما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد في تأخّره **﴿قال﴾** عند ذلك **﴿سننظر أصدقت﴾** في قولك الذي أخبرتنا به **﴿أم كنت من الكاذبين﴾** وهذا ألطف وألين في الخطاب من أن يقول أم كذبت لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل إليهم وقد يكون منهم بالقرابة تكون بينه وبينهم وقد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إليه فذلك قوله **﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾** يعني إلى أهل سبأ **﴿ثم تول عنهم﴾** أي استتر منهم قريباً بعد القاء الكتاب إليهم فانظر ماذا يرجعون عن وهب بن منبه وغيره وقيل انه على التقديم والتأخير **﴿فانظر ماذا يرجعون﴾** أي ماذا يردون من الجواب ثم تول عنهم لأن

التولي عنهم بعد الجواب عن مقاتل وابن زيد والجبائي وأبي مسلم والأول أوجه لأن الكلام إذا صحَّ من غير تقديم وتأخير كان أولى وفي الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب وألقاه إليهم فلما رأته بلقيس ﴿**قالت**﴾ لقومها ﴿**يا أيها الملأ**﴾ أي الاشراف ﴿**إني ألقي إلي كتاب كريم**﴾ قال قتادة أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وقيل كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عندما تطلع فيها فإذا نظرت إليها سجدت فجاء الهدهد الى الكوة فسدَّها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب إليها عن وهب وابن زيد فلما أخذت الكتاب جمعت الاشراف وهم يومئذ ثلاثمائة واثنا عشر قَيْلا ثم قالت لهم اني ألقي الي كتاب كريم سمته كريما لأنه كان مختوماً عن ابن عباس ويؤيده الحديث اكرام الكتاب ختمه وقيل وصفته بالكريم لأنه صدره ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل لحُسْن خطه وجودة لفظه وبيانه وقيل لأنه كان ممن يملك الانس والجن والطير وقد كانت سمعت بخبر سليمان فسمته كريماً لأنه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه ﴿**انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ معناه ان الكتاب من سليمان وان المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم سليمان (ع) ولم تعرفه هي ولا قومها وقيل ان هذا حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية وان لم تقل هي بهذا اللفظ والحكاية على ثلاثة أوجه حكاية على المعنى فقط وحكاية على اللفظ فقط ممن حكاه من غير ان يعلم معناه وحكاية على اللفظ والمعنى وهو الأصل في الحكاية التي لا يجوز العدول عنها إلا بقرينة وموضع ﴿**ألا تعلو**﴾ يجوز ان يكون رفعاً بالبدل من كتاب ويجوز ان يكون نصباً على معنى بأن لا تعلوا والصحيح أنَّ أنْ في مثل هذا الموضع بمعنى أي على ما قاله سيبويه في نحو قوله ﴿**وانطلق الملأ منهم ان امشوا**﴾ أي امشوا ومعناه لا ترفعوا ولا تتكبروا ﴿**عليَّ وأتوني مسلمين**﴾ أي منقادين طائعين لأمري فيما أدعوكم وقيل مسلمين مؤمنين بالله تعالى ورسوله مخلصين في التوحيد قال قتادة وكذا كانت الأنبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط .

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾

قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا

تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ

أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ
أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ
تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا
وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة ويعقوب أتمدوني بنون واحدة مشددة على الادغام والباقون بنونين مظهرين .

[ **الإعراب** ] حتى تشهدون انتصب تشهدون باضمار ان والنون فيه نون عماد فلما جاء سليمان فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع إلى مفعول مرسلة المحذوف لأن تقديره اني مرسلة رسولاً اذلة نصب على الحال وهم صاغرون جملة في موضع الحال معطوفة على أذلة .

[ **المعنى** ] ولما وقفت بلقيس على كتاب سليمان ﴿**قالت**﴾ لأشراف قومها ﴿**يا أيها الملأ افتوني في أمري**﴾ أي أشيروا عليَّ بالصواب والفتيا والفتوى الحكم بما فيه صواب بدلاً من الخطأ وهو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا ﴿**ما كنت قاطعة أمراً**﴾ أي ما كنت ممضية أمراً ﴿**حتى تشهدون**﴾ أي تحضروني تريد الا بحضرتكم ومشورتكم وهذا ملاطفة منها لقومها في الاستشارة منهم لما تعمل عليه ﴿**قالوا**﴾ لها في الجواب عن ذلك ﴿**نحن أولوا قوة**﴾ أي أصحاب قوة وقدرة وأهل عدد ﴿ **وأولو بأس شديد** ﴾ أي وأصحاب شجاعة شديدة ﴿ **والأمر إليك** ﴾ أي أن الأمر مفوّض إليك في القتال وتركه ﴿**فانظري ماذا تأمرين**﴾ أي ما الذي تأمريننا به لنمتثله فإن أمرت بالصلح صالحنا وان أمرت بالقتال قاتلنا ﴿**قالت**﴾ مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ﴿**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها**﴾ أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة اهلكوها وخربوها ﴿**وجعلوا أعزة أهلها أذلة**﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر والمعنى انها حذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت فقال ﴿**وكذلك**﴾ أي وكما قالت

هي ﴿يفعلون﴾ وقيل ان الكلام متصل بعضه ببعض وكذلك يفعلون من قولها ﴿وإني مرسلة اليهم﴾ أي إلى سليمان وقومه ﴿بهدية﴾ أصانعه بذلك عن ملكي ﴿فناظرة﴾ أي فمنتظرة ﴿بم يرجع المرسلون﴾ بقبول أم رد وإنما فعلت ذلك لأنها عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهدايا عندهم وكان غرضها ان يتبين لها بذلك انه ملك أو نبي فإن قبل الهدية تبيّن انه ملك وعندها ما يرضيه وان ردها تبين أنه نبي واختلف في الهدية فقيل اهدت إليه وصفاء ووصايف ألبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف ذكر من أنثى عن ابن عباس وقيل أهدت مائتي غلام ومائتي جارية ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري ألبسة الغلمان عن مجاهد وقيل أهدت له صفائح الذهب في أوعية من الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق فلما جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان فلما رأوا ذلك صغر في أعينهم ما جاؤوا به عن ثابت اليماني وقيل انها عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الاقبية والمناطق وألبست الغلمان في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلاً من أشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمّت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت إليه كتاباً بنسخة الهدية قالت فيها ان كنت نبياً فميّز بين الوصفاء والوصايف وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها وأثقب الدرة ثقباً مستوياً وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه فإن نظر إليك نظرة غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنّك امره فإنا أعزُّ منه وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان

تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر اليهم نظراً حسناً بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فأتي بها وحركها وجاءه جبرائيل (ع فأخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميَّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم ان يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كان يأخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صباً والغلام يحدر الماء على يده حدراً فميَّز بينهما بذلك هذا كله مروي عن وهب وغيره وقيل انها انفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير وقالت أريد ان تعرفني رأسها من أسفلها وبقدح ماء وقالت تملأها ماء رواء ليس من الأرض ولا من السماء فأرسل سليمان العصا إلى الهواء وقال أي الرأسين سبق إلى الأرض فهو أسفلها وأمر الخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال ليس هذا من ماء الأرض ولا من ماء السماء **﴿فلما جاء سليمان﴾** أي فلمّا جاء الرسول سليمان **﴿قال أتمدُّونني بمال﴾** أي تزيدونني مالاً وهذا استفهام انكار يعني أنه لا يحتاج إلى مالهم **﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾** أي ما أعطاني الله من الملك والنبوة والحكمة خير مما أعطاكم من الدنيا وأموالها **﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾** إذا هدى بعضكم الى بعض وأما أنا فلا أفرح بها أشار إلى قلة اكتراثه بأموال الدنيا ثم قال (ع ) للرسول **﴿ارجع اليهم﴾** بما جئت من الهدايا **﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾** أي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها **﴿ولنخرجنهم منها أذلة﴾** أي من تلك القرية ومن تلك المملكة وقيل من أرضها وملكها **﴿وهم صاغرون﴾** أي ذليلون صغيرو القدر ان لم يأتوني مسلمين فلما ردَّ سليمان الهدية وميَّز بين الغلمان والجواري الى غير ذلك علموا انه نبي مرسل وانه ليس كالملوك الذين يغترون بالمال .

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ

لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا
عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن
قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ
مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة أبي رجاء وعيسى الثقفي عفرية .

[ الحجة ] والمعنى معنى العفريت يقال رجل عفرية نفرية أي خبيث داه قال ذو الرمة

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ في إِثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ في سَوادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ(١)

وأصل العفريت والعفرية من العفر وهو التراب لأنه يصرع قرنه في العفر ومنه قيل للاسد عفرني وللناقة الشديدة عفرناة قال الأعشى

(١) قوله مسوم أي معلم بعلامة. ومنقضب اي منقض من مكانه يصف ثوراً وحشياً .

بِـذاتِ لـوثٍ عَـفَـرْنَـاةٍ إذا عَـثَـرَتْ فَـالتَّعْسُ أدْنَـى لَهَـا مِنْ أَنْ يُقَـال لَعـا[١]

[ اللغة ] التنكير تغيير الشيء من حال إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآه والصرح القصر وكل بناء مشرف صرح وصرحة الدار وساحتها وقارعتها وصحنها وأصله من الوضوح يقال صرح بالأمر أي كشفه وأوضحه وصرَّح بالتشديد لازم ومتعدٍّ واللجة معظم الماء والجمع لجج ولج البحر خلاف الساحل ومنه لج بالأمر إذا بالغ بالدخول فيه والممرَّد المملس ومنه الأمرد وشجرة مرداء أي ملساء لا ورق عليها والمارد المتملس عن الحق الخارج منه .

[ المعنى ] فلما رجع إليها الرسول وعرفت أنه نبيّ وأنها لا تقاومه فتجهزّت للمسير إليه وأخبر جبرائيل سليمان ( ع ) إنها خرجت من اليمن مقبلة إليه ﴿ فقال ﴾ سليمان لأماثل جنده وأشراف عسكره ﴿ يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ واختلف في السبب الذي خصَّ به العرش بالطلب على أقوال ( أحدها ) أنه أعجبته صفته فأراد أن يراه وظهر له آثار إسلامها فأحبَّ أن يملك عرشها قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذ مالها عن قتادة ( وثانيها ) أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها ويختبر هل تعرفه أو تنكره عن ابن زيد وقيل أراد أن يجعل ذلك دليلاً ومعجزة على صدقه ونبوته لأنها خلفته في دارها وأوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه عن وهب وقال ابن عباس كان سليمان رجلاً مهيباً لايبتدىء بالكلام حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوماً فجلس على سريره فرأى رهجاً[٢] قريباً منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس يا رسول الله وقد نزلت منا بهذا المكان وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ فقال أيكم يأتيني بعرشها . وقوله مسلمين فيه وجهان ( أحدهما ) أنه أراد مؤمنين موحدين ( والآخر ) مستسلمين منقادين على ما مرَّ بيانه ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ أي مارد قوي داهية عن ابن عباس ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي من مجلسك الذي تقضي فيه عن قتادة ﴿ وأني عليه لقوي أمين ﴾ أي وأني على حمله لقويّ وعلى الإتيان به في هذه المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر أمين وفي هذا دلالة على أن القدرة قبل الفعل لأنه أخبر بأنه قوي عليه قبل أن يجيء به وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار فقال سليمان أريد أسرعَ من ذلك فعند ذلك ﴿ قال الذي عنده علم

---

(١) اللوث القوة والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول تعساً له، وان كان بليداً كان دعائهم له إذا عثر لعاً لك .

(٢) أي غباراً .

من الكتاب ﴾ وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن أخته وكان صديقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب عن ابن عباس وقيل إن ذلك الإسم الله والذي يليه الرحمن وقيل هو يا حي يا قيوم وبالعبرانية أهيا شر اهيا[1] وقيل هو يا ذا الجلال والإكرام عن مجاهد وقيل أنه قال يا إلٰهنا وإلٰه كل شيء إلٰهاً واحداً لا إلٰه إلا أنت عن الزهري وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب كان رجلاً من الإنس يعلم إسم الله الأعظم إسمه بلخيأ عن مجاهد وقيل إسمه أسطوم عن قتادة وقيل الخضر ( ع ) عن أبي لهيعة وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب هو جبرائيل ( ع ) أذن الله له في طاعة سليمان ( ع ) بأن يأتيه بالعرش الذي طلبه وقال الجبائي هو سليمان قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه وهذا قول بعيد لم يؤثر عن أهل التفسير وأما الكتاب المعرف في الآية بالألف واللام فقيل إنه اللوح المحفوظ وقيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه وليس المراد به كتاباً بعينه والجنس قد يعرف بالألف واللام وقيل إن المراد به كتاب سليمان إلى بلقيس﴿ **إنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ إختلف في معناه فقيل يريد قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مدّ البصر عن قتادة وقيل معناه قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع إليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان أنظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يرتدّ إليك طرفك بعد مدّه إلى السماء وقيل إرتداد الطرف إدامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئاً عن مجاهد فعلى هذا معناه أن سليمان مدّ بصره إلى أقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب بصره إليه حسيراً يكون قد أتى بالعرش قال الكلبي خرَّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان وذكر العلماء في ذلك وجوهاً ( أحدها ) أن الملائكة حملته بأمر الله تعالى ( والثاني ) أن الريح حملته ( والثالث ) أن الله تعالى خلق فيه حركات متوالية ( والرابع ) أنه إنخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان ( والخامس ) إن الأرض طويت له وهو المروي عن أبي عبد الله ( ع ) ( والسادس ) أنه أعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان وهذا لا يصحّ على مذهب أبي هاشم ويصحّ على مذهب أبي علي الجبائي فإنه يجوز فناء بعض الأجسام دون بعض وفي الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له إفعل فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقراً عنده ﴿ **فلما رآه مستقراً عنده** ﴾ أي فلما رأى سليمان العرش محمولاً إليه موضوعاً بين يديه في مقدار رجع البصر ﴿ **قال هذا**

---

(١) كذا في الأصل والمخطوطتين وفي نسخة مطبوعة « اهى اشراهى » واستظهر في هامش نسخة البحار أن الصحيح « اهيه اشراهيه » وقال اهيه بمعنى واجب الوجود وقيل معنى الجملة : الوجود الذي هو موجود .

**من فضل ربي** ﴾ أي من نعمته عليَّ وإحسانه لديَّ لأن تيسير ذلك وتسخيره مع صعوبته وتعذره معجزة له ودلالة على علوّ قدره وجلالته وشرف منزلته عند الله تعالى ﴿ **ليبلوني أأشكر أم أكفر** ﴾ أي ليختبرني هل أقوم بشكر هذه النعمة أم أكفر بها ﴿ **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه** ﴾ لأن عائدة شكره ومنفعته ترجعان إليه وتخصانه دون غيره وهذا مثل قوله ﴿ **إن أحسنتم** ﴾ أحسنتم لأنفسكم ﴿ **ومن كفر فإن ربي غني** ﴾ عن شكر العباد غير محتاج إليه بل هم المحتاجون إليه لما لهم فيه من الثواب والأجر ﴿ **كريم** ﴾ أي متفضل على عباده شاكرهم وكافرهم عاصيهم ومطيعهم لا يمنعه كفرهم وعصيانهم من الإفضال عليهم والإحسان إليهم ﴿ **قال** ﴾ سليمان ﴿ **نكّروا لها عرشها** ﴾ أي غيّروا سريرها إلى حال تنكرها إذا رأته وأراد بذلك إعتبار عقلها على ما قيل ﴿ **ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون** ﴾ أي أتهتدي إلى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير أم لا تهتدي إلى ذلك عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل أتهتدي أي أتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الإيمان والتوحيد أم لا عن الجبائي قال ابن عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر وقال مجاهد غير ما كان أحمر فجعله أخضر وما كان أخضر فجعله أحمر وقال عكرمة زيد فيه شيء ونقص منه شيء ﴿ **فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قال كأنه هو** ﴾ فلم تثبته ولم تنكره ودلَّ ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا إذ كان يشبه سريرها لأنها وجدت فيه ما تعرفه ولم تقل نعم إذ وجدت فيه ما غيّر وبدّل ولأنها خلّفته في بيتها وحمله في تلك المدة إلى ذلك الموضع غير داخل في قدرة البشر قال مقاتل عرفته ولكن شبهوا عليها حين قالوا لها أهكذا عرشك فشبهت حين قالت كأنه هو ولو قيل لها هذا عرشك لقالت نعم قال عكرمة كانت حكيمة قالت إن قلت هو هو خشيت أن أكذّب وإن قلت لا خشيت أن أكذب فقالت كأنه هو شبهته به فقيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقالت ﴿ **وأوتينا العلم** ﴾ بصحة نبوة سليمان ﴿ **من قبلها** ﴾ أي من قبل الآية في العرش ﴿ **وكنا مسلمين** ﴾ طائعين لأمر سليمان وقيل إنه من كلام سليمان عن مجاهد ومعناه وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرة وكنا مخلصين لله بالتوحيد وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها وقيل إنه من كلام قوم سليمان عن الجبائي ﴿ **وصدَّها ما كانت تعبد من دون الله** ﴾ أي منعها عبادة الشمس عن الإيمان بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزة عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصولة مرفوعة الموضع بأنها فاعلة صدَّ وقيل معناه وصدَّها سليمان عمّا كانت تعبده من دون الله وحال بينها وبينه ومنعها عنه فعلى هذا يكون ما في موضع النصب وقيل معناه منعها الإيمان والتوحيد الذي كانت تعبده من دون

الله وهو الشمس ثم إستأنف فقال ﴿ **إنها كانت من قوم كافرين** ﴾ أي من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف إلا عبادة الشمس ﴿ **قيل لها إدخلي الصرح** ﴾ والصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف وذكر إن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ أمر الشياطين ببناء الصرح وهو كهيئة السطح المنبسط من قوارير أجرى تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً وقال أبو عبيدة كل بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق فهو صرح وإنما أمر سليمان (ع) بالصرح لأنه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة وقيل إن الجن والشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها وذلك أن أمها كانت جنية فأساؤوا الثناء عليها ليزهّدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار فلما إمتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل وقيل أنه ذكر له أن على رجليها شعراً فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلك فاستشار الجن في ذلك فعملوا الحمامات وطبخوا له النورة والزرنيخ وكان أول ما صنعت النورة ﴿ **فلما رأته** ﴾ أي رأت بلقيس الصرح ﴿ **حسبته لجة** ﴾ وهي معظم الماء ﴿ **وكشفت عن ساقيها** ﴾ لدخول الماء وقيل إنها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلا الغرق وأنفت أن تجبن فلا تدخل ولم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقيها ﴿ **قال** ﴾ لها سليمان ﴿ **إنه صرح ممرد** ﴾ أي مملس ﴿ **من قوارير** ﴾ وليس بماء ولما رأت سرير سليمان والصرح ﴿ **قالت ربي إني ظلمت نفسي** ﴾ بالكفر الذي كنت عليه ﴿ **وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ فحسن إسلامها وقيل إنها لما جلست دعاها سليمان إلى الإسلام وكانت قد رأت الآيات والمعجزات فأجابته وأسلمت وقيل إنها لما ظنت أن سليمان يغرقها ثم عرفت حقيقة الأمر قالت ظلمت نفسي إذ توهّمت على سليمان ما توهّمت واختلف في أمرها بعد ذلك فقيل إنه تزوجها سليمان وأقرّها على ملكها وقيل إنه زوّجها من ملك يقال له تبع وردّها إلى أرضها وأمر زوبعة أمير الجن باليمن أن يعمل له ويطيع فصنع له المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدي بها إن قالت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني أنه لا يعلم ذلك وإن آخر ما سمع من حديثها هذا القول وروى العياشي في تفسيره بالإسناد قال إلتقى موسى بن محمد بن علي بن موسى (ع) ويحيى بن أكثم نسأله عن مسائل قال فدخلت على أخي علي بن محمد (ع) بعد أن دار بيني وبينه من المواعظ حتى إنتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك أن ابن أكثم سألني عن مسائل أفتيه فيها فضحك ثم قال فهل

أفتيته فيها قلت لا قال ولم قلت لم أعرفها قال وما هي قلت أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا ثم ذكر المسائل الأخر قال إكتب يا أخي بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه قال الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنَّه (ع) أحبَّ أن تعرف أمته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود ليعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ
تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾
فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم لتبيتُنَّه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولُنَّ بـالتاء

أيضاً وضم اللام والباقون لنبيتنه بالنون وفتح التاء ثم لنقولن أيضاً بالنون وفتح اللام وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسهل وابن عامر إنا دمرناهم بكسر الألف والباقون بفتح الألف وروي عن روح وزيد عن يعقوب بكسر الألف أيضاً .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قوله تقاسموا لا يخلو من أن يراد به مثال الماضي أو مثال الآتي الذي يراد به الأمر فمن أراد به الأمر جعل لنبيتنه جواباً لتقاسموا فكأنه قال حلفوا لنبيتنه لأن هذه الألفاظ التي تكون من ألفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الإيمان كقوله تعالى ﴿ **وأقسموا بالله** ﴾ جهد إيمانهم لئن جاءتهم آية ﴿ **ليؤمنن واقسموا بالله** ﴾ جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت فكذلك ﴿ **تقاسموا بالله لنبيتنه** ﴾ ملقاة باللام والنون الثقيلة وادخل المتكلمون أنفسهم مع المقسمين كما دخلوا في قوله ﴿ **قل تعالوا ندع ابناءنا وأبنائكم** ﴾ ومن قال تقاسموا لنبيتنه أراد ليقسم بعضكم لبعض لنبيتنه فتقاسموا على هذا أمر كما كان فيمن قال لنبيتنه أمراً ومن قال تقاسموا لتبيتنه بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض ولا يجوز مع هذا إلا بالتاء لأن مثال الماضي للغيبة ولتبيتنه للخطاب ومن كسر أنا دمرناهم جاز أن يكون كان في قوله كيف كان عاقبة مكرهم تامة وأن تكون ناقصة فإن جعلتها تامة بمعنى وقع كان قوله كيف كان عاقبة في موضع حال تقديره على أيُّ حال وقع عاقبة مكرهم أي أحسناً وقع عاقبة مكرهم أو سيئاً أو يكون في كيف ضمير من ذي الحال كما إنك إذا قلت في الدار حدث الأمر فجعلته في موضع الحال كان كذلك وحكم كيف على ذا أن يكون متعلقاً بمحذوف كما أنك إذا قلت في الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقراً في هذه الحال فإن جعلته ظرفاً للفعل تعلق بكان الذي بمعنى الحدث وقوله أنا دمرناهم فيمن كسر استئناف وهو تفسير للعاقبة كما أن قوله لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للموعد ومن قرأ انَّا دمرناهم جاز أن يكون كان على ضربيها وإذا حملته على وقع كان كيف في موضع حال وجاز في قوله ﴿ **أنا دمرناهم** ﴾ أمران ( أحدهما ) أن يكون بدلاً من قوله ﴿ **عاقبة مكرهم** ﴾ وجاز أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمر كأنه قال هو أنا دمرناهم أو ذاك أنا دمرناهم فإذا حملتها على المقتضية للخبر جاز في قوله أنا دمرناهم قولان ( أحدهما ) أن يكون بدلاً من اسم كان الذي هو العاقبة فإذا حملته على ذلك كان كيف في موضع خبر كان ( والآخر ) أن يكون خبر كان ويكون موضعه نصباً بأنه خبر كان كأنه كان عاقبة أمرهم تدميرهم ويكون كيف في موضع حال ويجوز أن يكون العامل في كيف أحد شيئين إما أن يكون كان لأنه فعل كما كان العامل في الظرف في قوله ﴿ **أكان للناس** ﴾ عجباً أن أوحينا ألا ترى أنه لا يجوز أن يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين إلا أن تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير في موضع حال فالعامل فيه

على هذا أيضاً كان ويجوز أن يكون العامل فيه ما في الكلام من الدلالة على الفعل لأن قوله أنا دمرناهم بما دلة تدميرنا وتدميرنا يدل على دمَّرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذي دلَّ عليه ما في الكلام من معنى الفعل وزعموا أن في حرف أبي أنْ دمرناهم فهذا يقوي الفتح في أنا .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على قصة سليمان قصة صالح فقال ﴿ **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم** ﴾ في النسب ﴿ **صالحاً إن أعبدوا الله** ﴾ أي أرسلناه بأن أعبدوا الله وحده لا شريك له ﴿ **فإذا هم فريقان يختصمون** ﴾ أي مؤمنون وكافرون يقول كل فريق الحق معي ﴿ **قال** ﴾ صالح للفريق المكذب ﴿ **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة** ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة أي لم قلتم إن كان ما أتينا به حقاً فأتنا بالعذاب وسمى العذاب سيئة لما فيه من الآلام ولأنه جزاء على السيئة لأن السيئة هي الخصلة التي تسوء صاحبها ﴿ **لولا** ﴾ أي هلا ﴿ **تستغفرون الله** ﴾ أي تطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ فلا تعذَّبون في الدنيا ﴿ **قالوا أطّيرنا بك وبمن معك** ﴾ أي تشأمنا بك وبمن على دينك وذلك أنهم قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا أصابنا هذا الشرّ من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿ **قال** ﴾ لهم صالح ﴿ **طائركم عند الله** ﴾ أي الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم وهذا كقوله يطيَّروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ﴿ **بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ أي تختبرون بالخير والشر عن ابن عباس وقيل تعذبون بسوء أعمالكم عن محمد بن كعب وقيل تبتلون وتمتحنون بطاعة الله ومعصيته ﴿ **وكان في المدينة** ﴾ يعني التي بها صالح وهي الحجر ﴿ **تسعة رهط يفسدون في الأرض** ﴾ كانت هذه التسعة النفر من أشرافهم وهم غواة قوم صالح وهم الذين سعوا في عقر الناقة ﴿ **ولا يصلحون** ﴾ أي لا يطيعون الله تعالى وذكر ابن عباس أسماءهم وقال هم قدار بن سالف ومصدع ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم وأسلم وقتال وصداف ﴿ **قالوا تقاسموا بالله** ﴾ أي قالوا فيما بينهم احلفوا بالله ﴿ **لنبيتنه** ﴾ أي لنقتلن صالحاً ﴿ **وأهله** ﴾ بياتاً ومن قرأ بالنون فكأنهم قالوا أقسموا لنفعلن والأمر بالقسم في القراءتين داخل في الفعل منهم ﴿ **ثم لنقولن لوليه** ﴾ أي لذي رحم صالح أن سألنا عنه ﴿ **ما شهدنا مهلك أهله** ﴾ أي ما قتلناه وما ندري من قتله وأهلكه وقد ذكرنا إختلاف القرّاء فيه في سورة الكهف ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ في هذا القول قال الزجاج كان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله ثم ينكروا عند أوليائه أن يكونوا فعلوا ذلك أو رأوه وكان هذا مكراً عزموا عليه قال الله تعالى ﴿ **ومكروا مكراً ومكرنا مكراً** ﴾ أي جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ بمكر الله بهم فإنهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر

حتى قتلوهم وسلم صالح من مكرهم عن ابن عباس وقيل إن الله أمر صالحاً بالخروج من بينهم ثم استأصلهم بالعذاب وقيل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا صالحاً فخرّ عليهم الجبل عن مقاتل ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم** ﴾ أي أهلكناهم بما ذكرناه من العذاب ﴿ **وقومهم أجمعين** ﴾ بصيحة جبرائيل ﴿ **فتلك بيوتهم** ﴾أشار إلى بيوتهم والمعنى فانظر إليها ﴿ **خاوية** ﴾ نصب على الحال أي فارغة خالية ﴿ **بما ظلموا** ﴾ أي بظلمهم وشركهم بالله تعالى ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي في إهلاكهم ﴿ **لآية لقوم يعلمون** ﴾ أي لعبرة لمن نظر إليها واعتبر بها وفي هذه الآية دلالة على أن الظلم يعقب خراب الدور وروي عن ابن عباس أنه قال أجد في كتاب الله أن الظلم يخرب البيوت وتلا هذه الآية وقيل إن هذه البيوت بوادي القرى بين المدينة والشام ﴿ **وأنجينا الذين آمنوا** ﴾ به ﴿ **وكانوا يتقون** ﴾ قالوا أنهم أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وسمي حضرموت لأن صالحاً لما دخلها مات .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة وعاصم يشركون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب وفي الشواذ قراءة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع .

[ **الحجة** ] الأولى أن يكون جواب قومه خبر كان والاسم قوله ﴿ **إن قالوا** ﴾ لشبه إن

بالمضمر من حيث كانت لا توصف والمضمر أعرف من المظهر وقد تقدم القول في هذا .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه قصة لوط عاطفاً بها على ما تقدَّم فقال ﴿ **ولوطاً** ﴾ أي وأرسلنا لوطاً ﴿ **إذ قال لقومه** ﴾ منكراً عليهم أفعالهم ﴿ **أتأتون الفاحشة** ﴾ يعني الخصلة القبيحة الشنيعة الظاهرة القبح وهي إتيان الذكران في أدبارهم ﴿ **وأنتم تبصرون** ﴾ أي تعلمون أنها فاحشة وقيل معناه وأنتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بيَّن سبحانه الفاحشة التي يأتونها فقال ﴿ **إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء** ﴾ اللاتي خلقهن الله لكم ﴿ **بل أنتم قوم تجهلون** ﴾ أي تفعلون أفعال الجهال قال ابن عباس تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم أنهم أناس يتطهرون** ﴾ عن إتيان الرجال في إدبارهم ﴿ **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها** ﴾ أي جعلناها ﴿ **من الغابرين** ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ **وأمطرنا عليهم مطراً** ﴾ وهو الحجارة ﴿ **فساء مطر المنذرين** ﴾ **الذين ابلغهم لوط النذارة واعلمهم بموضع المخافة ليتَّقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيّه** ﷺ ﴿ **قل** ﴾ **يا محمد** ﴿ **الحمد لله** ﴾ **شكراً على نعمه بأن وفَّقنا للإيمان وقيل الحمد لله على هلاك الأمم الكافرة** ﴿ **وسلام على عباده الذين اصطفى** ﴾ أي اصطفاهم **الله واجتباهم واختارهم على بريته وهم الأنبياء عن مقاتل وقيل هم أصحاب محمد** ﷺ **عن ابن عباس والحسن وقيل هم أمة محمد** ﷺ **ومعنى السلام عليهم انهم سلموا مما عذَّب الله به الكفار عن الكلبي وقيل هم آل محمد** ﷺ **عن علي بن إبراهيم ثم قال سبحانه مخاطباً للمشركين** ﴿ **الله خير أما يشركون** ﴾ **يا أهل مكة يعني الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها وهذا الزام للحجة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار والمعنى ان الله تعالى نجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب وانما قال ذلك لأنهم توهموا في عبادة الأصنام خيراً .**

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا

رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا
بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

**[ القراءة ] قرأ ابو عمرو وهشام ما يذكرون بالياء والباقون بالتاء والوجه فيهما ظاهر .**

**[ اللغة ]** الحديقة البستان الذي عليه حائط وكل ما أحاط به البناء فهو حديقة وقيل الحديقة البستان الذي فيه النخل والقرار المكان المطمئن الذي يستقرُّ فيه الماء ويقال للروضة المنخفضة قرارة ومنه حديث ابن عباس قال علمي في علم علي ( ع ) كالقرارة في المثعنجر أي كالغدير في البحر والبرهان البيان بحجة .

**[ الاعراب ]** أمن استفهام في محل الرفع على الابتداء وخبره خلق وقرارا نصب على الحال لأن جعل بمعنى خلق وان كان بمعنى صير فهو مفعول ثان له أإله مع الله مبتدأ وخبر تقديره أإله ثبت مع الله وإنما جاز ان تكون النكرة مبتدأ لأنه استفهام ويجوز ان يكون خبر المبتدأ محذوفاً أو يكون تقديره أإله في الوجود مع الله قليلاً ما تذكرون صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكراً قليلاً وما مزيدة وبشراً نصب على الحال وبين يدي رحمته ظرف منه

ايان في محل نصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه يبعثون .

[ **المعنى** ] ثم عدَّد سبحانه الدلائل على توحيده ونعمه الشاملة لعبيده فقال ﴿**أمن خلق السموات والأرض**﴾ وتقديره اما تشركون خير أم من خلق السموات والأرض أي أنشأهما واخترعهما ﴿**وانزل لكم من السماء ماء**﴾ أي غيثاً ومطراً لكم أي لمنافعكم ولأجل معاشكم عرَّفهم سبحانه ان غيره لا يقدر على ذلك ﴿**فأنبتنا به حدائق**﴾ أي رياضاً وبساتين وما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقة ﴿**ذات بهجة**﴾ أي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل ذوات بهجة لأنه أراد تأنيث الجماعة ولو اراد تأنيث الاعيان لقال ذوات وقال الشاعر :

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفَرْتَ بِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذاتُ أَطْهارِ(١)

﴿**ما كان لكم ان تنبتوا شجرها**﴾ ما هنا للنفي أي لم يكونوا يقدرون على انبات شجرها ﴿**أإلّه مع الله**﴾ وهذا استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه اعانه على صنعه ﴿**بل**﴾ ليس معه إلّه ﴿**هم قوم يعدلون**﴾ يشركون بالله غيره يعني كفار مكة ﴿**أمن جعل الأرض قراراً**﴾ أي مستقرة لا تميل ولا تميد بأهلها ﴿**وجعل خلالها أنهاراً**﴾ أي وجعل وسط الأرض وفي مسالكها ونواحيها أنهاراً جارية ينبت بها الزرع ويحيا بها الخلق ﴿**وجعل لها رواسي**﴾ أي جبالاً ثوابت أثبت بها الأرض ﴿**وجعل بين البحرين حاجزاً**﴾ أي مانعاً من قدرته بين العذاب والملح فلا يختلط احدهما بالآخر ﴿**أإلّه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ توحيد ربهم وكمال قدرته وسلطانه ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾ أي يجيب المكروب المجهود فيكشف ضرَّه وكربه وأجابة دعاء المضطر هي فعل ما يدعو به وهذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها ورأس المضطرين المذنب الذي يدعوه ويسأله المغفرة ومنهم الخائف الذي يسأله الأمن والمريض الذي يطلب العافية والمحبوس الذي يطلب الخلاص فإن الكل إذا ضاق بهم الأمر فزعوا إلى رب العالمين وأكرم الاكرمين وإنما خصَّ المضطر وان كان قد يجيب غير المضطر لأن رغبته أقوى وسؤاله اخضع ﴿**ويكشف السوء**﴾ أي يدفع الشدة وكل ما يسوء ﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾ يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله فيهلك قرناً وينشىء قرناً وقيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم وطاعة الله تعالى بعد شركهم

(١) قيل انالشعر لسموأل بن عاديا يضرب به المثل في الوفاء وكانت عنده دورع أمانة . فطلب منه رجل فأبى فأخذ الرجل ابنه وهدده بقتله ان لم يسلم الدروع ، والبيت يشير الى ذلك ويقول ان ظفرت بابني وقتلته فسوف يخلفني ربي ابناء اخرى من نساء بيض ذات اطهار.

وعنادهم ﴿أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ أي قليلاً ما تتعظون عن ابن عباس ومن قرأ بالياء فالمعنى قليلاً ما يتذكر هؤلاء المشركون ﴿أمَّن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ أي أما تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد والسمت في البر والبحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب والقمر وإذا ظللتم وهو كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ قد مضى تفسيره ووجوه القراآت فيه[1] ﴿أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ أي جلَّ وتنزَّه عن الشريك كما يزعمه المشركون ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ بأن يخترعه ويوجده وينشئه على غير مثال واحتذاء ثم يميته ويفنيه ﴿ثم يعيده﴾ بعد الإفناء وإنما قال ذلك لأنهم أقرُّوا بأنه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث ان من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ بانزال المطر وباخراج الثمار والنبات ﴿أإله مع الله﴾ يقدر على ذلك ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ ان لي شريكاً صنع شيئاً من هذه الأشياء فإذا لم يقدروا على اقامة البرهان على ذلك فاعلموا انه لا إله معي ولا يستحق العبادة سواي ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لا يعلم من في السموات والأرض﴾ من الملائكة والانس والجن ﴿الغيب﴾ وهو ما غاب علمه عن الخلق مما يكون في المستقبل ﴿إلا الله﴾ وحده أو من اعلمه الله تعالى ﴿وما يشعرون ايان يبعثون﴾ أي متى يحشرون يوم القيامة دلَّ سبحانه بهذه الآية كما دلَّ بما تقدَّمها على قدرته.

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ
هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ
أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى
ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

(١) اي في سورة الاعراف. راجع ٢

صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة وأبو جعفر وابن كثير بَلْ أُدْرَكَ بقطع الالف وسكون اللام والدال وقرأ الشموني عن ابي بكر بَل إدَّرَكَ موصولة الالف مشدَّدة الدال بلا الف بعدها والباقون بل ادّارك وفي الشواذ قراءة سليمان بن يسار وعطاء بن يسار بَلَ دْرَكَ بفتح اللام ولا همزة ولا الف وقراءة الحسن وابي رجاء وابن محيصن وقتادة بَلْ آدَّرَكَ وقراءة ابن عباس بلى بياء ادرك وقراءة أبي بل تدارك وقرأ أهل المدينة إذا كنا تراباً بكسر الألف آنا لمخرجون بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة عن أبي جعفر وقالون وغيره ممدودة عن ورش وإسماعيل وقرأ ابن عامر والكسائي أإذا بهمزتين اننا بنونين وقرأ ابن كثير ويعقوب أذا أنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ أبو عمرو آذا آنّا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف أإذا أإنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزتين همزتين وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد والباقون بفتحها .

[ **الحجة** ] قال ابو علي ان علم قد يصل بالجار كقوله تعالى الم يعلم بأن الله يرى وقولهم علمي بزيد يوم الجمعة ومعنى أدرك بلغ ولحق يقال فلان أدرك الحسن أي لحق ايامه وهذا ما ادركه علمي اي بلغه فالمعنى انهم لم يدركوا علم الآخرة اي لم يعلموا حدوثها وكونها ودلَّ على ذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون أي بل هم من علمها عمون وإذا كان كذلك كان معنى قوله في الآخرة معنى الباء أي لم يدركوا علمها ولم ينظروا في حقيقتها فيدركوا ولهذا قرأ من قرأ أدْرك كأنه أراد لم يدركوه كما تقول أجئتني أمس أي لم تجئني والمعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم في شك منها بل هم من علمها عمون والعمى عن علم الشيء أبعد منه من الشاك فيه لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر والعمى عن الشيء الذي لم يدرك منه شيئاً وأما من قال إدَّارَك فإنه أراد تدارك فأدغم التاء في الدال لمقاربتها لها

وكونها من حيزها فلما سكتت التاء للادغام اجتلبت لها همزة الوصل كما اجتلبتها في نحو ادّارأتم وفي التنزيل حتى اذا ادّاركوا فيها كان معناها تلاحقوا قال (تَدْارَكْتُم الأَحْلافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُها)(١) وما روي عن أبي بكر بَل إدّرك معناه افتعـل من ادَّركت وافتعل وتفـاعل يجيـآن بمعنى ومن ثم صحَّ قولهم ازدوجوا وان كان الحرف علي صورة يجب فيها الانقلاب ولكنه صحَّ لما كان بمعنى تفاعلوا وتفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العلة لسكون الحرف الذي قبل حرف العلة فصار تصحيح هذا كتصحيح عَوِرَ وحَوِلَ لما كان بمعنى إعْوَرَّ وإحْوَلَّ ومن قرأ بَلَ دْرَكَ فإنه خفف الهمزة بحذفها والقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها نحـو قَدَ فْلَحَ في قَـدْ أَفْلح واما قوله بل ءآدَّرَك فإن بل استئناف وما بعدها استفهام كما تقول ازيد عندك بل اعمرو عندك تَركاً للاول إلى غيره واما بلى(٢) فكأنه جواب وذلك لأنه لما قـال قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله فكأن قائلاً قال ما الأمر كذلك فقيل له بلى ثم استؤنف فقيل أُدرك علمهم في الآخرة وقد سبق ذكر الاستفهامين فيما تقدم وكـذلك ذكـر الضيق والضيق والاولى ان يحمل على انهما لغتان.

[ اللغة ] قال ابن الاعرابي ردفت واردفت ولحقت والحقت بمعنى وترادفوا تلاحقـوا قال المبرد الـلام في ردف لكـم وقيـل انه إنمـا أُتـي بالـلام لأن معنـى ردف دنا فكأنـه قـال دنـا لكـم كمـا قـال الشاعـر :

فَقُلْتُ لَهـا الْحـاجاتُ يَـطْرَحْنَ بِـالْفَتى وَهَـمٌّ تَعَـنَّـاني مُـعَـنًّى رَكـائِـبُـهْ(٣)

قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يـرمين وكننت الشيء في نفسي واكننته إذا سترته في نفسك فهو مكن ومكنون قال الرماني الاكنان جعل الشيء بـحيث الشيء لايلحقه أذى بمانع يصدُّه عنه.

[ الاعراب ] العامل في إذا امعنى قوله مخرجون لأن ما بعد ان لا يعمل فيمـا قبل ان فالتقدير أإذا كنا تراباً أخرجنا وهذا في محل نصب لأنه مفعول ثـان لو عـد «عسى ان يكون

(١) هذا صدر بيت لزهير وعجزه «وذبيان قد زلت باقدامها النعل». ومراده من الاحلاف هم قبيلتا اسد وغطفـان لانهم تحالفوا على التناصر وقوله «وذبيان» عطف على الاحلاف. وثل عرشه اي تضعضعت حاله.

(٢) اي في قراءة ابن عباس « بلى أدرك » .

(٣) قائله الفرزدق من قصيدة يمدح فيها المطلب بن عبد الله المخزومي وقبل هذا البيت قوله وهو مطلع القصيدة «تقول ابنة الغوثي مالك هيهنا * وأنت تميمي مع الشرق جانبه * فقلت لها. . . .» وقوله هم تعناني اي قاساني «ومعنى» من التعنية .

ردف لكم﴾ يكون اسمه ضمير الأمر والشأن وما بعده خبره وان يكون وما يتعلق به في محل رفع بأنه فاعل عسى .

[ **المعنى** ] لما اخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يشعرون متى يبعثون وانهم شاكون عقَّبه بأنهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة فقال ﴿**بل ادارك علمهم في الآخرة**﴾ أي تتابع منهم العلم وتلاحق حتى كمل علمهم في الآخرة بما اخبروا به في الدنيا فهو على لفظ الماضي والمراد به الاستقبال اي يتدارك ومن قرأ ادرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الاشياء في الآخرة حين لا ينفعهم اليقين ﴿**بل هم في شك منها**﴾ في الدنيا عن ابن عباس والمعنى ان ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة وقيل معناه اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكّوا ولم يختلفوا عن السدي وقال مقاتل يقول بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وقيل أن هذا على وجه الاستفهام فحذف الألف والمراد به النفي بمعنى انه لم يدرك علمهم بالآخرة ولم يبلغها علمهم وقيل معناه ادرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا ونظروا لأن العقل يقتضي ان الاهمال قبيح فلابدَّ من تكليف والتكليف يقتضي الجزاء وإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بدَّ من دار للجزاء وقيل ان الآية اخبار عن ثلاث طوائف طائفة اقرَّت بالبعث وطائفة شكَّت فيه وطائفة نفته كما قال بل هم في أمر مريج وقوله ﴿**بل هم منها عمون**﴾ أي عن معرفتها وهو جمع عمى وهو الاعمى القلب لتركه التدبر والنظر ﴿**وقال الذين كفروا**﴾ بإنكارهم البعث ﴿**أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون**﴾ من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد والاستنكار ﴿**لقد وعدنا هذا**﴾ البعث ﴿**نحن**﴾ فيما مضى ﴿**وآباؤنا من قبل**﴾ أي ووعد آباؤنا ذلك من قبلنا فلم يكن مما قالوه شيء ﴿**ان هذا إلا أساطير الأولين**﴾ أي احاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**﴾ الذين كفروا بالله وعصوه اي كيف اهلكهم الله وخرب ديارهم ﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ أي على تكذيبهم وتركهم الإيمان ﴿**ولا تكن في ضيق**﴾ وهو ما يضيق به الصدر ﴿**مما يمكرون**﴾ أي يدبّرون في امرك فإن الله تعالى يحفظك وينصرك عليهم ﴿**ويقولون متى هذا الوعد**﴾ الذي تعدنا يا محمد من العذاب ﴿**ان كنتم صادقين**﴾ بأنه يكون ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**عسى ان يكون ردف لكم**﴾ أي قرب لكم عن ابن عباس وقيل اقرب لكم عن السدي وقيل اردف لكم عن قتادة ﴿**بعض الذي تستعجلون**﴾ من العذاب وعسى من الله واجب فمعناه انه قرب منكم وسيأتيكم وهذا البعض

الذي دنا لهم القتل والاسر يوم بدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت وقيل هو الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر عن الجبائي ﴿وان ربك لذو فضل على الناس﴾ بضروب النعم الدينية والدنيوية وقيل بإمهالهم ليتوبوا والفضل هو الزيادة من الله تعالى للعبد على ما يستحقّه بشكره والعدل حق للعبد والفضل فيه واقع من الله تعالى الا انه على ما يصحّ وتقتضيه الحكمة ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ نعمه ﴿فإن ربك ليعلم ما تكنُّ صدورهم﴾ أي تخفيه وتستره ﴿وما يعلنون﴾ اي ويعلم ما يظهرونه أيضاً ﴿وما من غائبة﴾ أي من خصلة غائبة ﴿في السماء والأرض﴾ يعني جميع ما اخفاه عن خلقه وغيبه عنهم ﴿إلا في كتاب مبين﴾ اي إلا وهو مبين في اللوح المحفوظ وقيل أراد أن جميع أفعالهم محفوظة عنده غير منسية كما يقول القائل أفعالك عندي مكتوبة أي محفوظة عن أبي مسلم والجبائي .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى
ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا

عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ولا يسمع بالياء الصُمُّ بالرفع هاهنا وفي الروم ابن كثير وابن عباس والباقون لا تسمع بضم التاء الصم بالنصب وقرأ وما انت تهدي العمي حمزة هاهنا وفي الروم وقرأ الباقون وما أنت بهادي العمي وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وابن ذرعة تَكْلِمُهم بفتح التاء والتخفيف وقرأ اهل العراق غير أبي عمرو وسهل أَنَّ الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها .

[ **الحجة** ] حجة من قال تسمع انه اشبه بما قبل من قوله انك لا تسمع الموتى ويؤكد ذلك قوله ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ومن قرأ ولا يَسمَعُ الصُّمُّ الدعاءَ فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم ما يقال له ومن قرأ تهدي العمي فالتقدير إنك لا تهديهم لشدة عنادهم واعراضهم وأنت مرفوع بما على قول اهل الحجاز وتهدي في موضع نصب بأنه خبر وعلى قول تميم يرتفع بفعل مضمر يفسّره الظاهر الذي هو تهدي تقديره إذا اظهرت ذلك المضمر ما تهدي تهدي لأنك إذا اظهرت الفعل المضمر اتصل به الضمير ولم ينفصل كما ينفصل إذا لم تظهر ومن قرأ بهادي العمي مضافاً في السورتين فاسم الفاعل للحال او للآتي فإذا كان كذلك كانت الاضافة في نية الانفصال وقوله أَن الناس بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بأن الناس وزعموا انه في قراءة ابي تنبئهم وعن قتادة انه في بعض الحروف تحدثهم وهذا يدل على ان تكلمهم من الكلام الذي هو النطق وليس هو من الكلم الذي هو الجراحة . ومَن كسر فقال ان الناس فالمعنى تكلمهم فتقول لهم ان الناس واضمار القول في الكلام كثير وحسن ذلك لأن الكلام قول فكأن القول اظهر ومن قرأ تَكْلِمُهم فمعناه تَجرحُهُم بأكلها اياهم .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوّي قلب نبيّه ﷺ فقال ﴿**ان هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل**﴾ أي يخبرهم بالصدق ﴿**اكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾ من حديث مريم وعيسى والنبي المبشر به في التوراة حيث قال بعضهم هو يوشع وقال بعضهم لابل هو هو منتظر لم يأت بعد وغير ذلك من الاحكام وكان ذلك معجزة لنبينا ﷺ إذا كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها ثم اخبرهم بما فيها ﴿**وانه**﴾ يعني القرآن ﴿ **لهدى** ﴾ أي دلالة على الحق ﴿**ورحمة للمؤمنين**﴾ اي نعمة لهم ﴿**إن ربك يقضي بينهم بحكمه**﴾ يريد بين المختلفين في

الدين يوم القيامة واشار بذلك إلى شيئين (أحدهما) ان الحكم له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل إلى كل ذي حقّ حقَّه (والآخر) انه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم **﴿وهو العزيز﴾** القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء **﴿العليم﴾**بالمحق والمبطل فيجازي كُلًّا بحسب عمله وفي هذه الآية تسلية للمحقين من الذين خولفوا في أمور الدين وان أمرهم يؤل إلىَ أن يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال **﴿فتوكل على الله﴾** يا محمد **﴿إنك على الحق المبين﴾** أي الواضح البين الظاهر والمحق أولى بالتوكل من المبطل المدغل والمراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين وان كان في الظاهر لسيد المرسلين ثم شبَّه الكفار بالموتى فقال **﴿إنك لا تسمع الموتى﴾** يقول كما لا تسمع الميت الذي ليس له آلة السمع النداء كذلك لا تسمع الكافر النداء لأنه لا يسمع ولا يقبل الموعظة ولا يتدبر فيها **﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾** إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريباً فالإنسان يطمع في اسماعه فإذا اعرض وادبر وتباعد انقطع الطمع في اسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت في انه لا يقبل الهدى وكالأصم في انه لا يسمع الدعاء **﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾** في الدين بالآيات الدالة على الهدى إذا اعرضوا عنها كما لا يمكنك ان تهدي الاعمى الى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لأنه يمنع عن ادراك الحق كما يمنع العمى من إدراك المبصرات **﴿ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾** اي ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا **﴿فهم مسلمون﴾** أي مستسلمون منقادون جعل سبحانه استماعهم وقبولهم الحق سماعاً وتركهم للقبول تركاً للسماع وقيل مسلمون اي موحدّون مخلصون **﴿وإذا وقع القول عليهم﴾** اي وجب العذاب والوعيد عليهم وقيل معناه إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا احد بسببهم عن مجاهد وقيل معناه إذا غضب الله عليهم من قتادة وقيل معناه إذا أنزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمي المقول قولاً كما يقال جاء الخبر الذي قلت ويراد به المخبر قال ابو سعيد الخدري وابن عمر إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وأخذوا بمبادىء العقاب منها قوله **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾** تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة وهو علم من اعلام الساعة وقيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته ولا يبقى منافق الا خطمته تخرج ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى عن ابن عمر وروى محمد بن كعب القرظي قال سئل على صلوات الرحمن عليه من الدابة فقال أما والله ما لها ذنب وإن لها للحية وفي هذا إشارة ألى انها من الإنس وروي عن ابن عباس انها دابة من دواب الارض لها زغب وريش ولها ربع قوائم وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال دابة الأرض طولها ستّون ذراعاً

لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤظمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى يقال يا مؤمن ويا كافر وروي عن النبي ﷺ أنه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً باقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم سار الناس يوماً في اعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الاسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها ويثبت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولّت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وروي عن وهب انه قال ووجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير ومثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلٓهية وقد روي عن علي (ع) انه قال إنه صاحب العصا والميسم وروى علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره عن أبي عبد الله (ع) قال قال رجل لعمار بن ياسر يا ابا اليقظان آية في كتاب الله افسدت قلبي قال عمار وأيّة آية هي فقال هذه الآية فأيّة دابة الأرض هذه قال عمار والله ما اجلس ولا آكل ولا اشرب حتى اريكها فجاء عمار مع الرجل إلى امير المؤمنين (ع) وهو يأكل تمرا وزبداً فقال يا ابا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحانه الله حلفت انك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها قال عمار أريتكها ان كنت تعقل وروى العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر رحمه الله أيضاً وقوله ﴿**تكلمهم**﴾ اي تكلمهم بما يسؤهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه وقيل تحدثهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تكلمهم بأن تقول لهم ﴿**إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ وهو الظاهر وقيل بآياتنا معناه بكلامها وخروجها ﴿**ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون**﴾ أي يدفعون عن ابن عباس وقيل يحبس أولهم على آخرهم واستدلّ بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال ان دخول من في الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على ان اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه

وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً وقد تظاهرت الاخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في ان الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدَّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايضاً قوماً من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على ايدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ولا يشكُّ عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الامم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرّناه في موضعه وصحَّ عن النبي ﷺ قوله سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة[١] حتى لو ان احدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه على ان جماعة من الإمامية تأوَّلوا ما ورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهي دون رجوع الاشخاص واحياء الاموات وأوَّلوا الاخبار والواردة في ذلك لما ظنّوا ان الرجعة تنافي التكليف وليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجىء إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح والتكليف يصحّ معها كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرّق التأويل عليها وإنما المعوّل في ذلك على اجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الاخبار تعضده وتؤيدّه ومن قال ان قوله ويوم يحشر من كل أمة فوجاً المراد به يوم القيامة قال المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم **﴿حتى إذا جاؤوا﴾** إلى موقف الحساب **﴿قال﴾** الله تعالى لهم **﴿أكذّبتم بآياتي﴾** أي كذّبتم بأنبيائي ودلالاتي الدالة على ديني **﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾** أي لم تطلبوا معرفتها ولم تبيّنوا ما اوجب الله عليكم فيها **﴿أماذا كنتم تعملون﴾** حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا في صحتها يقول ذلك تبكيتاً لهم وتجهيلاً أي هذا كان الواجب عليكم فتركتموها ولم تعرفوها حق معرفتها فبماذا اشتغلتم ومن قال بالأول قال المراد بالآيات الأئمة الطاهرون (ع) **﴿ووقع القول عليهم﴾** أي وجب العذاب عليهم **﴿بما ظلموا﴾** أي بظلمهم إذ صاروا بحيث لا يفلح جحد منهم بسببهم **﴿فهم لا ينطقون﴾** إذ ذاك بكلام ينتفعون به ويجوز أن يكون المراد انهم لا ينطقون اصلاً لعظم ما يشاهدونه وهول ما يرونه .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ

---

(١) قال ابن الاثير القذة واحدة القذذ: ريش السهم : وفي الحديث : لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة اي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع ، يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾
وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ
أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ
فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ
بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ
أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ
فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة وحفص وخلف أتوه مقصورة الألف غير ممدودة بفتح التاء وقرأ الباقون آتُوه بمد الألف وضم التاء وقرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير وحماد والأعشى والبرجمي عن أبي بكر بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة من فزعٍ منوناً يومئذ بفتح الميم وقرأ أهل المدينة غير إسماعيل من فزعِ بغير تنوين يومئذ بفتح الميم وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع برواية اسماعيل ويعقوب من فزعِ بغير تنوين يومئذ بكسر الميم وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب عما تعملون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ أتوه كان فعلوا من الاتيان ومن قرأ آتوه فهو فاعلوه

وكلاهما محمول على معنى كل ولو حمله على اللفظ جاز كما في قوله وكلهم آتيه وإن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً وحجة من قال يفعلون بالياء ان ذكر الغيبة قد تقدم في قوله وكل أتوه وحجة التاء أنه خطاب للكافة وقد تدخل الغيبة في الخطاب ولا يدخل الخطاب في الغيبة وقوله من فزع يومئذ من نوَّن كان في انتصاب يوم ثلاثة أوجه (أحدها) ان يكون منتصباً بالمصدر كأنه قال وهم من أن يفزعوا يومئذ آمنون ( والآخر ) ان يكون اليوم صفة لفزع لأن اسماء الاحداث توصف بأسماء الزمان كما يخبر عنها بها وفيه ذكر الموصوف وتقديره في هذا الوجه ان يتعلق بمحذوف كأنه من فزع بحدث يومئذ ( والثالث ) أن يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ ويجوز إذا نوَّن الفزع ان يعني به فزعاً واحداً ويجوز أن يعني به كثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله تعالى **﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** وكذلك إذا أضاف فقال من فزع يومئذ أو يومِئِذ ويجوز أن يعني به مفرداً ويجوز أن يعني به كثرة فأما القول في اعراب يوم وبنائه إذا أضيف الى إذ فقد ذكر فيما تقدم وحجة من قرأ يعملون بالياء أنه وعيد للمشركين وحجة التاء أنه على معنى قل لهم ذلك .

[ **الإعراب** ] وصف النهار بأنه مبصر فيه وجهان (أحدهما) ان معناه ذو أبصار كقوله عشية راضية أي ذات رضى وكقول النابغة « كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبُ »[١] أي ذي نصب ( والثاني )أنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذي تجلى عندها وفيه قول ثالث انه مثل قول جرير

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلاَنَ فِي السُّرىٰ ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطيِّ بِنَائِمِ[٢]

أي بالذي ينام فيه فيكون مبصراً بمعنى ما يبصر فيه .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه قدرته على الإعادة والبعث بما احتجَّ به على الكفار فقال **﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾** عن التعب والحركات **﴿والنهار مبصراً﴾** أي يبصر فيه ويمكن التصرف فيه لضيائه ويدرك بنوره جميع الاشخاص كما يدرك بنور البصر **﴿إن في ذلك لآيات﴾** أي دلالات **﴿لقوم يؤمنون﴾** لأن جعل الشيء لما يصلح له من الانتفاع إنما

(١) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني وعجزه « وليل أقاسيه بطيء الكواكب » وقوله « كليني » اي دعيني امر من وكل اليه الأمر فوض. واميمة على وزن جهينة اسم حسنة .
(٢) الشعر في جامع الشواهد .

يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ منصوب بتقدير واذكر يوم ينفخ اسرافيل بأمر الله تعالى في الصور وذلك اليوم الذي يقع عليهم القول بما ظلموا ويجوز أن يكون على حذف في الكلام والتقدير ويوم ينفخ في الصور وتكون النشأة الثانية واختلف في معنى الصور فقيل هو صور الخلق جمع صورة عن الحسن وقتادة ويكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور فيبعثون وقيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد وقد ورد ذلك في الحديث ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ أي ماتوا لشدة الخوف والفزع يدل عليه قوله في موضع آخر فصعق من في السموات الآية وقيل هي ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ﴿إلا من شاء الله﴾ من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل يعني الشهداء فإنهم لا يفزعون في ذلك اليوم وروي ذلك في خبر مرفوع ﴿وكل﴾ من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا ﴿أتوه﴾ أي يأتونه في المحشر ﴿داخرين﴾ أي أذلاء صاغرين عن ابن عباس وقتادة ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك في مرأى العين ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ أي تسير سيراً حثيثاً مثل سير السحاب عن ابن عباس وفي مثل هذا المعنى قول النابغة الجعدي يصف جيشاً

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَودِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكَابُ تُهَمْلِجُ(١)

أي تحسب أنهم وقوف من أجل كثرتهم والتفافهم فكذلك المعنى في الجبال انك لا ترى سيرها لبعد أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه وذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشي كما في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴿صنع الله﴾ أي صنع الله ذلك صنعاً وانتصب بما دلّ عليه ما تقدمه من قوله وهي تمرُّ مرّ السحاب وذكر اسم الله لأنه لم يأت ذكره فيما قبل وإنما دلَّ عليه ﴿الذي اتقن كل شيء﴾ أي خلق كل شيء على وجه الاتقان والاحكام والإتساق قال قتادة أي أحسن كل شيء خلقه وقيل الاتقان حسن في ايثاق ﴿أنه خبير بما تفعلون﴾ أي عليم بما يفعل اعداؤه من المعصية وبما يفعل اولياؤه من الطاعة ثم بيَّن سبحانه كيفية الجزاء على أفعال الفريقين فقال ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي بكلمة التوحيد والاخلاص عن قتادة وقيل بالإيمان عن النخعي وكان يحلف ولا يستثني ان الحسنة لا إله إلا الله والمعنى من وافى يوم القيامة بالإيمان ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس اي فمنها

(١) الجيش الارعن هو المضطرب لكثرته. والطود الجبل والحاج جمع الحاجة . والهملاج: حسن سير الدابة في سرعة .

يصل الخير اليه والمعنى قوله فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمان من العقاب فخير هاهنا اسم وليس بالذي هو بمعنى الأفضل وهو المروي عن الحسن وعكرمة وابن جريج قال عكرمة فأما أن تكون خيراً من الإيمان فلا فليس شيء خيراً من لا إله إلا الله وقيل معناه فله أفضل منها في معظم النفع لأنه يعطي بالحسنة عشراً عن زيد بن أسلم ومحمد بن كعب وابن زيد وقيل لأن الثواب فعل الله تعالى والطاعة فعل العبد وقيل هو رضوان الله ورضوان من الله أكبر **﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾** قال الكلبي إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع **﴿ومن جاء بالسيئة﴾** أي بالمعصية الكثيرة التي هي الكفر والشرك عن ابن عباس وأكثر المفسرين **﴿فكبّت وجوههم في النار﴾** أي ألقوا في النار منكوسين **﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾** يعني ان هذا الجزاء فعلكم وليس بظلم حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن احمد قال أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني محمد بن زيد بن علي (ع) عن أبيه قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين (ع) فقال له يا أبا عبد الله ألا أخبرك بقول الله تعالى **﴿من جاء بالحسنة﴾** إلى قوله **﴿تعلمون﴾** قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبّنا أهل البيت والسيئة بغضنا وحدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم قال أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحميري قال حدثنا جدي أحمد بن اسحاق الحميري قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا أبو زرعة عثمان بن عبد الله القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ يا علي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالأوتاد وصلّوا حتى صاروا كالحنايا ثم أبغضوك لأكبّهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ قل لهم **﴿إنما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة﴾** يعني مكة عن ابن عباس وقال أبو العالية هي منى **﴿الذي حرّمها﴾** أي جعلها حرماً آمناً يحرم فيها ما يحلّ في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتص فيها **﴿وله كل شيء﴾** أي وهو مالك كل شيء مما أحلّه وحرّمه فيحرم ما شاء ويحلّ ما شاء **﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾** أي من المخلصين لله بالتوحيد **﴿وان أتلو القرآن﴾** عليكم يا أهل مكة وأدعوكم إلى ما فيه **﴿فمن اهتدى﴾** إلى الحق والعمل بما فيه **﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾** لأن ثواب ذلك وجزاءه يصل اليه دون غيره **﴿ومن ضلّ﴾** عنه وحاد ولم يعمل بما فيه ولم يهتد إلى الحق **﴿فقل﴾** له يا محمد **﴿إنما أنا من المنذرين﴾** الذين يخوّفون بعقاب الله من

معاصيه ويدعون إلى طاعته ولا أقدر على إكراههم على الإيمان والدين **﴿وقل الحمد لله﴾** اعترافاً بنعمته إذا اختاروني لرسالته **﴿سيريكم آياته﴾** يوم القيامة **﴿فتعرفونها﴾** وتعرفون أنها على ما أخبرتم بها في الدنيا عن الحسن وقيل معنى آياته هي العذاب في الدنيا والقتل ببدر فتعرفونها أي تشاهدونها ورأوا ذلك ثم عجّلهم الله إلى النار عن مقاتل **﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾** بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها وإنما يؤخّر عقابكم إلى وقت تقتضيه الحكمة .

**[ النظم ]** وجه اتصال قوله إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة بما قبله انه سبحانه لما بيّن ان الأمن من اهوال القيامة للمؤمن المحسن فكأنّ قائلاً قال وما الحسنة وكيف العبادة فقال انما امرت .

# (٢٨) سُورَةُ القَصَصِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

[ عدد آيها ]

وهي ثمان وثمانون آية

[ اختلافها ] آيتان طسّم كوفي يسقون غير الكوفي .

[ فضلها ] أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ طسّم القصص اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بموسى وكذَّب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة انه كان صادقاً ان كل شيء هالك إلا وجهه .

[ تفسيرها ] لما أمر سبحانه في خاتمة تلك السورة بتلاوة القرآن بيَّن في هذه السورة ان القرآن من طسّم وانه يتلو عليهم من نبأ موسى وفرعون فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن
نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ

عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ويرى فرعون بالياء وما بعده بالرفع وقرأ الباقون ونري بالنون وضمّه وكسر الراء ونصب الياء وما بعده بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ بالنون ان ما قبله للمتكلم فينبغي ان يكون ما بعده أيضاً كذلك ليكون الكلام من وجه واحد وحجة من قرأ بالياء ان فرعون وجنوده ازرن ذلك والمعلوم انهم يرونه إذا رأوه وهو قراءة الأعمش .

[ **اللغة** ] النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن والشيع الفرق وكل فرقة شيعة وسمّوا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضاً والعرب تقول شاعكم السلام أي تبعكم وشيّعه اتبعه والتمكين تكميل ما يتمّ به الفعل .

[ **الإعراب** ] قوله بالحق في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره تلاوة كائنة بالحق ويجوز أن يكون الحق صفة محذوف تقديره بالأمر الحق والجار والمجرور يتعلق بنتلو ويستضعف في موضع نصب على الحال ويذبح حال بعد حال ويجوز أن يكون حالاً عن الحال .

[ **المعنى** ] ﴿**طسّم تلك آيات الكتاب المبين**﴾ أي المبيّن الرشد من الغيّ عن قتادة وقيل هو البيّن الظاهر والآية مفسّرة فيما مضى ﴿**نتلو عليك**﴾ يا محمد ﴿**من نبأ موسى وفرعون**﴾ أي طرفاً من أخبارهما ﴿**بالحق**﴾ أي بالصدق والحقيقة لا ريب فيه ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ أي يصدّقون بالله وبما أنزله إليك ﴿**أن فرعون علا في الأرض**﴾ أي بغى وتجبّر وتعظّم واستكبر في أرض مصر يقال علا علو إذا تجبّر ومنه قوله لا يريدون علواً في الأرض ﴿**وجعل أهلها شيعاً**﴾ أي فرقاً قال قتادة فرّق بين بني إسرائيل والقبط والمعنى يكرم قوماً ويذل آخرين بالاستعباد والاستعمال في الأعمال الشاقة وقيل معناه جعل بني إسرائيل اصنافاً في الخدمة والتسخير ﴿**يستضعف طائفة منهم**﴾ يعني من بني إسرائيل ثم فسّر ذلك فقال

﴿يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم﴾ يقتل الابناء ويستبقي البنات فلا يقتلن وذلك ان بعض الكهنة قال له ان مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك وقال السدي رأى فرعون في منامه ان ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده ﴿إنه كان من المفسدين﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي ﴿ونريد آن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ المعنى أن فرعون كان يريد اهلاك بني إسرائيل وافناءهم ونحن نريد أن نمنَّ عليهم ﴿ونجعلهم أئمة﴾ أي قادة ورؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس وقيل نجعلهم ولاة وملوكاً عن قتادة وهذا القول مثل الأول لأن الذين جعلهم الله ملوكاً فهم أئمة ولا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدواناً وظلماً وقد قال سبحانه ﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً والملك من الله تعالى﴾ هو الذي يجب ان يطاع فالأئمة على هذا ملوك مقدَّمون في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لديار فرعون وقومه وأموالهم وقد صحَّت الرواية عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شِماسها عطف الضروس على ولدها[1] وتلا عقيب ذلك ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض الآية وروى العياشي بالإسناد عن أبي الصباح الكناني قال نظر أبو جعفر (ع) إلى عبد الله (ع) فقال هذا والله من الذين قال الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية وقال سيد العابدين علي بن الحسين (ع) والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ان الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدوَّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أي ونريد ان نمكّن لبني إسرائيل في أرض مصر والتمكين هو فعل جميع ما لا يصحّ الفعل إلا معه مع القدرة والآلة واللطف وغير ذلك وقال علي بن عيسى اللطف لا يدخل في التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكناً ولكنّه من باب ازاحة العلة ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ أي من بني إسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش فرعون أربعمائة سنة وكان قصيراً دميماً وهو أول من خضب بالسواد وعاش موسى (ع) مائة وعشرين سنة .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

(١) شمس الفرس شماساً كان لا يمكن احداً من ظهره ولا من الاسراج ولا الالجام ولا يكاد يستقر. والضروس الناقة السيئة الخلقة تعض حالبيها .

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا
رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟
خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وحزناً بضم الحاء وسكون الزاي والباقون حزناً بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن وفضالة بن عبد الله فؤاد ام موسى فزعا وقراءة ابن عباس قراعا بالقاف والراء وحكى قطرب عن بعضهم فَرْغا .

[ الحجة ] الحَزَن والحُزْن لغتان مثل البَخَل والبُخْل والعَرَب والعُرْب والعَجَم والعُجْم وأما قوله فزعاً بالفاء والزاي فمعناه قلقاً يكاد يخرج من غلافه واما قرعاً فمعناه يرجع الى معنى فارغ لأن رأس الاقرع يكون خالياً من الشعر واما فَرْغا فمعناه هدراً وباطلاً قال

فَـإِنْ تَـكُ أذوادٌ أُصِـبْنَ وَنِـسْـوَةٌ فَلَنْ يَـذهبُـوا فَـرْغـاً بِـقَتْـلِ حِـبَـالِ[1]

وقوله فارغاً معناه خالياً من الحزن لعلمها أنه لا يغرق .

[ الإعراب ] مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه احـداء قرة عين لي ولـك خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة عين قال الزجاج ويجوز على بعد ان يكون قرة عين مبتدأ ويكون

(١) قائله طليحة بن خويلد الاسدي والاذواد جمع ذود: ما بين الثلاث الى العشرة من الابل. وحبال اسم رجل وهو ابن أخي طليحة بن خويلد ـ قائل البيت ـ ( وقال ابن هشام في السيرة ج ١ :٦٣٨ وكذا الميداني في مجمع الامثال ج ٢ ١٧١ هو ابنه) قتله عكاشة بن محصن الاسدي فلما اطلع على قتله طليحة خرج في أثر عكاشة حتى أدركه فقتله ثم قال في ذلك أبياتاً وهذا البيت أحدها. يقول ان صار دمُ الابل والنسوة هدراً فلن يصيردم حبال هدرا .

خبره لا تقتلوه وهم لا يشعرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما يدل على هـذه القصة وتقديره قالوا ما قالوه غير شاعرين .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه كيف دبَّر في اهلاك فرعون وقومه منبِّهاً بذلـك على كمال قدرته وحكمته فقال ﴿**وأوحينا إلى ام موسى**﴾ أي ألهمناها وقذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة عن قتادة وغيره وقيل أتاها جبرائيل (ع بذلك عن مقاتل وقيل كان هذا الوحي رؤيا منام عبَّر عنها من يثق به من علماء بني إسرائيل عن الجبائي ﴿**أن أرضعيه**﴾ ما لم تخافي عليه الطلب ﴿**فإذا خفت عليه**﴾ في القتل الذي أمر به فرعون في أبناء بني إسرائيل ﴿**فألقيه في اليم**﴾ أي في البحر وهو النيل ﴿**ولا تخافي**﴾ عليه الضيعة ﴿**ولا تحزني**﴾ من فراقه ﴿**إنا رادُّوه إليك**﴾ سالماً عن قريب ﴿**وجاعلوه من المرسلين**﴾ والأنبياء وفي هذه الآية امـران ونهيان وخبـران وبشارتان وحكي أن بعضهم سمع بدوية تنشد أبياتاً فقال لها ما أفصحك فقالت الفصاحة لله تعالى وذكرت هذه الآية وما فيها قال وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمنَّ به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيهـا موسى بعث فـرعون القـوابل وتقدم إليهن ان يفتشن النساء تفتيشاً لم يفتشنه قبل ذلك رحلت ام موسى بموسى فلم ينتُ[1] بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يـطلع عليها أحـد إلا أخته مـريم فأوحى الله تعالى إليها أن أرضعيه الآية قال فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرّك فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى قال ابن عباس لما قربت ولادة أم موسى وكانت قابلة من النساء اللاتي وكلَّهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فجاءت فعالجتها فلما ولد موسى رأت نوراً بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حبُّ موسى في قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت إليك إلا ومن ورائي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبّاً ما وجدت حبَّ شيء مثل حبّه فاحفظي ابنك فإني أراه هو عدونـا فلما خـرجت من عندهـا القابلة بصـرتها العيون فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفَّت مـوسى في خرقة فوضعته في تنور مسجور فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فخرجوا من عندها وانطلقت الى الصبي وقد جعل الله النار عليه برداً

(١) نتاينتو الشيء ارتفع . ورد في بعض النسخ « فلم ينتأ » بالهمزة ومعناهما واحد.

وسلاماً قال ثم لما رأت الحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ان لي ابناً أخبأه في التابوت وكرهت الكذب فلما اشترت التابوت وحملته انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلم يطق الكلام فرجع وأخذ في النجر فانطلق لسانه فرجع ثانياً فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم أن ذلك أمر إلَهي **﴿فالتقطه آل فرعون﴾** أي أصابوه وأخذوه من غير طلب **﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾** أي ليكون لهم في عاقبة أمره كذلك لا انهم اخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالاً فأداه ذلك إلى الحتف والهلاك إنما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال للحتف **﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾** أي عاصين ربهم في أفعالهم وكانت القصة في ذلك ان النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون وامرأته على شط النيل فأمر فرعون فأتي به وفتحت آسية بنت مزاحم بابه فلما نظرت إليه ألقى الله في قلبها محبة موسى وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني إسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أماً للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم ويدخلون عليها فلما نظر فرعون الى موسى غاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح قالت آسية وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وانك امرت ان يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكن قرة عين لي ولك وذلك قوله تعالى **﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾** وإنما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطعمته في ولد قال ابن عباس ان اصحاب فرعون لما علموا بموسى جاؤوا ليقتلوه فمنعتهم وقالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه قال فرعون قرة عين لك وأما لي فلا قال رسول الله ﷺ والذي يُحلف به لو أقرَّ فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها ولكنّه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه **﴿وهم لا يشعرون﴾** أي لا يشعرون أن هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون أن هذا هو المطلوب الذي يطلبونه **﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾** أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى أي صار فارغاً له عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل فارغاً من الحزن لعلمها أن ابنها ناج سكوناً إلى ما وعدها الله تعالى به وقيل فارغاً من الوحي الذي أوحي اليها بنسيانها فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به عن الحسن وابن زيد **﴿إن كادت لَتُبْدِي به﴾** معناه أنها كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابناه من شدة الغم والوجد عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق عن مقاتل وقيل معناه همّت بأن تقول انها أمه لما رأته عند دعاء فرعون إياها للإرضاع لشدة سرورها به عن جعفر ابن حرب وقيل معناه أنها كادت تبدي بالوحي **﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾** بالصبر واليقين

والربط على القلب الهام والصبر وتقويته عن الزجاج وقيل معناه لولا أن قوينا قلبها بالعصمة والوحي وجواب لولا محذوف والتقدير لولا ان ربطنا على قلبها لأظهرته ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي فعلنا ذلك لتكون من جملة المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا وقولنا انا رادُّوه إليك .

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ
فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ
ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ
لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا
رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ
ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ
عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

[ اللغة ] القص اتباع الاثر ومنه القصص في الحديث لأنه يتبع فيه الثاني الأول والقصاص أتباع الجاني في الأخذ بمثل جنايته في النفس فبصر به رآه فبصر لا يتعدى إلا بحرف الجر ورأى يتعدى بنفسه ومعنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنابة أي عن بعد قال الأعشى

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زائراً عَنْ جِنَابَةٍ ... وَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدَا

وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف أي عن مكان جنب والمراضع جمع مرضعة والنصح اخلاص العمل من جانب الفساد وهو نقيض الغش والوكز الدفع وقيل هو بجمع الكف ومثله اللكز واللهز .

[ **الإعراب** ] عن جنب الجار والمجرو في موضع نصب على الحال وتقديره فبصرت به بعيدة وان جعلت جنباً صفة على تقدير من مكان جنب فهو في موضع نصب بأنه ظرف مكان هذا من شيعته وهذا من عدوّه جملتان في محل النصب لأنهما صفة رجلين صفة بعد صفة .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه لطف صنعه في تسخيره لفرعون حتى تولى تربية موسى فقال ﴿**وقالت**﴾ يعني أم موسى ﴿**لاخته**﴾ يعني أخت موسى واسمها كلثمة عن الضحاك ﴿**قصيه**﴾ أي اتبعي اثره وتعرفي خبره ﴿**فبصرت به عن جنب**﴾ في الكلام حذف واقتصار تقديره فذهبت اخت موسى فوجدت آل فرعون قد أخرجوا التابوت وأخرجوا موسى فبصرت به وهذا من الايجاز الدال على الاعجاز باللفظ القليل المعنى على المعنى الكثير أي فرأت أخاها موسى عن جنب أي عن بعد عن مجاهد وقيل عن جانب تنظر اليه كأنها لا تريده عن قتادة وتقديره عن مكان جنب ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ أي وآل فرعون لا يشعرون انها أخته عن قتادة وقيل معناه وهم لا يشعرون أنها جاءت متعرفة عن خبره ويمكن أن يكون سبحانه كرّر هذا القول تنبيهاً على ان فرعون لو كان إلّهاً لكان يشعر بهذه اللأمور ﴿**وحرّمنا عليه المراضع**﴾ المعنى أنه لا يؤتى بمرضع فيقبلها وتأويله منعناهن منه وبغضناهن اليه عن ابن عباس وقيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع أي منعناه من الرضاع فهذا تحريم منع لا ان هناك نهياً عن الفعل ومثله قول امرىء القيس

جَالَتْ لِتَصْرَعَني فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي إنّي امْرُؤٌ صَرْعي عَلَيْكَ حَرامٌ(١)

أي صرعي ممتنع عليك فإني فارس امنعك من ذلك ويقال فلان حرم على نفسه كذا أي امتنع منه كما يمتنع بالنهي ﴿**من قبل**﴾ أي من قبل مجيء أخته وقيل من قبل ردّه على أمه ﴿**فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم**﴾ وهذا يدلّ على أن الله تعالى ألقى محبته في قلب فرعون فلشدة محبته وغاية شفقته عليه طلب له المراضع وكان موسى لا يقبل ثدي واحدة منهن بعد أن أتته مرضع بعد مرضع فلما رأت اخته وجدهم به وحبّهم له ورقّتهم

(١) الضماير ترجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات السابقة على هذا البيت .

عليه قالت لهم هل أدلّكم على أهل بيت يقبلون هذا الولد ويبذلون النصح في أمره ويحسنون تربيته ويضمنون لكم القيام بأمره ﴿وهم له ناصحون﴾ يشفقون عليهِ وينصحونَه وقيل أنهُ لما قالت أختهُ ذلك قال هامان ان هذه المرأة تعرف أن هذا الولد من أيّ أهل بيت هو فقالت هي انما عنيت انهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها ﴿فرددناه إلى أمهِ كي تقر عينها ولا تحزن﴾ يعني عين أمه وانطلقت أخت موسى إلى أمها فجاءت بها اليهم فلما وجد موسى ريح أمهِ قبلَ ثديها وسكن بكاؤه وقيل ان فرعون قال لأمهِ كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لأني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أؤتي بصبي إلا ارتضع مني فسَّر فرعون بذلك ﴿ولتعلم ان وعد الله حق﴾ أراد بهِ ما وعدها الله به في الآية المتقدمة لقوله إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ تحقيق ذلك الوعد كما علمت ﴿ولما بلغ أشده﴾ أي ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿واستوى﴾ أي بلغ أربعين سنة عن مجاهد وقتادة وابن عباس ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ أي فقهاً وعلماً وعقلاً بدينِهِ ودين آبائِهِ فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبياً وقيل نبوة وعلماً عن السدي ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف ﴿ ودخل المدينة ﴾ يريد مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر وقيل على فرسخين من أرض مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ أراد به نصف النهار والناس قائلون عن سعيد بن جبير وقيل ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن ابن عباس وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن وقيل اختلفوا في سبب دخوله المدينة في هذا الوقت على أقوال (أحدها) أنه كان موسى حين كبر يركب في مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فلما كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيل عن السدي (والثاني) ان بني إسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى ويسمعون كلامه ولما بلغ أشدَّه خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه وأخافوه فكان لا يدخل مصر إلا خائفاً فدخلها على حين غفلة عن ابن اسحاق ( والثالث )ان فرعون امر باخراجه من البلد فلم يدخل إلا الآن عن ابن زيد ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ أي يختصمان في الدين عن الجبائي وقيل في أمر الدنيا ﴿هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ أي أحدهما اسرائيلي والآخر قبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون وقيل كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً عن محمد بن إسحاق ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ أي استنصره لينصره عليه وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال ليهنكم الاسم قال قلت وما الاسم قال الشيعة قال أما سمعت الله سبحانه يقول فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴿فوكزه موسى﴾ أي دفع في صدره بجمع كفه عن مجاهد وقيل ضربه بعصاه عن قتادة ﴿فقضى عليه﴾ أي فقتله وفرغ من أمره ﴿قال هذا

من عمل الشيطان﴾ أي بسببه حتى هيَّج غضبي فضربته فهو من اغرائه قال الحسن لم يكن يحلّ قتل الكافر يومئذ لأن الحال كانت حال الكف عن القتال وقيل معناه أن الامر الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان أي حصل بوسوسة الشيطان وذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين (أحدهما) أنه أراد أن تزيين قتلي له وتركي لما ندبت اليه من تأخيره وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان (والآخر) انه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان يبيّن بذلك أنه مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال ﴿انه عدو﴾ لبني آدم ﴿مضل مبين﴾ ظاهر العداوة والإضلال ( سؤال ) قالوا ان هذا القتل لا يخلو من ان يكون مستحقاً أو غير مستحق فإن كان غير مستحق فالأنبياء (ع) لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها وان كان مستحقاً فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه (والجواب) ان القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه والبغي عليه ودفع مكروهه عنه ولم يكن مقصوداً في نفسه وكل الم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القاتل مدافعاً عن نفسه او عن غيره وسنذكر الوجه في استغفاره منه وندمه عليه .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا
لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي
ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن
تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا
فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ
رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ
بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

[ اللغة ] الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الايقاع به والائتمار التشاور والارتياء يقال ائتمر القوم وارتاءوا بمعنى قال امرؤ القيس

أَحَارِ ابْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِرْ     وَيَغْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ[1]

وقال النمر بن تولب

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً     وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ

[ الإعراب ] « بما أنعمت عليَّ » الباء للقسم ويجوز أن يكون ما حرفاً موصولاً والمعنى بانعامك عليَّ ويجوز أن يكون اسماً موصولاً والضمير العائد محذوفاً والتقدير بالذي أنعمته عليَّ وجواب القسم لن أكون والفاء لجواب القسم مقدر في الموصول بالجملة الفعلية. ان أراد أن يبطش ان الأولى زائدة وان الثانية مع صلتها منصوبة الموضع بأنها مفعولة أراد « اني لك من الناصحين» لا يجوز أن تتعلق اللام في لك بالناصحين لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول وانما تتعلق بمحذوف يفسّره هذا الظاهر تقديره اني من الناصحين لك .

[ المعنى ] ثم حكى سبحانه ان موسى (ع) حين قتل القبطي ندم على ذلك ﴿وقال رب اني ظلمت نفسي﴾ في هذا القتل فإنهم لو علموا بذلك لقتلوني وقال المرتضى قدس الله روحه العزيز انما قاله على سبيل الانقطاع والرجوع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن اداء حقوق نعمه أو من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الندب ﴿فاغفر لي﴾ معناه قول آدم (ع) ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقبول الاستغفار والتوبة قد يسمى غفراناً ﴿فغفر له انه هو الغفور﴾ لعباده ﴿الرحيم﴾ بهم المنعم عليهم ﴿قال﴾ موسى ﴿رب بما أنعمت عليَّ﴾ أي بنعمتك عليَّ من المغفرة وصرف بلاء الأعداء عني ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ المعنى فلك عليَّ ألا أكون مظاهراً ومعيناً للمشركين عن ابن عباس وفي هذا دلالة على أن مظاهرة المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة المؤمنين طاعة وإنما ظاهر موسى (ع) من كان ظاهره الإيمان وخالف من كان ظاهره الكفر وجاء في الأثر أن رجلاً قال لعطاء بن أبي رياح ان فلاناً يكتب لفلان ولا يزيد على كتبه دخله وخرجه فإن أخذ منه أجراً كان له غنى وان لم يأخذ اشتد فقره وفقر عياله فقال عطاء اما سمعت قول الرجل الصالح رب بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴿فأصبح﴾

---

(١) قوله « حار » مرخم حارث . ورجل خمر ككتف خالطه داء . وقيل رجل خمر أي في عقب خمار وهو بقية السكر .

موسى في اليوم الثاني ﴿في المدينة خائفاً﴾ من قبل القبطي ﴿يترقب﴾ أي ينتظر الاخبار في قتل القبطي عن ابن عباس يعني انه خاف من فرعون وقومه ان يكونوا عرفوا أنه هو الذي قتل القبطي فكان يتجسس وينتظر الاخبار في شأنه ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ معناه أن الاسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز القبطي من أجله يستصرخ موسى ويستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه قال ابن عباس لما فشا امر قتل القبطي قيل لفرعون ان بني إسرائيل قتلت منا رجلاً قال أتعرفون قاتله ومن يشهد عليه قالوا لا فأمرهم بطلبه فبينا هم يطوفون إذ مرَّ موسى من الغد وأتى ذلك الاسرائيلي يطلب نصرته ويستغيث به ﴿قال له موسى انك لغوي مبين﴾ أي ظاهر الغواية حيث قاتلت بالأمس رجلاً وتقاتل اليوم الآخر ولم يرد الغواية في الدين والمراد أن من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فإنه غوي أي خائب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده ﴿فلما ان أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ معناه فلما أخذته الرقة على الاسرائيلي وأراد أن يدفع القبطي الذي هو عدو لموسى والاسرائيلي عنه ويبطش به أي يأخذه بشدة ظن الاسرائيلي ان موسى قصده لما قال له انك لغوي مبين فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس عن ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو من قول القبطي لأنه قد اشتهر امر القتل بالأمس وانه قتله بعض بني إسرائيل ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ أي ما تريد إلا أن تكون عالياً في الأرض بالقتل والظلم قال عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ ولما قال الاسرائيلي ذلك علم القبطي ان القاتل موسى فانطلق إلى فرعون وأخبر به فأمر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه ﴿وجاء رجل من اقصى المدينة﴾ أي آخرها فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى ﴿يسعى﴾ أي يسرع في المشي فأخبره بذلك وأنذره وكان الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل رجل اسمه شمعون وقيل سمعان ﴿قال يا موسى ان الملأ﴾ أي الأشراف من آل فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ أي يتشاورون فيك عن أبي عبيدة وقيل يأمر بعضهم ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من أرض مصر ﴿إني لك من الناصحين﴾ في هذا يقال نصحته ونصحت له .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا
خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ

تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا
وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن
دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ
يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ
إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ
مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر حتى يصدُر بفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون يُصدِر بضم الياء وكسر الدال .

[ **الحجة** ] من قرأ حتى يَصْدُر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم وفي التنزيل يصدُر الناس أشتاتاً ليروا ومن قرأ حتى يُصدر أراد حتى يصدروا مواشيهم من وردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر

لا يَعْدِلَنَّ أتاوِيُّونَ تَضْرُبُهُمْ     نَكْبَاء صِرٌّ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ(١)

أي أحداً .

[ **اللغة** ] تلقاء الشيء حذاؤه ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه أي من حذاء داعي نفسه وسواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر « حَتّى أُغيّبَ في سَوَاءِ المَلْحَدِ » (٢) وزاد شاته أو ابله

(١) الاتاويون: الغرباء. والصمر شدة البرد. والمحلات القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند سمى بذلك لان من كانت هذه معه حل حيث شاء الا فلا بد من ان يجاور الناس يستعير منهم بعضها اي لا تعدل أتاويون اذا أصابهم الصر أحداً بأصحاب المحلات. سواء الملحد: وسط القبر .

(٢) السرب: القطيع من الظباء والبقر والطير وغيرها. ونزع أي طالبة الفحل .

عن الشيء يذودها ذودا أي حبسها عنه بمنعه منه قال سويد بن كراع

أَبِيتُ عَلىٰ بَابِ الْقَوافِي كَأَنَّما أذودُ بِها سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعاً(١)

قال الفراء ولا يقال ذدت في الناس وإنما يقال في الإبل والغنم وهذا ليس بشيء يدل عليه قول الكميت يصف بني هاشم(١)

سادةٌ ذادَةٌ عَنِ الخُرَّدِ البِيـ ـضِ إذا الْيَوْم كَانَ كَالأَيَّامِ(٢)

والخطب الأمر الذي فيه تفخيم ومنه الخِطبة والخُطبة والخَطاب كل ذلك فيه معنى العظم وما خطبكما أي ما شأنكما قال الراجز « يا عَجَباً مَا خطبُهُ وخَطْبي » والرعاء جمع راع ويجمع على الرعيان والرعاة .

[ **الإعراب** ] تلقاء ظرف مكان لا نسقي أي لا نسقي الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلالة الكلام عليه وكذلك قوله ﴿ **فسقى لهما** ﴾ واللام في قوله ﴿ **لما أنزلت** ﴾ يتعلق بفقير تمشي في موضع نصب على الحال من جاءت وقوله ﴿ **على إستحياء** ﴾ في موضع الحال أيضاً من تمشي أي تمشي مستحيية ويجوز أن يكون حالاً بعد حال . قالت أن أبي يدعوك الجملة يجوز أن يكون بدلاً من قوله فجاءته إحداهما ويجوز أن تكون في موضع الحال بإضمار قد والعامل فيه جاءت أو تمشي .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه خروج موسى من مصر إلى مدين فقال ﴿ **فخرج منها** ﴾ أي من مدينة فرعون ﴿ **خائفاً** ﴾ من أن يطلب فيقتل ﴿ **يترقب** ﴾ الطلب ﴿ **قال رب نجّني من القوم الظالمين** ﴾ قال ابن عباس خرج موسى متوجّهاً نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنّه بربّه قال رب نجني من فرعون وقومه وقيل أنه خرج بغير زاد ولا ماء ولا حذاء ولا ظهر وكان لا يأكل إلا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين ﴿ **ولما توجه تلقاء مدين** ﴾ التوجه صرف الوجه إلى جهة من الجهات وقوله هذا المعنى يتوجه إلى كذا أي هو كالطالب له يصرف وجهه إليه قال الزجاج معناه ولما سلك في الطريق الذي يلقى مدين فيها وهي على مسيرة ثمانية أيام من مصر نحو ما بين البصرة إلى الكوفة ولم يكن له علم بالطريق ولذلك

---

(١) وقد ورد في حديث الحوض أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن » وفي حديث آخر « فليذ ادن رجال عن حوضي » وغير ذلك ذكره الجزرى في النهاية فراجع وفي زيارة الجامعة أيضاً : « السادة الولاة والذادة الحماة » .

(٢) الخريد من النساء البكر التي لم تمسس قط .

﴿ **قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل** ﴾ أي يرشدني قصد السبيل إلى مدين وقيل سواء السبيل وسطه المؤدّي إلى النجاة لأن الأخذ يميناً وشمالاً لا يباعد عن طريق الصواب وقيل أنه لم يقصد موضعاً بعينه ولكنّه أخذ في طريق مدين وقال عكرمة عرضت لموسى أربعة طرق فلم يدر أيّتها يسلك ولذلك قال عند إستواء الطرق له عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فلما دعا ربه إستجاب له ودلّه على الطريق المستقيم إلى مدين وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين وقيل أنه خرج حافياً ولم يصر إلى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير ﴿ **ولما ورد ماء مدين** ﴾ وهو بئر كانت لهم ﴿ **وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ أي جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر ﴿ **ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ﴾ أي تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود إلى الماء عن السدي وقيل تذودان الناس عن مواشيهما عن قتادة وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم إختصاراً ﴿ **قال** ﴾ موسى لهما ﴿ **ما خطبكما** ﴾ أي ما شأنكما وما لكما لا تسقيان مع الناس عن ابن إسحاق ﴿ **قالتا لا نسقي** ﴾ عند المزاحمة مع الناس ﴿ **حتى يصدر الرعاء** ﴾ مرَّ معناه أي حتى ينصرف الناس فإنا لا نطيق السقي فننتظر فضول الماء فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس وقتادة ﴿ **وأبونا شيخ كبير** ﴾ لا يقدر على أن يتولى السقي بنفسه من الكبر ولذلك إحتجنا ونحن نساء أن نسقي الغنم وإنما قالتا ذلك تعريضاً للطلب من موسى أن يعينهما على السقي وقيل إنما قالتا ذلك إعتذاراً إلى موسى في الخروج بغير محرم ﴿ **فسقى لهما** ﴾ معناه فسقى موسى غنمها الماء لأجلهما وهو أنه زحم القوم عن الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن إسحاق وقيل رفع لأجلهما حجراً عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها إلا عشرة رجال وسألهم أن يعطوه دلواً فناولوه دلواً وقالوا له إنزح إن أمكنك وكان لا ينزحها إلا عشرة فنزحها وحده وسقى أغنامهما ولم يستق إلا ذنوباً(١) واحداً حتى رويت الغنم ﴿ **ثم تولى إلى الظل** ﴾ أي ثم إنصرف إلى ظل سمرة فجلس تحتها من شدّة الحرّ وهو جائع ﴿ **فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير** ﴾ قال ابن عباس سأل نبيُّ الله فلق خبز يقيم به صلبه وقال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات والله ما سأله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض لقد كانت خضرة البقلة ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه قال الأخفش يقال فقير إليه وفقير له قال ابن إسحاق فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما وسألهما فأخبرتاه الخبر فقال

(١) الذنوب : الدلو التي لها ذنب .

لإحداهما عليَّ به فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه فذلك قوله ﴿ **فجاءته إحداهما تمشي على إستحياء** ﴾ أي مستحيية معرضة عن عادة النساء الخفرات وقيل أراد باستحيائها أنها غطَّت وجهها بكُمّ درعها عن عمر بن الخطاب وقيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فوالله ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات اللاتي لا يحسن المشي بين أيدي الرجال والكلام معهم وقيل أراد أنها كانت تمشي عادلة عن الطريق ﴿ **قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا** ﴾ أي ليكافئك على سقيك لغنمنا وأكثر المفسرين على أن أباها شعيب (ع) وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعد ما كفّ بصره ودفن بين المقام وزمزم وقيل يثروب وقيل هو إسم شعيب لأن شعيباً إسم عربي قال أبو حازم لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بُدّاً من أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغضّ مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأرني السمت بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيّئاً فقال له شعيب أجلس يا شاب فَتَعَشّ فقال له موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملك الأرض ذهباً فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نُقري الضيف ونطعم الطعام قال فجعل موسى يأكل وذلك قوله ﴿ **فلما جاءه وقصَّ عليه القصص** ﴾ أي فلما جاء موسى شعيباً وقصَّ عليه أمره أجمع من قتل القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه ﴿ **قال** ﴾ له شعيب ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ يعني فرعون وقومه فلا سلطان لهُ بأرضنا ولسنا في مملكته .

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ
إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ
أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ
أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا

ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ

ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم

مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا

نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ

أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم أو جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف جُذوة بضم الجيم والباقون جِذوة بالكسر وفي الشواذ قراءة الحسن إلى الأجلين بتخفيف الياء وسكونها .

[ **الحجة** ] في الجذوة ثلاث لغات على حسب القراءات الثلاث وأما إيما فهي لغة قال الفرزدق :

تَنَظَّرْتُ نَسْراً وَالسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ(١)

[ **اللغة** ] الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار وجمعها جذى قال :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَىٰ يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذىٰ غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ(٢)

وشاطىء الوادي جانبه وهو الشط والجمع الشواطىء .

[ **الإعراب** ] هاتين صفة لابنتي . ثماني حجج ظرف زمان .·. ذلك بيني وبينك ذلك مبتدأ وخبره بيني وبينك ومعناه ما شرطت عليَّ فلك وما شرطت لي فلي كذلك الأمر بيننا عن الزجاج وأيٌّ في معنى الجزاء وهي منصوبة بقضيت وما مزيدة مؤكِّدة وجوابه فلا عدوان

(١) النسر . والسماكان : اسماء لكواكب . وفي جامع الشواهد « نصراً » بالصاد وقال في ترجمته : نصر بالنون والصاد والراء المهملتين كفلس هو ابن سيار أمير خراسان . واستهل المطر : أنصب بشدة .

(٢) الحواطب : الجواري يلتمسن الحطب . والجزل : الحطب اليابس وقيل : الغليظ والخوار من كل شيء : الضعيف الذي لا بقاء له . وعود دعر بالدال المهملة ـ : أي كثير الدخان .

عليّ . إن موسى أنْ في موضع نصب وهي مخففة من الثقيلة تقديره نودي بأنه يا موسى وبأنه ألق عصاك .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه أمر موسى في مدين وانصرافه عنه فقال ﴿ **قالت إحداهما** ﴾ أي إحدى ابنتيه واسمها صفورة وهي التي تزوَّج بها واسم الأخرى ليا وقيل إن اسم الكبرى صفـراء واسم الصغـرى صفيـراء ﴿ **يـا أبت استـأجـره** ﴾ أي إتّخـذه أجيـراً ﴿ **إن خيـر من استأجرت القـوي الأمين** ﴾ أي خير من استعملت من قـوي على العمل وإداء الأمـانة قـال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوّته قالت أما قوته فلأنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا وأما أمانته فإنه قال لي أمشي خلفي فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي عجزك وقيل القوي في نزعه الحجر من البئـر وكان لا يستـطيعه إلا النفر . الأمين في غضّ طرفه عنهما حين سقى لهما فصدرتا وقد عـرفتا قـوته وأمـانته فلمـا ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه ﴿ **قال إني أريد أن أنكحك** ﴾ أي أزوّجك ﴿ **إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثمـاني حجج** ﴾ أي على أن تكـون أجيراً لي ثمـاني سنين ﴿ **فإن أتممت عشراً فمن عندك** ﴾ أي ذلك تفضـل منك وليس بـواجب عليك وقيـل معناه على أن تجعل جزائي وثوابي إياك على أن أنكحك إحدى ابنتي أن تعمل لي ثمـاني سنين فزوَّجه ابنته بمهر واستأجره للرعي ولم يجعل ذلك مهراً وإنما شـرط ذلك عليـه وهذا على وفق مذهب أبي حنيفة والأول أصح وأوفق لظاهر الآية ﴿ **وما أريد أن أشق عليك** ﴾ في هذه الثمانية حجج وإن أكلفك خدمة سوى رعي الغنم وقيل وما أشق عليك بأن آخذك بإتمام عشر سنين ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بالعهد وإنما علّق الصلاح بمشيئة الله لأن مراده إن شاء الله تبقيتي فمن الجائز أن يخترمه الله ولا يفعـل الصلاح الديني الذي يريده وحكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شية أمها فأوحى الله إلى موسى في المنام أن ألق عصاك في الماء ففعل فولدن كلهن على خلاف شيتهن وقيل أنه وعده أن يعطيه تلك السنة من نتاج غنمه كل أدرع[١] وأنها نتجت كلها درعاً وروى الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن أبي عبد الله ( ع ) قال سئـل أيتهـا التي قالت آن أبي يـدعوك قـال التي تزوج بهـا قيل فـأيّ الأجلين قضى قال أوفـاهما وأبعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل أن يمضي الشرط أو بعد إنقضائه قال قبل أن ينقضي قيل له فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين أيجوز ذلك قال إن موسى علم أنه

(١) الأدرع من الخيل والشاة : ما أسود رأسه وأبيض ساير جسده .

سيتم لـه شرطـه قيل كيف قـال علم أنـه سيبقى حتى يفي ﴿ **قـال** ﴾ مـوسى ﴿ **ذلـك بيني وبينك** ﴾ أي ذلك الذي وصفت وشرطت عليَّ فلك وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي وتم الكلام ثم قال ﴿ **أيما الأجلين** ﴾ من الثماني والعشر ﴿ **قضيت** ﴾ أي أتممت وفرغت منه ﴿ **فلا عدوان علي** ﴾ أي لا ظلم علي بأن أكلف أكثر منها وأطالب بالزيـادة عليهما ﴿ **والله على مـا نقول وكيـل** ﴾ أي شهيد فيمـا بيني وبينـك عن ابن عبـاس ﴿ **فلمـا قضى مـوسى الأجل** ﴾ أي أوفاهما روى الواحدي بالإسناد عن ابن عباس قال سئل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأجلين قضى موسى قال أوفاهما وأبـطأهما وبـالإسناد عن أبي ذر قـال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت إستأجره وقال وهب تزوج الكبرى منهما وفي الكـلام حذف وإيجـاز وهو فلمـا قضى موسى الأجـل وتسلم زوجته ثم توجّه نحو الشام ﴿ **وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً** ﴾ وقيل إنه لما زوَّجها منه أمر الشيخ أن يعطي موسى عصا يدفع السباع عن غنمه بها فـأعطي العصـا وقد ذكرنا حديث العصا في سورة الأعراف وقيل خرج آدم بالعصا من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم ( ع ) وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها إليه عن عكرمـة وقيل لم يـزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى وكـانت عصا الأنبيـاء عنده وروى عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبـد الله ( ع ) يقول كـانت عصا مـوسى قضيب آس من الجنة أتاه به جبرائيـل عليه السـلام لما تـوجه تلقـاء مدين وقـال السدي كـانت تلك العصا استودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت وأخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا أآتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فكانت لا تقع في يدها إلا هي فعلت ذلك مراراً فأعطاها موسى وقوله وسار بأهله قيل إنه مكث بعد إنقضاء الأجل عند صهره عشراً أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر ليزور والديه وأخاه فأذن له فسار بأهله عن مجاهد وقيل إنه لما قضى العشر سار بأهله أي بامرأته وبأولاد الغنم التي كانت له وكانت قطيعاً فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته في شهرها فسار في البرية غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلْق وضلَّ الطريق وتفرَّقت ماشيته فأصابه المطر فبقي لا يدري أين يتوجه فبينا هو كذلك آنس من جانب الطور ناراً وروى أبو بصير عن أبي جعفر ( ع ) قال لما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلاً فرأى ناراً ﴿ **قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً** ﴾ وقد مرَّ تفسيره ﴿ **لعلي آتيكم منها بخبر** ﴾ أي بخبر من الطريق الذي أريد

قصده وهل أنا على صوبه أو منحرف عنه وقيل بخير من النار هل هي لخبر نأنس به أو لشرّ نحذره ﴿ أو جذوة من النار ﴾ أي قطعة من النار وقيل بأصل شجرة فيها نار ﴿ **لعلكم تصطلون** ﴾ أي تستدفئون بها ﴿ **فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن** ﴾ أي نودي موسى من الجانب الأيمن للوادي ﴿ **في البقعة المباركة** ﴾ وهي البقعة التي قال الله تعالى فيها لموسى ﴿ **إخلع نعليك إنك بالواد المقدس** طوى ﴾ وإنما كانت مباركة لأنها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة لكثرة الأشجار والأثمار والخير والنعم بها والأول أصح ﴿ **من الشجرة** ﴾ إنما سمع موسى النداء والكلام من الشجرة لأن الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل الشجرة محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل وعلم موسى بالمعجز أن ذلك كلامه تعالى وهذه أعلى منازل الأنبياء أعني أن يسمعوا كلام الله من غير واسطة ومبلّغ وكان كلامه سبحانه ﴿ **إن يا موسى إني أنا الله رب العالمين** ﴾ أي أن المكلم لك هو الله مالك العالمين وخالق الخلائق أجمعين تعالى وتقدس عن أن يحلّ في محل أو يكون في مكان لأنه ليس بعرض ولا جسم .

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ
وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ
بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى
هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ
أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ
لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا

ٱلْغَـٰلِبُونَ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز والبصرة من الرَهَب بفتح الراء والهاء وقرأ حفص من الرَهْب بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير فذانّك بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أبو جعفر ونافع رداً بغير همزة والباقون بالهمزة وقرأ عاصم وحمزة يُصَدِّقُني بالرفع والباقون يُصَدِّقْني بالجزم وفي الشواذ قراءة الحسن عَضْدُك .

[ **الحجة** ] الرَهب والرُهْب لغتان مثل الرشد والرشد والرَهَب والرَهْب مثل الشمع والشمع والنَهْر والنَّهَر وقوله ﴿ **فذانك** ﴾ قد مضى القول فيه فيما تقدَّم وقال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك وجعل بدل اللام في ذلك تشديد النون ومن قرأ رداً فإنه خفف الهمزة وذلك حكم الهمزة إذا خففتها وكان قبلها ساكن أن تحذف وتلقى حركتها على الساكن قبلها ومن قرأ يصدقُني بالرفع جعله صفة للنكرة وتقديره ردءاً مصدقاً ومن قرأ بالجزم كان على معنى الجزاء أي إن أرسلته يصدقني وفي عضد خمس لغات عَضُد وعَضْد وعُضُد وعُضْد وعَضِد وافصحها عَضُد مثل رجل .

[ **الإعراب** ] قوله إلى فرعون يتعلق بما يتعلق بِه مِنْ من قوله ﴿ **برهانان من ربك** ﴾ ويجوز أن يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره في قوله في تسع آيات . إلى فرعون وهارون عطف بيان . ردءاً نصب على الحال والباء في قوله بآياتنا يحتمل ثلاثة أوجه ( أحدها ) أن يتعلق بيصلون ( والثاني ) أن يتعلق بنجعل ( والثالث ) أن تعلق بقوله ﴿ **الغالبون** ﴾ .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه تمام قصة موسى ( ع ) فقال ﴿ **وأن ألق عصاك** ﴾ إنما أعاد سبحانه هذه القصة وكرَّرها في السور تقريراً للحجة على أهل الكتاب واستمالة بهم إلى الحق ومن أحبَّ شيئاً أحبَّ ذكره والقوم كانوا يدَّعون محبة موسى وكل من إدّعى إتباع سيده مال إلى من ذكره بالفضل على أن كل موضع من مواضع التكرار لا تخلو من زيادة فائدة وهاهنا حذف تقديره فألقاها من يده فانقلبت بإذن الله تعالى ثعباناً عظيماً تهتز كأنها جانّ في سرعة حركتها وشدة إهتزازها ﴿ **فلما رآها تهتز** ﴾ أي تتحرّك ﴿ **كأنها جان ولى مدبراً** ﴾ موسى ﴿ **ولم يعقب** ﴾ أي لم يرجع إلى ذلك الموضع فنودي ﴿ **يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين** ﴾ من ضررها وفي انقلاب العصا حية دلالة على أن الجواهر متماثلة وأنها من جنس واحد لأنه لا حال أبعد إلى حال الحيوان من حال الخشب وما جرى مجرى ذلك من الجماد فإذا صحَّ قلب الخشب إلى حال الحيوان صحَّ أيضاً قلب الأبيض إلى حال الأسود

﴿ أسلك يدك في جيبك ﴾ أي أدخلها فيه ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أي من غير برص ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾ أي ضم يدك إلى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن عباس ومجاهد والمعنى أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما أصابه من الخوف عند معاينة الحية وقيل أمره سبحانه بالعزم على ما أراده منه وحثّه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذي يغشاه في بعض الأحوال مما أمره بالمضي فيه وليس يريد بقوله ﴿ إضمم يدك ﴾ الضم المزيل للفرجة بين الشيئين عن أبي علي الفارسي قال وهذا كما أن أشدد في قوله « أُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ * فَإِنَّ المَوْتَ لاَقِيكا » ليس يراد به الشدّ الذي هو الربط والمراد به تأهّب للموت واستعدّ للقائه حتى لا تهاب لقاه ولا تجزع من وقوعه وقد جاء ذكر اليدين في مواضع يراد بهما جملة ذي اليد فمن ذلك قولهم لبيك والخير بين يديك ومنه قوله تعالى ﴿ بما قدّمت يداك ﴾ وفي المثل يَدَاكَ أَوْ كَتَاوُكَ نَفَخَ[1] وإنما يقال هذا عند تفريغ الجملة وقال أبو عبيدة جناحا الرجل يداه وقال غيره الجناح هنا العضد ويدل على قوله إن العضد قد تقام مقام الجملة في مثل قوله ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾ وقد جاء المفرد ويراد به التثنية قال :

يَــدَاكَ يَــدٌ إحْــدَاهُمَـا الْجُــودُ كَلُّهُ  وَرَاحَتُـكَ الأُخْـرىٰ طِعـانٌ تُغَـامِـرُهْ

المعنى يداك يدان بدلالة قوله ﴿ إحداهما ﴾ فعلى هذا يجوز أن يراد بالأفراد في قوله ﴿ واضمم إليك جناحك ﴾ التثنية وقيل أنه لما ألقى العصا وصارت حية بسط يديه كالمتقي وهما جناحاه فقيل له اضمم إليك جناحك أي ما بسطته من يديك والمعنى لا تبسط يديك خوف الحية فإنك آمن من ضررها ويجوز أن يكون معناه أسكن ولا تخف فإنَّ من هاله أمر أزعجه حتى كأنه يطيره وآلة الطيران الجناح فكأنه (ع ) قد بلغ نهاية الخوف فقيل له ضم منشور جناحك من الخوف واسكن وقيل معناه إذا هالك أمر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها إليك لتسكن ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ معناه فاليد والعصا حجتان من ربك على نبوتك ﴿ إلى فرعون وملئه ﴾ أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين الباهرتين ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي خارجين من طاعة الله إلى أعظم المعاصي وهو الكفر ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني ﴾ بتلك النفس ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ﴾ وإنما قال ذلك لعقدة كانت في لِسانه وقد مرَّ فيما مضى ذكر

---

(١) أوكى القربة : شدها بالوكاء .

سببها وقد كان الله تعالى أزال أكثرها أو جميعها بدعائه ﴿ **فأرسله معي ردءاً** ﴾ أي معيناً لي على تبليغ رسالتك يقال فلان ردء لفلان إذا كان ينصره ويشدّ ظهره ﴿ **يصدّقني إني أخاف أن يكذبوني**﴾ أي مصدقاً لي على ما أودّيه من الرسالة وإن جزمته فالمعنى إنك أن ترسله معي يصدّقني وإنما كان سؤاله ذلك بعد أن أذن له فيه لأن الإنسان لا يعلم إن المصلحة في إرسال نبي واحد أو إثنين إلا بالوحي وقال مقاتل معناه لكي يصدقني فرعون ﴿**قال سنشد عضدك بأخيك** ﴾ هذه إستعارة رابعة والمعنى سنجعله رسولاً معك ونؤيدك بأن نقرنه إليك في النبوة وننصرك به ﴿ **ونجعل لكما سلطاناً** ﴾ أي حجة وقوة وبرهاناً ﴿ **فلا يصلون إليكما بآياتنا** ﴾ أي لا يصل فرعون وقومه إلى الأضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما يجري على أيديكما من المعجزات فيخافكما فرعون وقومه لأجلها وقيل إن قوله ﴿ **بآياتنا** ﴾ موضعه التقديم أي ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا فلا يصلون إليكما ثم أخبر أن الغلبة لهما عليهم فقال ﴿ **أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ على فرعون وقومه القاهرون لهم وهذه الغلبة غير السلطان فإن السلطان بالحجة والغلبة بالقهر حين هلك فرعون وقومه وملك موسى وقومه ديارهم وروي عن أبي جعفر (ع) في حديث طويل قال فلما رجع موسى (ع) إلى امرأته قالت من أين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا إلى فرعون فوالله لكأني أنظر إليه طويل الباع ذو شعر ادم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط[1] نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون أن على الباب فتى يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها وكان إذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلّاها فقرع موسى الباب الأول وكانت تسعة أبواب فلما قرع الباب الأول إنفتحت له الأبواب التسعة فلما دخل جعلن تبصبصن تحت رجليه كأنهن جراء[2] فقال فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما أقبل إليه فقال ألم نربك فينا وليداً إلى قوله ﴿ **وإنا من الضالين** ﴾ فقال فرعون لرجل من أصحابه قم فخذ بيده وقال للآخر إضرب عنقه فضرب جبرائيل بالسيف حتى قتل ستة من أصحابه فقال خلّوا عنه قال فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه فألقى العصا فإذا هي حية فالتقمت الأيوان بلحييها فدعاه إن يا موسى أقلني إلى غد ثم كان من أمره ما كان .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ

(١) الحقو : الخصر . والشريط : خوص مفتول يشرط به السرير ونحوه .

(٢) بصبص الكلب : تحرك ذنبه . والجراء جمع الجرو : أولاد السباع .

إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ
عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ
فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ
مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ
ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون وقال بالواو وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قد مضى القول في نحو هذا فيما قبل وكذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن وكذلك قد مضى فيما تقدم القول في يُرجعون ويَرجعون .

[ **اللغة** ] الصرح البناء العالي كالقصر وأصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر :

بِهِنَّ نَعَامٌ بَنَاهَا الرِّجَالُ تَحْسِبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا[١]

والنبذ الإلقاء والطرح والشيء منبوذ قال أبو الأسود :

نَظَرْتُ إِلَىٰ عُنْوانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا

والقبح الإبعاد قبحه الله أي أبعده يقبحه قبحاً ويقال قبحه إذا جعله قبيحاً وقيل قبحه فهو مقبوح أهلكه .

[ **الإعراب** ] بينات نصب على الحال . ما سمعنا بهذا يحتمل أن تكون الباء زائدة ويحتمل أن تكون على أصلها وقوله ﴿ **بغير الحق** ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال والتقدير واستكبر هو وجنوده مبطلين . ويدعون صفة الأئمة . ويوم القيامة ظرف لفعل يدل عليه قوله ﴿ **من المقبوحين** ﴾ على تقدير قبحوا يوم القيامة لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول والألف واللام في المقبوحين موصول وتقديره الذين قبحوا .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات** ﴾ التقدير فمضى موسى إلى فرعون وقومه فلما جاءهم بآياتنا أي بحججنا البينات ومعجزاتنا الظاهرات ﴿ **قالوا ما هذا إلا سحر مفترى** ﴾ أي مختلق مفتعل لم يُبنَ على أصل صحيح لأنه حيلة توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر والإختلاف على هذا المعنى جهلاً منهم وذهاباً عن الصواب ﴿ **وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** ﴾ أي لم نسمع ما يدعيه ويدعو إليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا وإنما قالوا ذلك مع إشتهار قصة نوح وهود وصالح وغيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته لأحد أمرين أما للفترة التي دخلت بين الوقتين والزمان الطويل وأما لأن آباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا بآبائنا أنهم صدقوا الرسل فيما جاؤوا به ووجه شبهتهم في ذلك أنهم قالوا إنهم الكبراء فلو كان حقاً لأدركوه فإنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص في الرأي والعقل ولا يدركه الأفضل فيهما وهذا غلط لأن ما طريقه الإستدلال لا يمتنع أن يصيبه الأدون في الرأي إذا سلك طريقه ولا يصيبه الأكمل في الرأي إذا لم يسلك طريقه ﴿ **وقال موسى** ﴾ مجيباً لهم ﴿ **ربي أعلم بمن جاء بالهدي من عنده ومن تكون له عاقبة الدار** ﴾ ومعناه ربي يعلم إني جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك إن كذبتموني ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا

(١) النعام : المفازة . والإعلام : الجبال .

ولأهل الحق والإنصاف وهذا كما يقال على سبيل المظاهرة الله أعلم بالمحق منا والمبطل وحجتي ظاهرة فأكثرها إن قدرت على ذلك ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي لا يفوز بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه وكفر نعمه ﴿ وقال فرعون ﴾ منكراً لما أتى به موسى من آيات الله لما أعياه الجواب وعجز عن محاجته ﴿ يا أيها الملأ ﴾ يريد إشراف قومه ﴿ ما علمت لكم من إلّه غيري فأوقد لي يا هامان على الطين ﴾ أي فأجج النار على الطين واتخذ الآجر وقيل أنه أول من إتخذ الآجر وبنى به عن قتادة ﴿ فاجعل لي صرحاً ﴾ أي قصراً وبناء عالياً ﴿ لعلي أطلع إلى إلّه موسى ﴾ أي أصعد إليه وأشرف عليه وأقف على حاله وهذا تلبيس من فرعون وإيهام على العوام أن الذي يدعو إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان والجهة ﴿ وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ في ادعائه إلّهاً غيري وأنه رسوله ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق ﴾ أي رفع فرعون وجنوده أنفسهم في الأرض فوق مقدارها بالباطل والظلم وأنفوا وتعظموا عن قبول الحق في إتباع موسى ﴿ وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ أي أنكروا البعث وشكُّوا فيه ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ أي فعاقبناهم وطرحناهم في البحر وأهلكناهم بالغرق وعنى باليم نيل مصر وقيل بحر من وراء مصر يقال له أساف غرقهم الله فيه ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ أي تفكّر وتدبّر وانظر بعين قلبك كيف أخرجناهم من ديارهم وأغرقناهم ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ وهذا يحتاج إلى تأويل لأنه ظاهره يوجب أنه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار كما جعل الأنبياء أئمة يدعون إلى الجنة وهذا ما لا يقول به أحد فالمعنى أنه أخبر عن حالهم بذلك وحكم بأنهم كذلك وقد تحصل الإضافة على هذا الوجه بالتعارف ويجوز أن يكون أراد بذلك أنه لما أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتى عرفوا فكأنه جعلهم كذلك ومعنى دعائهم إلى النار أنهم يدعون إلى الأفعال التي يستحقُّ بها دخول النار من الكفر والمعاصي ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ أي لا ينصر بعضهم لبعض ولا ينصرهم غيرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون في الدنيا ﴿ واتبعناهم في هذه الدنية لعنة ﴾ أي أردفناهم لعنة بعد لعنة وهي البعد عن الرحمة والخيرات وقيل معناه ألزمناهم اللعنة في هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم عن أبي عبيدة ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ أي من المهلكين عن الأخفش وقيل من المشوهين في الخلقة بسواد الوجوه وزرقة الأعين عن الكلبي عن ابن عباس وقيل من الممقوتين المفضوحين .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى
ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا
وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن
رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ
أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن
قَبْلُۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة سحران بغير ألف والباقون ساحران بالألف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ ساحران أنه قال تظاهراً والمظاهرة المعاونة وفي التنزيل وإن تظاهراً عليه والمعاونة في الحقيقة إنما تكون للساحرين لا للسِحْرين والوجه في

قوله ﴿ سحران ﴾ أنه نسب المعاونة إلى السحرين على وجه الإتساع كأن كل سحر منهما يقوّي الآخر .

[ الإعراب ] قال الزجاج قوله ﴿ بصائر ﴾ حال أي آتيناه الكتاب مبيناً وأقول فيه أنه بدل من الكتاب فإن المعرفة يجوز أن تبدل منها النكرة والبصائر في معنى الحجج فلا يصحّ معنى الحال فيها إذا كان إسماً محضاً لا شائبة فيه للفعل وقوله ﴿ إذا قضينا ﴾ ظرف للمحذوف الذي يتعلق به الباء في قوله ﴿ بجانب الغربي ﴾ وتتلو جملة منصوبة الموضع على الحال ولكن رحمة رحمة منصوبة مفعول لها تقديره ولكنا أوحينا إليك رحمة أي للرحمة كما تقول فعلت ذلك إبتغاء الخير . لولا أن تصيبهم مصيبة لولا هذه هي التي معناها إمتناع الشيء لوجود غيره وأن تصيبهم مبتدأ وجواب لولا محذوف وتقديره لم يحتج إلى إرسال الرسل ولولا الثانية في قوله ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ هي التي معناه التخصيص بمعنى هلا . بغير هدى الجار والمجرور في موضع نصب على الحال .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه من أخبار موسى (ع) ما فيه دلالة على معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ أي الجموع التي كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح وعاد وثمود ويجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه أعطاه التوراة بعد إهلاكهم بمدة ﴿ بصائر للناس ﴾ أي حججاً وبراهين للناس وعبراً يبصرون بها أمر دينهم وأدلّة يستدلّون بها في أحكام شريعتهم ﴿ وهدى ﴾ أي دلالة لمن إتبعه يهتدي بها ﴿ ورحمة ﴾ لمن آمن به ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي يتعّظون ويعتبرون وجاءت الرواية بالإسناد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية التي مسخوا قردة ألم تر أن الله تعالى قال ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ الآية ﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ أي وما كنت يا محمد حاضراً بجانب الجبل الغربي أي في الجانب الغربي من الجبل الذي كلَّم الله فيه موسى عن قتادة والسدي وقيل بجانب الوادي الغربي عن ابن عباس والكلبي ﴿ إذا قضينا إلى موسى الأمر ﴾ أي عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وقيل معناه أخبرناه بأمرنا ونهينا وقيل أراد كلامه معه في وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ أي الحاضرين لذلك الأمر وبذلك المكان فتخبر قومك عن مشاهدة وعيان ولكنا أخبرناك به ليكون معجزة لك ﴿ ولكنا أنشأنا قروناً

فتطاول عليهم العمر ﴾ أي خلقنا قرناً بعد قرن فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم وفترة النبوة فحملهم ذلك على الاغترار وأنكروا بعثة الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك للناس رسولاً وجعلناك رحمة للناس كما جعلنا موسى رحمة لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير وقيل إن المعنى خلقنا خلقاً كثيراً عهدنا إليهم في نعتك وصفتك وأمرنا الأول بالإبلاغ للناس إلى الثاني فامتدّ بهم الزمان فنسوا عهدنا إليهم فيك ﴿ وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ﴾ معناه وما كنت مقيماً في قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل معناه ولم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ أي أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى إنك لم تشاهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكنا أوحيناها إليك وقصصناها عليك حتى تخبر قومك بهذا فيدلُّ ذلك على صحة نبوتك وقيل معناه إنك لم تشهد إحساننا إلى عبادنا في إرسال الرسل ونصب الآيات وإنزال الكتب بالبينات والهدى وهذا كما يقال لم تدر أيّ شيء كان هناك تفخيماً للأمر ولولا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت ولم تهتد له ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ أي ولم تك حاضراً بناحية الجبل الذي كلمنا عليه موسى وناديناه يا موسى خذ الكتاب بقوة وقيل أراد بذلك المرة الثانية التي كلَّم الله فيها موسى (ع) حين اختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعوا كلام الله تعالى ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أي ولكن الله تعالى أعلمك ذلك وعرفك إياه نعمة من ربك أنعم بها عليك وهو أن بعثك نبياً واختارك لإيتاء العلم بذلك معجزة لك ﴿ لتنذر قوماً ما أتيهم من نذير من قبلك ﴾ أي لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي لكي يتفكروا ويعتبروا وينزعوا عن المعاصي وفي هذا دلالة على وجوب فعل اللطف فإن الإنذار والدعوة لطف من الله تعالى مؤثر في القبول ومقرّب منه ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ معناه لولا أن لهم أن يحتجّوا لو أصابتهم عقوبة بأن يقولوا هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى ما يجب الإيمان به فنتّبع الرسول ونأخذ بشريعته ونصدّق به لما أرسلنا الرسل ولكنا أرسلنا رسلاً لقطع حجتهم وهو في معنى قوله ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقيل إن جواب لولا هاهنا لعجَّلنا لهم العقوبة وقيل المراد بالمصيبة هاهنا عذاب الاستئصال وقيل عذاب الدنيا والآخرة عن أبي مسلم ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والإسلام ﴿ قالوا لولا أوتي ﴾ أي هلا أعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ مثل ما أوتي موسى ﴾ من فلق البحر واليد البيضاء والعصا وقيل معناه هلا أوتي كتاباً جملة واحدة وإنما قاله اليهود أو قريش بتعليم اليهود فاحتجَّ

الله عليهم بقوله ﴿ **أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل** ﴾ أي وقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **وقالوا سحران تظاهرا** ﴾ يعنون التوراة والقرآن عن عكرمة والكلبي ومقاتل ومن قرأ ساحران تظاهرا فمعناه أنهم قالوا تظاهر موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس ﴿ **وقالوا إنا بكل كافرون** ﴾ من التوراة والقرآن قال الكلبي وكانت مقالتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروهم بنعته وصفته في كتابهم التوراة فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا ﴿ **قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين** ﴾ معناه قل يا محمد لكفار قومك فأتوا بكتاب هو أهدى من التوراة والقرآن حتى إتبعه إن صدقتم إن التوراة والقرآن سحران وقيل معناه فأتوا بكتاب من عند الله يؤمن معه التكذيب أي لم يكذب به طائفة من الناس ثم قال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك** ﴾ أي فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن وقيل فإن لم يستجيبوا لك إلى الإيمان مع ظهور الحق ﴿ **فاعلم إنما يتبعون اهواءهم** ﴾ أي ما تميل إليه طباعهم لأن الهوى ميل الطبع إلى المشتهى قال الزجاج أي فاعلم إنما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمَّهم فقال ﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** ﴾ أي لا أحد أضل ممن إتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاءه من الله ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ إلى طريق الجنة وقيل معناه لا يحكم الله بهدايتهم وقيل إنهم إذا لم يهتدوا بهدى الله فكأنه لم يهدهم .

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ
ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ
أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ

أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

[ **اللغة** ] أصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس :

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ [(١)]

أي موصول بعضه ببعض وهو في الكلام أن يصير بعضه يلي بعضاً والدرء الدفع .

[ **النزول** ] نزل قوله ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب** ﴾ وما بعده في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسليمان الفارسي فأنهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتادة وقيل نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه إثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب (ع) وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا وابرهة والأشرف وعامر وأيمن وأدريس ونافع وتميم .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه صفة القرآن فقال ﴿ **ولقد وصلنا لهم القول** ﴾ أي فصَّلنا لهم القول وبيَّنا عن ابن عباس ومعناه أتينا بآية بعد آية وبيان بعد بيان وأخبرناهم بأخبار الأنبياء والمهلكين من أممهم ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا فيعلموا الحق يتَّعظوا ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله** ﴾ أي من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **هم به** ﴾ أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **يؤمنون** ﴾ لأنهم وجدوا نعته في التوراة وقيل معناه من قبل القرآن وهم بالقرآن يصدّقون والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل يعني الذين أوتوا الكتاب ﴿ **وإذا يتلى** ﴾ القرآن ﴿ **عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله** ﴾ أي من قبل نزوله ﴿ **مسلمين** ﴾ به وذلك أن ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم أثنى الله سبحانه عليهم فقال ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ مرَّة بتمسّكهم بدينهم حتى أدركوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به ومرة بإيمانهم به وقيل بما صبروا على الكتاب الأول وعلى الكتاب الثاني وإيمانهم بما فيهما عن قتادة وقيل بما صبروا على دينهم وعلى أذى الكفار وتحمل المشاق ﴿ **ويدرؤون بالحسنة السيئة** ﴾ أي يدفعون بالحسن من الكلام الكلام

---

(١) هذا بيت من معلقته المعروفة . يصف فرسه وشدة عدوه ومهارته في الجري . والدرير : السريع من الدواب والخذروف : شي مستدير يديره الصبيان بخيط أدخل في ثقبه وفتل . والوليد : الصبي والأمرار : أحكام الفتل . شبه عدة عدوه بإدارة خذروف أحكم الصبي فتل خيطه وتتابعت كفاه في فتله وادارته بخيط إنقطع ثم وصل وذلك أشد لدورانه يقول : يدير الجري والعدو ويسرع فيهما كإسراع هذا الخذروف .

القبيح الذي يسمعونه من الكفار وقيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير وقيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام ومعناه يدفعون بالمداراة مع الناس أذاهم عن أنفسهم وروي مثل ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ مرَّ معناه ﴿ **وإذا سمعوا اللغو** ﴾ أي السفه من الناس والقبيح من القول والهزء الذي لا فائدة فيه ﴿ **أعرضوا عنه** ﴾ ولم يقابلوه بمثله ﴿ **وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم** ﴾ أي لا نسأل نحن عن أعمالكم ولا تسألون عن أعمالنا بل كل منا يجازى على عمله وقيل معناه لنا ديننا ولكم دينكم وقيل لنا حلمنا ولكم سفهكم ﴿ **سلام عليكم** ﴾ أي أمان منا لكم أن نقابل لغوكم بمثله وقيل هي كلمة حلم واحتمال بين المؤمنين والكافرين وقيل هي كلمة تحية بين المؤمنين عن الحسن ﴿ **لا نبتغي الجاهلين** ﴾ أي لا نطلب مجالستهم ومعاونتهم وإنما نبتغي الحكماء والعلماء وقيل معناه لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه عن مقاتل وقيل لا نبتغي دين الجاهلين ولا نحبّه عن الكلبي .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ
أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا
مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ
وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ
فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا
وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

[ القراءة ] قرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل تجبي بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابـو عمرو أفلا تعقلون بالياء والتاء كيف شئت والباقون بالتاء .

[ الحجة ] قال أبو علي تأنيث ثمرات جمع وليس بتأنيث حقيقي فيكون بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت والصيحة إذا ذكِّرت جاز وإذا أنثت جاز وحجة من قرأ أفلا تعقلون بالتاء قوله فما اوتيتم والياء على أفلا يعقلون يا محمد.

[ اللغة ] التخطف اخذ الشيء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفاً واختطفه اختطافاً وخطفه يخطفه خطفاً قال امرؤ القيس .

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الأُنَيْعِمِ بِالضُّحى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْها ثَعالِبُ أَوْرالِ[1]

يجبي من جبيت الماء في الحوض اي جمعته والجابية الحوض والبطر الطغيان عند النعمة قال ابن الاعرابي البطر سوء احتمال الغنى وقيل ان اصله من قولهم ذهب دمه بطراً اي باطلاً عن الكسائي وقيل هو ان يتكبر عند الحق فلا يقبله .

[ الإعراب ] رزقا مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبي اليه ثمرات كل شيء من رزقه ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق ويجوز ان يكون مصدراً من معنى قوله يجبي اليه ثمرات لأنه في معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكراً ويجوز أن يكون مفعولاً له وقوله من لدنا في موضع نصب على الصفة لقوله رزقاً وكم اهلكنا اي كثيراً من القرى اهلكنا فكم في موضع نصب بأهلكنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز لإن كم الخبرية إذا فصل بينها وبين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهامية معيشتها انتصب بقوله بطرت وتقديره في معيشتها فحذف الجار فأفضى الفعل. فتلك مساكنهم مبتدأ وخبر. لم تسكن في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك قليلاً صفة مصدر محذوف تقديره الا سكوناً قليلاً او صفة ظرف تقديره وقتاً أو زماناً قليلاً .

[ النزول ] قيل نزل قوله إنك لا تهدي من أحببت في ابي طالب فإن النبي ﷺ كان يحبّ اسلامه فنزلت هذه الآية وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه يا عبادي الذين

(١) يصف فرسه وقبل البيت قوله «كأني بفتخاء الجناحين لقوه * صيود من العقبان طأطأت شملال» شبهه بعقاب تخطف الارانب والثعالب وتخطف اصله تتخطف فحذف احدى التائين والخزان: ذكور الارانب والانيعم: موضع وفي بعض الروايات «خزان الشربة» وهو اسم موضع أيضاً. وأورال: أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل حذاق ماء لبني دارم وكان يسكنها قوم من العرب .

اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم أبو طالب واسلم وحشي ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما ترى فإن النبي ﷺ لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه وإذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان ابي طالب وأراد كفره وأراد النبي ﷺ إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين ارادتي الرسول ﷺ والمرسل فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم انك يا محمد تريد إيمانه ولا أريد إيمانه ولا اخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذب عنك ومحبته لك ونعمته عليك وتكره انت إيمان وحشي لقتله عمك حمزة وانا اريد إيمانه واخلق في قلبه الإيمان وفي هذا مافيه وقد ذكرنا في سورة الأنعام ان اهل البيت عليهم السلام قد اجمعوا على ان ابا طالب مات مسلماً وتظاهرت الروايات بذلك عنهم واوردنا هناك طرفاً من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي ﷺ وتوحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها اكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النبي ﷺ ويناضل عنه ويصحح نبوته وقال بعض الثقات ان قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عُقَد السحر وتُغَبِّرُ في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد واكثر من هذا ولا شك في انه لم يختر تمام مجاهرة الاعداء استصلاحاً لهم وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما الجأوه إليه بعد موته.

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر الرسول والقرآن وانه أنزل هدى للخلق بيَّن سبحانه انه ليس عليه الاهتداء وإنما عليه البلاغ والاداء فقال **﴿إنك﴾** يا محمد **﴿لا تهدي من أحببت﴾** هدايته وقيل من احببته لقرابته والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه اما ان يكون من فعله خاصة أو بإعلامه ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه إليه في قوله وانك لتهدي إلى صراط مستقيم وقيل ان المراد بالهداية في الآية الاجبار على الاهتداء اي انت لا تقدر على ذلك وقيل معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق **﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾** بلطفه وقيل على وجه الإجبار **﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾** أي القابلين للهدى فيدبّر الأمور على ما يعلمه من صلاح العباد ثم قال سبحانه حاكياً عن الكفار **﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا﴾** اي نستلب من ارضنا يعني ارض مكة والحرم وقيل إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي ﷺ انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة لنا بالعرب فقال سبحانه رادّاً

عليه هذا القول ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي أو لم نجعل لهم مكة في أمن وأمان قبل هذا ودفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون زواله الآن أفلا نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بل حالة الإيمان والطاعة اولى بالأمن والسلامة من حالة الكفر ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ اي تجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد ﴿رزقاً من لدنا﴾ أي اعطاء من عندنا جارياً عليهم ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ما انعمنا به عليهم وقيل لا يعلمون الله ولا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب ﴿وكم اهلكنا من قرية﴾ أي من اهل قرية ﴿بطرت معيشتها﴾ اي في معيشتها بأن اعرضت عن الشكر وتكبّرت والمعنى اعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حق النعمة وكفروا فأهلكناهم ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ تلك اشارة إلى ما يعرفونه هم من ديار عاد وثمود وقوم لوط أي صارت مساكنهم خاوية خالية عن اهلها وهي قريبة منكم فإن ديار عاد إنما كانت بالاحقاف وهو موضع بين اليمن والشام وديار ثمود بوادي القرى وديار قوم لوط بسدوم وكانوا هم يمرّون بهذه المواضع في تجاراتهم ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ اي المالكين لديارهم لم يخلفهم أحد فيها ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿وما كان ربك﴾ يا محمد ﴿مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ قيل ان معنى أُمها أم القرى وهي مكة وقيل يريد معظم القرى من سائر الدنيا ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ اي يقرأ عليهم حججنا وبيناتنا ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا واهلها ظالمون﴾ لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو والعصيان ثم خاطب سبحانه خلقه فقال ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي وما اعطيتموه من شيء ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي هو شيء تتمتعون به في الحياة وتتزينون به ﴿وما عند الله﴾ من الثواب ونعيم الآخرة ﴿خير﴾ من هذه النعم ﴿وابقى﴾ لأنها فانية ونعم الآخرة باقية ﴿أفلا تعقلون﴾ ذلك وتتفكرون فيه حتى تميزوا بين الباقي والفاني .

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ

مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾

[ **اللغة** ] المتعة المنفعة وقد فُرّق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ في الحال والمنفعة قد تكون بألم تؤدي عاقبته إلى نفع فكل متعة منفعة وليس كل منفعة متعة والاحضار إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد والزعم القول في الأمر على ظن أو علم ولذلك دخل في باب علمت واخواته قال.

فَـإِنْ تَـزْعَـمِيني كُنْـتُ أَجْهَـلَ فيـكُـمُ      فَـإِنّي شَـرَيْتُ الْحِلْمَ عِنْـدَكَ بِـالْجَهْـلِ

[ **النزول** ] نزل قوله أفمن وعدناه الآية في رسول الله ﷺ وابي جهل وقيل نزل في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ( ع ) وفي أبي جهل عن محمد بن كعب والسدي وقيل نزل في عمار وفي الوليد بن المغيرة والأولى أن يكون عاماً فيمن يكون بهذه الصفة .

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقّبه سبحانه بالفرق بين من اوتي نعيم الدنيا وبين من اوتي نعيم الآخرة فقال **﴿افمن وعدناه وعداً حسناً﴾** من ثواب الجنة ونعيمها جزاء على طاعته **﴿فهو لاقيه﴾** أي فهو واصل اليه ومدركه لا محالة **﴿كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا﴾** من الأموال وغيرها **﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾** للجزاء والعقاب وقيل من المحضرين في النار والمعنى أيكون حال هذا كحال ذاك اي لا يكون حالهما سواء لأن نعم الدنيا مشوبة بالغموم وتعرض الزوال والفناء ونعم الآخرة خالصة صافية دائمة لا تتكدر بالشوب ولا تتنقص بالانقضاء **﴿ويوم يناديهم﴾** أي واذكر يوم ينادي الله الكفار وهو يوم القيامة وهذا نداء تقريع وتبكيت **﴿فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾** اي كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاء في الإلّهية وتعبدونهم وتدّعون أنهم ينفعونكم **﴿قال الذين حقّ عليهم القول﴾** أي حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين اغووا الخلق من الانس **﴿ربنا هؤلاء الذين اغوينا﴾** يعنون اتباعهم **﴿اغويناهم كما غوينا﴾** أي اظللناهم عن

الذين بدعائنا إياهم إلى الضلال كما ضللنا نحن بأنفسنا ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ومن افعالهم قال الزجاج بريء بعضهم من بعض وصاروا اعداء كما قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ أي لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيّنوا لهم عبادتنا وقيل معناه لم يعبدونا باستحقاق وحجة ﴿وقيل ادعوا شركائكم﴾ أي ويقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله وزعمتم انهم شركائي لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله وإنما اضاف الشركاء إليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك ولكنهم كانوا يزعمون انها شركاء لله بعبادتهم إياهم ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ أي فيدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتمسهم ﴿ورأوا العذاب﴾ اي ويرون العذاب﴿لو انهم كانوا يهتدون﴾ جواب لو محذوف تقديره لو انهم كانوا يهتدون لـرأوا العذاب اي لاعتقـدوا ان العذاب حق وهـذا القول اولى لدلالة الكـلام على المحذوف ﴿ويـوم يناديهم فيقـول ماذا اجبتم المـرسلين﴾ أي ما كـان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين وهذا سؤال تقرير بالذنب وهو نداء يجمع العلم والعمل معاً فإن الرسل يدعون إلى العلم والعمـل جميعاً فكـأنه قيـل لهم ماذا علمتم ومـاذا عملتم ﴿فعميت عليهم الانباء يومئـذ﴾ أي فخفيت واشتبهت عليهم طرق الجـواب يومئـذ فصاروا كالعمي لانسداد طرق الاخبار عليهم كما تنسد طرق الأرض على العمي وقيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد وسميت حججهم انباء لأنها أخبار يخبر بها فهم لا يحتجون ولا ينطقون بحجة لأن الله تعالى ادحض حجتهم واكـلّ السنتهم فسكتوا فـذلك قـوله ﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج وقيل لا يسـأل بعضهم بعضاً عن العـذر الذي يعتذر به في الجواب فلا يجيبون وقيل معناه لا يتساءلون بالأنساب القرابة كما في الدنيا وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً أن حمل ذنوبه عنه عن الحسن .

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾
وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ

ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

**[ المعنى ]** ثم ذكر سبحانه التائبين ورغّب في التوبة بعد التخويف فقال **﴿فأما من تاب﴾** أي رجع عن المعاصي والكفر **﴿وآمن وعمل صالحاً﴾** أي وأضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحة **﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾** وإنما اتى بلفظه عسى مع انه مقطوع بفلاحه لأنه على رجاء ان يدوم على ذلك فيفلح وقد يجوز ان يزل فيما بعد فيهلك على انه قد قيل ان عسى من الله سبحانه لفظة وجوب في جميع القرآن ولما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه ان الاختيار إلى الله تعالى والخلق والحكم له لكونه قادراً عالماً على الكمال فقال **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾** الخيرة اسم من الاختيار اقيم مقام المصدر والخيرة اسم للمختار أيضاً يقال محمد ﷺ خيرة الله من خلقه ويجوز التخفيف فيهما واختلف في الآية وتقديرها على قولين (أحدهما) ان معناه وربك يخلق ما يشاء من الخلق ويختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم ويختار للرسالة ما هو الأصلح لعباده ثم قال ما كان لهم الخيرة أي ليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيرة عليهم وعلى هذا تكون ما نفيا ويكون الوقف على قوله ويختار وفيه ردّ على المشركين الذين قالوا لولا نزلّ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف (والآخر) ان يكون ما في الآية بمعنى الذي اي ويختار الذي كان لهم الخيرة فيه فيكون الوقف على هذا عند قوله ما كان لهم الخيرة وهذا أيضاً في معنى الأول لأن حقيقة المعنى فيهما أنه سبحانه يختار وإليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار ولا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار ولأن الاختيار هو اخذ الخير وكيف يأخذ الخير من الاشياء من لا يعلم الخير فيها **﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾** أي تقدّس وتنزّه عن أن يكون له شريك في خلقه واختياره ثم أقام سبحانه البرهان على صحة اختياره بقوله **﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾** أي وربك يعلم ما يخفونه وما يظهرونه فإليه الاختيار وفي هذا دلالة على ان من لا يعلم السر والجهر فلا اختيار إليه ثم أكدَّ سبحانه ذلك بقوله **﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾** لا يستحق العبادة سواه **﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾** أي له الثناء المدح والتعظيم على ما انعم به على خلقه في الدنيا والعقبى **﴿وله الحكم﴾** بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفرة والفضل ولأهل معصيته بالشقاء والويل **﴿وإليه﴾** أي وإلى جزائه وحكمه **﴿ترجعون﴾**.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ
ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا
تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ
فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه ما يدلُّ على توحيده فقال لنبيّه ﷺ **﴿قل﴾** يا محمد لأهل مكة الذين عبدوا معي آلهة تنبيهاً لهم على خطئهم **﴿ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾** أي دائماً **﴿إلى يوم القيامة﴾** لا يكون معه نهار **﴿من إلٰه غير الله يأتيكم بضياء﴾** كضياء النهار تبصرون فيه فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادةغيره **﴿افلا تسمعون﴾** أي افلا تقبلون ما وعظتم به وقيل افلا تسمعون ما بيَّنه الله لكم من ادلته وتتفكرون فيه **﴿قل﴾** يا محمد لهم **﴿أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾** أي دائماً **﴿إلى يوم القيامة﴾** لا يكون معه ليل **﴿من إلٰه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾** أي تستريحون فيه من الحركة والنصب **﴿افلا تبصرون﴾** أي افلا تعلمون من البصيرة وقيل افلا تشاهدون الليل والنهار وتتدبرون فيهما فتعلموا انهما من صنع مدبر حكيم ثم قال **﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾** أي ومن نعمته عليكم واحسانه اليكم ان جعل لكم الليل والنهار **﴿لتسكنوا فيه﴾** اي في الليل **﴿ولتبتغوا من فضله﴾** أي في النهار **﴿ولعلكم تشكرون﴾** نعم الله في تصريف الليل والنهار

وفي سائر انواع النعم ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ مضى تفسيره فإنما كرَّر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريعاً لهم بعد تقريع وقيل لأن النداء الأول لتقرير اقرارهم على انفسهم بالغي الذي كانوا عليه ودعوا اليه والثاني للتعجيز عن اقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الاشهاد ﴿ونزعنا من كل امة شهيداً﴾ اي وأخرجنا من كل أمة من الأمم رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم عن مجاهد وقتادة وقيل هم عدول الآخرة ولا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما علموا ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ أي حججكم على صحة ما ذهبتم اليه ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي فبهتوا وتحيَّروا لما لم يكن لهم حجة يقيمونها وعلموا يقيناً ان الحق ما أنتم عليه وما انزله الله وان الحجة لله ولرسوله فلزمتهم الحجة لأن المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص عن بينة الخصم توجهت القضية عليه ولزمه الحكم ﴿وضل عنهم﴾ اي ذهب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى.

[ النظم ] إنما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بأنه جرى ذكر معبودي الكفار وأنهم لم يغنوا من الله شيئاً فعقَّبه سبحانه بأن وصف نفسه بأنه المنعم المالك للنفع والضر وقيل لمّا تقدَّم ان الحمد لله سبحانه في الدارين ذكر عقيبة ما يوجب الحمد من النعم السابقة وقيل يتصل بقوله يخلق ما يشاء ويختار اي ويختار لعباده ما هو الاصلح لهم والأنفع.

﴿ * إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى
ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ
عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ

مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص عن عاصم ويعقوب وسهل لخسف بفتح الخاء والسين وهو قراءة الحسن والأعرج وشيبة ومجاهد والباقون لخُسف بضم الخاء وكسر السين وقرأ يعقوب وَيْك يقف عليها ثم يبتدي فيقول انه.

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ الخسف بنا بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى ومن قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فإنه يؤول إلى الأول في المعنى وقال ابن جني في ويكأنه ثلاثة أقوال منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وي ومنهم من وقف على وي ومنهم من قال ويك وهو مذهب أبي الحسن والوجه فيه عندنا هو قول الخليل وسيبويه وهو ان وَيْ اسم سمّي به الفعل في الخبر فكأنه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال كأنه لا يفلح الكافرون وكأن الله يبسط الرزق فوي منفصلة من كأن وعليه بيت الكتاب .

سَـألَـتَـانـي الـطَّلاقَ إنْ رأَتـانـي    قَـلَّ مـالـي قَـدْ جِئْتُـمـاني بِـنُـكْـرِ

وَيْ كَــأَنْ مَـنْ يَكُـنْ لَـهُ نَشَبٌ يُـحْبـ ـبَ وَمَنْ يَفْـتَقِـرْ يَـعِشْ عَيْشَ ضُـرِّ(١)

ومما جاءت فيه كأن عارية من معنى التشبيه ما انشده ابو علي :

كَــأَنَّني حِينَ أُمْـسي لا تُـكَلِّمُـنـي مُتَيَّمٌ يَشْـتـهي مَا لَيْسَ مَـوْجُـود(٢)

أي انا حين أمسي متيمّ من حالي كذا ومن قال انها ويك فكأنه قال اعجب لانه لا يفلح الكافرون وأعجب لأن الله يبسط الرزق وهو قـول ابي الحسن وينبغي ان يكون الكـاف هنا حرف خطاب بمنزلة الكاف في ذلك وأولئك ويشهد لهذا قول عنترة .

لَقَـدْ شَفَـا نَـفْسي وأَذْهَبَ سُـقْمَـهَـا قيـلُ الْفَـوَارِسِ وَيْـكَ عَنْتَـرُ أَقْـدِمِ

وقول من قال ويكأنه كلمة واحـدة إنما يريد به انه لا يفصل بعضه من بعض .

[ **اللغة** ] البغي طلب العتو بغير حق ومنه قيل لِولاة الجور بغاة ، والكنز جمع المـال بعضه على بعض وصار بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض ولا يطلق في الشرع اسم الكنز إلا على مال لا تخرج زكاته للوعيد الذي جاء فيه. والمفاتح جمـع مفتح والمفـاتيح جمـع مفتاح ومعناهما واحد وهو عبارة عما يفتح به الاغلاق . وناء بحمله ينوء نوءًا إذا نهض به مع ثقله عليه ومنه اخذت الأنواء لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها وقال ابو زيد ناءني الحمل إذا أثقلني والعصبة الجماعة الملتفّ بعضها ببعض يقال نـاءت المفاتيـح بالعصبة واناءت العصبة بمعنى كما يقال ذهبت به واذهبته فالباء والهمز يتعاقبان في تعدّي الفعل قال سبحانه فأجاءها المخاض أي جاء بها وقال ابو عبيـدة هذا من المقلوب ومعنى قـوله لتنـوء بالعصبة تنوء العصبة بها كما قال الشاعر :

إنَّ سِــرَاجـاً لَـكَـرِيـمٌ مَـفْـخَـرُهُ تَجلى بِــهِ الـعَيْـنُ إذا مَــا تَجْـهَـرُهُ

ومعناه يجلى بالعين فقلب وقال آخر :

كَــانَتْ عُقُــوبَــةُ مَــا جَنَيْتُ كَمـا كَــانَ الــزِّنَــاءُ عُـقُــوبَــة الــرَّجْمِ

قال امرؤ القيس :

---

(١) النشب : المال والعقار.

(٢) المتيم من تيمه الحب اي عبده وذلله والشعر في جامع الشواهد وكذا الشعر الآتي .

يُضيءُ الظَّلامَ وَجْهُها لِضَجيعِها كَمِصْباحِ زَيْتٍ في قَنادِيلِ ذُبّالِ(١)

أي في ذُبّال قناديل وهذا غير صحيح ولا يجوز ان يحمل القرآن عليه لأنه يجري مجرى الغلط من العرب ومثل ذلك في شعرهم كثير قال.

غَداةُ أَحَلَّتْ لإِبْنِ صَرْمَةَ طَعنَةً حُصَيْنٍ غَبيطاتُ السَّدايِفِ والْخَمْرُ(٢)

والعبيطات مفعولة والطغنة فاعلة فقلب ومن اغلاطهم قول الراجز:

جارِيَةٌ لَمْ تَعْلَمِ المُرَقَّقا وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبَقولِ الفُسْتُقا

فظن الفستق من البقول فأما قول خداش بن زهير:

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوادَةَ بَيْنَها وَتَشْقى الرِّماحُ بالضَّيا طِرَةِ الْحُمْرُ(٣)

فذهب كثير من العلماء إلى ان المعنى وتشقى الضيا طرة الحمر بالرماح(٤) فقلب وليس الأمر كذلك وإنما أراد ان رماحهم تشرف عن هؤلاء الضياطرة فإذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لأن منزلتها ارفع من ان يطعنوا بها وقالوا ايضاً في قول زهير.

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عادٍ ثُمَّ تُنْتَجْ فَتَتْئِمِ(٥)

انه غلط فنسبه إلى عاد وإنما هو احمر ثمود وهذا أيضاً ليس بغلط فإن ثمود يسمى عاداً الآخرة لقوله تعالى وانه أهلك عاداً الأولى وقيل إنما سموا ثمود لأن الله تعالى اهلك عاداً وبقيت منهم بقية تناسلوا فهم ثمود واشتق لهم هذا الاسم من الثمد وهو الماء القليل لأنهم قلوا عن عدد عاد الأولى وإذا جاء في الشعر ما يجري مجرى الغلط فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه:

[ المعنى ] ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ أي كان من بني إسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل كان

---

(١) ذبال جمع ذبالة بمعنى الفتيلة.

(٢) حصين بدل ابن اصرم اي حصين بن اصرم وسدائف جمع سديف السنام.

(٣) الموادة: المصالحة. الضياطرة: الضخام الذين لا غناء عندهم والحمر جمع الاحمر من لا سلاح معه.

(٤) أي انهم يقتلون بها.

(٥) هذا بيت من المعلقات قاله في ذم الحرب ورواية المعلقات العشر والزوزني وغيره هكذا «كاحمر عاد ثم ترضع.

ابن عم موسى لَحّاً لأنه كان قارون بن يصهر بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث عن ابن جريج وقيل كان موسى ابن أخيه وقارون عمه عن محمد بن اسحاق **﴿فبغى عليهم﴾** اي استطال عليهم بكثرة كنوزه عن قتادة قال وكان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى عليهم وقيل كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فكان يبغي عليهم ويطالبهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب وابن عباس وقيل انه زاد عليهم في الثياب شبراً عن عطاء الخراساني وشهر بن حوشب **﴿وآتيناه من الكنوز﴾** قال عطا اصاب كنزاً من كنوز يوسف **﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة﴾** ما هذه موصولة بمعنى والذي وصلتها ان مع اسمها وخبرها اي اعطيناه من الاموال المدخرة قدر الذي ينيء مفاتحه العصبة والمفاتح هنا الخزائن في قول اكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج كما في قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب فيكون المراد بمفاتحه خزائن ماله وهو قول ابن عباس والحسن وقيل هي المفاتح التي تفتح بها الابواب عن قتادة ومجاهد وروى الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع واختلف في معنى العصبة فقيل ما بين عشرة إلى خمسة عشرة عن مجاهد وقيل ما بين عشرة إلى اربعين عن قتادة وقيل اربعون رجلاً عن أبي صالح وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة عن ابن عباس وقيل انهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض **﴿إذ قال قومه﴾** من بني إسرائيل **﴿لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين﴾** أي لا تأشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة ويدل على ان الفرح بمعنى البطر قول الشاعر.

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلَا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ

وقول الآخر (ولا ارخي من الفرح الازارا) **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾** وهذا أيضاً من مقالة المؤمنين من قوم قارون له وقيل ان المخاطب له بذلك موسى وان ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما اعطاك الله من الأموال الدار الآخرة بأن تنفقها في سبيل الخير ووجوه الخير والبرّ **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** وهو أن تعمل في الدنيا للآخرة عن اكثر المفسرين ومعناه لا تنس ان تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته وروي في معناه عن علي (ع) لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الآخرة وقيل امر أنْ يقدم الفضل وان يمسك ما يغنيه عن الحسن وقيل معناه انه كان فتوراً شحيحاً فقيل له كل واشرب واستمتع بما آتاك الله من الوجه الذي اباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك **﴿وأحسن كما احسن الله اليك﴾** اي افضل على الناس

كما افضل الله عليك وقيل احسن فيما افترض الله عليك كما احسن في انعامه عليك عن يحيى بن سلام وقيل معناه واحسن شكر الله تعالى على قدر انعامه عليك وواس عباد الله بمالك **﴿ولا تبغ الفساد﴾** أي لا تطلب العمل **﴿في الأرض﴾** بالمعاصي **﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾** ظاهر المعنى **﴿قال﴾** قارون **﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾** اختلف في معناه فقيل أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل وعلم عندي ليس ذلك عندكم عن قتادة يعني انه قدر ان هذا ثواب من الله له لفضيلته كما اخبر سبحانه عن ذلك الكافر بقوله ولئن رددت إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً وقيل معناه لرضا الله عني ومعرفته باستحقاقي عن ابن زيد وهذا قريب من الأول وقيل معناه إن المال حصل له على علم عندي بوجوه المكاسب وبما لا يتهيأ لأحد ان يكتسبه من التجارات والزراعات وغيرها وقيل على علم عندي بصنعة الذهب وهو علم الكيمياء عن الكلبي وحكي ان موسى (ع) علَّم قارون الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث منها وعلم ابن هارون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله **﴿أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون﴾** الكافرة بنعمته **﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾** كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ثم بيَّن سبحانه ان اغتراره بماله وعدده من الخطأ العظيم لأنه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب به كما ان من كانوا اقوى واغنى منه لم تغن اموالهم اشغالهم عنهم شيئاً عند ذلك **﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾** قال قتادة يعني انهم يدخلون النار بغير حساب وقال قتادة إن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم ويأخذونهم بالنواصي والاقدام فيصيرونهم إلى النار وهذا كقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وأما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين فإنما ذلك سؤال تقريع وتوبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم عن الحسن **﴿فخرج على قومه﴾**أي خرج قارون على بني إسرائيل **﴿في زينته﴾** التي كان يتزين بها وحشمه وتبعه وقيل انه خرج في اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان عن قتادة والارجوان في اللغة صبغ احمر وقيل خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف ارجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحليّ من ذهب عن السدي وقيل خرج في سبعين الفاً عليهم المعصفرات **﴿قال الذين يريدون الحيوة الدنيا﴾**من الكفار والمنافقين وضعيفي الإيمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة لما رأوه في تلك الزينة والجمال **﴿ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾** أي ذو نصيب وافر من الدنيا والمعنى انهم تمنّوا مثل منزلته ومثل ماله **﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾** وهم المصدّقون بوعد الله المؤمنون لهم **﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾** مما اوتي قارون وحذف لدلالة الكلام عليه **﴿ولا يلقاها إلا**

**الصابرون﴾** اي ولا يلقى مثل هذه الكلمة ولا يوفّق لها إلا الصابرون على امر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعني الجنة في الآخرة ودلَّ عليها قوله ثواب الله. إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا عن الكلبي **﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾** قال السدي دعا قارون امرأة من بني إسرائيل بغياً فقال لها إني اعطيك ألفين على ان تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي يا معشر بني إسرائيل مالي ولموسى قد آذاني قالت نعم فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت وقالت يا ويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا ان افتري على نبي الله فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني إسرائيل فقالت ان قارون قد اعطاني هاتين الخريطتين على ان آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يراودني عن نفسي ومعاذ الله أن افتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله إليه اني امرت الأرض ان تطيعك وسلّطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشدة الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم اخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده الرحم فأخذته حتى غيبته فأوحى الله إليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيثه لَوْ إيّاي دعا واستغاثني لأغثته قال مقاتل ولما أمر موسى الأرض فابتلعته قال بنو إسرائيل إنما فعل ذلك موسى ليرث ماله لأنه كان ابن عمه فخسف بداره وبجميع امواله بعده بثلاثة ايام فلم يقدر على ماله بعده ابداً **﴿فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله﴾** أي فما كان له من جماعة منقطعة اليه يدفعون عنه عذاب الله تعالى الذي نزل به وإنما قال سبحانه ذلك لأنه كان يقدر مع نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده **﴿وما كان من المنتصرين﴾** بنفسه لنفسه **﴿واصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس﴾** حين خرج عليهم في زينته **﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾** وهذه كلمة ندم واعتراف وقد بينا أن عند الخليل وسيبويه لفظة وي مفصولة من كأن وإن وقعت في المصحف موصولة يقول القائل إذا تبين له الخطأ وي كنت على خطأ وقال الفراء اصله ويلك فحذفت اللام وجعلت ان مفتوحة في موضع نصب بفعل مضمر كأنه قال اعلم ان الله تعالى قال وحدثني شيخ من اهل البصرة قال سمعت اعرابية تقول لزوجها اين ابنك ويلك فقال لها ويك انه وراء البيت قال معناه اما ترينه وراء البيت وقيل معناه الا كان واما كان وقال الكسائي ويكأن في التأويل ذلك ان الله وهو قول ابن عباس أي قالوا ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما بسط لقارون ويقدر ان يضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة وقال مجاهد وقتادة ويكأن معناه ألم تعلم **﴿لو لا أن منَّ الله**

**علينا لخسف بنا﴾** أي لولا انه أنعم علينا بنعمه فلم يعطنا ما اعطى قارون لخسف بنا كما خسف به وقيل معناه لو ان الله تعالىٰ منَّ علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزلة قارون **﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾** أي لا يفوز بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون معه سواه.

**[النظم]** إنما اتّصلت قصة قارون بما قبلها من قوله **﴿نتلو عليك من نبإ موسى﴾** فكأنّه قال ومن نبإ موسى الذي وعدنا تلاوته في اول السورة قصة قارون معه وقيل اتصل بقوله فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى فأكّد سبحانه ذلك بحديث قارون وحاله وقيل انه لما تقدَّم خزي الكفار وافتضاحهم يوم القيامة ذكر عقيبه ان قارون من جملتهم وانه يفتضح يوم القيامة كما افتضح في الدنيا.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ
فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ
لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ
عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

[ **النزول** ] قيل لمّا نزل النبيﷺ بالجحفة في مسيرة الى المدينة لما هاجر اليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرائيل (ع) فقال اتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال نعم قال جبرائيل فإن الله يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد يعني مكة ظاهراً عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست بمكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده اليها عن ابن عباس .

[ **المعنى** ] ﴿**تلك الدار الآخرة**﴾ يعني الجنة ﴿**نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض**﴾ أي تجبّراً وتكبّراً على عباد الله واستكباراً عن عبادة الله ﴿**ولا فساداً**﴾ أي عملاً بالمعاصي عن ابن جريج ومقاتل وروى زاذان عن امير المؤمنين (ع) انه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دالٌ يرشد الضال ويعين الضعيف ويمرّ بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً ويقول نزلت هذه الآية في اهل العدل والمواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس وروى ابو سلام الاعرج عن امير المؤمنين (ع) أيضاً قال ان الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية تلك الدار الآخرة الآية يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض قال الكلبي يعني بقوله فساداً الدعاء إلى عبادة غير الله وقال عكرمة هو أخذ المال بغير حق ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ أي والعاقبة الجميلة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي وقيل معناه الجنة لمن اتقّى عقاب الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها**﴾ مضى تفسيره ﴿**ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما يعملون**﴾ أي لا يزاد في عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلاً فهو مثل قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴿**إن الذي فرض عليك القرآن**﴾ خطاب للنبيﷺ والمعنى ان الذي أوجب عليك الامتثال بما تضمنّه القرآن وأنزله عليك ﴿**لرادّك الى معاد**﴾ أي يردّك الى مكة عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على صحة النبوة لأنه اخبر به من غير شرط ولا استثناء وجاء المخبر مطابقاً للخبر قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد ثم يعود اليه وقيل إلى معاد إلى الموت عن ابن عباس في رواية اخرى وعن أبي سعيد الخدري قيل الى المرجع يوم القيامة أي يعيدك بعد الموت كما بدأك عن الحسن والزهري وعكرمة وابي مسلم وقيل الى الجنة عن مجاهد وابي صالح فالمعنى انه مميتك وباعثك ومدخلك الجنة والظاهر يقتضي انه العود إلى مكة لأن ظاهر العود يقتضي ابتداء ثم عوداً اليه على انه يجوز أن يقال الجنة معاد وإن لم يتقدم له فيها كون كما قال سبحانه في الكفار ثم ان مرجعهم لإلى

الجحيم ثم ابتدأ سبحانه كلاماً آخر فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿ربي اعلم من جاء بالهدى﴾ الذي يستحق به الثواب ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ أي ومن لم يجيء بالهدى وضلَّ عنه أي لا يخفى عليه المؤمن والكافر ومن هو على الهدى ومن هو ضال عنه وتأويله قل ربي يعلم اني جئت بالهدى من عنده وانكم في ضلال سينصرني عليكم ثم ذكر نعمه فقال ﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب﴾ أي وما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحي الله اليك ويشرفك بإنزال القرآن عليك ﴿إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه إلا ان ربك رحمك وأنعم به عليك وأراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردّك إلى مكة فاعرف هذه النعم وقيل معناه وما كنت ترجو ان تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على اهل مكة ولم تشهدها ولم تحضرها بدلالة قوله وما كنت ثاوياً في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا أي انك تتلو على اهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هناك ثاويا مقيماً وكذلك قوله وما كنت بجانب الغربي وانت تتلو قصصهم وامرهم فهذه رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي معيناً لهم وفي هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل وفي هذه الآية وما بعدها وإن كان الخطاب للنبي ﷺ فالمراد غيره وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول القرآن كله اياك اعني واسمعي يا جارة ﴿ولا يصدنّك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك﴾ أي ولا يمنعك هؤلاء الكفار عن ابتاع آيات الله التي هي القرآن والدين بعد إذ نزلت اليك تعظيماً لذكرك وتفخيماً لشأنك ﴿وادع إلى ربك﴾ أي إلى طاعة ربك الذي خلقك وأُنعم عليك وإلى توحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي لا تمل اليهم ولا ترض بطريقتهم ولا توال احداً منهم ﴿ولا تدع مع الله إلَهاً آخر﴾ أي لا تعبد معه غيره ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود إلا هو وحده لا شريك له ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أي كل شيء فانٍ بائد إلا ذاته وهذا كما يقال هذا وجه الرأي ووجه الطريق وهذا معنى قول مجاهد ﴿الا هو﴾ وفي هذا دلالة على ان الاجسام تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ في الفناء والإعادة وقيل معناه كل شيء هالك إلا ما اريد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه عن عطا وابن عباس وعن أبي العالية والكلبي وهو اختيار الفراء وانشد :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبادِ إليهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي اليه أوجه العمل وعلى هذا يكون وجه الله ما وجه اليه من الأعمال ﴿له الحكم﴾ اي له القضاء النافذ في خلقه وقيل له الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿واليه ترجعون﴾ اي تردون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[ **النظم** ] اتَّصل قوله تلك الدار الآخرة الآية بما قبله على معنى انه سبحانه كما حرَّم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك يحرّم عليهم نعم الآخرة وأما وجه اتصال قوله إنَّ الذي فرض عليك القرآن الآية بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث انه اتصل بقوله تلك الدار الآخرة ومن حمله على العود إلى مكة قال انه لما بيَّن سبحانه وعده لأم موسى ردَّ موسى عليها مع شرف النبوة كذلك وعده ربه العودة إلى مكة مع الشرف العظيم وقد انجز وعده كما انجز وعده هناك ويكون معنى الكلام أن الذي انزل القرآن بذلك الوعد سينجز هذا الوعد واتصل قوله قل ربي اعلم من جاء بالهدى على معنى انه امره بأن يقول لهم ربي اعلم بالصادق والكاذب لا يلتبس عليه شيء.

**[ تم الجزء السابع من مجمع البيان في تفسير القرآن ]**

**وقد تصدى لتصحيحه والتعليق عليه**
**العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسولي المحلاتي عفى عنه**
**وعن والديه بحق محمد وآله الطاهرين**

# مجمع البيان

## في

# تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء الثامن

دار المعرفة

للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net < رابط بديل

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظَة للنَّاشِر

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مستديرة المطار ـ تجاه بنك ميكو ـ شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١-٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت. لبنان

# [ الجزء الثامن ]

## (٢٩) سورة العنكبوت مكية وآياتها تسع وستون

مكية كلها في قول عكرمة وعطاء والكلبي ومدنية في أحد القولين عن ابن عباس وقتادة ومكية إلا عشر آيات من أولها فإنها مدنية عن الحسن وفي أحد القولين عن ابن عباس وهو عن يحيي بن سلام .

### [ عدد آيها ]

تسع وستون آية بالاجماع .

[ **اختلافها** ] ثلاث آيات آلم كوفي وتقطعون السبيل حجازي مخلصين له الدين بصريّ شاميّ .

[ **فضلها** ] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة لا استثني فيه أبداً ولا أخاف أن يكتب الله عليَّ في يميني إثماً وان لهاتين السورتين من الله مكاناً .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد والوعيد وافتتح هذه السورة بذكر تكليف العبيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ
يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ علي (ع ) فليُعْلِمن الذين صدقوا وليُعْلِمن الكاذبين بضم الياء وكسر اللام فيهما وهو المروي عن جعفر ابن محمد ومحمد بن عبد الله بن الحسن ووافقهم الزهري في وليعلمن الكاذبين وقرأ أيضاً وليعلمن المنافقين .

[ **الحجة** ] معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الأول كما قال سبحانه يوم ندعو كل اناس بإمامهم وقال يعرف المجرمون بسيماهم وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ويجوز أن يكون من قولهم ثوب معلم وفارس معلم بالكسر إذا أعلم نفسه في الحرب فيكون معناه وليشهرن فيرجع الى المعنى الأول لأنه على تقدير حذف المفعول ويجوز أن يكون على حذف المفعول الثاني أي وليعلمن الصادقين ثواب صدقهم والكاذبين عقاب كذبهم .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج موضع أنْ الأولى نصب باسم حسب وخبره وموضع أنْ الثانية نصب من جهتين جودهما أن تكون منصوبة بيتركوا فيكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا أو بأن يقولوا فلما حذف حرف الخفض وصل يتركوا إلى ان فنصب ويجوز أن تكون أن الثانية العامل فيها حسب أي حسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال أبو علي أما ما ذكره من أنه نصب بيتركوا فإنه بين السقوط لأن ترك فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا بني للمفعول لم يتعد إلى آخر فإن يقولوا لا يتعلق به ولا يتعدى إليه حتى يقدَّر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل وأما ما ذكره من انتصابه فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولاً أولاً أو ثانياً أو صفة أو بدلاً فلا يكون مفعولاً أولاً لتعديه إلى المفعول الذي قبله وهو الترك ولا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً من وجهين ( أحدهما) ان باب ظننت وأخواته إذا تعدى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتعد إلى مفعول ثان ظاهر في اللفظ( والآخر) أن المفعول الثاني هو الأول في المعنى وليس القول الترك ولا يكون أيضاً بدلاً لأنه ليس الأول ولا بعضه مشتملاً عليه ولا يكون أيضاً صفة لأن ان الثانية لحسب وعمله فيها لا يخلو مما ذكرناه فإذا لم يستقم

حمله على شيء مما ذكرناه تبينت موضع اغفاله في المسألة وأقول وبالله التوفيق إن البدل هنا صحيح فإنه إذا قال أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقوله وهم لا يفتنون جملة في موضع الحال فكأنه قال احسبوا أن يدعوا الإيمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكليف فيكون التقدير في معنى الآية أحسبوا أن يتركوا احسبوا أن يهملوا ولا شك أن الاهمال في معنى الترك فيكون الثاني في معنى الأول بعينه وأما الوجه الأول فإنك لو قدرت اللام فقلت لأن يقولوا أو الباء فقلت بأن يقولوا فلا شك أن الحرف يتعلق بيتركوا فإن الجار والمجرور في موضع نصب به فتساهل الزجاج في العبارة عن المجرور بأنه منصوب وقوله ساء ما يحكمون ما هذه يحتمل وجهين( أحدهما ) ان يكون اسماً مفرداً نكرة في موضع النصب على التمييز والتقدير ساء حكماً يحكمون( والثاني ) أن يكون حرفاً موصولاً ويحكمون صلته وتقديره ساء الحكم حكمهم .

[ النزول ] قيل نزلت الآية في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله عن ابن جريج وقيل نزلت في أناس مسلمين كانوا بمكة فكتب إليهم من كان في المدينة انه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم وقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا عن الشعبي وقيل أنه أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم عن ابن عباس .

[ المعنى ] ﴿**آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ويقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما تبيَّن به حقيقة إيمانهم هذا لا يكون وهذا استفهام انكار وتوبيخ وقيل ان معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم عن مجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ويكون المعنى ولا يشدَّد عليهم التكليف والتعبد ولا يؤمرون ولا ينهون وقيل معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنها لا تندفع بقولهم آمنا وقال الحسن معناه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله ولا يختبروا أصدقوا أم كذبوا يعني أن مجرد الاقرار لا يكفي والأولى حمله على الجميع إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ويمتحن في النفس والمال ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره فينبغي أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به ثم أقسم سبحانه فقال ﴿**ولقد فتنّا الذين من قبلهم**﴾ أي ولقد ابتلينا الذين من قبل أمة محمد ﷺ من سالف الأمم بالفرائض التي افترضناها عليهم أو بالشدائد والمصائب على حسب اختلافهم وذكر ذلك تسلية للمؤمنين قال ابن عباس منهم ابراهيم خليل الرحمن وقوم

كانوا معه ومن بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه وقال غيره يعني بني إسرائيل ابتلوا بفرعون يسومونهم سوء العذاب ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فيه وإنما قال فليعلمن مع أن الله سبحانه كان عالماً فيما لم يزل بأن المعلوم سيحدث لأنه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه عالم بأنه حادث وإنما يعلمه حادثاً إذا حدث وقيل معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء والمكافأة وعبّر عن الجزاء والتمييز بالعلم لأن كل ذلك إنما يحصل بالعلم فأقام السبب مقام المسبب ومثله في اقامة السبب مقام المسبب قوله تعالى ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ فهذا سبب قضاء الحاجة فكنّى بذكره عنها ومعنى صدقوا أي ثبتوا على الشدائد وكذبوا أي لم يثبتوا ومنه قول زهير « إذا ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقا »(١) ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا﴾ أم هذه استفهام منقطع عما قبله وليست التي هي معادلة الهمزة والمعنى بل أحسب الذين يفعلون الكفر والقبائح أن يفوتونا فوت السابق لغيره ويعجزونا فلا نقدر على أخذهم والانتقام منهم ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي بئس الشيء الذي يحكمون ظنّهم أنهم يفوتوننا وروى العياشي بالإسناد عن أبي الحسن (ع ) قال جاء العباس إلى أمير المؤمنين (ع) فقال له امش حتى نبايع لك الناس فقال أتراهم فاعلين قال نعم فأين قول الله آلم أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا الآيات ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي من كان يأمل لقاء ثواب الله وقيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير والسدي والرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما في قول الشاعر

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وخالَفَها في بِيْتِ نُوبٍ عَواسِلِ(٢)

والمعنى من كان يخشى البعث ويخاف الجزاء والحساب أو يأمل الثواب فليبادر بالطاعة قبل أن يلحقه الأجل ﴿فإن أجل الله لآت﴾ أي الوقت الذي وقّته الله للثواب والعقاب جاء لا محالة ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم ﴿العليم﴾ بما في ضمائركم .

﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾

(١) تمام البيت « ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقاً » وعثرت بتشديد الثاء ـ موضع كثير الاسد .

(٢) مر البيت في المجلد بن الثاني والثالث فراجع .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا
تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ
ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا
مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

[ **الإعراب** ] حسناً مفعول فعل محذوف تقديره ووصينا الإنسان بأن يفعل بوالديه حسناً أي ما يحسن ما ليس لك به علم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تشرك .

[ **النزول** ] قال الكلبي نزلت الآية الأخيرة في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ فحلفت أمه اسماء بنت مخرمة بن أبي جندل التميمي أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل كنّاً[1] حتى يرجع اليها فلما رأى ابناها أبو جهل والحرث ابنا هشام وهما أخوا عياش لأمه جزعها ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة فلقياه وذكرا له القصة فلم يزالا به حتى أخذ عليهما المواثيق أن لا يصرفاه عن دينه وتبعهما وقد كانت أمه صبرت ثلاثة أيام ثم أكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه وأوثقاه كتافاً وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى برىء من دين محمد ﷺ جزعا من الضرب وقال ما لا ينبغي فنزلت الآية وكان الحرث اشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجاً من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حيناً ثم هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة وهاجر عياش وحسن إسلامه وأسلم الحرث بن هشام وهاجر إلى

(١) الكن ـ بالكسر ـ البيت .

المدينة وبايع النبي ﷺ على الإسلام ولم يحضر عياش فلقيه عياش يوماً بظهر قبا ولم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد أسلم فاسترجع عياش وبكى ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فنزل **﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً﴾** الآية وقيل نزلت الآية في ناس من المنافقين يقولون آمنا فإذا أُوذوا رجعوا إلى الشرك عن الضحاك وقيل نزلت في قوم ردَّهم المشركون إلى مكة عن قتادة .

[ **المعنى** ] لما رغَّب سبحانه في تحقيق الرجاء والخوف بفعل الطاعة عقَّبه بالترغيب في المجاهدة فقال **﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾** أي ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته واغوائه وجاهد اعداء الدين لإحيائه وجاهد نفسه التي هي اعدى اعدائه فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه وواصل إليه دون الله تعالى **﴿إن الله لغني عن العالمين﴾** غير محتاج إلى طاعتهم فلا يأمرهم ولا ينهاهم لمنفعة ترجع إليه بل لمنفعتهم **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾** التي اقترفوها قبل ذلك أي لنطلبنها حتى تصير كأنهم لم يعملوها **﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾** أي يجزيهم بأحسن أعمالهم وهو ما أمروا به من العبادات والطاعات والمعنى لنكفرن سيئاتهم السابقة منهم في حال الكفر ولنجزينهم بحسناتهم التي عملوها في الإسلام ولما أمر سبحانه بمجاهدة الكفار ومباينتهم بيَّن حال الوالدين في ذلك فقال **﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾** أي أمرناه أن يفعل بوالديه **﴿حسناً﴾** وألزمناه ذلك ثم خاطب سبحانه كل واحد من الناس فقال **﴿وان جاهداك﴾** أي وان جاهداك أبواك أيها الإنسان والزماك واستفرغا مجهودهما في دعائك **﴿لتشرك بي﴾** في العبادة **﴿ما ليس لك به علم﴾** أي وليس لأحد به علم **﴿فلا تطعهما﴾** في ذلك فأمر سبحانه اطاعة الوالدين في الواجبات حتماً وفي المباحات ندباً ونهى عن طاعتهما في المحظورات ونفى العلم به كأنه كناية عن تعريه من الأدلة لأنه إذا لم يكن عليه حجة ودليل لم يحصل العلم به فلا يحسن اعتقاده **﴿إلي مرجعكم﴾** أي الى حكمي مصيركم **﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** أي أخبركم بأعمالكم فأجازيكم عليها وروي عن سعد بن أبي وقاص قال كنت رجلاً بَرّاً بأمي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذي أحدثت لتدعنَّ دينك هذا أولاً آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه إني لا أدع ديني هذا لشيء قال فمكثت يوماً لا تأكل وليلة ثم مكثت يوماً آخر وليلة فما رأيت ذلك قلت والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا فكلي واشربي وإن شئت فلا تأكلي ولا تشربي فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية وإن جاهداك وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس وروي عن بهر بن أبي حكيم عن أبيه عن جدّه قال قلت للنبي ﷺ يا

رسول الله من أبرُّ قال أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الجنة تحت أقدام الأمهات ثم قال سبحانه ﴿**والذين آمنوا**﴾ أي صدقوا بوحدانية الله تعالى واخلاص العبادة له ﴿**وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين**﴾ أي في زمرتهم وجملتهم في الجنة ولما ذكر سبحانه خيار المؤمنين عقَّبه بذكر ضعفائهم وقيل بل عقّبه بذكر المنافقين فقال ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله**﴾ بلسانه ﴿**فإذا أوذي في الله**﴾ أي في دين الله أو في ذات الله ﴿**جعل فتنة الناس كعذاب الله**﴾ والمعنى فإذا أُوذي بسبب دين الله رجع عن الدين مخافة عذاب الناس كما ينبغي للكافر ان يترك دينه مخافة عذاب الله فيسوي بين عذاب فانٍ منقطع وبين عذاب دائم غير منقطع أبداً لقلة تمييزه وسمى أذية الناس فتنة لما في احتمالها من المشقة ﴿**ولئن جاء نصر من ربك**﴾ يا محمد أي ولئن جاء نصر من الله للمؤمنين ودولة لأولياء الله على الكافرين ﴿**ليقولن إنا كنّا معكم**﴾ أي ليقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا كنا معكم على عدوكم طمعاً في الغنيمة ثم كذَّبهم الله فقال ﴿**أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين**﴾ من الإيمان والنفاق فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا .

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ
خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ
وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

[اللغة] الثقل متاع البيت وجمعه أثقال وهو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم وثقلتهم أي بأمتعتهم ومنه الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا

حتى يردا عليَّ الحوض قال ثعلب[١] سمّيا به لأن الأخذ بموجبهما ثقيل وقال غيره ان العرب تقول لكل شيء خطير نفيس ثقل فسمّاهما ثقلين تفخيماً لشأنهما وكل شيء يتنافس فيه فهو ثقل ومنه سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلا على غيرهما من الخلق والطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرته في نواحي الأرض قال الراجز « أفناهم الطوفان موت جارف » الجرف الأخذ الكثير وقد جرفت الشيء أجرفه بالضم جرفاً أي ذهبت كله شبَّه الموت في كثرته بالطوفان .

[ **الإعراب** ] قوله بحاملين من خطاياهم من شيء تقديره وما هم بحاملين من شيء من خطاياهم فقوله من خطاياهم في الأصل صفة لشيء فقدم عليه فصار في موضع نصب على الحال. الف سنة نصب على الظرف خمسين نصب على الاستثناء وعاماً تمييزه .

[ **المعنى** ] ثم أقسم سبحانه فقال **﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾** بالله على الحقيقة ظاهراً وباطناً **﴿وليعلمن المنافقين﴾** فيجازيهم بحسب أعمالهم قال الجبائي معناه وليميزنَّ الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعاً وقد مرَّ بيانه وفي هذه الآية تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التي استهزؤا بها وتوهَّموا انهم قد نجوا من ضررها باخفائها فبيَّن انها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها وانه يحل الفضيحة العظمى بها **﴿وقال الذين كفروا﴾** نعم الله وجحدوها **﴿للذين آمنوا﴾** أي صدقوا بتوحيده وصدق رسله **﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾** أي ونحن نحمل آثامكم عنكم إن قلتم ان لكم في اتباع ديننا إثماً ويعنون بذلك انه لا إثم عليكم باتباع ديننا ولا يكون بعث ولا نشور فلا يلزمنا شيء مما ضمنا والمأمور في قوله ولنحمل هو المتكلم به نفسه في مخرج اللفظ والمراد به الزام النفس هذا المعنى كما يلزم الشيء بالأمر وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه **﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾** أي لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة فإن الله سبحانه عدل لا يعذب احداً بذنب غيره فلا يصحُّ إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره وهذا مثل قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يجري هذا مجرى تحمل الدية عن الغير لأن الغرض في الدية اداء المال عن نفس المقتول فلا فرق بين ان يودِّيه زيد عنه وبين ان يؤدِّيه عمرو فإنه بمنزلة قضاء الدين **﴿انهم لكاذبون﴾** فيما ضمنوا

(١) هو أبو العباس أحمد بن يحيي بن زيد النحوي الشيباني، وكان من المعروفين بالأدب وكثرة العلم وامام الكوفيين في النحو واللغة، وسمى بثعلب لأنه كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا ومن هاهنا فشبهوه بثعلب اذا اغار .

من حمل خطاياهم ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ يعني انهم يحملون خطاياهم وأوزارهم في أنفسهم التي لم يعملوها بغيرهم ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم وقيل معناه يحملون عذاب ضلالهم وعذاب اضلالهم غيرهم ودعائهم لهم إلى الكفر وهذا كقوله من سنّ سنّة سيئة الخبر وهذا كقوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلُّونهم بغير علم ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ ومعناه أنهم يسئلون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع لا سؤال استعلام واستخبار ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ يدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجل ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ فلم يجيبوه وكفروا به ﴿فأخذهم الطوفان﴾ جزاء على كفرهم فهلكوا ﴿وهم ظالمون﴾ لأنفسهم بما فعلوه من الشرك والعصيان ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ أي فأنجينا نوحاً من ذلك الطوفان والذين ركبوامعه في السفينة من المؤمنين به ﴿وجعلناها﴾ أي وجعلنا السفينة[1]﴿آية للعالمين﴾ أي علامة للخلائق أجمعين يعتبرون بها إلى يوم القيامة لأنها فرّقت بين المؤمنين والكافرين والأبرار والفجار وهي دلالة للخلق على صدق نوح وكفر قومه .

[ **النظم** ] إنما اتصل قوله وقال الذين كفروا بما تقدّمه من ذكر المنافقين فإنه سبحانه لما بيّن حالهم عند إيراد الشبهة عليهم بيّن في هذه الآية ان من الواجب أن لا يغترّ المؤمنون بما يورده اهل الكفر عليهم من الشبه الفاسدة وقد ذكر في اتصال قصة نوح بما قبلها وجوه ( أحدها) أنه لما قال فتنا الذين من قبلهم فصل ذلك فبدأ بقصة نوح ثم بما يليها ( وثانيها )انه لما ذكر حال المجاهد الصابر وحال من كان بخلافه ذكر قصة نوح وصبره على أذى قومه وتكذيبهم تلك المدة الطويلة ثم عقّب ذلك بذكر غيره من الأنبياء ( وثالثها )انه لما أمر ونهى ووعد وأوعد على امتثال أوامره وارتكاب نواهيه أكّد ذلك بقصص الأنبياء .

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

(١) قد يقال الضمير يرجع الى العقوبة او الواقعة أو النجاة ويؤيد الأول اي الذي اختاره المصنف ( ر ه) قوله تعالى في سورة يس « وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون » فإن المراد بالفلك على ما قاله أكثر المفسرين سفينة نوح عليه السلام .

ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ
وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟
كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ
ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي وخلف ألم تروا بالتاء والباقون بالياء وروي عن أبي بكر بالتاء والياء جميعاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة مهموزة وقرأ الباقون النشأة بسكون الشين غير ممدودة وفي الشواذ قراءة السلمي وزيد بن علي وتُخلّقون افكا .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة التاء في أولم تروا ان قبلها وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وحجة الياء ان المعنى قل لهم أولهم يروا النشائة والنشأة مثل الرآفة والرأفة والكآبة والكأبة وقال أبو زيد نشأت انشأ نشأ إذا شببت ونشأت السحابة نشأ ولم يذكر النشأة وأما تُخلّقون فإنه على وزن تكذبون وفي معناه .

[ **الإعراب** ] كيف يبدىء الله الخلق كيف في موضع نصب على الحال من الله والتقدير أمبدعاً يبدىء الله الخلق أم لا ويجوز أن يكون حالاً من الخلق فيكون تقديره أمبدعاً يبدىء الله الخلق أم لا ثم يعيده أم لا ويجوز أن يكون في موضع مصدر والتقدير أيَّ إبداءٍ يبدىء ومثله كيف بدأ الخلق والنشأة منصوبة على المصدر ومفعول ينشىء محذوف تقديره وينشىء الخلق .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ **وإبراهيم** ﴾ أي وارسلنا إبراهيم ﴿ **إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه** ﴾ أي أطيعوا الله وخافوه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه ﴿ **ذلكم خير لكم** ﴾ أي ذلك التقوى خير لكم ﴿ **إن كنتم تعلمون** ﴾ ما هو خير مما هو شرٌّ لكم ﴿ **إنما تعبدون من دون الله أوثاناً** ﴾ ما في هذا الموضع كافة والمعنى أنكم تعبدون

أصناماً من حجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ **وتخلقون إفكاً** ﴾ أي تفتعلون كذباً بأن تسمّوا هذه الأوثان آلهة عن السدي وقيل معناه وتصنعون أصناماً بأيديكم وسمّاها إفكاً لإدعائهم إنها آلهة عن مجاهد وقتادة وأبي علي الجبائي ثم ذكر عجز آلهتهم عن رزق عابد يها فقال ﴿ **إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً** ﴾ أي لا يقدرون على أن يرزقوكم والملك قدرة القادر على ماله أن يتصرف في ماله أتمّ التصرف وليس ذلك إلا لله على الحقيقة فإن الإنسان إنما يملك ما يملّكه الله تعالى ويأذن له في التصرف فيه فأصل الملك لجميع الأشياء لله تعالى فمن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العبادة سواه ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق** ﴾ أي اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه ﴿ **واعبدوه واشكروا له** ﴾ على ما أنعم به عليكم من أصول النعم من الحياة والرزق وغيرهما ﴿ **إليه ترجعون** ﴾ أي إلى حكمه تصيرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم ثم خاطب العرب فقال ﴿ **وإن تكذبوا** ﴾ أي وإن تكذبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **فقد كذب أمم من قبلكم** ﴾ أنبياءهم الذين بعثوا إليهم ﴿ **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ أي ليس عليه إلا التبليغ الظاهر البيّن وليس عليه حمل من أرسل إليه على الإيمان ﴿ **أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده** ﴾ يعني كفار مكة الذين أنكروا البعث وأقرّوا بأن الله هو الخالق فقال أو لم يتفكروا فيعلموا كيف أبدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانياً إذا أعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الأول والخلق الآخر ﴿ **إن ذلك على الله يسير** ﴾ غير متعذر لأن من قدر على الإنشاء والإبتداء فهو على الإعادة أقدر ثم خاطب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **قل** ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿ **سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ﴾ وتفكروا في آثار من كان فيها قبلكم وإلى أيّ شيء صار أمرهم لتعتبروا بذلك ويؤدّيكم ذلك إلى العلم بربكم وقيل معناه انظروا وابحثوا هل تجدون خالقاً غير الله فإذا علموا أنه لا خالق ابتداءً إلا الله لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله ﴿ **ثم الله ينشىء النشأة الآخرة** ﴾ أي ثم الله الذي خلقها وانشأ خلقها ابتداءً ينشئها نشأة ثانية ومعنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب ﴿ **إن الله** ﴾ تعالى ﴿ **على كل شيء قدير** ﴾ أي إن الله على الإنشاء والإفناء والإعادة وعلى كل شيء يشاؤه قدير .

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ
مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا

فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِي وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي مودة بينكم بالرفع والإضافة وقرأ حمزة وحفص بنصب مودة وإضافتها إلى بينكم وقرأ الباقون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب إلا الشموني والبرجمي فإنهما قرءآ مودة مرفوعة منونة بينكم بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يجوز في قول من قال مودّةُ بينكم أن يجعل ما اسم إنَّ ويضمر ذكراً يعود إلى ما كما جاء في قوله ﴿ **واتخذتموه** ﴾ وراءكم ظهرياً فيكون التقدير إن الذين اتخذتموهم أوثاناً ذوو مودة بينكم ويكون دخول إن على ما لأنه بمنزلة الذي كقوله ﴿ **أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين** ﴾ لعود الذكر إليه ويجوز أن يضمر هو ويجعل مودة بينكم خبراً عنه والجملة في موضع خبر أن ومن قرأ مودّةَ بينكم بالنصب جعل ما مع إنّ كلمة ولم يعد إليها ذكرا كما أعاد في الوجه الأول وجعل الأوثان منتصباً باتخذتم وعدّاه أبو عمرو إلى مفعول واحد كقوله ﴿ **قل اتخذتم عند الله عهداً** ﴾ والمعنى إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً آلهة فحذف كما أن قوله ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل** ﴾ معناه اتخذوا العجل إلٰهاً فحذف وانتصب مودة على أنه مفعول له وبينكم نصب على الظرف والعامل فيه المودة ومن قال مودة بينكم أضاف المودة إلى البين واتسع بأن جعل الظرف إسماً لما أضاف إليه ومثل ذلك قراءة

من قرأ لقد تقطع بينكم ومن قرأ مودة بينكم في الحياة الدنيا جاز في قوله بينكم إذا نوّن مودة ضربان ( أحدهما ) أن يجعله ظرفاً متعلقاً بالمصدر لأن الظرفين أحدهما من المكان والآخر من الزمان وإنما الذي يمتنع أن يعلق به إذا كانا ظرفين من الزمان أو ظرفين من المكان ﴿ فأما ﴾ إن اختلفا فسائغ فقوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ ظرف زمان لأن المعنى في وقت الحياة الدنيا ولا ذكر في واحد من الظرفين كما إنك إذا قلت لقيت زيداً اليوم في السوق كان كذلك فإن جعلت الظرف الأول صفة للنكرة كان متعلقاً بمحذوف وصار فيه ذكر يعود إلى الموصوف فإذا جعلته صفة للمصدر جاز أن يكون قوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ في موضع حال والعامل فيه الظرف الذي هو صفة للنكرة وفيه ذكر يعود إلى ذي الحال وذو الحال الضمير الذي في الظرف العائد إلى الموصوف الذي هو مودة وهو هي في المعنى فإن قلت هل يجوز أن يتعلق الظرف الذي قد جاز أن يكون حالاً بالمودة مع أنه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لأنك إذا وصفته فمعنى الفعل قائم فيه والظرف يتعلق بمعنى الفعل وإنما الذي يمتنع أن يعمل فيه إذا وصف المفعول به فأما الحال والظرف فلا يمتنع أن يتعلق كل واحد منهما به وإن كان قد وصف به وقد جاء في الشعر ما يعمل عمل الفعل إذا وصف عاملاً في المفعول به وإذا جاز أن يعمل في المفعول به فلا نظر في جواز علمه فيما ذكرناه من الظرف والحال فمن ذلك قوله :

إِذا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُبَايِنِ[١]

والتحقير في ذلك بمنزلة الوصف لو قال هذا ضويرب زيداً لقبح كما يقبح ذلك في الصفة ولم يجز ذلك في حال السعة والإختيار .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه الوعد والوعيد فقال ﴿ **يعذب من يشاء** ﴾ معناه أنه المالك للثواب والعقاب وإن كان لا يشاء إلا الحكمة والعدل وما هو الأحسن من الأفعال فيعذب من يشاء ممن يستحق العقاب ﴿ **ويرحم من يشاء** ﴾ ممن هو مستحق للرحمة بأن يغفر له بالتوبة وغير التوبة ﴿ **وإليه تقلبون** ﴾ معاشر الخلق أي إليه ترجعون يوم القيامة والقلب هو الرجوع والردّ فمعناه أنكم تردّون إلى حال الحياة في الآخرة حيث لا يملك فيه النفع والضر إلا الله

---

(١) البيت منسوب إلى بشر بن أبي حازم يقول إذا رجعت الحمامة التي لونها الخطبة وهي لون كدر مشرب حمرة في صفرة في غنائها وصوتها حزناً لفقد ولديها ذكرت « سليمى » ( معشوقته ) في الاعداء . والشاهد في أعمال إسم الفاعل الموصوف ـ وهو فاقد ـ في فرخين .

وهذا يتعلق بما قبله كأن المنكرين للبعث قالوا إذا كان العذاب غير كائن في الدنيا فلا نبالي به فقال وإليه تقلبون وكأنهم قالوا إذا صرفنا إلى حكم الله فررنا فقال ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ﴾ أي ولستم بفائتين عن الله في الدنيا ولا في الآخرة فاحذروا مخالفته ومتى قيل كيف وصفهم بذلك وليسوا من أهل السماء فالجواب عنه من وجهين ( أحدهما ) إن المعنى لستم بمعجزين فراراً في الأرض ولا في السماء لو كنتم في السماء كقولك ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة لو صار إليها عن قطرب وهو معنى قول مقاتل ( والآخر ) أن المعنى ولا من في السماء بمعجزين فحذف مَنْ لدلالة الكلام عليه كما قال حسان :

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَواءُ

فكأنه قال ومن يمدحه وينصره سواء أم لا يتساوون عن الفراء وهذا ضعيف عند البصريين ﴿ **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾ ينصركم ويدفع عذاب الله عنكم فلا تغتروا بأن الأصنام تشفع لكم وقيل إن الولي الذي يتولى المعونة بنفسه والنصير يتولى النصرة تارة بنفسه وتارة بأن يأمر غيره به ﴿ **والذين كفروا بآيات الله** ﴾ أي جحدوا بالقرآن وبأدلة الله ﴿ **ولقائه** ﴾ أي وجحدوا بالبعث بعد الموت ﴿ **أُولئك يئسوا من رحمتي** ﴾ أخبر أنه سبحانه آيسهم من رحمته وجنته أو يكون معناه يجب أن ييأسوا من رحمتي ﴿ **وأُولئك لهم عذاب أليم** ﴾ أي مؤلم وفي هذا دلالة على أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا ييأس من رحمة الله ثم عاد سبحانه إلى قصة إبراهيم فقال ﴿ **فما كان جواب قومه** ﴾ يعني حين دعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة الأصنام ﴿ **إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه** ﴾ وفي هذا تسفيه لهم إذ قالوا حين إنقطعت حجتهم لا تحاجّوه ولكن إقتلوه أو حرّقوه ليتخلّصوا منه ﴿ **فأنجاه الله من النار** ﴾ وهاهنا حذف تقديره ثم اتفقوا على إحراقه فأجّجوا ناراً فألقوه فيها فأنجاه الله منها ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي علامات واضحات وحجج بينات ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ بصحة ما أخبرناه به وبتوحيد الله وكمال قدرته ﴿ **وقال** ﴾ إبراهيم لقومه ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم** ﴾ أي لتتوادوا بها ﴿ **في الحيوة الدنيا** ﴾ وقد تقدَّم بيانه في الحجة ﴿ **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض** ﴾ أي يتبرأ القادة من الإتباع ﴿ **ويلعن بعضكم بعضاً** ﴾ أي ويلعن الإتباع القادة لأنهم زيّنوا لهم الكفر وقال قتادة كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴿ **ومأواكم النار** ﴾ أي ومستقركم النار ﴿ **وما لكم من ناصرين** ﴾ يدفعون عنكم عذاب الله .

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير حفص أئنكم لتأتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرجال بهمزتين فيهما وقرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة آنكم وقرأ الباقون إنكم لتأتون الفاحشة بكسر الهمزة من غير استفهام أئنكم لتأتون الرجال بالاستفهام إلا أن ابن كثير وورشا ويعقوب قرؤا بهمزة واحدة غير ممدودة وابن عامر وحفص بهمزتين وأهل المدينة غير ورش بهمزة واحدة ممدودة .

[ **اللغة** ] هاجر القوم من دار إلى دار معناه تركوا الأولى للثانية قال الأزهري أصل المهاجرة خروج البدوي من البادية إلى المدن وتهجَّر أي تشبَّه بالمهاجرين ومنه حديث عمر هاجروا ولا تهجروا أي أخلصوا الهجرة لله والنادي والندي المجلس إذا اجتمعوا فيه وتنادى القوم إجتمعوا في النادي ودار الندوة دار قصي بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاورة تبركاً به والأصل من النداء لأن القوم ينادي بعضهم بعضاً .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم بأن قال ﴿ **فآمن له لوط** ﴾ أي فصدَّق بإبراهيم لوط وهو ابن أخته وكان إبراهيم خاله عن ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين وهو أول من صدق بإبراهيم (ع) ﴿ **وقال** ﴾ ابراهيم ﴿ **إني مهاجر إلى ربي** ﴾ أي خارج من

جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبيح أعمالهم من حيث أمرني ربي وقيل معناه قال لوط أني مهاجر إلى ربي عن الجبائي وخرج إبراهيم (ع) ومعه لوط وامرأته سارة وكانت ابنة عمه من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة إلى أرض الشام عن قتادة ومثل هذا هجرة المسلمين من مكة إلى أرض الحبشة أولاً ثم إلى المدينة ثانياً لأنهم هجروا ديارهم وأوطانهم بسبب أذى المشركين لهم ﴿ **إنه هو العزيز** ﴾ الذي لا يذلّ من نصره ﴿ **الحكيم** ﴾ الذي لا يضيع من حفظه ﴿ **ووهبنا له** ﴾ أي لإبراهيم من بعد إسماعيل ﴿ **إسحاق ويعقوب** ﴾ من وراء إسحاق ﴿ **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** ﴾ وذلك أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من بعد إبراهيم إلاّ من صلبه فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان كلها أنزلت على أولاده ﴿ **وآتيناه أجره في الدنيا** ﴾ وهو الذكر الحسن والولد الصالح عن ابن عباس وقيل هو رضى أهل الأديان به فكلهم يحبّونه ويتولونه عن قتادة وقيل هو أنه أري مكانه في الجنة عن السدي وقال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره من الأنبياء قال البلخي وفي هذا دلالة على أنه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب ﴿ **وأنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ يعني أن إبراهيم مع ما أعطي من الأجر والثواب في الدنيا يحشره الله في جملة الصالحين العظيمي الأقدار مثل آدم ونوح ﴿ **ولوطاً إذ قال لقومه** ﴾ أي وأرسلنا لوطاً ويجوز أن يريد واذكر لوطاً حين قال لقومه ﴿ **إنكم لتأتون الفاحشة** ﴾ من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الإستعلام ومن قرأ أنكم على الخبر أراد أن لوطاً قال ذلك لقومه منكراً لفعلهم لا مفيداً معلماً لهم لأنهم قد علموا ما فعلوه والفاحشة هاهنا ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران ﴿ **ما سبقكم بها** ﴾ أي بهذه الفاحشة ﴿ **من أحد من العالمين** ﴾ أي أحد من الخلائق ثم فسَّر الفاحشة بقوله ﴿ **إنكم لتأتون الرجال** ﴾ أي تنكحونهم ﴿ **وتقطعون السبيل** ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) تقطعون سبيل الولد باختياركم الرجال على النساء (وثانيها) إنكم تقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالحذف[١] فأيّهم أصابه كان أولى به ويأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضي بذلك (وثالثها) إنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس كما يفعل قطاع الطريق في زماننا ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ قيل فيه أيضاً وجوه (أحدها) هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء عن ابن عباس وروي ذلك عن الرضا (ع) (وثانيها) إنهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى

---

(١) ضرب من الرمي والضرب .

بعضهم بعضاً عن مجاهد ( وثالثها ) كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير والقبائح مثل الشتم والسخف والصفع[1] والقمار وضرب المخراق[2] وحذف الأحجار على من مرّ بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط قال الزجاج وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير ولا أن يجتمعوا على المناهي ولما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضائح قالوا له إستهزاء أئتنا بعذاب الله وذلك قوله ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين** ﴾ وعند ذلك ﴿ **قال** ﴾ لوط ﴿ **رب أنصرني على القوم المفسدين** ﴾ الذين فعلوا المعاصي وارتكبوا القبائح وأفسدوا في الأرض .

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لَنُنْجِيَنَّه خفيفة الجيم ساكنة النون والباقون لَنُنَجِّيَنَّه بالتشديد وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير حفص ويعقوب إنا مُنْجُوك بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر مُنَزِّلون بالتشديد والباقون مُنْزِلُون بالتخفيف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة ومن قرأ لَنُنْجِيَنَّه وإنا مُنْجُوك قوله ﴿ **فأنجيه الله من**

(١) صفعه صفعاً : ضرب قفاه أو بدنه بكفه مبسوطة (٢) المخراق : المنديل .

النار ﴾ وحجة من ثقل قوله ﴿ ونجَّينا الذين آمنوا ﴾ يقال نجا زيد ونجيته وأنجيته مثل فرحته وأفرحته وكذلك قولك نزل إذا عدَّيته قلت نزَّلته وأنزلته .

[ والمعنى ] ثم بيَّن سبحانه أنه استجاب دعاء لوط وبعث جبرائيل ومعه الملائكة لتعذيب قومه بقوله ﴿ ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ﴾ أي يبشرونه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ﴾ يعنون قرية قوم لوط ( ع ) وإنما قالوا هذا لأن قريتهم كانت قريبة من قرية قوم إبراهيم ﴿ إن أهلها كانوا ظالمين ﴾ أي مشركين مرتكبين للفواحش ﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ إن فيها لوطاً ﴾ فكيف تهلكونها ﴿ قالوا ﴾ في جوابه ﴿ نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله ﴾ أي لنخلصنَّ لوطاً من العذاب بإخراجه منها ولنخلصن أيضاً أهله المؤمنين منهم ﴿ إلا امرأته ﴾ فإنها تبقى في العذاب لا تنجو منه وذلك قوله ﴿ كانت من الغابرين ﴾ أي من الباقين في العذاب ﴿ ولما إن جاءت رسلنا لوطاً ﴾ أنْ هذه مزيدة ﴿ سيء بهم ﴾ معناه سيء لوط بالملائكة أي ساءه مجيئهم لما رآهم في أحسن صورة لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتادة وقيل معناه سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم ﴿ وضاق بهم ذرعاً ﴾ أي ضاق قلبه وقيل ضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم وصيانتهم عن الجبائي فلما رأى الملائكة حزنه وضيق صدره ﴿ قالوا لا تخف ﴾ علينا وعليك ﴿ ولا تحزن ﴾ بما نفعله بقومك وقيل لا تخف ولا تحزن علينا فإنا رسل الله لا يقدرون علينا ﴿ إنا منجوك وأهلك ﴾ من العذاب ﴿ إلا امرأتك ﴾ الكافرة ﴿ كانت من الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً ﴾ أي عذاباً من السماء ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ أي يخرجون من طاعة الله إلى معصيته أي جزاء بفسقهم ﴿ ولقد تركنا منها آية بينة ﴾ أي تركنا من تلك القرية عبرة واضحة ودلالة على قدرتنا قال قتادة هي الحجارة التي أمطرت عليهم وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هي الماء الأسود على وجه الأرض ﴿ لقوم يعقلون ﴾ ذلك ويبصرونه ويتفكرون فيه ويتّعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه في العبادة .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا

وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ
وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا
بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

[ **اللغة** ] الرجفة زعزعة الأرض تحت القدم يقال رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفاً ورجفة شديدة والبحر رجاف لاضطرابه وأرجف الناس بالشيء أي أخبروا بما يضطرب لأجله من غير تحقق به والحاصب الريح العاصفة التي فيها الحصباء وهي الحصى الصغار يشبه به البرد والجليد قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورُ

وقال الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ إِذَ العِشَارُ تَرَوَّحَتْ ... هَدَجَ الرِّئَالِ بِكِنِّهِنَّ شِمَالا
تَرْمِي العِضَاةَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى تَبِيتَ عَلَى الْعِضَاهِ جِفَالا[1]

(١) قوله لقد علمت أي أيها الأمير ، إذا هو ظرف مفعول ثان لعلمت ، والعشار جمع عشر أو هي الناقة يمضي لها من حين اللقاح عشرة أشهر ، وتروحت استنشقت ومفعوله شمالاً وهي ريح معروفة بشدة توصف بشدة البرد ، وهدج الرئال الهدج مصدر هدج الظليم أي ذكر النعام إذا مشى في ارتعاش ، والرئال جمع رائل وهو فرخ النعام وهو مفعول أول لعلمت « بكنهن » الكن : ما يكتن به من الحر والبرد ، وترمى العضاه وهي شجرة كبيرة بحاصب أي ريح عاصف والمراد به هنا الثلج على التشبيه فتكون «من» في قوله من ثلجها بيانية « حتى تبيت » أي ذلك الحاصب على العضاه . جفالا وهو الصوف الكثير ، والمعنى : ولقد علمت أيها الأمير مشي الفراخ في ارتعاش في مسكنهن عند هبوب هذه الريح الموصوفة بالصفات المذكورة فارحمني وجد علي ، والمراد من البيت الاسترحام والاستعطاف ( كذا في هامش بعض المخطوطة ) .

والخسف سوخ الأرض بما عليها يقال خسف الله به الأرض وخسف القمر إذهاب نوره والخسوف للقمر والكسوف للشمس .

[ **الإعراب** ] أخاهم ينتصب بفعل مضمر والتقدير وأرسلنا إلى مدين أخاهم وعاداً منصوب بفعل مضمر تقديره وأهلكنا عاداً وثمود وقد تبيّن فاعله مضمر تقديره وقد تبين أهلاكهم لكم وكانوا مستبصرين في موضع نصب على الحال . ليظلمهم اللام لتأكيد النفي ولا يجوز إظهار أن بعده .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم فقال ﴿**وإلى مدين**﴾ أي وأرسلنا إلى مدين ﴿**أخاهم شعيباً**﴾ وهذا مفسر فيما مضى ﴿**فقال يا قوم اعبدوا الله**﴾ بدأ بالدعاء إلى التوحيد والعبادة ﴿**ارجوا اليوم الآخر**﴾ اي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات ﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ اي لا تسعوا في الأرض بالفساد ثم اخبر ان قومه كذَّبوه ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله وذلك قوله ﴿**فكذَّبوه فأخذتهم الرجفة**﴾ وقد مرَّ بيانه ﴿**فأصبحوا في دارهم جاثمين**﴾ اي باركين على ركبهم ميتين ﴿**وعادا وثمود**﴾ أي وأهلكنا ايضاً عاداً وثمود جزاء لهم على كفرهم ﴿**وقد تبين لكم**﴾ معاشر الناس كثير ﴿**من مساكنهم**﴾ وقيل معناه وقد ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر واليمن آية في هلاكهم ﴿**وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدَّهم عن السبيل**﴾ اي فمنعهم عن طريق الحق ﴿**وكانوا مستبصرين**﴾ أي وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق والباطل بالاستدلال والنظر ولكنّهم اغفلوا ولم يتدبَّروا وقيل معناه إنهم كانوا مستبصرين عند انفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبون انهم على هدى عن قتادة والكلبي ﴿**وقارون**﴾ اي وأهلكنا قارون ﴿**وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات**﴾ أي بالحجج الواضحات من قلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها ﴿**فاستكبروا**﴾ أي طلبوا التجبر ﴿**في الأرض**﴾ ولم ينقادوا للحق ﴿**وما كانوا سابقين**﴾ أي فائتين الله كما يفوت السابق ﴿**فكلا اخذنا بذنبه**﴾ أي فأخذنا كُلًّا من هؤلاء بذنبه وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل ﴿**فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً**﴾ أي حجارة وقيل ريحاً فيها حصى وهم قوم لوط عن ابن عباس وقتادة وقيل هم عاد ﴿**ومنهم من اخذته الصيحة**﴾ وهم ثمود وقوم شعيب عن ابن عباس وقتادة والصيحة العذاب وقيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا ﴿**ومنهم من خسفنا به الأرض**﴾ وهو قارون ﴿**ومنهم من اغرقنا**﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿**وما كان الله ليظلمهم**﴾ فيعذّبهم على غير ذنب أو قبل ازاحة العلة ﴿**ولكن كانوا انفسهم يظلمون**﴾ بكفرهم وتكذيبهم الرسل وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل

الجبر فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ
إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[ القراءة ] قرأ اهل البصرة وعاصم إلا الأعمش والبرجمي ما يدعون بالياء والباقون بالتاء .

[ الحجة والاعراب ] قال أبو علي التاء على قوله قل لهم إن الله يعلم ما تدعون لا يكون إلا عند هذا لأن المسلمين لا يخاطبون بذلك وما استفهام وموضعه نصب بيدعون ولا يجوز ان يكون نصباً بيعلم ولكن صارت الجملة التي هي في موضع نصب بيعلم ولا يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت لأن ذلك لا يلغي وما لا يلغي لا يعلق ويبعد ذلك دخول من في الكلام وهي إنما تدخل في نحو قولك هل من طعام وهل من رجل ولا تدخل في الايجاب هذا قول الخليل وكذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار أم للكافر وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه وهو قياس قول الخليل .

[ **اللغة** ] جمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب ووزنه فعللوت وهو يذكر ويؤنث قال الشاعر :

عَـلىٰ هَـطالِهِـمْ مِنْـهُـمْ بُـيُـوتٌ　　　كَـأَنَّ الْـعَنْـكَبُـوتَ هُـوَ ابْـتَنَـاهـا(١)

ويقال فيه العنكباء .

[ **المعنى** ] ثم شبَّه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فقال ﴿**مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء**﴾ أي شبه من اتخذ الأصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع اليها عند الحاجة ﴿**كمثل العنكبوت واتخذت بيتاً**﴾ لنفسها لتأوي اليه فكما ان بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئاً لكونه في غاية الوهن والضعف ولا يجدي نفعاً كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً وشراً ونفعاً وضراً والولي هو المتولي للنصرة وهو ابلغ من الناصر لأن الناصر قد يكون ناصراً بأن يأمر غيره بالنصرة والولي هو الذي يتولى النصرة بنفسه ﴿**وان اوهن البيوت**﴾ أي اضعفها ﴿**لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾ صحة ما اخبرناهم به ويتحققون ولو متعلقة بقوله اتخذوا اي لو علموا ان اتخاذهم الاولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتخذوهم اولياء ولا يجوز ان تكون متعلقة بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لأنهم كانوا يعلمون ان بيت العنكبوت واهٍ ضعيف ﴿**إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء**﴾ هذا وعيد منه سبحانه ومعناه انه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار وما يتخذونه من دونه ارباباً ﴿**وهو العزيز**﴾ الذي لا يغالب فيما يريده ﴿**الحكيم**﴾ في جميع افعاله ﴿**وتلك الامثال**﴾ وهي الاشباه والنظائر يعني امثال القرآن ﴿**نضر بها للناس**﴾ اي نذكرها لهم لندعوهم إلى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة الأصنام ﴿**وما يعقلها إلا العالمون**﴾ أي وما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الامثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله وروي الواحدي بالإسناد عن جابر قال تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ثم بيَّن سبحانه ما يدلُّ على إلَهيته واستحقاقه العبادة فقال ﴿**خلق الله السموات والأرض**﴾ أي اخرجهما من العدم إلى الوجود ولم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليسكنهما خلقه وليستدلّوا بهما على اثباته ووحدانيته ﴿**بالحق**﴾ أي على وجه الحكمة وقيل معناه للحق واظهار الحق ﴿**إن في ذلك لآية للمؤمنين**﴾ لأنهم المنتفعون بذلك ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿**اتل ما اوحي اليك من الكتاب**﴾ يعني القرآن اي اقرأه على المكلفين واعمل بما تضمنه ﴿**وأقم الصلاة**﴾ أي ادّها

(١) هطال : اسم جبل .

بحدودها في مواقيتها ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ في هذا دلالة على ان فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقاً والا فقد اتي المكلف من قبل نفسه وقيل ان الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضدّه فيكون مثل الأمر والنهي بالقول وكل دليل مؤدّ إلى المعرفة بالحق فهو داع إليه وصارف عن الباطل الذي هو ضدّه وقيل معناه أن الصلاة تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه أنه ينبغي ان تنهاه كقوله ومن دخله كان آمناً وقال ابن عباس في الصلاة منهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد من الله إلا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وروي انس بن مالك الجهني عن النبي ﷺ قال انه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً وروي عن ابن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ انه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان ينتهي عن الفحشاء والمنكر ومعنى ذلك ان الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي فمن اقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها فإن تاب من بعد ذلك وترك المعاصي فقد تبين أن صلاته كانت نافعة له ناهية وان لم ينته إلا بعد زمان وروي انس ان فتى من الانصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال إن صلاته تنهاه يوماً وعن جابر قال قيل لرسول الله ﷺ إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروى اصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال من احبَّ ان يعلم اقبلت صلاته ام لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه ﴿ولذكر الله اكبر﴾ أي ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه اكبر مما سواه وافضل من جميع اعماله عن سلمان في رواية اخرى وابن زيد وقتادة وروي ذلك عن ابي الدرداء وعلى هذا فيكون تأويله أن اكبر شيء في النهي عن الفحشاء ذكر العبد ربه وأوامره ونواهيه وما اعدّه من الثواب والعقاب فإنه اقوى لطف يدعو إلى الطاعة وترك المعصية وهو أكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلاة اكبر من الصلاة عن ابي مالك وقيل ان ذكر الله هو التسبيح والتقديس والتهليل وهو أكبر واحرى بأن ينهي عن الفحشاء والمنكر عن الفراء أي من كان ذاكراً لله فيجب أن ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروي عن ثابت البناني قال ان رجلاً اعتق اربع رقاب فقال رجل آخر سبحان الله والحمد لله

ولا إله إلا الله والله اكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن اوفى السلمي واصحابه فقال ما تقولون في رجل اعتق اربع رقاب واني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فأيّهما افضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئاً افضل من ذكر الله وعن معاذ بن جبل قال ما عن عمل آدمي عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل وقيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد فإن الله عز وجل يقول ولذكر الله اكبر وعنه قال سألت رسول الله ﷺ ايّ الأعمال احبُّ إلى الله قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقال ﷺ يا معاذ ان السابقين الذين يسهرون بذكر الله عز وجل ومن احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وروي عن عطا بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس أرأيت قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير والتهليل حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه ﴿**والله يعلم ما تصنعون**﴾ من خير وشرّ فيجازيكم بحسبه.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ
أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ
وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ
فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ
بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨
بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص وقتيبة آية من ربه على التوحيد والباقون آيات على الجمع .

[الحجة] قال أبو علي حجة الافراد قوله فليأتنا بآية وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزّل آية وحجة الجمع ان في حرف أبي زعموا لولا يأتينا بآيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وقد تقع على لفظ الواحد ويراد به كثرة كما جاء وجعلنا ابن مريم وأمه آية وليس في قوله قل إنما الآيات عند الله دلالة على ترجيح من قرأ آيات لأنه لما اقترحوا آية قيل إنما الآيات عند الله والمعنى الآية التي اقترحتموها وآيات أخر لم تقترحوها .

[ اللغة ] أصل الجدل شدة الفتل يقال جدلته اجدله جدلاً إذا فتلته فتلا شديداً والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وقيل ان اصله من الجدالة وهي الأرض فإن كل واحد من الخصمين يروم أن يلقي صاحبه بالجدالة . الخط معروف والارتياب والريبة شك مع تهمة .

[ الاعراب ] الذين ظلموا منهم في محل النصب على الاستثناء من اهل الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب تقديره وكما أنزلنا إلى اهل الكتاب الكتاب أنزلنا اليك الكتاب . إذا لارتاب المبطلون اللام للقسم وفي الكلام حذف تقديره ولو خططته بيمينك أو تلوت قبله كتاباً إذا والله لارتابوا به . من ربه في موضع رفع بأنه صفة آية .

[ المعنى ] لمّا تقدّم الأمر بالدعاء إلى الله سبحانه بيّن عقيبه كيف يدعونهم وكيف يجادلونهم فقال ﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب﴾ وهم نصارى بني نجران وقيل اليهود والنصارى ﴿إلا بالتي هي احسن﴾ اي بالطريق التي هي احسن وإنما يكون احسن إذا كانت المناظرة برفق ولين لإرادة الخير والنفع بها ومثله قوله فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى والأحسن الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له وقد يكون أيضاً أعلى في الحسن من جهة قبول الطبع وقد يكون في الأمرين جميعاً وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء إلى الله تعالى على احسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل في التنبيه على آيات الله وحججه ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي إلا من أبى ان يقرَّ بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالعناد وكتمان صفة نبينا ﷺ بعد العلم به عن أبي مسلم وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على الكفر بعد قيام الحجة عن ابن زيد والأولى ان يكون معناه إلا الذين ظلموك في جدالهم أو

في غيره مما يقتضي الاغلاظ لهم فيجوز أن يسلكوا معهم طريقة الغلظة وقيل ان الآية منسوخة بآية السيف عن قتادة والصحيح انها غير منسوخة لأن الجدال على الوجه الأحسن هو الواجب الذي لا يجوز غيره ﴿**وقولوا**﴾ لهم في المجادلة وفي الدعوة الى الدين ﴿**ممّنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم**﴾ اي بالكتاب الذي أنزل الينا وبالكتاب الذي انزل اليكم ﴿**وإلهنا وإلهكم واحد**﴾ لا شريك له ﴿**ونحن له مسلمون**﴾ أي مخلصون طائعون ﴿**وكذلك**﴾ أي ومثل ما انزلنا الكتاب على موسى وعيسى ﴿**أنزلنا اليك الكتاب**﴾ وهو القرآن﴿**فالذين آتيناهم الكتاب**﴾ أي علم الكتاب فحذف المضاف ﴿**يؤمنون به**﴾ يعني مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ونظرائه ﴿**ومن هؤلاء**﴾ يعني كفار مكة ﴿**من يؤمن به**﴾ يعني من اسلم منهم ويجوز ان تكون الهاء في ربه راجعة الى النبي ﷺ ويجوز ان تكون راجعة إلى القرآن ويحتمل ايضاً ان يريد بقوله الذين آتيناهم الكتاب المسلمين والكتاب القرآن ومن هؤلاء يعني ومن اليهود والنصارى من يضمن به ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون**﴾ أي وما ينكر دلالاتنا إلا الكافرون ولا يضرّك جحودهم ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب**﴾ أي وما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتاباً والمعنى انك لم تكن تحسن القراءة قبل ان يوحي اليك بالقرآن ﴿**ولا تخطّه بيمينك**﴾ معناه وما كنت أيضاً تكتبه بيدك ﴿**إذا لارتاب المبطلون**﴾ أي ولو كنت تقرأ كتاباً أو تكتبه لوجد المبطلون طريقاً إلى اكتساب الشك في امرك والقاء الريبة لضعفة الناس في نبوتك ولقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم في المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب ان يعلموا انه من عند الله تعالى وليس من عندك إذ لم تجر العادة ان ينشأ الانسان بين قوم يشاهدون احواله من عند صغره الى كبره ويرونه في حضرة وسفره لا يتعلم شيئاً من غيره ثم يأتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم اقاصيص الأولين. قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه هذه الآية تدل على ان النبي ﷺ ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة لأن المبطلين إنما يرتابون في نبوته ﷺ لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل (ع) بعد النبوة ثم قال سبحانه ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ يعني ان القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي ﷺ والمؤمنون به لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن وقيل

هم الأئمة (ع) من آل محمد عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل إن هو كناية عن النبي ﷺ اي انه في كونه امياً لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات في صدور العلماء من اهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة عن الضحاك وقال قتادة المراد به القرآن وأعطى هذه الأمة الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤون الكتاب إلا نظراً فإذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**﴾ الذين ظلموا انفسهم بترك النظر فيها والعناد لها بعد حصول العلم لهم بها وقيل يريد بالظالمين كفار قريش واليهود وقالوا يعني كفار مكة ﴿**لولا انزل عليه آية من ربه**﴾ أراد به الآيات التي اقترحوها في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات وان يجعل الصفا ذهباً وقيل انهم سألوا آية كآية موسىٰ (ع) من فلق البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما أتى به من المعجزات والآيات غير آية وحجة إلقاء للشبهة بين العوام فقال الله تعالى ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**إنما الآيات عند الله**﴾ ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له ولأمته ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بفن منها ﴿**وإنما انا نذير مبين**﴾ أي منذر مخوّف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقي من المعجزات .

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

[ القراءة ] قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء والآخرون بالنون .

[ الحجة ] قال أبو علي ويقول اي ويقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم تجزون عذاب الهون أي يقولون لهم ومن قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينسب اليه والمعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون وإنما قيل ذوقوا الوصول ذلك إلى المعذبين واتصاله كوصول المذوق إلى الذائق قال ( دُونَكَ مَا جَنَيْتَهُ فَأَحْسُن وُذُقْ )(١) .

[ الاعراب ] يتلى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي متلو عليهم . يعلم ما في السماوات يجوز ان يكون صفة لقوله شهيداً ويجوز أن يكون حالاً ويجوز ان يكون جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب. وليأتينهم اللام جواب قسم مقدر. بغتة منصوب على الحال. يوم يغشيهم ظرف لقوله محيطة .

[ المعنى ] لمّا تقدّم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال ﴿ أو لم يكفهم إنا أنزلنا عليك ﴾ يا محمد ﴿ الكتاب ﴾ أي القرآن ﴿ يتلى عليهم ﴾ بيّن سبحانه أن في إنزال القرآن دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معه العلة وتقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على أن إظهار المعجزات مع كونها إزاحة للعلة تراعى فيه المصلحة فإذا كانت المصلحة في إظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها ولو أظهر الله سبحانه الآيات التي إقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة إهلاكهم بعذاب الإستئصال كما اقتضت ذلك في الأمم السالفة وقد وعد الله سبحانه أن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الإستئصال وفي هذا دلالة على أن القرآن كافي في المعجز وأنه في أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافياً عن جميع المعجزات والكفاية بلوغ حدّ ينافي الحاجة ﴿ إن في ذلك ﴾ معناه إن في القرآن ﴿ لرحمة ﴾ أي نعمة عظيمة الموقع لأن من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة ﴿ وذكرى ﴾ أي وتذكير أو موعظة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي يصدّقون به وقيل أن قوماً من المسلمين كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب فهدّدهم سبحانه في هذه الآية ونهاهم عنه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم جئتكم بها بيضاء نقية ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ كفى بالله بيني

(١) دونك اي خذ . واحس فعل أمر من حسا يحسو اي اشرب .

وبينكم شهيداً ﴾ لي بالصدق والإبلاغ وعليكم بالتكذيب والعناد وشهادة الله له قوله محمد رسول الله وهو في كلام معجز قد ثبت أنه من الله سبحانه وقيل إن شهادة الله له إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ﴾ فيعلم أني على الهدى وأنكم على الضلالة ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ أي صدقوا بغير الله عن ابن عباس وقيل بعبادة الشيطان عن مقاتل ﴿ وكفروا بالله ﴾ أي جحدوا وحدانية الله ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصي والجحود بالله ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ يا محمد أي يسألونك نزول العذاب عاجلاً لجحودهم صحة ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث أمطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾ أي وقت قدرة الله تعالى أن يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة أو أجل قدَّره الله تعالى أن يبقيهم إليه لضرب من المصلحة ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ الذي استحقّوه ﴿ وليأتينهم ﴾ العذاب ﴿ بغتة وهم لا يشعرون ﴾ بإتيانه ووقت مجيئه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال ﴿ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ يعني إن العذاب وإن لم يأتهم في الدنيا فإن جهنم محيطة بهم أي جامعة لهم وهم معذّبون فيها لا محالة ﴿ يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ يعني أن العذاب يحيط بهم لا أنه يصل إلى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا وهو معذب في النار عن الحسن وهذا كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴿ ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاء أعمالكم وأفعالكم القبيحة .

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

[ القراءة ] قرأ يرجعون بالياء يحيي عن أبي بكر وهشام والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة

غير عاصم لنثوينهم بالثاء والباقون لنبوئنهم بالباء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي أما يرجعون بالياء فلأن الذي قبله على لفظ الغيبة وترجعون على أنه إنتقل من الغيبة إلى الخطاب مثل إياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحجة من قرأ لنبوئنهم بالباء قوله ﴿ **ولقد بوأنا بني إسرائيل** ﴾ مبوء صدق وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وتكون اللام هنا زائدة كزيادتها في قوله ﴿ **ردف لكم** ﴾ ويجوز أن يكون بوأنا لدعاء إبراهيم (ع) ويكون المفعول محذوفاً أي بوأنا لدعائه ناساً مكان البيت ومن قرأ لنثوينهم فحجته قوله ﴿ **وما كنت ثاوياً في أهل مدين** ﴾ أي مقيماً نازلاً فيهم قال الأعشى :

أَثْوىٰ وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوِّدا وَمَضىٰ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِداً[١]

وقال حسان « ثَوىٰ في قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حَجَّة » أي أقام فيهم فإذا تعدّى بحرف جرّ فزيدت عليه الهمزة وجب أن يتعدّى إلى المفعول الثاني بحرف جرّ وليس في الآية حرف جر قال أبو الحسن قرأ الأعمش لنثوينهم من الجنة غرفاً ولا يعجبني لأنك لا تقول أثويته الدار قال أبو علي ووجهه أنه كان في الأصل لنثوينهم من الجنة في غرف كما يقول لننزلنهم من الجنة في غرف وحذف الجار كما حذف من قولك « أمرتك الخير فافعل ما أمرت به » ويقوي ذلك أن الغرف وإن كانت أماكن مختصة فقد أجريت المختصة من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله ( كَما عَسَلَ الطَّرِيقِ الثَّعْلَبُ )[٢] ونحو ذهبت الشام عند سيبويه .

[ **الإعراب** ] خالدين نصب على الحال من الهاء والميم . الذين صبروا في موضع جر صفة للعالمين ويكون المخصوص بالمدح محذوفاً أي نعم أجر العاملين الصابرين المتوكلين أجرهم ويجوز أن يكون المضاف محذوفاً أي نعم أجر العاملين أجر الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح وأقام المضاف إليه مقامه . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله . موضع كأين مرفوع . ومن دابة في موضع التبيين له . وقوله ﴿ **لا تحمل رزقها** ﴾ صفة للمجرور ويكون قوله الله مبتدأ ويرزقها خبره والجملة خبر كأين .

---

(١) قوله « وأخلف » أي صادفها مخلفة وعدها ، وقتيلة : إسم معشوقته وقد مر البيت في المجلد الثالث أيضاً .

(٢) وتمام البيت

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق . . . ا.هـ

وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب أيضاً غير مرة .

[ **النزول** ] قيل نزلت الآية الأولى في المستضعفين من المؤمنين بمكة أمروا بالهجرة عنها عن مقاتل والكلبي ونزل قوله ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها** ﴾ في جماعة كانوا بمكة يؤذيهم المشركون فأمروا بالهجرة إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومن يطعمنا ومن يسقينا ؟

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه أنه لا عذر لعباده في ترك طاعته فقال ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة** ﴾ يبعد أقطارها فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الإيمان والإخلاص في عبادتي وقال أبو عبد الله ( ع ) معناه إذا عصي الله في أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها وقيل معناه إن أرض الجنة واسعة عن الجبائي وأكثر المفسرين على القول الأول ﴿ **فإياي فاعبدون** ﴾ أي أعبدوني خالصاً ولا تطيعوا أحداً من خلقي في معصيتي وإياي منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده وقد مرَّ بيانه وقيل إن دخول الفاء للجزاء والتقدير إن ضاق بكم موضع فاعبدوني ولا تعبدوا غيري إن أرضي واسعة أمر سبحانه المؤمنين إذا كانوا في بلد لا يلتئم فيه لهم أمر دينهم أن ينتقلوا عنه إلى غيره ثم خوَّفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ أي كل نفس أحياها الله بحياة خلقها فيه ذائقة مرارة الموت بأيّ أرض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿ **ثم إلينا ترجعون** ﴾ بعد الموت فنجازيكم بأعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ يعني المهاجرين ﴿ **لنبوئنهم** ﴾ أي لننزلنَّهم ﴿ **من الجنة غرفاً** ﴾ أي علالي عاليات ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدور والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة ﴿ **خالدين فيها** ﴾ يبقون فيها ببقاء الله ﴿ **نعم أجر العاملين** ﴾ لله تلك الغرف ثم وصفهم فقال ﴿ **الذين صبروا** ﴾ على دينهم فلم يتركوه لشدة نالتهم وأذى لحقهم وصبروا على مشاق الطاعات ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ في مهمات أمورهم ومهاجرة دورهم ثم قال ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها** ﴾ أي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخراً معداً عن الحسن وقيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها وتأكل بأفواهها عن مجاهد وقيل إن الحيوان أجمع من البهائم والطيور وغيرهما مما يدبُّ على وجه الأرض لا تدخر القوت لغدها إلا ابن آدم والنملة والفارة بل تأكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس ﴿ **الله يرزقها وإياكم** ﴾ أي يرزق تلك الدابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم أيضاً فلا تتركوا الهجرة بهذا السبب وعن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت لا أشتهيه يا رسول الله قال لكنّي أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق

طعاماً ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي السميع لأقوالكم عند مفارقة أوطانكم العليم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من سرّكم وإعلانكم .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ
وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟
فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وقالون وأهل الكوفة غير عاصم إلا الأعمش والبرجمي وليتمتعوا ساكنة اللام والباقون وليتمتعوا بكسر اللام .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من كسر اللام وجعلها الجارة كانت متعلقة بالإشراك المعنى يشركون ليكفروا أي لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر وليس يرد عليهم الشرك نفعاً إلا الكفر والتمتع بما يستمعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ومن قرأ وليتمتعوا وأراد الأمر كان على معنى التهديد والوعيد كقوله ﴿ **واستفزز من استطعت واعملوا ما شئتم** ﴾ ويدل على ذلك قوله في موضع آخر ﴿ **فتمتعوا فسوف تعلمون** ﴾ والإسكان في لام الأمر سائغ .

[ **اللغة** ] قال أبو عبيدة الحيوان والحياة واحد وهما مصدران حي حياة وحيواناً والحياة عرض يُصيّر الأجزاء بمنزلة الشيء الواحد حتى يصح أن يكون قادراً عالماً وخاصية الحياة الإدراك . والتخطف تناول الشيء بسرعة ومنه إختطاف الطير لصيده .

[ **الإعراب** ] أنّى في قوله ﴿ **وأنى يؤفكون** ﴾ منصوب الموضع فيجوز أن يكون حالاً من يؤفكون والتقدير منكرين يؤفكون ويجوز أن يكون مصدراً تقديره أيّ إفك يؤفكون ويتخطف الناس من حولهم جملة في موضع الحال .

[ **المعنى** ] ثم عجّب سبحانه ورسوله والمؤمنون من إيمان المشركين بالباطل مع إعترافهم بأن الله هو الخالق الفاعل فقال ﴿ **ولئن سئلتهم** ﴾ أي إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين ﴿ **من خلق السماوات والأرض** ﴾ أي من أنشأهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ﴿ **وسخّر الشمس والقمر** ﴾ أي من ذلّلهما وسيّرهما في دورانهما على طريقة واحدة لا تختلف ﴿ **ليقولن** ﴾ في جواب ذلك ﴿ **الله** ﴾ الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم والنشأة الأولى ﴿ **فأنّى يؤفكون** ﴾ أي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة حجر لا ينفع ولا يضرّ ﴿ **الله يبسط الرزق** ﴾ أي يوسعه ﴿ **لمن يشاء من عباده ويقدر له** ﴾ أي ويضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحة وإنما خصّ بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة ﴿ **إن الله بكل شيء عليم** ﴾ يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها ﴿ **ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن** ﴾ في الجواب عن ذلك ﴿ **الله** ﴾ قل يا محمد عند ذلك ﴿ **الحمد لله** ﴾ على كمال قدرته وتمام نعمته وعلى ما وفقنا للإعتراف بتوحيده والإخلاص في عبادته ثم قال ﴿ **بل أكثرهم لا يعقلون** ﴾ توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خالق الأشياء ومنزل المطر من السماء لأنهم لا يتدبرون وعن الطريق المفضي

إلى الحق يعدلون فكأنهم لا يعقلون ﴿ **وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب** ﴾ لأنها تزول كما يزول اللهو واللعب ويستمتع بها الإنسان مدة ثم تنصرم وتنقطع ﴿ **وإن الدار الآخرة** ﴾ يعني الجنة ﴿ **لهي الحيوان** ﴾ أي الحياة على الحقيقة لأنها الدائمة الباقيـة التي لا زوال لها ولا موت فيها وتقديره وإن الدار الآخرة لهي دار الحيـوان أو ذات الحيوان لأن الحيـوان مصدر كالنزوان والغليان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمعنى أن حياة الدار الآخرة هي الحياة التي لا تنغيص فيها ولا تكدير ﴿ **لو كانـوا يعلمون** ﴾ الفـرق بين الحياة الفـانية والحياة الباقية الدائمة أي لو علموا لرغبوا في الباقي وزهدوا في الفاني ولكنّهم لا يعلمـون ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ أخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال إنهم إذا ركبوا في السفن في البحر وهاجت بـه الريـاح وتلاطمت بـه الأمواج وخـافوا الهلاك أخلصوا الدعاء لله مستيقنين أنه لا يكشف السوء إلا هو وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهمإنجاءهم ﴿ **فلما نجيهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ أي فلمـا خلَّصهم إلى البر وأمنـوا الهلاك عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك معه في العبادة ﴿ **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون** ﴾ إن جعلت اللام للأمر فمعناه التهـديد أي ليجحـدوا نعم الله في إنجائـه إياهم وليتمتعوا بباقي عمرهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وإن جعلتها لام كي فالمعنى أنهم يشركون ليكفروا وقد مرَّ معناه ﴿ **أولم يروا** ﴾ أي ألم يعلم هؤلاء الكفار ﴿ **أنا جعلنا حـرماً آمناً** ﴾ يأمن أهله فيه من القتل والغارة ﴿ **ويتخطف النـاس من حولهم** ﴾ أي يقتـل بعضهم بعضاً فيما حولهم وهم آمنون في الحرم ذكَّرهم سبحانه النعمة بذلـك ليذعنـوا له بـالطاعـة وينزجروا عن عبـادة غيره ثم قـال مهدّداً لهم ﴿ **أفبـالباطـل يؤمنون** ﴾ أي يصـدقون بعبـادة الأصنام وهي باطلة مضمحلة ﴿ **وبنعمـة الله** ﴾ التي أنعم بها عليهم ﴿ **يكفـرون** ﴾ ثم قال ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ أي لا ظالم أظلم ممن أضاف إلى الله ما لم يقله من عبادة الأصنام وغيرها ﴿ **أو كذَّب بالحق** ﴾ أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾ هذا استفهام تقرير أي أما لهؤلاء الكفار المكذبين مثوى في جهنم وهذا مبالغة في إنجاز الوعيد لهم ﴿ **والـذين جاهـدوا فينا** ﴾ أي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا وجاهدوا أنفسهم في هـواها خـوفاً منـا وقيل معنـاه إجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة في عقابنا ﴿ **لنهدينهم سبلنا** ﴾ أي لنهدينهم السبل الموصلة إلى ثوابنا عن ابن عباس وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم وقيل معنـاه والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينَّهم سبل الجنة وقيل معناه والذين يعملون بمـا يعلمون لنهدينهم إلى ما لا يعلمون ﴿ **وإن الله لمع المحسنين** ﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم والثواب والمغفرة في عقباهم وبالله التوفيق .

# (٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتُّونَ

هي مكية قال الحسن إلا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية

[ **عدد آيها** ] تسع وخمسون مكية والمدني الأخير والباقون ستون آية .

[ **إختلافها** ] أربع آيات آلم كوفي غلبت الروم غير الكوفي والمدني الأخير في بضع سنين غير الكوفي والمدني الأول يقسم المجرمون المدني الأول .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يوم وليلته .

[ **تفسيرها** ] أجمل في آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصَّل في هذه السورة فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ
وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

[ **اللغة** ] قال الزجاج الغلب والغلبة مصدر غلبت مثل الجلب والجلبة والغلبة الإستيلاء على القرن بالقهر والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة وهو من بضعته أي قطعته تبضيعاً ومنه البضاعة القطعة من المال تدور في التجارة قال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الأعداد والفرح والسرور نظيران وتقيضهما الغم وليس شيء من ذلك بجنس والصحيح أنها من جنس الإعتقاد .

[ **الإعراب** ] من بعد غلبهم تقديره من بعد أن غلبوا فالمصدر مضاف إلى المفعول . وعد الله مصدر مؤكّد لأن قوله سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك وعداً .

[ **المعنى** ] ﴿ **آلم** ﴾ كرَّ تفسيره ﴿ **غلبت الروم** ﴾ قال المفسرون غلبت فارس الروم وظهروا عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرح بذلك كفار قريش من حيث إن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه وقوله ﴿ **في أدنى الأرض** ﴾ أي في أدنى الأرض من أرض العرب عن الزجاج وقيل في أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس عن مجاهد وقيل يريد أذرعات وكسكر عن عكرمة ﴿ **وهم** ﴾ يعني الروم ﴿ **من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ أي من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس ﴿ **في بضع سنين** ﴾ وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل لأن فيه أنباء ما سيكون وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾ أي من قبل أن غلبت الروم ومن بعد أن غلبت فإن شاء جعل الغلبة لأحد الفريقين على الآخر وإن شاء جعل الغلبة للفريق الآخر عليهم وإن شاء أهلكهما جميعاً ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** ﴾ أي ويوم يغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بدفع الروم فارساً عن بيت المقدس لا بغلبة الروم على بيت المقدس فإنهم كفار ويفرحون أيضاً لوجوه أُخر وهو اغتمام المشركين بذلك ولتصديق خبر الله عز وجل وخبر رسوله ولأنه مقدمة لنصرهم على المشركين ﴿ **ينصر من يشاء** ﴾ من عباده ﴿ **وهو العزيز** ﴾ في الإنتقام من أعدائه ﴿ **الرحيم** ﴾ بمن أناب إليه من خلقه ﴿ **وعد الله** ﴾ أي وعد الله ذلك ﴿ **لا يخلف الله وعده** ﴾ بظهور الروم على فارس ﴿ **ولكن أكثر الناس** ﴾ يعني كفار مكة ﴿ **لا يعلمون** ﴾ صحة ما أخبرناه لجهلهم بالله تعالى

**﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾** أي يعلمون منافع الدنيا ومضارها ومتى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يجمعون وكيف يبنون وهم جهال بالآخرة فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم عن ابن عباس وقال الحسن بلغ والله من علم أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي وسئل أبو عبد الله (ع) عن قوله **﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾** فقال منه الزجر[١] والنجوم .

**[ القصة ]** عن الزهري قال كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون أن الروم أهل كتاب وقد غلبهم الفرس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل إليكم على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم وأنزل الله تعالى **﴿ الٓم غلبت الروم ﴾** إلى قوله **﴿ في بضع سنين ﴾** قال فأخبرني عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا بكر ناحَبَ[٢] بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شيء إن لم تغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم فعلت فكلّ ما دون العشرة بضع فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب وروى أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن ابن عباس في قوله **﴿الٓم غلبت الروم ﴾** قال قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقي نبي الله مشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المسلمون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم قال عطية وسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال إلتقينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومشركوا العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله إيانا على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله **﴿ يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾** وقال سفيان الثوري سمعت أنهم ظهروا يوم بدر وقال مقاتل فلما كان يوم بدر غلب المسملون كفار مكة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الروم غلبت فارساً ففرح المؤمنون بذلك وروي أنهم استردوا بيت المقدس وأن ملك الروم مشى إليك شكراً وبسطت له الرياحين فمشي عليها وقال الشعبي لم تمض تلك المدة

---

(١) الزجر : التيمن والتشاؤم بالطير والتفاؤل بطيرانها وهو نوع من الكهانة والعيافة ، قيل : وإنما سمى الكاهن زاجراً لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاؤم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة .

(٢) ناحبه على كذا : راهنه .

التي عقدها أبو بكر مع أبي بن خلف حتى غلبت الروم فارساً وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية[1] فأخذ أبو بكر الخطر من ورثته وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتصدق به وروي أن أبا بكر لما أراد الهجرة تعلق به أبي وأخذ أبنه عبد الله بن أبي بكر كفيلاً فلما أراد أن يخرج أبيّ إلى حرب أحد تعلق به عبد الله بن أبي بكر وأخذ منه ابنه كفيلاً وجرح أبي في أحد وعاد إلى مكة فمات من تلك الجراحة جرحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفارس نطحة أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها أبداً والروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد والمعنى أن فارس تنطح نطحة أو نطحتين فيبطل ملكها ويزول أمرها .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير البرجمي والشموني عن أبي بكر عاقبة بالنصب والباقون بالرفع .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال وكان

(١) الرومية : بلد .

حقاً علينا نصر المؤمنين فأما أسمها على هذه القراءة فيجوز أن يكون أحـد الشيئين السؤى عاقبة الذين أساءوا ويكون إن كذبوا مفعولاً له أي لأن كذبوا ولا يجوز أن يكون كذبوا متعلقاً بقوله ﴿ أساءوا ﴾ على هذا لأنك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان أو يكون إن كذبوا إسم كان والتقدير ثم كان التكـذيب عاقبـة الذين أسـاءوا ويكون السؤى على هـذا مصدراً لأسـاؤوا لأن فعلى من أبنية المصـادر كالـرجعى والشورى والبشـرى ويدل على أن السؤى والسوء بمنزلة المصدر ما أنشده أبو عمرو :

أنّـى جَــزَوْا عَــامِــراً سُــوءاً بِفِـعْلِهِـمُ ... أمْ كَيْفَ يَجْـزُونَني السُّؤىٰ مِنَ الْحَسَنِ

ومن رفع عاقبة جاز أن يكون الخبر أحد الشيئين السؤى وإن كذبوا كما جاز في النصب أن يكون كل واحد منهما الإسم ومعنى الذين أساءوا الذين أشركوا والتقديـر ثم كان عـاقبة المسيء التكذيب بآيات الله أي لم يظفر في كفره وشركه بشيء إلا بالتكذيب وإذا جعلت أن كذبوا نفس الخبر جعلت السؤى في موضع نصب بأنه مصدر وقد يجوز أن يكون السؤى صفة لموصوف محذوف كأنه قال الخلة السؤى أو الخلال السؤى .

[ المعنى ] ثم حثَّ سبحـانه على التفكّـر والتدبّـر فيما يـدل على تـوحيـده من خلق السماوات والارض ثم في أحوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال ﴿ أولم يتفكـروا في أنفسهم ﴾ اي فى حال الخلوة لأن في تلك الحالة يتمكن الإنسان من نفسه ويحضره ذهنه وقيل معناه او لم يتفكروا في خلق الله أنفسهم والمعنى أو لم يتفكروا فيعلموا وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه ﴿ ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ قال الزجاج معناه إلا للحق أي لإقامة الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب ﴿ وأجل مسمى ﴾ أي ولوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت وقيل معناه خلقها في أوقات قدرهـا اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثاً عن الجبائي ﴿ سؤال ﴾ قالوا كيف يعلم المتفكر في نفسه إن الله سبحانه لم يخلق شيئاً إلا بالحق وكيف يعلم الآخرة ﴿ جـواب ﴾ قلنا إذا علم بالنظر في نفسه أنه محدث مخلوق وإن له محدثاً قديماً قادراً عالماً حيّاً وأنه لا يفعل القبيح وأنه حكيم علم أنه لم يخلقه عبثاً وإنما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك لا يتم إلا بالتكليف فلا بدّ إذاً من الجزاء فإذا لم يوجد في الدنيـا فلا بـدّ من دار أخرى يجازى فيها ويعلم إذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا بدّ أن يكون الغرض أن ينتفع الحي به ﴿ وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾ أي بلقاء جزاء ربهم وبالبعث وبيوم القيـامة لجـاحدون غيـر معترفين ثم نبّههم سبحانه دفعة أخرى فقال ﴿ أولم يسيـروا في الأرض فينظروا كيف كـان

**عاقبة الـذين من قبلهم** ﴾ من الأمم ﴿ **كانـوا أشد منهم قـوة** ﴾ **فهلكوا وبـادوا فيعتبروا بهم** لعلمهم أنهم أهلكوا بتكذيبهم ﴿ **وأثاروا الأرض** ﴾ أي وقلبوها وحرثوها بعمارتها عن مجاهد ﴿ **وعمروها أكثر مما عمروها** ﴾ أي أكثر مما عمرها هؤلاء الكفار لأنهم كانـوا أكثر أمـوالاً وأطول أعماراً وأكثر أعداداً فحفروا الأنهار وغرسوا الأشجار وبنوا الدور وشيَّدوا القصـور ثم تركوهـا وصاروا إلى القبـور وإلى الهلاك والثبـور ﴿ **وجاءتهم رسلهم بـالبينات** ﴾ أي أتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله وفي الكلام حذف تقديره فجحدوا الرسل وكذبوا بتلك الرسل فأهلكهم الله بالعذاب ﴿ **فما كـان الله ليظلمهم** ﴾ بـأن يهلكهم من غير إستحقـاق ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ بأن جحدوا رسل الله وأشركوا معه في العبادة سواه حتى إستحقوا العذاب عاجلاً وآجلاً ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أسـاؤوا** ﴾ إلى نفوسهم بـالكفر بـالله وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه ﴿ **السوأى** ﴾ أي الخلة التي تسوء صاحبهـا إذا أدركها وهي عـذاب النار عن ابن عباس وقتادة ﴿ **إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون** ﴾ أي لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها .

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ
ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ
كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي
ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ
تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا
وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ

ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

[ القراءة ] قرأ يرجعون بالياء أبو عمر وغير عباس وأوقية وسهل وحماد ويحيي مختلف عنهما والباقون بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وكذلك تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها وفتح الراء وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده .

[ الحجة ] قال أبو علي حجة الياء إن المتقدم ذكره غيبة يبدؤا الخلق ثم يعيده والخلق هم المخلوقون في المعنى وجاء قوله ﴿ ثم يعيده ﴾ على لفظ الخلق وقوله ﴿ وإليه يرجعون ﴾ على المعنى ولم يرجع على لفظ الواحد ووجه التاء أنه صار الكلام من الغيبة إلى الخطاب وحجة من قرأ يَخرجون من الأجداث وقوله ﴿ إلى ربهم ينسلون ﴾ وحجة تُخرجون من بعثنا من مرقدنا وقوله ﴿ وكذلك نخرج الموتى وإليه تقلبون ﴾ وأما قوله ﴿ حين تمسون ﴾ فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفاً على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ أي لا تجزى فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف فيه معتبطاً لحرف الجر والضمير لدلالة الفعل عليهما وقال أبو الحسن حذف في فبقى تجزيه لأنه أوصل الفعل إليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئاً على شيء .

[ اللغة ] الإبلاس اليأس من الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج :

يا صاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً قالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وَأبْلَسا[1]

والحبرة المسرة ومنه الحبر العالم والحبر الجمال وفي الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره أي جماله وسحناؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة هاهنا لأنه ليس عند العرب شيء أحسن منها قال الأعشى :

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْراءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ[2]

(١) المكرس : الذي صار فيه الكرس ـ بالكسر ـ ، وهو الأبوال والأبعار . وأبلس : سكت غماً .

(٢) الأبيات من قصيدة معروفة له واعتبرها بعض من المعلقات وأولها

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً ايها الرجل =

يُضاحِكُ الشَّمْسَ مِنْها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُوَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ(١)
يَوماً بِأَطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائحَةٍ وَلا بِأَحْسَنَتَ مِنْها إِذْ دَنَا الأُصُلُ(٢)

[ الإعراب ] ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يوم ظرف ليتفرقون ويومئذ بدل عنه وموضع الكاف من كذلك نصب بقوله يخرجون .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه قدرته على الإعادة فقال ﴿ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ﴾ أي يخلقهم إبتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياءً كما كانوا ﴿ ثم إليه يرجعون ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ أي يوم تقوم القيامة ييأس الكافرون من رحمة الله تعالى ونعمه التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وتنقطع حججهم بظهور جلائل آيات الآخرة التي يقع عندها علم الضرورة ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ﴾ أي لم يكن لهم من أوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم أو تدفع عنهم كما زعموا أنا نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ يعني أن المشركين يتبرؤن من الأوثان وينكرون كونها آلهة ويقرّون بأن الله لا شريك له عن الجبائي وأبي مسلم ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أي تظهر القيامة ﴿ يومئذ يتفرقون ﴾ فيصير المؤمنون أصحاب اليمين والمشركون أصحاب الشمال فيتفرقون تفرقاً لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقنَّ يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل السافلين وهو قوله ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾ أي في الجنة ينعمون ويسرون سروراً يبين لهم عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل حبرة تتبعها عبرة والروضة البستان المتناهي منظراً وطيباً وقال ابن عباس يحبرون أي يكرمون وقيل يلذذون بالسماع عن يحيي بن أبي كثير والأوزاعي أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي قال

---

= « ما روضة » « ما » نافية و « روضة » اسمها و « بأطيب » في البيت الثالث خبرها والحزن : ما غلظ من الأرض واختص رياض الحزن لأنها أحسن من رياض الخفوض ، والمعشبة : ذات العشب . والمسبل الهطل : المطر المتواتر .

(١) « يضاحك الشمس » أي يدور معها حيثما دارت ، والمراد من الكواكب هنا الزهر وقيل : الكواكب معظم النبات . والشرق : الريان الممتلىء ماءاً . والمؤزر : الذي صار النبت كالازار له . والعميم : النبت الكثيف الحسن . واكتهل النبت : طال وانتهى منتهاه .

(٢) الأصل ـ بضمتين ـ جمع الأصيل ، والأصيل من العصر : العشاء ، وإنما خص هذا الوقت لأن النبات يكون فيه أحسن ما يكون لتباعد الشمس والفيء عنه . و « نشر رائحة » منصوب على التمييز وقيل على البيان وإن كان مضافاً لأن المضاف إلى النكرة نكرة .

أخبرنا جدي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد قال أخبرنا أبو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن القرباني قال حدثنا سليمان بن عبدالرحمان الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه وعن أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي القوم إعرابي فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في الجنة نهراً حافتاه الأبكار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وعن إبراهيم إن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً [ هذا الحديث ليس في بعض النسخ وفي أكثرها موجود ][1] وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها سمواً وأوسطها محلة ومنها تنفجر أنهار الجنة فقام إليه رجل وقال يا رسول الله إني رجل حبّب إليّ الصوت فهل لي في الجنة صوت حسن فقال أي والذي نفسي بيده إن الله تعالى يوحي إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتاً لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب ثم أخبر عن حال الكافرين فقال ﴿ **وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** ﴾ أي بدلائلنا وبالبعث يوم القيامة ﴿ **فأُولئك في العذاب محضرون** ﴾ أي فيه محصلون ولفظة الإحضار لا تستعمل إلا فيما يكرهه الإنسان يقال أحضر فلان مجلس القضاء إذا جيء به لما لا يؤثره ومنه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما تدرك به الجنة فقال ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون** ﴾ وهذا خبر والمراد به الأمر أي فسبّحوه ونزّهوه عما لا يليق به أو ينافي تعظيمه من صفات النقص بأن تصفوه بما يليق به من الصفات والأسماء . والإمساء الدخول في المساء وهو مجيء الليل والإصباح نقيضه وهو الدخول في الصباح وهو مجيء

---

(١) ما بين المعقفتين إنما هو في نسخة صيدا دون ساير النسخ .

ضياء النهار وله الثناء والمدح في السماوات والأرض أي هو المستحق لمدح أهلها لإنعامه عليهم وعشياً أي وفي العشي وحين تدخلون في الظهيرة وهي نصف النهار وإنما خصَّ تعالى هذه الأوقات بالذكر بالحمد وإن كان حمده واجباً في جميع الأوقات لأنها أوقات تذكر بإحسان الله وذلك إن إنقضاء إحسان أول إلى إحسان ثان يقتضي الحمد عند تمام الإحسان الأول والأخذ في الآخر كما أخبر سبحانه عن حمد أهل الجنة بقوله ﴿ وآخر دعواهم إن الحمد لله رب العالمين ﴾ لأن ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا إلى الجنة وقيل إن الآية تدل على الصلوات الخمس في اليوم والليلة لأن قوله ﴿ حين تمسون ﴾ يقتضي المغرب والعشاء الآخرة وحين تصبحون يقتضي صلاة الصبح وعشياً يقتضي صلاة العصر وحين تظهرون يقتضي صلاة الظهر عن ابن عباس ومجاهد وهو الأحسن لأنه خصَّ هذه الأوقات بالذكر وقيل إنما خصَّ صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في أحوال توجب الحمد لله عليها وفي الليل على أحوال توجب تنزيه الله تعالى من الإسواء فيها فلذلك صار الحمد في النهار أخصّ فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل أخصّ فسميت به صلاة الليل ﴿ يخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ﴾ أي يخرج الإنسان من النطفة ويخرج النطفة من الإنسان عن ابن عباس وابن مسعود وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن عن مجاهد وقد ذكرنا فيما تقدم ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها ﴾ بالنبات بعد جدوبها ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ أي كما أحيا الأرض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث وتخرجون من قبوركم أحياء ﴿ ومن آياته ﴾ أي ومن دلالاته على وحدانيته وكمال قدرته ﴿ إن خلقكم ﴾ أي خلق آدم الذي هو أبوكم وأصلكم ﴿ من تراب ﴾ ثم خلقكم منه وذلك قوله ﴿ ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ أي ثم إذا أنتم ذرية بشر من لحم ودم تنبسطون في الأرض وتنصرفون على ظهرها وتتفرقون في أطرافها فهلّا دلَّكم ذلك على أنه لا يقدر على ذلك غيره تعالى وأنه لا يستحق العبادة سواه .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص للعالمين بكسر اللام الأخيرة والباقون بفتحها .

[ **الحجة** ] قال أبو علي خصّ العالِمين في رواية حفص وإن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم لأن العالم لما تدبَّر فاستدل بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنه ليس بآية لغير العالم لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها ومن قال للعالمين فلأن ذلك في الحقيقة دلالة وموضع إعتبار وإن ترك تاركون لغفلتهم أو لجهلهم التدبر بها والإستدلال بها .

[ **الإعراب** ] في قوله ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾ أقوال ( أحدها ) إن التقدير ومن آياته أن يريكم فلما حذف أن ارتفع الفعل كقول طرفة :

أَلا أَيُّ هٰذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغى        وَأَنْ أَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي(١)

وفي المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ( وثانيها ) أن التقدير ومن آياته آية يريكم البرق بها ثم حذف لدلالة من عليها ومثله من الشعر :

وَمَا الدَّهْرُ إلاّ تَارَتَان فَمِنْهُمَا        أَمُوتُ وَأُخرىٰ أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ(٢)

أي فمنها تارة أموتها أي أموت فيها ( وثالثها ) أن يكون التقدير ويريكم البرق خوفاً وطمعاً ومن آياته فيكون عطفاً لجملة على جملة وقوله ﴿ خوفاً وطمعاً ﴾ منصوبان على تقدير

(١) البيت في جامع الشواهد .

(٢) قائله ابن مقبل . والكدح : السعي والحرص في العمل في أمر الدنيا أو الآخرة .

اللام والتقدير لتخافوا خوفاً ولتطمعوا طمعاً ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض الجار يتعلق بمحذوف في موضع الحال من الكاف والميم أي إذا دعاكم خارجين من الأرض وإن شئت كان وصفاً للنكرة أي دعوة ثابتة من هذه الجهة ولا يجوز أن يتعلق بيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما قدَّمه من تنبيه العبيد على دلائل التوحيد فقال ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم** ﴾ أي جعل لكم من شكل أنفسكم ومن جنسكم ﴿ **أزواجاً** ﴾ وإنما منَّ سبحانه علينا بذلك لأن الشكل إلى الشكل أميل عن أبي مسلم وقيل معناه أن حواء خلقت من ضلع آدم ( ع ) عن قتادة وقيل إن المراد بقوله من أنفسكم أن النساء خلقن من نطف الرجال ﴿ **لتسكنوا إليها** ﴾ أي لتطمئنوا إليها وتألّفوا بها ويستأنس بعضكم ببعض ﴿ **وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ يريد بين المرأة وزوجها جعل سبحانه بينهما المودَّة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحبّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما قال السدي المودّة المحبة والرحمة الشفقة ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي في خلق الأزواج مشاكلة للرجال ﴿ **لآيات** ﴾ أي لدلالات واضحات ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ في ذلك ويعتبرون به ثم نبَّه سبحانه على آية أخرى فقال ﴿ **ومن آياته** ﴾ الدالة على توحيده ﴿ **خلق السماوات والأرض** ﴾ وما فيهما من عجائب خلقه وبدائع صنعه مثل ما في السماوات من النجوم والشمس والقمر وجريها في مجاريها على غاية الإتساق والنظام وما في الأرض من أنواع الجماد والنبات والحيوان المخلوقة على وجه الأحكام ﴿ **واختلاف ألسنتكم** ﴾ فالألسنة جمع لسان واختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة في الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها وأصواتها حتى أنه لا يشتبه صوتان من نفسين هما إخوان وقيل إن إختلاف الألسنة هو إختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما ولا شيء من الحيوانات تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان فإن كانت اللغات توقيفياً من قبل الله تعالى فهو الذي فعلها وابتدأها وإن كانت مواضعه من قبل العباد فهو الذي يسرها ﴿ **وألوانكم** ﴾ أي واختلاف ألوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها فلا يشبه أحد أحداً مع التشاكل في الخلقة وما ذلك إلا للتراكيب البديعة واللطائف العجيبة الدالة على كمال قدرته وحكمته حتى لا يشتبه إثنان من الناس ولا يلتبسان مع كثرتهم ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي أدلة واضحات ﴿ **للعالمين** ﴾ أي للمكلفين ﴿ **ومن آياته**﴾ الدالة على توحيده وإخلاص العبادة له ﴿ **منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله** ﴾ بالنهار وهذا تقديره أي يصرفكم في طلب المعيشة والمنام والنوم بمعنى واحد وقيل إن الليل والنهار معاً وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل لأن من الناس من

يتصرف في كسبه ليلاً وينام نهاراً فيكون معناه ومن دلائله النوم الذي جعله الله راحة لأبدانكم بالليل وقد تنامون بالنهار فإذا إنتبهتم إنتشرتم لابتغاء فضل الله ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** ﴾ ذلك فيقبلونه ويتفكرون فيه لأن من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكأنه لم يسمعه ﴿ **ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً** ﴾ معناه ومن دلالاته أن يريكم النار تنقدح من السحاب يخافه المسافر ويطمع فيه المقيم عن قتادة وقيل خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث عن الضحاك وقيل خوفاً من أن يخلف ولا يمطر وطمعاً في المطر عن أبي مسلم ﴿ **وينزل من السماء ماء** ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ **فيحيي به** ﴾ أي بذلك الماء ﴿ **الأرض بعد موتها** ﴾ أي بعد انقطاع الماء عنها وجدوبها ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ أي للعقلاء المكلفين ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى ﴿ **إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ وقيل بأمره أي بفعله وإمساكه إلا أن أفعال الله عز اسمه تضاف إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ في الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان أوامر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان ومعنى القيام الثبات والدوام ويقال السوق قائمة ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض** ﴾ أي من القبر عن ابن عباس يأمر الله عزَّ اسمه اسرافيل (ع) فينفخ في الصور بعد ما يصور الصور في القبور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم ﴿ **إذا أنتم تخرجون** ﴾ من الأرض أحياء وقيل أنه سبحانه جعل النفخة دعاء لأن إسرافيل يقول أجيبوا داعي الله فيدعو بأمر الله سبحانه وقيل إن معناه أخرجكم من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً فيها فعبَّر عن ذلك بالدعاء إذ هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة كن فيكون في سرعة تأتي ذلك وامتناع التعذر وإنما ذكر سبحانه هذه المقدورات على اختلافها ليدلَّ عباده على أنه القادر الذي لا يعجزه شيء العالم الذي لا يعزب عنه شيء وتدلُّ هذه الآيات على فساد قول من قال إن المعارف ضرورية لأن ما يعرف ضرورة لا يمكن الإستدلال عليه .

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ

أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ
وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[ الإعراب ] هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء لكم الجار والمجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ من شركاء ومن مزيدة ومن في قوله ﴿ **مما ملكت أيمانكم** ﴾ تتعلق بما يتعلق به اللام ويجوز أن يتعلق بمحذوف ويكون في موضع نصب على الحال والعامل في الحال ما يتعلق به اللام . فأنتم فيه سواء جملة في موضع نصب لأنه جواب قوله ﴿ **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء** ﴾ وتقديره فتستووا وقوله ﴿ **تخافونهم** ﴾ أي تخافون أن يساووكم كخيفتكم مساواة بعضكم بعضاً . حنيفاً نصب على الحال . فطرة الله منصوب بمعنى إتبع فطرة الله لأن معنى فأقم وجهك للدين القيم إتبع الدين القيم فيكون بدلاً من وجهك في المعنى .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه بعد أن ذكر الدلالات الدالة على توحيده ﴿ **وله من في السماوات والأرض** ﴾ من العقلاء بملكهم ويملك التصرف فيهم وإنما خصَّ العقلاء لأن ما عداهم في حكم التبع لهم ثم أخبر سبحانه عن جميعهم فقال ﴿ **كل له قانتون** ﴾ أي كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة عن ابن عباس وهذا مفسّر في سورة البقرة ﴿ **وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده** ﴾ أي يخلقهم إنشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الإفناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلاً على ما خفي من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب ثم أكدَّ ذلك بقوله ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾ هو يعود إلى مصدر يعيده فالمعنى والإعادة أهون وقيل فيه أقوال ( أحدها ) أن معناه وهو هيِّم عليه كقوله ﴿ **الله أكبر** ﴾ أي كبير لا يدانيه أحد في كبريائه وكقول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ عَلَىٰ أَيِّنَا تَغْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

فمعنى لأوجل أي وجل وقال الفرزدق :

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أي عزيزة طويلة وقد قيل فيه أنه أراد أعز وأطول من دعائم بيوت العرب وقال آخر :

تَمَنَّى رِجَالٌ أنْ أمُوتَ وَإنْ أمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أي بواحد هذا قول أهل اللغة ( والثاني ) أنه إنما قال أهون لما تقرّر في العقول إن إعادة الشيء أهون من ابتدائه ومعنى أهون أيسر وأسهل وهم كانوا مقرّين بالابتداء فكأنه قال لهم كيف تقرّون بما هو أصعب عندكم وتنكرون ما هو أهون عندكم ( الثالث ) إن الهاء في عليه يعود إلى الخلق وهو المخلوق أي والإعادة على المخلوق أهون من النشأة الأولى لأنه إنما يقال له في الإعادة كن فيكون وفي النشأة الأولى كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسيت العظام لحماً ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق أصعب والإنشاء يكون أهون عليه وهذا قول النحويين ومثله يروى عن ابن عباس قال وهو أهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون وأما ما يروى عن مجاهد أنه قال الإنشاء أهون عليه من الإبتداء فقوله مرغوب عنه لأنه تعالى لا يكون عليه شيء أهون من شيء ﴿ **وله المثل الأعلى** ﴾ أي وله الصفات العليا ﴿ **في السماوات والأرض** ﴾ وهي أنه لا إلّه إلا هو وحده لا شريك له لأنها دائمة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأول عن قتادة وقيل هي أنه ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل هي جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التي لا يشاركه فيها سواه والأسماء الحسنى التي تفيد التعظيم كالقاهر والإله ﴿ **وهو العزيز** ﴾ في ملكه ﴿ **الحكيم** ﴾ في خلقه ثم احتجَّ سبحانه على عبدة الأوثان فقال ﴿ **ضرب لكم** ﴾ أيها المشركون ﴿ **مثلاً من أنفسكم** ﴾ أي بيَّن لكم شبهاً لحالكم ذلك المثل من أنفسكم ثم بيَّنه فقال ﴿ **هل لكم مما ملكت أيمانكم** ﴾ أي من عبيدكم وإمائكم ﴿ **من شركاء فيما رزقناكم** ﴾ من المال والأملاك والنعم أي هل يشاركونكم في أموالكم وهو قوله ﴿ **فأنتم فيه سواء** ﴾ أي فأنتم وشركاؤكم من عبيدكم وإمائكم فيما رزقناكم شرع سواء ﴿ **تخافونهم** ﴾ أن يشاركوكم فيما ترثونه من آبائكم ﴿ **كخيفتكم أنفسكم** ﴾ أي كما يخاف الرجل الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما أن ينفرد دونه فيه بأمر وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يجب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه يعني أن هذه الصفة لا تكون بين المالكين والمملوكين

كما تكون بين الأحرار ومعنى أنفسكم هاهنا أمثالكم من الأحرار كقوله ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ وكقوله ﴿ **ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ أي بأمثالهم من المؤمنين والمؤمنات والمعنى أنكم إذا لم ترضوا في عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم في أموالكم وأملاككم فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء في العبادة قال سعيد بن جبير لأنه كانت تلبية قريش لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك فأنزل الله تعالى الآية ردّاً عليهم وإنكاراً لقولهم ﴿ **كذلك** ﴾ أي كما ميّزنا لكم هذه الأدلة ﴿ **نفصل الآيات** ﴾ أي الأدلة ﴿ **لقوم يعقلون** ﴾ فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبيناً لهم أنهم إنما إتبعوا أهواءهم فيما أشركوا به ﴿ **بل إتبع الذين ظلموا** ﴾ أي أشركوا بالله ﴿ **أهوائهم** ﴾ في الشرك ﴿ **بغير علم** ﴾ يعلمونه جاءهم من الله ﴿ **فمن يهدي من أضل الله** ﴾ أي فمن يهدي إلى الثواب والجنة من أضلّه الله عن ذلك عن الجبائي وقيل معناه من أضلّ عن الله الذي هو خالقه ورازقه والمنعم عليه مع ما نصبه له من الأدلة فمن يهديه بعد ذلك عن أبي مسلم قال وهو من قولهم أضلّ فلان بعيره بمعنى ضلّ بعيره عنه قال الشاعر :

هَبُوني أمْرَءاً مِنْكُمْ أضَلَّ بَعِيرَهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمَامَ كَثِيرُ

وإنما المعنى ضلّ بعيره عنه ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ ينصرونهم ويدفعون عنهم عذاب الله تعالى إذا حلّ بهم ثم خاطب سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المكلفين وقال ﴿ **فأقم وجهك للدين** ﴾ أي أقم قصدك للدين والمعنى كن معتقداً للدين وقيل معناه أثبت ودم على الإستقامة وقيل معناه أخلص دينك عن سعيد بن جبير وقيل معناه سدّد عملك فإن الوجه ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه مما يتوجه الإنسان إليه لتشديده وإقامته ﴿ **حنيفاً** ﴾ أي مائلاً إليه ثابتاً عليه مستقيماً فيه لا يرجع عنه إلى غيره ﴿ **فطرت الله التي فطر الناس عليها** ﴾ فطرة الله الملة وهي الدين والإسلام والتوحيد التي خلق الناس عليها ولها وبها أي لأجلها والتمسك بها فيكون كقوله ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ وهو كما يقول القائل لرسوله بعثتك على هذا ولهذا وبهذا والمعنى واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل معناه إتبع من الدين ما دلّك عليه فطرة الله وهو إبتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم وركبهم وصوّرهم على وجه يدل على أن لهم صانعاً قادراً عالماً حيّاً قديماً واحداً لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء عن أبي مسلم ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ أي لا تغيير لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه في التوحيد والعدل وإخلاص العبادة لله عن الضحاك ومجاهد

وقتادة وسعيد بن جبير وإبراهيم وابن زيد وقالوا أن لا هاهنا بمعنى النهي أي لا تبدّلوا دين الله التي أمرتم بالثبات عليها وقيل المراد به النهي عن الخصاء عن ابن عباس وعكرمة وقيل معناه لا تبديل لخلق الله فيما دل عليه بمعنى انه فطرة الله على وجه يدل على صانع حكيم فلا يمكن ان يجعله خلقاً بغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن أبي مسلم والمعنى انما دلت عليه الفطرة لا يمكن فيه التبديل ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي ذلك الدين المستقيم الذي يجب اتباعه ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه .

﴿ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف والباقون فرقوا وقد مضى بيانه في سورة الأنعام وفي الشواذ قراءة أبي العالية فيمتعوا فسوف يعلمون ومعناه تطول أعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهديداً على ذلك .

[ اللغة ] الإنابة الإنقطاع إلى الله بالطاعة فأصله على هذا القطع ومنه الناب لأنه قاطع وينيب في الأمر إذا نشب فيه كما ينشب الناب القاطع ويجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مرّة بعد مرّة فتكون الإنابة التوبة التي يجدّدها مرة بعد مرة والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة سمّوا بذلك لأن بعضهم يشيع بعضاً على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق وكذلك شيعة أمير المؤمنين ( ع ) هم الذين اجتمعوا معه على الحق .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ منيبين إليه ﴾ قال الزجاج زعم جميع النحويين أن معناه فأقيموا وجوهكم منيبين إليه لأن مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تدخل معه فيها الأمة

والدليل على ذلك قوله ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ فقوله ﴿ فأقم وجهك ﴾ معناه فأقيموا وجوهكم منيبين إليه أي راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى وإداء الفرض وهو قوله ﴿ واتقوه وأقيموا الصلوة ﴾ ثم أخبر سبحانه أنه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الذين فرَّقوا دينهم ﴾ أي لا تكونوا من أهل الشرك من جملة الذين فرَّقوا دينهم عن الفراء ويجوز أن يكون قوله من الذين فرقوا دينهم ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ إبتداء كلام ومعناه الذين أوقعوا في دينهم الإختلاف وصاروا ذوي أديان مختلفة فصار بعضهم يعبدوننا وبعضهم يعبد ناراً وبعضهم شمساً إلى غير ذلك وقد تقدَّم تفسيره في سورة الإنعام ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل وقيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون أنهم على حق ﴿ وإذا مس الناس ضرٌّ دعوا ربهم ﴾ أي إذا أصابهم مرض أو فقر أو شدّة دعوا الله تعالى ﴿ منيبين إليه ﴾ أي منقطعين إليه مخلصين في الدعاء له ﴿ ثم إذا أذاقهم منه رحمة ﴾ بأن يعافيهم من المرض أو يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشدة ﴿ إذا فريق منهم بربهم يشركون ﴾ أي يعودون إلى عبادة غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعم بالشكر ثم بيَّن سبحانه أنهم يفعلون ذلك ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ من النعم إذ لا غرض في الشرك إلا كفران نعم الله سبحانه وقيل إن هذه اللام للأمر على معنى التهديد مثل قوله ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ثم قال سبحانه يخاطبهم مهدّداً لهم ﴿ فتمتعوا ﴾ بهذه الدنيا وانتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة كفركم ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً ﴾ هذا استفهام مستأنف معناه بل أنزلنا عليهم برهاناً وحجة يتسلطون بذلك على ما ذهبوا إليه ﴿ فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ أي فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم ويحتجّ لهم به والمعنى أنهم لا يقدرون على تصحيح ذلك ولا يمكنهم إدّعاء برهان وحجة عليه .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا
وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ

وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟
عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ
وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وما آتيتم من ربا مقصورة الألف غير ممدودة وقرأ الباقون ما آتيتم بالمد وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل لِتُرْبوا بالتاء وضمها وسكون الواو والباقون ليربوا بالياء وفتحها ونصب الواو .

[ **الحجة** ] قال أبو علي معنى ما آتيتم من ربا ما أتيتم من هدية أهديتموها لتعوضوا ما هو أكثر منه وتكافئوا أزيد منه فلا يربو عند الله لأنكم إنما قصدتم إلى زيادة العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله ومثل هذا في المعنى قوله ﴿ ولا تمنن ﴾ تستكثر فمن مدَّ آتيتم فلأن المعنى أعطيتم ومن قصر فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مدَّ إلا أن أتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيداً فكأنه قال ما جئتم من ربا ومجيئهم لذلك إنما هو على وجه الإعطاء له كما تقول أتيت الخطأ وأتيت الصواب قال الشاعر :

أَتَيْتُ الَّـذِي يَـأْتِي السَّفِيـهُ لِغِـرَّتِي إلى أنْ عَلا وَخطُ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرَقِي(١)

فإتيانه الذي يأتيه السفيه إنما هو فعل منه له قال ولم يختلفوا في مدّ وما آتيتم من زكوة فهو كقوله ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ وإن كان لو قال أتيت الزكاة لجاز أن يعني به فعلتها ولكن الذي جاء منه في التنزيل وفي سائر الكلام الإيتاء ومن قرأ ليربو فإن فاعله الربا المذكور في قوله ﴿ وما آتيتم من ربا ﴾ وقدّر المضاف وحذفه كأنه في اجتلاب أموال الناس واجتذابه ونحو ذلك وكأنه سمي هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا ولو قصد به وجه الله لما كان

---

(١) الوخط : ظهور الشيب في الرأس ووخط فلان إذا شاب رأسه .

العوض فيه الاستزادة على ما أعطي فسمي باسم الزيادة والرباء هو الزيادة بذلك سمي المحرم المتوعد فاعله وبالزيادة ما يأخذ على ما أعطى والمدفوع ليس في الحقيقة ربا إنما المحرم الزيادة التي يأخذها زيداً على ما أعطى فسمي الجميع ربا فكذلك ما أعطاه الواهب والمهدي لاستجلاب الزيادة سمي ربا لمكان الزيادة المقصورة في المكافأة فوجه ليربوا في أموال الناس ليربوا ما آتيتم فلا يربو عند الله لأنه لم يقصد به وجه البر والقربة إنما قصد به إجتلاب الزيادة ولو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله ﴿ **وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ﴾ أي صاروا ذوي أضعاف من الثواب على ما أتوا من الزكاة يعطون بالحسنة عشراً فله عشر أمثالها وقول نافع لِتُرْبوا أي لتصيروا ذوي زيادة فيما أتيتم من أموال الناس أي تستدعونها وتجتلبونها وكأنه من أربى أي صار ذا زيادة مثل أقطف وأجرب .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر المشركين عقَّبه سبحانه بذكر أحوالهم في البطر عند النعمة واليأس عند الشدة فقال **وإذا أذقنا الناس رحمة** ﴾ أي إذا آتيناهم نعمة من عافية وصحة جسم أو سعة رزق أو أمن ودعة ﴿ **فرحوا بها** ﴾ أي سرّوا بتلك الرحمة ﴿ **وأن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم** ﴾ أي وإن أصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التي قدَّموها وسمي ذلك سيئة توسعاً لكونه جزاء على السيئة عن الجبائي وقيل وإن يصبهم قحط وإنقطاع مطر وشدة وسميت سيئة لأنها تسوء صاحبها ﴿ **إذا هم يقنطون** ﴾ أي ييأسون من رحمة الله وإنما قال بما قدمت أيديهم ولم يقل بما قدموا على التغليب للأظهر الأكثر فإن أكثر العمل لليدين والعمل للقلب وإن كان كثيراً فإنه أخفى ثم نبَّههم سبحانه على توحيده فقال ﴿ **أولم يروا أن الله يبسط الرزق** ﴾ أي يوسّعه ﴿ **لمن يشاء ويقدر** ﴾ أي ويضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد ﴿ **أن في ذلك** ﴾ أي في بسط الرزق لقوم وتضييقه لقوم آخرين ﴿ **لآيات** ﴾ أي دلالات ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ بالله ثم خاطب نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾ أي واعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الإخماس عن مجاهد والسدي وروى أبو سعيد الخدري وغيره إنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة ( ع ) فدكا وسلَّمه إليها وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) وأبي عبد الله ( ع ) وقيل أنه خطاب له صلى الله عليه وماله وسلم ولغيره والمراد بالقربى قرابة الرجل وهو أمر بصلة الرحم بالمال والنفس عن الحسن ﴿ **والمسكين وابن السبيل** ﴾ معناه وآت المسكين والمسافر المحتاج ما فرض الله لهم في مالك ﴿ **ذلك خير** ﴾ أي إعطاء الحقوق مستحقّيها خير ﴿ **للذين يريدون وجه الله** ﴾ بالإعطاء دون الرياء والسمعة ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ **أي الفائزون بثواب الله** ﴿ **وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا**

عند الله ﴾ قيل في الربا المذكور في الآية قولان ( أحدهما ) أنه ربا حلال وهو أن يعطي الرجل العطية أو يهدي الهدية ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر ولا وزر عن ابن عباس وطاوس وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) ( والقول الآخر ) أنه الربا المحرم عن الحسن والجبائي فعلى هذا يكون كقوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾ أي وما أعطيتموه أهله على وجه الزكاة ﴿ تريدون ﴾ بذلك ﴿ وجه الله ﴾ أي ثواب الله ورضاه ولا تطلبون بها المكافأة ﴿ فأولئك هم المضعفون ﴾ أي فأهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب وقيل المضعفون ذوو الإضعاف في الحسنات كما يقال رجل مقو أي ذو قوة وموسر أي ذو يسار وقيل هم المضعفون للمال في العاجل وللثواب في الآجل لأن الله سبحانه جعل الزكاة سبباً لزيادة المال ومنه الحديث ما نقص مال من صدقة وقال أمير المؤمنين ( ع ) فرض الله تعالى الصلاة تنزيهاً عن الكبر والزكاة تسبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق وصلة الأرحام منماة للعدد في كلام طويل وبدأ سبحانه في الآية بالخطاب ثم ثنى بالخبر وذلك معدود في الفصاحة ثم عاد إلى دليل التوحيد فقال ﴿ الله الذي خلقكم ﴾ أي أوجدكم وأنشأ خلقكم ﴿ ثم رزقكم ﴾ أي أعطاكم أنواع النعم ﴿ ثم يميتكم ﴾ بعد ذلك ليصح إيصالكم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم ﴿ ثم يحييكم ﴾ ليجازيكم على أفعالكم ﴿ هل من شركائكم ﴾ التي عبدتموها من دونه ﴿ من يفعل من ذلكم من شيء ﴾ أو يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العبادة إليه ثم نزّه سبحانه نفسه عن أن يشرك معه في العبادة فقال ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ

يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

[ اللغة ] الصدع الشق وتصدَّع القوم تفرَّقوا قال :

وَكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً     مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قيلَ لَنْ يَتَصَدَّعا[١]

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه ما اصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر**﴾ ومعناه ظهر قحط المطر وقلة النبات في البر حيث لا يجري نهر وهو البوادي والبحر وهو كل قرية على شاطىء نهر عظيم ﴿**بما كسبت أيدي الناس**﴾ يعني كفار مكة عن ابن عباس وليس المراد بالبر والبحر في الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبي ﷺ فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبة الفساد في البر والبحر قال الفراء اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم وكان ذلك ليذوقوا الشدة في العاجل ويجوز ايضاً ان يسمى الهلاك والخراب فساداً كما يسمى العذاب سوءاً وان كان ذلك حكمة وعدلاً وقيل البر ظهر الأرض والبحر المعروف والفساد ارتكاب المعاصي عن أبي العالية وقيل فساد البرّ قتل قابيل بن آدم أخاه وفساد البحر أخذ السفينة غصباً عن مجاهد وقيل ولاة السوء في البر والبحر وقيل فساد البر ما يحصل فيه من المخاوف المانعة من سلوكه ويكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله والعقاب به وفساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه وكل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه وقيل البر البرية والبحر الريف[٢] والمواضع الخطبة واصل البَرّ من البِرّ لأنه يبر بصلاح المقام فيه وكذلك البُرّ لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتُم صلاح واصل البحر الشق لأنه شقّ في الأرض ثم كثر فسمي الماء الملح بحراً انشد ثعلب :

وَقَدْ عادَ عَذْبُ الْماءِ بَحْراً فَزادَني     عَلىٰ مَرَضي أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ[٣]

(١) البيت منسوب إلى متمم بن نويره؛ قال في مرثية اخيه مالك بن نويرة حين قتله خالد بن الوليد وبعده «فلما تفرقنا كاني ومالك * بطول اجتماع لم يبت ليلة معاً» وندماني جذيمة قيل : هما الفرقدان ـ قاله في منتهى الارب ـ وقيل : هما مالك وعقيل نديما جذيمة الابرش ملك الحيرة صاحب الزباء ، قتلهما في حال السكر فلما اصبح ندم وبنى على قبريهما طربان وكان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه ولكن الظاهر القول الاول وقد ورد نظيره في كلمات الشعراء قال عمرو بن معد يكرب : «وكل اخ مفارقه اخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان » اي حتى الفرقدان.

(٢) الريف ارض فيها زرع وخصب.

(٣) ابحر الماء صار ملحاً.

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي جزاء بما عمله الناس من الكفر والفسوق وقيل معناه بسوء افعالهم وشؤم معاصيهم ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ أي ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها من المعاصي ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي ليرجعوا عنها في المستقبل وقيل معناه ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي ﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا في الأرض﴾ ليس بأمر ولكنَّه مبالغة في العظة وروي عن ابن عباس انه قال من قرأ القرآن وعمله سار في الأرض لأن فيه اخبار الأمم ﴿فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ من الملوك العاتية والقرون العاصية كيف اهلكهم الله وكيف صارت قصورهم قبورهم ومحاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين ولا اثر ثم بيَّن انه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال ﴿كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم﴾ أي استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة أي لا تعدل عنه يميناً ولا شمالاً فإنك متى فعلت ذلك ادّاك إلى الجنة وهو مثل قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله تتقلب فيه القلوب والابصار ﴿من قبل ان يأتي يوم لا مردَّ له﴾ أي لذلك اليوم وهو يوم القيامة ﴿من الله﴾ أي لا يردّه أحد من الله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يتفرَّقون فيه فريق في الجنة وفريق في السعير عن قتادة وغيره ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي عقوبة كفره لا يعاقب أحد بذنبه ﴿ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون لأنفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيَّأته ووطأته والمعنى ان ثواب ذلك يصل اليهم ويتمهد احوالهم الحسنة عند الله وهذا توسع يقول من اصلح عمله فكأنه فرش لنفسه في القبر والقيامة وسوّى مضجعه ومثواه وروي منصور بن حازم عن أبي عبد الله (ع) قال ان العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنة فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي ليجزيهم على قدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله وقيل معناه بسبب فضله لأنه خلقه وهداه ومكّنه وأزاح علته حتى استحق الثواب وقيل من فضله يعني فضلاً من فضله وثواباً لا ينقطع ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ أي لا يريد كرامتهم ومنفعتهم وإنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ
ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ
فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم
مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن ذكوان كسفاً بسكون السين والباقون بتحريكها وقد مضى القول فيه وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير ابي بكر إلى آثار على الجمع والباقون أثر بغير الالف على الواحد وروي عن علي (ع) وابن عباس والضحاك من خلله وعن الجحدري وابن السميفع وابن حيوة كيف تحيي بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الافراد في أثر لانه مضاف إلى مفرد وجاز الجمع لأن رحمة الله يجوز أن يراد به الكثرة كما قال سبحانه وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وقوله كيف يحيي الأرض يجوز أن يكون فاعل يحيي الضمير العائد إلى أثر ويجوز ان يكون الضمير العائد إلى اسم الله وهو الأولى ومن ردَّ الضمير إلى أثر لزمه ان يقول تحيي بالتاء إذا قرأ آثار رحمة الله فأما من قرأ من خَلله فيجوز ان يكون خلل واحد خلال كجبل وجبال ويجوز أن يكون خلال واحداً عاقب خللاً كالصِّلاً والصِّلاء ومن قرأ إلى أثر رحمت الله كيف تحيي بالتاء فإنما جاز ذلك وإن كان لا يجوز أما ترى الى غلام هند كيف تضرب زيداً بالتاء لأن الرحمة قد يقوم مقامها أثرها ولا يقوم مقام هند غلامها تقول رأيت عليك النعمة ورأيت عليك أثر النعمة ولا يعبر عن هند بغلامها .

[ **الإعراب** ] وليذيقكم عطف على المعنى وتقديره يرسل الرياح ليبشركم بها وليذيقكم وقوله كيف يشاء تقديره أيّ مشيئة يشاء فيكون مفعولاً مطلقاً ليشاء وقوله كيف يحيي الأرض

يجوز ان يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيي وذو الحال الضمير المستكن في يحيي أو الأرض والتقدير أمبدعاً يحيي الأرض أم لا أو مبدعه يحيي الأرض أم لا ويجوز ان يكون على تقدير المصدر أي أيّ احياء يحيي الأرض قال ابن جني والجملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى لا على اللفظ وذلك ان اللفظ استفهام والحال ضرب من الخبر والاستفهام والخبر معنيان متدافعان وتلخيص كونها حالاً انه كأنه قال فانظر إلى آثار رحمة الله محيية للأرض كما ان قوله.

مَا زِلْتُ أَسْعى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ حَتَّى إِذا جَاءَ الظَّلامُ الْمُخْتَلِطْ
جَاؤُوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ(١)

فقوله هل رأيت الذئب قط جملة استفهامية في موضع وصف لضيح حملا على المعنى دون اللفظ فكأنه قال جاؤوا بضيح يشبه لونه لون الذئب والضيح اللبن المخلوط بالماء وهو يضرب إلى الخضرة والطلسة .

[ **المعنى** ] ولمّا وعد الله سبحانه واوعد فكأن قائلاً قال ما اصل ما يجزي الله عليه بالخير فقيل العبادة وأصل عبادة الله معرفته ومعرفته إنما تكون بأفعاله فقال ﴿**ومن آياته**﴾ أي ومن افعاله الدالة على معرفته ﴿**ان يرسل الرياح مبشرات**﴾ بالمطر فكأنها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة عليه وارسال الرياح تحريكها واجراؤها في الجهات المختلفة تارة شمالاً وتارة جنوباً صبا واخرى دبوراً على حسب ما يعلم الله في ذلك من المصلحة ﴿**وليذيقكم من رحمته**﴾ أي وليصيبكم من نعمته وهي الغيث وتقديره انه يرسل الرياح للبشارة والإذاقة من الرحمة ﴿**ولتجري الفلك**﴾ بها ﴿**بأمره ولتبتغوا من فضله**﴾ أي ولتطلبوا بركوب السفن الارياح وقيل لتطلبوا بالامطار فيما تزرعونه من فضل الله ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ نعمة الله تلطف سبحانه بلفظ لعلّكم في الدعاء إلى الشكر كما تلطف في الدعاء إلى البرّ بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ تسلية له في تكذيب قومه إياه فقال ﴿**ولقد أرسلنا من قبلك**﴾ يا محمد ﴿**رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات**﴾ أي بالمعجزات والآيات الباهرات وهاهنا حذف تقديره فكذّبوهم وجحدوا بآياتنا فاستحقّوا العذاب ﴿**فانتقمنا من**

---

(١) نسبه في جامع الشواهد الى أحمد الرجاز ونسبه وبعض الى رؤبة بن العجاج، وقال في شرح الاشموني ومن الناس من ينسب الرجز للعجاج بن رؤية الراجز المشهور ومنهم من يقول لرجل ولم يعينوه «انتهى» يصف الراجز قوماً نزل بهم فأطالوا انتظاره في اطعامه ثم جاؤه بضيح . وفي جامع الشواهد وغيره «جاؤا بمذق» ومعناهما واحد.

**الذين اجرموا﴾** أي عاقبناهم بتكذيبهم **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** معناه ودفعنا السوء والعذاب عن المؤمنين وكان واجباً علينا نصرهم بإعلاء الحجة ودفع الأعداء عنهم إلا انه دلَّ على المحذوف قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وجاءت الرواية عن ام الدرداء انها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من امرىء مسلم يردُّ عن عرض اخيه إلا كان حقاً على الله ان يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ثم قال سبحانه مفسراً لما أجمله في الآية المتقدمة **﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾** أي فتهيج سحاباً فتزعجه **﴿فيبسطه﴾** الله **﴿في السماء كيف يشاء﴾** ان شاء بسطه مسيرة يوم وان شاء بسطه مسيرة يومين ويجريها إلى أي جهة شاء وإلى أيّ بلد شاء **﴿ويجعله كسفاً﴾** أي قطعاً متفرقة عن قتادة وقيل متراكباً بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائي وقيل قطعاً تغطي ضوء الشمس عن أبي مسلم **﴿فترى الورق﴾** اي القطر **﴿يخرج من خلاله﴾** اي من خلال السحاب **﴿فإذا اصاب به﴾** أي بذلك الودق **﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾** أي يفرحون ويبشر بعضهم بعضاً به **﴿وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾** معناه وانهم كانوا من قبل انزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتادة وكررَّ كلمة من قبل للتوكيد عن الأخفش وقيل ان الأول من قبل الانزال للمطر والثاني من قبل الارسال للرياح **﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض﴾** حتى انبت شجراً ومرعى **﴿بعد موتها﴾** أي بعد ان كانت مواتاً يابسة جعل الله سبحانه اليبس والجدوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة الحياة توسعاً **﴿أن ذلك بمحي الموتى﴾** أي ان الله تعالى يفعل ما ترون وهو الله تعالى ليحيي الموتى في الآخرة بعد كونهم رفاتا **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** مرَّ معناه.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ
إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ
إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ

تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وعباس عن أبي عمرو ولا يسمع الصم والباقون ولا تسمع الصم وقد ذكرناه في سورة النمل وقرأ عاصم وحمزة من ضعف بالضم والباقون بفتح الضاد وقد ذكرناه في سورة الانفال .

[ **الإعراب** ] جواب الشرط من قوله الئن ارسلنا قد حذف لأنه قد اغنى عنه جواب القسم لأن المعنى في قوله لظلّوا ليظلن كما ان قوله ان ارسلنا بمعنى ان نرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين وكان احق بالحكم لتقدمه على الشرط ولو تقدَّم الشرط لكان الجواب له كقولك ان ارسلنا ريحاً فظلوا والله يكفرون واللام في قوله ولئن يسميها البصريون لام توطئة القسم ويسمّيها الكوفيون لام انذار القسم والمعنى ظل يفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل للشمس .

[ **المعنى** ] ثم عاب سبحانه كافر النعمة فقال ﴿**ولئن ارسلنا ريحاً**﴾ مؤذنة بالهلاك باردة ﴿**فرأوه مصفراً**﴾ أي فرأوا النبت والزرع الذي كان من اثر رحمة الله مصفراً من البرد بعد الخضرة والنضارة وقيل ان الهاء يعود إلى السحاب ومعناه فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك لم يكن فيه مطر ﴿**لظلوا من بعده يكفرون**﴾ أي لصاروا من بعد ان كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله وبنعمته ولم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فعل من جهل صانعه ومدبّره ولا يعلم انه حكيم لا يفعل إلا الاصلح فيشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿**فإنك لا تسمع**﴾ يا محمد ﴿**الموتى ولا تسمع الصم الدعاء**﴾ شبَّه الكفار في ترك تدبّرهم فيما يدعوهم إليه النبي ﷺ تارة بالأموات وتارة بالصم لأنَّهم لا ينتفعون بدعاء الداعي فكأنهم لا يسمعونه ﴿**إذا ولوا مدبرين**﴾ أي إذا اعرضوا عن أدلتنا ذاهبين إلى الضلال والفساد غير سالكين سبيل الرشاد ﴿**وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم**﴾ يعني انهم كالعمي لا يهتدون بالأدلة ولا تقدر على ردّهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار ﴿**إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا**﴾ ليس تسمع إلا من يصدّق بآياتنا وأدلّتنا فإنهم المنتفعون بدعائك واسماعك ﴿**فهم مسلمون**﴾ منقادون لأمر الله ثم عاد سبحانه إلى ذكر الادلة فقال ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف**﴾ أي من نطف وقيل معناه خلقكم أطفالاً لا تقدرون على البطش والمشي والتصرفات ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾ أي شباباً ﴿**ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة**﴾ يعني حال

الشيخوخة والكبر ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ من ضعف وقوة ﴿**وهو العليم**﴾ بما فيه مصالح خلقه ﴿**القدير**﴾ على فعله على فعله بحسب ما يعلمه من المصلحة ثم بيَّن سبحانه حال البعث فقال ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون**﴾ أي يحلف المشركون ﴿**ما لبثوا**﴾ في القبور ﴿**غير ساعة**﴾ واحدة عن الكلبي ومقاتل وقيل يحلفون ما مكثوا في الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعة عن الجبائي ومتى قيل كيف يحلفون كاذبين مع ان معارفهم في الآخرة ضرورية قيل فيه أقوال (احدها) انهم حلفوا على الظن ولم يعلموا لبثهم في القبور فكانهم قالوا ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا عن أبي علي وابي هاشم (وثانيها) انهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من امر الآخرة فكأنهم قالوا ما الدنيا في الآخرة إلا ساعة فاستقلوا حيث اشتغلوا في المدة اليسيرة بما اوردهم تلك الأهوال الكثيرة (وثالثها) ان ذلك يجوز ان يقع منهم قبل اكمال عقولهم عن ابي بكر بن الاخشيد ﴿**كذلك كانوا يؤفكون**﴾ في دار الدنيا أي يكذبون وقيل يصرفون صرفهم جهلهم عن الحق في الدارين ومن استدل في هذه الآية على نفي عذاب القبر فقد ابعد لِمَا بَيَّنا انه يجوز ان يريدوا انهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعة .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة لا ينفع بالياء والباقون بالتاء وكذلك في حم المؤمن ووافق نافع اهل الكوفة في حم المؤمن .

[ المعنى ] قال أبو علي التأنيث حسن لأن المعذرة اسم مؤنث واما التذكير فلأن التأنيث غير حقيقي وقد وقع الفصل بين الفعل وفاعله والفصل يحسن التذكير .

[ المعنى ] ثم اخبر سبحانه عن علماء المؤمنين في ذلك اليوم فقال **﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾** أي آتاهم الله العلم بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك اضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدلة على العلوم والتصديق بالله وبرسوله **﴿لقد لبثتم﴾** أي مكثتم **﴿في كتاب الله﴾** ومعناه ان لبثكم ثابت في كتاب الله ثبته الله فيه وهو قوله ومن ورائِهم برزخ إلى يوم يبعثون وهذا كما يقال ان كل ما يكون فهو في اللوح المحفوظ اي هو مثبت فيه والمراد لقد لبثتم في قبوركم **﴿إلى يوم البعث﴾** وقيل ان الذين أوتوا العلم والإيمان هم الملائكة وقيل هم الأنبياء وقيل هم المؤمنون وقيل ان هذا على التقديم وتقديره وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله وهم الذين يعلمون كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث وقال الزجاج في كتاب الله أي في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا **﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾** وقوعه في الدنيا فلم ينفعكم العلم به الآن ويدلُّ على هذا المعنى قوله **﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا﴾** انفسهم بالكفر **﴿معذرتهم﴾** فلا يمكنون من الاعتذار ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم **﴿ولا هم يستعتبون﴾** أي لا يطلب منهم الاعتاب والرجوع إلى الحق **﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾** أي بالَغْنا في البيان للمكلفين في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبيّنا من كل مثل يدعوهم إلى التوحيد والإيمان **﴿ولئن جئتهم بآية﴾** أي معجزة باهرة مما اقترحوها منك **﴿ليقولن الذين كفروا ان انتم إلا مبطلون﴾** أي أصحاب اباطيل وهذا اخبار عن عناد القوم وتكذيبهم بالآيات **﴿كذلك﴾** اي مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء **﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾** توحيد الله والطبع والختم مُفَسّران في سورة البقرة **﴿فاصبر﴾** يا محمد على اذى هؤلاء الكفار واصرارهم على كفرهم **﴿إن وعد الله حق﴾** بالعذاب والتنكيل لأعدائك والنصر والتأييد لك ولدينك **﴿ولا يستخفنك﴾** أي لا يستفزنك **﴿الذين يوقنون﴾** بالبعث والحساب فهم ضالون شاكّون وقيل لا يستخفنَّك اي لا يحملنَّك كفر هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم بآياتنا فتفعل خلاف ما امرت به من الصبر والرفق عن الجبائي .

# (٣١) سورة لقمان مكية وآياتها اربع وثلاثون

مكية عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة ولو ان ما في الأرض من شجرة اقلام إلى آخرهن.

[ عدد آيها ] ثلاث وثلاثون آية حجازي اربع في الباقين .

[ اختلافها ] آيتان آلم كوفي مخلصين له الدين بصري شامي .

[فضلها ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة واعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر وروى محمد بن جبير العزرمي عن أبيه عن أبي جعفر (ع ) قال من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته ثلاثين ملكاً يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح فإن قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يمسي .

[تفسيرها] لمّا ختم الله سورة الروم وبذكر الآيات الدالة على صحة نبوته افتتح هذه السورة بذكر آيات القرآن فقال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن
لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ
دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة ورحمة بالرفع والباقون ورحمة بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب ويتخذها بالنصب والباقون بالرفع وقد ذكرنا فيما تقدَّم ان ابن كثير وابا عمرو ويعقوب قرؤوا لَيَضلّ بفتح الياء وان نافعاً يقرأ الاذن بسكون الذال كل القرآن .

[ **الحجة** ] قال ابو علي والزجاج وجه النصب في ورحمة انه انتصب عن الاسم المبهم على الحال اي تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة والرفع على اضمار المبتدأ أي هو هدى ورحمة ومن رفع ويتخذها جعله عطفاً على الفعل الأول اي من يشتري ويتخذ ومن نصب عطفه على ليضل ويتخذها واما الضمير في يتخذها فيجوز ان يكون للحديث لأنه بمعنى الاحاديث ويجوز ان يكون للسبيل لأن السبيل يؤنث قال قل هذه سبيلي ويجوز ان يكون لآيات الله وقد جرى ذكرها في قوله تلك آيات الكتاب .

[ **الإعراب** ] مفعول يضل محذوف أي ليضل الناس بغير علم في موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس جاهلاً أو غير عالم . كأن لم يسمعها الكاف في موضع الحال وكذا قوله كأنَّ في اذنيه وقراً في موضع الحال أي ولي مستكبراً مشبهاً للصم . لهم جنات النعيم جنات ترتفع بالظرف على المذهبين لأنه جر خبراً على المبتدأ . وعد الله مصدر

فعل محذوف وحقاً صفة للمصدر وتقديره وعد الله وعداً حقاً. بغير عمد يجوز ان يكون غير صفة لمحذوف مجرور بالياء أي بعمد غير عمد ترونها وترونها جملة في موضع جرّ بكونها صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ويجوز ان يكون غير بمعنى لا وعلى الوجهين يتعلق الباء بخلق ويجوز ان يكون الباء للحال فيكون حالاً من السموات ويجوز وجه آخر وهو ان يتعلق الباء يترون والجملة في موضع نصب على الحال من خلق فالتقدير خلق السموات مرئية بغير عمد ان تميد في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره حذر ان تميد وكراهة ان تميد.

[ النزول ] نزل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث في النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب كان يتّجر فيخرج إلى فارس فيشتري اخبار الاعاجم ويحدث بها قريشاً ويقول لهم ان محمداً يحدّثكم بحديث عاد وثمود وانااحدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن عن الكلبي وقيل نزل في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً عن ابن عباس ويؤيّده ما رواه أبو امامة عن النبيﷺ قال لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ومن الناس من يشتري الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته[1] يتغنّى إلا ارتدفه شيطانان يضربان ارجلهما على صدره وظهره حتى يسكت.

[ المعنى ] ﴿آلم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ تقدَّم تفسيره ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ أي بيان ودلالة ونعمة للمطيعين وقيل للموحّدين وقيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة﴾ إلى قوله ﴿هم المفلحون﴾ قد مرَّ تفسيره في سورة البقرة ثم وصف الذين حالهم تخالف حال هؤلاء فقال ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ أي باطل الحديث واكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وهو قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وهو المروي عن أبيْ جعفر وابي عبد الله وابي الحسن الرضا عليهم السلام قالوا منه الغناء وروي ايضاً عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو الطعن بالحق والاستهزاء به وما كان أبو جهل واصحابه يجيئون به إذ قال يا معشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوّفكم به صاحبكم ثم ارسل زيد إليَّ وتمر فقال هذا هو الزقوم الذي يخوّفكم به قال ومنه الغناء فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شيء يلهي عن سبيل الله وعن

(١) عقيرة الرجل: صوته إذا غنى، وقيل: أصله ان رجلاً عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة بكى عليها بأعلى صوته، فقيل: رفع عقيرته ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة.

طاعته من الاباطيل والمزامير والملاهي والمعارف ويدخل فيه السخرية بالقرآن واللغو فيه كما قاله ابو مسلم والترهات والبسابس على ما قاله عطا وكل لهو ولعب على ما قاله قتادة والأحاديث الكاذبة والأساطير الملهية عن القرآن على ما قاله الكلبي وروى الواحدي بالإسناد عن نافع عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به وروي أيضاً بالإسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء اهل الجنة ﴿ليضلّ عن سبيل الله﴾ أي ليضلَّ غيره ومن أضلَّ غيره فقد ضلَّ هو ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير أمره إلى الضلال وهو ان لم يكن يشتري للضلال فإنه يصير امره إلى ذلك قال قتادة يحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وسبيل الله قراءة القرآن وذكر الله عن ابن عباس ﴿بغير علم﴾ معناه انه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم ﴿ويتخذها هزواً﴾ أي ويتخذ آيات القرآن هزواً أو ويتخذ سبيل الله هزواً يستهزأ بها ﴿اولئك لهم عذاب مهين﴾ أي مضلٌّ يهينهم الله به ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا﴾ أي وإذا قرىء عليه القرآن ﴿ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ أي اعرض عن سماعه اعراض من لا يسمعه رافعاً نفسه فوق مقدارها ﴿كأنَّ في اذنيه وقراً﴾ أي كأنَّ في مسامعه ثقلاً يمنعه عن سماع تلك الآيات ﴿فبشّره﴾ يا محمد ﴿بعذاب أليم﴾ أي مؤلم موجع في القيامة ثم اخبر سبحانه عن صفة المؤمنين المصدقين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾ يوم القيامة يتنعمون فيها ﴿خالدين فيها﴾ أي مؤبدّين في تلك الجنات ﴿وعد الله حقاً﴾ أي وعداً وعده الله حقاً لا خلف له ﴿وهو العزيز﴾ في انتقامه ﴿الحكيم﴾ في جميع افعاله وأحكامه لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ثم اخبر سبحانه عن افعاله الدالة على توحيده فقال ﴿خلق السموات﴾ أي انشأها واخترعها ﴿بغير عمد ترونها﴾ إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنها لو كانت تكون اجساماً عظاماً حتى يصحّ منها ان تقل السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر فكان يتسلسل فإذا لا عمد لها وقيل ان المراد بغير عمد مرئيّة والمعنى ان لها عمداً لا ترونها عن مجاهد والصحيح الأول ﴿والقى في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثابتة ﴿أن تميد بكم﴾ أي كراهة ان تميد بكم وقيل لئلا تميد بكم ﴿وبث فيها﴾ أي فرّق فيها اي في الأرض ﴿من كل دابة﴾ تدبُّ على وجهها من انواع الحيوانات ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿فأنبتنا فيها﴾ أي في الأرض بذلك الماء ﴿من كل زوج﴾ أي صنف ﴿كريم﴾ أي حسن النبتة طيب الثمرة .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ
فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ
وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ
بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ
إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير في رواية البزي يا بُنَيْ لا تشرك بالله ساكنة الياء يا بُنَيَّ انَّها مكسورة الياء يا بُنَيَّ اقم الصلاة مفتوحة الياء وقرأ في رواية القواس يا بني أنَّها مكسورة الياء وقرأ ابن فليج يا بّني لا تشرك يا بنِّي انها مكسورة الياء فيهما يا بنِّي اقم مفتوحة الياء وقرأ حفص يا بنِّي بفتح الياء في كل القرآن والباقون بكسر الياء في كل القرآن وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي ورواية بعضهم عن أبي عمرو وَهَناً على وهَن بفتح الهاء وقراءة الحسن بخلاف وابي رجا والجحدري وقتادة ويعقوب وفصله في عامين .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من اسكن الياء في الوصل فإنه يجوز ان يكون على قول من قال يا غُلامَ اقْبل فلما وقف قال يا غُلامْ فأسكن للوقف ويكون اجرى الوصل مجرى الوقف وهذا يجيء في الشعر كقول عمران بن حطان .

قَدْ كُنْتُ عِنْدَكَ حَوْلاً لا تُرَوِّعُني فيهِ رَوائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جانِ

فإنما خفّف جانِ للقافية ثم وصل بحرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف وهذا

لا نعلم جاء في الكلام ومن قال يا بُنَيِّ انَّها فهو على قولك يا غُلام أَقْبِل ومن قال يا بنيَّ بفتح الياء فانه على قولك يا بنيا فأبدل ياء الاضافة الفاً ومن الكسرة فتحة وعلى هذا حمل أبو عثمان قوله يا ابت وقد تقدَّم ذكر ذلك فيما سلف ومن قرأ وهَناً على وهَن بفتح الهاء فيمكن ان يكون حرك الهاء لأجل حرف الحلق كقراءة الحسن إلى يوم البَعَث فهذا يوم البَعَث بفتح العين وأما الفصل فإنه اعمّ من الفصال لأنه يستعمل في الرضاع وغيره والفصال هاهنا أوجه لأن الموضع مختص بالرضاع .

[ **الإعراب** ] فأروني ماذا خلق الذين من دونه تقديره أيّ شيء خلق فماذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بأنه مفعول خلق والجملة معلقة بأروني . أن اشكر الله قال الزجاج معناه لأن يشكر الله ويجوز ان تكون ان مفسرة فيكون المعنى ان اشكر لله وتأويل ان اشكر قلنا له اشكر الله على ما اتاك . حملته امه جملة في موضع النصب على الحال بإضمار ق والعامل في الحال معنى الفعل الذي يدلُّ عليه قوله ووصّينا الإنسان بوالديه فإن معناه امرن بالإحسان إلى والديه وحاله انه كان محمولاً لأمه ومثله قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً أي وحالكم انكم كنتم امواتاً. وهناً مصدر فعل محذوف في موضع الحال أي تهن وهناً وقوله على وهم في موضع الصفة لقوله وهنا ويجوز أن يتعلق أيضاً بالعامل في وهناً وقوله معروفاً صفة لمصدر محذوف وتقديره مصاحباً معروفاً بمعنى مصاحبة معروفة .

[ **المعنى** ] ثم اشار سبحانه إلى ما تقدَّم ذكره فقال ﴿**هذا خلق الله**﴾ اي هذا الذي ذكرت من السموات على عظمها وكبر حجمها والأرض وما فيها خلق الله الذي اوجده واحدثه ﴿**فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾ يعني آلهتهم التي يعبدونها ﴿**بل الظالمون في ضلال مبين**﴾ المعنى انهم لا يجدون لهذا الكلام جواباً ولا يمكنهم أن يشيروا إلى شيء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها لشيء ولكنهم في عدول ظاهر عن الحق ولمّا ذكر سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وقدرته وحكمته بيَّن عقيب ذلك قصة لقمان وانه اعطاه الحكمة فقال ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ اي اعطيناه العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور واختلف فيه فقيل انه كان حكيماً ولم يكن نبياً عن ابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر المفسرين وقيل انه كان نبياً عن عكرمة والسدي والشعبي وفسّروا الحكمة هنا بالنبوة وقيل انه كان عبداً اسود حبشياً غليظ المشافر[1] مشقوق الرجلين في زمن داود ( ع ) وقال له بعض

---

(١) جمع المشفر : الشفة .

الناس ألست كنت ترعى معنا فقال نعم قال فمن أين أُوتيت ما أَرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقيل انه كان ابن اخت ايوب عن وهب وقيل كان ابن خالة ايوب عن مقاتل وروي عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين احب الله فأحبه ومنَّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إنْ خَيَّرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعاً وطاعة فإني اعلم انه ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لِمَ يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان ان وقي فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً خير من ان يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوآزر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى ﴿ان اشكر لله﴾ معناه وقلنا له اشكر لله تعالى على ما اعطاك من الحكمة ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ اي من يشكر نعمة الله ونعمة من انعم عليه فإنه إنما يشكر لنفسه لأن ثواب شكره عائد عليه ويستحق مزيد النعمة والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له ﴿ومن كفر فإن الله غني﴾ عن شكر الشاكرين ﴿حميد﴾ اي محمود على افعاله وقيل مستحمد إلى خلقه بالانعام عليهم والشكر لا يكون إلا على نعمة سبقت فهو يقتضي منعماً فعلى هذا لا يصح ان يشكر الإنسان نفسه كما لا يصح ان يكون منعماً على نفسه ويجري مجرى الدَّين في انه حق لغيره عليه يلزمه اداؤه فكما لا يصح ان يقرض نفسه فكذلك لا يصح ان ينعم على نفسه ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ معناه واذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه ويجوز ايضاً ان يتعلق إذ بقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال لابنه ﴿وهو يعظه﴾ أي يؤدِّبه ويذكره اي في حال ما يعظه ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ أي لا تعدل بالله شيئاً في العبادة ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ أصل الظلم النقصان ومنع الواجب فمن اشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفة التوحيد فكان ظالماً وقيل انه ظلم نفسه ظلماً عظيماً بأن اوبقها ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ لمّا قدّم الأمر بشكر النعمة اتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين أي أمرناه بطاعة الوالدين وشكرهما والإحسان اليهما وإنما قرن شكرهما بشكرة لأنه الخالق المنشيء وهما السبب في الانشاء والتربية ثم بيَّن سبحانه زيادة نعمة الأم فقال ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ معناه ضعفاً على ضعف عن الضحاك والحسن يعني ضعف

نطفه الوالد على ضعف نطفة الأم عن أبي مسلم وقيل لأن الحمل يؤثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفاً على ضعف وقيل لأنها ضعيفة الخلقة فازدادت ضعفاً بالحمل وقيل وهناً على وهن أي شدة على شدة وجهداً على جهد عن ابن عباس وقتادة ﴿ **وفصاله في عامين**﴾ اي وفطامه من الرضاع في انقضاء عامين لأن العامين جملة مدة الرضاع فهو كقوله ﴿**يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة**﴾ والمراد أنها بعد ما تلده ترضعه عامين وتربيه فتلحقها المشقة بذلك ايضاً ﴿**ان اشكر لي ولوالديك**﴾ هذا تفسير قوله ووصينا الإنسان أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة ﴿**إليّ المصير**﴾ وفيه تهديد أي إليَّ مرجعكم فأجازيكم على حسب أعمالكم ﴿**وإن جاهداك**﴾ أيها الإنسان أي جاهداك والداك ﴿**على ان تشرك بي**﴾ معبوداً آخر فلا تطعهما وهو قوله ﴿**ما ليس لك به علم**﴾ لأن ما يكون حقاً تعلم صحته فما لا تعلم صحته فهو باطل فكأنه قال فإن دعواك إلى باطل ﴿**فلا تطعهما**﴾ في ذلك ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ أي واحسن اليهما وارفق بهما في الأمور الدنيوية وان وجبت مخالفتهما في أبواب الدين لمكان كفرهما ﴿**واتبع سبيل من أناب إليَّ**﴾ أي واسلك طريقة من رجع إلى طاعتي وأقبل إليَّ بقلبه وهو النبي ﷺ والمؤمنون قال ﴿**ثم إليّ**﴾ أي إلى حكمي ﴿**مرجعكم**﴾ ومنقلبكم ﴿**فأنبئكم**﴾ أي اخبركم ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ في دار الدنيا من الأعمال وأجازيكم عليها بحسبها .

## [ فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان ]

ذكر في التفسير ان مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان[١] فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شيء إذا طابا واخبث شيء إذا خبثا وقيل ان مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث منه الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا وقم هونا قال فكتب حكمته على باب الحُش[٢]. قال عبد الله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي قال مات ملكت أمري قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدّد

(١) وفي بعض التفسير كالبيضاوي والثعلبي «ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يأتي بأخبث مضغتين منها فاخرج القلب واللسان فسأله عن ذلك فقال . . . » واحتمل المجلسي (ره) في هامش البحار انه سقط من الكتاب أيضاً ,

(٢) الحش ـ مثلثة ـ: المخرج ، واصله من البستان سمى بذلك لانهم كانوا يقضون حاجتهم في البساتين .

فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري وقيل للقمان ايّ الناس شرٌّ قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً. وقيل له ما اقبح وجهك قال تعتب على النقش او على فاعل النقش. وقيل انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد ليَّن الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما اتَّمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيماً وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك وروى سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله ( ع ) قال في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك وخُفّك وعمامتك وخبائك وسقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله عز وجل يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في امرك وامورهم واكثر التبسم في وجوههم وكن كريماً على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانوا بك فأعنهم واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تتثبت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو اكبر منك سناً وإذا امروك بأمر وسألوك شيئاً فقل نعم ولا تقل لا فإنَّ لا عيٌّ ولؤم وإذا تحيَّرتم في الطريق فانزلوا وإذا شككتم في القصد فقفوا وتوآمروا وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذي حيرَّكم واحذروا الشخصين أيضاً إلا ان تروا ما لا أرى لأن العاقل إذا ابصر بعينه شيئاً عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرّها لشيء صلّها واسترح منها فإنها دين وصلّ في جماعة ولو على رأس زجّ[1] ولا تنامن على دابتك فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا ان تكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل فإذا قربت

(١) الزج : الحديد التي في اسفل الرمح .

من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك[١] وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل ان تجلس وإذا اردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصلّ ركعتين ثم ودّع الأرض التي حللت بها وسلم على اهلها فإن لكل بقعة اهلاً من الملائكة وإن استطعت ان لا تأكل طعاماً حتى تبتدىء فتصدق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكباً وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً عملاً وعليك بالدعاء ما دمت خالياً وإياك والسير في أول الليل إلى آخره وإياك ورفع الصوت في مسيرك . وقال ابو عبد الله (ع) والله ما أُوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً في امر الله متورعاً في الله ساكتاً سكيناً عميق النظر طويل التفكر حديد البصر لم ينم نهاراً قط ولم يتكىء في مجلس قوم قط ولم يتفل في مجلس قوم قط ولم يعبث بشيء قط ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قطّ ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ولم يغضب قط مخافة الاثم في دينه ولم يمازح إنساناً قط ولم يفرح بما اوتيه من الدنيا ولا حزن منها على شيء قط وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم اكثرهم افراطاً فما بكى على موت أحد منهم ولم يمرّ بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلا اصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ولم يسمع قولاً استحسنه من أحد قط إلا سأله عن تفسيره وعن من اخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان وكان يداوي نفسه بالتفكر والعبر وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح القضية .

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ

(١) روى الكليني (ره) الحديث في روضة الكافي بأدنى اختلاف فيه وليس فيما رواه «فانها نفسك» راجع الروضة : ٣٤٨ ـ ٣٤٩

عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ
ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً
وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قد ذكرنا في سورة الأنبياء ان قراءة اهل المدينة مثقال حبة بالرفع وقراءة الباقين بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وأبو عمرو ونافع ولا تصاعر بالالف والباقون ولا تصعِّر بالتشديد وقرأ اهل المدينة والبصرة غير يعقوب وحفص نعمه على الجمع والباقون نعمة على الواحد وفي الشواذ قراءة عبد الكريم الجزري فَتَكِنُ في صخرة بكسر الكاف وقراءة يحيي بن عمارة واصبغ بالصاد عليكم نعمة ظاهرة وباطنة .

[**الحجة**] قال ابوعلي من قرأ ان تك مثقالُ بالرفع فألحق علامة التأنيث بالفعل فلأن المثقال هو السيئة أو الحسنة فأنث على المعنى كما قال فله عشر أمثالها فأنّث ومن قرأ مثقالَ بالنصب فالمعنى ان تك المظلمة او السيئة أو الحسنة مثقال حبة اتى بها الله وأثاب عليها او عاقب وأما قوله ولا تصعِّر فإنه يشبه ان يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه في ضعف وضاعف وقال أبو الحسن لا تصاعر لغة أهل الحجاز ولا تصعر لغة بني تميم وقال أبو عبيدة اصله من الصعر الذي يأخذ الابل في رؤوسها وأعناقها قال أبو علي فكأنه يقول لا تعرض عنهم ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه والنعم جمع نعمة فالنعم للكثير ونعم الله تعالى كثيرة والمفرد أيضاً يدل على الكثرة قال **﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها﴾** وأما قوله ظاهرة وباطنة فلا ترجيح فيه لإحدى القراءتين على الأخرى ألا ترى أن النعم توصف بالظاهرة والباطنة كما توصف النعمة بذلك ومن قرأ فتكِنُ فهو من وَكَنَ الطائر

يَكِنُ إذا استقرَّ في وكنه ومنه قول امرء القيس .

وَقَـدْ أَغْتَـدِي وَالـطَّيْـرُ في وُكُنَـاتِهـا    بِـمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأَوَابِـدِ هَـيْكَـلِ[1]

وقوله اصبغ ابدل فيه السين صاداً لأجل الغين كما قالوا سالغ وصالغ.

[ **المعنى** ] ثم عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان ووصيته لأبنه وأنه قال له ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل** ﴾ معناه أن فعلة الإنسان من خير أو شر إن كانت مقدار حبة خردل في الوزن ويجوز أن يكون الهاء في أنها ضمير القصة كما في قوله ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار** ﴾ قال الزجاج يروى أن ابن لقمان سأل لقمان فقال أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي مغاص البحر يقال مقل يمقل إذا غاص أيعلمها الله فقال إنها أي أن الّتي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿ **فتكن في صخرة** ﴾ أي فتكن تلك الحية في جبل عن قتادة والمعنى في صخرة[2] عظيمة لأن الحبة فيها أخفى وأبعد من الإستخراج ﴿ **أو في السماوات أو في الأرض** ﴾ ذكر السماوات والأرض بعد ذكر الصخرة وإن كان لا بدّ وإن تكون الصخرة في الأرض على وجه التأكيد كما قال ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ثم قال ﴿ **خلق الإنسان** ﴾ وقال السدي هذه الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض هي تحت سبع أرضين وهذا قول مرغوب عنه ﴿ **يأت بها الله** ﴾ أي يحضرها الله يوم القيامة ويجازي عليها أي يأت بجزاء ما وازنها من خير أو شرّ وقيل معناه يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازي عليه فهو مثل قوله ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ وروى العياشي بالإسناد عن ابن مسكان عن أبي عبد الله ( ع ) قال إتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالباً لا يقولن أحدكم أذنب واستغفر الله إن الله تعالى يقول إن تك مثقال حبة من خردل الآية ﴿ **إن الله لطيف** ﴾ باستخراجها ﴿ **خبير** ﴾ بمستقرّها عن قتادة وقيل اللطيف العالم بالأمور الخفية والخبير العالم بالأشياء كلها ﴿ **يا بني** ﴾ إنما صغَّر إسمه في هذه المواضيع للرقة والشفقة لا للتحقير ﴿ **أقم الصلوة** ﴾ أي أدّ الصلاة المفروضة في ميقاتها بشروطها ﴿ **وأمر بالمعروف** ﴾ وهو الطاعة

---

(١) البيت من معلقته المعروفة قوله «وقد اغتدى» اي اخرج وقت الغداة والوكنات : جمع الوكنة : ـ بتثليث الواو ـ عش الطائر ـ والمنجرد: الفرس الماضي في السير أو القصير الشعر والاوابد: الوحوش . والهيكل: الفرس العظيم الضخم وقوله «قيد الاوابد» يريد ان هذا الفرس لسرعة عدوه وشدة جريه يدرك الوحوش ويلحقها ولا يمكنها من الشراد والنفار فكانه يقيدها.

(٢) وفي المخطوطتين « في حجرة » بدل « في صخرة ».

**﴿ وأنه عن المنكر ﴾** وهو كل معصية وقبيح سواء كان من القبائح العقلية أو الشرعية فإن المعروف ما يدعو إليه العقل والشرع والمنكر ما يزجر عنه العقل والشرع **﴿ واصبر على ما أصابك ﴾** من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علي ( ع ) وقيل ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها عن الجبائي **﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾** أي من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلاً من القبيح والعزم الإرادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت وهو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله والتلون في الرأي يناقض العزم وقيل معناه أن ذلك من الأمور التي يجب الثبات والدوام عليها وقيل العزم القوة والحزم الحذر ومنه المثل الأخير في عزم بغير حزم وقيل الحزم التأهّب للأمر والعزم النفاد فيه ومنه قيل في المثل « رَوِّ بحزم(١) فإذا إستوضحت فاعزم » **﴿ ولا تصعّر خدَّك للناس ﴾** أي ولا تمل وجهك من الناس تكبّراً ولا تعرض عمن يكلّمك إستخفافاً به وهذا معنى قول ابن عباس وأبي عبد الله ( ع ) يقال أصاب البعير صعر أي داء يلوي منه عنقه فكأن المعنى لا تلزم خدّك للصعر لأنه لا داء للإنسان أدوى من الكبر قال :

وَكُنّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنا لَهُ مِنْ دَرْئِهِ فَتَقَوَّما(٢)

وقيل هو أن يكون بينك وبين إنسان شيء فإذا لقيته أعرضت عنه عن مجاهد وقيل هو أن يسلّم عليك فتلوي عنقك تكبّراً عن عكرمة **﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾** أي بطراً وخيلاء **﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾** أي كل متكبر فخور على الناس **﴿ واقصد في مشيك ﴾** أي إجعل في مشيك قصداً مستوياً على وجه السكون والوقار كقوله **﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾** قال قتادة معناه تواضع في مشيك وقال سعيد بن جبير ولا تختل في مشيك **﴿ واغضض من صوتك ﴾** أي انقص من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك عن عطا وقيل لا تجهر كل الجهر واخفض صوتك ولا ترفعه مطاولاً به **﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾** أي أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق عن قتادة يقال وجه منكر أي قبيح . أمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق وروي عن زيد بن علي أنه قال أراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال شبّههم بالحمير كما شبّههم بالإنعام في قوله **﴿ أُولئك كالإنعام ﴾** وروي عن أبي عبد الله ( ع ) قال هي العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع

---

(١) أمر من روى في الأمر : نظر فيه وتفكر .

(٢) قائله جرير والدرء : الميل والعوج يقول : إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله وفي اللسان « من ميله » مكان « من درئه » .

صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه ونبّههم على معرفتها فقال ﴿ **ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات** ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿ **وما في الأرض** ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك مما تنتفعون به وتتصرفون فيه بحسب ما تريدون ﴿ **وأسبغ عليكم** ﴾ أي أوسع عليكم وأتمّ عليكم نعمه ﴿ **ظاهرة وباطنة** ﴾ فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم وإحيائكم وأقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها وقيل الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب عن العباد علمه عن ابن عباس وفي رواية الضحاك عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال يا ابن عباس إما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك وما أفاض عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساوىء عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس إن الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد إنقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالث سترت مساوىء عمله ولم أفضحه بشيء منه ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة عن عطا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة نعم الجوارح والباطنة نعم القلب عن الربيع وقيل الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة عن مجاهد وقيل الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة عن الضحاك وقيل الظاهرة القرآن والباطنة تأويله ومعانيه وقال الباقر (ع) النعمة الظاهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا ولا تنافي بين هذه الأقوال وكلها نعم الله تعالى ويجوز حمل الآية على الجميع ﴿ **ومن الناس من يجادل** ﴾ أي يخاصم في الله ﴿ **بغير علم** ﴾ بما يقوله ﴿ **ولا هدى** ﴾ أي ولا دلالة وحجة ﴿ **ولا كتاب منير** ﴾ أي ولا كتاب من عند الله ظاهر واضح وقد مضى هذا مفسّراً في سورة الحج .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن

كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ
عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

[ **المعنى** ] لما أخبر سبحانه عمن جادل في الله بغير علم ولم يذكر النعمة زاد عقيبه في ذمّهم فقال ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله** ﴾ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وشرائع الإسلام ﴿ **قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا** ﴾ ذمَّهم على التقليد ثم قال منكراً عليهم ﴿ **أو لو كان الشيطان يدعوهم** ﴾ إلى تقليد آبائهم وإتباع ما يدعوهم ﴿ **إلى عذاب السعير** ﴾ إدخل على واو العطف همزة الاستفهام على وجه الإنكار وجواب لو محذوف تقديره أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوهم والمعنى أن الشيطان يدعوهم إلى تقليد آبائهم وترك إتباع ما جاءت به الرسل وذلك موجب لهم عذاب النار فهو في الحقيقة يدعوهم إلى النار ثم قال ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله** ﴾ أي ومن يخلص دينه لله ويقصد في أفعاله التقرب إليه ﴿ **وهو محسن** ﴾ فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع وقيل إن إسلام الوجه إلى الله تعالى هو الإنقياد لله تعالى في أوامره ونواهيه وذلك يتضمن العلم والعمل ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ أي فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى إنفصامها والوثقى تأنيث الأوثق ﴿ **وإلى الله عاقبة الأمور** ﴾ أي وعند الله ثواب ما صنع عن مجاهد والمعنى وإلى الله ترجع أواخر الأمور على وجه لا يكون لأحد التصرف فيها بالأمر والنهي ﴿ **ومن كفر** ﴾ من هؤلاء الناس ﴿ **فلا يحزنك** ﴾ يا محمد ﴿ **كفره** ﴾ أي لا يغمّك ذلك ﴿ **إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا** ﴾ أي نخبرهم بأعمالهم ونجازيهم بسوء أفعالهم ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾ أي بما تضمره الصدور لا يخفى عليه شيء منه ﴿ **نمتعهم قليلاً** ﴾ أي نعطيهم من متاع الدنيا ونعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة ﴿ **ثم نضطرهم** ﴾ في الآخرة ﴿ **إلى عذاب غليظ** ﴾ أي ثم نصيرهم مكرهين إلى عذاب يغلظ عليهم ويصعب ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن** ﴾ في جواب ذلك ﴿ **الله** ﴾ خلقهما ﴿ **قل** ﴾ يا محمد أو أيها السامع ﴿ **الحمد لله** ﴾ على هدايته لنا وتوفيقه إيانا لمعرفته وقيل معناه أشكر الله على دين يقرُّ لك خصمك بصحته لوضوح دلالته عن الجبائي ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ماعليهم من الحجة .

﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ
أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ
أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب والباقون بالرفع وقرأ جعفر بن محمد (ع) والبحر مداده وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده وهي قراءة طلحة بن مصرف وقراءة الحسن والأعرج والبحر يُمِدُّه بضم الياء .

[ **الحجة** ] قال أبو زيد أمددت القوم بمال ورجال إمداداً وقلَّ ماء ركيّتنا فمددتها رَكِيَّة أخرى تمدّها قال أبو عبيدة وهاهنا إختصاراً سبيله لو كتبت كلمات الله بهذه الأقلام والبحر ما نفدت قال أبو علي والمراد بذلك والله أعلم ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود قال قتادة يقول لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً إذاً لانكسرت الأقلام ونفد ماء البحر قبل أن تنفد عجائب الله وحكمته وخلقه وعلمه فأما انتصاب البحر من قوله والبحرَ يمدُّه فلأنه معطوف على إسم أنّ وهو ما في الأرض فما اسم أن وأقلام خبرها والتقدير لو أن شجر الأرض أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فإذا عطفت البحر على إسم أن فنصبته كان خبره يمدّه والراجع إلى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمدّ ومن رفع استأنف كأنه قال والبحر هذه حاله فيما قاله سيبويه وأقول إذا عطفت البحر على اسم أن فنصبته فالأولى أن يكون خبره محذوفاً ويكون التقدير ولو أن البحر مداداً ويمدّه سبعة أبحر يكون جملة منصوبة الموضع على الحال وحذف الخبر الذي هو مداداً لدلالة الكلام عليه وإذا نصبت البحر أو

رفعته فالمعنى لو كتب ما في مقدور الله لنفذ ذلك قبل نفاذ المقدور ونحو هذا من الجمل قد يحذف لدلالة الكلام عليه كقوله ﴿ **إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ** ﴾ والمعنى فذهب فألقى الكتاب فقرأته المرأة أو فقرىء عليها فقالت يا أيها الملأ ومن قرأ وبحر يمدُّه فتقديره وهناك بحر يمده من بعده سبعة أبحر قال ابن جني لا يجوز أن يكون وبحر معطوفاً على أقلام لأن البحر وما فيه من الماء ليس من حديث الشجر والأقلام وإنما هو من حديث المداد كما قرأ جعفر الصادق ( ع ) مداده فأما رفع البحر فإن شئت كان معطوفاً على موضع أن واسمها كما عطف عليه في قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله وقد مضى ذكر ذلك في موضعه ومن قرأ يُمدّه بضم الياء فإنه تشبيه بإمداد الجيش وليس يقوى أن يكون قراءة جعفر بن محمد ( ع ) والبحر مداده أي زائد فيه لأن ماء البحر لا يعتد في الشجر والأقلام لأنه ليس من جنسه والمداد هناك هو هذا الذي يكتب به .

[ **المعنى** ] ثم أكدَّ سبحانه ما تقدَّم من خلقه السماوات والأرض بقوله ﴿ **لله ما في السماوات والأرض** ﴾ أي له جميع ذلك خلقاً وملكاً يتصرف فيه كما يريده ليس لأحد الإعتراض عليه في ذلك ﴿ **إن الله هو الغني** ﴾ عن حمد الحامدين وعن كل شيء ﴿ **الحميد** ﴾ أي المستحق للحمد والتعظيم ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ أي لو كان شجر الأرض أقلاماً وكان البحر مداداً ويمده سبعة أبحر مثله أي تزيده بمائها فكتب بتلك الأقلام والبحور لتكسرت تلك الأقلام ونفذ ماء البحور وما نفذت كلمات الله وقد ذكرنا تفسير كلمات الله في سورة الكهف والأولى أن يكون عبارة عن مقدوراته ومعلوماته لأنها إذا كانت لا تتناهى فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عنها لا تتناهى ﴿ **إن الله عزيز** ﴾ في اقتداره على جميع ذلك ﴿ **حكيم** ﴾ يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم** ﴾ يا معشر الخلائق ﴿ **إلا كنفس واحدة** ﴾ أي كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في قدرته فإنه لا يشق عليه إبتداء جميع الخلق ولا إعادتهم بعد إفنائهم قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقة مضغة لحماً فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة فنزلت الآية ﴿ **إن الله سميع** ﴾ يسمع ما يقول القائلون في ذلك ﴿ **بصير** ﴾ بما يضمرونه ﴿ **ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ أي ينقص من الليل في النهار ومن النهار في الليل عن قتادة وقيل معناه إن كل واحد منهما يتعقَّب الآخر ﴿ **وسخَّر الشمس والقمر** ﴾ لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان ﴿ **كل يجري لأجل مسمى** ﴾ قدَّره الله تعالى ﴿ **وإن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ الذ

يجب توجيه العبادة إليه ﴿ وإنَّ ما يدعون من دونه الباطل وإن الله هو العليُّ الكبير ﴾ أي القادر القاهر والآيتان مفسَّرتان في سورة الحج .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة الأعرج بِنِعْمات الله ساكنة العين .

[ **الحجة** ] في جمع فِعْلة ثلاث لغات فِعْلات بسكون العين وفِعَلات بفتحها وفِعِلات بكسر الفاء والعين .

[ **اللغة** ] الظلل جمع ظلة وهو ما أظلَّك والختر أقبح الغدر والختار صاحب الختل والختر قال عمرو بن معدي كرب .

فَـإِنَّـكَ لَـوْ رَأَيْـتَ أَبـا عُـمَـيْـرٍ مَـلأْتَ يَـدَيْـكَ مِنْ غَـدْرٍ وَخَتْـرِ(١)

(١) ملأت يديك : كناية عن الكثرة ، قيل : لأنهم كانوا يعدون الأشياء بأصابعهم وإذا كان العدد كثيراً استوعب الأصابع .

ويقال جزيت عنك أجزي أي أغنيت عنك وفيه لغة أخرى أجزأت عنك أجزىء بالهمز .

[ **الإعراب** ] فلما نجاهم العامل في لمّا معنى مقتصد وتقديره إقتصدوا واخشوا يوماً إنتصب يوماً بأنه مفعول به . لا يجزى في موضع نصب بأنه صفة يوم والتقدير لا يجزي فيه والد عن ولده ولا يكون مولود هو جاز عن والده شيئاً إنتصب شيئاً بأنه مفعول جاز ومفعول يجزي محذوف ويجوز أن يكون سدّ مسدّ مفعوليهما جميعاً .

[ **المعنى** ] ثم أكّد سبحانه ما تقدَّم من الأدلة على وحدانيته ونعمه على بريته فقال ﴿ **ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله** ﴾ أي ألم تعلم أيها الإنسان أن السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم ﴿ **ليريكم من آياته** ﴾ أي بعض أدلته الدالة على وحدانيته ووجه الدلالة من ذلك أن الله تعالى يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها ولو إجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات المخالفة لجهة الرياح لما قدروا عليه وفي ذلك أعظم دلالة على أن المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء فذلك بعض الأدلة الدالة عليه فلذلك قال من آياته ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي في تسخير الفلك وإجرائها على البحر وإجراء الريح على وفقها ﴿ **لآيات** ﴾ أي دلالات ﴿ **لكل صار** ﴾ على مشاق التكليف ﴿ **شكور** ﴾ لنعم الله تعالى عليه وإنما قال ذلك ليدلَّ على أن الصبر على بلائه والشكر لنعمائه أفضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الإيمان والشكر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله وفي الحديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلى هذا فكأنه سبحانه قال إن ذلك لآيات لكل مؤمن ﴿ **وإذا غشيهم** ﴾ أي إذا غشي أصحاب السفن الراكبي البحر ﴿ **موج** ﴾ وهو هيجان البحر ﴿ **كالظلل** ﴾ في ارتفاعه وتغطيته ما تحته شبّه الموج بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض عن قتادة وقيل يريد كالجبال عن مقاتل ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ أي إن خافوا الغرق والهلاك فاخلصوا في الدعاء لله في هذه أجل ﴿ **فلما نجاهم** ﴾ أي خلّصهم ﴿ **إلى البر** ﴾ وسلّمهم من هول البحر ﴿ **فمنهم مقتصد** ﴾ أي عدل في الوفاء في البرّ بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له وقيل إن هذا كان سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل وهو إخلاصهم الدعاء في البحر روى السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا أربعة نفر قال إقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أخطل وقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فأما عكرمة فركب

البحر فأصاباتهم ريح عاصفة فقال أهل السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا فقال عكرمة لئن لم ينجي في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه إن آتي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم حتى أضع يدي في يده فلأجدنّه عفوّاً كريماً فجاءَ فأسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقة مستقيمة وصلاح من الأمر عن ابن زيد وقيل ثابت على إيمانه عن الحسن وقيل موف بعهده في البر عن ابن عباس وقيل مقتصد في قوله مضمر لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد في البر فقال ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار** ﴾ بعهده أي غادرا سوء الغدر وأقبحه ﴿ **كفور** ﴾ لله في نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ **يا أيها الناس إتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده** ﴾ يعني يوم القيامة لا يغني فيه أحد عن أحد لا والد عن ولده ﴿ **ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً** ﴾ كل أمرء تهمّه نفسه ﴿ **إن وعد الله** ﴾ بالبعث والجزاء والثواب والعقاب ﴿ **حق** ﴾ لا خلف فيه ﴿ **فلا تغرنكم الحيوة الدنيا** ﴾ أي لا يغرنكم الإمهال عن الإنتقام والآمال والأموال عن الإسلام ومعناه لا تغترّوا بطول السلامة وكثرة النعمة فإنهما عن قريب إلى زوال وانتقال ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ وهو الشيطان عن مجاهد وقتادة والضحاك وقيل هو تمنّيك المغفرة في عمل المعصية عن سعيد بن جبير وقيل كل شيء غرَّك حتى تعصي الله وتترك ما أمرك الله به فهو غرور شيطاناً كان أو غيره عن أبي عبيدة وفي الحديث الكَيِّس من دان نفسه وعمل لها بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وفي الشواذ قراءة سماك بن حرب الغُرور بضم الغين وعلى هذا فيكون المعنى ولا يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة أو غرور النفس بشهواتها الموبقة ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ أي استأثر سبحانه به ولم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعة سواه ﴿ **وينزل الغيث** ﴾ فيما يشاء من زمان أو مكان والصحيح أن معناه ويعلم نزول الغيث في مكانه وزمانه كما جاء في الحديث إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وقرأ هذه الآية ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ أي ويعلم ما في أرحام الحوامل أذكر أم أنثى أصحيح أم سقيم واحد أو أكثر ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً**﴾أي ماذا تعمل في المستقبل وقيل ما يعلم بقاءه غداً فكيف يعلم تصرفه ﴿**وما تدري نفس بأيّ أرض تموت**﴾ أي في أيّ أرض يكون موته وقيل أنه إذا رفع خطوة لم يدر أنه يموت قبل أن يضع الخطوة أم لا وإنما قال بأيّ أرض لأنه أراد بالأرض المكان ولو قال بأيّة أرض لجاز وروي أن ذلك قراءة أبي وقد روي عن أئمة الهدى ( ع ) أن هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى ﴿ **إن الله عليم** ﴾ بهذه الأشياء ﴿ **خبير** ﴾ بها .

# (٣٢) سورة السجدة مكية وآياتها ثلاثون

وسمّيت أيضاً سجدةُ لقمان لئلا تلتبس بحم السجدة وهي مكية ما خلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينة أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون إلى تمام الآيات .

[ **عدد آيها** ] تسع وعشرون آية بصري وثلاثون في الباقين .

[ **إختلافها** ] آيتان آلم كوفي جديد حجازي شامي .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ آلم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك فكأنما أحيا ليلة القدر وروى ليث بن أبي الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى اللهٰ عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلتا على كل سورة في القرآن ومن قرأهما كتب له ستون حسنة ومحي عنه ستون سيئة ورفع له ستّون درجة وروى الحسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة السجدة في كل ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ( ع ) .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه السورة التي قبلها بدلائل الربوبية وافتتح هذه السورة أيضاً بها فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن

نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

[ **الإعراب** ] تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذا تنزيل ويجوز أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ ولا ريب فيه خبره وعلى القول الأول يكون لا ريب فيه في موضع نصب على الحال أو في موضع رفع على أنه خبر بعد خبر وقوله ﴿ **من رب العالمين** ﴾ يحتمل الوجهين أيضاً أم يقولون افتراء أم هاهنا إستفهام مستأنف والتقدير بل أيقولون وقوله ﴿ **من ربك** ﴾ يجوز أن يتعلق بالحق على تقدير هو الذي حق من ربك ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال أي كائناً من ربك والعامل فيه الحق وذو الحال الضمير المستكن فيه . لتنذر اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله ﴿ **ما لكم من دونه من وليّ** ﴾ من الثانية زائدة والتقدير ما ولي ثبت لكم ومن دونه في موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام في لكم .

[ **المعنى** ] ﴿ **آلم** ﴾ مفسَّر في أول البقرة ﴿ **تنزيل الكتاب** ﴾ أي هذه الآيات تنزيل الكتاب الذي وعدتم به ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ أي لا شك فيه أنه وحي ﴿ **من رب العالمين** ﴾ والمعنى أنه لا ريب فيه للمهتدين وإن كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لا يعتدُّ بهم لأنه ليس بموضع الشك وقيل معناه أنه زال الشك في أنه كلام رب العزة لعجزهم عن الإتيان بمثله وقيل أن لفظه الخبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه والريب أقبح الشك ﴿ **أم يقولون** ﴾ أي بل يقولون ﴿ **أفتريه** ﴾ وليس الأمر على ما يقولون ﴿ **بل هو الحق** ﴾ نزل عليك ﴿ **من ربك** ﴾ والحق هو كل شيء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إلى إستحقاق المدح عليه وتعظيمه فالكتاب حقٌّ لأن من إعتقد أنه من عند الله كان معتقده على ما هو به والباطل نقيض الحق ﴿ **لينذر قوماً ما أتيهم من نذير من قبلك** ﴾ يعني قريشاً إذ لم يأتهم نبيٌّ قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وإن أتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العبسي وقيل يعني أهل الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا

كأنهم في غفلة عما لزمهم من حق نعم الله وما خلقهم له من العبادة عن ابن عباس ﴿ **لعلهم يهتدون** ﴾ أي ليهتدوا ثم ذكر سبحانه الدلالة على وحدانيته فقال ﴿ **الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام** ﴾ أي فيما قدَّره ستة أيام لأن قبل الشمس لم يكن ليل ولا نهار ﴿ **ثم إستوى على العرش** ﴾ بالقهر والإستعلاء وهو مفسَّر في سورة الأعراف ﴿ **ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** ﴾ أي ليس لكم من دون عذابه وليّ أي قريب ينفعكم ويردّ عذابه عنكم ولا شفيع يشفع لكم وقيل من وليّ أي من ناصر ينصركم من دون الله ﴿ **أفلا تتذكرون** ﴾ أي أفلا تتفكرون فيما قلناه وتعتبرون به فتعلموا صحة ما بيَّناه لكم ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ أي خلقهما وما بينهما في هذه المدة يدبِّر الأمور كلها ويقدّرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض وينزله مع الملك إلى الأرض ﴿ **ثم يعرج إليه** ﴾ الملك أي يصعد إلى المكان الذي أمره الله تعالى أن يصعد إليه ﴿ **في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ أي يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة مما يعدُّه البشر خمس مائة عام نزوله وخمس مائة عام صعوده وقوله يعرج إليه يعني إلى الموضع الذي أمره بالعروج إليه كقول إبراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين أي إلى أرض الشام التي أمرني ربي بالذهاب إليها وقوله ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله** ﴾ يعني إلى المدينة ولم يكن الله سبحانه بالشام ولا بالمدينة ومعناه أنه ينزل الملك بالتدبير أو الوحي ويصعد إلى السماء فيقطع في يوم واحد من أيام الدنيا مسافة ألف سنة مما تعدّونه أنتم لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة وهو إختيار الجبائي وقيل معناه أنه يدبر الأمر سبحانه ويقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضى الألف سنة قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبداً عن مجاهد وقيل معناه يدبر أمر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يرجع الأمر ويعود التدبير إليه بعد إنقضاء الدنيا وفنائها حتى يتقطع أمر الأمراء وحكم الحكام وينفرد الله بالتدبير في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فالمدة المذكورة مدة يوم القيامة إلى أن يستقر الخلق في الدارين عن ابن عباس أيضاً فأما قوله ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ فإنه أراد سبحانه على الكافر جعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين ألف سنة فإن المقامات في يوم القيامة مختلفة وقيل إن المراد بالأول إن مسافة الصعود والنزول إلى السماء الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسيرة ألف سنة لغير الملك من بني آدم وإلى السماء السابعة مقدار مسيرة خمسين ألف سنة وقيل إن الألف سنة للنزول والعروج والخمسين ألف سنة لمدة القيامة .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ
ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ
مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى
ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة ونافع وسهل خَلَقَه بفتح اللام والباقون خَلْقه بسكون اللام وفي الشواذ قراءة الزهري وبدأ خلق الإنسان بغير همز وقرأ علي وابن عباس وابان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف أإذا ضللنا بالضاد مكسورة اللام وقرأ الحسن صللنا بالصاد أيضاً مفتوحة اللام .

[ الحجة ] قال أبو علي خلقه منتصب على أنه مصدر دلَّ عليه ما تقدَّم من قوله ﴿ أحسن كل شيء ﴾ فأما الضمير الذي أضيف خلق إليه فلا يخلو من أن يكون ضمير إسم الله تعالى أو يكون كناية عن المفعول فالذي يدل عليه نظائره أن الضمير لإسم الله تعالى لأنه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر وما كان من هذا النحو أضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو صنع الله ووعد الله وكتاب الله عليكم فكما أضيف هذه المصادر إلى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافاً إلى ضمير الفاعل لأن قوله ﴿ أحسن كل شيء خلقه ﴾ يدل على خلق كل شيء . فإن قلت كيف يدل قوله أحسن كل شيء على خلق كل شيء وقد نجد أشياء حسنة مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شيء فاطلق اللفظ عاماً وروي أن عكرمة سئل عن قوله تعالى أحسن كل شيء خلقه فقال إن است القرد ليست بحسنة ولكنَّه أبرم خلقها أي أتقن وما قلناه من أن إنتصاب خلقه من المصدر الذي دلَّ عليه فعل متقدم مذهب سيبويه ويجوز أن يكون خلقه بدل من قوله كل شيء فيصير التقدير الذي أحسن خلق كل شيء ومن قال احسن كل شيء خَلَقَه كان خلقه وصفاً للنكرة المتقدمة وموضع الجملة يحتمل وجهين النصب على أن يكون صفة لكل والجر على أن يكون صفة لشيء وترك الهمزة في بدأ محمول على البدل لا على التخفيف القياسي ومثله بيت الكتاب .

رَاحَتْ بِمُسْلِمَةَ الْبِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعِي فَزَارَةُ لَا هَنَاكَ الْمَرْتَعُ[١]

وتقول على البدل أبديت إذا أخبرت عن نفسك وتقول على التخفيف بدأت بالألف بلا همزة وقد مرَّ القول في اختلافهم في قوله ﴿ **أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد** ﴾ وموضع إذا نصب بما دلَّ عليه قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نعاد والتقدير نعاد إذا ضللنا في الأرض قال أبو عبيدة معناه همدنا في الأرض وقال غيره صرنا تراباً فلم يتبين شيء من خلقنا وقوله ﴿ **صللنا** ﴾ بالصاد من قولهم صل اللحم إذا نتن يصل ويصُل والمعنى إذا دفنا في الأرض وصلت أجسامنا وقيل أن معناه من الصلة وهي الأرض اليابسة ومنه الصلصال .

[ **المعنى** ] ثم أكَّد سبحانه ما تقدَّم من دلائل وحدانيته وإعلام ربوبيته فقال ﴿ **ذلك عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو العالم بما يشاهد وما لا يشاهد وبما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ **العزيز** ﴾ المنيع في ملكه ﴿ **الرحيم** ﴾ بأهل طاعته ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه** ﴾ أي أحكم كل شيء خلقه وأتقنه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه علم كيف يخلق كل شيء قبل أن خلقه من غير أن يعلمه أحد عن مقاتل والسدي من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه وقيل الذي جعل كل شيء في خلقه حسناً حتى جعل الكلب في خلقه حسناً عن ابن عباس والمعنى أنه أحسن خلقه من جهة الحكمة فكل شيء خلقه وأوجده فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه وفي هذا دلالة على أن الكفر والقبائح لا يجوز أن يكون من خلقه ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾ أي إبتدأ خلق آدم الذي هو أول البشر من طين كان تراباً ثم صار طيناً ثم صلصالاً ثم حيواناً ﴿ **ثم جعل نسله** ﴾ أي نسل الإنسان الذي هو آدم يعني ولده ﴿ **من سلالة** ﴾ وهي الصفوة التي تنسل من غيرها ويسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه ﴿ **من ماء مهين** ﴾ أي ضعيف عن قتادة وقيل حقير مهان أشار إلى أنه من شيء حقير لا قيمة له وإنما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل ﴿ **ثم سوّيه** ﴾ أي جعله بشراً سويّاً وعدله ورتَّب جوارحه ﴿ **ونفخ فيه** ﴾ أي في ذلك المخلوق ﴿ **من روحه** ﴾ أضاف الروح إلى نفسه إضافة اختصاص وملك على وجه التشريف ثم قال سبحانه مخاطباً لذريته ﴿ **وجعل لكم** ﴾ أيها الخلق ﴿ **السمع والأبصار** ﴾ لتسمعوا المسموعات وتبصروا

---

(١) البيت منسوب إلى الفرزدق يهجو به عمر بن هبيرة الفزاري أي المنسوب إلى فزارة ويخاطبهم يقول راحت البغال بمسلمة ـ وهو مسلمة بن عبد الملك على ما قيل ـ فصفى لك العيش يا فزارة ثم يدعو عليهم ويقول : لا يكن المرعى لك هنيئاً .

المبصـرات ﴿ والأفئدة ﴾ أي وجعـل لكم القلوب لتعقلوا بها ﴿ قليـلاً ما تشكـرون ﴾ أي تشكرون نعم الله قليلاً من كثير وما مزيدة ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليـلاً شكركم لهذه النعم ﴿ وقالوا ﴾ يعني منكري البعث ﴿ أإذا ضللنا في الأرض ﴾ أي غبنا في الأرض وصرنا تراباً وكل شيء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضلّ قال الأخطل :

فَكُنْتَ الْقَـذا فِي مَـوْجِ أَكْـدَرَ مَزْبَـدِ ... قَـذَفَ الأَتِـيُّ بِـهِ فَـضَـلَّ ضَـلالا(١)

وقيل إن معنى ضللنا هلكنا عن قتادة ومجـاهد ﴿ أإنـا لفي خلق جديـد ﴾ أي نبعث ونحيي فهو إستفهام معناه الإنكار والمعنى كيف نخلق جديداً ونعـاد بعد أن هلكنـا وتفرَّقت أجسامنا ثم قال سبحانه ﴿ بل هم ﴾ أي هؤلاء الكفار ﴿ بلقاء ربهم ﴾ أي ما وعد ربهم به من الثواب والعقاب ﴿ كافرون ﴾ أي جاحدون فلهذا قالوا هذا القول .

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّـٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

(١) القذى : ما يحمله السيل من تبن ونحوه ومزبد اي ذو زبد والآتي : السيل . الجدول قذف رجلاً بقلة عنائه في الحرب وإنه كان في تلك الحرب بمنزلة القذى في الماء الكدر الذي يقذف به السيل أو بعض الجداول ، لا يرى له عين ولا أثر .

[ **اللغة** ] التوفي أخذ الشيء على تمام قال الراجز :

إنَّ بَنِي دَارِمٍ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ وَلَا تَوَفَّتْهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدْ

يقال استوفى الدين إذا قبضه على كماله والتوكيل تفويض الأمر إلى غيره للقيام به والنكس قلبك الشيء على رأسه ويقال في المرض النُكس بضم النون وأما النِكس بكسر النون فهو السهم ينكس فيجعل أعلاه أسفله .

[ **الإعراب** ] ولو ترى إذ المجرمون يجوز أن يكون مفعول ترى محذوفاً فيكون تقديره ولو ترى المجرمين إذ هم ناكسوا رؤوسهم ويجوز أن يكون المعنى لو رأيت ببصرك مثل قوله ﴿ **وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً** ﴾ فيكون ترى عاملاً في إذ وجواب لو محذوف تقديره لو رأيت المجرمين على تلك الحالة رأيت ما تعتبر به غاية الإعتبار فذوقوا أي فيقال لهم ذوقوا العذاب بنسيانكم وهذا في موضع جرّ على أنه صفة ليومكم .

[ **المعنى** ] ثم أمر سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد للمكلّفين ﴿ **يتوفيكم** ﴾ أي يقبض أرواحكم أجمعين وقيل يقبضكم واحداً واحداً حتى لا يبقى منكم أحداً ﴿ **ملك الموت الذي وكل بكم** ﴾ أي وكل بقبض أرواحكم عن ابن عباس قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء وخطوته ما بين المشرق والمغرب وقيل إن له أعواناً كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن قتادة والكلبي فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدل عليه قوله ﴿ **توفته رسلنا** ﴾ وقوله ﴿ **تتوفيهم الملائكة** ﴾ وأما إضافة التوفي إلى نفسه في قوله ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ فلأنها سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه ﴿ **ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ أي إلى جزاء ربكم من الثواب والعقاب تردون وجعل ذلك رجوعاً إليه تفخيماً للأمر وتعظيماً للحال وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمراض والأوجاع كلها بريد للموت ورسل للموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال يا أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر الذي ليس بعدي خبر وأنا الرسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت له رزقاً بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً ثم أخبر سبحانه عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال ﴿ **ولو ترى** ﴾ يا محمد أو أيها الإنسان ﴿ **إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم** ﴾ أي يوم القيامة حين يكون المجرمون متطأطئي رؤوسهم

ومطرقيها حياء وندماً وذلاً ﴿ عند ربهم ﴾ أي عندما يتولى الله سبحانه حساب خلقه يقولون ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أي أبصرنا الرشد وسمعنا الحق وقيل معناه أبصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك وقيل معناه إنا قد كنا بمنزلة العمي فأبصرنا وبمنزلة الصمّ فسمعنا ﴿ فارجعنا ﴾ أي فارددنا إلى دار التكليف ﴿ نعمل صالحاً ﴾ من الصالحات ﴿ إنا موقنون ﴾ اليوم لا نرتاب شيئاً من الحق والرسالة ثم قال سبحانه ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لأن المقصود به استحقاق الثواب والإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائي ويجوز أن يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ولكن حق القول مني أن أجازيهم بالعقاب ولا أردَّهم وقيل معناه ولو شئنا لهديناهم إلى الجنة ﴿ ولكن حق القول مني ﴾ أي الخبر والوعيد ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ أي من كلا الصنفين بكفرهم بالله سبحانه وجحدهم وحدانيته وكفرانهم نعمته والقول من الله سبحانه بمنزلة القسم فلذلك أتى بجواب القسم وهو قوله ﴿ لأملأن جهنم ﴾ ثم حكى سبحانه ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعة إلى دار التكليف إذا جعلوا في العذاب بقوله ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما أمركم الله به وعصيتموه والنسيان الترك ومنه قتل النابغة « سَفُودُ شَرْبٍ نَسوُهُ عِنْدَ مُفْتَأدِ»(١) أي تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لأنه لو كان المراد النسيان الذي هو ضدّ الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه ﴿ إنا نسيناكم ﴾ أي فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه أي تركناكم من نعيمه جزاء على ترككم طاعتنا ﴿ وذوقوا عذاب الخلد ﴾ الذي لا فناء له ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ من الكفر والمعاصي ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ أي يصدّق بالقرآن وسائر حججنا ﴿ الذين إذا ذكروا بها ﴾ تذكروا واتعظوا بمواعظها بأن ﴿ خروا سجداً ﴾ أي ساجدين شكراً لله سبحانه على أن هداهم بمعرفته وأنعم عليهم بفنون نعمته ﴿ وسبّحوا بحمد ربهم ﴾ أي نزّهوه عما لا يليق به من الصفات وعظّموه وحمدوه ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن عبادته ولا يستنكفون من طاعته ولا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له .

(١) هذا عجز بيت يصف فيه فرسه وقبله « كأنه خارجاً من جنب صفحته » وهو من قصيدة قالها في مدح نعمان بن المنذر ويعتذر إليه مما وشى له به المنخل اليشكري من شأن امرأته المتجردة ، واعتبر بعض العلماء هذه القصيدة من المعلقات . سفود : حديدة يشوى عليها اللحم . والشرب : القوم المجتمعون للشراب . والمفتأد : موضع الوقود وقد مر في المجلد الثالث أيضاً .

﴿ ۞ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ
ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة ويعقوب ما أُخْفي لهم ساكنة الياء والباقون بفتحها وروي في الشواذ عن النبي ﷺ وأبي هريرة وابي الدرداء وابن مسعود قرَّات أعين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الذي يقوّي بناء الفعل للمفعول به قوله ﴿ **فلهم جنات المأوى نزلاً** ﴾ فأبهم ذلك كما أبهم قوله ﴿ **أخفي لهم** ﴾ ولم يسند إلى فاعل بعينه ولو كان أخفي لكان أعطاهم جنات المأوى ويقوّي قراءة حمزة إن أخفى مثل آتينا كل نفس هديها وقوله ﴿ **حق القول مني** ﴾ وقوله ﴿ **مما رزقناهم ينفقون** ﴾ وأما ما في قوله ﴿ **ما أخفى** ﴾ فالأبين فيه أن يكون استفهاماً وهو عندي قياس قول الخليل فمن قال أُخْفِيَ كان ما عنده مرفوعاً بالإبتداء والذكر الذي في أخفى يعود إليه والجملة التي هي ما أخفيَ في موضع نصب ويعلم هو الذي يتعدّى إلى مفعولين كما أن قوله ﴿ **إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء** ﴾ كذلك ومن قال ما أُخْفِي لهم فإن ما في موضع نصب بأخفي والجملة في موضع نصب بيعلم كما كان في الأول كذلك ومثله قوله ﴿ **فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ وما أشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدي إلى مفعولين ومن بعده للإستفهام وأما قوله ﴿ **قرَّات أعين** ﴾ فإن القرّة مصدر وكان القياس أن لا يجمع

لأن المصدر إسم الجنس والأجناس أبعد شيء من الجمعية لكن جعلت القرة نوعاً هاهنا فجمع كما يقال نحن في أشغال ولنا علوم .

[ اللغة ] التجافي تعاطي الإرتفاع عن الشيء ومثله النمو يقال جفا عنه يجفو جفاء وتجافى عنه تجافياً إذا نبا عنه قال الشاعر :

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ وَابْنِ مِلاَطٍ مُتَجَافٍ أَرْفَقُ[1]

والمضجع موضع الإضطجاع وقال عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ ٱلمَضَاجِعُ

[ الإعراب ] خوفاً وطمعاً مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافة الشر قال الزجاج وحقيقته أنه في موضع المصدر لأن يدعون ربهم هنا يدل على أنهم يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تأويل يخافون خوفاً ويطمعون طمعاً وقوله ﴿ جزاء ﴾ منصوب أيضاً بأنه مفعول له لا يستوون جواب الاستفهام أي لا يكون كذلك والواو الثانية في يستوون فاعل من وجهٍ مفعول من وجهٍ لأن المعنى لا يساوي هؤلاء أُولئك ولا أُولئك هؤلاء ولو قال لا يستويان لكان جائزاً ولكنّه جاء على معنى لا يستوي المؤمنون والكافرون ويجوز أن يكون لا يستوون للإثنين لأن معنى الإثنين جماعة . نزلاً نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم . كلما ظرف زمان لأعيدوا .

[ المعنى ] ثم وصف سبحانه المؤمنين المذكورين في الآية المتقدمة فقال ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ أي ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاة الليل وهم المتهجّدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة عن الحسن ومجاهد وعطا وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع ) وروى الواحدي بالإسناد عن معاذ بن جبل قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحرّ فتفرق القوم فإذا رسول الله ﷺ اقربهم مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسّره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة

---

(١) الهباب : النشاط . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة والملاط : الجنب وابن الملاط : عضد البعير لأنه يلي الجنب .

وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان قال وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال قلت أجل يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع وبالإسناد عن بلال قال قال رسول الله ﷺ عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة الداء عن الجسد وقيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا ترجع إلى رحلنا حتى نصلي العشاء الآخرة مع النبي ﷺ وقيل هم الذين يصلّون ما بين المغرب والعشاء الآخرة وهي صلاة الأوابين عن قتادة وقيل هم الذين يصلّون العشاء والفجر في جماعة **﴿يدعون ربهم خوفاً﴾** من عذاب الله **﴿وطمعاً﴾** في رحمة الله **﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾** في طاعة الله وسبيل ثوابه ووجه المدح في هذه الآية ان هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالصلاة والدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم إلى الله تعالى فآمالهم مصروفة اليه واتكالهم في كل الأمور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال **﴿فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين﴾** أي لا يعلم أحد ما خبىء لهؤلاء الذين ذكروا مما تقرُّبه اعينهم قال ابن عباس عفا ما لا تفسير له فالأمر اعظم وأجلّ مما يعرف تفسيره وقد ورد في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال أن الله يقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ(١) مااطلعتكم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أُعين رواه البخاري ومسلم جميعاً وقد قيل في فائدة الاخفاء وجوه (أحدها) ان الشيء إذا عظم خطره وجلَّ قدره لا تستدرك صفاته على كنهه إلا بشرح طويل ومع ذلك فيكون ابهامه ابلغ (وثانيها) ان قرة العيون غير متناهية فلا يمكن إحاطة العلم بتفاصيلها (وثالثها) انه جعل ذلك في مقابلة صلاة الليل وهي خفيّة فكذلك ما بازائها من جزائها ويؤيّد ذلك ما روي عن أبي عبد الله (ع) انه قال ما من حسنة إلا ولها ثواب مبيّن في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال فلا تعلم نفس الآية وقرة العين رؤية ما تقرُّبه العين يقال أقرَّ الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقرُّ عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه وقيل هي من القرّ أي البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار ومنه قولهم سخنت عينه وهو قرير العين وسخين العين وإنما أضاف القرة إلى الأعين

---

(١) قال ابن الاثير : في حديث نعيم الجنة : ولا خطر على قلب بشر بله مت اطلعتم عليه : بله من اسماء الافعال بمعنى دع واترك والمعنى : دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها. ونقل في اللسان عن ابن الاحمر انه قال : بله بمعنى كيف ومعناه : كيف ما اطلعتم عليه.

على الإطلاق لا إلى اعينهم تنبيهاً على انها غاية في الحسن والكمال فتقرُّبها كل عين ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾ من الطاعات في دار الدنيا ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً**﴾ هذا استفهام يراد به التقرير اي أيكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفاً بالله وبأنبيائه عاملاً بما أوجبه الله عليه وندبه اليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال ﴿**لا يستوون**﴾ لأن منزلة المؤمن درجات الجنان ومنزلة الفاسق دركات النيران ثم فسَّر ذلك بقوله ﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**﴾ يأوون اليها ﴿**نزلاً بما كانوا يعملون**﴾ أي عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن وقيل ينزلهم الله فيها نزلاً كما ينزل الضيف يعني انهم في حكم الأضياف ﴿**وأما الذين فسقوا فمأويهم**﴾ الذي يأوون اليه ﴿**النار**﴾ نعوذ بالله منها ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها**﴾ أي كلما همُّوا بالخروج منها لما يلحقهم من ألم العذاب ﴿**أعيدوا**﴾ اي ردُّوا ﴿**فيها**﴾ وقد مر بيانه في سورة الحج ﴿**وقيل لهم**﴾ مع ذلك ﴿**ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**﴾ أي لا تصدقون به وتجحدونه وفي هذا دلالة على ان المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن ابي ليلى نزل قوله أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً الآيات في علي بن أبي طالب (ع) ورجل من قريش وقال غيره نزلت في علي بن أبي طالب (ع) والوليد بن عقبة فالمؤمن علي والفاسق الوليد وذلك انه قال لعلي (ع) انا ابسط منك لساناً وأحدُّ منك سنانا فقال علي (ع) ليس كما تقول يا فاسق قال قتادة لا والله ما استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ
ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ
ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى
لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ
وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي ورويس عن يعقوب لِمَا صبروا بكسر اللام والباقون لَمَّا بالتشديد وفتح اللام .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ لَمَّا فإنه جعله للمجازات إلا ان الفعل المتقدم أغنى عن الجواب كما انك إذا قلت أجيئك إذا جئت تقديره إن جئت أجئك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لمّا صبروا جعلناهم أئمة ومن قال لِمَا صبروا علّق الجار بجعلنا والتقدير جعلنا منهم أئمة لصبرهم .

[ **المعنى** ] ثم اقسم سبحانه في هذه الآية فقال **﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر﴾** اما العذاب الأكبر فهو عذاب جهنم في الآخرة واما العذاب الأدنى في الدنيا واختلف في فقيل انه المصائب والمحن في الانفس والأموال عن أبي بنّ كعب وابن عباس وابي العالية والحسن وقيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو الحدود عن عكرمة وابن عباس وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروي ايضاً عن أبي عبد الله ( ع ) والأكثر في الرواية عن أبي جعفر ( ع ) وأبي عبد الله ( ع ) ان العذاب الأدنى الدابة والدجال **﴿لعلهم يرجعون﴾** أي ليرجعوا إلى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم **﴿ومن اظلم كمن ذكّر بآيات ربه﴾** أي لا أحد أظلم لنفسه ممن نبّه على حجج الله التي توصله إلى معرفته ومعرفة ثوابه **﴿ثم اغرض عنها﴾** جانباً ولم ينظر فيها **﴿إنا من المجرمين﴾** الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته وتركها **﴿منتقمون﴾** بأن نحلّ العقاب بهم **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾** يعني التوراة **﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾** أي في شك من لقائه ابي من لقائك موسى ليلة الاسراء بك إلى السماء عن ابن عباس وقد ورد في الحديث انه قال رأيت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة[1] ورأيت عيسى بن مريم رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس فعلى هذا فقد وعد ﷺ انه سيلقي موسى قبل ان يموت وبه قال مجاهد والسدي وقيل فلا تكن في مرية من لقاء موسى إياك في الآخرة وقيل معناه فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الاذى كما لقي موسى الأذى عن الحسن فكأنه قال فلا تك في مرية من أن تلقى كما لقي موسى **﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾** اي وجعلنا موسى هادياً لهم عن قتادة وقيل وجعلنا الكتاب هادياً لهم عن الحسن

(١) قبيلة من اليمن .

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ أي وجعلنا منهم رؤساء في الخير يقتدي بهم يهدون إلى افعال الخير بإذن الله عن قتادة وقيل هم الانبياء الذين كانوا فيهم يدلُّون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله ﴿لما صبروا﴾ أي لما صبروا وجعلوا أئمة ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ لا يشكّون فيها ﴿إن ربك هو يفْصل بينهم يوم القيمة﴾ أي يحكم بين المؤمن والكافر والفاسق ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من التصديق برسل الله والإيمان بالبعث والنشور وغير ذلك من اعمالهم وأمور دينهم .

[ النظم ] وجه اتصال ذكر موسى ( ع ) بما قبله ان المراد بالآية كما آتيناك القرآن يا محمد فكذَّبوك كذلك آتينا موسى التوراة فكذَّبوه فهو تسلية للنبي ﷺ ووعيد للمكذبين به .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا
مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى
الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ
أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

[ القراءة ] قرأ زيد أو لم نهد بالنون والقراءة كلهم على الياء وقد ذكرناه في سورة الاعراف وفي الشواذ قراءة ابن السميقع يمشون بضم الياء وتشديد الشين وانهم منتظرون بفتح الظاء .

[ الحجة ] قال ابن جني دفع أبو حاتم فتح الظاء واستدل على ذلك بقوله فارتقب انهم مرتقبون وقوله يُمَشّون للكثرة وقال :

يُمَشّي بَيْنَنا حانُوتُ كَرْمٍ مِنَ الْخُرْسِ الصَّراصِرَةِ القِطاطِ[١]

[ **اللغة** ] يقال هداه في الدين يهديه هدى وإلى طريق هداية واهتدى إذا قبل الهداية والواجب من الهدى هو ما يؤدّي إلى ما ليس للعبد عنه غنى في دينه فاللطف على هذا هدى والنظر المؤدّي إلى معرفة الله تعالى هدى. والسوق الحث على السير ساقه يسوقه. والجرز الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات لانقطاع الامطار عنها واشتقاقه من قولهم سيف جزار أي قطاع لا يبقى شيئاً إلا قطعه وناقة جراز إذا كانت تأكل كل شيء فلا تبقي شيئاً إلا قطعته بفيها ورجل جروز أي أكول قال الراجز (خَبٌّ جَرُزٌ وَإِذا جاعَ بَكى)[٢] وفي الجرز اربع لغات بضم الجيم والراء وبفتحهما وبضم الجيم واسكان الراء وفتح الجيم واسكان الراء.

[ **الإعراب** ] فاعل يهدِ مضمر يدل عليه قوله كم أهلكنا وتقديره أو لم يهد لهم اهلاكنا من اهلكناه من القرون الخالية ولا يجوز أن يكون فاعله كم أهلكنا لأن ما قبل كم لا يجوز ان يعمل فيه إلا حروف الإضافة لأن كم على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام فهو في محل النصب لأنه مفعول اهلك ويمشون في محل النصب على الحال.

[ **المعنى** ] ثم نبَّه الله سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدَّمهم من القرون فقال **﴿أو لم يهد لهم﴾** أي أو لم يبصرهم ويبين لهم **﴿كم اهلكنا من قبلهم من القرون﴾** الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه **﴿يمشون في مساكنهم﴾** ويرون آثارهم وقيل معناه انا اهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم يمشون في منازلهم **﴿إن في ذلك لآيات﴾** أي في اهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق **﴿افلا يسمعون﴾** اي افلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبَّههم سبحانه على وجه آخر فقال **﴿أو لم يروا﴾** اي أو لم يعلموا **﴿أنا نسوق الماء﴾** بالمطر والثلج وقيل بالانهار والعيون **﴿إلى الأرض الجرز﴾** أي اليابسة

(١) قائله المتنخل الهذلي والبيت من قصيدة طويلة رواها في ديوان الهذليين ج ٢ : ٢١ ونقله في جمهرة اشعار العرب ايضاً وقد اختلفت روايتهم في هذا البيت ففي بعضها «يمشي» بالياء و «خمر» بدل «كرم» وفي بعضها «الخرص» بالصاد ويختلف المعنى حسب هذا الاختلاف قال صاحب اللسان في مادة «حنت» و «خرس» يريد صاحب حانوت فاختصر الكلام وقال غيره كان الاصل «إلى حانوت» وهذا القائل يجعل الصراصرة فاعل «تمشي» ومعناها نبط الشام يعني انا كنا قاصدين حانوت الخمر وتمشي بيننا نساء حسان الشعور من نبط الشام و «الخرس» الدن الذي فيه الخمر وقال: اراد بالكرم : الخمرة مجازاً لكن الظاهر ان قوله ساقط والصحيح ما قاله صاحب اللسان وغيره ان المراد يمشي بيننا صاحب حانوت خمر من الخرس الصراصرة - بالسين - وهم خدم عجم لا يفصحون فلذلك جعلهم خرساً.

(٢) الخب: الخداع.

التي لا نبات فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لأنها مواضع عالية وهي قرى بين الشام واليمن عن ابن عباس ﴿**فنخرج به زرعاً تأكل منه**﴾ اي من ذلك الزرع ﴿**انعامهم وأنفسهم**﴾ والمعنى ان هذه الأرض تنبت ما يأكله الناس والانعام ﴿**افلا يبصرون**﴾ نعم الله تعالى عليهم ﴿**ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين**﴾ قال الفراء المراد به فتح مكة وقال السدي الفتح هو القضاء بعذابهم في الدنيا وهو يوم بدر وقال مجاهد وهو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة وكانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح اي متى هذا الحكم فينا ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**يوم الفتح**﴾ يوم ﴿**لا ينفع الذين كفروا إيمانهم**﴾ بيَّن سبحانه ان يوم الفتح يكون يوم القيامة وذلك اليوم لا ينفع الكافرين ايمانهم ﴿**ولا هم ينظرون**﴾ أي لا يؤخر عنهم العذاب يعني الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم إيمانهم بعد القتل ﴿**فاعرض عنهم**﴾ يا محمد فإنه لا ينجع فيهم الدعاء والوعظ وقيل اعرض عن أذاهم وانتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آية السيف ﴿**وانتظر**﴾ موعدي لك بالنصر على اعدائك ﴿**انهم منتظرون**﴾ بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحون منك وقيل معناه انهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنهم ينتظرونه .

# (٣٣) سورة الأحزاب مدنية وآياتها ثلاث وسبعون

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية بالاجماع .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال زمن قرأ سورة الأحزاب وعلّمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ( ع ) قال من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد وآله وأزواجه .

[ **تفسيرها** ] امره سبحانه في مختتم تلك السورة بالانتظار ثم أمره هنا ان يكون في انتظاره متقياً ونهاه عن طاعة الكفار فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا
جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ
ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ
ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو بما يعملون خبيراً بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر واهل الكوفة اللائي مهموزة ممدودة مشبعة بعدها ياء وفي سورة المجادلة والطلاق مثله وقرأ نافع ويعقوب اللاء مهموزة ممدودة مختلسة لا ياء بعدها والباقون اللاي بغير همزة ولا مدّ حيث كانت قرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وقرأ بفتح التاء وتخفيف الظاء أهل الكوفة غير عاصم وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء وتشديد الظاء وقرأ الباقون تظهرون بغير الف وتشديد الظاء والهاء .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من قرأ بما يعملون بالياء فعلى لا تطع الكافرين انه بما يعملون والتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب واللائي اصله فاعل مثل شائي فالقياس ان يثبت الياء فيه كما يثبت في الشائي والنائي وقد حذفوا الياء في حروف من ذلك قولهم ما بالبيت به بالة ومنه جابة وكذا إذا حذفت من اللائي يصير اللاء فإن خففت الهمزة فالقياس ان تجعل بين بين وقد حكى سيبويه حذف الياء من اللاي ومن قرأ تَظَّهَّرون فإنه تتظهرون فادغم التاء في الظاء ومن قرأ تظاهرون مضمومة التاء فهو من ظاهر من امرأته ويقوّي ذلك قولهم في مصدره الظهار ومن قرأ تظاهرون خفيفة الظاء فمعناه تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التي ادغمها غيره وهو من قرأ تظاهرون بتشديد الظاء مع الألف .

[ **النزول** ] نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وابي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة احد بأمان من رسول الله ﷺ ليكلّموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشقّ ذلك على النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب إئذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال اني اعطيتهم الأمان وامر ﷺ فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل مكة ابا سفيان وابا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعد وطعمة وقيل نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزى

سنة قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري وكان لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول إنَّ في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فكانت قريش تسميّة ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر وتلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدى نعليه والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك أحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده .

[ المعنى ] خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿**يا ايها النبي اتق الله**﴾ أي اثبت على تقوى الله ودم عليه وقيل معناه اتق الله في اجابة المشركين إلى ما التمسوه وقيل ان بعض المسلمين همّوا بقتل اولئك الذين قدموا المدينة بأمان فقال اتق الله في نقض العهد ﴿**ولا تطع الكافرين والمنافقين**﴾ مرَّ بيانه وقيل انه عام وهو الوجه والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه والمنافق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر ﴿**إن الله كان عليماً**﴾ بما يكون قبل كونه ﴿ **حكيماً** ﴾ فيما يخلقه ولما نهاه عن متابعة الكفار واهل النفاق امره باتباع اوامره ونواهيه على الاطلاق فقال ﴿**واتبع ما يوحي اليك من ربك**﴾ من القرآن والشرائع فبلّغه واعمل به ﴿**إن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ أي لا يخفي عليه شيء من اعمالكم فيجازيكم بحسبها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر ﴿**وتوكل على الله**﴾ أي فوّض أمورك إلى الله حتى لا تخاف غيره ولا ترجو إلا خيره ﴿**وكفى بالله وكيلاً**﴾ اي قائماً بتدبيرك حافظاً لك ودافعاً عنك ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾ فإن أمر الرجل الواحد لا ينتظم ومعه قلبان فكيف تنتظم أمور العالم وله إلٰهان معبودان وقيل انه نزل في أبي معمر على ما مرَّ بيانه عن مجاهد وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل ان المنافقين كانوا يقولون ان لمحمد قلبين ينسبونه إلى الدهاء فأكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس وقيل ان رجلاً كان يقول ان ليس نفسين نفساً تنهاني فنزل ذلك فيه عن الحسن وقيل هو ردٌّ على المنافقين والمعنى ليس لاحد قلبان يؤمن بأحدهما ويكفر بالآخر وإنما هو قلب واحد فإما أن يؤمن وإما ان يكفر عن أبي مسلم وقيل انه يتصل بقوله وما جعل ادعيائكم أبنائكم والتقدير انه كما لم يجعل لرجل قلبين في جوفه لم يجعل ابن الانسان ابنا لغيره وقيل بل يتصل بما قبله والمعنى انه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي والقرآن واتباع اهل الكفر والطغيان فكنى عن ذلك بذكر القلبين لان الاتباع يصدر عن الاعتقاد والاعتقاد من افعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان في جوف واحد لا

يجتمع اعتقادان متضادان في قلب واحد وقال ابو عبد الله (ع) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً ويحب بهذا اعداءهم واختلف العلماء في انه هل يجوز ان يكون لإنسان واحد قلبان فمنع بعضهم من ذلك وقال إن ذلك يؤدي إلى ان لا ينفصل إنسان من إنسانين لأنه يصحّ أن يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير كشخصين وجوَّز بعضهم ذلك وقال كما ان الانسان الواحد يجوز ان يكون له قلب كثير الأجزاء ويمتنع ان يريد ببعض الأجزاء ما يكرهه البعض الآخر لأن الإرادة والكراهة وإن وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان إلى الجملة وهي جملة واحدة فاستحال اجتماع معنيين ضدّين في حيٍ واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان أو مثلان في جزئين من القلب ويوجبان الصفتين للحي الواحد فكذلك القياس إذا كان المعنيان في قلبين إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حيّ واحد إلا ان السمع ورد بالمنع من ذلك ﴿وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ يقال ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر وهو ان يقول لها أنت عليَّ كظهر أمي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته وسنذكره في سورة المجادلة والمعنى ان الله تعالى اعلمنا ان الزوجة لا تصير أما فقال وما جعل نساءكم اللائي تقولون هُنَّ علينا كظهر امهاتنا أمهاتكم لأن امهاتكم على الحقيقة هن اللأئي ولدنكم وارضعنكم ﴿وما جعل ادعيائكم ابنائكم﴾ الأدعياء جمع الدعي وهو الذي يتبنّاه الإنسان بيَّن سبحانه انه ليس باين على الحقيقة ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبدود تبنّاه النبي ﷺ قبل الوحي وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ فلما نبيء رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم ابو حارثة مكة وأتى أبا طالب وقال سل ابن أخيك فإما أن يبيعه وإما ن يعتقه فلما قال ذلك ابو طالب لرسول الله قال هو حرٌّ فليذهب حيث شاء فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ فقال حارثة يا معشر قريش اشهدوا انه ليس ابني فقال رسول الله ﷺ اشهدوا انه ابني يعني زيداً فكان يدعي زيد بن محمد فلمّا تزوَّج النبي ﷺ زينب بنت جحش فكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون تزوَّج محمد امرأة ابنه وهو ينهي الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل الله من تدعونه ولداً وهو ثابت النسب من غيركم ولداً لكم ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي أن قولكم الدعي ابن الرجل شيء تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله تعالى ﴿والله يقول الحق﴾ الذي يلزم اعتقاده وله حقيقة وهو ان الزوجة لا تصير بالظهار وأما وال عي لا يصير بالتبني ابناً ﴿وهو يهدي السبيل﴾ اي يرشد إلى طريق الحق ويدل عليه ﴿ادعو ىم لآبائهم﴾ الذين ولدوهم وانسبوهم اليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم

﴿هو اقسط عند الله﴾ أي اعدل عند الله قولاً وحكماً وروى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله أورده البخاري في الصحيح ﴿فإن لم تعلموا آبائهم﴾ أي لم تعرفوا بأعيانهم ﴿فإخوانكم في الدين﴾ اي فهم اخوانكم في الملة فقولوا يا اخي ﴿ومواليكم﴾ اي بنو اعمامكم قال الزجاج ويجوز ان يكون المراد أولياءكم في الدين في وجوب النصرة وقيل معناه معتقوكم ومحرروكم إذا اعتقتموهم من رقّ فلكم ولاؤهم ﴿وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به﴾ اي ليس عليكم حرج في نسبته إلى المتبني إذا ظننتم انه ابوه ولم تعلموا انه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أي ولكن الإثم والجناح فيما تعمَّدت قلوبكم يعني في الذي تعمدته قلوبكم وقصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم فإنكم تؤاخذون به وقيل ما أخطأتم قبل النهي وما تعمدتموه بعد النهي عن مجاهد ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما سلف من قولكم ﴿رحيماً﴾ بكم وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب وقد وردت السنة بتغليظ الأمر فيه قال (ع) من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله .

﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ

وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ اهل المدينة وابن عامر وأبو بكر وقتيبة الظنونا والرسولا والسبيلا بألف في الوصل والوقف وقرأ اهل البصرة وحمزة بغير الف في الوصل والوقف والباقون بالألف في الوقف وبغير الف في الوصل .

[ الحجة ] قال ابو علي وجه قول من أثبت في الوصل انها في المصحف كذلك وهو رأس آية ورؤوس الآيات تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع فلمّا شبه اكرَ من واهابن بالقوافي في حذف الياء منهن كما حذف في نحو قوله «مِنْ خَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ» «وَإِذَا ما انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ»(١) كذلك يشبه هذا في اثبات الألف بالقوافي فأما من طرح الالف في الوصل فإنه ذهب إلى ان ذلك في القوافي وليس رؤوس الآي بقواف فيحذف في الوصل كما يحذف غيرها مما يثبت في الوقف نحو التشديد الذي يلحق الحرف الموقوف عليه وهذا إذا أثبت في الخط فينبغي ان لا يحذف كما لا يحذف هاء الوقف من حسابِيَهْ وكتابِيَه وان يجري مجرى الموقوف عليه ولا يوصل .

[ الإعراب ] أن تفعلوا موصول وصلة في موضع رفع بالابتداء إلا انه استثناء منقطع وخبره محذوف تقديره لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز وإذا اخذنا العامل في الظرف هنا محذوف تقديره واذكر نعمة الله عليكم كائنة وقت مجيء جنود إذ جاؤكم بدل من إذ الأولى وإذ زاغت كذلك .

[ النزول ] قال الكلبي آخى رسول الله ﷺ بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الثاني منهما دون اهله فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ﴾ فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وورث الأدنى فالأدنى من القرابات وقال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجرين شيئاً فنزلت هذه الآية فصار المواريث بالقرابات.

[ المعنى ] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي هو أولى بهم منهم بأنفسهم وقيل

(١) والاصل يأتيني وأنكرني .

في معناه اقوال (أحدها) انـه احقُّ بتدبيـرهم وحكمه انفـذ عليهم من حكمهم على انفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله تعالى عن ابن زيد (وثانيها) انه اولى بهم في الدعوة فإذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم انفسهم إلى شيء كانت طاعته اولى بهم من طاعة انفسهم عن ابن عباس وعطا وهذا قريب من الأول (وثالثها) ان حكمـه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فسلّموا على أنفسكم فإذا كان هو أحق بهم وهو لا يرث أمته بما له من الحق فكيف يرث من توجبون حقه بالتبني وروي ان النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج قال قوم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت هـذه الآية وروي عن أبي وابن مسعود وابن عباس انهم كانوا يقرؤون النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم وكذلك هو في مصحف أبي وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) قال مجاهد وكل نبي أب لأمته ولذلك صار المؤمنـون أخوة لأن النبي ﷺ أبـوهم في الدين وواحدة الأنفس نفسي وهي خاصة الحيوان الحساسة الداركة التي هي انفس ما فيـه ويحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس الذي هو التروح ويحتمل ان يكـون من النفاسـة لأنه أجل ما فيه واكرمه ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ المعنى انهن للمؤمنين كالأمهات في الحرمة وتحريم النكاح ولسن أمّهات لهم على الحقيقة إذ لو كن كذلك لكانت بنتاه اخـوات المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحلّ للمؤمن التزويج بهنَّ فثبت ان المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من احكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة الا ترى انه لا يحلّ للمؤمنين رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعي وازواجه امهاتهم في معنى دون معنى وهو انهن محرمات على التأبيد وما كنَّ محارم في الخلوة والمسافرة وهذا معنى ما رواه مسروق عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمَّه فقالت لست لك بأم إنما انا أمّ رجالكم فعلى هذا لا يجوز ان يقال لإخوانهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالات المؤمنين قال الشافعي تزوَّج الزبير اسماء بنت ابي بكر ولم يقل هي خالة المؤمنين ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**﴾ وهو مفسَّر في آخر الأنفال وأولوا الأرحام هم ذوو الأنساب . لمّا ذكر سبحانه ان ازواج النبي ﷺ امهات المؤمنين عقّبة بهذا وبيّن انه لا توارث إلا بالولادة والرحم والمعنى ان ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين أي من الانصار والمهاجرين أي الذين هـاجروا من مكـة إلى المدينـة وقيل معنـاه من المؤمنين والمتواخين والمهاجرين فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والمؤاخاة في الـدين دالة على ان الميراث بالقرابة فمن كان اقرب في قـرباه فهـو أحق بالميـراث من الأبعد ﴿**إلا أن تفعلوا إلى اوليائكم معروفاً**﴾ هذا استثناء منقطع ومعناه لكن إن فعلتم إلى اوليائكم المؤمنين

وخلفائكم ما يعرف حسنه وصوابه فهو حسن قال السدي عنى بذلك وصية الرجل لأخوانه في الدين وقال غيره لما نسخ التوارث بالمؤاخاة والهجرة أباح الوصية فيوصي لمن يتولاه بما أحبَّ من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصية وحكي عن محمد بن الحنفية وعكرمة وقتادة ان معناه الوصية لذوي القرابات من المشركين وقيل ان هذا لا يصح لأنه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تتخذوا عدّوي وعدوّكم اولياء وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابة الكافرة وقال اصحابنا انها جائزة للوالدين والولد ﴿**كان ذلك**﴾ أي نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى اولي الأرحام من القرابات ﴿**في الكتاب**﴾ أي في اللوح المحفوظ وقيل في القرآن وقيل في التوراة ﴿**مسطوراً**﴾ اي مكتوباً ومن في قوله من المؤمنين والمهاجرين يحتمل امرين (أحدهما) ما ذكرناه (والآخر) ان يكون التقدير وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ اي واذكر يا محمد حين أُخذ الله الميثاق على النبيين خصوصاً بأن يصدق بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً عن قتادة وقيل اخذ ميثاقهم على ان يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وان يصدق بعضهم بعضاً وان ينصحوا لقومهم عن مقاتل ﴿**ومنك**﴾ يا محمد وإنما قدَّمه لفضله وشرفه ﴿**ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم**﴾ خصَّ هؤلاء بالذكر لأنهم اصحاب الشرائع ﴿**واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ أي عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا من اعباء الرسالة وتبليغ الشرائع وقيل على ان يعلنوا ان محمداً رسول الله ﷺ ويعلن محمد ﷺ انه لا نبي بعده وإنما أعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ وذكره في اول الآية مطلقاً وفي آخرها مقيداً بزيادة صفة ثم بيَّن سبحانه الفائدة في اخذ الميثاق فقال ﴿**ليسئل الصادقين عن صدقهم**﴾ قيل معناه إنما فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذي جاءت به أممكم عن مجاهد وقيل ليسأل الصادقين في توحيد الله وعدله والشرائع عن صدقهم أي عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله تعالى احداً هل جازى كل إنسان بفعله هل عذب بغير ذنب ونحو ذلك فيقولون نعم عدل في حكمه وجازى كُلًّا بفعله وقيل معناه ليسأل الصادقين في اقوالهم عن صدقهم في افعالهم وقيل ليسأل الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره ويكون فيه تهديد للكاذب قال الصادق (ع) إذا سأل عن صدقه على أيّ وجه قاله فيجازي بحسبه فكيف يكون حال الكاذب ثم قال سبحانه ﴿**واعدَّ للكافرين عذاباً أليماً**﴾ أي مؤلماً ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ ذكّرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم في دفع الأحزاب عنهم ﴿**إذ جاءتكم جنود**﴾ وهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ ايام الخندق ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً**﴾ وهي الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم ﴿**وجنوداً**

**لم تروها﴾** من الملائكة وقيل ان الملائكة لم يقاتلوا يومئذ ولكن كانوا يشجّعون المؤمنين ويجنّبون الكافرين **﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾** من قرأ بالتاء وجّه الخطاب إلى المؤمنين ومن قرأ بالياء أراد ان الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال **﴿إذ جاؤكم﴾** أي واذكروا حين جاءكم جنود المشركين **﴿من فوقكم﴾** أي من فوق الوادي قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان **﴿ومن اسفل منكم﴾** اي من قبل المغرب من ناحية مكة ابو سفيان في قريش ومن تبعه **﴿وإذا زاغت الأبصار﴾** اي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوّها مقبلاً من كل جانب وقيل معناه عدلت الأبصار عن مقرّها من الدهش والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر **﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾** والحنجرة جوفَ الحلقوم اي شخصت القلوب من مكانها فلولا انه ضاق الحلقوم عنها ان تخرج لخرجت عن قتادة وقال أبو سعيد الخدري قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه اعداء الله بالريح فهزموا قال الفراء المعنى في قوله بلغت القلوب الحناجر انهم جبنوا وجزع اكثرهم وسبيل الجبان إذ اشتدَّ خوفه أن ينتفخ سَحْرُه والسحر الرئة فإذا انتفخت الرئة رفعت القلوب إلى الحنجرة **﴿وتظنون بالله الظنونا﴾** أي اختلفت الظنون فظنَّ بعضكم بالله النصر وبعضكم ليس وقنط وقيل تظنون ظنوناً مختلفة فظن المنافقون انه يستأصل محمد وظن المؤمنون انه ينصر عن الحسن وقيل ان من كان ضعيف القلب والإيمان ظنَّ ما ظنَّه المنافقون إلا انه ذلك وقيل اختلاف ظنونهم ان بعضهم ظن ان الكفار تغلبهم فظن بعضهم انهم يستولون على المدينة وظنَّ بعضهم ان الجاهلية تعود كما كانت وظنَّ بعضهم ان ما وعد الله ورسوله من نصرة الدين وأهله غرور فاقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظن الجبناء .

[ **النظم** ] اتصل قوله النبي أُولى بالمؤمنين بقوله وما جعل ادعيائكم ابنائكم فإنه سبحانه لما بيَّن ان التبني عليه لا يجوز بيَّن عقيبه انه مع ذلك اولى بالمؤمنين من انفسهم من حيث انه ولاّه الله أمرهم فيلزمهم طاعته والانقياد له واصل الولاية لله تعالى كما قال هنالك الولاية لله فلاحظَّ فيها لأحد إلا لمن ولاّه سبحانه وإلى هذا المعنى اشار النبي ﷺ يوم الغدير في قوله ألست أُولى بكم منكم بأنفسكم فلما قالوا بلى قال من كنت مولاه فعليٌّ مولاه والمولى بمعنى الأولى بدلالة قوله مأواكم النار هي مولاكم أي اولى بكم وقول لبيد .

فَغَـدَتْ كِـلاَ ٱلْفَـرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّـهُ     مَـوْلَى ٱلْمَخَـافَـةِ خَلْفُهَـا وَأَمَامُـهَا(١)

(١) البيت من المعلقات ، والفرج: ما بين قوائم الدواب فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج ، يصف بقرة وحشية =

أي أولى بالمخافة ثم عاد سبحانه إلى الكلام في تأكيد نبوة نبينا ﷺ بذكر ما اخذ على النبيين من الميثاق في هذا الباب وعقَّب ذلك ببيان آياته ومعجزاته يوم الأحزاب وذكر ما انعم عليه وعلى المؤمنين من النصر مع ما اعدَّه لهم من الثواب .

## [ قصة غزوة الخندق ]

ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من اصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن اخطب في جماعة من بني النضير الذين اجلاهم رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم اهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً إلى قوله وكفى بجهنم سعيراً فسرَّ قريشاً ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه فاجمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ﷺ وان قريشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من اشجع وكتبوا إلى حلفائهم من بني اسد فأقبل طليحة في من اتبعه من بني اسد وهما حليفان اسد وغطفان وكتب قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل ابو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش فلما علم بذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار عليه سلمان الفارسي (ره) وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حُرٌّ قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى احكموه فمما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما رواه ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني أبي عن ابيه قال خطَّ رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب اربعين ذراعاً بين عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ﷺ سلمان منا اهل البيت قال

■ سمعت صوتاً. يقول فغدت البقرة وهي تحسب ان كل فرج من فرجيها أولى بالمخافة منه ولم تقف على ان صاحب الصوت خلفها ام امامها.

عمرو بن عوف فكنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارقَ إلى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما ان يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحبّ ان نجاوز خطَّه فرقى سلمان حتى اتى رسول الله ﷺ وهو مضروب عليه قبة فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدوّرة فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق واخذ المعول[١] وضرب به ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها[٢] يعني لأبتي المدينة حتى لكأن مصباحاً في جوف ليل مظلم فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح فكبَّر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى فقال اما الاولى فإن الله عز وجل فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعد صادق قال وطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وَصدق الله ورسوله وقال المنافقون الا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر في يثرب قصور الحيرة[٣] ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون ان تبرزوا ومما ظهر فيه أيضاً من آيات النبوة ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن ايمن المخزومي قال حدثني ايمن المخزومي قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كُدْيَة[٤] وهي الجبل فقلنا يا رسول الله إن كدية عرضت فيه فقال رسول الله ﷺ رَشُوا عليها ماء ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاة فسمّى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيباً أَهْيَل[٥] فقلت له إئذن لي يا رسول الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شيء فقالت عندي صاع من شعير وعَناق[٦] فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العَناق وسلختها

---

(١) المعول: الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر

(٢) اللابة. الحرة وهي الارض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها. والمدينة المنورة ما بين حرتين عظيمتين.

(٣) قال الحموي : الحيرة . مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف.

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لسيرة ابن هشام ج ٢ : ٢١٧ والبخاري ج ٥ - ٩٠ وغيره لكن في الاصل «كذانة» قال ابن الأثير: في حديث الخندق فعرضت فيه كدية فاخذ المسحاة. . . اه والكدية قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

(٥) اي رملاً سائلاً.

(٦) العناق : الانثى من اولاد المعز قبل استكمال الحول.

وخليت بين المرأة وبين ذلك ثم اتيت الى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت إئذن لي يا رسول الله ففعل فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا فرجعت الى رسول الله ﷺ فقلت ان عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله انت ورجلان من اصحابك فقال وكم هو قلت صاع من شعير وعَناق فقال للمسلمين جميعاً قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله فقلت جاء بالخلق على صاع شعير وعَناق فدخلت على المرأة وقلت قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخلق اجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك قلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم قد اخبرناه ما عندنا فكشفت عنّي غمّاً شديداً فدخل رسول الله ﷺ فقال خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله ﷺ يثرد ويفرّق اللحم ثم يحمّ هذا ويحمّ(١) هذا فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املأ ما كانا ثم قال رسول الله ﷺ كلي واهدي فلم نزل نأكل ونهدي قومنا اجمع أورده البخاري في الصحيح وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ ينقل معنا التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول «اَللَّهُمَ لَوْلا أَنْتَ مَا اُهْتَدَيْناه وَلا تَصدَّقْنا وَلا صَلَّيْنا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا وَثَبِّتِ آلاقْـدامَ إنْ لاقَيْناه إنَّ الأولى قَـدْ بَغوْ عَلَيْنَـا إذا أَرادُوا فِتْنَةً أبينا(٢) يرفع بها صوته رواه البخاري ايضاً في الصحيح عن أبي الوليد عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قالوا ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بين الجُرْف والغابة(٣) في عشرة آلاف من احابيشهم (٤) ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا إلى جانب احد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع (٥) في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام (٦) وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب بني قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى ان يفتح له

(١) كذا في النسخ ولم اظفر له على معنى يناسب المقام والسياق في اللغة جم الاناء ملاه وفي صحيح البخاري ج ٥ : ٩٠ ما نصه «ويخمر (اي يغطي) التنور إذا اخذ منه ويقرب إلى اصحابه . . اهـ».

(٢) قائلها عبد الله بن رواحة ارتجز بها رسول الله ﷺ.

(٣) الجرف: موضع على ثلاثة اميال من المدينة نحو الشام. والغابة أيضاً بينها وبين جبل سلع ثمانية اميال قاله الحموي في المعجم.

(٤) حابيس: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة.

(٥) سلع: جبل بالمدينة.

(٦) الاطام: الابنية المرتفعة كالحصون.

فناداه يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي انك رجل مشؤوم اني قد عاهدت محمداً ﷺ ولست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً. قال ويحك افتح لي اكلّمك قال ما انا بفاعل قال ان اغلقت دوني إلا على حشيشة تكره ان آكل منها معك فاحفظ الرجل (١) ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعزّ الدهر وببحر طامّ(٢) جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها وقادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه فقال كعب جئتني والله بذلّ الدهر بجهام (٣) قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمداً وما انا عليه فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة والغارب(٤) حتى سمح له على ان اعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب عهده وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد ابن عبادة أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقاً فالحنوا لنا لحناً نعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس وخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث مما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشامهم سعد بن عبادة وشاتموه وقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة ثم اقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا عضل والقارة (٥) لغدرِ عضل والقارة باصحاب رسول الله خُبَيب بن عدي واصحاب الرجيع فقال رسول الله ﷺ الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتدَّ الخوف وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظنَّ المؤمنون كل ظنَّ وظهر النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ﷺ واقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل إلا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود اخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن

(١) أحفظه بمعنى أغضبه.
(٢) طم الماء: كثر.
(٣) الجهام: السحاب.
(٤) أي يدور من وراء خديعته.
(٥) قال الجوهري عضل قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمة أخو الديش، ويقال لهما القارة. أي غدروا كغدر عضل والقارة وقصة غدرهما بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله معهم خبيب في الموضع الذي يقال له الرجيع معروف.

الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق [١] بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا امكانا ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب ( ع ) في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبود فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث واثبته الجراح ولم يشهد احداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده وكان يعد بألف فارس وكان يسمى فارس بليل لأنه اقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من ان يصلوا إليه فعرف بذلك وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق والمذاد وكان اول من طفره عمرو واصحابه فقيل في ذلك :

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ كان أَوَّلَ فَارِسٍ جَزَعَ الْمَذادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلْيَلِ

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبدود كان ينادي من يبارز فقام علي ( ع ) وهو مقنع في الحديد فقال افاعله يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو الأرجل وهو يُؤَنِّبهم [٢] ويقول أين جنتكم التي تزعمو أن من قتل منكم دخلها فقام علي ( ع ) فقال أنا له يا رسول الله ثم نادى الثالثة فقال .

وَلَقَدْ بَحَحْتُ [٣] مِنَ النِّداءِ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزِ
وَوَقَفْتُ إذْ جَبُنَ الْمُشَجِّعُ مَوْقِفَ الْبَطَلِ الْمُنَاجِزِ
إنَّ السَّمَاحَةَ وَالشُّجَا عَةَ فِي الْفَتَى خَيْرُ الْغَرائِزِ

فقام علي فقال يا رسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان عمراً فاستأذن رسول الله أذن له رسول الله وفيما رواه لنا السيد أبو محمد الحسيني القايني عن الحاكم أبي القاسم لحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن جده عن حذيفة قال فألبسه رسول الله ﷺ درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذا الفقار وعمَّمه عمامة السحاب على رأسه تسعة أكوار ثم

(١) من العنق وهو ضرب من السير .
(٢) أنَّبه : لامه .
(٣) البحاح : غلظ في الصوت وخشونة .

قال له تقدَّم فقال لما ولّى : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه قال ابن اسحاق فمشى إليه وهو يقول :

لا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أتاكَ مُجيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عاجِز
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصِّدْقُ مُنْجِي كُلِّ فائِز
إنِّي لأرْجُو أنْ أُقِيمَ عَلَيْكَ نائِحَةَ الْجَنائِز
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاءَ يَبْقى ذِكْرُها عِنْدَ الهَزاهِز[1]

قال له عمرو من أنت قال أنا علي قال ابن عبد مناف فقال أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنُّ منك فإني أكره ان أُهرق دمك فقال علي (ع) لكني والله ما أكره ان أُهرق دمك فغضب ونزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو عليّ مغضباً فاستقبله علي بِدَرقَته[2] فضربه عمرو بالدرقة فقدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجَّه وضربه عليٌّ على حبل العاتق فسقط وفي رواية حذيفة وتسيف على رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة فسُمع عليٌّ يكبّر فقال رسول الله ﷺ قتله والذي نفسي بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فإذا عليٌّ يمسح سيفه بدرع عمرو فكبَّر عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله قتله فحزَّ عليٌّ[3] رأسه وأقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلّا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فأتقاني بسواته فاستحييت ابن عمي أن استلبه قال حذيفة فقال النبي ﷺ أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو وعن الحاكم أبي القاسم أيضاً بالإسناد عن سفيان الثوري عن زبيد الثاني عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وخرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلة أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله فقتله الزبير بن العوام وذكر ابن اسحاق ان علياً (ع) طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في الخندق وبعث المشركون إلى رسول

(١) ضربة نجلاء : واسعة . والهزاهز بمعنى الحروب .
(٢) الدرقة : الترس من الحديد .
(٣) حز الشيء : قطعه .

الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي ﷺ هو لكم لا نأكل ثمن الموتى وذكر علي (ع) أبياتاً منها .

نَصَرَ ٱلْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
فَضَرَبْتُهُ وَتَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً ... كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِ (١)
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي ... كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي (٢)

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال ان علياً (ع) لما قتل عمرو بن عبدود حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس علي (ع) وروي عن أبي بكر بن عياش أنه قال ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام اعز منها يعني ضربة عمرو بن عبدود وضُرِب عليٌّ ضربة ما كان في الإسلام ضربة أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله . قال ابن إسحاق ورمى حيان بن قيس بن العرفة سعد بن معاذ بسهم وقال خذها وأنا ابن العرفة فقطع أكحله فقال سعد عرف الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحبَّ إليَّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة قال وجاء نعيم بن مسعود الاشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم أبي احد من قومي فمرني بأمرك فقال له رسول الله ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخَذِّل (٣) عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة فقال لهم إني لكم صديق والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد ﷺ بمنزلة واحدة إن البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم وإنما قريش وغطفان بلادهم غيرها وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم تستوثقون به ان لا يبرحوا حتى يناجزوا محمداً فقالوا له قد أشرت برأي ثم ذهب فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم قد عرفتم وُدّي إياكم وفراقي محمداً ودينه وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا عليّ فقالوا له قد أشرت برأي ثم ذهب فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم قد عرفتم وُدّي إياكم وفراقي محمداً ودينه وإني قد جئتكم بنصيحة

---

(١) دكادك جمع دكدك الرمل اللين ورواب جمع رابية : ما ارتفع من الأرض .

(٢) المقطر : الملقى على احد قطريه أي جنبيه وبزه : سلبه .

(٣) امر من خذله : حمله على الفشل وترك القتال .

فاكتموا عليّ فقالوا نفعل ما أنت عندنا بمتهم فقال تعلمون ان بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا إليه أنه لا يرضيك عنا إلا أن نأخذ من القووم رهناً من أشرافهم وندفعهم إليك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم فلا تعطوهم رجلاً واحداً واحذروا ثم جاء غطفان وقال يا معشر غطفان إني رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما أصبح أبو سفيان وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس من الهجرة بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش ان ابا سفيان يقول لكم يا معشر اليهود ان الكراع والخف[1] قد هلكا وانا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا إليه ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمد فقال أبو سفيان والله قد حذرنا هذا نعيم فبعث إليهم أبو سفيان انا لا نعطيكم رجلاً واحداً فإن شئتم أن تخرجوا وتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا والله الذي قال لنا نعيم فبعثوا إليهم انا والله لا نقاتل حتى تعطونا رهناً وخذَّل الله بينهم وبعث سبحانه عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفة بن اليمان والله لقد رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله وقام رسول الله ﷺ فصلّى ما شاء الله من الليل ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم أحد دعاني فلم أجد بُداً من اجابته قلت لبيك قال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثَّني شيئاً حتى ترجع قال وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذا خرج أبو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال حذيفة فبدأت بالذي عن يميني فقلت من أنت قال انا فلان[2] ثم عاد أبو سفيان براحلته فقال يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ثم عجل فركب راحلته وانها لمعقولة ما حلَّ عقالها إلا بعد ما ركبها قال قلت في نفسي لو رميت عدوَّ الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقلته فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فحططت

---

(١)، يريد بالكراع: الخيل وبالخف) الابل.

(٢) وفي المنقول عن شرح المواهب « فضربت بيدي على الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على الذي عن شمالي فقلت:من انت قال: عمرو بن العاص».

القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلّي فلما سمع حسي فرَّج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليَّ طائفة من مِرْطة (١) فركع وسجد ثم قال ما الخبر فأخبرته وروى الحافظ بالإسناد عن عبد الله بن أبي أوفى قال دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال اللهم انت منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول لا إله إلا الله وحده وحده أعزَّ جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده وعن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال ﷺ فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة .

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ
ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا
وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ
لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ
ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

(١) المرط بالكسر ـ : الكساء .

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ
وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ
ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ
يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ
كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص لا مُقام لكم بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ أهل الحجاز لأتوها بغير مدّ والباقون لآتوها بالمد وقرأ يعقوب يسّائلون بالتشديد والمدّ والباقون يسئلون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن يعمر وقتادة ان بيوتنا عَوِرة وما هي بعوِرة بكسر الواو في الموضعين وقراءة الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعة السين ولا يجعل فيها ياء ولا يمدها وقراءة ابن عباس لو انهم بُدّىٰ في الإعراب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي المقام يحتمل أمرين ( أحدهما ) لا موضع إقامة لكم وهذا أشبه لأنه في معنى لا مقام بفتح الميم أي ليس لكم موضع تقومون فيه ( والآخر ) لا اقامة لكم ومن قصر لأتوها فلأنك تقول أتيت الشيء إذا فعلته تقول أتيت الخير وتركت الشر ومعنى ثم سئلوا الفتنة لأتوها سئلوا فعل الفتنة لفعلوها ومن قرأ لآتوها فالمعنى لأعطوها أي لم يمتنعوا فيها والمعنى لو قيل لهم كونوا على المسلمين ومع المشركين لفعلوا ذلك ومن قرأ يسّاءلون فإنه يتساءلون أي يسأل بعضهم بعضاً فأدغم التاء في السين ومن قرأ عورة بكسر الواو فإنه شاذ من طريق الاستعمال وذلك لتحرك الواو بعد الفتحة والقياس ان تقول عارة كما قالوا رجل مال وامرأة مالة وكبش صاف ونعجة صافة ومثل عَوِرة في صحة الواو وقولهم رجل عَوِز لا مال له وقول الأعشى .

وَقَدْ غَدَوْتُ إلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُني     شَاوٍ مِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (١)

وقوله سولوا من قولهم سال يسال كخاف يخاف فالعين على هذه اللغة واو وحكى أبو زيد قولهم هما يتساولان كما يقال يتقاومان والأقيس على هذا ان يقال سيلوا كعيدوا وقيل واللغة الأخرى إشمام الضمة نحو سئلوا واللغة الثالثة سولوا على اخلاص ضمة فُعِل إلا أنه أردأ اللغات قال الشاعر « وقُولَ لا اهل له ولا مال » (٢) أي وقيل وقال آخر « لُوطَ الى صلب شديد الحل» أي نيط وقوله بُدّى جمع باد فهو مثل غاز وغُزّى .

[ **اللغة** ] يقال هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للمتوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك والزلزال الاضطراب العظيم والزلزلة اضطراب الأرض وقيل انه مضاعفُ زلَّ وزلزله غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لأن القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة وإنما تعلم بالدلالة فلذلك يوصف تعالى بأنه قويُّ ولا يوصف بأنه شديد والغرور ايهام المحبوب بالمكروه والغرور الشيطان قال الحرث بن حلزة :

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلٰكِنْ     يَرْفَعُ الآلُ جَمْعَهُمْ وَالضُّحَاءُ (٣)

ويثرب اسم أرض المدينة قال أبو عبيدة ان مدينة الرسول في ناحية من يثرب وقيل يثرب هي المدينة نفسها وذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه أن من اسماء المدينة يثرب وطيبة وطابة والدار والسكينة وجائزة المحبورة والمحبة والمحبوبة والعذراء والمرحومة والقاصمة ويندد فذلك ثلاثة عشر أسماً والعورة كل شيء يتخوف منه في ثغر أو حرب ومكان معور ودار معورة إذا لم تكن حريزة. القطر الناحية والجانب وجمعه الأقطار ويقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه أي احد شقيه والتعويق التثبيت والعوق الصرف ورجل عوق وعوقة يعوق الناس عن الخير. والبأس الحرب وأصله الشدة. والاشحة جمع شحيح والشح البخل مع حرص يقال شحَّ يشُحُّ ويشَحُّ بضم الشين وفتحها. والسلق أصله الضرب وسلق أي صاح ومنه خطيب مِسْلق ومِصْلق فصيح وسلقته بالكلام اسمعته المكروه وفي الحديث

(١) من أبيات اعتبرها بعض من المعلقات والحانوت بيت الخمار والشاوي: الذي يشوي اللحم والمشل المستحث والجيد السوق، وقيل: الذي يشل اللحم في السفود. والشلول مثل المشل. وشلشل: الخفيف في العمل والخدمة، وشول: الذي يشول بالشيء الذي يشتريه صاحبه أي يرفعه، وقال في اللسان محكياً عن بعض ان الألفاظ متقاربة. اريد بذكرها المبالغة .

(٢) هذا عجز بيت وقبله « وابتدأت غضبي وام الرحال » .

(٣) الال: السراب والضحاء ارتفاع النهار الأعلى .

ليس منا من سلق او حلق أو رفع صوته عند المصيبة وقيل هو ان تصكّ وجهها ومعنى حلق أي يحلق رأسه وشعره عند المصيبة. والحديد ضد الكليل والجمع خداد. والأحزاب الجماعات واحدها حزب وتحزّبوا أي تجمّعوا من مواضع والبادي الذي ينزل البادية ومنه الحديث من بدا جفا أي من نزل البادية كان فيه جفوة الاعراب والبداوة الخروج إلى البادية بفتح الباء وكسرها قال القطامي

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَيَّ أُناسِ بَادِيَةٍ تَرانا (١)

[ الإعراب ] الضمير في دخلت عائد إلى البيوت الا يسيراً تقديره إلا تلبساً يسيراً أو زماناً يسيراً فهو صفة ظرف زمان محذوف واذا لا تمتعون لم يعمل إذا لوقوعه بين الواو والفعل وقد أعملت بعد انَّ في قول الشاعر

لا تَتْرُكَنّي فِيهِم شَطِيرا ... إنِّي إذاً أَهْلِكَ أَوْ أطيرا (٢)

ولا يأتون جملة معطوفة على صلة الموصول أي الذين يعوّقون ولا يأتون وقوله إلا قليلاً تقديره إلا زماناً قليلاً وان شئت الا اتياناً قليلاً اشحّة منصوب على الحال في الموضعين وقيل هو نصب على الذم كالذي يغشى عليه من الموت أي تدور أعينهم دوراناً مثل دوران أعين الذي يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف وقد حذف بعد الكاف المضاف والمضاف إليه. هلمَّ معناه أقبل وتعال وأهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث هلم بلفظ الواحد وإنما هي لُمَّ ضمت اليها هاء التي للتنبيه ثم حذفت الألف منها إذا صارا شيئاً واحداً كقولهم ويلُمّه وأصله ويل لأمه فلما جعلوهما شيئاً واحداً حذفوا وغيّروا وأما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل وهلما وهلموا وهلمي يا امرأة وهلما وهلممن يا نساء إلا أنهم يفتحون آخر الواحد البتة .

[ المعنى ] لما وصف سبحانه شدة الأمر يوم الخندق قال ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ أي اختبروا وامتحنوا ليظهر لك حسن إيمانهم وصبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد اعدائه فظهر من كان ثابتاً قوياً في الإيمان ومن كان ضعيفاً فيه ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي حرّكوا بالخوف تحريكاً شديداً وأزعجوا ازعاجاً عظيماً وذلك ان الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكانه قال الجبائي منهم من اضطرب خوفاً على نفسه من القتل ومنهم من اضطرب عليه دينه

---

(١) الحضارة: الاقامة في الحضر .

(٢) الشطير: الغريب والبعيد و « أطير » متكلم من طار بمعنى تفرق وانتشر .

**﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾** أي شكّ عن الحسن وقيل ضعف في الإيمان **﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾** قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن ان نذهب الى الخلاء هذا والله الغرور **﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾** يعني عبد الله بن أبي وأصحابه عن السدي وقيل هم بنو سالم من المنافقين عن مقاتل وقيل ان القائل لذلك اوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه عن يزيد بن رومان **﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾** أي لا اقامة لكم هاهنا او لا مكان لكم تقومون فيه للقتال إذا فتح الميم فارجعوا إلى منازلكم بالمدينة وأرادوا الهرب من عسكر رسول الله ﷺ **﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾** في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة **﴿يقولون ان بيوتنا عورة﴾**ليستبحريزة، مكشوفة ليست بحصينة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه بيوتنا خالية من الرجال نخشى عليها السراق عن الحسن وقيل قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلينا عن قتادة فكذَّبهم الله تعالى فقال **﴿وما هي بعورة﴾** بل هي رفيعة السمك حصينة عن الصادق (ع) **﴿ان يريدون﴾** أي ما يريدون **﴿إلا فراراً﴾** وهرباً من القتال ونصرة المؤمنين **﴿ولو دخلت﴾** أي ولو دخلت البيوت أو دخلت المدينة **﴿عليهم﴾** أي ولو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال وهم الأحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عورة وهم المنافقون **﴿من أقطارها﴾** أي من نواحي المدينة أو البيوت **﴿ثم سئلوا الفتنة لآتوها﴾** أي ثم دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا فالمراد بالفتنة الشرك عن ابن عباس **﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾** أي وما احتبسوا عن الاجابة إلى الكفر إلا قليلاً عن قتادة وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطائهم الكفر إلا قليلاً حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن والفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال **﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾** أي من قبل الخندق **﴿لا يولون الأدبار﴾** أي بايعوا النبي ﷺ وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة العدو ولا ينهزمون قال مقاتل يريد ليلة العقبة **﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾** يسألون عنهم في الآخرة وإنما جاء بلفظ الماضي تأكيداً ثم قال سبحانه **﴿قل﴾** يا محمد للذين استأذنوك في الرجوع واعتلّوا بأن بيوتهم يخاف عليها **﴿لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾** إن كان حضرت آجالكم فإنه لا بدَّ من واحد منهما وان هربتم فالهرب لا يزيد في آجالكم **﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلاً﴾** معناه وان لم تحضر آجالكم وسلمتم من الموت أو القتل في هذه الوقعة لم تمتعوا في الدنيا إلا أياماً قلائل وإنما فرّق بين الموت والقتل لأن القتل غير الموت فإن الموت ضد الحياة عند من أثبته معنى وانتفاء الحياة عند من لم يثبته معنى والقتل هو نقض البنية الحيوانية فالقتل يقدر عليه غير

الله تعالى والموت لا يقدر عليه غيره ﴿قل﴾ يا محمد ﴿من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ أي يدفع عنكم قضاء الله ويمنعكم من الله ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ أي عذاباً وعقوبة ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي نصراً وعزّاً فإن أحداً لا يقدر على ذلك ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً﴾ يلي أمورهم ﴿ولا نصيراً﴾ ينصرهم ويدفع عنهم ثم قال سبحانه ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ وهم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ويثبطونهم ويشغلونهم لينصرفوا عنه وذلك بأنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لا لتهمهم [١] أبو سفيان وهؤلاء الأحزاب ﴿والقائلين لاخوانهم﴾ يعني اليهود قالوا لاخوانهم المنافقين ﴿هلم إلينا﴾ أي تعالوا وأقبلوا إلينا ودعوا محمداً وقيل القائلون هم المنافقون قالوا لاخوانهم من ضعفة المسلمين لا تحاربوا وخلّوا محمداً فإنا نخاف عليكم الهلاك ﴿ولا يأتون البأس﴾ أي ولا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إلا قليلاً﴾ يخرجون رياء وسمعة قدر ما يوهمون أنهم معكم يعلم الله سبحانه احوالهم لا يخفى عليه شيء منها عن السدي وقيل معناه ولا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين عن قتادة ﴿أشحة عليكم﴾ أي لا يأتون الناس اشحة عليكم أي بخلاء بالقتال معكم وقيل بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة عن قتادة ومجاهد ومعناه لا ينصرونكم ثم أخبر عن جبنهم فقال ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور اعينهم كالذي يغشى﴾ أي كعين الذي يغشى ﴿عليه من الموت﴾ وهو الذي قرب من حال الموت وغشيته اسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم وتحار أعينهم من شدة خوفهم فإذا ذهب الخوف والفزع وجاء الأمن والغنيمة ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أي آذوكم بالكلام وخاصموكم بألسنة سليطة ذربة عن الفراء وقيل معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فلستم بأحق بها منا عن قتادة قال فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق واما عند الغنيمة فأشح قوم وهو قوله ﴿أشحة على الخير﴾ أي بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند القسمة وقيل معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائي ﴿أولئك﴾ يعني من تقدم وضفهم ﴿لم يؤمنوا﴾ كما آمن غيرهم وإلا لما فعلوا ذلك ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ لأنها لم تقع على الوجوه التي يستحق عليها الثواب إذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى وفي هذا دلالة على صحة مذهبنا في الاحباط [٢] لأن المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس إلا أن

---

(١) التهمة : ابتلعه بمرة.

(٢) وهو القول بان كل من الايمان والكفر يتحقق بتحقق شروط المقارنة ، وليس شيء عن استحقاق الثواب والعقاب مشروطاً بشرط متأخر بل ان تحقق الايمان تحقق استحقاق الثواب وكذا في الكفر، فان كفر بعد الايمان كان كفره =

جهادهم الذي لم يقارنه إيمان لم يستحقّوا عليه ثواباً ﴿وكان ذلك﴾ الاحباط او كان نفاقهم ﴿على الله يسيراً﴾ أي هيّناً ثم وصف سبحانه هؤلاء المنافقين فقال ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أي يظنّون ان الجماعات من قريش وغطفان وأسدواليهود الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ لم ينصرفوا وقد انصرفوا وإنما ظنّوا ذلك لجبنهم وفرط حبّهم قهر المسلمين ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أي وإن يرجع الأحزاب إليهم ثانية للقتال ﴿يودّوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنبائكم﴾ أي يود هؤلاء المنافقون ان يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون عن أخباركم ولا يكونوا معكم حذراً من القتل وتربُّصاً للدوائر ﴿ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً﴾ أي ولو كان هؤلاء المنافقون معكم وفيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدراً يسيراً ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه قتالاً قليلاً رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان هؤلاء المنافقون معكم وفيكم لم يقالتوا معكم إلا قدراً يسيراً ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه قتالاً قثليلاً رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان الله تعالى لم يكن قليلاً عن الجبائي ومقاتل .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ
ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ
كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ

= اللاحق كاشفاً عن انه لم يكن مؤمناً سابقاً ولم يكن مستحقاً للثواب عليه واطلاق المؤمن عليه بحسب اللفظ الظاهر، وهذا مذهب جمع من الإمامية رضوان الله عليهم في الاحباط وإن شئت مزيد تحقيق في الباب فراجع كتاب بحار الانوار ج ١٥ : ص ١٦٩ .

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم أسوة بضم الألف حيث كان في جميع القرآن والباقون بكسر الألف وهما لغتان ومعناهنا قدوة.

[ **اللغة** ] النحب النذر قال بشر بن ابي حازم .

وَإِنِّي وَالْهِجَاءُ لِآلِ لَامٍ ... كَذَاتِ النَّحْبِ تُوفِي بِالنُّذُورِ

والنحب الموت قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ مَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَمَا ... قَضَىٰ نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرُ

وهوبر اسم رجل والنحب الخطر قال جرير :

بِطِخْفَةَ جَالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا ... عَشِيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَىٰ نَحْبٍ (١)

أي على خطر والنحبْ المد في السير يوماً وليلة .

[ **المعنى** ] ثم حثَّ سبحانه على الجهاد والصبر عليه فقال ﴿**لقد كان لكم**﴾ معاشر المكلفين ﴿**في رسول الله أسوة حسنة**﴾ أي قدوة صالحة يقال لي في فلان أسوة أي لي به اقتداء والأسوة من الإتساء كما ان القدرة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر والمعنى كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ انكسرت رباعيته وشجَّ حاجبه وقتل عمّه فواسكم مع ذلك بنفسه فهلاّ فعلتم مثل ما فعله هو وقوله لمن كان يرجو الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعني ان الأسوة برسول الله إنما تكون ﴿**لمن كان يرجوا الله**﴾ أي يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم عن ابن عباس وقيل معناه يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله ﴿**واليوم الآخر**﴾ عن مقاتل ﴿**وذكر الله كثيراً**﴾ أي ذكراً كثيراً وذلك ان ذاكر الله متّبع لأوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأحزاب فقال ﴿**ولما رأى المؤمنون**

(١) طخفة : اسم موضع . والمجالدة : المضاربة .

**الأحزاب﴾** أي ولمّا عاين المصدّقون بالله ورسوله الجماعة التي تحزَّبت على قتال النبي ﷺ مع كثرتهم **﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾** اختلف في معناه على قولين (أحدهما) ان النبي ﷺ كان قد اخبرهم انه يتظاهر عليهم الأحزاب ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبيَّن لهم مصداق قوله وكان ذلك معجزاً له **﴿وما زادهم﴾** مشاهدة عدوّهم **﴿إلا إيماناً﴾** أي تصديقاً بالله ورسوله **﴿وتسليماً﴾** لأمره عن الجبائي (والآخر) ان الله تعالى وعدهم في سورة البقرة بقوله **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا﴾** الى قوله **﴿إن نصر الله قريب﴾** **﴿ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوّهم فلما رأوا الأحزاب﴾** يوم الخندق قالوا هذه المقالة علما منهم انه لا يصيبهم إلا ما أصاب الأنبياء والمؤمنين قبلهم وزادهم كثرة المشركين تصديقاً ويقيناً وثباتاً في الحرب عن قتادة وغيره **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** أي بايعوا أن لا يفرّوا فصدَّقوا في لقائهم العدو **﴿فمنهم من قضى نحبه﴾** أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب وقيل قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع إلى ربه يعني من استشهد يوم أحد عن محمد بن إسحاق وقيل معناه قضى أجله على الوفاء والصدق عن الحسن وقال ابن قتيبة أصل النحب النذر وكان قوماً نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه إذا قتل وروي عن أنس بن مالك ان عمّه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن اول قتال قاتله رسول الله مع المشركين لئن أراني الله قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدَّم فلقيه سعد دون أحد فقال أنا معك قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنّا نقول فيه وفي اصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه **﴿ومنهم من ينتظر﴾** رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سعيد الخزامي عن عبد الأعلى عن حميد بن أنس وقال ابن إسحاق فنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصرة أو شهادة على ما مضى عليه اصحابه **﴿وما بدَّلوا تبديلاً﴾** أي ما غيَّروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غيَّر المنافقون قال ابن عباس من قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر واصحابه وقال الكلبي ما بدَّلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار وروي الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي (ع) قال فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأنا والله المنتظر وما بدَّلت تبديلاً **﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾** أي صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم **﴿ويعذب**

**المنافقين﴾** بنقض العهد **﴿إن شاء أو يتوب عليهم﴾** إن تابوا ويكون معناه انه سبحانه إن شاء قبل توبتهم واسقط عقابهم وإن شاء لم يقبل توبتهم وعذّبهم فإن اسقاط العذاب على المذهب الصحيح بالتوبة فتضل من الله تعالى لا يجب عقلاً وإنما علمنا ذلك بالسمع والاجماع على ان الله سبحانه يفعل ذلك فالآية قاضية بما يقتضيه العقل من الحكم ويؤكّد ذلك قوله **﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾** لأن المدح إنما يحصل إذا رحم سبحانه من يستحق العقاب ويغفر ما جاز له المؤاخذة به ولا مدح في مغفرة ورحمة من يجب عليه غفرانه ورحمته وقيل معناه ويعذّب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا عن الجبائي ثم عاد سبحانه إلى تعداد نعمه فقال **﴿وردَّ الله الذين كفروا﴾** يعني الأحزاب أبا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب **﴿بغيظهم﴾** أي بغمّهم الذي جاءوا به وحنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا و **﴿لم ينالوا خيراً﴾** أملوه وأرادوه من الظفر بالنبي والمؤمنين وإنما سمّاه خيراً لأن ذلك كان خيراً عندهم وقيل أراد بالخير المال كما في قوله وانه لحب الخير لشديد **﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾** أي مباشرة القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديد الباردة التي أزعجتهم عن أماكنهم وبما ارسل من الملائكة وبما قذف في قلوبهم من الرعب وقيل بعلي بن أبي طالب ( ع ) وقتله عمرو بن عبد ود وكان ذلك سبب هزيمة القوم عن عبد الله بن مسعود وهو المروي عن أبي عبد الله ( ع ) **﴿وكان الله قوياً﴾** أي قادراً على ما يشاء **﴿عزيزاً﴾** لا يمتنع عليه شيء من الأشياء وقيل قويّاً في ملكه وسلطانه عزيزاً في قهره وانتقامه.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ
مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ
وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

**[ اللغة ]** المظاهرة المعاونة وهي زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهيراً لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدتها صيصية يقال جذ الله صيصية فلان أي حصنة الذي يمتنع به وكل ما امتنع به فهو صيصية ومنه يقال لقرون البقر

والظباء صياصي ويقال ايضاً لشوكة الديك وشوكة الحايك صيصية قال «كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ آلْمُمَدَّدِ»(١) .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني قريظة فقال ﴿**وأنزل الذي ظاهروهم**﴾ أي عاونوا المشركين من الأحزاب ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ان لا ينصروا عليه عدوّاً من أهل الكتاب يعني من اليهود واتّفق المفسرون على انهم بنو قريظة إلا الحسن فإنه قال هم بنو النضير والأول أصح وأليق بسياق الآيات لأن بني النضير لم يكن لهم في قتال أهل الأحزاب شيء وكانوا قد انجلوا قبل ذلك ﴿**من صياصيهم**﴾ أي من حصونهم ﴿**وقذف في قلوبهم الرعب**﴾ أي القى في قلوبهم الخوف من النبي ﷺ واصحابه المؤمنين ﴿**فريقاً تقتلون**﴾ منهم يعني الرجال ﴿**تأسرون فريقاً**﴾ يعني الذراري والنساء ﴿**وأورثكم ارضهم**﴾ أي واعطاكم ارضهم ﴿**وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها**﴾ أي وأورثكم ارضاً لم تطؤوها بأقدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم وهي خيبر فتحها الله عليهم بعد بني قريظة عن ابن زيد ويزيد بن رومان ومقاتل وقيل هي مكة عن قتادة وقيل هي الروم وفارس عن الحسن وقيل هي كل ارض تفتح إلى يوم القيامة عن عكرمة وقيل هي ما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب عن أبي مسلم ﴿**وكان الله على كل شيء قديراً**﴾ ظاهر المعنى . . .

[**القصة**] روي الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال لما انصرف النبي ﷺ مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللّأمة(٢) واغتسل واستحم تبدّي له جبرائيل ( ع ) فقال عذيرك من محارب(٣) ألا اراك قد وضعت عنك اللّأمة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم ان رسول الله ﷺ عزم علينا ان لا نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله فليس علينا اثم وصلّى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلّوها حين جاءوا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين

---

(١) هذا عجز بيت لدريد بن صمة في قصيدة له يقولها في رثاء اخيه وصدره «نظرت اليه والرماح تنوشه» وفي اللسان «فجئت اليه والرماح. . . .» وتنوشه : اي تتنازله من قريب شبه وقوع الرماح على أخيه بوقوع شوك النساج في نسيجه.

(٢) اللامة : الدرع وقيل السلاح .

(٣) عذيرك من فلان أي هات من يعذرك فيه، فعيل بمعنى فاعل.

وذكر عروة انه بعث علي بن ابي طالب (ع) على المقدم ودفع اليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم فمرّ على مجلس من الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا انه قال مرَّ بكم الفارس آنفاً فقالوا مرَّ بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك بدحية ولكنّه جبرائيل (ع) ارسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قالوا وسار علي (ع) حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال اظنّك سمعت لي منهم اذى فقال نعم يا رسول الله فقال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولاً وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان فلما ايقنوا ان رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلالاً ثلاثا فخذوا ايّها شئتم قالوا ما هنَّ قال نبايع هذا الرجل ونصدقّه فوالله لقد تبيَّن لكم انه نبيٌّ مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم واموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ابداً ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم علي هذا فهلمّوا فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمّنا وان نظهر لنجدنّ النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال فإذا ابيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا فعلّنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتّنا ونحدث فيها ما احدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً قال الزهري وقال رسول الله ﷺ حين سألوه ان يحكم فيهم رجلاً اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل في قبته وامر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال للانصار انكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار فكبّر رسول الله وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وفي بعض الروايات لقد حكمت فيهم

بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وارقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم وكانوا فيما زعموا ست مائة مقاتل وقيل قتل منهم اربع مائة وخمسين رجلاً وسبى سبعمائة وخمسين وروي انهم قالوا لكعب بن اسد وهمّ يذهب بهم الى رسول الله ﷺ ارسالاً يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب أفي كل موطن تقولون الا ترون ان الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتى بحيي بن اخطب عدوّ الله عليه حلّة فاختية قد شقّها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ﷺ فقال اما والله مالمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسّم رسول الله ﷺ نساءهم وابناءهم واموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً قالوا فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد وروي عن جابر بن عبد الله قال جاء جبرائيل (ع) إلى رسول الله ﷺ فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له ابواب السماء وتحرّك له العرش فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون والتشديد العذاب بالنصب وقرأ ابو

جعفر وأهل البصرة يضعف بالياء والتشديد العذاب بالرفع والباقون يضاعف بالياء والألف وفتح العين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ومن يقنت ويعمل صالحاً يؤتها الجميع بالياء وقرأ روح وزيد من تأت ومن تقنت وتعمل كلها بالتاء نؤتها بالنون والباقون من يات ومن يقنت بالياء وتعمل بالتاء ونؤتها بالنون .

[ **الحجة** ] قال أبو علي ضاعف وضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل اسند الفعل الى العذاب ومن قرأ بكسر العين فالفعل مسند إلى ضمير اسم الله تعالى ومعنى يضاعف لها العذاب ضعفين انها لما تشاهد من الزواجر الرادعة عن مواقعة الذنوب ينبغي ان يمتنع منها اكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك وقال يضاعف لها العذاب فعاد الضمير إلى معنى من دون لفظه ولو عاد على لفظه لذكّره ومن قرأ يقنت بالياء فلأن الفعل مسند إلى ضمير من ولم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دلَّ على ان الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنَّث وكذلك قوله من آمن بالله ثم قال فلا خوف عليهم ومن قرأ كل ذلك بالياء فإنه حمل على اللفظ دون المعنى ومن قرأ من تأت بالتاء حمل على المعنى فكأنه قال أيّة امرأة منكن اتت بفاحشة أو تأت بفاحشة ومثله في الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه ومنهم من يستمعون اليك وقول الفرزدق .

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ(١)

أي مثل اللذين يصطحبان قال ابن جني ان تكون من هنا على الصلة اولى من ان تكون على الصفة .

[ **اللغة** ] الضعف مثل الشيء الذي يضمّ اليه يقال ضاعفته أي زدت عليه مثله ومنه الضعف وهو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوة .

[ **النزول** ] قال المفسّرون ان ازواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً فنزلت آية التخيير وهو قوله قل لأزواجك وكُنَّ يومئذ تسعاً عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أميةفهؤلاء من قريش وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت

---

(١) تعش امر من تعشى : اكل العشاء وفي رواية سيبويه في الكتاب ج ١ ص ٤٠٤ «تعال» مكان «تعيش» وهذا البيت من أبيات قالها في وصف ذئب اتاه ليلاً في بعض اسفاره لما رأى ناره ثم رمى اليه وكان يخاطبه ويقول له : فان عاهدتني لا تؤذيني نكن كالرجلين المصطحبين اي كالصاحبين بأن لا تؤذيني ولا او.

الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وروى الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالساً مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلاً قالت نعم فأرسل الى عمر فلما ان دخل عليهما قال لها تكلّمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقّاً فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبي ﷺ كفّ فقال عمر يا عدوة الله النبي لا يقول إلا حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغدّى ويتعشّى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

[ المعنى ] ثم عاد سبحانه إلى ذكر نساء النبي ﷺ فقال مخاطباً لنبيّه ﷺ آمراً له أن يخيّر ازواجه فقال ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها**﴾ أي سعة العيش في الدنيا وكثرة المال﴿**فتعالين أمتعكن**﴾ أي اعطكن متعة الطلاق وقد مرَّ بيانها في سورة البقرة وقيل امتعكن بتوفير المهر ﴿**واسرحكن**﴾ اي اطلقكن ﴿**سراحاً جميلاً**﴾ والسراح الجميل الطلاق من غير خصومة ولا مشاجرة بين الزوجين ﴿**وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة**﴾ أي وان اردتن طاعة الله وطاعة رسوله والصبر على ضيق العيش والجنة ﴿**فإن الله أعد للمحسنات**﴾ اي العارفات المريدات الإحسان المطيعات له ﴿**منكن أجراً عظيماً**﴾ واختلف في هذا التخيير فقيل انه خيرّهنّ بين الدينا والآخرة فإن هنَّ اخترن الدنيا ومحبتها استأنف حينئذ طلاقهن بقوله امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً عن الحسن وقيل خيرّهن بين الطلاق والمقام معه عن مجاهد والشعبي وجماعة من المفسرين واختلف العلماء في حكم التخيير على اقوال (أحدها) ان الرجل إذا خيرَّ امرأته فاختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها تقع تطليقة واحدة وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود واليه ذهب أبو حنيفة واصحابه (وثانيها) انه إذا اختارت نفسها تقع ثلاث تطليقات وإن اختارت زوجها تقع واحدة وهو قول زيد بن ثابت واليه ذهب مالك (وثالثها) انه ان نوى الطلاق كان طلاقاً وإلا فلا وهو مذهب الشافعي (ورابعها) انه لا يقع بالتخيير طلاق وإنما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة ولو اخترن انفسهن لمّا خيَّرهن لبنَّ منه فأما غيره فلا يجوز له ذلك وهو المروي عن ائمتنا (ع) ثم خاطب سبحانه نساء النبي ﷺ فقال ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة**﴾ اي بمعصية ظاهرة ﴿**يضاعف لها العذاب**﴾ في الآخرة ﴿**ضعفين**﴾ اي مثلي ما يكون على غيرهنّ وذلك لأن نعم الله سبحانه عليهن اكثر لمكان النبي ﷺ منهن ولنزول الوحي في بيوتهن فإذا كانت النعمة عليهن اعظم واوفر كانت المعصية منهن افحش والعقوبة بها اعظم واكثر وقال ابو عبيدة الضعفان ان يجعل الواحد ثلاثة فيكون عليهن ثلاثة حدود لأن ضعف

الواحد مثله وضعفي الشيء مثلاه وقال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى انها يزاد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله نؤتها أجرها مرتين **﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾** اي كان عذابها على الله هيّنا عن مقاتل **﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾** اي ومن يطع الله ورسوله والقنوت الطاعة وقيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله ولرسوله ومنه القنوت في الصلاة وهو المداومة على الدعاء المعروف **﴿وتعمل صالحاً﴾** فيما بينها وبين ربّها **﴿نؤتها أجرها مرتين﴾** أي نؤتها ثوابها مثلي ثواب غيرها وروى ابو حمزة الثمالي عن زيد بن علي (ع) انه قال اني لأرجو للمحسن منّا أجرين وأخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبي ﷺ وروى محمد بن ابي عمير عن إبراهيم ابن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال له رجل انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال نحن احرى ان يجزي فينا ما أجرى الله في ازواج النبي ﷺ من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين **﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾** أي عظيم القدر رفيع الخيار وقيل ان الرزق الكريم ما سلم من كل آفة وقيل هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ
وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ
وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ
ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الباقون وهبيرة عن حفص عن عاصم وقرن بكسر القاف وفي الشواذ قراءة الأعرج وابان بن عثمان فيطمع الذي بكسر العين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قوله وقِرْنَ لا يخلو أما أن يكون من القرار أو من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عِدن وكِلن مما يحذف فيه الفاء وهي واو فيبقى من الكلمة عِلْنَ وإن كان من القرار فيكون الأمر اقررن فيبدل من العين الياء كراهة التضعيف كما أبدل في قيراط ودينار فيصير لها حرَكة الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركة على الفاء فتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركة الراء كانت كسرة في تقرأ لا ترى أن القاف متحرك بها وأما من فتح فقال قَرْنَ فمن لم يجز قررت بالمكان أقر وإنما يقول قررَت أقِرُّ فإن فتح الفاء عنده لا يجوز ومن أجاز ذلك جاز على قوله قرن كما جاز قرن وهي لغة حكاها الكسائي وقال أبو عثمان يقال قررت به عيناً أقر ولا يقال قررت في هذا المعنى وقررت في المكان فأنا أقر فيه يقال قررت في هذا المعنى ومن قرأ فيطمع الذي بالكسر فهو معطوف على فلا تخضعن أي فلا يطمع الذي في قلبه مرض فكلاهما منهي عنه إلا أن النصب أقوى لأنه يكون بمعنى أن طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول وإذا كان عطفاً كان نهياً لهن وله وليس فيه دليل على أن الطمع واقع من أجلهن .

[ **اللغة** ] التبرج إظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج وهو السعة في العين وطعنة برجاء واسعة وفي أسنانه برج إذا تفرق ما بينها .

[ **الإعراب** ] قوله ليذهب اللام يتعلق بمحذوف تقديره وإرادته ليذهب ويجوز أن يتعلق بيريد . أهل البيت منصوب على المدح تقديره أعني أهل البيت ويجوز أن يكون منادى مضافاً ويجوز في العربية جرّ اللام ورفعها فالجرّ على أن يكون بدلاً من كم والرفع

على المدح .

[ **المعنى** ] ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء** ﴾ قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لأن أحداً للنفي العام وقال ابن عباس معناه ليس قدركنّ عندي كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم عليَّ فأنا بكنَّ أرحم وثوابكنَّ أعظم لمكانكنَّ من رسول الله ﷺ﴿ **إن اتقيتنَّ** ﴾ الله شرط عليهن التقوى ليبيّن سبحانه أن فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ ﴿ **فلا تخضعن بالقول** ﴾ أي لا ترققن القول ولا تلنَّ الكلام للرجال ولا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدّي إلى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال ﴿ **فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾ أي نفاق وفجور عن قتادة وقيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة وقيل أن المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة ﴿ **وقلن قولاً معروفاً** ﴾ أي مستقيماً جميلاً بريئاً من التهمة بعيداً من الريبة موافقاً للدين والإسلام ﴿ **وقرن في بيوتكن** ﴾ أمرهنَّ بالاستقرار في بيوتهن والمعنى اثبتن في منازلكن والزمنها وإن كان من وقر يقر فمعناه كنَّ أهل وقار وسكينة ﴿ **ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى** ﴾ أي لا تخرجن على عادة النساء اللآتي في الجاهلية ولا تظهرن زينتكنَّ كما كنَّ يظهرن ذلك وقيل التبرج التبختر والتكبّر في المشي عن قتادة ومجاهد وقيل هو أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشدّه فتواري قلائدها وقرطيها فيبدو ذلك منها عن مقاتل والمراد بالجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتادة وقيل ما كان بين آدم (ع ) ونوح (ع ) ثمان مائة سنة عن الحكم وقيل ما بين عيسى ومحمد عن الشعبي قال وهذا لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخّر عنه غيره أو لم يتأخر وقيل أن معنى تبرج الجاهلية الأولى أنهم كانوا يجوّزون أن تجمع امرأة واحدة زوجاً وخِلاّ فتجعل لزوجها نصفها الأسفل ولخلّها نصفها الأعلى يقبّلها ويعانقها ثم قال ﴿ **وأقمن الصلاة** ﴾ أي أدّينها في أوقاتها بشرائطها ﴿ **وآتين الزكاة** ﴾ المفروضة في أموالكن ﴿ **وأطعن الله ورسوله** ﴾ فيما يأمرانكنَّ به وينهانكنَّ عنه ثم قال عز وجل ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتاً ولهذا سمّوا الأنساب بيوتاً وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال :

أَلا يا بَيْتُ بِالعَلْياءِ بَيْتُ ... وَلَوْلا حُبُّ أَهْلِكَ ما أَتَيْتُ[1]

(١) العلياء : رأس الجبل. المكان العالي .

أَلا يَا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُونِي ... كَأَنِّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب قال الفرزدق :

بَيْتُ زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ... وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو ٱلفَوَارِسِ نَهْشَلُ[1]
لا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أَبَداً إِذَا عُدَّ ٱلفِعَالُ الأَكْمَلُ

وقيل البيت بيت الحرام وأهله هم المتقون على الإطلاق لقوله أن أولياؤه إلا المتقون وقيل البيت مسجد رسول الله ﷺ وأهله من مكّنه رسول الله ﷺ فيه ولم يخرجه ولم يسدَّ بابه وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا ﷺ ثم اختلفوا فقال عكرمة أراد أزواج النبي لأن أول الآية متوجّه إليهنَّ وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وعائشة وأم سلمة أن الآية مختصة برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة (ع) الى النبي ﷺ تحمل حريرة لها فقال ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساءً له خيبرياً فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً فقلت يا رسول الله وأنا معهم قال أنت إلى خير وروى الثعلبي في تفسيره أيضاً بالإسناد عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ( ع ) ببُرمة[2] فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى ﴿ إنما يريد الله ﴾ الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثم أخرج يده فألوى يده بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فأدخلت رأسي البيت وقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير أنك إلى خير وبإسناده قال مجمع دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي أرأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدراً من الله فسألتها عن علي ( ع ) فقالت تسأليني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ( ع ) وجمع رسول الله ﷺ بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت فقلت يا رسول الله أنا من أهلك قال تنحّي فإنك إلي خير وبإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في خمسة فيَّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ( ع ) وأخبرنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن أبي

---

(١) الاحتباء هو أن يجمع بين ظهره وساقيه بثوب ونحوه .

(٢) البرمة : القدر من الحجر .

بكر السبيعي قال حدثنا أبو عروة الحراني قال حدثنا ابن مصغي قال حدثنا عبد الرحيم بن واقد عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قالت نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وليست في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين (ع) وعليّ (ع) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فقال النبي ﷺ اللهم هؤلاء أهلي وحدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم بإسناده عن زاذان عن الحسن بن علي (ع) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ وإياه في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب وفيما أوردناه كفاية واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة(ع) بأن قالوا إن لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندي درهم وإنما في الدار زيد يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير واذهاب الرجس ولا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح في الإرادة المجردة فثبت الوجه الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح وقد علمنا أن من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم ومتى قيل أن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ معناه واشكرن الله تعالى إذ صيركنَّ في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة عن قتادة وقيل اذكرن أي احفظن ذلك وليكن منكنَّ على بال أبداً لتعملن بموجبه وهذا حثّ لهنَّ على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهنَّ بهما والخطاب وإن اختص بهنَّ فغيرهنَّ يشاركهن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن والسنة ﴿ **إن الله كان لطيفاً** ﴾ بأوليائه ﴿ **خبيراً** ﴾ بجميع خلقه وقيل لطيفاً في تدبير خلقه وإيصال المنافع إليهم خبيراً بما يكون منهم ومصالحهم ومفاسدهم فيأمرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم قال مقاتل بن حيان لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (ع) دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار فقال ﷺ وممَّ ذلك قالت لإنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه

الآية ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾ أي المخلصين الطاعة لله والمخلصات من قوله ورجلاً سلماً لرجل أي خالصاً وقيل معناه إن الداخلين في الإسلام من الرجال والنساء وقيل يعني المستسلمين لأوامر الله والمنقادين له من الرجال والنساء ﴿ **والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ أي والمصدقين بالتوحيد والمصدقات والإسلام والإيمان واحد عند أكثر المفسرين وإنما كرّر لاختلافَ اللفظين وقيل انهما مختلفان فالإسلام الاقرار باللسان والإيمان التصديق بالقلب ويعضده قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقيل الإسلام هو اسم الدين والإيمان التصديق به قال البلخي فسّر رسول الله ﷺ المسلم والمؤمن بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمن جاره بوائقه[1] وما آمن بي من بات شبعان وجاره طاوٍ[2] ﴿ **والقانتين والقانتات** ﴾ يعني الدائمين على الأعمال الصالحات والدائمات وقيل يعني الداعين والداعيات ﴿ **والصادقين** ﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرّهم ﴿ **والصادقات والصابرين** ﴾ على طاعة الله وعلى ما ابتلاهم الله به ﴿ **والصابرات والخاشعين** ﴾ أي المتواضعين الخاضعين لله تعالى ﴿ **والخاشعات** ﴾ وقيل معناه والخائفين والخائفات ﴿ **والمتصدقين** ﴾ أي المخرجين الصدقات والزكوات ﴿ **والمتصدقات والصائمين** ﴾ لله تعالى بنيّة صادقة ﴿ **والصائمات والحافظين فروجهم** ﴾ من الزنا وارتكاب الفجور ﴿ **والحافظات** ﴾ فروجهن فحذف لدلالة الكلام عليه ﴿ **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات** ﴾ الله كثيراً وحذف أيضاً للدلالة عليه ﴿ **أعدَّ الله لهم** ﴾ أي لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات والخصال ﴿ **مغفرة** ﴾ لذنوبهم ﴿ **وأجراً عظيماً** ﴾ في الآخرة وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضّئا وصليّا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال من بات على تسبيح فاطمة (ع) كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ

(١) أي غوائله وشروره واحدها بائقة وهي الداهية (٢) طوى يطوى بمعنى جاع فهو طاو أي خالي البطن جائع .

عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾
مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ
رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ
حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة وهشام أن يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ عاصم وحده وخاتم النبيين بفتح التاء والباقون بكسرها .

[ **الحجة** ] قال أبو علي التذكير والتأنيث حسنان وهذه الآية تدل على أن ما في قوله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة نفي وليست بموصولة ومن كسر التاء من خاتم فإنه ختمهم فهو خاتمهم ومن فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبي بعده قال الحسن خاتم الذي ختم به قال المبرد خاتم فعل ماض على فاعل وهو في معنى ختم النبيين ونصب النبيين على هذا الوجه بأنه مفعول به وفي حرف عبد الله ولكن نبياً وختم النبيين .

[ **اللغة** ] قال الزجاج الخيرة التخيير وقال علي بن عيسى الخيرة إرادة اختيار الشيء على غيره والوطر الأرب والحاجة وقضاء الشهوة قال :

وَكَيْفَ ثَوَائِي فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَراً مِنْها جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ(١)

(١) ثوى ثواءاً بالمكان وفيه : أقام .

قال الخليل الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره وأربه .

[ **الإعراب** ] سنة الله منصوب على المصدر تقديره سنَّ الله له سنة. الذين يبلّغون يجوز أن يكون رفعاً على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله ويجوز أن يكون نصباً على أعني الذين. ولكن رسولَ الله تقديره ولكن كان رسولَ الله وكان خاتمَ النبيين ولو قرىء رسولُ الله وخاتمُ النبيين بالرفع لجاز أي ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين

[ **النزول** ] نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت أنا ابنة عمتك فلم أكن لأفعل وكذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزل ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** ﴾ الآية يعني عبد الله بن جحش واخته زينب فلما نزلت الآية قالت رضيت يا رسول الله وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً مهراً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقالت زينب خطبني عدة من قريش فبعثت أختي حمنة بنت جحش إلى رسول الله ﷺ أستشيره فأشار بزيد فغضبت أختي وقالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم أعلمتني فغضبت أشدّ من غضبها فنزلت الآية فأرسلت إلى رسول الله ﷺ وقلت زوِّجني ممَّن شئت فزوَّجني من زيد وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت وزوَّجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوَّجنا عبده فنزلت الآية عن ابن زيد وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أن رسول الله ﷺ كان شديد الحبّ لزيد وكان إذا أبطأ عليه زيد أتى منزله فيسأل عنه فأبطأ عليه يوماً فأتي رسول الله ﷺ منزله فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها[1] قال فدفع رسول الله ﷺ الباب فلما نظر إليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله أحسن الخالقين ورجع فجاء زيد وأخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقعت في قلب رسول الله ﷺ فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ فقالت أخشى إن تطلقني ولا يتزوجني فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ تمام القصة فنزلت الآية وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه الآية .

(١) الفهر: الحجر قدر ما يدق به الجوز أو يملأ الكف .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر نساء النبي ﷺ عقَّبه سبحانه بذكر زيد وزوجته فقال ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله** ﴾ أي إذا أوجب الله ورسوله ﴿ **أمراً** ﴾ وألزماه وحكما به ﴿ **أن يكون لهم الخيرة** ﴾ أي الاختيار ﴿ **من أمرهم** ﴾ على اختيار الله تعالى والمعنى أن كل شيء أمر الله تعالى به أو حكم به فليس لأحد مخالفته وترك ما أمر به إلى غيره ﴿ **ومن يعص الله ورسوله** ﴾ فيما يختاران له ﴿ **فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ أي ذهب عن الحق ذهاباً ظاهراً ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿ **وإذ تقول** ﴾ أي واذكر يا محمد حين تقول ﴿ **للذي أنعم الله عليه** ﴾ بالهداية إلى الإيمان ﴿ **وأنعمت عليه** ﴾ بالعتق وقيل أنعم الله عليه بمحبة رسوله وأنعم الرسول عليه بالتبني عن السدي والثوري وهو زيد بن حارثة ﴿ **أمسك عليك زوجك** ﴾ يعني زوجك زينب تقول أحبسها ولا تطلقها وهذا الكلام يقتضي مشاجرة جرت بينهما حتى وعظه الرسول وقال له أمسكها ﴿ **واتق الله** ﴾ في مفارقتها ومضارتها ﴿ **وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشيه** ﴾ والذي أخفاه في نفسه هو أنه أن طلَّقها زيد تزوَّجها وخشي لائمة الناس أن يقولوا أمره بطلاقها ثم تزوّجها وقيل أن الذي أخفاه في نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلّقها فلما جاء زيد وقال له أريد أن أطلق زينب قال له أمسك عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت امسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك روي ذلك عن علي بن الحسين ( ع ) وهذا التأويل مطابق لتلاوة الآية وذلك أنه سبحانه أعلم أنه يبدي ما أخفاه ولم يظهر غير التزويج قال زوَّجناكها فلو كان الذي أضمره محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر الله تعالى ذلك مع وعده بأنه يبديه فدلَّ ذلك على أنه إنما عوتب على قوله أمسك عليك زوجك مع علمه بأنها ستكون زوجته وكتمانه ما أعلمه الله به حيث استحيا أن يقول لزيد أن التي تحتك ستكون امرأتي قال البلخي ويجوز أن يكون أيضاً على ما يقولونه أن النبي استحسنها فتمنى أن يفارقها زيد فيتزوجها وكتم ذلك لأن هذا التمني قد طبع عليه البشر ولا حرج على أحد في أن يتمنى شيئاً استحسنه وقيل أنه إنما أضمر أن يتزوجها أن طلقها زيد من حيث أنها كانت ابنة عمته فأراد ضمّها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه عن الجبائي قال فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره من إيثار ضمها إلى نفسه ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه ولهذا المعنى قال ﷺ لأصحابه يوم فتح مكة وقد جاءه عثمان بعبد الله بن سعد بن أبي سرح يستأمنه منه وكان ﷺ قبل ذلك قد أهدر دمه وأمر بقتله فلما رأى عثمان استحيا من ردّه وسكت طويلاً ليقتله بعض المؤمنين ثم آمنه بعد تردد المسألة من عثمان وقال أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله إن عيني ما زالت في عينك انتظار

أن تؤمي إليّ فأقتله فقال أن الأنبياء لا تكون لهم خائنة أعين فلم يستحب الإشارة إلى قتل كافر وإن كان مباحاً وقيل كان النبي ﷺ يريد أن يتزوج بها إذا فارقها ولكنّه عزم أن لا يتزوجها مخافة أن يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس ولم يرد بقوله ﴿ والله أحق أن تخشاه خشية التقوى ﴾ لأنه ﷺ كان يتقي الله حق تقاته ويخشاه فيما يجب أن يخشى فيه ولكنه أراد خشية الاستحياء لأن الحياء كان غالباً على شيمته الكريمة ﷺ كما قال سبحانه ﴿ ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ﴾ وقيل أن زينب كانت شريفة فزوَّجها رسول الله ﷺ من زيد مولاه ولحقها بذلك بعض العار فأراد ﷺ أن يزيدها شرفاً بأن يتزوجها لأنه كان السبب في تزويجها من زيد فعزم أن يتزوج بها إذا فارقها وقيل أن العرب كانوا ينزلون الادعياء منزلة الأبناء في الحكم فأراد ﷺ أن يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية فكان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس أنه تزوَّج بامرأة ابنه ويقرفونه بما هو منزَّه عنه ولهذا قال أمسك عليك زوجك عن أبي مسلم ويشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطراً ﴾ ومعناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلَّقها وانقضت عدتها ولم يكن في قلبه ميل إليها ولا وحشة من فراقها فإن معنى القضاء هو الفراغ من الشيء على التام زوجناكها أي أذنا لك في تزويجها وإنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين حتى لا يكون عليهم إثم في أن يتزوّجوا أزواج أدعيائهم الذين تبنوهم إذا قضى الادعياء منهن حاجتهم وفارقوهن فبيَّن سبحانه أن الغرض في ذلك أن لا يجري المتبنى في تحريم امرأته إذا طلَّقها على المتبني مجرى الإبن من النسب والرضاع في تحريم امرأته إذا طلقها على الأب ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي كائناً لا محالة وفي الحديث أن زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي وتقول زوَّجني الله من النبي وأنتن إنما زوَّجكنَّ أولياؤكن وروى ثابت عن أنس بن مالك قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبشري قد أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن لقوله تعالى ﴿ زوجناكها ﴾ وفي رواية أخرى قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في نفسي حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أن رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل زوجناكها فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وعن الشعبي قال كانت زينب تقول

للنبي ﷺ إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدّي وجدّك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وأن السفير لي جبرائيل (ع) ثم قال سبحانه ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له** ﴾ أي ما كان على النبي من اثم وضيق فيما أحلَّ الله له من التزويج بامرأة الابن المتبنى وقيل فيما فرض وأوجب عليه من التزويج بها ليبطل حكم الجاهلية في الادعياء ﴿ **سنة الله في الذين خلوا من قبل** ﴾ أي كسنة الله في الأنبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في زوال الحرج عنهم وعن أممهم بما أحلَّ سبحانه لهم من ملاذهم وقيل في كثرة الأزواج كما فعله داود وسليمان (ع) وكان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقيل أشار بالسنة إلى أن النكاح من سنة الأنبياء كما قال النكاح من سنتي فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتي ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدورا** ﴾ أي كان ما ينزله الله على أنبيائه من الأمر الذي يريده قضاء مقضياً وقيل معناه جارياً على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة وقيل أن القدر المقدر هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان وعليه قول الشاعر :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا ٱلجَلالِ قَدْ قَدَرْ     فِي الصُّحُفِ الأُلَى الَّتِي كَانَ سَطَرْ

ثم وصف سبحانه الأنبياء الماضين واثنى عليهم فقال ﴿**الذين يبلّغون رسالات الله**﴾ اي يؤدّونها إلى من بعثوا اليهم ولا يكتمونها ﴿**ويخشونه**﴾ اي ويخافون الله مع ذلك في ترك ما أوجبه عليهم ﴿**ولا يخشون احداً إلا الله**﴾ ولا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالاداء والتبليغ وفي هذا دلالة على ان الأنبياء لا يجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة ومتى قيل فكيف ما قال لنبينا ﷺ وتخشى الناس فالقول انه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ وإنما خشي المقالة القبيحة فيه والعاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من اساءة الظنون به والقول السيء فيه ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف ﴿**وكفى بالله حسيباً**﴾ أي حافظاً لأعمال خلقه ومحاسباً مجازياً عليها ولمّا تزوَّج زينب بنت جحش قال الناس إن محمداً تزوج امرأة ابنه فقال سبحانه ﴿**ما كان محمد ابا أحد من رجالكم**﴾ الذين لم يلدهم وفي هذا بيان انه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمة لامرأته ولهذا اشار اليهم فقال من رجالكم وقد ولد له ﷺ اولاد ذكور إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر فكان اباهم وقد صحَّ انه قال للحسن ان ابني هذا سيد وقال ايضاً للحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا وقال ﷺ ان كل بني بنت ينتسبون الى أبيهم إلا اولاد فاطمة فإني أنا ابوهم وقيل اراد بقوله رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن

أحد من ابنائه رجلاً في ذلك الوقت ﴿ولكن رسول الله﴾ أي ولكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله تعالى بقول الجهال وقيل ان الوجه في اتصاله بما قبله انه اراد سبحانه ليس يلزم طاعته وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم ولمكان الأبوة بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوة ، ﴿وخاتم النبيين﴾ أي وآخر النبيين ختمت النبوّة به فشريعته باقية إلى يوم الدين وهذا فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختصَّ بها من بين سائر المرسلين فإن قيل ان اليهود يدعون في موسى مثل ذلك فالجواب ان بعض اليهود يدّعون ان شريعته لا تنسخ وهم مع ذلك يجوزون ان يكون بعده أنبياء ونحن إذا أثبتنا نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ لا يخفى عليه شيء من مصالح العباد وصحَّ الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال إنما مثلي في الانبياء كمثل رجل بني داراً فأكلها وحسنها موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر اليها قال ما احسنها إلا موضع هذه اللبنة قال ﷺ فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى
يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ
بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ
أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان

يجاهده وبخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل ثم اختلف في معنى الذكر الكثير فقيل هو أن لا ينساه ابداً عن مجاهد وقيل هو ان يذكره سبحانه بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به وقيل هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله اكبر على كل حال عن مقاتل وقد ورد عن أئمتنا (ع) انهم قالوا من قالها ثلاثين مرة فقد ذكر الله ذكراً كثيراً . وعن زرارة وحمران ابني اعين عن ابي عبد الله (ع) قال من سبَّح تسبيح فاطمة الزهراء (ع) فقد ذكر الله ذكراً كثيراً وروى الواحدي بإسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل (ع) إلى النبي ﷺ فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فإنَّ من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيراً وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرساً في الجنة وتحاتت[1] عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذّبه ﴿**وسبّحوه بكرة وأصيلاً**﴾ اي ونزّهوه سبحانه عن جميع مالا يليق به بالغداة والعشي والأصيل العشي وقيل يعني به صلاة الصبح وصلاة العصر عن قتادة صلاة الصبح وصلاة العشاء الآخرة خصَّهما بالذكر لأن لهما مزية على غيرهما من حيث أن ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيهما وقال الكلبي اما بكرة فصلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وسمى الصلاة تسبيحاً لما فيها من التسبيح والتنزيه ﴿**وهو الذي يصلّي عليكم وملائكته**﴾ الصلاة من الله تعالى المغفرة والرحمة سعيد بن جبير والحسن وقيل الثناء عن ابي العالية وقيل هي الكرامة عن سفيان واما صلاة الملائكة فهي دعاؤهم عن ابن عباس وابي العالية وقيل طلبهم انزال الرحمة من الله تعالى ﴿**ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾ اي من الجهل بالله سبحانه إلى معرفته فشبَّه الجهل بالظلمات وشبَّه المعرفة بالنور لأن هذا يقود الى الجنة وذلك يقود إلى النار وقيل من الضلالة إلى الهدى بالطافه وهدايته وقيل من ظلمات النار إلى نور الجنة ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾ خصَّ المؤمنين بالرحمة دون غيرهم لأنه سبحانه جعل الإيمان بمنزلة العلة في ايجاب الرحمة والنعمة العظيمة التي هو الثواب ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾ اي يحيّي بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات ولقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه وروي عن البراء بن عازب انه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلَّم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه ان يسلّم عليهم وملك الموت

(١) تحات الورق من الشجر: تناثر وتسا.

مذكور في الملائكة ﴿وأعدَّ لهم اجراً كريماً﴾ أي ثواباً جزيلاً ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾ على امتك فيما يفعلونه من طاعة أو معصية وإيمان او كفر لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ونجازيهم بحسبه ﴿ومبشراً﴾ اي ومبشّراً لمن اطاعني واطاعك بالجنة ﴿ونذيراً﴾ لمن عصاني وعصاك بالنار ﴿وداعياً﴾ أي وبعثناك داعياً إلى الله والاقرار بوحدانيته وامتثال اوامره ونواهيه ﴿بإذنه﴾ اي بعلمه وأمره ﴿وسراجاً منيراً﴾ يهتدي بك في الدين كما يهتدي بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله وإما لأنه سبب له فالقمر منير والسراج منيربهذا المعنى والله منير السماوات والأرض وقيل عنى بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج ﴿وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ زيادة على ما يستحقونه من الثواب ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ هو مفسَّر في اول السورة ﴿ودع اذيهم﴾ اي وأعرض عن اذاهم فإني سأكفيك امرهم إذا توكلت عليَّ وعملت بطاعتي فإن جميعهم في سلطاني بمنزلة ما هو في قبضة عبدي وقيل معناه كفّ عن اذاهم وقتالهم وذلك قبل ان يؤثر بالقتال عن الكلبي ﴿وتوكل على الله﴾ اي واسند امرك إلى الله ينصرك عليهم ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي كافياً ومتكفلاً بما يسند اليه .

[ النظم ] إنما اتصلت الآية بما تقدَّمها من قوله ولكن رسول الله فإنه منَّ عليهم به ثم امرهم بأن يشكروه على ذلك وقوله هو الذي يصلّي عليكم يتّصل بما قبله من الأمر بالذكر والتقدير ان الله عزَّ اسمه مع غناه عنكم يذكركم فأنتم اولى بأن تذكروه وتقبلوا عليه مع احتياجكم اليه وقيل انه سبحانه عدَّد نعمه على المؤمنين وعدَّد من جملتها صلاته عليهم ثم بيَّن ارساله النبي اليهم مع جلالة قدره وعلوّ أمره .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ
فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا
جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ
وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ

مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن والثقفي ان وهبت بفتح الألف .

[ **الحجة** ] قال ابن جني تقديره لأن وهبت نفسها أي انها تحل له من أجل ان وهبت نفسها له وليس يعني بذلك امرأة بعينها قد كانت وهبت نفسها له وإنما محصولة انه ان وهبت امرأة نفسها للنبي حلّت له من أجل هبتها إياه فالحل إنما هو مسبب عن الهبة متى كانت ويؤكدّ ذلك القراءة بالكسر فصحَّ به الشرط .

[ **الاعراب** ] العامل في الظرف من قوله إذا نكحتم ما يتعلق به لكم والتقدير إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن لم يثبت لكم عليهن عدة . مما أفاء الله عليك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف في قوله وما ملكت يمينك أي ما ملكته. إن وهبت نفسها للنبي جزاء شرط محذوف تقديره ان وهبت نفسها للنبي أحللناها له وجزاء الشرط الذي هو إن أراد النبي أن يستنكحها الشرط والجزاء المتقدم تقديره إن اراد النبي ان يستنكحها إن وهبت نفسها له احللناها له وان يستنكحها في موضع نصب بأنه مفعول اراد. خالصة لك نصب على الحال والهاء فيه للمبالغة .

[ **المعنى** ] ثم عاد سبحانه إلى ذكر النساء فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن**﴾ أي من قبل ان تدخلوا بهن ﴿**فمالكم عليهن من عدة تعتدونها**﴾ أي تستوفونها بالعدد وتحصون عليها بالاقراء وبالأشهر اسقط الله سبحانه العدة عن المطلقة قبل المسيس لبراءة رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها ﴿**فمتعوهن**﴾ قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمّى لها صداقاً فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه ولا تستحق المتعة وهو المروي عن أئمتنا (ع) فالآية محمولة عندنا على التي لم يسم لها مهراً فيجب لها المتعة ﴿**وسرّحوهنّ سراحاً جميلاً**﴾ أي طلّقوهن طلاقاً للسنة من غير ظلم عليهن عن الجبائي وقيل سرّحوهنّ عن البيت فإنه ليس عليها عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحاً جميلاً بغير

جفوة ولا أذية وقيل السراح الجميل هو رفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة عن حبيب بن أبي ثابت قال كنت قاعداً عند علي بن الحسين (ع) فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانه فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿**يا أيها النبي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**﴾ أي اعطيت مهورهن والإيتاء قد يكون بالاداء وقد يكون بالالتزام ﴿**وما ملكت يمينك**﴾ اي وأحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء﴿**مما أفاء الله عليك**﴾ من الغنائم والأنفال فكانت من الغنائم مارية القبطية أمّ ابنه ابراهيم ومن الأنفال صفية وجويرية اعتقهما وتزوجهما ﴿**وبنات عمك**﴾ أي واحللنا لك بنات عمك ﴿**وبنات عماتك**﴾ يعني نساء قريش ﴿**وبنات خالك وبنات خالاتك**﴾ يعني نساء بني زهرة ﴿**واللاّتي هاجرن معك**﴾ إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿**وامرأة مؤمنةإن وهبت نفسها للنبي**﴾ أي وأحللنا لك امرأة مصدقةبتوحيد الله تعالى وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة إن وهبت نفسها منك لا تحل لك ﴿**إن اراد النبي أن يستنكحها**﴾ أي آثر النبي ﷺ نكاحها ورغب فيها ﴿**خالصة لك من دون المؤمنين**﴾ اي خالصة لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال وهذا من خصائصه في النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة ولا ينعقد ذلك لأحد غيره واختلف في انه هل كانت عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها له أم لا فقيل انه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسيها له عن ابن عباس ومجاهد وقيل بل كانت عنده ميمونة بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي في رواية أخرى عن ابن عباس وقتادة وقيل هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الانصار عن الشعبي وقيل هي امرأة من بني أسد يقال لها أم شريك بنت جابر عن علي بن الحسين (ع) والضحاك ومقاتل وقيل هي خولة بنت حكيم عن عروة بن الزبير وقيل انها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله ﷺ وانك إن اطعت الله سارع في هواك ﴿**قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم**﴾ معناه قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين في ازواجهم من المهر والحضر بعدد محصور ووضعناه عنك تخفيفاً عنك ﴿**وما ملكت أيمانهم**﴾ أي وما أخذنا عليهم في ملك اليمين ان لا يقع لهم الملك إلا بوجوه معلومة من الشراء والهبة والإرث والسبي وأبحنا لك غير ذلك وهو الصفي الذي تصطفيه لنفسك من السبي وإنما خصّصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محاباة ولا جزاف ﴿**لكيلا يكون عليك حرج**﴾ أي ليرتفع عنك الحرج وهو الضيق والإثم ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ لذنوب عباده ﴿**رحيماً**﴾ بهم أو رحيماً بك في رفع الحرج عنك . .

۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ
وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ
كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ
لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ
إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا
طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا
سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟
أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن
تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ
عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

**القرآءة** ] قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر إلا الأعشى وعباس واهل المدينة ترجي بغير همز والباقون بالهمز وقرأ ابو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء والباقون بالياء وسهل ابو حاتم يخيرّ فيهما .

[ **الحجة** ] قال أبو علي جاء في هذا الحرف الهمز وغيره وكذلك ارجئه وارجه فالقراءة بكل واحد من الأمرين حسنة والتاء والياء في لا تحل حسنان لأن النساء تأنيثه غير حقيقي إنما هو تأنيث الجمع فالتأنيث حسن والتذكير كذلك.

[ **اللغة** ] الإرجاء هو التأخير ويكون من تبعيد وقت الشيء عن وقت غيره ومنه الإرجاء في فساق أهل الصلاة وهو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى والإيواء ضم القادر غيره من الأحياء هم الذين من جنس ما يعقل إلى ناحيته يقال آويت الإنسان آويه إيواء وأوى هو يأوي اويا إذا انضم إلى مأواه ويقال اني الطعام يأتي إنىً مقصوراً إذا بلغ حالة النضج وأدرك وقته وإذا فتح مدّ فقيل أَناءً قال الحطيئة «وَآنَيْتُ الْعَشاءَ إلىٰ سُهَيْلٍ * أَوَ الشِّعْرىٰ فَطَالَ بيَّ الأَناءُ»(١) والاستئناس ضد الاستيحاش والانس ضد الوحشة .

[ **الاعراب** ] ذلك أدنى ان تقرّ تقديره من أن تقرّ او إلى ان تقرّ اعينهن. كلهن تأكيد للضمير وهو النون في يرضين ولو نصب جاز على تأكيد قوله هنَّ في آتيتهن. غير ناظرين منصوب على الحال ولا مستأنسين معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله وتقديره ولا تدخلوا مستأنسين لحديث .

[ **النزول** ] نزلت الآية الأولى حين غار بعض امهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخيرهن بين الدنيا والآخرة وان يخلّي سبيل من اختار الدنيا ويمسك من اختار الله تعالى ورسوله على انهن امهات المؤمنين ولا ينكحن ابداً وعلى انه يؤوي من يشاء منهن ويرجي من يشاء منهن ويرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة او سوّى بينهن والأمر في ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذه من خصائصه ﷺ فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط فكان ﷺ يسوّي بينهن مع هذا إلا امرأة منهن أراد طلاقها وهي سودة بنت زمعة فرضيت بترك القسم وجعلت يومها لعائشة عن ابن زيد وغيره وقيل لما نزلت آية التخيير اشفقن ان يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك

(١) آنيت الشيء : أخرته .

ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت الآية وكان ممن ارجي منهن سودة وصفية وجويرية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين ونزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش وأولم عليها قال انس أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه امي أم سليم بحَيْس في تور(٢) من حجارة فأمرني رسول الله ﷺ ان ادعو اصحابه الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون قلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال ارفعواطعامكم فرفعوا طعامهم وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقام ﷺ وقمت معه لكي يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس وكان محبّاً لزينب وكان يكره أذي المؤمنين وقيل كان رسول الله ﷺ يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم فكره ﷺ ذلك فنزلت آية الحجاب عن مجاهد ونزل قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله إلى آخر الآية في رجل من الصحابة قال لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحنَّ عائشة بنت ابي بكر عن ابن عباس قال مقاتل وهو طلحة بن عبيد الله وقيل ان رجلين قالا أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه والله لئن مات لنكحنا نساءه وكان أحدهما يريد عائشة والآخر يريد أم سلمة عن أبي حمزة الثمالي .

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ يخيّره في نسائه فقال **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء﴾** أي تؤخر وتبعد من تشاء من ازواجك وتضم اليك من تشاء منهن واختلف في معناه على اقوال (أحدها) ان المراد تقدم من تشاء من نسائك في الايواء اليك وهو الدعاء إلى الفراش وتؤخر من تشاء في ذلك وتدخل من تشاء منهن في القسم ولا تدخل من تشاء عن قتادة قال وكان رسول الله ﷺ يقسم بين أزواجه وأباح الله له ترك ذلك (وثانيها) ان المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك اياها بلا تجديد عقد عن مجاهد والجبائي وابي مسلم (وثالثها) ان المراد تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء عن ابن عباس (ورابعها) ان المراد تترك نكاح من تشاء من نساء امتك وتنكح منهن من تشاء عن الحسن قال وكان ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره ان يخطبها حتى يتزوجها أو

---

(١)الحيس : تمر يخلط بسمن واقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم يندر نواه والتور: اناء صغير .

يتركها (وخامسها) تقبل من تشاء من المؤمنات اللآئي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء منهن فلا تقبلها عن زيد بن اسلم والطبري قال أبو جعفر وابو عبـد الله (ع) من ارجى لم ينكح ومن اوى فقد نكح **﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾** أي إن اردت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمّها اليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا أثم عليك في ابتغائها اباح الله سبحانه له ترك القسم في النساء حتى يؤخرّ من يشاء عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء في غير وقت نوبتها وله ان يعزل من يشاء وله ان يرد المعزولة ان شاء فضّله الله تعالى بذلك على جميع الخلق **﴿ذلك ادنى ان تقرَّ أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾** معناه انهن إذا علمن ان له ردّهن إلى فراشه بعدما اعتزلهن قرَّت اعينهن ولم يحزن ويرضين بما يفعله النبي ﷺ من التسوية والتفضيل لأنهنَّ يعلمن انهنَّ لم يطلّقن عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ذلك اطيب لنفوسهن واقل لحزنهن إذا علمن أنَّ لك الرخصة بذلك من الله تعالى ويرضين بما يفعله النبي ﷺ من التسوية والتفضيل عن قتادة وقرة العين عبارة عن السرور وقيل ذلك المعرفة منهن بأنك إذا عزلت واحدة كان لك ان تؤويها بعد ذلك ادنى بسرورهن وقرة اعينهن عن الجبائي وقيل معناه نزول الرخصة من الله تعالى اقرُّ لأعينهنَّ وادنى إلى رضاهنَّ بذلك لعلمهنَّ بما لهنَّ في ذلك من الثواب في طاعة الله تعالى ولو كان ذلك من قبلك لحزنَّ وحملن ذلك على ميلك إلى بعضهن **﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾** من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض **﴿وكان الله عليماً﴾** بمصالح عباده **﴿حليماً﴾** في ترك معاجلتهم بالعقوبة **﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾** أي من بعد النساء اللواتي احللناهن لك في قوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهنَّ الآية وهنَّ ستة اجناس النساء اللاتي آتاهن اجورهن اي اعطاهنَّ مهورهنَّ وبنات عمّه وبنات عمّاته وبنات خاله وبنات خالاته اللاّتي هاجرن معه ومن وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد ولا تحلّ له غيرهنَّ من النساء عن أبي بن كعب وعكرمة والضحاك وقيل يريد المحرمات في سورة النساء عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات **﴿ولا ان تبدّل بهنَّ﴾** ولا ان تبدل الكتابيات بالمسلمات لأنه لا ينبغي ان يكنَّ امهات المؤمنين **﴿إلا ما ملكت يمينك﴾** من الكتابيات فأحلَّ له ان يتسراهنَّ عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل معناه لا يحلُّ لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرّتهن فاخترن الله ورسوله وهنَّ التسع صرت مقصوراً عليهن وممنوعاً من غيرهنّ ومن ان تستبدل بهن غيرهن **﴿ولو اعجبك حسنهن﴾** أي وقع في قلبك حسنهن مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله عن الحسن والشعبي وقيل ان التي اعجبه حسنها اسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن ابي طالب عنها وقيل انه منع من

طلاق من اختارته من نسائه كما امر بطلاق من لم تختره فأما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك وقيل أيضاً إن هذه الآية منسوخة وابيح له بعدها تزويج ما شاء فروي عن عائشة انها قالت ما فارق رسول الله ﷺ الدنيا حتى حلّل له ما أراد من النساء وقوله ولا ان تبدّل بهنّ من ازواج فقيل ايضاً في معناه ان العرب كانت تتبادل بأزواجهم فيعطي احدهم زوجته رجلاً فيأخذ بها زوجة منه بدلا عنها فنهى عن ذلك وقيل في قوله ولو اعجبك حسنهن يعني إن اعجبك حسن ما حرم عليك من جملتهن ولم يحللن لك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ اي عالماً حافظاً عن الحسن وقتادة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه﴾ نهاهم سبحانه عن دخول دار النبي ﷺ بغير اذن وهو قوله إلا ان يؤذن لكم اي في الدخول يعني إلا ان يدعوكم إلى طعام فادخلوا غير ناظرين اناه اي غير منتظرين ادراك الطعام فيطول مقامكم في منزله والمعنى لا تدخلوا بغير اذن وقيل نضج الطعام انتظار لنضجه فيطول لبثكم ومقامكم ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ اي فإذا اكلتم الطعام فتفرّقوا واخرجوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي ولا تدخلوا فتقعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضاً ليؤنسه ثم بيّن المعنى في ذلك فقال ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم﴾ اي طول مقامكم في منزل النبي ﷺ يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أي لا يترك إبانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله وترك دخول بيته من غير اذن والامتناع عما يؤدّي إلى اذاه وكراهيته قالت عائشة يحسب الثقلاء ان الله سبحانه لم يحتملهم فقال فإذا طعمتم فانتشروا وقال بعض العلماء هذا أدب أدبَّ الله به الثقلاء ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب﴾ يعني فإذا سألتم ازواج النبي ﷺ شيئاً تحتاجون اليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل أمر الله المؤمنين ألا يكلّموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب وروى مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حَيْساً في قَعْب[1] فمرَّ بنا عمر فدعاه فأكل فأصابت اصبعه اصبعي فقال حَسٍّ[2] لو أُطاعُ فيكنَّ ما رأتكنَّ عين فنزل الحجاب ﴿ذلكم﴾ أي سؤالكم اياهن المتاع من وراء حجاب ﴿اطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الريبة ومن خواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال الى النساء والنساء إلى الرجال ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله﴾ اي ليس لكم ايذاء رسول الله ﷺ بمخالفة ما امر به في

---

(١) مرّ معنى الحيس قريباً. والقعب: القدح الضخم الغليظ.

(٢) حَسّ: كلمة يقولها الانسان عند التوجع مما أذاه مثل «أوّه».

نسائه ولا في شيء من الأشياء ﴿**ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً**﴾ أي من بعد وفاته المعنى ولا يحلّ لكم ان تزوّجوا واحدة من نسائه بعد مماته كما لا تحلّ لكم ان تؤذوه في حال حياته وقيل من بعده أي من بعد فراقه في حياته كما قال بئسما خلفتموني من بعدي ﴿**إن ذلكم كان عند الله عظيماً**﴾ اي ايذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنباً عظيم الموقع عند الله تعالى ﴿**إن تبدوا شيئاً أو تخفوه**﴾ أي تظهروا شيئاً أو تضمروه مما نُهيتم عنه من تزويجهنّ ﴿**فإن الله كان بكل شيء عليماً**﴾ من الظواهر والسرائر وهذا تهديد وروي عن حذيفة انه قال لامرأته تريدي أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها فلذلك حرَّم الله تعالى على ازواج النبي ﷺ ان يتزوجن بعده وروي عن النبي سئل عن المرأة تكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة فلأيّهما تكون قال لأحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله ﴿**لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء أخوانهن ولا ابناء اخواتهن**﴾ ان يروهن ولا يحتجبن عنهم ﴿**ولا نسائهن**﴾ قيل نريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود ولا النصارى فيصفن نساء رسول الله لأزواجهن إن رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء ﴿**ولا ما ملكت ايمانهن**﴾ يعني العبيد والإماء ﴿**واتقين الله**﴾ أي اتركن معاصية وقيل اتقين عقاب الله من دخول الأجانب عليكن ﴿**إن الله كان على كل شيء شهيداً**﴾ اي حفيظاً لا يغيب عنه شيء قال الشعبي وعكرمة وإنما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ
عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ
مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل
لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾
۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾
مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ
خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة الحسن فصلّوا عليه .

[ **الحجة** ] إنما جاز دخول الفاء لما في الكلام من معنى الشرط وذلك ان الصلاة إنما وجبت عليه منا لأن الله قد صلّى عليه وملائكته فجرى مجرى قول القائل قد اعطيتك فخذ أي إنما وجب عليك الأخذ من أجل العطية .

[ **اللغة** ] الجلبات خمار المرأة الذي يغطّي رأسها ووجهها إذا خرجت لحاجة والارجاف اشاعة الباطل للإغتمام به واصله الإضطراب ومنه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فارجاف الناس بالشيء اضطرابهم بالخوض فيه ومنه ترجف الراجفة والاغراء الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه يقال اغراه بالشيء اغراء فغري به أي اولع به .

[ **الاعراب** ] يدنين في موضع جزم بأنه جواب شرط مقدر وتقديره قل لأزواجك ادنين عليكن من جلابيبكن فإنك إن تقل ذلك يدنين. ملعونين نصب على الذم. أينما ثقفوا أخذوا شرط وجزاء وأين ظرف لثقفوا ومعمول له وإنما جاز ذلك لأن الجازم في الأصل ان المحذوفة فصار أينما يتضمنها فيغني عنها ويقوم مقامها ولا يجوز أن يعمل فيه أخذوا لأنه جواب الشرط ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط .

[ **المعنى** ] لمّا صدّر سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ وقرّر في اثناء السورة ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه فقال **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾** معناه إن الله يصلي على النبي ﷺ ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجّله بأعظم التبجيل وملائكته يصلّون عليه [ يثنون عليه ][1] بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء **﴿يا**

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين .

**أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾** قال أبو حمزة الثمالي حدّثني السدي وحميد بن سعد الأنصاري وبريد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنـك حميد مجيـد وبارك على محمدوآل‌محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (ث) عن عبد الله بن مسعود قال إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيـد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الدين وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه بـه الأولون والآخرون اللهم صل على محمـد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (ث) عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (ع) عن هذه الآية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تزكيته له في السماوات العلى فقلت قد عـرفت صلواتنا عليـه فكيف التسليم فقال هـو التسليم له في الامور فعلى هذا يكون معنى قوله وسلموا تسليماً انقادوا لأوامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع ما يأمركم به وقيل معناه سلموا عليـه بالـدعاء أي قـولوا السـلام عليك يـا رسول الله (الحديث) وحدث عن انس بن مالك عن أبي طلحة قال دخلت على النبي ﷺ فلم أره اشدّ استبشاراً منه يـومئذ ولا اطيب نفسـاً قلت يا رسـول الله ما رأيتـك قط اطيب نفساً ولا اشـد استبشاراً منك اليوم فقال وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبرائيل من عندي قال قال الله تعالى من صلّى عليك صلاة صلّيت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشـر حسنات **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾** قيل هم المنافقون والكافرون والذين وصفوا الله بما لا يليق به وكذبوا رسله وكذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يؤذون الله يخالفون أمره ويصفونه بما هو منزّه عنه ويشبّهونه بغيره فإن الله عزّ اسمه لا يلحقه اذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايذاء خوطبنا بما نتعارفه وقيل يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيـل معناه يؤذون رسول الله فقدَّم ذكر الله على وجه التعظيم إذ جعل اذى رسوله أذى له تشريفاً له وتكريماً فكأنه يقول لو جاز ان يناله اذى من شيء لكان ينالني من هذا واتصاله بما قبله انه كأنه يقول صلّوا عليه ولا تؤذوا فإن من آذاه فهو كافر ثم اوعد عليه بقوله **﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾** اي يبعدهم الله من رحمته ويحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا والخلود في النار في الآخرة **﴿واعدّ لهم﴾** في الآخرة **﴿عذاباً مهينـاً﴾** أي مذلاً لهم حـدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال

حدثنا احمد بن محمد بن ابي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن أحمد العجلي قال حدثنا عباد ابن يعقوب قال حدثنا ارطاة بن حبيب قال حدثنا أبو خالد الواسطي وهو اخذ بشعْره قال حدَّثني زيد بن علي بن الحسين (ع) وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن الحسن وهو آخذ بشعره قال حدثني الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره قال حدثني رسول الله ﷺ وهو آخذ بشعره فقال من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كتسبوا﴾ أي يؤذونهم من غير ان عملوا ما يوجب اذاهم ﴿فقد احتملوا بهتاناً﴾ أي فقد فعلوا ما هو اعظم الأثم مع البهتان وهو الكذب على الغير يواجهه به فجعل ايذاء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان وقيل يعني بذلك أذية اللسان فيتحقق فيها البهتان ﴿وأثماً مبيناً﴾ أي ومعصية ظاهرة قال قتادة والحسن اياكم واذى المؤمنين فإن الله تعالى يغضب له وقيل نزلت في قوم من الزناة كانوا يمشون في الطرقات ليلاً فإذا رأوا امرأة غمزوها وكانوا يطلبون الإماء عن الضحاك والسدي والكلبي ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن﴾ أي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة عن الحسن وقيل الجلباب مقنعة المرأة أي يغطين جباههنَّ ورووسهنَّ إذا خرجن لحاجة بخلاف الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباء عن ابن عباس ومجاهد وقيل أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة عن الجبائي وابي مسلم ﴿ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين﴾ أي ذلك اقرب إلى ان يعرفن بزيّهن انهنَّ حرائر ولسن بإماء فلا يؤذيهن اهل الريبة فإنهم كانوا يمازحون الإماء وربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحة الحرائر فإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهنَّ اماء فقطع الله عذرهم وقيل معناه ذلك اقرب الى ان يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق اذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها عن الجبائي ﴿وكان الله غفوراً﴾ أي ستاراً لذنوب عباده ﴿رحيماً﴾ بهم ثم اوعد سبحانه هؤلاء الفساق فقال ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ اي لئن لم يمتنع المنافقون ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ اي فجور وضعف في الإيمان وهم الذين لا دين لهم عما ذكرناه من مراودة النساء وايذائهن ﴿والمرجفون في المدينة﴾ وهم المنافقون ايضاً الذين كانوا يرجفون في المدينة بالاخبار الكاذبة المضعفة لقلوب المسلمين بأن يقولوا اجتمع المشركون في موضع كذا قاصدين لحرب المسلمين ونحو ذلك ويقولوا لسرايا المسلمين انهم قتلوا وهزموا وفي الكلام حذف وتقديره لئن لم ينته هؤلاء عن اذى المسلمين وعن الارجاف بما يشغل قلوبهم ﴿لنغرينك بهم﴾ اي لنسلِّطنَّك

عليهم يا محمد عن ابن عباس والمعنى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وقد حصل الإغراء بهم بقوله جاهد الكفار والمنافقين عن أبي مسلم وقيل لم يحصل الاغراء بهم لانهم انتهوا عن الجبائي قال ولو حصل الإغراء لقتلوا وشردوا واخرجوا عن المدينة ﴿**ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا**﴾ اي ثم لا يساكنونك في المدينة الا يسيراً وهو ما بين الأمر بالقتل وما بين قتلهم ﴿**ملعونين**﴾ أي مطرودين منفيين عن المدينة مبعدين عن الرحمة وقيل ملعونين على السنة المؤمنين ﴿**اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا**﴾ اي اينما وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا ابلغ القتل ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل**﴾ والسنة الطريقة في تدبير الحكم وسنة رسول الله ﷺ طريقته التي اجراها بأمر الله تعالى فأضيفت اليه ولا يقال سنته إذا فعلها مرة او مرتين لأن السنة الطريقة الجارية والمعنى سنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ اي تحويلاً وتغييراً اي لا يتهيأ لأحد تغييرها ولا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الذي لا يتهيأ لأحد منعه مما أراد فعله .

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّـاسُ
عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَـكُونُ
قَرِيبًـا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡـكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُـمۡ سَـعِيرًا ﴿٦٤﴾
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗـا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾
وَقَالُواْ رَبَّنَـآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّـبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾
رَبَّنَـآ ءَاتِهِـمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُـمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾
يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَـكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَـبَرَّأَهُ ٱللَّهُ
مِمَّـا قَالُواْۚ وَكَانَ عِنـدَ ٱللَّهِ وَجِيهٗـا ﴿٦٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر ويعقوب وسهل ساداتنا بالألف وكسر التاء والباقون سادتنا بغير الف وقرأ عاصم كبير بالباء والباقون كثيراً بالثاء وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر يوم تقلب وجوههم وقراءة ابن مسعود والأعمش وكان عبداً لله وجيهاً . .

[ **الحجة** ] قال أبو علي سادة فعلة مثل كتبة وفجرة قال:

سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٌ مِثْلُ ذَادَةٍ يَبُذُّونَ أَهْلَ ٱلجَمْعِ يَوْمَ ٱلمُحَصَّبِ(١)

ووجه الجمع بالاف والتاء انهم قد قالوا الطرقات والمعنات في المعن جمع معين قال الأعشى:

جُنْدُكَ التَّالِدُ الطَّرِيفُ مِنَ السَّا دَاتِ أَهْلُ ٱلقِبَابِ وَالآكَالِ(٢)

قال ابو الحسن هي غريبة والكبر مثل العظم والكثرة اشبه بالموضع لأنهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاءَ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالكثرة اشبه بالمرار المتكررة من الكبر وقوله يوم تقلّب وجوههم تقديره يوم تقلب السعير وجوههم نسب الفعل إلى النار لما كان التقليب فيها كما قال مكر الليل والنهار لوقوع المكر فيهما وعليه قول رؤبة «فَنَامَ لَيْلي وَتَجلّى هَمّي»(٣) وقوله عبداً لله وجيهاً لا يُهم منه وجاهته عند الله فقراءة الناس المشهورة اقوى منه لإسناده وجاهته إلى الله سبحانه . .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿**يسئلك**﴾ يا محمد ﴿**الناس عن الساعة**﴾ يعني القيامة ﴿**قل إنما علمها عند الله**﴾ لا يعلمها غيره ﴿**وما يدريك**﴾ يا محمد اي أيّ شيء يعلمك من امر الساعة ومتى يكون قيامها أي انت لا تعرفه ثم قال ﴿**لعل الساعة تكون قريباً**﴾ اي قريباً مجيئها ويجوز ان يكون امره ان يجيب كل من يسأله عن الساعة بهذا فيقول لعل ما تستبطئه قريب وما تنكره كائن ويجوز ان يكون تسلية له ﷺ اي فاعلم انه قريب فلا يضيقن صدرك باستهزائهم باخفائها ﴿**إن الله لعن الكافرين واعدَّ لهم تسلية له**﴾ أي ناراً تستعر وتلتهب ﴿**خالدين فيها ابداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً**﴾ اي ولياً ينصرهم يدفع عنهم ﴿**يوم تقلب**

(١) القروم هنا بمعنى السادات وبذّ القوم: سبقهم وغلبهم اي يسبقون اهل عرفات ومنى واراد بيوم المحصَّب يوم رمي الجمار في منى .

(٢) التالد: القديم. والطريف : الحديث والقباب جمع القبة. وآكال الجند أطماعهم. وفي بعض النسخ «جدك» بدل «جندك».

(٣) هذا عجزبيت وصدره «وكنت ذاهمّ وراعى نجم» وراع النجوم : راقبها وانتظر مغيبها.

وجوههم في النار﴾ العامل في يوم تقلب قوله واعدَّ لهم سعيراً والتقليب تصريف الشيء في الجهات ومعناه تقلب وجوه هؤلاء السائلين عن الساعة واشباههم من الكفار فتسودُّ وتصفر وتصير كالحة بعد ان لم تكن وقيل معناه تنقل وجوههم من جهة إلى جهة في النار فيكون ابلغ فيما يصل اليها من العذاب ﴿يقولون﴾ متمنّين متأسّفين ﴿يا ليتنا اطعنا الله﴾ فيما امرنا به ونهانا عنه ﴿واطعنا الرسولا﴾ فيما دعانا اليه ﴿وقالوا ربنا انا اطعنا﴾ فيما فعلناه ﴿سادتنا وكبرائنا﴾ والسد المالك المعظَّم الذي يملك تدبير السواد الأعظم وهو الجمع الأكثر قال مقاتل هم المُطعِمون في غزوة بدر[1] وقال طاوس هم العلماء والوجه ان المراد جميع قادة الكفر وائمة الضلال ﴿فأضلّونا السبيلا﴾ اي اضلّنا هؤلاء عن سبيل الحق وطريق الرشاد ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ بضلالهم في نفوسهم واضلالهم ايانا اي عذّبهم مثلي ما تعذب غيرهم ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ مرة بعد أخرى وزدهم غضباً إلى غضبك وسخطاً إلى سخطك ثم خاطب سبحانه المظهرين للإيمان فقال ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرَّأه الله مما قالوا﴾ اي لا تؤذوا محمداً ﷺ كما آذى بنو اسرائيل موسى فإن حق النبي ﷺ ان يعظمّ ويبجّل لا ان يؤذي واختلفوا فيما أوذي به موسى على اقوال (أحدها) ان موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل انت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا انه قد مات وبرّأه الله من ذلك عن علي ( ع ) وابن عباس واختاره الجبائي (وثانيها) ان موسى كان حييا ستيراً يغتسل وحده فقالوا ما يستتر منا إلا لعيب بجلده اما برص واما آدْرَة فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً فبرّأه الله مما قالوا رواه أبو هريرة مرفوعاً وقال قوم ان ذلك لا يجوز لأن فيه اشهار النبي وابداء سوأته على رؤوس الاشهاد وذلك ينفر عنه (وثالثها) ان قارون استأجر مُومِسة[2] لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمه الله تعالى من ذلك على ما مرَّ ذكره عن أبي العالية (ورابعها) انهم آذوه من حيث انهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعد مارأوا الآيات عن ابي مسلم ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ اي عظيم القدر رفيع المنزلة يقال وجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عندالله خطيراً لا يسأله شيئاً إلّا أعطاه .

(١) وهم على ما ذكره المؤرخون اثنا عشر نفراً من كبراء قريش : عباس بن عبد المطلب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبيّ ابن خلف : وحكيم بن حزام، ونضر بن الحارث، وزمعة بن الاسود، وأبو جهل وأبو البختري ابنا هشام وحارث بن عامر بن نوفل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فكل يوم كان كفيل اطعام جيش المشركين واحد منهم .

(٢) امرأة مومسة اي فاجرة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

[ المعنى ] ثم أمر الله سبحانه أهل الإيمان والتوحيد بالتقوى والقول السديد فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾** أي اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل واجباته **﴿وقولوا قولاً سديداً﴾** أي صواباً بريئاً من الفساد خالصاً من شائقة الكذب واللغو موافق الظاهر وللباطن وقال الحسن وعكرمة صادقاً يعني كلمة التوحيد لا إلّه إلا الله وقال مقاتل هذا يتصل بالنهي عن الايذاء أي قولوا قولاً صواباً ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يجمل ولا يليق به **﴿يصلح لكم أعمالكم﴾** معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يلطف لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفّقكم لما فيه الصلاح والرشاد وقيل معناه يزكّي أعمالكم ويتقبّل حسناتكم عن ابن عباس ومقاتل **﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾** باستقامتكم في الأقوال والأفعال **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** في الأوامر والنواهي **﴿فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** أي فقد أفلح افلاحاً عظيماً وقيل فقد ظفر برضوان الله وكرامته **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾** اختلف في معنى الأمانة فقيل هي ما أمر الله به من طاعته ونهى عنه من معصيته عن أبي العالية وقيل هي الأحكام والفرائض التي أوجبها الله تعالى على العباد عن ابن عباس ومجاهد وهذان القولان متقاربان وقيل هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فأولها إئتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده حين أراد التوجه إلى مكة عن أمر ربه فخان قابيل

إذ قتل هابيل عن السدي والضحاك واختلف في معنى عرض الأمانة على هذه الأشياء وقيل فيه أقوال ( أحدها ) ان المراد العرض على أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفه إياهم أنَّ في تضييع الأمانة الإثم العظيم وكذلك في ترك اوامر الله تعالى وأحكامه فبيَّن سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي واشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والجن والإنس **﴿فأبين أن يحملنها﴾** أي فأبى أهلهن أن يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها **﴿وأشفقن منها﴾** أي وأشفقن أهلهن من حملها **﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً﴾** لنفسه بارتكاب المعاصي **﴿جهولاً﴾** بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها عن أبي علي الجبائي وقال إذا لم يصح حمله على نفس السماوات والأرض والجبال فلا بدَّ أن يكون المراد به أهلها لأنَّه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لأن ذلك لا يصح إلا فيهم ولا بدَّ من أن يكون المراد يحمل الأمانة تضييعها لأن نفس الأمانة قد حملتها الملائكة وقامت بها قال الزجاج كل من خان الأمانة فقد حملها ومن لم يحمل الأمانة فقد أدّاها وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم قال الله سبحانه وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فقد أعلم الله سبحانه أنَّ من باء بالإثم يسمى حاملاً للإثم وهو قول الحسن لأنه قال الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خانا ولم يطيعا وأنشد بعضهم في حمل الأمانة بمعنى الخيانة قول الشاعر

إذا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدّي أَمانَةً وتَحْمِلُ أُخرىٰ أَفْرَحَتْكَ ٱلوَدائِعُ[(١)]

وأقول أن الظاهر لا يدل على ذلك لأنه لايجوز أن يكون المراد بالحمل هنا قبول الأمانة لأن الشاعر جعله في مقابلة الاداء فكأنه قال إذا كنت لا تزال تقبل أمانة وتؤدّي أخرى شغلت نفسك بقبول الودايع وأدائها فأثقلتك ( وثانيها ) ان معنى عرضنا عارضنا وقابلنا فإن عرض الشيء على الشيء ومعارضته به سواء والأمانة ما عهد الله سبحانه إلى عباده من أمره ونهيه وأنزل فيه الكتب وأرسل الرسل وأخذ عليه الميثاق والمعنى ان هذه الأمانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست بالسماوات والأرض والجبال وعورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح وأثقل وزناً ومعنى قوله فأبين أن يحملنها ضعفن عن حملها كذلك وأشفقن منها لأن الشفقة ضعف القلب ولذلك صار كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ثم قال ان هذه الأمانة التي من صفتها انها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلدها الإنسان فلم يحفظها بل

---

(١) فمعنى قوله « وتحمل اخرى » اي تخونها ولا تؤديها يدل على ذلك قوله « افرحتك الودائع » أي أثقلتك الامانات التي تخونها ولا تؤديها. وهذا احد المعنيين في البيت والمعنى الآخر ما ذكره المصنف ( ره) .

حملها وضيَّعها لظلمه على نفسه وجهله بمبلغ الثواب والعقاب عن أبي مسلم ( وثالثها ) انه على وجه التقدير إلا أنه أجري عليه لفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر. معناه لو كانت السماوات والأرض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين أصولاً وفروعاً وما ذكرناه من الأقاويل فيها بما فيها من الوعد والوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفاً من القصور عن اداء حقّها ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس انها عرضت على نفس السماوات والأرض فامتنعت من حملها ( ورابعها ) ان معنى العرض والإباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانة لا مخاطبة الجماد والعرب تقول سألت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب وانما هو اخبار عن الحال عبَّر عنه بذكر الجواب والسؤال وتقول أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال وقال سبحانه فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وخطاب من لا يفهم لا يصحّ وقال الشاعر

فَأَجْهَشْتُ لِلْبُوبَاةِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي[1]
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ بِجَنْبِكَ فِي خَفْضٍ وطِيبِ زَمَانِ[2]
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَىٰ عَلَى الحَدَثَانِ

وقال آخر

فَقَالَ لِيَ الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ وَكَيْفَ يُجِيبُ ضَرِيرٌ ضَرِيراً

فالأمانة على هذا ما أودع الله السماوات والأرض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فأظهرتها والإنسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه وجهله وبالله التوفيق ولم يرد بقوله الإنسان جميع الناس بل هو مثل قوله ﴿**إن الإنسان لفي خسر وإن الإنسان لربه لكنود**﴾ وأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه والأنبياء والأولياء والمؤمنون عن عموم هذه الآية خارجون ولا يجوز أن يكون الإنسان محمولاً على آدم ( ع ) لقوله ﴿**إن الله اصطفى آدم**﴾ وكيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفاً بالظلم والجهل ثم بيَّن سبحانه الغرض الصحيح والحكمة

---

(١) نسب الأبيات في الأغاني الى مجنون قوله « فأجهشت للبوباة » كذا في النسخ وأجهشت أي فرغت، والبوباة: الفلاة وعقبة كؤد بطريق اليمن. لكن في امالي الشريف ( ره ) ج ٢ ٣١٠ ومعجم البلدان ج ٢ : ٥٥ والأغاني ج ١ : ١٧٩ « للتوباذ » وقال في المعجم انه جبل في نجد. ويحتمل التصحيف.

(٢) وفي بعض النسخ « وطول زمان » .

البالغة في عرضه هذه الأمانة فقال ﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**﴾ يعني بتضييع الأمانة قال الحسن هما اللذان حملاهما ظلماً وجهلاً ﴿**ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات**﴾ بحفظهم الأمانة ووفائهم وهذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف والمكلف فالمعنى انا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذّبهم الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ أي ستّاراً لذنوب المؤمنين ﴿**رحيماً**﴾ بهم .

# (٣٤) سورة سبأ مكية وآياتها اربع وخمسون

[ عدد آيها ]

خمس وخمسون آية شامي اربع في الباقون .

[ **إختلافها** ] آية عن يمين وشمال .

[ **فضلها** ] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً وروى ابن اذينة عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ الحمدين جميعاً سبأ وفاطر في ليلة لم يزل ليلته في حفظ الله تعالى وكلائه فإن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه وأعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم الله سبحانه سورة الأحزاب ببيان الغرض في التكليف وانه سبحانه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته افتتح هذه السورة بالحمد له على نعمته وكمال قدرته فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ

ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة والشام عالمُ الغيب بالرفع وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب بالجر واللام قبل الألف والباقون عالم الغيب بالجرّ وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب من رجز اليم هنا وفي الجاثية ايضاً بالرفع والباقون بالجر .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب وقال غيره عالم الغيب بالجر صفة لقوله وربي أو بدل منه فأما الرفع فيجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم الغيب وان يكون ابتداء وخبره لا يعزب وعلام أبلغ من عالم والرجز العذاب دلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز وانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء فإذا كان العذاب يوصف بأليم كما أنه نفس العذاب جاز أن يوصف به والجرّ في أليم ابين لأنه إذا كان عذاب من عذاب أليم كان العذاب الأول أليماً وإذا جرى الاليم على العذاب كان المعنى عذاب اليم من عذاب والأول أكثر فائدة .

[ **اللغة** ] الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو أعلى ومنه ما هو أدنى والأعلى ما يقع على وجه العبادة ولا يستحقها إلا الله سبحانه لأن احسان الله عزَّ اسمه لا يوازيه احسان أحد من المخلوقين ويستحق الحمد على الإحسان والانعام فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه والولوج الدخول والعروج الصعود والمعارج الدرج من هذا وعزب عنه يعزُب ويعزِب إذا بعد وفي الحديث من قرأ القرآن في أربعين ليلة فقد عزب اي بعد عهده بما ابتدأ منه وأبطأ في تلاوته .

[ الإعراب ] ليجزي الذين آمنوا يتعلق بقوله لا يعزب .

[ المعنى ] ﴿الحمد لله﴾ معناه قولوا الحمد لله وهو تعريف لوجوب الشكر على نعم الله سبحانه وتعليم لكيفية الشكر ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي الذي يملك التصرف في جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ليس لأحد الاعتراض عليه ولا منعه ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ أي هو المستحق للحمد على أفعاله الحسنى في الدارين لكونه منعماً فيهما والآخرة وإن كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجأون إلى ذلك لمعرفتهم الضروري بنعم الله عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضل ومن حمد أهل الجنة قولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا والحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل إنما يحمده اهل الجنة لا على جهة التعبد لكن على جهة السرور والتلذذ بالحمد ولا يكون بالحمد عليهم فيه تعب ولا مشقة وقيل يحمده اهل الجنة على نعمه وفضله ويحمده أهل النار على عدله ﴿وهو الحكيم﴾ في جميع أفعاله لأنها كلها واقعة على وجه الحكمة ﴿الخبير﴾ بجميع المعلومات ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ أي ما يدخل فيها من مطر وكنز أو ميت ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات أو جواهر أو حيوان ﴿وما ينزل من السماء﴾ من مطر أو رزق أو ملك ﴿وما يعرج﴾ أي يصعد ﴿فيها﴾ من الملائكة وأعمال العباد فهو يجري جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة وتدبير توجبه المصلحة ﴿وهو الرحيم﴾ بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة ويمهلهم للتوبة ﴿الغفور﴾ أي الساتر عليهم ذنوبهم في الدنيا المتجاوز عنها في العقبى كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث والنشور ﴿لا تأتينا الساعة﴾ يعني القيامة ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿بلى وربي﴾ أي وحق الله ربي الذي خلقني وأوجدني ﴿لتأتينكم﴾ القيامة ﴿عالم الغيب﴾ يعمل كل شيء يغيب عن العباد علمه ﴿لا يعزب عنه﴾ أي لا يفوته ﴿مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ بل هو عالم بجميع ذلك ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ وقد مضى هذا مفسراً في سورة يونس كذّب الله سبحانه في هذه الآية الكفار الجاحدة للبعث وبيَّن أن القيامة آتية كائنة لا محالة وأمَرَ رسوله ﷺ بأن يحلف على ذلك تأكيداً له ثم مدح نفسه بأنه يعلم ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن أو سيكون ولم يوجد بعد ثم قال ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي إنما أثبت ذلك في الكتاب المبين ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم وستر لها ﴿ولهم﴾ مع ذلك ﴿رزق كريم﴾ أي هنيء لا تنغيص فيه ولا تكدير وقيل هو الجنة عن قتادة ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ أي والذين

عملوا بجهدهم وجدّهم في ابطال حججنا وفي تزهيد الناس عن قبولها مقدرين اعجاز ربهم وظانين انهم يفوتونه وقيل معاجزين مسابقين ومعجزين ومثبطين وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة الحج ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ أي سيء العذاب عن قتادة ﴿اليم﴾ أي مؤلم .

[ النظم ] وجه اتصال قوله عالم الغيب بما قبله أنه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الاقرار له بالربوبية والاعتراف بالنعمة من انكار القيامة ذكر بعده ان من يعلم أفعال العباد وما يستحقونه من الجزاء لو لم يجعل داراً أخرى يجازي فيها المحسن على احسانه والمسيء على اساءته وينتصف للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجاً عن موجب الحكمة .

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة والكسائي وخلف ان يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط بالياء في الجميع والباقون كل ذلك بالنون وادغم الكسائي وحده الفاء في الباء في يخسف بهم .

[ الحجة ] قال أبو علي حجة النون قوله ﴿ولقد آتينا داود﴾ فالنون أشبه بآتينا وحجة الياء قوله افترى على الله كذباً فحمل على اسم الله تعالى قال وادغام الفاء في الباء لا يجوز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وانحدر الصوت به إلى الفم حتى اتصل

بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجدث والجدف والمغاثير والمغافير فتعاقبا للمقاربة بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء صارت بمنزلة حرف من تلك الحروف فلم يجز ادغامها في الباء لأنه إذا اتصل بما ذكرنا صار كحرف من ذلك الموضع فكما أن ذلك الحرف الذي اتصل بالفاء لا يدغم في الباء كذلك الفاء لا يدغم في الباء وكذلك لا يجوز أن يدغم الفاء في الباء لزيادة صوتها المتصل بحرف من حروف الفم .

[ الإعراب ] ويرى يحتمل أن يكون منصوباً عطفاً على ليجزي ويحتمل ان يكون مرفوعاً على الاستئناف والذي أنزل اليك في موضع نصب لأنه مفعول يرى وهو فصل والحق مفعول ثان ليرى وقوله إذا مزقتم قال الزجاج إذا في موضع نصب بمزقتم ولا يجوز أن يعمل فيها جديد لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون ويكون إذا بمنزلة ان الجزاء يعمل فيها الذي يليها قال قيس بن الخطيم

إذا قَصُرَتْ أَسْيافُنا كانَ وَصْلُها خِطانا إلىٰ أَعْدَائِنا فَنُضارِب[1]

والمعنى يكن وصلها والدليل عليه جزم فنضارب ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمراً يدل عليه انكم لفي خلق جديد ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم بعثتم قال أبو علي ان جعل موضع إذا نصباً بمزقتم لزم أن يحكم على موضعه بالجزم لأن إذا هذه لا يجوز أن ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط بها والجزم بها لا يسوغ ان يحمل عليه الكتاب لأن ذلك إنما يكون في ضرورة الشعر فإن حمل موضع إذا على انه نصب والفعل غير مقدر في موضعه الجزم لم يجز لأنه إذا لم يجازَ بها اضيفت الى الفعل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبله وموضع الفعل الواقع بعد إذا خفض فلما لم يجز زيداً غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيداً عندك فكذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصباً بمزقتم فالتقدير ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم اونشرتم أو ما أشبه ذلك من الأفعال التي يكون قوله انكم لفي خلق جديد دالاً عليه ومفسّراً له وان قدّر هذا الفعل قبل إذا كان سائغاًفيكونالتقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق ويكون جواب إذا على هذا التقدير مضمراً كأنه تبعثون إذا مزقتم كل ممزق بعثتم فيستغنى اذا عن اظهار الجواب إذا تقدَّمها ما يدل عليه نحو انت ظالم ان فعلت وكذلك يحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه إذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الأمر والاستفهام وما أشبه ذلك فافهم ذلك فإنه فصل جليل

(١) يعني ان قصرت أسيافنا نتدارك قصرها بخطواتنا الى الأعداء .

الموقع في النحو استخرجته من كلام أبي علي. افترى اصله افترى دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فأسقطتها .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه المؤمنين واعترافهم بما جحده من تقدّم ذكرهم من الكافرين فقال **﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾** أي ويعلم الذين اعطوا المعرفة بوحدانية الله تعالى وهم اصحاب محمد ﷺ عن قتادة وقيل هم المؤمنون من اهل الكتاب عن الضحاك وقيل هم كل من أوتي العلم بالدين وهذا أولى لعمومه **﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾** يعني القرآن **﴿هو الحق﴾** أي يعلمونه الحق لأنهم يتدبّرونه ويتفكرون فيه فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما أدّاهم إلى العلم فكأنه سبحانه قد أتاهم العلم وقوله **﴿ويهدي﴾** أي ويعلمون أنه يهدي إلى القرآن ويرشد **﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾** أي دين القادر الذي لا يغالب المحمود على جميع أفعاله وهو الله تعالى وفي هذه الآية دلالة على فضيلة العلم وشرف العلماء وعظم اقدارهم ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن الكفار فقال **﴿وقال الذين كفروا﴾** أي بعضهم لبعض او القادة للأتباع على وجه الاستبعاد والتعجب **﴿هل ندلكم على رجل﴾** يعنون محمداً ﷺ **﴿ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد﴾** أي يزعم انكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاماً ورفاتاً وتراباً وهو قوله إذا مزقتم كل ممزق أي فرّقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وأكلتكم الأرض والسباع والطيور والجديد المستأنف المعاد والمعنى إنكم يجدّد خلقكم بأن تنشروا وتبعثوا **﴿أفترى على الله كذباً﴾** معناه هل كذب على الله متعمداً حين زعم أنا نبعث بعد الموت وهو استفهام تعجب وانكار **﴿أم به جنة﴾** أي جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم ردَّ سبحانه عليهم قولهم فقال **﴿بل﴾** ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون **﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** أي هؤلاء الذين لا يصدّقون بالبعث والجزاء والثواب والعقاب **﴿في العذاب﴾** في الآخرة **﴿والضلال البعيد﴾** من الحق في الدنيا ثم وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال **﴿أفلم يروا﴾** أي أفلم ينظر هؤلاء الكفار **﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾** كيف أحاطت بهم وذلك ان الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يقدر على الخروج منها وقيل معناه أفلم يتدبروا ويتفكروا في السماء والأرض فيستدلّوا بذلك على قدرة الله تعالى ثم ذكر سبحانه قدرته على اهلاكهم فقال **﴿ان نشأ نخسف بهم الأرض﴾** كما خسفنا بقارون **﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾** أي قطعة من السماء تغطّيهم وتهلكهم **﴿إن في ذلك لآية﴾** معناه ان فيما ترون من السماء والأرض لدلالة على قدرة الله على البعث

وعلى ما يشاء من الخسف بهم ﴿لكل عبد منيب﴾ أناب إلى الله ورجع إلى طاعته أفلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله والانكار لقدرته على البعث .

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب وعبيد بن عمير والأعرج والطير بالرفع وقرأ سائر القراء والطير بالنصب وقرأ أبو بكر ولسليمان الريحُ بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو كالجوابي بالياء في الوصل إلا ابن كثير وقف بياء وأبو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب منساته بغير همز وقرأ ابن عامر منسأته بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وقرأ يعقوب تُبُيِّنَت الجن بضم التاء والباء وكسر الياء والباقون تَبَيَّنَت بفتح الجميع وفي **الشواذ** قراءة ابن عباس والضحاك تبينت الانس

وهو قراءة علي بن الحسين زين العابدين ( ع ) وأبي عبد الله ( ع ) .

[ **الحجة** ] قال الزجاج أما الرفع في والطير ففيه وجهان ( أحدهما ) أن يكون نسقاً على الياء في أوّبي المعنى يا جبال رجعي التسبيح أنت معه والطير ( والآخر ) أن يكون معطوفاً على لفظ جبال التقدير يا جبال والطير وأما النصب ففيه ثلاثة أوجه ( أحدها ) أن يكون عطفاً على فضلاً أي آتينا داود منا فضلاً والطير بمعنى وسخرنا له الطير حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ( والثاني ) أن يكون نصباً على النداء ويكون معطوفاً على محل جبال كأنه قال ادعو الجبال والطير ( والثالث ) أن يكون منصوباً على معنى مع والمعنى أوبي معه ومع الطير قال أبو علي من قرأ ولسليمان الريحَ بالنصب حمله على التسخير في قوله ﴿ **فسخّرنا له الريح تجري بأمره** ﴾ ويقوّي ذلك قوله ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة** ﴾ ووجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب لأن المصدر المقدر في تقدير الإضافة إلى المفعول به قال والقياس في الجوابي أن يثبت الياء مع الألف واللام وإنما وقف أبو عمرو بغير ياء لأنه فاصلة أي مشبَّه بها من حيث تمَّ الكلام ومن حذف الياء في الوصل والوقف فلأن هذا النحو قد يحذف كثيراً والقياس في همزة منسأته إذا خففت الهمزة منها أن تجعل بين بين إلا أنهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر أنشده أبو الحسن :

إذا دَبَبْتَ عَلَى المِنْسَاةِ مِنْ هَرَمٍ ... فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ(١)

وأما قوله تبينت الانس فمعناه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وهكذا هو في مصحف عبد الله ويؤول إلى هذا المعنى قراءة يعقوب تُبُيِّنت الجن .

[ **اللغة** ] التأويب الترجيع بالتسبيح قال سلامة بن جندل :

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأَعْداءِ تَأْوِيبِ(٢)

أي رجوع بعد رجوع والسابغ التام من اللباس وسرد الحديد نظمه قال الشاعر :

عَلَى ابْنِ أَبِي العَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ ... أَجَادَ الْمُسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا(٣)

(١) دبَّ الشيخ : مشى مشياً رويداً . والمنسأة: العصا .

(٢) وقبل هذا البيت قوله : « إن الشباب الذي مجد عواقبه * فيه تلذُّ ولا لذات للشيب » فسَّر الشاعر العواقب بقوله: « يومان » والأندية بمعنى الأفنية وأراد بها أماكن اللهو التي يصرف فيها الشبان شبابهم . و« تأويب » صفة سير .

(٣) قائله كثير من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان. وابن أبي العاصي هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن =

وقال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ(١)

وهو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سرداً إذا تابع بين بعض حروفه وبعض قال المبرد لا يسمى محراباً إلا ما يرتقى إليه بدرج قال عدي بن زيد :

كَدُمَى العَاجِ فِي ٱلمَحَارِيبِ أَوْ كَالْبيـ ... ـضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ(٢)

وقال وضاح اليمن :

رَبَّةَ مِحْرَابٍ إذا جِئْتُهَا ... لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا

والتماثيل صور الأشياء واحدها تمثال وأصلها من المثول وهو القيام كأنه نصب قائماً ومنه الحديث من سرَّه أن يمثل له الناس فليتبوء مقعده من النار والجوابي جمع جابية وهي الْحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الأعشى :

تَرُوحُ عَلىٰ آلِ ٱلمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ(٣)

والمنسأة العصا الكبيرة التي يسوق بها الراعي غنمه مفعلة من نسأت الناقة والبعير إذا زجرته .

[ الإعراب ] إن أعمل سابغات أن هاهنا في تأويل التفسير والقول وهي تدعى المفسرة بمعنى أي كأنه قيل وألنّا له الحديد أي اعمل سابغات والتقدير قلنا له اعمل ويكون في معنى لأن يعمل ولنا تصل أن هذه بلفظ الأمر ومثله في الكلام أرسل إليه أن قم إلى فلان وقدر مفعوله محذوف أي قدر الحلق والمسامير وقوله غدوّها شهر ورواحها شهر في موضع نصب على الحال والتقدير غدوّها مسيرة شهر ورواحها كذلك فحذف المضاف والعامل في الحال

---

= أبي العاصي. ودلاص: وصف للدرع اللينة، والحصينة: المحكمة المتدانية الحلق يكون صاحبها في حصن مما يصيبه وسدى الدرع: نسجها وأذال الدرع: أطال ذيلها.

(١) من قصيدة قالها في رثاء ابنه وقد مر البيت في ج ٢

(٢) دمى العاج الأصنام . الكلابي وبناته وصارت سبب تزويج الناس بهنّ وغناء المحلق يعد فقره في قصة ذكرها في جامع الشواهد باب التاء بعده الشين وفي مقدمة المعلقات العشر في ترجمة الأعشى ميمون فراجع :

(٣) الجفنة: القصعة الكبيرة و«تفهق» من الفهق بمعنى الاتساع والامتلاء، قال ابن منظور: خصّ العراقي لجهله بالمياه لأنه حضري فإذا وجدها ملأ جابيته واعدها ولم يدر متى يجد الماء وأما البدوي فهو عالم بالمياه فهو لا يبالي ان يعدها وقال بعض لكثرة الماء في العراق فحياضهم واسعة، ويروى «كجابية السيح» وهو الماء الجاري.

معنى التسخير في قوله ولسليمان الريح ومن يعمل في موضع نصب على تقدير وسخرنا من الجن من يعمل . شكراً يجوز أن يكون مفعول اعملوا على تقدير اشكروا شكراً كما تقول أحمد الله شكراً فيكون مفعولاً مطلقاً وهو المصدر ويجوز أن يكون مفعولاً له ومفعول اعمل محذوف وتقديره اعملوا الطاعة شكراً وقوله أن لو كانوا يعلمون الغيب أن هذه مخففة من الثقيلة على تقدير أنهم لو كانوا يعلمون الغيب قال أبو علي والتقدير فلما خرَّ تبيَّن أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فإنَّ لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبيَّن هنا لازم غير متعدًّ مثله في قوله وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبيَّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير والمعنى فلما خرَّ انكشف للانس أمر الجن من جهلهم بالغيب وذلك لأن الجن ما ادّعوا علم الغيب وإنما اعتقد الانس فيهم أنهم يعلمون الغيب فأبطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمان .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر عباد الله المنيبين إليه وصله سبحانه بذكر داود وسليمان فقال ﴿ **ولقد آتينا داود منا فضلاً** ﴾ معناه ولقد أعطينا داود من عندنا نعمة واحساناً أي فضَّلناه على غيره بما أعطيناه من النبوة والكتاب وفصل الخطاب والمعجزات ثم فصَّل سبحانه ما أعطاه فقال ﴿ **يا جبال أوّبي معه والطير** ﴾ أي قلنا للجبال يا جبال سبّحي معه إذا سبّح عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد قالوا أمر الله الجبال أن تسبّح معه إذا سبّح فسبحت معه وتأوله عند أهل اللغة رجعي معه التسبيح من آب يؤوب ويجوز أن يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزاً له وأما الطير فيجوز أن يسبّح ويحصل له من التمييز ما يتأتى منه ذلك بأن يزيد الله في فطنته فيفهم ذلك وقيل معناه سيّري معه فكانت الجبال والطير تسير معه أينما سار وكان ذلك معجزاً له عن الجبائي والتأويب السير بالنهار وقيل معناه ارجعي إلى مراد داود فيما يريده من حفر بئر واستنباط عين واستخراج معدن ووضع طريق ﴿ **وألنّا له الحديد** ﴾ فصار في يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير أن يدخله النار ولا أن يضربه بالمطرقة عن قتادة ﴿ **ان أعمل سابغات** ﴾ أي قلنا له اعمل من الحديد دروعاً تامات وإنما ألان الله تعالى الحديد لداود لأنه أحبَّ أن يأكل من كسب يده فألان الحديد له وعلّمه صنعة الدرع وكان أول من اتّخذها وكان يبيعها ويأكل من ثمنها ويطعم عياله ويتصدق منه وروي عن الصادق ( ع ) قال ان الله أوحى إلى داود ( ع ) نعم العبد أنت إلا أنك تأكل من بيت المال فبكى داود أربعين صباحاً فألان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً فاستغنى عن بيت المال ﴿ **وقدّر في السرد** ﴾ أي عدل في نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سراد وزراد والمعنى لا تجعل

المسامير دقاقاً فتفلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق وقيل السرد المسامير التي في حلق الدروع عن قتادة حكي أن لقمان حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيها ولا يدري ما يريد ولم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها وقال نعم جنة الحرب هذه فقال لقمان عند ذلك الصمت حكمة وقليل فاعله ﴿ **واعملوا صالحاً** ﴾ أي وقلنا اعمل أنت وأهلك الصالحات وهي الطاعات شكراً لله سبحانه على عظيم نعمه ﴿ **إني بما تعملون بصير** ﴾ أي أنا عالم بما تفعلونه لا يخفى عليَّ شيء من أعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمان وما أتاه من الفضل والكرامة فقال ﴿ **ولسليمان الريح** ﴾ أي وسخّرنا لسليمان الريح ﴿ **غدوّها شهر ورواحها شهر** ﴾ أي مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواح تلك الريح مسيرة شهر والمعنى أنها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب قال قتادة كان يغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار ويروح مسيرة شهر إلى آخر النهار وقال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من أرض أصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد ﴿ **وأسلنا له عين القطر** ﴾ أي أذبنا له عين النحاس وأظهرناها له قالوا أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن جعلها الله له كالماء وإنما يعمل الناس بما أعطي سليمان منه ﴿ **ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه** ﴾ المعنى وسخّرنا له من الجن من يعمل له بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربه تعالى وكان يكلّفهم الأعمال الشاقة مثل عمل الطين وغيره وقال ابن عباس سخّرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به وفي هذا دلالة على أنه قد كان من الجن من هو غير مسخّر له ﴿ **ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير** ﴾ لمعنى ومن يعدل من هؤلاء الجن الذين سخّرناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير أي عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسرين وفي هذا دلالة على أنهم قد كانوا مكلفين وقيل معناه نذيقه العذاب في الدنيا وأن الله سبحانه وكّل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته ﴿ **يعملون له ما يشاء من محاريب** ﴾ وهي بيوت الشريعة وقيل هي القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتادة والجبائي قال وكان ممّا عملوه بيت المقدس وقد كان الله عزَّ وجل سلّط على بني إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرعون إلى الله لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود فوق الصخرة فخرَّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما أن شفّع الله داود في بني إسرائيل

جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم أن الله تعالى قد منَّ عليكم ورحمكم فجدِّدوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فأوحى الله إلى داود أن تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحبَّ اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسَّم عليهم الأعمال يخصَّ كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها[1] الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصُفَّاح[2] وجعلها اثني عشر رَبَضاً[3] وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجَّه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة يأتون بالدر من البحار فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيَّروها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللآلىء قال وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت والجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود إلا فتحت الأبواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا ويعبد الله فيها ﴿ وتماثيل ﴾ يعني صوراً من نحاس وشبه[4] وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صور للحيوانات وقال آخرون كانوا يعملون صور

(١) المها جمع المهاة : البلور .

(٢) الصفاح : الحجارة لعريضة الرقيقة .

(٣) الربض : سور المدنية . الناحية كل ما يؤوى إليه ويستراح لديه من مال وبيت ونحوه .

(٤) الشبه : النحاس الأصفر .

السباع والبهائم على كرسيه ليكون أهيب له فذكروا أنهم صوَّروا أسدين أسفل كرسيه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما وإذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظلَّلاه من الشمس ويقال أن ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما جاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدَّها فوقع مغشياً عليه فما جَسَرَ أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي قال الحسن ولم تكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظورة في شريعة نبينا ﷺ فإنه قال لعن الله المصوِّرين ويجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن وقد بيَّن الله سبحانه أن المسيح كان يصوِّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الأنبياء والعُبّاد في المساجد ليُقتدى بهم وروي عن الصادق (ع) أنه قال والله ما هي تماثيل النساء والرجال ولكنَّه الشجر وما أشبهه ﴿ **وجفان كالجواب** ﴾ أي صحاف كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع وكان سليمان (ع) يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان فإنه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم وقيل أنه كان يجمع على كل جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه ﴿ **وقدور راسيات** ﴾ أي ثابتات لا يزلن عن أمكنتهن لعظمهن عن قتادة وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم وكان سليمان يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود وأمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعمة العجيبة لأن نعمته على سليمان نعمة عليهم فقال ﴿ **اعملوا آل داود شكراً** ﴾ أي قلنا لهم يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم من النعم عن مجاهد وفي هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وأنَّ الشكر طاعة المنعم وتعظيمه وفيه إشارة أيضاً إلى أن لقرابة أنبياء الله تعالى أثراً في القرب إلى رضى الله حين خصَّ آل داود بالأمر ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ والفرق بين الشكور والشاكر أن الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس أراد به المؤمن الموحد وفي هذا دلالة على أن المؤمن الشاكر يقلّ في كل عصر ﴿ **فلما قضينا عليه الموت** ﴾ أي فلما حكمنا على سليمان بالموت وقيل معناه أوجبنا على سليمان الموت ﴿ **ما دلَّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته** ﴾ أي ما دلَّ الجن على موته إلا الأرضة ولم يعلموا موته حتى أكلت عصاه فسقط فعلموا أنه ميت وقيل أن سليمان كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقلّ وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبّد فيه فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن إسمها ونفعها وضرّها فرأى يوماً نبتاً فقال ما اسمك قال الخرنوب قال لأيّ شيء أنت قال للخراب فعلم أنه سيموت فقال اللهم عمِّ على

الجن موتي ليعلم الانس أنهم لا يعلمون الغيب وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لأهله لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات وبقي قائماً سنة وتمّ البناء ثم سلّط الله على منسأته الأرضة حتى أكلتها فخرّ ميتاً فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حياً لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك وقيل أن في إماتته قائماً وبقائه كذلك أغراضاً منها اتمام البناء ومنها أن يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب وأنهم في ادّعاء ذلك كاذبون ومنها أن يعلم أن من حضر أجله فلا يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته وروي أنه أطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل وتحنط وتكفن والجن في عملهم وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال أن سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير فبينا هو قائم متكىء على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهم ينظرون إليه ولا يصلون إليه إذا رجل معه في القبة فقال من أنت فقال أنا الذي لا أقبل الرشى ولا أهاب الملوك فقبضه وهو قائم متكىء على عصاه في القبة قال فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته وفي حديث آخر عن أبي عبد الله (ع) قال فكان آصف يدبّر أمره حتى دبّت الأرضة ﴿ فلما خرّ ﴾ أي سقط سليمان ميتاً ﴿ تبينت الجن ﴾ أي ظهرت الجن فانكشف للناس ﴿ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ معناه في الأعمال الشاقة وإنما سمّاها عذاباً للمشاق التي فيها لا أنه كان عذاباً فليس ذلك إلا أن يكون عبادة له أو بمنزلة ما يعوضون عليه أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون أنه حيّ وقيل أن المعنى تبينت عامة الجن وضعفتهم أن رؤساءهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يوهمونهم أنهم يعلمون الغيب وقيل معناه تبينت الانس أن الجن كانوا لا يعلمون الغيب فإنهم كانوا يوهمون الإنس إنا نعلم الغيب وإنما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره ويلزمه الحجة هل تبين لك أنك على باطل وعلى هذا تدل قراءة من قرأ تبينت الانس وقد مضى بيانه وذكر أهل التاريخ أن عمر سليمان كان ثلاثاً وخمسين سنة مدة ملكه منها أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه والله أعلم وأما الوجه في عمل الجن تلك الأعمال العظيمة فهو أن الله تعالى زاد في أجسامهم وقوتهم وغيّر خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم ورقة أجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمان فكانوا بمنزلة الأسراء في يده وكانوا تتهيّأ لهم الأعمال التي كان يكلّفها إياهم ثم لما مات (ع) جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيأ لهم في هذا الزمان شيء من ذلك .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ

عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا
فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ
بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ
مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ مسكنهم على التوحيد بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسر الكاف الكسائي وخلف والباقون مساكنهم على الجمع وقرأ أكل خمط مضاف غير منوّن أهل البصرة وقرأ الباقون غير مضاف بالتنوين وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي إلا الكفور بالنصب وادغم الكسائي اللام من هل في النون وغيره لم يدغم والباقون يجازي بالياء وفتح الزاي والكفور بالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير وهشام بَاعد بين أسفارنا بالتشديد على لفظ الأمر وقرأ يعقوب وسهل ربنا بالضم باعد بالألف وفتح الباء والعين والدال مخففة وهو قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن عباس وقرأ الباقون ربنا بالنصب باعد بالألف على الدعاء وفي الشواذ قراءة ابن يعمر ومحمد بن السميفع ربنا بالنصب بَعُدَ بفتح الباء والدال وضم العين بين أسفارنا بالرفع .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ مساكنهم أتى باللفظ وفقاً للمعنى لأن لكل ساكن مسكناً ومن قرأ مسكنهم فيشبه ان يكون جعل المسكن مصدراً وحذف المضاف والتقدير في مواضع سكناهم فلما جعل المسكن كالسكنى والسكون أفرد كما يفرد المصدر وهذا أشبه من أن تحمله على نحو «كلوا في بعض بطنكم»[1] وعلى هذا قوله تعالى ﴿في مقعد صدق﴾ أي في

(١) هذا جزء بيت وتمامه « كلوا في بعض بطنكم تعفوا * فان زمانكم زمن خميص » قوله « تعفوا » اي تعفوا عن السؤال =

موضع قعود ألا ترى ان لكل واحد من المتقين موضع قعود والأشبه في الكاف الفتح لأن اسم المكـان والمصدر من بـاب يفعل على المفعـل وقد يشـذ على القياس نحـو هذا كمـا جاء المسجد وسيبويه يحمله على اسم البيت وكذلك المطلع إلا أن أبا الحسن يقول ان المسكن إذا كسرته لغة كثيرة وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة أهل الحجاز فأما الاضافة في أكل خمط فإن أبا عبيدة قال الخمط كل شجرة مرة ذات شوكة والأكل الجنى فعلى هذا التفسير تحسن الاضافة وذلك ان الاكل اذا كان الجنى فإن جنى كل شجرة منه وغير الاضافة ليس في حسن الاضافة لأن الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف فإذا لم يكن وصفاً لم يجر على ما قبله كما يجري الوصف على الموصوف والبدل ليس بالسهل أيضاً لأنه ليس هو هو ولا بعضه لأن الجنى من الشجر وليس الشجر من الجنى فيكون اجراؤه عليه على وجه العطف البيان كأنه بيّن ان الجنى لهذا الشجر ومنه قال أبو الحسن الأحسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر وثوب خز قال فأكل خمط قراءة كثيـرة وليست بجيدة في العـربية وحجة من قرأ وهل نجازي بالنون قوله جزيناهم ومن قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فإن المجازي ايضاً هو الله تعالى وانما خصَّ الكفور بالجزاء لأن المؤمن قد يكفر عن سيئاته قال سبحانه ونتجاوز عن سيئاتهم وقال ان الحسنات يذهبن السيئات وليس كذلك الكافـر فإنـه يجازى بكل سوء يعمله واما ادغام الكسائي اللام في النون فجائز حكاه سيبويه والبيان احسن واما قوله ربنا باعد بين اسفارنا فذكر سيبويه ان فاعل وفعـل يجيئان بمعنى كقـولهم ضاعف وضعف وقارب وقرب واللفظان جميعاً على معنى الطلب والدعاء قال ابن جني بين منصوب نصب المفعول به أي بعد وباعد مسافة أسفارنا وليس نصبه على الـظرف يدلّـك على ذلك قراءة من قرأ بعد بين اسفارنا كما تقول بعد مدى اسفارنا فرفعه دليل كونه اسماً وعليه قوله

كَـأَنَّ رِمَـاحَـهُـمْ أَشْـطَانُ بِئْرٍ ... بَـعِـيدٌ بَـيْـنَ جَـالَـيْـهَـا جَـرُورِ(١)

أي بعيد مدى جاليها أو مسافة جاليها .

[ **اللغة** ] العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة أخذ من عرامة الماء وهي ذهابه كل مذهب قال الأعشى

فَـفِـي ذَاكَ لِـلْـمُـؤْتَـسِـي أُسْـوَةٌ ... وَمَـأْرِبُ قَـفَّـى عَـلَـيْـهِ الْـعَـرِمْ(٢)

= وزمن خميص : ذو مجاعة .

(١) الاشطان جمع الشطن : الحبل الطويل يستقى به والجال : جدار البئر . وبئر جرور : بعيدة القعر .

(٢) مأرب : موضع وقفى عليه العزم أي ذهب به السيل .

رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُ حِمْيَرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمْ[١]

وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من أودية شتى وقيل العرم هنا اسم الجُرَذ الذي نقب السِكْر[٢] عليهم وهو الذي يقال له الخُلْد وقيل العرم المطر الشديد .

[ **الإعراب** ] آية اسم كان. جنتان رفع على انه بدل من آية ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف كأنه قيل ما الآية فقال الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان وعلى هذا تقف على قوله آية وتبتدىء بقوله جنتان. كلوا من رزق ربكم اي يقال كلوا من رزق ربكم منهما فحذف العائد من الصفة إلى الموصوف كما حذف القول. بلدة طيبة تقديره هذه بلدة طيبة والله رب غفور .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن قصة سبأ بما دلَّ على حسن عاقبة الشكور وسوء عاقبة الكفور فقال **﴿لقد كان لسبأ﴾** وهو أبو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيلة وفي الحديث عن فروة بن مسيك انه قال سألت رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة فقال هو رجل من العرب ولد له عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج والاشعرون وانمار وحمير فقال رجل من القوم ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان فالمراد بسبأ هاهنا القبيلة الذين هم اولاد سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان **﴿في مسكنهم﴾** أي في بلدهم **﴿آيــة﴾** أي حجة على وحدانية الله عزَّ اسمه وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمه ثم فسّر سبحانه الآية فقال **﴿جنتان عن يمين وشمال﴾** أي بستانين عن يمين من أتاهما وشماله وقيل عن يمين البلد وشماله وقيل أنه لم يرد جنتين اثنتين والمراد كانت ديارهم على وتيرة واحدة إذا كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متصلة بعضها ببعض وكان من كثرة النعم ان المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلىء بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً وقيل الآية المذكورة هي أنه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل ودواب ماتت عن ابن زيد وقيل ان المراد بالآية خروج الأزهار والثمار من الأشجار على اختلاف الوانها وطعومها وقيل إنما كانت ثلاث عشرة قرية في كل قرية نبيّ يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم **﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾** أي كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزيدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم **﴿بلدة**

---

(١) الرخام: حجر ابيض سهل رخو ولم يرم اي لم يزل عن مكانه .

(٢) الجرذ كصرد: ضرب من الفار. والسكر: اسم من سكر النهر أي سده .

**طيبة﴾** أي هذه بلدة مخصبة نزهة ارضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام المؤذية قيل اراد به صحة هواها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وانه ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ ولا برد يؤذي في الشتاء **﴿ورب غفور﴾** أي كثير المغفرة للذنوب **﴿فأعرضوا﴾** عن الحق ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا من دعاهم إلى الله من أنبيائه **﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾** وذلك ان الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدّوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدَّ بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذَّبوا رسلهم وتركوا امر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب وقد مرّ تفسير العرم وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق **﴿وبدّلناهم بجنتيهم﴾** اللتين فيهما انواع الفواكه والخيرات **﴿جنتين﴾** أخراوين سمّاها جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه **﴿ذواتي أُكل خمط وائلٍ﴾** أي صاحبتي اكل وهو اسم لثمر كل شجرة وثمر الخمط البرير قال ابن عباس والخمط هو الاراك وقيل هو شجر الغضا وقيل هو كل شجر له شوك والاثل الطرفاء عن ابن عباس وقيل ضرب من الخشب عن قتادة وقيل هو السمر **﴿وشيء من سدر قليل﴾** يعني ان الاثل والخمط كانا اكثر فيهما من السدر وهو النبق قال قتادة كان شجرهم خير شجر فصيَّره الله شرّ شجر بسوء أعمالهم **﴿ذلك﴾** أي ما فعلنا بهم **﴿جزيناهم بما كفروا﴾** أي بكفرهم **﴿وهل نجازي﴾** بهذا الجزاء **﴿إلا الكفور﴾** الذي يكفر نعم الله وقد استدل الخوارج بهذا على ان مرتكب الكبيرة كافر وهذا الاستدلال غير سديد من حيث انه سبحانه إنما بيَّن بذلك انه لا يجازي بهذا النوع من العذاب الذي هو الاستئصال إلا الكافر ويجوز أن يعذّب الفاسق بغير ذلك العذاب وقيل ان معناه هل نجازي بجميع سيّئاته إلا الكافر لأن المؤمن قد يكفر عنه بعض سيّئاته وقيل ان المجازاة من التجازي وهو التقاضي أي لا يقتضي ولا يرتجع ما أعطي إلا الكافر وانهم لما كفروا النعمة اقتضوا ما اعطوا أي ارتجع منهم عن أبي مسلم **﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾** أي وقد كان من قصتهم انا جعلنا بينهم وبين قرى الشام التي باركنا فيها بالماء والشجر قرى متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى الظاهرة ان الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها **﴿وقدرنا فيها السير﴾** أي جعلنا السير من القرية إلى القرية مقداراً واحدا نصف يوم وقلنا لهم **﴿سيروا فيها﴾** أي في تلك القرى **﴿ليالي وأياماً﴾** أي ليلاً شئتم المسير أو نهاراً **﴿آمنين﴾** من الجوع والعطش والتعب ومن السباع وكل المخاوف وفي هذا اشارة الى تكامل

نعمه عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر ثم اخبر سبحانه انهم بطروا وبغوا فقالوا **﴿ربنا باعد بين اسفارنا﴾** أي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب اليها الرواحل ونقطع المنازل وهذا كما قالت بنو اسرائيل لما ملوا النعمة أخرج إلينا مما تنبت الأرض من بقلها بدلاً من المن والسلوى **﴿وظلموا أنفسهم﴾** بارتكاب المعاصي والكفر **﴿فجعلناهم أحاديث﴾** لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ويضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا ايادي سبأ إذا تشتتوا اعظم التشتت **﴿ومزقناهم كل ممزق﴾** أي فرّقناهم في كل وجه من البلاد كل تفريق **﴿إن في ذلك لآيات﴾** أي دلالات **﴿لكل صبار﴾** على الشدائد **﴿شكور﴾** على النعماء وقيل لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم بالطاعات .

[ **القصة** ] عن الكلبي عن أبي صالح قال ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء وكانت قد رأت في كهانتها ان سدّ مأرب سيخرب وانه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر امواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها وما حولها فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم فقالت لهم قد أصابني الذي تشكون وهو مفرّق بيننا قالوا فماذا تأمرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد وكانت ازدعمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر وكانت خزاعة ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من أرض الشام وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق .

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ
عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ
لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا
فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم

مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾
* قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا
وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وقرأ يعقوب وسهل صدق بالتشديد ابليس بالنصب ظنه بالرفع وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم الا الأعشى والبرجمي أُذن بضم الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر ويعقوب فَزَع بفتح الفاء والزاي والباقون بضم الفاء وكسر الزاي وفي الشواذ قراءة الحسن بخلاف وقتادة فَزَّعَ بفتح الفاء والزاي والعين والتشديد وعن الحسن ايضاً فُزِّع بضم الفاء وكسر الزاي والتشديد وعنه عن قتادة فُزِع بضم الفاء وكسر الزاي والتخفيف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي معنى التخفيف في صدق أنه صدق ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم وذلك نحو قوله فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ولأوغينهم أجمعين فهذا ظنه لأنه لم يقل ذلك عن يقين فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف أي في ظنّه وقد يقال أصاب الظن وأخطأ الظن وقال الشاعر

إنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهْوَ صَادِقُ     بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبَساً وَعْراً[١]

---

(١) البيت منسوب إلى مكبرة بنت بردام شملة تقول:
ان يك ظني بشملة صادقاً يحبسهم اي القوم الذين قتلوا اباه بتلك المعركة محبساً صعباً يدركه فيه ثار أبيه .

فعدّاه إلى المفعول به ومن قرأ بالتشديد نصب الظن على أنه مفعول به ومن قرأ صدق عليهم ابليس بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى ان ابليس كان سوّلت له نفسه شيئاً فصدّقه ظنّه ومن قرأ إلا لمن أذن له فالمعنى لمن أذن الله له ان يشفع ومن قرأ اذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى ايضاً كما ان قوله حتى إذا فَزع عن قلوبهم وفزع وهل نجازي إلا الكفور وهل يجازي إلا الكفور واحد في المعنى وان اختلفت الألفاظ .

[ اللغة ] يقال صدَّقت زيداً وصَدَقته وكذَّبته وكذَبته وينشد الأعشى « وَصَدَقْتُهُ وَكَذَبْتُهُ والْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذابُهُ » أبو عبيدة فزع عن قلوبهم نفس عنها يقال فزع وفزع إذا أزيل الفزع عنها .

[ الإعراب ] لنعلم قال الزجاج معناه ما امتحناهم في إبليس إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم وهو الذي يجازون عليه . لا يملكون الأجودان يكون جملة مستأنفة ويجوز أن يكون حالاً وقوله وانا اواياكم لعلى هدى او في ضلال مبين تقديره وانا لعلى هدى أو في ضلال مبين وانكم لعلى هدى أو في ضلال مبين .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ولقد صدَّق عليهم ابليس ظنّه﴾ الضمير في عليهم يعود إلى أهل سبأ وقيل إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله عن مجاهد والمعنى ان ابليس كان قال لأوغينّهم ولأضلّنهم وما كان ذلك عن علم وتحقيق وإنما قاله ظناً فلما تابعه اهل الزيغ والشرك صدَّق ظنَّه وحقَّقه ﴿فاتبعوه﴾ فيما دعاهم إليه ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ من هنا للتبيين يعني المؤمنين كلهم عن ابن عباس أي علموا قبح متابعته فلم يتبعوه واتبعوا امر الله تعالى ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي ولم يكن لإبليس عليهم من سلطنة ولا ولاية يتمكن بها من اجبارهم على الغي والضلال وإنما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ المعنى انا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم إلا لنميّز بين من يقبل منه ومن يمتنع ويأبى متابعته فنعذّب من تابعه ونثيب من خالفه فعبَّر عن التمييز بين الفريقين بالعلم وهذا التمييز متجدّد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقّون به ذلك واما العلم فبخلاف ذلك فإنه سبحانه كان عالماً بأحوالهم وبما يكون منهم فيما لم يزل وقيل معناه لتعلم طاعاتهم موجودة او معاصيهم ان عصوا فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازي احداً على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع ذلك منه وقيل معناه لنعامله معاملة من كأنه لا يعمل وإنما يعلم ليعلم من يصدق بالآخرة ويعترف بها ممن يرتاب فيها أو يشكّ ﴿وربك﴾ يا محمد ﴿على كل

**شيء حفيظ﴾** أي عالم لا يفوته علم شيء من أحوالهم ثم قال سبحانه **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء المشركين **﴿ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾** أنهم آلهة وانهم شركاء لله تعالى وأنهم شفعاؤكم وانها تستحق الإلَهية هل يستجيبون لكم إلى ما تسألونهم وهذا نوع توبيخ لا امر ليعلموا ان أوثانهم لا تنفعهم ولا تضرّهم **﴿لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾** أي لا يملكون زنة ذرة من خير وشرّ ونفع وضرّ فيهما **﴿وما لهم فيهما﴾** أي وليس لهم في خلق السماوات والأرض **﴿من شرك﴾** ونصيب **﴿وما لهم منهم من ظهير﴾** أي ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السماوات والأرض ولا على شيء من الأشياء **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** المعنى أنه لا تنفع الشفاعة عند الله تعالى إلا لمن رضيه الله وارتضاه وأذن له في الشفاعة مثل الملائكة والأنبياء والأولياء ويجوز أن يكن المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له فيكون مثل قوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وإنما قال سبحانه ذلك لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فحكم الله تعالى ببطلان اعتقاداتهم **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** أي كشف الفزع عن قلوبهم وفزع كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلف في الضمير في قوله في قلوبهم فقيل يعود إلى المشركين الذين تقدَّم ذكرهم فيكون المعنى حتى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة **﴿قالوا﴾** أي قالت الملائكة لهم **﴿ماذا قال ربكم قالوا﴾** أي قال هؤلاء المشركون مجيبين لهم **﴿الحق﴾** أي قال الحق فيعترفون ان ما جاء به الرسل كان حقاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل ان الضمير يعود إلى الملائكة ثم اختلف في معناه على وجوه ( أحدها ) ان الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد ولهم زجل وصوت عظيم فتحسب الملائكة انها الساعة فيخرّون سجَّداً ويفزعون فإذا علموا أنه ليس ذلك قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ( وثانيها ) ان الفترة لما كانت بين عيسى ( ع ) ومحمد ﷺ وبعث الله محمداً ﷺ أنزل الله سبحانه جبرائيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة انه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمرّ بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي عن مقاتل والكلبي ( وثالثها ) ان الله تعالى إذا اوحى الى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحي ويصعقون ويخرُّون سجَّداً للآية العظيمة فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذي أوحي إليه ماذا قال ربك أو يسأل بعضهم بعضاً فيعلمون ان الأمر في غيرهم عن ابن مسعود واختاره الجبائي **﴿وهو العلي﴾** أي السيد القادر المطاع وقيل العلي في صفاته **﴿الكبير﴾** في قدرته **﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض﴾** فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التي نعبدها ثم عند

ذلك ﴿قل الله﴾ الذي يرزقكم ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ انما قال ذلك على وجه الانصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره احدنا كاذب وان كان هو عالماً بالكاذب وعلى هذا يقول أبو الاسود الدئلي يمدح اهل البيت (ع).

يَقُولُ الأَرْذَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَىٰ عَلِيّا(١)
بَنُو عَمّ النَّبِي وأَقْرَبُوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمُ إلَيّا
فَإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيّا

لم يقل هذا لكونه شاكاً في محبتهم وقد أيقن ان محبتهم رشد وهدى وقيل انه جمع بين الخبرين وفوّض التمييز الى العقول فكأنه قال أنا على هدى وأنتم على ضلال كقول امرىء القيس .

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالي(٢)

فجمع بين القلوب الرطبة واليابسة وجمع بين العناب والحشف البالي وقيل انما قاله على وجه الاستعطاف والمداراة ليسمع الكلام وهذا من احسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى وخصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه ويحثّه على النظر ولا يجب النظر إلا بعد التردّد ﴿قل﴾ يا محمد إذا لم ينقادوا للحجة ﴿لا تسئلون﴾ أيها الكفار ﴿عما أجرمنا﴾ أي اقترفنا من المعاصي ﴿ولا نسئل﴾ نحن ﴿عما تعملون﴾ أي تعملونه انتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله ويجازى على فعله دون فعل غيره وفي هذا دلالة على أن أحداً لا يجوز أن يؤخذ بذنب غيره .

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً

(١) بنو قشير: قبيلة من القيس كان ينزل أبو الأسود فيهم وكانوا يخالفونه في المذهب لأن ابا الاسود كان شيعياً فكانوا يؤذونه وأنشأ هذه الأبيات في قصة ذكرها الشريف المرتضى (ره) في الأمالي راجع ج ١) ٤٩٢ - ٢٩٣ وذكره في الأغاني ج ١١ : ١١٣ مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الفاظها.

(٢) البيت من قصيدة يصف فيها العقاب بكثرة الاصطياد والوكر: عش الطائر. والضمير في وكرها للعقاب وهو طائر معروف بأنه لا يأكل قلوب الطيور والعناب معروف. والحشف: اردء أقسام التمر والبالي: الفاسد والمندوس .

لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم
مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

[ **الإعراب** ] الذين ألحقتم به العائد من الصلة إلى الموصول محذوف والتقدير ألحقتموهم به وشركاء حال من هم المحذوف وكافة حال من الكاف في أرسلناك أي ما أرسلناك الا تكفُّهم وتردعهم وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي وما أرسلناك إلا للناس كافة وكافة كالعافية والعاقبة وما أشبه ذلك بشيراً حال بعد حال ونذيراً معطوف عليه .

[ **المعنى** ] ثم أمر سبحانه أن يحاكمهم إلى الله لاعراضهم عن الحجة فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**يجمع بيننا ربنا**﴾ يوم القيامة ﴿**ثم يفتح بيننا**﴾ أي يحكم ﴿**بالحق وهو الفتاح**﴾ أي الحاكم ﴿**العليم**﴾ بالحكم لا يخفى عليه شيء منه ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**أروني الذين ألحقتم به شركاء**﴾ إنما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم والتعجيب أي أروني الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعبدونهم معه وهذا كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الاشراك مع الله كما يقول القائل لمن افسد عملاً أرني ما عملته توبيخاًله بما افسده فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا الى الأصنام ثم قال سبحانه ﴿**كلا**﴾ أي ليس كما تزعمون وقيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال وتنبَّهوامن الغي والضلال ﴿**بل هو الله العزيز**﴾ أي القادر الذي لا يغالب ﴿**الحكيم**﴾ في جميع افعاله فكيف يكون له شريك ثم بيَّن سبحانه نبوة نبيه ﷺ فقال ﴿**وما أرسلناك**﴾ يا محمد بالرسالة التي حملناكها ﴿**إلا كافة للناس**﴾ أي عامة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الأمم عن الجبائي وغيره ويؤيّده الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ اعطيت خمساً ولا أقول فخراً بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً واحلّ لي المغنم ولا يحلّ لاحد قبلي ونصرت بالرعب فهو يسير امامي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة فادّخرتها لأمتي يوم القيامة وقيل معناه جامعاً للناس بالانذار والدعوة وقيل كافاً للناس أي مانعاً لهم عما هم عليه من الكفر والمعاصي بالأمر والنهي والوعيد والإنذار والهاء للمبالغة عن أبي مسلم ﴿**بشيراً**﴾ لهم بالجنة ﴿**ونذيراً**﴾ بالنار ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ رسالتك لإعراضهم عن النظر في معجزتك وقيل لا يعلمون ما لهم في الآخرة في اتباعك من الثواب والنعيم وما عليهم في مخالفتك من العذاب الأليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ﴿**ويقولون متى هذا الوعد**﴾ الذي تعدوننا به ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ فيما تقولونه يا معشر

المؤمنين ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ بإجابتهم فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**لكم ميعاد يوم**﴾ أي ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به وهو يوم القيامة وقيل يوم وفاتهم وقبض أرواحهم عن أبي مسلم ﴿**لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**﴾ أي لا تتأخرون عن ذلك اليوم ولا تتقدمون عليه بأن يزاد في آجالكم أو ينقص منها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ
إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ
صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن
نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ
أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

[ **الإعراب** ] بل مكر الليل والنهار فيه وجهان ( أحدهما ) أن يكون مكر مبتدأ وخبره محذوفاً أي مكركم في الليل والنهار صدَّنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله ( والآخر ) أن يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدَّنا مكركم في الليل والنهار والعرب تضيف الأحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار وقيام الليل والمعنى أن الصيام في النهار

والقيام في الليل قال الشاعر :

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانِ فِي السُّرىٰ ... وَنِمْتِ وَما لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنائِمِ[١]

فوصف الليل بالنوم وهذا على حدّ قولك نهارك صائم وليلك قائم .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه حالهم في القيامة فقال حكاية عنهم ﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾ وهم اليهود وقيل هم مشركو العرب وهو الأصح ﴿ **لن نؤمن بهذا القران** ﴾ أي لا نصدق بأنه من الله تعالى ولا بالذي بين يديه من أمر الآخرة وقيل يعنون به التوراة والانجيل وذلك أنه لما قال مؤمنو أهل الكتاب أن صفة محمد ﷺ في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال ﴿ **ولو ترى** ﴾ يا محمد ﴿ **إذ الظالمون موقوفون عند ربهم** ﴾ أي محبوسون للحساب يوم القيامة ﴿ **يرجع بعضهم إلى بعض القول** ﴾ أي يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال ﴿ **يقول الذين استضعفوا** ﴾ وهم الاتباع ﴿ **الذين استكبروا** ﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿ **لولا أنتم لكنا مؤمنين** ﴾ مصدّقين بتوحيد الله أي أنتم منعتمونا من الإيمان والمعنى لولا دعاؤكم إيّانا إلى الكفر لآمنا بالله في الدنيا ﴿ **قال للذين استكبروا للذين استضعفوا** ﴾ أي قال المتبوعون للاتباع على طريق الانكار ﴿ **أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم** ﴾ أي لم نصدّكم نحن عن قبول الهدى ﴿ **بل كنتم مجرمين** ﴾ أي بل أنتم كفرتم ولم نحملكم على الكفر قهراً فكل واحد من الفريقين ورَّك الذنب[٢] على صاحبه واتّهمه ولم يضف واحد منهم الذنب إلى الله تعالى ﴿ **وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا** ﴾ يعني الاتباع للمتبوعين ﴿ **بل مكر الليل والنهار** ﴾ أي مكركم في الليل والنهار صدّنا عن قبول الهدى ﴿ **إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً** ﴾ أي حين أمرتمونا أن نجحد وحدانية الله تعالى ودعوتمونا إلى أن نجعل له شركاء في العبادة ﴿ **وأسرّوا الندامة** ﴾ فيه وجهان ( أحدهما ) أن معناه أظهروا الندامة ( والآخر ) أن المعنى أخفوها وقد فسِّر الأسرار في بيت امرىء القيس :

تَجاوَزْتُ أَحْراساً إِلَيْها وَمَعْشَراً ... عَلَيَّ حِراصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلي[٣]

على الوجهين فمن قال بالأول قال معناه أظهر المتبوعون الندامة على الإضلال وأظهر

(١) قائله جرير والبيت مذكور في جامع الشواهد وقد مر في هذا المجلد أيضاً .

(٢) ورك الذنب عليه : حمله .

(٣) البيت من المعلقات وأحراس جمع حارس . يقول تجاوزت في ذهابي إلى المحبوبة أهوالاً كثيرة قوماً يحرسونها قوماً حراصاً على قتلي لو قدروا عليه في خفية لأنهم لا يجرؤن على قتلي جهاراً أو حراصاً على قتلي لو أمكنهم قتالي ظاهراً لأن الأسرار من الأضداد .

الاتباع الندامة على الضلال وقيل معناه أقبل بعضهم على بعض يلومه ويظهر ندمه ومن قال بالثاني قال معناه أخفوا الندامة في أنفسهم خوف الفضيحة وقيل معناه أن الرؤساء أخفوا الندامة عن الاتباع ﴿ **لما رأوا العذاب** ﴾ أي حين رأوا نزول العذاب بهم ﴿ **وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا** ﴾ قال ابن عباس غلوا بها في النيران ﴿ **هل يجزون إلا ما كانوا يعملون** ﴾ أي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها على قدر استحقاقهم ﴿ **وما أرسلنا في قرية من نذير** ﴾ أي من نبيّ مخوّف بالله تعالى ﴿ **إلا قال مترفوها** ﴾ أي جبابرتها وأغنياؤها المتنعمون فيها ﴿ **إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ وفي هذا بيان للنبي ﷺ أن أهل قريته جروا على منهاج الأولين وإشارة إلى أنه كان اتباع الأنبياء فيما مضى الفقراء وأوساط الناس دون الأغنياء ثم بيَّن سبحانه علة كفرهم بأن قال ﴿ **وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً** ﴾ أي افتخروا بأموالهم وأولادهم ظنًّا بأن الله سبحانه إنما خوّلهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا إذا رزقنا وحرمتم فنحن أكرم منكم وأفضل عند الله تعالى فلا يعذبنا على كفرنا بكم وذلك قوله ﴿ **وما نحن بمعذبين** ﴾ ولم يعلموا أن الأموال والأولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم وليس ذلك للإكرام والتفضل .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟
وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ
فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة وحده في الغرفة والباقون في الغرفات على الجمع وقرأ يعقوب جزاء بالنصب. الضعف بالرفع .

[ **الحجة** ] حجة من قرأ الغرفة قوله تعالى ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وفي الجنة غرفات وغرف** ﴾ غير أن العرب قد تجتزىء بالواحد عن الجمع إذا كان اسم الجنس قالوا أهلك الناس الدينار والدرهم ومن قرأ فأولئك لهم جزاء الضعف فالتقدير فأولئك لهم الضعف جزاء في حال المجازاة فهو مصدر وضع موضع الحال أي مجزيين جزاء ويجوز أن يكون مفعولاً له وأما إضافة جزاء إلى الضعف في القراءة المشهورة فهو على إضافته إلى المفعول .

[ **الإعراب** ] زلفى في موضع نصب على المصدر تقديره تقرّبكم قربة وتقريباً وقوله ﴿ **إلا من آمن** ﴾ الموصول والصلة في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في تقرّبكم ويجوز أن يكون نصباً على الاستثناء .

[ **المعنى** ] لمّا حكى الله سبحانه عن الكفار أنهم قالوا ما نحن بمعذّبين لأن الله تعالى أغنانا في الدنيا فلا يعذّبنا في الآخرة قال رادّاً عليهم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن ربي** ﴾ الذي خلقني ﴿ **يبسط الرزق لمن يشا** ﴾ على ما يعلمه من مصلحته ومصلحة غيره ﴿ **ويقدر** ﴾ أي ويضيق أيضاً على حسب المصلحة فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية والقدر تضييقه عن قدر الكفاية ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ذلك بجهلهم بالله وبحكمته فيظنّون أن كثرة مال الإنسان يدلّ على كرامته عند الله تعالى ثم صرَّح بهذا المعنى فقال ﴿ **وما أموالكم** ﴾ أي ليس أموالكم التي خوّلتموها ﴿ **ولا أولادكم** ﴾ التي رزقتموها ﴿ **بالتي تقربكم عندنا زلفى** ﴾ أي قربى عن مجاهد قال الأخفش أراد بالتي تقرّبكم عندنا تقريباً فزلفى اسم المصدر وقال الفراء التي يجوز أن يقع على الأموال والأولاد وجاء الخبر بلفظ الواحدة وأن دخل فيه الأخرى ﴿ **إلا من آمن وعمل صالحاً** ﴾ معناه لكن من آمن بالله وعرفه وصدَّق نبيَّه ﷺ وأطاعه فيما أمر به وانتهى عمّا نهاه عنه ﴿ **فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا** ﴾ أي يضاعف الله حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً إلى ما زاد والضعف اسم جنس يدل على الكثير والقليل ويجوز أن يكون الأموال والأولاد تقرب إلى الله تعالى زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعيناً به على القيام بحق التكليف ويستولد الولد كذلك فيقرُّ بأنه عند الله زلفى فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ولا يكون بمعنى لكن وقيل أن جزاء الضعف أن يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم والضعف المثل عن أبي مسلم

﴿ **وهم في الغرفات** ﴾ أي في غرف الجنة وهي البيوت فوق الأبنية ﴿ **آمنون** ﴾ فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله في دار الدنيا من الموت والغير والآفات والأحزان ﴿ **والذين يسعون في آياتنا** ﴾ أي يجتهدون في ابطال آياتنا وتكذيبها ﴿ **معاجزين** ﴾ لأنبيائنا ومعاجزين أي مثبطين غيرهم عن أفعال البر ﴿ **أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** ﴾ مرَّ تفسيره وإنما كرَّره سبحانه لاختلاف الفائدة فالأول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين فكأنه قال ليس أغناء الكفار وأعطاؤهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة واغناء المؤمنين يجوز أن يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله ويدلُّ على ذلك قوله ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾ أي وما أخرجتم من أموالكم في وجوه البرّ فإنه سبحانه يعطيكم خلفه وعوّضه إما في الدنيا بزيادة النعمة وإما في الآخرة بثواب الجنة يقال أخلف الله له وعليه إذا أبدل له ما ذهب عنه ﴿ **وهو خير الرازقين** ﴾ لأنه يعطي لمنافع عباده لا لدفع ضرر أو جرّ نفع لاستحالة المنافع والمضار عليه وقال الكلبي ما تصدقتم به في خير فهو يخلفه أما أن يجعله لكم في الدنيا أو يدّخر لكم في الآخرة وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال قال الله عز وجل لي أنفق أنفق عليك وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال ينادي مناد كل ليلة لدوا للموت وينادي مناد ابنوا للخراب وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفاً وينادي مناد اللهم هب للممسك تلفاً وينادي مناد ليت الناس لم يخلقوا وينادي مناد ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا وعن جابر عن النبي ﷺ قال كل معروف صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً إلا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية وعن أبي أمامة قال أنكم تؤولون هذه الآية في غير تأويلها وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول وإلا فصمتا إياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا ثم قال سبحانه ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً** ﴾ يعني يوم القيامة يجمع العابدين لغير الله والمعبودين من الملائكة للحساب ﴿ **ثم نقول للملائكة أهؤلاء** ﴾ الكفار ﴿ **إياكم كانوا يعبدون** ﴾ أي كانوا يعبدونكم ويقصدونكم بالعبادة وعلى هذا وجه التقرير والاستشهاد للملائكة على اعتقادات الكفار حتى تتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم كما قال سبحانه . ﴿ **ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلَهين من دون الله** ﴾ .

[ **النظم** ] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنهم لما قالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً بيَّن أن دعواهم مردودة وأنهم معذَّبون محجوجون .

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ
وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم
مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا
وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا
إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا
هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ
وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

[ **الإعراب** ] بينات نصب على الحال وآباؤكم فاعل يعبد واسم كان محذوف يفسّره آباؤكم والتقدير عما كان آباؤكم يعبدون. يدرسونها يجوز أن يكون في محل جرّ صفة لكتب ويجوز أن يكون في محل نصب على موضع الجار والمجرور لأن المعنى وما آتيناهم كتباً مدرسة وكيف كان نكير كيف خبر كان ونكير اسمه والنكير معتز مثل عذير في قوله « عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدْوانَ كانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ »(١) .

[ **المعنى** ] ﴿ **قالوا** ﴾ أي قالت الملائكة ﴿ **سبحانك** ﴾ أي تنزيهاً لك عن أن نعبد

(١) قائله ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان؛ قوله « عذير الحي » أي هات من يعذرهم وفي هذا البيت وما بعده قصة لعبد الملك بن مروان مع جمع من قبيلة عدوان ذكرها في الأمالي الشريف المرتضى ( قده ) فراجع أن شئت ج ١ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

سواك ونتخذ معبوداً غيرك ﴿ أنت ﴾يا الله ﴿ ولينا ﴾ أي ناصرنا وأولى بنا ﴿ من دونهم ﴾ أي دون هؤلاء الكفار ودون كل أحد وما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا وربهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ بطاعتهم إياهم فيما دعوهم إليه من عبادة الملائكة وقيل المراد بالجن إبليس وذريته وأعوانه ﴿ وأكثرهم بهم مؤمنون ﴾ أي مصدّقون بالشياطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه ﴿ فاليوم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ لا يملك بعضكم لبعض ﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿ نفعاً ولا ضراً ﴾ أي نفعاً بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب ﴿ ونقول للذين ظلموا ﴾ بأن عبدوا غير الله ﴿ ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي لا تعترفون بها وتجحدونها ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا فقال ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ أي تقرأ عليهم حججنا ﴿ بينات ﴾ أي واضحات من القرآن الذي أنزلناه على نبينا ﴿ قالوا ﴾ عند ذلك ﴿ ما هذا إلا رجل يريد أن يصدَّكم ﴾ أي يمنعكم ﴿ عما كان يعبد آباؤكم ﴾ فزعوا إلى تقليد الآباء لما أعوزتهم الحجة ﴿ وقالوا ما هذا ﴾ القرآن ﴿ إلا أفك ﴾ أي كذب ﴿ مفترى ﴾ قد تخرصه وافتراه ﴿ وقال الذين كفروا للحق ﴾ أي للقرآن ﴿ لما جاءهم إن هذا ﴾ أي كذب ﴿ مفترى ﴾ قد تخرصه وافتراه ﴿ وقال الذين كفروا للحق ﴾ أي جاءهم إن هذا﴾ أي ليس هذا ﴿إلا سحر مبين﴾ أي ظاهر ثم أخبر سبحانه أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة فقال ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ أي وما أعطينا مشركي قريش كتاباً قطّ يدرسونه فيعلمون بدرسه أنّ ما جئت به حق أو باطل وإنما يكذّبونك بهواهم من غير حجة ﴿ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ أي رسول أمرهم بتكذيبك وأخبرهم ببطلان قولك يعني أنهم لا يرجعون في تكذيبك إلا إلى الجهل والعناد واتباع الهوى ثم أخبر سبحانه عن عاقبة من كذب الرسل قبلهم تخويفاً لهم فقال ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ بمن بعث إليهم من الرسل وما آتاهم الله من الكتب ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ أي وما بلغ قومك يا محمد معشار ما أعطينا من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله عن ابن عباس وقتادة ﴿ فكذّبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾ أي عقوبتي وتغييري حالهم وقيل معناه أنظر في آثارهم كيف كان انكاري عليهم بالهلاك عن ابن مسلم والمراد إنا كما أهلكنا أولئك حين كذّبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك والاستئصال .

﴿ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ

لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ
لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ
وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

[ الإعراب ] أن تقوموا في موضع جرّ على البدل من واحدة ويجوز أن يكون في موضع نصب بحذف حرف الجر وإفضاء الفعل إليه والتقدير أعظكم بطاعة الله لأن تقوموا أو أعظكم بأن تقوموا. مثنى وفرادى نصب على الحال. ما سألتكم ما شرطية وهي في محل النصب بأنها مفعول ثان لسألت ويجوز أن تكون موصولة فيكون التقدير ما سألتكموه فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداء. علام الغيوب يجوز أن يكون بدلاً من الضمير المستكن في يقذف ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو علام الغيوب ولو نصب على أنه نعت لربي لكان جائزاً لكن الرفع أجود لأنه جاء بعد تمام الكلام .

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **إنما أعظكم بواحدة** ﴾ أي آمركم وأوصيكم بخصلة واحدة وقيل بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد وقيل بطاعة الله عن مجاهد ومن قال بالأول قال أنه فسَّر الواحدة بما بعده فقال ﴿ **أن تقوموا لله مثنى وفرادى** ﴾ أي اثنين اثنين وواحداً واحداً ﴿ **ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة** ﴾ معناه أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثم تتساءلون هل جرَّبنا على محمد كذباً أو هل رأينا به جنة ففي ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه وليس معنى القيام هنا القيام على الأرجل وإنما المراد به القصد للإصلاح والإقبال عليه مناظراً مع غيره ومتفكراً في نفسه لأن الحق إنما يتبين للإنسان بهما وقد تمَّ الكلام عند قوله تتفكروا وما للنفي قال قتادة أي ليس بمحمد ﷺ جنون وأن جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا أيّ شيء بصاحبكم من الجنون أي هل رأيتم من منشأه إلى مبعثه وصمة تنافي النبوة من كذب أو ضعف في العقل أو اختلاف في القول والفعل فيدلّ ذلك على الجنون ﴿ **إن هو إلا نذير لكم** ﴾ أي مخوّف من معاصي الله ﴿ **بين يدي عذاب شديد** ﴾ يعني عذاب القيامة ثم قال للنبي ﷺ ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **ما**

**سألتكم من أجر فهو لكم** ﴾ يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتتهموني فما طلبته منكم من أجر على إداء الرسالة وبيان الشريعة فهو لكم وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما أعطيتني من أجر فخذه وما لي في هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ومنه النصح مجان وقال الماوردي معناه أن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي وذخره هو لكم دوني وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ﴿ **ان أجري إلا على الله** ﴾ أي ليس ثواب عملي إلا على الله فهو يثيبني عليه ولا يضيعه ﴿ **وهو على كل شيء شهيد** ﴾ أي عليم به لم يغب عنه شيء فيعلم ما يلحقني من أذاكم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن ربي يقذف بالحق** ﴾ ويلقيه إلى أنبيائه عن قتادة ومقاتل ﴿ **علام الغيوب** ﴾ علم جميع الخفيات وما غاب عن خلقه في الأرضين والسموات ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **جاء الحق** ﴾ وهو أمر الله تعالى بالإسلام والتوحيد وقيل هو الجهاد بالسيف عن ابن مسعود ﴿ **وما يبدىء الباطل وما يعيد** ﴾ أي ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه ابداء ولا إعادة ولا إقبال ولا إدبار لأن الحق إذا جاء لا يبقى للباطل بقية وقيل أن الباطل إبليس لا يبدىء الخلق ولا يعيدهم عن قتادة وقيل معناه ما يبدىء الباطل لأهله خيراً في الدنيا ولا يعيد خيراً في الآخرة عن الحسن وقال الزجاج ويجوز أن يكون ما استفهاماً في موضع نصب على معنى وأيّ شيء يبدىء الباطل وأيّ شيء يعيده قال ابن مسعود دخل رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴿ **قل ان ضللت** ﴾ عن الحق كما تدعون ﴿ **فإنما أضل على نفسي** ﴾ أي فإنما يرجع وبال ضلالي عليَّ لأني مأخوذ به دون غيري ﴿ **وإن اهتديت** ﴾ إلى الحق ﴿ **فبما يوحي إلي ربي** ﴾ أي بفضل ربي حيث أوحى إليَّ فله المنة بذلك عليَّ دون خلقه ﴿ **إنه سميع** ﴾ لأقوالنا ﴿ **قريب** ﴾ منّا فلا يخفى عليه المحق والمبطل .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾
وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾
وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾
وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم التناؤش بالمد والهمز والباقون بغير مد ولا همز .

[ **الحجة** ] التناؤش التناول من قولهم نشت أنوش قال الشاعر :

فَهْيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلا     نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوازَ الْفَلا(١)

فمن لم يهمز جعله تفاعلاً منه ومن همز احتمل أمرين ( أحدهما ) أنه أبدل من الواو والهمز لانضمامها مثل أُقتت وادؤر ونحو ذلك ( والآخر ) يكون من النأش وهو الطلب قال رؤبة :

أَقْحَمَنِي جارُ أَبِي الْخامُوشِ     إِلَيْكَ نَأْشَ الْقِدْرِ الْمَنْئُوشِ (٢)

والنأش الحركة في الابطاء قال الشاعر :

تَمَنّى نَئِيشاً أَنْ يَكُونَ أَطاعَني     وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ(٣)

أي تمنّى مدة مديدة فنصب نئيشاً على الظرف .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **ولو ترى** ﴾ يا محمد ﴿ **إذ فزعوا** ﴾ أي عند البعث ﴿ **فلا فوت** ﴾ أي فلا يفوتني منهم أحد ولا ينجو مني ظالم ﴿ **وأخذوا من مكان قريب** ﴾ يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وجواب لو محذوف ويدل الكلام عليه والتقدير لرأيت أمراً عظيماً وقيل إذ فزعوا في الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينة الملائكة لقبض أرواحهم عن قتادة وقيل هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة عن الضحاك والسدي وقال أبو حمزة الثمالي سمعت علي بن الحسين ( ع ) والحسن بن الحسن بن علي ( ع ) يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم قال وحدّثني عمرو بن مرة وحمران بن أعين أنهما سمعا مهاجراً المكي

---

(١) قائله عيلان بن حريث ، والضمير في قوله « فهي » للابل وقوله « من علا » أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، والأجواز جمع جوز وهو الوسط أي تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شرباً كثيراً وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا يحتاج إلى ماء آخر .

(٢) قال ابن منظور أبو الخاموش رجل معروف يقال وأقحمني أي أدخلني وكأن الشاعر يذم أبا الخاموش حيث أن جاره في الاحتياج والفقر أدخل الشاعر إلى من يخاطبه لأجل طلب الطعام ( عن هامش بعض المخطوطة ) .

(٣) قائله نهشل بن حرى قال ابن منظور أي تمنى بعد الفوت أن لو أطاعني وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات . أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة .

يقول سمعت أم سلمة تقول قال رسول الله ﷺ يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله إليه جيشاً حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينة خسف بهم وروي عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول « وَعِندَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ »[1] فذلك قوله ولو ترى إذ فزعوا إلى آخره أورده الثعلبي في تفسيره وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي عبد الله (ع) وأبي جعفر (ع) مثله ﴿ **وقالوا** ﴾ أي ويقولون في ذلك الوقت وهو يوم القيامة أو عند رؤية البأس أو عند الخسف في حديث السفياني ﴿ **آمنا به وأنى لهم التناوش** ﴾ أي ومن أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذي الجئوا إليه بيَّن سبحانه أنهم لا ينالون به نفعاً كما لا ينال أحد التناوش ﴿ **من مكان بعيد** ﴾ وقيل معناه أنهم طلبوا المردّ إلى الدنيا فالمراد أنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال ولم يرد بعد المكان وإنما أراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب ﴿ **وقد كفروا به من قبل** ﴾ المعنى وكيف تقبل توبتهم أو يردّون إلى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك ﴿ **ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** ﴾ أي ويرجمون بالظن فيقولون لا جنَّة ولا نار ولا بعث وهذا أبعد ما يكون من الظن عن قتادة وقيل معناه يرمون محمداً ﷺ بالظنون من غير يقين وذلك قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون وجعله قذفاً لخروجه في غير حقّ وقيل معناه ويبعدون أمر الآخرة فيقولون لاتباعهم هيهات هيهات لما توعدون وذلك كالشيء يرى في موضع بعيد المرمى ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ أي وفرّق بينهم وبين مشتهياتهم بالموت الذي حلَّ بهم كما حلَّ بأمثالهم عن أبي مسلم وقيل مشتهاهم هو التوبة والإيمان أو الردّ إلى الدنيا وقد منعوا منه وقيل هو نعيم الجنة عن الجبائي وقيل معناه منعوا من كل مشتهى

---

(١) ويروى « عند جفينة » بالجيم، وروي « حفينة » بالحاء المهملة أيضاً وهذا من الأمثال وتفصيل الكلام في المثل وتحقيقه مذكور في لسان العرب مادة « جفن » و « جهن » فراجع .

فيلحق الله تعالى فيهم النفار فلا يدركون شيئاً إلا ويتألّمون به ﴿ **كما فعل مثل ذلك بأشياعهم من قبل** ﴾ أي بأمثالهم من الكفار وقيل معناه بموافقيهم وأهل دينهم من الأمم الماضية حين لم تقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب قال الضحاك المراد بذلك أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ﴿ **إنهم كانوا في شك** ﴾ من البعث والنشور وقيل في شك من وقوع العذاب بهم ﴿ **مريب** ﴾ أي مشكّك كما قالوا عجب عجيب .

# (٣٥) سورة فاطر مكية وآياتها خمس وأربعون

مكية قال الحسن إلا آيتين ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله** ﴾ الآية ﴿ **ثم أورثنا الكتاب** ﴾ الآية .

## [ عدد آيها ]

ست وأربعون آية شامي والمدني الأخير وخمس في الباقين .

[ **اختلافها** ] سبع آيات ﴿ **الذين كفروا لهم عذاب شديد** ﴾ بصري شامي جديد والبصير والنور ثلاثهن غير البصري ﴿ **من في القبور** ﴾ غير شامي ﴿ **ان تزولا** ﴾ بصري تبديلاً بصري شامي والمدني الأخير .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب عن النبيﷺ قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة أبواب من الجنة أن ادخل من أيّ الأبواب شئت .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم الله سبحانه السورة المتقدمة بالردّ على أهل الشرك والشك والعنود افتتح هذه السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته ودلائل التوحيد فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا
أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وأبو جعفر غير الله بالجر والباقون بالرفع .

[ **الحجة** ]قال أبو علي من قرأ غير الله بالجر جعله صفة على اللفظ والخبر يرزقكم من السماء والأرض ومن قرأ غير الله بالرفع احتمل وجوهاً ( أحدها ) أن يكون خبر المبتدأ ( والآخر ) أن يكون صفة على الموضع والخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله في الوجود أو العالم ( والثالث ) أن يكون غير استثناء والخبر مضمر كأنه قال هل من خالق إلا الله ويدل على جواز الاستثناء قوله ﴿ ما من إله إلا الله ﴾ .

[ **اللغة** ] الفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحس وفاطر السموات خالقها .

[ **الإعراب** ] مثنى وثلاث ورباع صفة لأجنحة معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة . ما يفتح الله ما شرطية في محل النصب لكونها مفعول يفتح .

[ **المعنى** ] ﴿ **الحمد لله فاطر السماوات والأرض** ﴾ أي خالقهما مبتدئاً على غير مثال سبق حَمَد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده وليبيّن لنا أن الحمد كله له ﴿ **جاعل الملائكة رسلاً** ﴾ إلى الأنبياء بالرسالات والوحي ﴿ **أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع** ﴾ تقدَّم تفسيرها وإنما جعلهم أولي أجنحة ليتمكّنوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة عن قتادة قال ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله ﴿ **يزيد في الخلق ما يشاء** ﴾ قال ابن عباس رأى رسول الله ﷺ جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وهذا اختيار الزجاج والفراء وقيل أراد بقوله يزيد في الخلق ما يشاء

حسن الصوت عن الزهري وابن جريج وقيل هو الملاحة في العينين عن قتادة وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ لا شيء إلا وهو قادر عليه بعينه أو قادر على مثله ثم بيَّن سبحانه أنعامه على خلقه فقال ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها** ﴾ أي ما يأتيهم به من مطر أو عافية أو أيّ نعمة شاء فإن أحداً لا يقدر على امساكه ﴿ **وما يمسك** ﴾ من ذلك ﴿ **فلا مرسل له من بعده** ﴾ أي فإنَّ أحداً لا يقدر على إرساله وقيل معناه ما يرسل الله من رسول إلى عباده في وقت دون وقت فلا مانع له لأنّ إرسال الرسول رحمة من الله كما قال ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وما يمسكه في زمان الفترة أو عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن واللفظ محتمل للجميع ﴿ **وهو العزيز** ﴾ أي القادر الذي لا يعجز ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله أن أنعم وأن أمسك لأنه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال ﴿ **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ الظاهرة والباطنة التي من جملتها أنه خلقكم وأوجدكم وأحياكم وأقدركم وشهّاكم[1] وخلق لكم أنواع الملاذّ والمنافع ﴿ **هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض** ﴾ هذا استفهام تقرير لهم ومعناه النفي ليقرّوا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وهل يجوز إطلاق لفظ الخالق على غير الله سبحانه فيه وجهان ( أحدهما ) أنه لا تطلق هذه اللفظة على أحد سواه وإنما يوصف به غيره على جهة التقييد وإن جاز إطلاق لفظ الصانع والفاعل نحوهما على غيره ( والآخر ) أن المعنى لا خالق يرزق ويخلق الرزق إلا الله تعالى ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي لا معبود يستحق العبادة سواه سبحانه ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ أي كيف تصرفون عن طريق الحق إلى الضلال وقيل معناه أنّى يعدل بكم عن هذه الأدلة التي أقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلّى سبحانه نبيَّه ﷺ عن تكذيب قومه إياه فقال ﴿ **وإن يكذبوك** ﴾ يا محمد ﴿ **فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ فيجازي من كَذّب رسله وينصر من كُذّب من رسله ثم خاطب الخلق فقال ﴿ **يا أيها الناس أن وعد الله** ﴾ من البعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب ﴿ **حق** ﴾ صدق كائن لا محالة ﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا** ﴾ فتغترون بملاذّها ونعيمها ولا يخدعنكم حبّ الرياسة وطول البقاء فإن ذلك عن قليل نافد بائد ويبقى الوبال والوزر ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ وهو الذي عادته أن يغرّ غيره والدنيا وزينتها بهذه الصفة لأن الخلق يغترّون بها وقيل أن الغرور الشيطان الذي هو إبليس عن الحسن ومجاهد .

---

(١) شهّاه : حمله على الشهوة .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون فلا تذهب نفسك والوجه فيهما ظاهر .

[ الإعراب ] حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات وجميعاً نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لله ومكر أولئك هو يبور هو فصل بين المبتدأ وخبره .

[ المعنى ] ثم أنه سبحانه حذَّرهم الشيطان فقال ﴿ **إن الشيطان لكم عدوٌّ** ﴾ يدعوكم إلى ما فيه الهلاك والخسر ويصرفكم عن أفعال الخير والبرّ ويدعوكم إلى الشرّ ﴿ **فاتخذوه عدوّاً** ﴾ أي فعادوه ولا تتّبعوه بأن تعملوا على وفق مراده وتذعنوا لانقياده ﴿ **إنما يدعو**

**حزبه** ﴾ أي اتباعه وأولياءه وأصحابه ﴿ **ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ أي النار المسعرة والمعنى أنه لا سلطان له على المؤمنين ولكنّه يدعو اتباعه إلى ما يستحقّون به النار ثم بيّن سبحانه حال من أجابه وحال من خالفه فقال ﴿ **الذين كفروا لهم عذاب شديد** ﴾ جزاء على كفرهم ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة** ﴾ من الله لذنوبهم ﴿ **وأجر كبير** ﴾ أي ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقرّراً لهم ﴿ **أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً** ﴾ يعني الكفار زيّنت لهم نفوسهم أعمالهم السيئة فتصوّروها حسنة أو زيَّنها الشيطان لهم بأن أمالهم إلى الشبه المضلّة وترك النظر في الأدلة وأغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذة وطرح الكلفة وخبر قوله أفمن زيّن له سوء عمله محذوف أي أهو كمن علم الحسن والقبيح وعمل بما علم ولم يزيّن له سوء عمله وقيل تقديره كمن هداه الله وقيل كمن زيّن له صالح عمله ﴿ **فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ مرَّ بيانه ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ أي لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة ولا يغمّك حالهم إذ كفروا واستحقّوا العقاب وهو مثل قوله ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾ والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر ﴿ **إن الله عليم بما يصنعون** ﴾ فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه إلى ذكر أدلة التوحيد فقال ﴿ **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً** ﴾ أي تهيّجه وتزعجه من حيث هو ﴿ **فسقناه** ﴾ أي فسقنا السحاب ﴿ **إلى بلد ميت** ﴾ أي قحط وجدب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد ﴿ **فأحيينا به** ﴾ أي بذلك المطر والماء ﴿ **الأرض بعد موتها** ﴾ بأن أنبتنا فيها الزرع والكلاء بعد أن لم يكن ﴿ **كذلك النشور** ﴾ أي كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبة من أحيائها بالزرع والنبات ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم للجزاء من الثواب والعقاب ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزّة جميعاً** ﴾ اختلف في معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزة وهي القدرة على القهر والغلبة لمن هي فإنها لله جميعاً عن الفراء وقيل معناه من أراد العزّة فليتعزّز بطاعة الله فإن الله تعالى يعزّه عن قتادة يعني أن قوله ﴿ **فلله العزةجميعاً** ﴾ معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة كما يقال من أراد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده يدل على صحة هذا ما رواه أنس عن النبي ﷺ أنه قال أن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾ والكلم جمع الكلمة يقال هذا كلم وهذه كلم فيذكّر ويؤنّث وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يجوز فيه التذكير والتأنيث ومعنى الصعود هاهنا القبول من صاحبه والإثابة عليه وكلما يتقبَّله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع والصعود لأن الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى وهذا كقوله ﴿ ان كتاب الأبرار لفي علّيين ﴾ وقيل معنى إليه يصعد إلى سمائه وإلى حيث لا يملك الحكم

سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعوداً إليه تعالى كما يقال ارتفع أمرهم إلى السلطان والكلم الطيب الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس وأحسن الكلم لا إلّه إلا الله ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾ قيل فيه وجوه ( أحدها ) العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم وهو معنى قول الحسن ( والثاني ) على القلب من الأول أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى أن العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس ( والثالث ) أن المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه أي يقبله عن قتادة وعلى هذا فيكون ابتداء أخبار لا يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا يوحّد الله سبحانه فقال ﴿ **والذين يمكرون السيئات** ﴾ أي يعملون السيئات عن الكلبي وقيل يمكرون أن يشركون بالله وقيل يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة عن أبي العالية وهو قوله ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾ الآية ﴿ **لهم عذاب شديد** ﴾ في الآخرة ثم أخبر سبحانه أن مكرهم يبطل فقال ﴿ **ومكر أولئك هو يبور** ﴾ أي يفسد ويهلك ولا يكون شيئاً ولا ينفذ فيما أرادوه .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ
أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟

دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ
بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ
ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ روح وزيد عن يعقوب ولا يَنقص بفتح الياء وهو قراءة الحسن وابن سيرين والباقون ولا يُنقص على البناء للمفعول به وقرأ قتيبة عن الكسائي والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سَيْغٌ شرابه .

[ **الحجة** ] من قرأ يَنْقُص فالتقدير ولا يَنْقُص الله من عمره والقراءة المشهورة ولا يُنْقَص وهي أوفق لما تقدَّمه من قوله ﴿ **وما يعمّر من معمّر** ﴾ وكذلك قراءة تدعون على الخطاب أوفق بما تقدَّم من الكلام وما تأخَّر ويدعون بالياء على الغيبة ومن قرأ سَيْغٌ شرابه فإنه على التخفيف من سَيِّغٌ بالتشديد على فيعل وأصله سيوغ مثل هَيْن وهيّن وميت وميّت .

[ **اللغة** ] النطفة الماء القليل والماء الكثير وهو من الأضداد ومنه قول أمير المؤمنين (ع) لما قيل له أن الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والعمر البقاء وأصله طول المدة وقولهم لعَمر الله بالفتح لا غير والقطمير لفافة النواة وقيل الحبّة في بطن النواة والجديد القريب العهد بانقطاع العمل عنه وأصله من القطع .

[ **الإعراب** ] لا ينقص تقديره لا ينقص من عمره شيء فمفعول ما لم يسمَّ فاعله محذوف وقوله إلا في كتاب الجار والمجرور في موضع خبر لمبتدأ محذوف تقديره إلا هو كائن في كتاب. تلبسونها يجوز أن يكون جملة منصوبة الموضع على الحال من تستخرجون ويجوز أن يكون صفة لحلية أي حلية ملبوسة واللام من قوله ﴿ **لتبتغوا** ﴾ يتعلق بمواخر لأن المعنى أن الفلك يشق الماء للإبتغاء من فضل الله وقوله ﴿ **من دونه** ﴾ في موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله ﴿ **تدعون** ﴾ والتقدير والذين تدعونهم كائنين من دونه .

[ **المعنى** ] ثم نسق سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد فقال ﴿ **والله خلقكم من تراب** ﴾ بأن خلق آباكم آدم منه فإن الشيء يضاف إلى أصله وقيل أراد به آدم (ع) نفسه ﴿ **ثم من نطفة** ﴾ أي ماء الرجل والمرأة ﴿ **ثم جعلكم أزواجاً** ﴾ أي ذكوراً وإناثاً وقيل ضروباً

وأصنافاً ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ أي وما تحصل من الإناث حاملة ولدها في بطنها إلا بعلم الله تعالى والمعنى إلا وهو عالم بذلك ﴿ **وما يعمّر من معمّر** ﴾ معناه وما يمدّ في عمر معمر أي ولا يطول عمر أحد ﴿ **ولا ينقص من عمره** ﴾ أي من عمر ذلك المعمر بانقضاء الأوقات عليه عن أبي مالك يعني ولا يذهب بعض عمره بمضيّ الليل والنهار وقيل معناه ولا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله تعالى إن فلاناً لو أطاع لبقي إلى وقت كذا وإذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلاثة أوجه إما أن يكون من عمر المعمر أو من عمر معمر آخر أو يكون بشرط ﴿ **إلا في كتاب** ﴾ أي إلا وذلك مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ أثبته الله تعالى قبل كونه قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى يأتي على آخر عمره ﴿ **إن ذلك على الله يسير** ﴾ يعني أن تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه وإثبات ذلك في الكتاب سهل على الله تعالى غير متعذر ثم قال ﴿ **وما يستوي البحران** ﴾ يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال ﴿ **هذا عذب فرات** ﴾ أي طيب بارد ﴿ **سائغ شرابه** ﴾ أي جائز في الحلق هنيء ﴿ **وهذا ملح أجاج** ﴾ شديد الملوحة عن ابن عباس وما بعد هذا مفسّر في سورة النحل إلى آخر الآية ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾ أي يدخل أحدهما في الآخر بالزيادة والنقصان ﴿ **وسخّر الشمس والقمر** ﴾ أي يجريهما كما يريد ﴿ **كلّ يجري لأجل مسمى** ﴾ أي لوقت معلوم وقد مضى تفسيره ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ أي مدبّر هذه الأمور هو الله خالقكم ﴿ **له الملك** ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ **والذين تدعون من دونه** ﴾ أي تدعونهم آلهة من الأصنام والأوثان وتوجّهون عبادتكم إليهم ﴿ **ما يملكون من قطمير** ﴾ أي قشر نواة عن ابن عباس أي لا يقدرون من ذلك على قليل ولا كثير ﴿ **إن تدعوهم** ﴾ لكشف ضرّ ﴿ **لا يسمعوا دعاءكم** ﴾ لأنها جماد لا تنفع ولا تضرّ ﴿ **ولو سمعوا** ﴾ بأن يخلق الله لها سمعاً ﴿ **ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم** ﴾ أي يتبرأون عن عبادتكم ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابديها فيقولون لِمَ عبدتمونا وما دعوناكم إلى ذلك قال البلخي ويجوز أن يكون المراد به الملائكة وعيسى ويكون معنى قوله ﴿ **لا يسمعوا دعاءكم** ﴾ أنهم بحيث لا يسمعونه أو أنهم مشتغلون عنهم لا يلتفتون إليهم ويجوز أن يكون المراد به الأصنام ويكون ما يظهر من بطلان ما ظنّوه كفراً بشركهم وجحوداً له كما أن ما يحصل في الجماد من الدلالة على الله تسبيح منهم ﴿ **ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ أي لا يخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مثل الله سبحانه العليم بالأشياء كلّها ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء** ﴾ المحتاجون ﴿ **إلى الله والله هو الغني** ﴾

عن عبادتكم لا يحتاج إلى شيء ﴿ **الحميد** ﴾ المستحق للحمد على جميع أفعاله فلا يفعل إلا ما يستحق به حمداً ثم أخبر عن كمال قدرته فقال ﴿ **أن يشأ يذهبكم** ﴾ ويفنكم ﴿ **ويأت بخلق جديد** ﴾ سواكم كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ **وما ذلك على الله بعزيز** ﴾ أي ممتنع بل هو عليه هيّن يسير .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

[ **اللغة** ] الحرور السموم وهي الريح الحارة قال الفراء السموم لا يكون إلا بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار والإستواء حصول أحد الشيئين على مقدار الآخر ومنه الإستواء في العود والطريق خلاف الإعوجاج لممره على مقدار وضع له من غير إنعدال والإسماع إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن عدله في حكمه فقال ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى أي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وإنما يؤاخذ كل بما يقترفه من الآثام ﴿ وأن تدع مثقلة إلى حملها ﴾ أي وأن تدع نفس مثقلة بالآثام غيرها إلى أن يتحمل عنها شيئاً من إثمها ﴿ لا يحمل منه شيء ﴾ أي لا يحمل غيرها شيئاً من ذلك الحمل ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ أي ولو كان المدعو إلى التحمل ذا قرابة منها وأقرب الناس إليها ما حمل عنها شيئاً فكل نفس بما كسبت رهينة قال ابن عباس يقول الأب والأم يا بني إحمل عني فيقول حسبي ما عليَّ ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أي وهم غائبون عن أحكام الآخرة وأهوالها وهذا كقوله ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ والمعنى إن إنذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار وقيل الذين يخشون ربهم في خلواتهم وغيبتهم عن الخلق ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ أي أداموها وقاموا بشرائطها وإنما عطف الماضي على المستقبل أشعاراً باختلاف المعنى لأن الخشية لازمة في كل وقت والصلاة لها أوقات مخصوصة ﴿ ومن تزكى ﴾ أي فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكاة وغيرها من الواجبات وقيل تطهر من الآثام ﴿ فإنما يتزكّى لنفسه ﴾ لأن جزاء ذلك يصل إليه دون غيره ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي مرجع الخلق كلّهم إلى حيث لا يملك الحكم إلا الله سبحانه فيجازي كُلًّا على قدر عمله ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾ أي لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والذي اهتدى إليه قط وقيل المشرك والمؤمن ﴿ ولا الظلمات ﴾ أي ظلمات الشرك والضلال ﴿ ولا النور ﴾ أي نور الإيمان والهداية وفي قوله ﴿ ولا النور ﴾ وما بعده من زيادة لا قولان ( أحدهما ) أنها زائدة مؤكدة للنفي ( والثاني ) إنها نافية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل ﴿ ولا الظل ولا الحرور﴾ يعني الجنة والنار عن الكلبي وقيل يعني ظل الليل والسموم بالنهار ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ يعني المؤمنين والكافرين وقيل يعني العلماء والجهّال وقال بعضهم أراد نفس الأعمى والبصير والظلّ والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل أي كما لا يستوي هذه الأشيا ء ولا يتماثل ولا يتشاكل فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة غيره ولا يستوي المؤمن والكافر والحق والباطل والعالم والجاهل ﴿ إن الله يسمع من يشاء ﴾ أي ينفع بالإسماع من يشاء أن يلطف له ويوفقّه ولم يرد به نفي حقيقة السماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ أي إنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إيّاهم إذ لم يقبلوا كما لا تسمع من في القبور من الأموات ﴿ إن أنت إلا نذير ﴾ أي ما أنت إلا مخوّف لهم بالله ﴿ إنا أرسلناك بالحق ﴾ أي بالدين الصحيح ﴿بشيراً ونذيراً ﴾ أي مبشّراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين

﴿ **وإن من أمة** ﴾ أي وما من أمة من الأمم الماضية ﴿ **إلا خلا فيها نذير** ﴾ أي مضى فيها مخوّف يخوّفهم وينذرهم فأنت مثلهم نذير لمن جحد بشير لمن وحد قال الجبائي وفي هذا دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا وقد بعث إليه الرسول وإنه سبحانه أقام الحجة على جميع الأمم ثم قال تعالى تسلية لنبيّه ﷺ ﴿ **وإن يكذبوك** ﴾ يا محمد ولم يصدّقوك ﴿ **فقد كذب الذين من قبلهم** ﴾ من الكفار أنبياء أرسلهم الله إليهم ﴿ **جاءتهم رسلهم بالبينات** ﴾ أي بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات ﴿ **وبالزبر** ﴾ أي وبالكتب ﴿ **وبالكتاب المنير** ﴾ أي الواضح البيّن وإنما كرّر ذكر الكتاب وعطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فإن الزبور أثبت في الكتاب من الكتاب لأنه يكون منقراً منقشاً فيه كالنقر في الحجر ﴿ **ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير** ﴾ أي فلما كذّبوا رسلهم ولم يعترفوا بنبوتهم أخذتهم بالعذاب وأهلكتهم ودمّرت عليهم فكيف كان تعييري وإنكاري عليهم وإنزالي العقاب بهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ
وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[ اللغة ] واحد الجُدَد جُدَّة وأما الجُدُد فجمع جديد قال المبرد الجُدَد الطرائق والخطوط قال امرؤ القيس :

كَــأَنَّ سَــرَاتَــهُ وَجُــدَّةَ مَــتْــنِــهِ كَنَـائِنُ يَـجْـرِي بَيْـنَهُـنَّ دَلِيصُ(١)

يعني الخطة السوداء في ظهر حمار الوحش وكل طريقة جدة وجادة وقال الفراء هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر والغربيب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب .

[ **الإعراب** ] مختلفاً صفة لثمرات وألوانها مرفوع بأنه فاعله مختلف ألوانه خبر مبتدأ محذوف تقديره ما هو مختلف ألوانه فالهاء في ألوانه عائد إلى هو ويجوز أن يكون الهاء عائداً إلى موصوف لمختلف تقدير جنس مختلف ألوانه وهو الأصحّ سرّاً وعلانية يجوز أن يكون نصبهما على الحال على تقدير أنفقوا مسرّين ومعلنين ويجوز أن يكون على صفة مصدر أنفق تقديره أنفقوا إنفاقاً مسرّاً ومعلناً ويرجون في موضع نصب على الحال .

[ **المعنى** ] ثم عاد الكلام إلى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء** ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ **فأخرجنا** ﴾ أخبر عن نفسه بنون الكبرياء والعظمة ﴿ **به** ﴾ أي بذلك الماء ﴿ **ثمرات** ﴾ جمع ثمرة وهي ما تجتني من الشجر ﴿ **مختلفاً ألوانها** ﴾ وطعومها وروائحها إقتصر على ذكر الألوان لأنها أظهر ولدلالة الكلام على الطعوم والروائح ﴿ **ومن الجبال جدد** ﴾ أي ومما خلقنا من الجبال جدد ﴿ **بيض وحمر** ﴾ أي طرق بيض وطرق حمر ﴿ **مختلف ألوانها وغرابيب سود** ﴾ أي ومن الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء وهذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال أسود غربيب وأسود حالك وأقول ينبغي أن يكون سود عطف بيان يبين غرابيب به والأجود أن يكون تأكيداً إذ الغرابيب لا تكون إلا سوداً فيكون كقولك رأيت زيداً زيداً وهذا أولى من أن يحمل على التقديم والتأخير ﴿ **ومن الناس** ﴾ أيضاً ﴿ **والدواب** ﴾ التي تدبُّ على وجه الأرض ﴿ **والأنعام** ﴾ كالإبل والغنم والبقر خلق ﴿ **مختلف ألوانه كذلك** ﴾ أي كاختلاف الثمرات والجبال وتمّ الكلام ثم قال ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ أي ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفاً من نقمته إلا العلماء الذين يعرفونه حق معرفته وروي عن الصادق ( ع ) أنه قال يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعن ابن عباس قال يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني وفي الحديث أعلمكم بالله أخوفكم لله قال مسروق كفى بالمرء علماً أن يخشى الله وكفى بالمرء

---

(١) سراة الفرس: أعلى متنه والكنائن جمع الكنانة: جعبة السهام والدليص: ذهب له بريق .

جهلاً أن يعجب بعلمه وإنما خصَّ سبحانه العلماء بالخشية لأن العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل حيث يختصّ بمعرفة التوحيد والعدل ويصدّق بالبعث والحساب والجنة والنار ومتى قيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله ويرتكب المعاصي ( فالجواب ) أنه لا بدّ من أن يخافه مع العلم به وإن كان يؤثّر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة ﴿ **إن الله** ﴾ تعالى ﴿ **عزيز** ﴾ في إنتقامه من أعدائه ﴿ **غفور** ﴾ لزلّات أوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله** ﴾ أي يقرؤون القرآن في الصلاة وغيرها أثنى سبحانه عليهم بقراءة القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء ﴿ **وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم** ﴾ أي ملكناهم التصرف فيه ﴿ **سراً وعلانية** ﴾ أي في حال سرّهم وفي حال علانيتهم وعن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله مالي لا أحبُّ الموت قال ألك مال قال نعم قال فقدّمه قال لا أستطيع قال فإن قلب الرجل مع ماله إن قدّمه أحبَّ أن يلحق به وإن أخّره أحب أن يتأخّر معه ﴿ **يرجون تجارة لن تبور** ﴾ أي راجين بذلك تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك ﴿ **ليوفيهم أجورهم** ﴾ أي قصدوا بأعمالهم الصالحة وفعلوها لأن يوفيهم الله أجورهم بالثواب ويزيدهم على قدر إستحقاقهم ﴿ **من فضله أنه غفور** ﴾ لذنوبهم ﴿ **شكور** ﴾ لحسناتهم عن الزجاج وقال الفراء خبر إن قوله ﴿ **يرجون تجارة لن تبور** ﴾ وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال في قوله ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفاً في الدنيا وعن الضحاك قال يفسح لهم في قبورهم وقيل معنى شكور أنه يقبل اليسير ويثيب عليه الكثير تقول العرب أشكر من بروقة وتزعم أنها شجرة عارية من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر وتورق من غير مطر .

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ
بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا
مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ
بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو يُدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله يُحلَّون والباقون بفتح الياء لأنهم إذا أدخلوا فقد دخلوا وقد ذكرنا إختلافهم في لؤلؤاً في سورة الحج .

[ **اللغة** ] المقامة الإقامة وموضع الإقامة وإذا فتحت الميم كان بمعنى القيام وموضع القيام قال الشاعر :

يَــوْمَان يَــوْمُ مَقَـامَــاتٍ وَأَنْـدِيَــةٍ  وَيَـوْمُ سَيْـرٍ إِلَى الأَعْـدَاءِ تَـأْوِيبِ(١)

والنُصْب التعب وفيه لغتان النُصْب والنَصَب لغتان كالرُشْد والرَشَد والحُزْن والحَزَن واللغوب الأعياء من التعب .

[ **الإعراب** ] من الكتاب في موضع الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصلة والتقدير والذي أوحيناه إليك كائناً من الكتاب جنات عدن يدخلونها خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون بدلاً من قوله الفضل الكبير يدخلونها في موضع نصب على الحال وكذلك يحلون فيها من أساور من يتعلق بيحلون من ذهب في موضع الصفة لاساور أي أساور كائنة من ذهب والمعنى ذهبية لا يمسنا في موضع نصب على الحال .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ **والذي أوحينا إليك** ﴾ يا محمد وأنزلناه ﴿ **من الكتاب** ﴾ وهو القرآن ﴿ **هو الحق** ﴾ أي الصحيح الذي لا يشوبه فساد والصدق الذي لا يمازجه كذب والعقل يدعو إلى الحق ويصرف عن الباطل ﴿ **مصدّقاً لما بين يديه** ﴾ أي لما قبله من الكتب لأنه جاء موافقاً لما بشّرت به تلك الكتب من حاله وحال من أتى به ﴿ **إن الله بعباده لخبير** ﴾ أي عالم ﴿ **بصير** ﴾ بأحوالهم ﴿ **ثم أورثنا الكتاب** ﴾ يعني القرآن وقيل

(١) مر البيت في صفحة ٥٩٥ من هذا الجزء .

هو التوراة عن أبي مسلم وقيل أراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس عن الجبائي والصحيح الأول لأن ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق إلا على القرآن ﴿ **الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ أي اخترناهم ومعنى الإرث أنتهاء الحكم إليهم ومصيره لهم كما قال وتلك الجنة التي أورثتموها وقيل معناه أورثناهم الإيمان بالكتب السالفة إذ الميراث إنتقال الشيء من قوم إلى قوم والأول أصحّ واختلف في الذين اصطفاهم الله تعالى عن عباده في الآية فقيل هم الأنبياء إختارهم الله برسالته وكتبه عن الجبائي وقيل هم المصطفون الداخلون في قوله إن الله اصطفى آدم إلى قوله وآل إبراهيم وآل عمران يريد بني إسرائيل عن أبي مسلم قال لأن الأنبياء لا يرثون الكتب بل يورث علمهم وقيل هم أمة محمد ﷺ أورثهم الله كل كتاب أنزله عن ابن عباس وقيل هم علماء أمة محمد ﷺ لما ورد في الحديث العلماء ورثة الأنبياء والمروي عن الباقر والصادق ( ع ) أنهما قالا هي لنا خاصة وإيانا عني وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الأصطفاء والإجتباء وإيراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بجلائله ودقائقه ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾ إختلف في أن الضمير في منهم إلى من يعود على قولين ( أحدهما ) أنه يعود إلى العباد وتقدير الكلام فمن العباد ظالم وروي نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة واختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا قال والوجه فيه أنه لما علّق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بيَّن عقيبه أنه إنما علَّق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات ( والقول الثاني ) أن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد عن أكثر المفسرين ثم إختلف في أحوال الفرق الثلاث على قولين ( أحدهما ) إن جميعهم ناج ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في الآية أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن وعن عائشة أنها قالت كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم فمثلي ومثلكم وروي عنها ايضاً أنها قالت السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي اسلم بعد الهجرة والظالم نحن وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل إن الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل منهم ظالم لنفسه بالصغائر ومنهم مقتصد بالطاعات في الدرجة الوسطى ومنهم سابق بالخيرات في الدرجة العليا عن جعفر بن حرب وروى أصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق ( ع ) أنه قال

الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الإمام والمقتصد منا العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات هو الإمام وهؤلاء كلهم مغفور لهم وعن زياد بن المنذر عن أبي جعفر (ع) قال وأما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملاً صالحاً وآخر سيئاً وأما المقتصد فهو المتعبد المجتهد وأما السابق بالخيرات فعلي والحسن والحسين (ع) ومن قتل من آل محمد ﷺ شهيداً والقول الآخر أن الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية قال قتادة الظالم لنفسه أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وكنتم أزواجاً ثلاثة وقال عكرمة عن ابن عباس إن الظالم هو المنافق والمقتصد والسابق من جميع الناس وقال الحسن السابقون هم الصحابة والمقتصدون هم التابعون والظالمون هم المنافقون[١] فإن قيل لِمَ قدّم الظالم وأخّر السابق وإنما يقدّم الأفضل فالجواب أنهم يقدّمون الأدنى في الذكر على الأفضل قال سبحانه يولج الليل في النهار وقال يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور وقال خلق الموت والحياة وقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقيل إنما قدَّم الظالم لئلا ييأس من رحمته وأخّر السابق لئلا يعجب بعلمه وقيل إنما رتّبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال الناس ثلاث معصية وغفلة ثم التوبة ثم القربة فإذا عصى فهو ظالم وإذا تاب فهو مقتصد وإذا صحَّت توبته وكثرت مجاهدته إتصل بالله وصار من جملة السابقين وقوله ﴿ **بإذن الله** ﴾ أي بأمره وتوفيقه ولطفه ﴿ **ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ معناه أن إيراث الكتاب واصطفاء الله إياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم ﴿ **جنات عدن يدخلونها** ﴾ هذا تفسير للفضل كأنه قيل ما ذلك الفضل فقال هي جنات أي جزاء جنات أو دخول جنات ويجوز أن يكون بدلاً من الفضل كأنه قال ذلك دخول جنات ﴿ **يحلّون فيها من أساور** ﴾ جمع أسورة وهي جمع سوار ﴿ **من ذهب ولؤلؤاً** ﴾ ومن قرأ ولؤلؤاً فالمعنى ويحلون فيها لؤلؤاً ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾ وهو الابريسم المحض وإذا قلنا إن المراد به الفرق الثالث فالظالم إنما يدخلها بفضل الله تعالى أو بالشفاعة ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن** ﴾ أخبر سبحانه عن حالهم أنهم إذا دخلوا الجنة يقولون الحمد لله إعترافاً منهم بنعمته لا على وجه التكليف وشكراً له على أن أذهب الغم الذي كانوا عليه مستحقين لذلك فإذا تفضَّل الله عليهم بإسقاط عقابهم وأدخلهم الجنة حمدوه على ذلك وشكروه ﴿ **إن ربنا لغفور** ﴾ لذنوب عباده وقبيح أفعالهم ﴿ **شكور** ﴾ يقبل اليسير من محاسن أعمالهم وقيل إن شكره سبحانه هو مكافاته لهم على الشكر له والقيام بطاعته وإن كان حقيقة الشكر لا يجوز عليه سبحانه من حيث كان إعترافاً بالنعمة ولا يصحّ أن يكون سبحانه منعماً عليه ﴿ **الذي**

---

(١) وحكى عن بعض أهل العرفان أن الظالم: الذي يجزع عند البلاء والمقتصد: الذي يصبر على البلاء. والسابق الذي يتلذذ بالبلاء.

**أحلّنا دار المقامة** ﴾ أي أنزلنا دار الخلود يقيمون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحوّلون عنها ﴿ **من فضله** ﴾ أي ذلك بتفضّله وكرمه ﴿ **لا يمسّنا فيها نصب** ﴾ لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة ﴿ **ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾ أي ولا يصيبنا فيها أعياء ومتعبة في طلب المعاش وغيره .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ
جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا
نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾
إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا
مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ
ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ
عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمر وخلف وحده يجزى كل كفور على ما لم يسم فاعله والباقون نجزي بالنون كل بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وخلف على بينة بالتوحيد والباقون بينات بالجمع .

[ **الحجة** ] من قرأ نجزي بالنون فإنه على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه ومن قرأ

على بناء الفعل للمفعول به فحجته أن ما قبله لا يقضى عليهم ولا يخفف عنهم والوجه في قراءة بينة على الأفراد أنه يجعل ما في الكتاب أو ما يأتي به النبي ﷺ بيّنة كما قال أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وقد جاءتكم بينة من ربكم ومن قرأ بالجمع فإن لكل نبيّ بينة فإذا جمعوا جمعت البينة بجمعهم على أن في الكتاب ضروباً من البينة فجمع لذلك .

[ **اللغة** ] الإصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة إفتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها وإنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الإستعلاء والأطباق ويوافق التاء في المخرج والمقت البغض مقته يمقته وهو ممقوت ومقيت .

[ **الإعراب** ] فيموتوا جواب النفي ويموتوا منصوب بإضمار أن وعلامة النصب سقوط النون ما يتذكر فيه من تذكر الموصول والصلة في محل النصب على أنه ظرف زمان لأن المعنى أو لم نعمركم زماناً طويلاً يتذكر فيه من تذكر والهاء فيه يعود إلى ما وقلَّما يجيء ما في معنى الظرف وهو إسم وإنما يجيء حرفاً مصدرياً .

[ **المعنى** ] لمّا قدَّم سبحانه ذكر ما أعدَّه لأهل الجنة من أنواع الثواب عقَّبه بذكر ما أعدَّه للكفار من أليم العقاب فقال ﴿ **والذين كفروا** ﴾ بوحدانية الله وجحدوا نبوّة نبيّه ﴿ **لهم نار جهنم** ﴾ جزاء على كفرهم ﴿ **لا يقضى عليهم** ﴾ بالموت ﴿ **فيموتوا** ﴾ فيستريحوا ﴿ **ولا يخفَّف عنهم من عذابها** ﴾ أي ولا يسهل عليهم عذاب النار ﴿ **كذلك** ﴾ أي ومثل هذا العذاب ونظيره ﴿ **نجزي كل كفور** ﴾ جاحد كثير الكفران مكذّب لأنبياء الله ﴿ **وهم يصطرخون فيها** ﴾ أي يتصايحون بالاستغاثة يقولون ﴿ **ربنا أخرجنا** ﴾ من عذاب النار ﴿ **نعمل صالحاً** ﴾ أي نؤمن بدل الكفر ونطع بدل المعصية والمعنى ردّنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التي تأمرنا بها ﴿ **غير الذي كنا نعمل** ﴾ من المعاصي فوبّخهم الله تعالى فقال ﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** ﴾ أي ألم نعطكم من العمر مقدار ما يمكن أن يتفكَّر ويعتبر وينظر في أمور دينه وعواقب حاله من يريد أن يتفكر ويتذكر واختلف في هذا المقدار فقيل هو ستون سنة وهو المروي عن أمير المؤمنين ( ع ) قال العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ أيضاً مرفوعاً أنه قال من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه وقيل هو أربعون سنة عن ابن عباس ومسروق وقيل هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة عن وهب وقتادة وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ **وجاءكم النذير** ﴾ أي المخوّف من عذاب الله وهو محمد ﷺ عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل النذير القرآن عن زيد بن علي وقيل النذير الشيب عن عكرمة وسفيان بن عيينة ومنه قيل.

رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ الْمَنَايَا لِصَاحِبِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ نَذِيرِ
وَقَائِلَةٍ تَبَيَّضْ وَالْغَوَانِي نَوَافِرُ عَنْ مُعَايَنَةِ الْقَتِيرِ[1]
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي وَلَسْتُ مُسَوِّداً وَجْهَ النَّذِيرِ

وقال عدي بن زيد :

وَابْيِضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذُرِ الْمَوْ تِ وَهَلْ بَعْدَهُ يَجِيءُ نَذِيرُ

وقيل النذير موت الأهل والأقارب وقيل كما العقل ﴿فذوقوا﴾ أي فذوقوا العذاب وحسرة الندم ﴿ فما للظالمين من نصير ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ إن الله عالم غيب السماوات والأرض ﴾ فلا يخفى عليه شيء مما يغيب عن الخلائق علمه ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي فلا تضمروا في أنفسكم ما يكرهه سبحانه فإنه عالم به ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ أي جعلكم معاشر الكفار أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن عن قتادة وقيل جعلكم خلائف القرون الماضية بأن أحدثكم بعدهم وأورثكم ما كان لهم ﴿ فمن كفر فعليه كفره ﴾ أي فعليه ضرر كفره وعقاب كفره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ﴾ أي أشدّ البغض ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً ﴾ أي خسراناً وهلاكاً ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ معناه أخبروني أيّها المشركون عن الأوثان الذين أشركتموهم مع الله في العبادة أروني ماذا خلقوا من الأرض أي بأيّ شيء أوجبتم له شركاً مع الله تعالى في العبادة أبشيء خلقوه من الأرض ﴿ أم لهم شرك في السماوات ﴾ أي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال ﴿ أم آتيناهم كتاباً ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك ﴿ فهم على بينة ﴾ أي فهم على دلالات واضحات ﴿ منه ﴾ أي من ذلك الكتاب أراد فإن جميع ذلك محال لا يمكنهم إقامة حجة ولا شبهة على شيء منه وقيل أم آتيناهم كتاباً بأن الله لا يعذّبهم على كفرهم فهم واثقون به ﴿ بل أن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾ معناه ليس شيء من ذلك لكن ليس يعد بعض الظالمين بعضاً إلا غروراً لا حقيقة له يغرونهم يقال غرّة يغرّه غروراً إذا أطمعه فيما لا يطمع فيه .

[ النظم ] إتصال قوله ﴿ إن الله عالم غيب السماوات والأرض ﴾ الآية بما قبله إن المعنى يعلم الله إنه لو ردّكم إلى الدنيا لعدتم إلى كفركم فاتّصل بقوله نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل واتصل قوله ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ بما قبله على معنى أنه

(١) الغواني جمع الغانية : الجارية الحسناء، سميت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة، والقتير: الشيب .

كما أورثكم الكتاب أورثكم الأرض لتشكروه على نعمه وتعتبروا بمن سلف من الأمم .

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا
إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ
مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾
ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ
عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة وحده ومكر السيء بسكون الهمزة والباقون بالجر .

[ **الحجة** ] قال الزجاج تسكين هذه الهمزة لحن عند البصريين وإنما يجوز في الشعر في الإضطرار أنشدوا « إِذَا أعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ »(١) والأصل يا صاحب قوِّم لكنّه

(١) هذا صدر بيت وعجزه « بالدو أمثال السفين العوم » يعني إذا عدلت الإبل عن الطريق قلت لصاحبي قومها على =

حذف مضطراً وأنشدوا :

فَـالْيَـوْمَ أَشْـرَبْ غَيْـرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْـمـاً مِـنَ اللهِ وَلَا وَاغِـلِ(١)

وأنشد أبو العباس المبرد(٢) « إِذَا اعْـوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِ قَـوِّم »(٣) وقال أبـو علي في إسكان الهمزة أجراها في الوصل مجراها في الوقف فهو مثل قوله « بِبَازِلٍ وَجْنَاه أَوْ عَيْهَلِّ »(٤) وقوله « مِثْلُ الْحَرِيقِ وافَقَ الْقَصَبَّا »(٥).

[ **الإعراب** ] إن نزولاً مفعول له أي كراهة أن تزولا أو لئلا تزولا واستكباراً مفعول له أيضاً ومكر السيء معطوف عليه ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير استكبروا استكباراً في الأرض وأن يكون حالاً أيضاً أي مستكبرين في الأرض وأن يكون بدلاً من نفوراً أي ما زادهم مجيء النذير إلا استكباراً في الأرض من شيء فاعل يعجز ومن مزيدة ومن دابّة في محل نصب لأنه مفعول ترك ومن مزيدة أيضاً .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن عظم قدرته وسعة مملكته فقال ﴿ **إن الله يمسك السماوات والأرض** ﴾ معناه أن يمسك السماوات من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها ويمسك الأرض كذلك ﴿ **أن تزولا** ﴾ أي لئلا تزولا ﴿ **ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد** ﴾ أي وإن قدر أن تزولا عن مراكزهما ما أمسكهما أحد ولا يقدر على إمساكهما أحد ﴿ **من بعده** ﴾ أي من بعد الله تعالى وقيل من بعد زوالهما ﴿ **إنه كان حليماً** ﴾ أي قادراً لا يعاجل بالعقوبة من إستحقّها ﴿ **غفوراً** ﴾ أي ستّاراً للذنوب كثير الغفران ثم حكى عن الكفار فقال ﴿ **واقسموا بالله جهد إيمانهم** ﴾ يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمد ﷺ بإيمان غليظة غاية وسعهم وطاقتهم ﴿ **ولئن جاءهم نذير** ﴾ أي رسول مخوّف من جهة الله تعالى

= الطريق لا تتركهما تعدل عنه. والدو: الفلاة الواسعة. والعوم: السباحة. شبه دخول الإبل في المفازة بدخول السفن في الماء.

(١) قائله امرؤ القيس، والمستحقب: المكتسب للإثم الحامل له. والواغل: الذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه، وحكى عن شرح الديوان: أنه كان حلف أن لا يشرب خمراً، ولا يأكل لحماً، ولا يغسل رأس حتى يدرك بثأر أبيه، فلما أخذه شرب الخمر وقال البيت.

(٢) يعني إن المبرد ينكر ما رويناه ويروى هكذا. و « صاح » مرخم « صاحب ».

(٣) [ « واليوم فاشرب » وهذا جيد ].

(٤) قائله منظور بن مرثد. والبازل البعير إذا استكمل السنة الثامنة وفطرنا به والوجناء من النوق: التامة الخلق، الضخمة الشديدة. والعيهل: الشديدة والشاهد في تشديد اللام عن عيهل للضرورة.

(٥) قائله رؤبة وبعده « والتين والحلفاء فالتهبا » والحلفاء: نبت .

﴿ ليكونن أهدى ﴾ إلى قبول قوله واتباعه ﴿ من إحدى الأمم ﴾ الماضية يعني اليهود والنصارى والصابئين ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ محمد ﷺ ﴿ ما زادهم ﴾ مجيئه ﴿ إلا نفوراً ﴾ أي تباعداً عن الهدى وهرباً من الحق والمعنى أنهم إزدادوا عند مجيئه نفوراً ﴿ إستكباراً ﴾ أي تكبّراً وتجبّراً وعتوّاً على الله وأنفة من أن يكونوا تبعاً لغيرهم ﴿ في الأرض ومكر السيىء ﴾ أي وقصد الضرر بالمؤمنين والمكر السيىء كل مكر أصله الكذب والخديعة وكان تأسيسه على فساد لأن من المكر ما هو حسن وهو مكر المؤمنين بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذي يحسن أن يمكروا بهم فالمراد به هاهنا المكر برسول الله ﷺ وبأهل دينه وأضيف المصدر إلى صفة المصدر فالتقدير ومكروا المكر السيىء بدلالة قوله ﴿ ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ﴾ والمعنى لا ينزل جزاء المكر السيىء إلا بمن فعله ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين ﴾ أي فهل ينتظرون إلاّ عادة الله تعالى في الأمم الماضية أن يهلكهم إذا كذّبوا رسله وينزل بهم العذاب ويحلّ عليهم النقمة جزاء على كفرهم وتكذيبهم فإن كانوا ينتظرون ذلك ﴿ فلن تجد ﴾ يا محمد ﴿ لسنة الله تبديلاً ﴾ أي لا يغيّر الله عادته من عقوبة من كفر نعمته وجحد ربوبيته ولا يبدّلها ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ فالتبديل تصيير الشيء مكان غيره والتحويل تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان ﴿ أولم يسيروا في الأرض ﴾ أي ألم يسر هؤلاء [ الكفار ] الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضية في الأرض ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ أي كيف أهلك الله المكذّبين من قبلهم مثل قوم لوط وعاد وثمود فيعتبروا بهم ﴿ وكانوا ﴾ وكان أولئك ﴿ أشدّ منهم ﴾ أي من هؤلاء ﴿ قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ﴾ أي لم يكن الله يفوته شيء ﴿ في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً ﴾ بجميع الأشياء ﴿ قديراً ﴾ على ما لا نهاية له ثم منَّ سبحانه على خلقه بتأخيره العقاب عنهم فقال ﴿ ولو يؤآخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ من الشرك والتكذيب لعجّل لهم العقوبة وهو قوله ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ والضمير عائد إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام على ذلك والعلم الحاصل به ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ والآية مفسرة في سورة النحل ﴿ فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ أي هو بصير بمكانهم فيؤآخذهم حيث كانوا وقيل بصيراً بأعمالهم فيجازيهم عليها .

# (٣٦) سورة يس مكية وآياتها ثلاث وثمانون

مكية عند الجميع قال ابن عباس إلا آية منها وهي قولـه ﴿ وإذا قيل لهم أنفقـوا مما رزقكم الله ﴾ الآية نزلت بالمدينة .

[ عدد آيها ] ثلاث وثمانون آية كوفي اثنتان في الباقين .

[ إختلافها ] آية واحدة يسّ كوفي .

[ فضلها ] أبي بن كعب قال من قرأ سورة يسّ يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن إثنتي عشرة مرة وأيّما مريض قرئت عنده سـورة يسّ نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً ويستغفرون له ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته ويصلّون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأها وهو في سكرات الموت أو قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاه إياهـا وهو على فـراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان. أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قال سورة يسّ تدعى في التوراة المعمة قيل وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل شرّ وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة ونـزعت عنه كـل داء وعلة وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يسّ وعنه عن النبي ﷺ قال من دخل المقابر فقرأ سورة يسّ خفّف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يسّ فمن قرأ يسّ في نهـاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ومن قرأها في ليله قبل أن ينام

وكلّ به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة وإن مات في نومه أدخله الله الجنة وحضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له فإذا أدخل لحده كانوا في خوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفسح له في قبره مدّ بصره وأمن من ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره فإذا أخرجه لم تزل ملائكة الله معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلا ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون وهو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى إشفع عبدي أشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي أعطك جميع ما تسأل فيسأل فيعطى ويشفع فيشفع ولا يحاسب فيمن يحاسب ولا يذلّ مع من يذلّ ولا يبكت بخطيئة ولا بشيء من سوء عمله ويعطى كتاباً منشوراً فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد ﷺ وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال إن لرسول الله ﷺ إثني عشر إسماً خمسة منها في القرآن محمد وأحمد وعبد الله ويٓس ونون .

[ تفسيرها ] لمّا ذكر سبحانه في آخر السورة أنهم أقسموا بالله ليؤمنن أن جاءهم نذير إفتتح هذه السورة بأنهم لم يؤمنوا وقد جاءهم النذير فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا حماداً ويحيى عن أبي بكر يّس بالإمالة والباقون بالتفخيم وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وابن كثير برواية القواس والبزي ونافع برواية إسماعيل وورش بخلاف بإظهار النون من يس عند الواو وكذلك نون والقلم وقرأ ابن عامر والكسائي وخلف بإخفاء النون فيهما وقرأ قالون عن نافع بإظهار النون من نون وإخفائها من يّس وأما عاصم فإنه يظهر النون منهما في رواية حفص ورواية البرجمي عن أبي بكر ومحمد أبن غالب عن الأعمش عن أبي بكر ويظهر النون من يّس ويخفيها من نون في رواية العليمي عن حماد وأما يعقوب فإنه يظهر النونين في رواية روح وزيد ويخفيها في رواية رويس وقرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر تنزيل بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الثقفي يس بفتح النون وقراءة أبي السماك يس بكسر النون وقراءة الكلبي يس بالرفع وقراءة ابن عباس وعكرمة وابن يعمر والنخعي وعمر بن عبد العزيز فأعشيناهم بالعين وقراءة ابن محيصن والزهري أنذرتهم بهمزة واحدة .

[ **الحجة** ] قال أبو علي مما يحسن إمالة الفتح من يّس نحو الكسرة أنهم قالوا يا زيد في النداء فأمالوا الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء وإن كان قولهم يا حرفاً على حرفين والحروف التي على حرفين لا يمال منها شيء نحو لا وما فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فإن يميلوا الإسم الذي هو يا من ياسين أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسما ء لما يلفظ بها وأما من بيَّن النون من يّس فإنما جاز ذلك وإن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم ولا تبين لأن هذه الحروف مبنية على الوقف ومما يدلّ على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها ولولا ذلك لم يجز الجمع بينهما وأما من لم يبيّن فلأنه وإن كان في تقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل وذلك قوله ﴿ آلم الله ﴾ ألا ترى أنه حذف همزة الوصل ولم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذي يوصل ومن رفع تنزيل فعلى تقدير هو تنزيل العزيز الرحيم أو تنزيل العزيز الرحيم هذا والنصب على نزّل تنزيل العزيز الرحيم وأما من قال يّس بالنصب أو الجرّ فكلاهما لالتقاء الساكنين ومن رفع فعلى ما روي عن الكلبي أنه قال هي بلغة طي يا إنسان قال ابن جني ويحتمل عندي أن يكون إكتفى من جميع الاسم بالسين فيما فيه حرف نداء كقولك يا رجل ونظير حذف بعض الاسم قول النبي ﷺ كفى بالسيف شا أي شاهداً فحذف العين واللام فكذلك حذف من إنسان الفاء والعين وجعل ما بقي منه إسماً قائماً برأسه وهو

السين فقيل يا سين وهو شبيه بقول الشاعر « قُلْنا لَها قِفي لَنا قـالَتْ قافْ »[١] أي وقفت ومن قرأ فأعشيناهم بالعين فإنه منقول من عشى يعشي إذا ضعف بصره وأعشيته أنا وأما أغشيناهم بالغين المعجمة فعلى حذف المضاف أي فأغشينا أبصارهم أي جعلنا عليها غشاوة والغشاوة على العين كالغشي على القلب فيلتقي معنى القراءتين وأما من قرأ أنذرتهم بهمزة واحدة فإنه حذف الهمزة التي للاستفهام تخفيفاً وهو يريدها كما قال الكميت :

طَـرِبْتُ وَما شَـوْقـاً إلَى ٱلبِيْضِ أطـربُ وَلا لَـعِبـاً مِـنّي وَذُو الـشَّيْـبِ يَلْعَـبُ[٢]

والمعنى أو ذو الشيب يلعب تناكراً لذلك وكبيت الكتاب :

لَـعَمْـرُكَ مـا أدْري وَإنْ كُـنْـتُ دارِيـاً شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أوْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ[٣]

[ اللغة ] المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع وقيل للكانونين شهر اقماح لأن الإبل إذا اوردت المـاء ترفـع رؤوسها لشدة برده ويقال قمح البعير إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء وبعير قامح وإبل قمـاح واقمحتها انا قال الشاعر يصف سفينة ركبها .

وَنَـحْـنُ عَـلى جَـوانِبِـهـا قُـعُـودُ نَـغُضُّ الـطَّرْفَ كَـالإبِـلِ ٱلقِمـاحِ

[ الاعراب ] على في قوله على صراط يتعلق بـالمرسلين تقـديره ارسلوا على صـراط ويجوز ان يكون الجار والمجرور في موضع خبر ان فيكون خبراً بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قال ارسلوا مستقيماً طريقهم ما انذر آباؤهم الاجود ان يكون ما نافية وتكون الجملة في موضع نصب لأنها صفة قوم ويجوز ان يكـون ما حـرفاً مـوصولاً مصدرياً على تقدير لتنذر قوماً أُنذر آباؤهم .

[ النزول ] قيل نزل قوله انا جعلنا في أعناقهم اغلالاً في ابي جهل كـان حلف لئن رأى محمداً يصلّي ليرضخنَّ رأسه فأتاه وهو يصلّي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يـده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى اصحابه واخبرهم بمـا رأى سقط الحجـر من يده فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأغشى الله

(١) وبعده «لا تحسبي انانسينا الا يجاف».

(٢) البيض جمع البيضاء : المرأة الحسناء؛ يعني ليس هذا الطرب والشوق من المحبة الى النساء.

(٣) الشعر في جامع الشواهد وفي بعض النسخ «شعيب» بالباء الموحدة وهو تصحيف قاله في شرح الأشموني ج ٤ : ٤٥٥ .

بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني وروى ابو حمزة الثمالي عن عمار بن عاصم عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود أن قريشاً اجتمعوا بباب النبي ﷺ فخرج اليهم فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحبوا(١) في القليب قليب بدر وروى ابو حمزة عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشاً اجتمعت فقال لئن دخل محمد لنقومنَّ اليه قيام رجل واحد فدخل النبي ﷺ فجعل الله من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فلم يبصروه فصلّى النبي ﷺ ثم اتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب وهم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب وقالوا هذا ما سحركم ابن ابي كبشة .

[ **المعنى** ] ﴿**يٓس**﴾ قد مضى الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في اول البقرة واختلاف الاقوال فيها وقيل أيضاً يٓس معناه يا إنسان عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية وقيل معناه يا سيد الأولين والآخرين وقيل هو اسم النبي ﷺ عن علي ابن أبي طالب وأبي جعفر ( ع ) وقد ذكرنا الرواية فيه قبل ﴿**والقرآن الحكيم**﴾ اقسم سبحنه بالقرآن المحكم من الباطل وقيل سمّاه حكيماً لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها ﴿**انك لمن المرسلين**﴾ اي ممن ارسله الله تعالى بالنبوة والرسالة ﴿**على صراط مستقيم**﴾ يؤدّي بسالكه إلى الحق او إلى الجنة وقيل معناه على شريعة واضحة وحجّة لائحة ﴿**تنزيل العزيز**﴾ اي هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه ﴿**الرحيم**﴾ بخلقه ولذلك ارسله ثم بيَّن سبحانه الغرض في بعثته فقال ﴿**لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم**﴾ اي لتخوّف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام عن قتادة وقيل لم يأتهم نذير من أنفسهم وقومهم وان جاءهم من غيرهم عن الحسن وقيل معناه لم يأتهم من انذرهم بالكتاب حسب ما آتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا ﷺ من هو نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وغيرهما وقيل معناه لتنذر قوماً كما انذر آباؤهم عن عكرمة ﴿**فهم غافلون**﴾ عما تضمنّه القرآن وعمّا انذر الله به من نزول العذاب والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس ثم اقسم سبحانه مرة أخرى فقال ﴿**لقد حق القول على اكثرهم**﴾ اي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم ﴿**فهم لا يؤمنون**﴾ ويموتون

(١) سحبه ـ كمنعه ـ: جره على وجه الارض فانسحب.

على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وقيل تقديره لقد سبق القول على اكثرهم انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون وذلك انه سبحانه اخبر ملائكته انهم لا يؤمنون فحقّ قوله عليهم **﴿انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهي إلى الاذقان﴾** يعني أيديهم كنّى عنها وان لم يذكرها لأن الاعناق والاغلال تدّلان عليها وذلك ان الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن والعنق ولا يجمع الغل العنق إلى الذقن وروي عن ابن عباس وابن مسعود انهما قرءا إنّا جعلنا في ايمانهم اغلالاً وقرأ بعضهم في ايديهم والمعنى الجميع واحد لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق ومثل هذا قول الشاعر :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... آرِيدُ ٱلْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرِ الَّذِي لاَ يَأْتَلِينِي

ذكر الخير وحده ثم قال ايهما يليني لأنه قد علم ان الخير والشرّ معرضان للانسان فلم يدر ايلقاه هذا أم ذلك ومثله في التنزيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ ولم يقل البرد لأن ما يقي من الحرّ يقي من البرد واختلف في معنى الآية على وجوه (أحدها) انه سبحانه إنما ذكره ضرباً للمثل وتقديره مثل هؤلاء المشركين في اعراضهم عما تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه ان يبسطهما إلى خير ورجل طامح برأسه لا يبصر موطىء قدميه عن الحسن والجبائي قال ونظيره قول الأفوه الأودي .

كَيْفَ الرَّشَادُ وَقَدْ صِرْنَا إِلىٰ أُمَمٍ ... لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلاَلٌ وَأَقْيَادُ

ونحوه كثير في كلام العرب (وثانيها) ان المعنى كأن هذا القرآن اغلال في اعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم وذلك انهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه لاوياً عنقه شامخاً بأنفه لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلّت ايديهم إلى اعناقهم وإنما اضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حتى أنسوكم ذكري عن أبي مسلم (وثالثها) ان المعني بذلك ناس من قريش همّوا بقتل النبي ﷺ فجعلت ايديهم الى اعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يداً عن ابن عباس والسدي (ورابعها) ان المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله إذ الأغلال في اعناقهم وإنما ذكره بلفظ الماضي للتحقيق وقوله **﴿فهم مقمحون﴾** اراد ان ايديهم لما غلّت إلى اعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صُعُداً فهم مرفوعو الرأس برفع الأغلال إيّاها عن الأزهري ويدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون مغلولون **﴿وجعلنا من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا**

يبصرون﴾ هذا على احد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في اعراضهم عن الإيمان وقبول الحق وذلك عبارة عن خذلان الله إياهم لمّا كفروا فكأنّه قال وتركناهم مخذولين فصار ذلك من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً وإذا قلنا انه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدماً ولا متأخراً إذ سدّ عليهم جوانبهم وإذا حملناه على صفة القوم الذين همّوا بقتل النبي ﷺ فالمراد جعلنا بين ايدي أولئك الكفار منعاً ومن خلفهم منعاً حتى لم يبصروا النبي ﷺ وقوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ اي أغشينا ابصارهم فهم لا يبصرون النبي ﷺ فقد روي ان ابا جهل هَمَّ بقتله ﷺ فكان إذا خرج بالليل لا يراه ويحول الله بينه وبينه وقيل فأغشيناهم فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى وقيل فأغشيناهم العذاب فهم لا يبصرون النار وقيل معناه انهم لما انصرفوا عن الايمان والقرآن لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ هذا مفسَّر في سورة البقرة .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟
وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ
إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾
قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن

ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

**[ القراءة ]** قرأ أبو بكر فعززنا بالتخفيف والباقون بتشديد الزاي وقرأ ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب ان ذكرتم بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابن كثير ويعقوب ونافع آن ذكرتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابو جعفر ائن بهمزة واحدة مطولة والثانية ملينة مفتوحة ذكرتم مخففة والباقون ائن ذكرتم بهمزتين .

**[ الحجة ]** قال ابو علي قال بعضهم عزَّزنا قوينا وكثرنا واما عززنا فغلبنا من قوله تعالى وعزني في الخطاب وقوله ءان ذكرتم فإنما هي ان الجزاء دخلت عليها الف الاستفهام والمعنى ءان ذكرتم تشاءمتم فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وأصل تطيرنا تفعلنا من الطائر عند العرب الذي به يتشاءمون ويتيمنون ومن قرأ أن ذكرتم بفتح ان فالمعنى لأن ذكرتم تشاءمتم واما تخفيف الهمزة وتحقيقها فقد تقدَّم ذكرهما في مواضع .

**[ الاعراب ]** وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر الذي هو احصيناه والتقدير احصينا كل شيء احصيناه اصحاب القرية بدلاً من مثلاً . إذ جاءها المرسلون العامل في إذ محذوف تقديره قصة اصحاب القرية كائنة إذ جاءها المرسلون وإذ ارسلنا بدلاً من الأول .

**[ المعنى ]** لما اخبر سبحانه عن اولئك الكفار انهم لا يؤمنون وانهم سواء عليهم الإنذار وترك الإنذار عقَّبة بذكر حال من ينتفع بالإنذار فقال **﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾** والمعنى إنما ينتفع بإنذارك وتخويفك من اتبعَ القرآن لأن نفس الإنذار قد حصل للجميع **﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾** أي في حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق وقيل معناه وخشي الرحمن فيما غاب عنه من أمر الآخرة **﴿فبشّره﴾** اي فبشّريا محمد من هذه صفته **﴿بمغفرة﴾** من الله لذنوبه **﴿وأجر كريم﴾** أي ثواب خالص من الشوائب ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال **﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾** في القيامة للجزاء **﴿ونكتب ما قدموا﴾** من طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا عن مجاهد وقتادة وقيل نكتب ما قدَّموه من عمل ليس أثر **﴿وآثارهم﴾** أي ما يكون له أثر عن الجبائي وقيل يعني بآثارهم اعمالهم التي صارت سنَّة بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة وقيل معناه ونكتب خطاهم إلى المسجد وسبب ذلك ما رواه ابو سعيد الخدري ان بني سلمة كانوا في ناحية المدينة فشكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم

منالمسجد والصلاة معه فنزلت الآية وفي الحديث عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ ان اعـظم الناس اجـراً في الصلاة ابعـدهم اليهـا ممشى فـأبعـدهم رواه البخـاري ومسلم في الصحيح ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ أي وأحصينا وعدَّدنا كل شيء من الحـوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ والوجه في احصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل وقيل أراد به صحائف الأعمال وسمّي ذلك مُبيناً لأنه لا يدرس أثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿واضرب لهم﴾ يا محمد ﴿مثلاً﴾ أي مَثِّل لهم مثالاً وهو من قولهم هؤلاء اضراب اي امثال وقيل معناه واذكر لهم مثلاً ﴿اصحاب القرية﴾ وهذه القرية انطاكية في قول المفسرين ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ أي حين بعث الله اليهم المـرسلين ﴿إذ أرسلنـا اليهم اثنين﴾ أي رسـولـين من رسـلنـا ﴿فكذَّبوهما﴾ أي فكذَّبوا الرسولين قال ابن عباس ضربوهما وسجنوهما ﴿فعززنا بثالث﴾ اي فقوّيناهما وشددنا ظهورهما برسول ثالث مأخوذ من العزة وهي القوة والمنعة ومنه قولهم من عزَّ بزَّ أي من غلب سلب قال شعبة كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بـولس وقال ابن عباس وكعب صادق وصدوق والثالث سلوم وقيل انهم رسل عيسى وهم الحواريون عن وهب وكعب قالا وإنما اضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى (ع) ارسلهم بأمره ﴿فقالوا إنا اليكم مرسلون﴾ أي قالوا لهم يا أهل القـرية إن الله ارسلنـا اليكم ﴿قالـوا﴾ يعني أهل القرية ﴿ما انتم إلا بشر مثلنا﴾ فلا تصلحـون للرسالـة كما لا نصلح نحن لهـا ﴿وما انـزل الرحمن من شيء﴾ تدعوننا اليه ﴿إن انتم إلا تكذبون﴾ أي ما انتم إلا كاذبون فيما تزعمون اعتقدوا أن من كان مثلهم في البشر لا يصلح ان يكون رسولاً وذهب عليهم أن الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته وانه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمّل اعبائها ﴿قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون﴾ وإنما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الإحتجاج بهذا القول أنهم الزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على الله ففي ذلك تحذيـر شديـد ﴿وما علينـا إلا البلاغ المبين﴾ اي وليس يلزمنـا إلا اداء الرسالة والتبليغ الظاهر وقيل معناه وليس علينا ان نحملكم على الإيمان فـإنا لا نقـدر عليه ﴿قالوا﴾ أي قال هؤلاء الكفار في جواب الرسل حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في المعجزة ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي تشاءمنا بكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ عما تدعونه من الـرسالـة ﴿لنرجمنكم﴾ بالحجارة عن قتادة وقيل معناه لنشتمنكم عن مجاهد ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا﴾ يعني الرسل ﴿طائركم معكم﴾ اي الشؤم كله معكم بـإقامتكم على الكفـر بالله تعالى فأما الدعاء إلى التوحيد وعبادة الله تعالى ففيه غاية البركة والخير واليمن ولا شيء فيه

وقيل معنى طائركم حظّكم ونصيبكم من الخير والشر عن أبي عبيدة والمبرد ﴿أئن ذكرتم﴾ أي إن ذكرتم قلتم هذا القول وقيل معناه إن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الأول وقيل معناه ان تدبرتم عرفتم صحة ما قلناه لكم ﴿بل انتم قوم مسرفون﴾ معناه ليس فينا ما يوجب التشاؤم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد في التكذيب للرسل والمعصية والإسراف الافساد ومجاوزة الحد والسرف الفساد قال طرفة .

إنَّ أمْـرَءاً سَـرِفَ الْـفُـؤادَ يَـرىٰ عَـسَـلاً بِمْـاء سَحْـابَـةٍ شَـتْـمي[1]

أي فاسد القلب ﴿وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى﴾ وكان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله عند اقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه ان قومه قد كذّبوا الرسل وهمُّوا بقتلهم جاء يعدو ويشتدّ ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ الذين ارسلهم الله اليكم وأقرّوا برسالتهم قالوا وإنما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك اجراً قالوا لا وقيل انه كان به زمانة او جذام فأبرأوه فآمن بهم عن ابن عباس .

[ القصة ] قالوا بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يّس فسلّما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبريء الأكمة والأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيراً من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهي الخبر إليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا إلّه سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوماً حتى انظر في امركما فأخذهما الناس في السوق وضربوهما قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين الى انطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرّا وذكر الله فغضب الملك وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مئة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به

(١) اي يرى شتمي حلواً عذباً .

واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما إلى هاهنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له قال وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصربهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفاً فقال الملك ليس لي عنك سرّاً إن إلهنا الذي نعبده لا يضرّ ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن قدر إلهكما على احياء ميت آمنّا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن هناهنا ميتاً منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع ابوه وكان غائباً فجاءوا بالميت وقد تغيّر واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرّاً فقام الميت وقال لهم إني قد متّ منذ سبعة ايام وادخلت في سبعة أودية من النار وأنا احذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قوله اثرّ في الملك دعاه إلى الله فآمن وآمن من اهل مملكته قوم وكفر آخرون وقد روى مثل ذلك العياشي بإسناده عن الثمالي وغيره عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) إلا ان في بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى اهل انطاكية ثم بعث الثالث وفي بعضها أن عيسى أوحى الله اليه ان يبعثهما ثم بعث وصيّه شمعون ليخلصهما وإن الميت الذي احياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الملك وأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له يا بني ما حالك قال كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى ان يحييني قال يا بني فتعرفهما إذا رأيتهما قال نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمرُّ عليه رجل بعد رجل فمرَّ أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ثم مرَّ الآخر فعرفهما وأشار بيده اليهما فآمن الملك واهل مملكته[1] وقال ابن إسحاق بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل .

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ

(١) والاظهر الاوفق بسياق الايات هو القول الاول وانهم ما آمنوا باجمعهم، بل في بعض التفاسير أن الغلبة للكفار والمكذبين وهم الذين قتلوا حبيب النجار صاحب يس .

أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ
ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى
وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ
مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن بن الاسود الأَزْقِيَة وقرأ الاعرج ومسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنة الهاء وقراءة علي بن الحسن (ع) وأبي بن كعب وابن عباس والضحاك ومجاهد يا حسرة العباد مضافاً .

[ **الحجة** ] قال ابن جني الرفع ضعيف لتأنيث الفعل فلا يقوى ان تقول ما قامت إلا هند والمختار ما قام إلا هند وذلك ان الكلام محمول على معناه اي ما قام احد إلا هند ثم انه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك صيحة واحدة جيء بالتأنيث حملاً للظاهر عليه ومثله قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بالتاء في ترى وعليه قول ذي الرمة .

طَوَى ٱلنَّحْزُ والأَجْراْزُ ما في غُروضِها　　فَما بَقِيَتْ إِلاّ ٱلصُّدُورُ الْجَراشِعُ[1]

---

(١) البيت في جامع الشواهد، وفي بعض النسخ «ترى» بدل «طوى» وهو تصحيف. وكذلك «برى» بر «ما» في وقوله «ما في غروضها» موصولة وتكون مفعولاً لطوى وليست بنا فيه كما زعمه بعض.

وأما الترقية فمن زقا الطائر يزقو ويرزقى زقاء وزقواً إذا صاح وهي الزقية والزقوة وكأنه إنما استعمل ها هنا صياح الديك ونحوه تنبيهاً على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة في استثارة الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر فهذا كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة واما من قرأ يا حسره على العباد بسكون الهاء فيمكن أن يكون حسرة غيره معلقة بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسرة فكأنه قال أتحسر على العباد ومثل ذلك كثير في التنزيل وإذا كان حسرة معلقة بعلى أو موصوفة فلا يحسن الوقف عليها دونه وعلى هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع تنبيه وتذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره ثم قال من بعد على العباد واما من قرأ يا حسرة العباد مضافاً فإن فيه وجهين ( أحدهما ) أن يكون العباد فاعلين في المعنى كقوله يا قيام زيد والمعنى كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسّروا ( والآخر ) ان العباد مفعولون في المعنى وتدل عليه القراءة الظاهرة يا حسرة على العباد أي يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم وهذا واضح وفتح أبو عمرو الياء من قوله وما لي لا أعبد لئلا يكون الابتداء بلا أعبد وقرأ في النمل ما لي لا أرى الهدهد بسكون الياء .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه تمام الحكاية عن الرجل الذي جاءهم من أقصى المدينة فقال ﴿ اتبعوا من لا يسئلكم أجراً ﴾ أي وقال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر ولا يسألونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى ﴿ وهم ﴾ مع ذلك ﴿ مهتدون ﴾ إلى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا أخذوه ورفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴾ أي وأيّ شيء لي إذا لم أعبد خالقي الذي أنشأني وأنعم عليَّ وهداني ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي تردّون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ الأصنام وعبادتهم فقال ﴿ ءأتخذ من دونه آلهة ﴾ اعبدهم ﴿ إن يُردن الرحمن بضر ﴾ أي ان أراد الله إهلاكي والاضرار بي ﴿ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ﴾ أي لا تدفع ولا تمنع شفاعتهم عنّي شيئاً والمعنى لا شفاعة لهم فتغني ﴿ ولا ينقذون ﴾ أي ولا يخلصوني من ذلك الهلاك أو الضرر والمكروه ﴿ إني إذاً لفي ضلال مبين ﴾ أي إني إن فعلت ذلك في عدول عن الحق واضح والوجه في هذا الاحتجاج أن العبادة لا يستحقها إلا الله سبحانه المنعم بأصول النعم وبما لا توازيه نعمة منعم ﴿ إني آمنت بربكم ﴾ الذي خلقكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿ فاسمعوني ﴾ أي فاسمعوا قولي واقبلوه عن وهب وقيل أنه خاطب بذلك الرسل أي فاسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي به عند الله عن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك القول منه وطأوه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ وقيل رجموه حتى قتلوه عن قتادة وقيل ان القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا يموت إلا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن

الحسن ومجاهد وقال أن الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه الا أن الله سبحانه أحياه وأدخله الجنة فلما دخلها ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ﴾ تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله وليؤمنوا لينالوا ذلك وفي تفسير الثعلبي بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن النبي ﷺ قال سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين عليّ بن أبي طالب (ع) وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون عليٌّ أفضلهم ﴿ وجعلني من المكرمين ﴾ أي من المدخلين الجنة والإكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل والإعظام وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنه إنما قال ذلك وقومه أحياء وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإن الخلاف فيهما واحد وما في قوله بما غفر لي ربي مصدرية والمعنى بمغفرة الله لي ويجوز أن يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسماً موصولاً ويجوز أن يكون المعنى بأي شيء غفر لي ربي فيكون استفهاماً يقال علمت بما صنعت هذا باثبات الألف وبم صنعت هذا بحذفها إلا أن الحذف أجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما أنزله بقوله من العذاب والاستئصال فقال ﴿ وما انزلنا على قومه من بعده ﴾ أي من بعد قتله أو من بعد رفعه ﴿ من جند من السماء ﴾ يعني الملائكة أي لم تنتصر منهم بجند من السماء ولم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جنداً من السماء يقاتلونهم ﴿ وما كنا منزلين ﴾ أي وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم وقيل معناه وما أنزلنا على قومه من بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله عن مجاهد والحسن والمراد أن الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء ثم بيَّن سبحانه بأي شيء كان هلاكهم فقال ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ أي كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم ﴿ فإذا هم خامدون ﴾ أي ساكنون قد ماتوا قيل أنهم لما قتلوا حبيب بن مري النجار غضب الله عليهم فبعث جبرائيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ معناه يا ندامة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ثم بيَّن سبب الحسرة فقال ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون ﴾ عن مجاهد وهذا من قول الله سبحانه والمعنى أنهم حلّوا محل من يتحسّر عليه وقيل ان المعنى يا ويلا على العباد عن ابن عباس ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الرجل المذكور وقال أبو العالية انهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد يعني على الرسل حيث لم نؤمن بهم فتمنّوا الإيمان وندموا حين لم تنفعهم الندامة قال الزجاج إذا قال قائل ما الفائدة في مناداة الحسرة والحسرة مما لا تجيب فالفائدة في ذلك أن النداء باب تنبيه فإذا قلت للمخاطب انا اعجب مما فعلت فقد أفدته انك متعجب وإذا قلت واعجباه مما فعلت ويا عجباه تفعل كذا كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة والمعنى يا عجب اقبل فإنه من اوقاتك وكذلك إذا قلت ويل زيد لم فعل كذا ثم قلت يا ويل زيد لم فعل كذا كان أبلغ وكذلك في كتاب الله تعالى يا ويلتا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيراً .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ
لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا
عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

[ القراءة ] قرأ عاصم وحمزة وابن عامر لَمّا جميع بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير حفص وما عملت بغير هاء والباقون وما عملته .

[ الحجة ] من خفف الميم من لما فان من قوله وإنْ كُلٌّ مخففة من الثقيلة وما من لما مزيدة والتقدير وانه كل لما جميع لدينا محضرون ومن شدَّد الميم من لما فإن ها هنا بمعنى الا يقال سألتك لما فعلت كذا والا فعلت وان نافية فيكون التقدير ما كل إلا محضرون وقوله وما عملت ايديهم فإن الحذف في التنزيل من هذا كثير نحو قوله وسلام على عباده الذين اصطفى وأهذا الذي بعث الله رسولاً وموضع ما جرّ والتقدير وليأكلوا مما عملته أيديهم ويجوز أن يكون ما نافية أي ولم تعمله أيديهم ويقوّي ذلك قوله ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون .

[ الاعراب ] انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا والتقدير ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون وكم في موضع نصب باهلكنا .

[ المعنى ] ثم خوَّف سبحانه كفار مكة فقال ﴿ ألم يروا ﴾ أي ألم يعلم هؤلاء الكفار ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ أي كم قرنا أهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ انهم اليهم لا يرجعون ﴾ والمعنى ألم يروا أن القرون التي أهلكناهم لا يرجعون إليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا

يعتبرون بهم ووجه التذكير بكثرة المهلكين أي أنكم ستصيرون إلى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك وانتم في غفلة وغرة كما أتاهم ويسمى أهل كل عصر قرناً لاقترانهم في الوجود ﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ معناه أن الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه في الدنيا أي وكل الماضين والباقين مبعوثون للحساب والجزاء ثم قال سبحانه ﴿ وآية لهم ﴾ أي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث ﴿ الأرض الميتة احييناها ﴾ أي الأرض القحطة المجدبة التي لا تنبت أحييناها بالنبات ﴿ وأخرجنا منا حباً ﴾ أي كل حبّ يتقونونه مثل الحنطة والشعير والأرز وغيرها من الحبوب ﴿ فمنه يأكلون ﴾ أي فمن الحب يأكلون ﴿ وجعلنا فيها جنات ﴾ أي بساتين ﴿ من نخيل واعناب ﴾ وإنما خصّ النوعين لكثرة انواعهما ومنافعهما ﴿ وفجّرنا فيها من العيون ﴾ أي وفجّرنا في تلك الأرض الميتة أو في تلك الجنات عيوناً من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل ثم بينّ سبحانه أنه إنما فعل ذلك ﴿ ليأكلوا من ثمره ﴾ أي من ثمر النخيل ردَّ الضمير إلى أحد المذكورين كما قال ولا ينفقونها في سبيل الله والمعنى غرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار الجنات ﴿ وما عملته أيديهم ﴾ أي ولم تعمل تلك الثمار أيديهم هذا إذا كان ما بمعنى النفي قال الضحاك أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها أراد أنه من صنع الخالق ولم يدخل في مقدورات الخلائق وإذا كان بمعنى الذي فالتقدير والذي عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخل والعنب الكثيرة منافعها وقيل تقديره ومن ثمره ما عملته ايديهم يعني الغروس والزروع التي قاسوا حراثتها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أي ألا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم وهذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه وذكر جميل بلائه .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ
كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾

لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

[ القراءة ] قرأ زيد عن يعقوب لِمُستقِرٍّ لها بكسر القاف والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز والبصرة غير ابي جعفر ورويس والقمرُ بالرفع والباقون بالنصب وروي عن علي بن الحسين زين العابدين ( ع ) وابي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن ابي رباح لا مستقرٌّ لها بنصب الراء .

[ الحجة ] قال ابو علي الرفع على تقدير وآية لهم القمر قدرناه منازل مثل قوله وآية لهم الليل فهو على هذا اشبه بالجمل التي قبلها والقول في آية انه يرتفع بالابتداء ولهم صفة للنكرة والخبر مضمر تقديره وآية لهم في الشاهد أو الوجود وقوله الليل نسلخ منه النهار والقمر قدرناه منازل تفسير للآية كما ان قوله تعالى لهم مغفرة تفسير للوعد(١) وللذكر مثل حظ الأنثيين تفسير للوصية(٢) ومن نصب فقد حمله على زيداً ضربته واما قوله لا مستقر لها فظاهره العموم والمعنى الخصوص فهو بمنزلة قوله .

أَبْكِي لِفَقْـدِكَ مَـا نَـاحَـتْ مُـطَوَّقَـةٌ ... وَمَـا سَمَا فَنَنٌ يَـوْمـاً عَلَى سَـاقِ(٣)

والمعنى لو عشت ابداً لبكيتك وكذلك قوله لا مستقر لها أي ما دامت السماوات على ما هي عليه فإذا زالت السماوات استقرت الشمس وبطل سيرها .

[ اللغة ] السلخ اخراج الشيء من لباسه ومنه اخراج الحيوان من جلده ومنه قوله فانسلخ منها أي فخرج منها خروج الشيء مما لابسه والعرجون العذق الذي فيه الشماريخ

---

(١) اي في قوله تعالى : «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم» المائدة، الآية : ٩ .

(٢) اي في قوله تعالى : «يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» النساء : ١١ .

(٣) المطوقة : الحمامة التي في عنقها طوق . والفنن : الغصن .

وهو العثكول والعثكال والكباسة والقنو وهو فعلول قال رؤبة «في خِدْرِ مَيَّاسِ الدُّمى مُعْرَجَن»[١]

[ الاعراب ] والقمر قدَّرناه منازل تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامة ولا يجوز أن يكون بلا حذف لأن القمر غير المنازل وإنما يجري فيها ولا يجوز ان ينصب منازل على الظرف لأنـه محدود والفعـل لا يصل إلى المحـدود إلا بحرف جرّ نحو جلست في المسجد ولا يجوز جلست المسجد .

[ المعنى ] ثم نزَّه سبحانه نفسه وعظَّمها دالاًّ بذلك على انه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال ﴿سبحان الذي خلق الازواج كلها﴾ أي تنزيها وتعظيماً وبراءة عن السوء للذي خلق الأصناف والاشكال من الأشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للأنثى وكذلك النخل والحبوب اشكال والتين والكرم ونحوهما اشكال فلذلك قال ﴿مما تنبت الأرض﴾ اي من سـائر النبـات ﴿ومن أنفسهم﴾ اي وخلق منهم اولاداً أزواجاً ذكـوراً واناثـاً ﴿ومـما لا يعلمون﴾ مما في بطون الأرض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يتّصل خبره بهم ﴿وآية لهم﴾ اي ودلالة لهم اخرى ﴿الليل نسلخ منه النهار﴾ اي ننزع منـه ونخرج ضـوء الشمس فيبقى الهواء مظلماً كما كان لأن الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء اي كشط وازيل يبقى مظلماً وقيل إنما قال سبحانه مظلماً وقيل إنما قال سبحانه نسلخ منه النهـار لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته وجعل النهار كـالقشر ولأن النهـار عارض فهـو كالكسـوة والليل اصل فهو كالجسم وقوله ﴿فإذا هم مظلمون﴾ أي داخلون في الليل لا ضيـاء لهـم فيه ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ معناه ودلالة اخرى لهم الشمس وفي قولـه لمستقر لهـا اقوال (أحدها) انها تجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا عن جماعة من المفسرين قال ابو مسلم ومعنى هذا ومعنى لا مستقر لها وأحد أي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا (وثانيها) انها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا يختلف عن قتادة (وثالثهـا) انها تجري إلى اقصى منازلها في الشتاء والصيف لا تتجاوزها والمعنى أن لها في الأرتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لاتتجاوزها ولا تقصر عنها فهـو مستقرهـا ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي القادر الذي لا يعجزه شيء ﴿العليم﴾ الذي لا يخفي عليه شيء ﴿والقمر قدَّرناه منازل﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل يوم وليلة منزلة منها لا يختلف حاله في ذلك إلى ان يقطع الفلك ﴿حتى عاد كالعرجون القـديم﴾ اي عاد في آخـر الشهر

(١) الخدر: الستر والمياس: المتبختر والدمى: جمع الدمية: الصنم وقيل: الصورة المنقشة من العاج او الرخام، و «معرجن» اي مصور فيه صورة النخل من قولهم عرجن الثوب: صور فيه صور العراجين .

دقيقاً كالعذق اليابس العتيق ثم يخفي يومين آخر الشهر وإنما شبَّهه سبحانه بالعـذق لأنه إذا مضت عليه الايام جفَّ وتقوَّس فيكون اشبه الأشياء بالهلال وقيل ان العذق يصير كذلك في كل ستة أشهر روى علي بن إبراهيم بإسناده قال دخل ابو سعيد المكاري وكان واقفيـاً على ابي الحسن الرضا (ع) فقال له أبلغ من قدرك انك تدَّعي ما ادَّعاه ابوك فقال له ابو الحسن مالك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك اما علمت ان الله عـز وجل اوحى إلى عمـران اني واهب لك ذكراً يبرىء الأكمه والابرص فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى شيء واحد وانا من أبي وابي مني وأنا وابي شيء واحد فقال له أبو سعيد فاسألك عن مسألة قال سل ولا أخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها قال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حرٌ لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو حرٌ قال وكيف صار كذلك قال لأن الله تعـالى يقول والقمـر قدَّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم أسماه الله قديماً ويعود كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب بصره وكان يسأل على الأبواب حتى مات **﴿لا الشمس ينبغي لها ان ندرك القمر﴾** في سرعة سيره لأن الشمس ابطأ سيراً من القمر فإنها تقـطع منازلهـا في سنة والقمر يقطعها في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير بايَنَ بين فلكيهما ومجاريهما فلا يمكن ان يدرك احدهما الآخر ما داما على هـذه الصفة **﴿ولا الليـل سابق النهـار﴾** اي ولا يسبق الليل والنهار وقيل معناه لا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل تتعاقبان كما قدَّره الله تعالى عن عكرمة وروى العياشي في تفسيره بـالإسناد عن الاشعث بن حـاتم قال كنت بخـراسان حيث اجتمع الرضـا (ع) والفضل بن سهـل والمأمـون في ايوان الحبـري بمرو فـوضعت المائدة فقال الرضا (ع) ان رجلاً من بني إسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال فـأداروا الكلام فلم يكن عنـدهم في ذلك شيء فقـال الفضل للرضـا اخبرنا بها اصلحك الله قال نعم من القرآن أم من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب فقال قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكـواكب في مواضـع شرفهـا فزحـل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اي قد سبقه النهار ثم قال **﴿وكل﴾** من الشمس والقمر والنجـوم **﴿في فلك يسبحون﴾** يسيـرون فيه بـانبساط وكـل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء وإنما قال يسبحون بـالواو والنـون لما اضاف اليها ما هو من فعل الآدميين كما قال مالكم لا تنطقون لما وصفها بصفة من يعقل وقال

ابن عباس يسبحون اي يجري كل واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى
ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن
نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً
مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا
خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ
رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ
يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

[ القرآة ] قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل ذرياتهم على الجمع والباقون ذريتهم على التوحيد وقرأ ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الاعمش وروح وزيد عن يعقوب يَخَصَّمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء ايضاً إلا انه يشمه الفتح ولا يشبعه وقرأ اهل المدينة غير ورش يخصمون ساكنة الخاء مشددة الصاد وقرأ حمزة يَخْصِمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد والباقون يَخِصِّمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد .

[ الحجة ] من قرأ يَخَصَّمون حذف الحركة من التاء المدغم في يختصمون والقاها

على الساكن الذي قبلها وهو الخاء وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم رُدَّ وفِرَّ وعَضَّ القوا حركة العين على الساكن الذي قبلها ومن قرأ يَخِصِّمون حذف الحركة من الحرف المدغم إلا انه لم يلقها على الساكن الذي قبلها كما ألقاه في الأول فالتقى الساكنان فحرّك الحرف الذي قبل المدغم بالكسر ومن قرأ يَخْصّمون جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم قال ابو علي ومن زعم ان ذلك ليس في طاقة اللسان فقد ادّعى ما يعلم فساده بغير استدلال واما من قرأ يَخْصِمون وتقديره يخصم بعضهم بعضاً فحذف المضاف وحذف المفعول به ويجوز ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند أنفسهم فحذف المفعول به ومعنى يخصمون يغلبون في الخصام خصومهم .

[ **اللغة** ] الحمل منع الشيء أن يذهب إلى جهة السفل والفلك السفن لأنها تدور في الماء ومنه الفلكة لأنها تدور في المغزل والفلك لأنها تدور بالنجوم وفلك ثدي المرأة إذا استدار والمشحون المملوء وشحنت الثغر بالرجال اشحنه شحناً إذا ملأته ومنه الشحنة لأنه يملأ بهم البلد .

[ **الاعراب** ] رحمة منا نصب على انه مفعول له ومتاعاً عطف عليه ويمكن ان يكون على معنى إلا ان نرحمهم رحمة ونمتّعهم متاعاً .

[ **المعنى** ] ثم امتنَّ سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه دالاًّ بذلك على وحدانيته فقال **﴿وآية لهم﴾** أي وحجة وعلامة لهم على اقتدارنا **﴿أنا حملنا ذريتهم﴾** يعني آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم **﴿في الفلك المشحون﴾** يعني سفينة نوح المملوءة من الناس وما يحتاج إليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير ويسمّى الآباء ذرية من ذرء الله الخلق لأن الاولاد خلقوا منهم وسمّي الأولاد ذرية لأنهم خلقوا من الآباء عن الضحاك وقتادة وجماعة من المفسرين وقيل الذرية هم الصبيان والنساء والفلك هي السفن الجارية في البحار وخصَّ الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم ولأنه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخّر الله لهم السفن ليمكن الحمل في البحر والإبل ليمكن الحمل في البرّ يقول القائل حملني فلان إذا أعطاه ما يحمل او هداه إلى ما يحمل عليه قال الشاعر

أَلا فَتىً عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُني عَلَيْهِما إِنَّني شَيْخٌ عَلى سَفَرِ

**﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾** أي وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح سُفُناً يركبون فيها كما ركب نوح يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها عن

ابن عباس وغيره وقيل ان المراد به الابل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينة من الدواب كالإبل والبقر والحمير عن الجبائي ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ أي وإن نشأ إذا حملناهم في السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج ﴿فلا صريخ لهم﴾ أي لا مغيث لهم ﴿ولا هم ينقذون﴾ أي ولا يخلصون من الغرق إذا أردناه ﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾ أي إلا أن نرحمهم بأن نخلصهم في الحال من أهوال البحر ونمتعهم إلى وقت ما قدرناه لتقضى آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمة منا عليهم وإمتاعاً إلى مدة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للمشركين ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ من أمر الآخرة فاعملوا لها ﴿وما خلفكم﴾ من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغترّوا بها ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لتكونوا على رجاء الرحمة من الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه اتّقوا ما مضى من الذنوب وما يأتي من الذنوب عن مجاهد أي اتّقوا عذاب الله بالتوبة للماضي والاجتناب للمستقبل وقيل اتّقوا العذاب المنزل على الأمم الماضية وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتادة وروى الحلبي عن أبي عبد الله (ع) قال معناه اتّقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وجواب إذا محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدلُّ على هذا المحذوف قوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ أي اعرضوا عن الداعي وعن التفكر في الحجج وفي المعجزات ومن في قوله من آية هي التي تزاد في النفي للاستغراق ومن الثانية للتبعيض أي ليس تأتيهم آية ايّة آية كانت إلا ذهبوا عنها وأعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل من ضلَّ عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أيضاً ﴿انفقوا مما رزقكم الله﴾ في طاعته وأخرجوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ احتجُّوا في منع الحقوق بأن قالوا كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه ولو شاء الله اطعامه اطعمه فإذا لم يطعم دلَّ على أنه لم يشأ اطعامه وذهب عليهم ان الله سبحانه إنما تعيدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحة فأمر الغنيَّ بالانفاق على الفقير ليكسب به الأجر والثواب واختلف في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين امروا بإطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركو قريش قال لهم اصحاب رسول الله ﷺ اطعمونا من اموالكم ما زعمتم أنه الله وذلك قوله هذا الله بزعمهم عن مقاتل وقيل هم الزنادقة الذين أنكروا الصانع تعلّقوا بقوله رزقكم الله فقالوا إن كان هو الرزاق فلا فائدة في التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمكم فلم تأمرون بإعطاء من حرمه الله ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ هذا من قول الكفار لمن امرهم بالإطعام عن قتادة وقيل أنه من قول الله تعالى لهم حين ردّوا هذا بالجواب عن علي بن عيسى ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ذلك انت وأصحابك وهذا استهزاء

منهم بخبر النبي ﷺ وخبر المؤمنين فقال تعالى في جوابهم ﴿ما ينظرون﴾ أي ما ينتظرون ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يريد النفخة الأولى عن ابن عباس يعني ان القيامة تأتيهم بغتة ﴿تأخذهم﴾ الصيحة ﴿وهم يخصمون﴾ أي يختصمون في أمورهم ويتبايعون في الأسواق وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يرفع أكلته الى فيه فما تصل الى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم وقيل وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ يعني ان الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ أي ولا إلى منازلهم يرجعون من الاسواق وهذا اخبار عما يلقونه في النفخة الأولى عند قيام الساعة .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾

[ القراءة ] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح في شغل ساكنة الغين والباقون في شغل بضم الغين وقرأ أبو جعفر فكهون بغير ألف حيث وقع ووافقه حفص في المطففين

انقلبوا فكهين وقرأ الآخرون بالألف كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم في ظُلَل بضم الظاء بلا ألف والباقون في ظلال وروي عن أمير المؤمنين (ع ) انه قرأ مِنْ بَعْثِنا من مرقدنا وفي الشواذ قراءة ابن أبي ليلى يا ويلتا وقرأ أُبيّ بن كعب من هبَّنا[1] من مرقدنا .

[ الحجة ] الشُغْل والشُغُل لغتان وكذلك الفَكِهْ والفاكه والظُلَل جمع ظُلَّة والظلال يجوز أيضاً ان يكون جمع ظلة فيكون كبُرمة وبرام وعُلبة وعِلاب ويجوز أن يكون جمع ظِلّ واما قوله مِنْ بَعْثِنا فهو كقولك يا ويلي من اخذك مني قال ابن جني من الأولى متعلقة بالويل كقولك يا تألمي منك وإن شئت كان حالاً فتعلقت بمحذوف حتى كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا فجاز ان يكون حالاً منه كما جاز ان يكون خبراً عنه في مثل قول الأعشى

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زائِرَها وَيْلي عَلَيْكَ وَوَيْلي مِنْكَ يا رَجُلُ

وذلك ان الحال ضرب من الخبر وأما مِنْ في قوله من مرقدنا فمتعلقة بنفس البعث ومن قرأ يا ويلتا فأصله يا ويلتي فأبدلت الياء الفاً لأنه نداء فهو موضع تخفيف فتارة تحذف هذه الياء نحو غلام وتارة بالبدل نحو يا غلاماً قال « يا أَبَتا عَلَّكَ أَوْ عَساكا »[2] فإن قلت كيف قال يا ويلتا وهذا اللفظ للواحد وهم جماعة فالقول انه يكون على ان كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا ونحوه قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة أي فاجلدوا كل واحد منهم ومثله ما حكاه ابو زيد من قولهم أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة اي كسا كل واحد منا حلة وأعطى كل واحد منا مائة واما هبَّنا فيمكن ان يكون هبَّ لغة في اهبَّ ويمكن ان يكون على معنى هب بنا أي أيقظنا ثم حذب حرف الجرب فوصل الفعل .

[ اللغة ] قال أبو عبيدة الصُوْر جمع صورة مثل بسرة وبسْر وهو مشتق من صاره يصوره صوراً إذا اماله فالصورة تميل إلى مثلها بالمشاهدة والجدث القبر وجمعه الأجداث وهذه لغة أهل العالية ويقول اهل السافلة بالفاء حذف والنسول الاسراع في الخروج يقال نسل يَنْسِل وَيَنْسَلُ قال امرؤ القيس

وَإِنْ تَكُ قَدْ ساءَتْكِ مِنّي خَليقَةٌ فَسُلّي ثِيابِي مِنْ ثِيابِكِ تَنْسَلِ[3]

(١) على قول من قال ان هب بمعنى اهب يقال: اهبه من نومه أي ايقظه وأنكره ابن جنى وسيأتي الكلام فيه في الحجة.

(٢) هذا عجز بيت وصدره « تقول بنتي قداتي اناكا » وهو مذكور في جامع الشواهد.

(٣) هذا بيت من المعلقة وقد مر وكذا البيت الآتي.

وقال آخر

عَسَلانَ الذِّئْبِ أَمْسَىٰ قارِباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[1]

[ الإعراب ] هذا ما وعد الرحمن مبتدأ وخبر ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاماً تاماً يوقف عليه ويجوز ان يكون هذا من نعت مرقدنا اي مرقدنا الذي كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن او حق ما وعد الرحمن سلام بدل من ما والمعنى لهم ما يتمنون لهم سلام وقولا منصوب على انه مصدر فعل محذوف اي يقوله الله قولاً .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن النفخة الثانية وما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال **﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث﴾** وهي القبور **﴿إلى ربهم﴾** أي إلى الموضع الذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك **﴿ينسلون﴾** أي يخرجون سراعاً فلما رأوا أهوال القيامة **﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾** أي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياماً ثم يقولون **﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾** فيما أخبرونا عن هذا المقام وهذا البعث قال قتادة أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وإنما وصفوا القبر بالمرقد لأنهم لما أحيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقدة وقيل انهم لما عاينوا احوالهم في القيامة عدّوا احوالهم في قبورهم بالإضافة الى تلك الأهوال رقاداً قال قتادة هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ثم أخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال **﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾** أي لم تكن المدة إلا مدة صيحة واحدة **﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾** أي فإذا الأولون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة محصلون في موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال **﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً﴾** أي لا ينقص من له حق شيئاً من حقّه من الثواب او العوض او غير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله **﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾** ثم ذكر سبحانه أولياءه فقال **﴿إن اصحاب الجنة اليوم في شغل﴾** شغلهم النعيم الذي شملهم وغمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب عن الحسن والكلبي فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم وإن كانوا أقاربهم وقيل شغلوا بافتضاض العذارى عن ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن الصادق ( ع )

(١) قائله لبيد، وقيل هو للنابغة الجعدي وعسل الذئب: مضى مسرعاً واضطرب في غدوه وهز رأسه.

قال وحواجبهنَّ كالأهلة(١) واشفار اعينهن كقوادم النسور وقيل باسماع الألحان عن وكيع وقيل شغلهم في الجنة سبعة انواع من الثواب لسبعة اعضاء فثواب الرجل بقوله ادخلوها بسلام آمنين وثواب اليد يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها وثواب الفرج وحور عين وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئاً الآية وثواب اللسان وآخر دعويهم الآية وثواب الاذن لا يسمعون فيها لغواً ونظائرها وثواب العين وتلذّ الأعين ﴿فاكهون﴾ أي فرحون عن ابن عباس وقيل ناعمون متعجّبون بما هم فيه قال ابو زيد الفَكِه الطيب النفس الضحوك رجل فَكِهٌ وفاكه ولم يسمع لهذا فعل في الثلاثي وقال أبو مسلم انه مأخوذ عن الفكاهة فهو كناية عن الأحاديث الطيبة وقيل فاكهون ذوو فاكهة كما يقال لاحم شاحم اي ذو لحم وشحم وعاسل ذو عسل قال الحطيئة

وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصَّيْفِ تَامِرِ

أي ذو لبن وتمر ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال ﴿هم وأزواجهم﴾ أي هم وحلائلهم في الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم في استار عن وَهَج(٢) الشمس وسمومها فهم في مثل تلك الحال الطيبة من الظلال التي لا حرّ فيها ولا برد وقيل ازواجهم اللآتي زوَّجهم الله من الحور العين ﴿في ظلال﴾ اشجار الجنة وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر عليها الحجال وقيل هي الوسائد ﴿متكئون﴾ أي جالسون جلوس الملوك إذ ليس عليهم من الأعمال شيء قال الأزهري كلما اتكىء عليه فهو اريكة والجمع أرائك ﴿لهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أي ما يتمنون ويشتهون قال أبو عبيدة تقول العرب ادع لي ما شئت اي تمنَّ علي وقيل معناه إن كل من يدعي شيئاً فهو له بحكم الله تعالى لأنه قد هذب طباعهم فلا يدعون إلا ما يحسن منهم قال الزجاج هو مأخوذ من الدعاء يعني ان أهل الجنة كلما يدعونه يأتيهم ثم بيَّن سبحانه ما يشتهون فقال ﴿سلام﴾ أي لهم سلام ومنى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم ﴿قولاً﴾ أي يقوله الله قولاً ﴿من رب رحيم﴾ بهم يسمعونه من الله فيؤذنهم بدوام الأمن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة وقيل ان الملائكة يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال ﴿وامتازوا اليوم ايها المجرمون﴾ أي يقال لهم انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا من جملة المؤمنين وقيل معناه كونوا على حد ة عن السدي وقيل معناه ان لكل كافر

---

(١) جمع الهلال.

(٢) الوهج : حر النار .

بيتاً في النار يدخل فيردم بابه لا يَرى ولا يُرى عن الضحاك ثم خصَّهم سبحانه بالتوبيخ فقال ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**﴾ أي ألم آمركم على ألسنة الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة ﴿**ألّا تعبدوا الشيطان**﴾ أي لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به ﴿**إنه لكم عدو**﴾ أي وقلت لكم ان الشيطان لكم عدو ﴿**مبين**﴾ ظاهر عداوته عليكم يدعوكم إلى ما فيه هلاككم وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه لا يخلق عبادة الشيطان لأنه حذَّر من ذلك ووبَّخ عليه .

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم وسكون الباء وقرأ أهل المدينة وعاصم وسهل جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ روح وزيد جبلًا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والأعرج والزهري وقرأ لباقون جبلًا بضمهما وتخفيف اللام .

[ **الحجة** ] معناهنَّ جميعاً الخلق الكثير والجماعة والجمع الذين جبلوا على خليقة أي طبعوا واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لأنه مطبوع على الثبات وقال ابو مسلم اصله الغلظة والشدة .

**المعنى** ] ثم قال سبحانه في حكايته ما يقوله الكفار يوم القيامة ﴿**وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾ فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقاً إلى الجنة ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان ببني آدم فقال ﴿**ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً**﴾ أي أضلَّ الشيطان عن الدين خلقاً كثيراً منكم بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم ﴿**أفلم تكونوا تعقلون**﴾ أنه يغويكم ويصّدكم عن الحق فتنبهون عنه صورته استفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكيت لهم وفي هذا بطلان مذهب اهل الجبر في ان الله أراد اضلالهم ولو كان كما قالوه

لكان ذلك اضرّ عليهم وانكر من ارادة الشيطان ذلك ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها في دار التكليف حاضرة لكم تشاهدونها ﴿اصلوها اليوم﴾ أي الزموا العذاب بها وأصل الصلاء اللزوم ومنه المصلي الذي يجيء في اثر السابق للزومه اثره وقيل معناه صيروا صلاهـا أي وقودها عن أبي مسلم ﴿بما كنتم تكفرون﴾ جزاء لكم على كفركم بالله وتكذيبكم انبياءه ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ هذا حقيقة الختم فتوضع على افواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام والنطق ﴿وتكلمنا ايديهم﴾ بما عملوا ﴿وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ أي نستنطق الأعضاء التي كانت لا تنطق في الدنيا لتشهد عليهم ونختم على أفواههم التي عهد منها النطق واختلف في كيفية شهادة للجوارح على وجوه ( أحدها ) ان الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها ان تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها ( وثانيها ) ان الله تعالى يجعل فيها كلاماً وإنما نسب الكلام اليها لأنه لا يظهر الا من جهتها ( وثالثها ) ان معنى شهادتها وكلامها ان الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على أن اصحابها عصوا الله بها فسمّى ذلك شهادة منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقد ذكرنا امثال ذلك فيما سلف .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا
يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو بكر وحده مكاناتهم على الجمع والباقون على التوحيد وقد تقدَّم ذكر ذلك وقرأ عاصم وحمزة وسهل ننكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها وقرأ الباقون بضم الكاف وتخفيفها وقرأ أهل المدينة والشام ويعقوب وسهل لتنذر بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] يقال نكَسْته ونكَّسته وانكسه وأُنكِّسه مثل رددت وردَّدت غير ان التشديد للتكثير والتخفيف يحتمل القليل والكثير ومن قرأ لتنذر بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ ومن قرأ

بالياء أراد القرآن ويجوز أن يريد لينذر الله .

[ **اللغة** ] الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب ومثله الطمس على المال وهو اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك واعمى مطموس وطميس وهو أن يذهب الشق الذي بين الجفنين والمسخ قلب الصورة الى خلقة مشوهة كما مسخ قوم قردة وخنازير .

[ **الإعراب** ] أنّى في محل النصب على الحال من يبصرون أو على أنه في معنى مصدره .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال ﴿**ولو نشاء لطمسنا على أعينهم**﴾ أي لأعيمناهم عن الهدى عن ابن عباس وقيل معناه لتركناهم عمياً يتردَّدون عن الحسن وقتادة والجبائي ﴿**فاستبقوا الصراط**﴾ أي فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه ﴿**فأنى يبصرون**﴾ أي فكيف يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه فطلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فكيف يبصرون وقد اعميناهم وقيل طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا اليها ﴿**ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم**﴾ أي على مكانهم الذي هم فيه قعود والمعنى ولو نشاء لعذَّبناهم بنوع آخر من العذاب فاقعدناهم في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير والمكانة والمكان واحد وقيل معناه ولو شئنا لمسخناهم حجارة في منازله م ليس فيهم أرواحهم ﴿**فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون**﴾ أي فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء لو فعلنا ذلك بهم وقيل معناه فما استطاعوا مضياً من العذاب ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ وهذا كله تهديد هدَّدهم الله به ثم قال سبحانه ﴿**ومن نعمره ننكسه في الخلق**﴾ أي من نطول عمره نصيّره بعد القوة الى الضعف وبعد زيادة الجسم الى النقصان وبعد الجدة والطراوة إلى البلى والخلوقة فكأنه نكس خلقه وقيل ننكسه ونردّه إلى حال الهرم التي تشبه حال الصبي في ضعف القوة وعزوب العلم عن قتادة ﴿**أفلا تعقلون**﴾ أي أفلا تتدبَّرون في أن الله تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك وإنما قال على الخطاب لقوله ألم أعهد إليكم من قرأ بالياء فالمعنى أفليس لهم عقل فيعتبروا ويعلموا ذلك ثم اخبر سبحانه عن نبيه ﷺ كيداً لقوله إنك لمن المرسلين فقال ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ يعني قول الشعراء وصناعة الشعر اي ما اعطيناه العلم بالشعر وانشائه ﴿**وما ينبغي له**﴾ أن يقول الشعر من عند نفسه وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان يتزين له بيت شعر حتى انه اذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسراً كما روي عن الحسن ان رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت

« كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً » فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر « كفى الشّيْبُ والإسْلاَمُ لِلْمَرْءِ نَاهِياً »(١) اشهد انك رسول الله وما علمك الشعر وما ينبغي لك وعن عائشة انها قالت كان رسول الله ﷺ يتمثل ببيت اخي بني قيس

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزَوَّدِ

فجعل يقول يأتيك من لم تزود بالأخبار فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول اني لست بشاعر وما ينبغي لي فأما قوله ﷺ أنا النبيّ لاَ كَذِب أنَا ابْنُ عَبْدُ الْمُطَّلِبُ » فقد قال قوم ان هذا ليس بشعر وقال آخرون انما هو اتفاق منه وليس بقصد الى قول الشعر وقيل أن معنى الآية وما علّمناه الشعر بتعليم القرآن وما ينبغي للقرآن ان يكون شعراً فإن نظمه ليس بنظم الشعر وقد صحّ انه كان يسمع الشعر ويحثُّ عليه وقال لحسان ابن ثابت لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك(٢) ﴿إن هو﴾ أي من الذي أنزلناه عليه ﴿إلا ذكر وقرآن مبين﴾ من عند رب العالمين ليس بشعر ولا رجز ولا خطبة والمراد بالذكر انه يتضمن ذكر الحلال والحرام والدلالات وأخبار الأمم الماضية وغيرها وبالقرآن انه مجموع بعضه إلى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدتهما ﴿لتنذر من كان حياً﴾ أي انزلناه لتخوف به من معاصي الله من كان مؤمناً لأن الكافر كالميت بل أقلُّ من الميت لأن الميت وإن كان لا ينتفع ولا يتضرر والكافر لا ينتفع لدينه ويتضرَّر به ويجوز أن يكون المراد بمن كان حيّاً عاقلاً وروي ذلك عن علي ( ع ) وقيل من كان حيّ القلب حيّ البصر عن قتادة ﴿ويحقّ القول على الكافرين﴾ أي يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا

(١) هذا عجز بيت لسحيم عبد بنى الحسحاس يخاطب صاحبته عميرة وصدّره « وعميرة ودع ان تجمرت عادياً » وهو مذكور في جامع الشواهد وكذا البيت الآتي .

(٢) وللإمام الرازي في هذه الآية تحقيق لطيف وكذا للفيض القاساني ( ره ) من الخاصة فراجع التفسير الكبير ج ٢٦ : ١٠٤ ، والصافي ج ٢ : ٤١٦ .

مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة الحسن والأعمش رُكُوبُهم وقراءة عائشة وأبي بن كعب ركوبتهم .

[ **الحجة** ] أما الركوب فمصدر والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم وذو الركوب هو المركوب ويجوز أن يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره من بركاتك وصول الخير إليَّ على يدك وأما ركوبتهم فهي المركوبة كالقتوبة والحلوبة والجزورة لما يقتب ويحلب ويجزر .

[ **المعنى** ] ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدلة على التوحيد فقال سبحانه ﴿ **أولم يروا** ﴾ معناه أولم يعلموا ﴿ **أنا خلقنا لهم** ﴾ أي لمنافعهم ﴿ **مما عملت أيدينا** ﴾ أي مما ولينا خلقه بإبداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه بإعانة معين واليد في اللغة على أقسام منها الجارحة ومنها النعمة ومنها القوة ومنها تحقيق الإضافة يقال في معنى النعمة لفلان عندي يد بيضاء وبمعنى القدرة تلقى فلان قولي باليدين أي بالقوة والتقبل وبمعنى تحقيق الإضافة قول الشاعر :

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَراً فَلَبَّى فَلَبَّى يَدَيْ مِسْوَرِ[١]

وإنما ثنّاه لتحقيق المبالغة في الإضافة إلى مسور ويقولون هذا ما جنت يداك وهو المعنيّ في الآية وإذا قال الواحد منّا عملت هذا بيدي دلَّ ذلك على انفراده بعمله من غير أن يكله إلى أحد ﴿ **انعاماً** ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿ **فهم لها مالكون** ﴾ أي ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها ولحومها وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهي مسخّرة لهم وهو قوله ﴿ **وذلّلناها لهم** ﴾ أي سخّرناها لهم حتى صارت منقادة ﴿ **فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ قسم الأنعام بأن جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل قال مقاتل الركوب الحمولة يعني

(١) البيت في جامع الشواهد .

الإبل والبقر ﴿ ولهم فيها منافع ومشارب ﴾ فمن منافعها لبس أصوافها وأشعارها وأوبارها وأكل لحومها وركوب ظهورها إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من ألبانها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة** ﴾ يعبدونها ﴿ **لعلهم ينصرون** ﴾ أي لكي ينصروهم ويدفعوا عنهم عذاب الله ﴿ **لا يستطيعون نصرهم** ﴾ يعني هذه الآلهة التي عبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم ﴿ **وهم لهم جند محضرون** ﴾ يعني أن هذه الآلهة معهم في النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ﴾ عن الجبائي وقيل معناه أن الكفار جند للأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا عن قتادة أي يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شرّاً قال الزجاج ينصرون الأصنام وهي لا تستطيع نصرهم ثم عزّى نبيّه ﷺ بأن قال ﴿ **فلا يحزنك قولهم** ﴾ في تكذيبك ﴿ **انا نعلم ما يسرّون** ﴾ في ضمائرهم ﴿ **وما يعلنون** ﴾ بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ
خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا
ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾
أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ
مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا
أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ
كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب يقدر بالياء وكذلك في الأحقاف والوجه فيه ظاهر وفي الشواذ قراءة طلحة وإبراهيم التيمي والأعمش ملكة كل شيء ومعناه فسبحان الذي بيده القدرة على كل شيء وهو من ملكت العجين إذا أجدت عجنه فقويته بذلك والمَلَكُوت فَعَلُوت منه زادوا فيه الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ولهذا لا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم .

[ **الإعراب** ] الذي جعل لكم بدل من الذي أنشأها ويجوز أن يكون مرفوعاً أو منصوباً على المدح . أن يقول في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ .

[ **النزول** ] قيل إن أبيّ بن خلف أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية ﴿ **أولم ير الإنسان** ﴾ إلى آخر السورة .

[ **المعنى** ] ثم نبَّه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحة البعث والإعادة فقال ﴿ **أولم ير** ﴾ أولم يعلم ﴿ **الإنسان أنا خلقناه من نطفة** ﴾ والتقدير ثم نقلناه من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم ومن العظم إلى أن جعلناه خلقاً سويّاً ثم جعلنا فيه الروح وأخرجناه من بطن أمه وربّيناه ونقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله وصار متكلّماً خصيمّا وذلك قوله ﴿ **فإذا هو خصيم مبين** ﴾ أي مخاصم ذو بيان أي فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الإعادة وهي أسهل من الإنشاء والابتداء ولا يجوز أن يكون خلق الإنسان واقعاً بالطبيعة لأن الطبيعة في حكم الموات في أنها ليست بحيّة قادرة فكيف يصحُّ منها الفعل ولا أن يكون كذلك بالاتفاق لأن المحدَث لا بدَّ له من محدِث قادر عالم وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر في الدين لأن الله سبحانه أقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى وألزم من أقرَّ بالأولى أن يقرّ بالثانية ثم أكَّد سبحانه الانكار عليه فقال ﴿ **وضرب لنا مثلا** ﴾ أي ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي وفتّه بيده وتتعجّب ممن يقول أن الله يحييه ﴿ **ونسي خلقه** ﴾ أي وترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة ثم بيَّن ذلك المثل بقوله ﴿ **قال من يحيي العظام وهي رميم** ﴾ أي بالية واختلف في القائل لذلك فقيل هو أبي بن خلف عن قتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق ( ع ) وقيل هو العاص بن وائل السهمي عن سعيد بن جبير وقيل أمية بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه في الردّ عليه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهذا المتعجب من الإعادة ﴿ **يحييها الذي أنشأها أول مرة** ﴾ لأن من قدر على اختراع ما يبقى فهو على إعادته قادر لا محالة ﴿ **وهو بكل خلق عليم** ﴾ من الابتداء والإعادة فيعلم به قبل أن يخلقه أنه إذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل أن يعيده أنه إذا أعاده كيف يكون ثم زاد سبحانه في البيان وأخبر من صنعه بما هو

عجيب الشأن فقال ﴿ **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون** ﴾ أي جعل لكم من الشجر الرطب المطفىء للنار ناراً محرقة يعني بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما فبيَّن سبحانه أن من قدر على أن يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حكَّ بعضه ببعض فتخرج منه النار وينقدح قدر أيضاً على الإعادة وتقول العرب « في كلِّ شَجَرٍ نار، وَاسْتَمْجَدَ ٱلْمَرْخُ والعَفار »[1] وقال الكلبي كل شجر تنقدح منه النار إلا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو أعظم من الإنسان فقال ﴿ **أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم** ﴾ هذا استفهام معناه التقرير يعني من قدر على خلق السماوات والأرض واختراعهما مع عظمهما وكثرة أجزائهما يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله ﴿ **بلى** ﴾ أي هو قادر على ذلك ﴿ **وهو الخلاق** ﴾ أي يخلق خلقاً بعد خلق ﴿ **العليم** ﴾ بجميع ما خلق ثم ذكر قدرته على إيجاد الأشياء فقال ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ والتقدير أن يكوّنه فيكون فعبَّر عن هذا المعنى بكن لأنه أبلغ فيما يراد وليس هنا قول وإنما هو اخبار بحدوث ما يريده تعالى وقيل إن المعنى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول من أجله كن فيكون فعبَّر عن هذا المعنى بكن وقيل إن هذا إنما هو في التحويلات نحو قوله ﴿ **كونوا قردة خاسئين وكونوا حجارة أو حديداً** ﴾ وما أشبه ذلك ولفظ الأمر في الكلام على عشرة أوجه ( أحدها ) الأمر لمن هو دونك ( والثاني ) الندب كقوله فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ( وثالثها ) الإباحة نحو قوله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا وإذا حللتم فاصطادوا (والرابع) الدعاء ﴿**ربنا آتنا من لدنك رحمة**﴾ (الخامس) الترفيه كقوله أرفق بنفسك (السادس) الشفاعة نحو قولك شفّعني فيه (السابع) التحويل نحو ﴿**كونوا قردة خاسئين**﴾ وكونوا حجارة أو حديداً (الثامن) التهديد نحو قوله ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ (التاسع) الاختراع والاحداث نحو قوله ﴿ **كن فيكون** ﴾ ( العاشر ) التعجب نحو أبصر بهم وأسمع قال علي بن عيسى في قوله ﴿ **كن فيكون** ﴾ الأمر هاهنا أفخم من الفعل فجاء للتفخيم والتعظيم قال ويجوز أن يكون بمنزلة التسهيل والتهوين فإنه إذا أراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال وأنشد :

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً     وَحَدَّرَتَا كَالدُّرِّ لَمّا يُثَقَّبِ

(١) قال ابن منظور بعد ذكر المثل: استمجد: استفضل أي استكثرا من النار كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتداح بهما .

وإنما أخبر عن سرعة دمعه دون أن يكون ذلك قولاً على الحقيقة ثم نزَّه سبحانه نفسه من أن يوصف بما لا يليق به فقال ﴿ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء** ﴾ أي تنزيهاً نه من نفي القدرة على الإعادة وغير ذلك مما لا يليق بصفاته الذي بيده أي بقدرته ملك كل شيء ومن قدر على كل شيء قدر على إحياء العظام الرميم وعلى خلق كل شيء وافنائه وإعادته ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ يوم القيامة أي تردّون إلى حيث لا يملك الأمر والنهي أحد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي على قدر أعمالكم .

# (٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّة
## وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَثَمَانُونَ وَمِائَة

[ عدد آيها ]

مائة وإحدى وثمانون آية بصري وآيتان في الباقي .

[ اختلافها ] آيتان وما كانوا يعبدون غير البصري وكلهم يعدون وإن كانوا ليقولون غير أبي جعفر .

[ فضلها ] قال أبي بن كعب قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنّي وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين وروى الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الصافات في كل يوم جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة مدفوعاً عنه كل بلية في حياته الدنيا مرزوقاً في الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبّار عنيد وإن مات في يومه أو ليلته بعثه الله شهيداً وأماته شهيداً وأدخله الجنّة مع الشهداء في درجة من الجنة .

[ تفسيرها ] افتتح الله هذه السورة بمثل ما اختتم به سورة يّس من ذكر البعث فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠

[ **القراءة** ] ادغم أبو عمرو وحمزة التاء في الصاد وفي الزاي وفي الذال من الصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً والذاريات ذرواً وقرأ أبو عمرو وحده والعاديات ضبحاً مدغماً فالمغيرات صبحاً فالملقيات ذكراً والسابحات سبحاً والسابقات سبقاً مدغماً وعباس لا يدغم شيئاً من ذلك والباقون بإظهار التاء في ذلك كله وقرأ عاصم وحمزة بزينةٍ بالتنوين الكواكبِ بالجرّ وقرأ أبو بكر بزينةٍ منوناً أيضاً الكواكبَ بالنصب وقرأ الباقون بزينةِ الكواكب مضافة وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر لا يسَّمَّعون بتشديد السين والميم والباقون لا يسمعون بالتخفيف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة اللفظين ألا ترى أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا ويجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بخلتين هما الإطباق والصفير ويحسن إدغام الأنقص في الأزيد ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتاً في الأنقص صوتاً فلهذا يحسن إدغام التاء في الزاي من قوله ﴿ **فالزاجرات زجراً** ﴾ لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وكذلك حسن ادغام التاء في الذال في قوله ﴿ **فالتاليات ذكراً والذاريات ذرواً** ﴾ لاتفاقهما في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا فأما إدغام التاء في الضاد من قوله تعالى والعاديات ضبحاً فإن التاء أقرب إلى الذال وإلى الزاي منهما في الضاد لأن الذال والزاي والصاد من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا وطرفها والضاد أبعد منهن لأنها من وسط اللسان وكذلك حسن إدغام التاء فيها لأن الصاد تغشى الصوت بها واتسع واستطال حتى اتصل صوتها بأصول الثنايا وطرف اللسان فأدغم التاء فيها وسائر حروف طرف اللسان وأصول الثنايا الا حروف الصفير فإنها لم تدغم في الضاد ولم تدغم الضاد في شيء من هذه الحروف لما فيها من زيادة الصوت فأما الإدغام في السابحات سبحاً والسابقات سبقاً فحسن لمقاربة الحروف فأما من قرأ بالإظهار في هذه الحروف فلاختلاف المخارج وأما من قرأ بزينةٍ الكواكب جعل الكواكب بدلاً من الزينة كما تقول مررت بأبي عبد الله زيد ومن قرأ الكواكبَ بالنصب أعمل الزينة في الكواكب والمعنى بأن زيّنا الكواكب فيها ومثل ذلك أو ﴿**إطعام في يوم ذي مسغبة**﴾ يتيماً ومن قرأ بزينةِ الكواكبِ

أضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وبسؤال نعجتك ومن قرأ لا يسَّمَّعون فإنما هو لا يتسمعون فادغم التاء في السين وقد يتسمع ولا يسمع فإذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم من جهة التسمع ومن جهة غيره فهو أبلغ ويقال سمعت الشيء واستمعته كما يقال حقرته واحتقرته وشويته واشتويته وقد قال تعالى ﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له** ﴾ وقال ومنهم من يسمع إليك فعدّى الفعل مرة بإلى ومرة باللام وحجة من قرأ يَسْمَعُون قوله أنهم عن السمع لمعزولون .

**[ اللغة ]** قال أبو عبيدة كل شيء بين السماء والأرض لم يضمّ قطريه فهو صاف ومنه الطير صافات إذا نشرت أجنحتها والصافات جمع الجمع لأنه جمع صافة والزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم والعقاب. المارد الخارج إلى الفساد العظيم وهو من وصف الشياطين وهم المردة وأصله الانجراد ومنه الأمرد فالمارد المنجرد من الخير. الدحور الدفع بالعنف يقال دحر يدحر دحراً ودحوراً. والواصب الدائم الثابت قال أبو الأسود :

لا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ    يَوْماً بِذَمّ الدَّهْرِ أَجْمَع واصِباً

والخطفة الاستلاب بسرعة يقال خطفه واختطفه والشهاب شعلة نار ساطعة يقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً والثاقب المضيء كأنه يثقب بضوئه ومنه حسب ثاقب أي شريف .

**[ الإعراب ]** حفظاً مصدر فعل محذوف أي زيّناها وحفظناها حفظاً . لا يسمعون جملة مجرورة الموضع بأنها صفة شيطان دحوراً مصدر فعل دلّ عليه يقذفون أي يدحرون دحوراً . إلا من خطف الخطفة يحتمل أن يكون من خطف في موضع نصب على الاستثناء والعامل فيه ما يتعلق به اللام في لهم عذاب والمستثنى منه هم من لهم ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً فيكون من خطف مبتدأ وخبره فأتبعه شهاب ثاقب .

**[ المعنى ]** ﴿ **والصافات صفاً** ﴾ اختلف في معنى الصافات على وجوه ( أحدها ) أنها الملائكة تصف أنفسها صفوفاً في السماء كصفوف المؤمنين في الصلاة عن ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة والسدي ( وثانيها ) أنها الملائكة تصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة تنتظر ما يأمرها الله تعالى عن الجبائي ( وثالثها ) أنهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين في الصلاة وفي الجهاد عن أبي مسلم ﴿ **فالزاجرات زجراً** ﴾

اختلف فيها أيضا على وجوه ( أحدها ) أنها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجراً عن السدي ومجاهد وعلى هذا فإنه يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصحّ التكليف ( وثانيها ) أنها الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها عن الجبائي ( وثالثها ) أنها زواجر القرآن وآياته الناهية عن القبائح عن قتادة ( ورابعها ) أنهم المؤمنون يرفعون أصواتهم عند قراءة القرآن لأن الزجرة الصيحة عن أبي مسلم ﴿ **فالتاليات ذكراً** ﴾ اختلف فيها أيضاً على أقوال ( أحدها ) أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى والذكر الذي ينزل على الموحى إليه عن مجاهد والسدي ( وثانيها ) أنها الملائكة تتلو كتاب الله الذي كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث فتزداد يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر ( وثالثها ) جماعة قرّاء القرآن من المؤمنين يتلونه في الصلاة عن أبي مسلم وإنما لم يقل فالتاليات تلواً كما قال فالزاجرات زجراً لأن التالي قد يكون بمعنى التابع ومنه قوله والقمر إذا تلاها فلمّا كان اللفظ مشتركاً بيَّنه بما يزيل الإبهام ﴿ **إن إلٰهكم لواحد** ﴾ وهذه أقسام أقسم الله تعالى بها أنه واحد ليس له شريك ثم اختلف في مثل هذه الأقسام فقيل أنها أقسام بالله تعالى على تقدير وربّ الصافات وربّ الزاجرات وربّ التين والزيتون لأن في القسم تعظيماً للمقسم به ولأنه يجب على العباد أن لا يقسموا إلا بالله تعالى إلا أنه حذف لأن حجج العقول دالة على المحذوف عن الجبائي والقاضي وقيل بل أقسم الله سبحانه بهذه الأشياء وإنما جاز ذلك لأنه ينبىء عن تعظيمها بما فيها من الدلالة على توحيده وصفاته العلى فله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به ثم قال سبحانه ﴿ **رب السماوات والأرض** ﴾ أي خالقهما ومدبّرهما ﴿ **وما بينهما** ﴾ من سائر الأجناس من الحيوان والنبات والجماد ﴿ **ورب المشارق** ﴾ وهي مشارق الشمس أي مطالعها بعدد أيام السنة ثلاثمائة وستون مشرقاً والمغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب عن ابن عباس والسدي وإنما خصَّ المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب ﴿ **إنا زيَّنا السماء الدنيا** ﴾ يعني التي هي أقرب السماوات إلينا وإنما خصَّها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة ﴿ **بزينة الكواكب** ﴾ أي بحسنها وضوئها والتزيين تحسين الشيء وجعله على صورة تميل إليها النفس فالله سبحانه زيَّن السماء على وجه تمتع الرائي لها وفي ذلك أعظم النعمة على العباد مع ما لهم من المنفعة بالتفكير فيها والاستدلال بها على صانعها ﴿ **وحفظاً من كل شيطان** ﴾ أي وحفظناها من كل شيطان ﴿ **مارد** ﴾ أي خبيث خال من الخير متمرّد والمعنى وحفظناها من دنوّ كل شيطان للاستماع فإنهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون إلى كلام الملائكة ويقولون ذلك إلى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة

ويوهمونهم أنهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك ﴿ **لا يسمعون إلى الملأ الأعلى** ﴾ أي لكيلا يتسمعوا إلى الكتبة من الملائكة في السماء عن الكلبي وقيل إلى كلام الملأ الأعلى أي لكيلا يتسمعوا والملأ الأعلى عبارة عن الملائكة لأنهم في السماء ﴿ **ويقذفون من كل جانب** ﴾ أي يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع ﴿ **دحوراً** ﴾ أي دفعاً لهم بالعنف وطرداً ﴿ **ولهم عذاب واصب** ﴾ أي ولهم مع ذلك أيضاً عذاب دائم يوم القيامة ﴿ **إلا من خطف الخطفة** ﴾ والتقدير لا يتسمعون إلى الملائكة إلا من وثب الوثبة إلى قريب من السماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلاباً بسرعة ﴿ **فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾ أي فلحقه وأصابه نارٌ مضيئة محرقة والثاقب المنير المضيء وهذا كقوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم بل عجبتُ بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر وأهل المدينة غير ورش أو آباؤنا ساكنة الواو والباقون بفتحهما وكذلك في الواقعة .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ بل عجبتَ بالفتح فالمعنى بل عجبتَ من إنكارهم البعث وهم يسخرون أو عجبتَ من نزول الوحي عليك وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي (ع) وابن عباس وروي عن شريح من إنكار له فإنه قال أن الله لا يعجب وقد احتجَّ بعضهم للضم بقوله وإن تعجب فعجبٌ قولهم وليس في هذا دلالة على أن الله سبحانه أضاف العجب إلى نفسه ولكن المعنى وإن تعجب فعجب قولهم عندكم والمعنى في الضم أن إنكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على الابتداء والإنشاء عجيب ويبين ذلك عند من

استدلَّ عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله كما أن قوله ﴿ **أسمع بهم وأبصر** ﴾ معناه أن هؤلاء ممن تقولون أنتم فيه هذا النحو وكذلك قوله ﴿ **فما اصبرهم على النار** ﴾ عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ ﴿ **وويل يومئذ للمكذبين** ﴾ وقوله ﴿ **لعلَّه يتذكَّر أو يخشى** ﴾ ولا يجوز أن يكون العجب في وصف القديم سبحانه كما يكون في وصف الإنسان لأن العجب فينا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه .

[ **اللغة** ] اللازب واللازم بمعنى أُبْدِلت من الميم الباء قال النابغة :

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ عِنْدَهُ ... وَلَا يَحْسَبُونَ الْشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

وبعض بني عقيل يقولون لاتب أيضاً بالتاء والداخر الصاغر أشد الصغر .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ **فاستفتهم** ﴾ أي فاسألهم يا محمد سؤال تقرير ﴿ **أهم أشد خلقاً** ﴾ أي أحكم صنعاً ﴿ **أم من خلقنا** ﴾ قبلهم من الأمم الماضية والقرون السالفة يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بالعذاب وقيل أهم أشدُّ خلقاً أم من خلقنا من الملائكة والسماوات والأرض وغلب ما يعقل على ما لا يعقل ﴿ **إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾ معناه أنهم إن قالوا نحن أشد فاعلمهم أن الله خلقهم من طين فكيف صاروا أشد قوة منهم والمراد أن آدم خلقه الله من طين وأن هؤلاء نسله وذريته فكأنهم منه وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد ﴿ **بل عجبت** ﴾ يا محمد من تكذيبهم إياك ﴿ **وهم يسخرون** ﴾ من تعجبك ومن ضم التاء فالمراد أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يخبر عن نفسه بأنه عجب من هذا القرآن حين أعطيه وسخَّر منه أهل الضلال وتقديره قل بل عجبت عن المبرد وقيل يسخرون أي يهزأون بدعائك إياهم إلى الله والنظر في دلائله وآياته وروي عن الأعمش عن أبي وائل قال قرأ عبد الله بن مسعود بل عجبت بالضم فقال شريح إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش فذكرته لإبراهيم فقال أن شريحاً كان معجباً برأيه إن عبد الله قرأ بل عجبتُ وعبد الله أعلم من شريح وإضافة العجب إلى الله تعالى ورد الخبر به كقوله ﴿ **عجب ربكم من شباب ليس له صبوة وعجب ربكم من إلّكم وقنوطكم** ﴾[1] ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى ومعناه الإستحسان والخبر عن

(١) قال ابن الأثير الصبوة: الميل إلى الهوى وقال. في ( ألل ) في الحديث: عجب ربكم من الكم وقنوطكم الال : شدة القنوط ويجوز أن يكون من رفع الصوت بالبكاء، وقال أبو عبيدة: المحدثون يروونه بكسر الهمزة والمحفوظ عند أهل اللغة الفتح وهو أشبه بالمصادر .

تمام الرضى وعجب مما يكره ومعناه الإنكار له والذم ﴿ وإذا ذكروا لا يذكرون ﴾ أي وإذا خوّفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به ﴿ وإذا رأوا آية ﴾ من آيات الله ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها ﴿ يستخسرون ﴾ أي يستهزؤون ويقولون هذا عمل السحر وسخر واستسخر بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضاً إلى إظهار السخرية وقيل معناه يعتقدونه سخرية كما تقول استقبحه أي اعتقده قبيحاً واستحسنه أي اعتقده حسناً ﴿ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ أي وقالوا لتلك الآية ما هذا إلا سحر ظاهر وتمويه ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنَّا لمبعوثون ﴾ بعد ذلك ومحشورون أي كيف نبعث بعدما صرنا تراباً ﴿ أو آباؤنا الأولون ﴾ الذين تقدّمونا بهذه الصفة أي أو يبعث آباؤنا بعدما صاروا تراباً يعنون أن هذا لا يكون ومن فتح الواو وجعلها واو العطف دخل عليها همزة الأستفهام كقوله ﴿ أو من أهل القرى ﴾ ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ نعم ﴾ تبعثون ﴿ وأنتم داخرون ﴾ صاغرون أشد الصغار ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال ﴿ فإنما هي ﴾ أي فإنما قصة البعث ﴿ زجرة واحدة ﴾ أي صيحة واحدة من إسرافيل يعني نفخة البعث والزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة فكأنّهم زجروا عن الحال التي هم فيها إلى الحشر ﴿ فإذا هم ينظرون ﴾ إلى البعث الذي كذّبوا به وقيل معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله ﴿ وقالوا ﴾ أي ويقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان ﴿ يا ويلنا ﴾ من العذاب وهو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة ومثله يا حسرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال ﴿ هذا يوم الدين ﴾ أي يوم الحساب عن ابن عباس وقيل يوم الجزاء عن قتادة والمراد أنهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين .

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ
وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾
بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟

بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن حالهم أيضاً فقال ﴿ **هذا يوم الفصل** ﴾ بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بأن يدخل المطيع الجنة على وجه الإكرام ويدخل العاصي النار على وجه الإهانة ﴿ **الذي كنتم** ﴾ يا معشر الكفار ﴿ **به تكذّبون** ﴾ وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بأن قال ﴿ **احشروا الذين ظلموا** ﴾ أنفسهم بارتكاب المعاصي أي أجمعوهم من كل جهة وقيل ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله سبحانه وبتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس ﴿ **وأزواجهم** ﴾ أي وأشباههم عن ابن عباس ومجاهد ومثله وكنتم أزواجاً ثلاثة أي أشباهاً وأشكالاً ثلاثة فيكون المعنى أن صاحب الزنا يحشر مع أصحاب الزنا وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر إلى غيرهم وقيل واشياعهم من الكفار عن قتادة وقيل وأزواجهم المشركات كأنه قال إحشروا المشركين والمشركات عن الحسن وقيل واتباعهم على الكفر ونظراؤهم وضرباؤهم ﴿ **وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ إنما عبَّر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلاً من الهداية إلى الجنة كقوله فبشّرهم بعذاب أليم من حيث أن هذه البشارة وقعت لهم بدلاً من البشارة بالنعيم ﴿ **وقفوهم** ﴾ أي قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم عن دخول النار ﴿ **أنهم مسئولون** ﴾ روى أنس بن مالك مرفوعاً أنهم مسؤولون عما دعوا إليه من البدع وقيل مسئولون عن أعمالهم وخطاياهم عن الضحاك وقيل عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) عن أبي سعيد الخدري وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً حدثناه عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بالإسناد يقال وقفت أنا ووقفت غيري وبعض بني تميم يقول أوقفت الدابة والدار وأنشد الفراء :

تَرى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إلَى النَّاسِ أَوْقَفُوا

﴿ **ما لكم لا تناصرون** ﴾ أي لا تتناصرون وهذا على وجه التوبيخ والتبكيت أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً في دفع العذاب والتقدير ما لكم غير متناصرين ثم بيَّن سبحانه أنهم لا يقدرون على التناصر فقال ﴿ **بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ أي منقادون خاضعون ومعنى الاستسلام أن يلقي بيده غير منازع فيما يراد منه ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض**

**يتساءلون** ﴾ هذا إخبار منه سبحانه أن كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي أغواه فيقول له على وجه التأنيب والتعنيف لِمَ غررّتني ويقول ذلك له لِمَ قبلت منّي وقيل يقبل الإتباع على المتبوعين والمتبوعون على الإتباع يتلاومون ويتعاتبون ويتخاصمون ﴿ **قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين** ﴾ أي يقول الكفار لِغُواتهم أنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة ولذلك أقررنا لكم والعرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائي وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا أن الحق والدين ما يضلوننا به واليمين عبارة عن الحق عن الزجاج وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوة والقدرة فتخدعوننا من أقوى الوجوه ومنه قوله ( فراغ إليهم ضرباً باليمين ) عن الفراء ﴿ **قالوا** ﴾ في جواب ذلك ليس الأمر كما قلتم ﴿ **بل لم تكونوا مؤمنين** ﴾ مصدّقين بالله ﴿ **وما كان لنا عليكم من سلطان** ﴾ أي قدرة وقوة فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فإنه لازم لكم ولاحق بكم ﴿ **بل كنتم قوماً طاغين** ﴾ أي خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم وأعظم المعاصي .

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ
إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا
لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

[ **المعنى** ] هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين قالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم قالوا ﴿ **فحقّ علينا قول ربنا** ﴾ أي وجب علينا قول ربّنا بأنا لا نؤمن ونموت على الكفر أو وجب علينا العذاب الذي نستحقه على الكفر والإغواء ﴿ **إنا لذائقون** ﴾ العذاب الذي نستحقه على الكفر أي ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق ثم يعترفون بأنهم أغووهم بأن قالوا

﴿ فأغويناكم ﴾ أي أضللناكم عن الحق ودعوناكم إلى الغي ﴿ إنا كنا غاوين ﴾ أي داخلين في الضلالة والغي وقيل معناه فخيّبناكم إنا كنا خائبين ﴿ فإنهم يومئذ ﴾ أي في ذلك اليوم ﴿ في العذاب مشتركون ﴾ واشتراكهم اجتماعهم فيه والمعنى أن ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الإتباع والمتبوعون كلهم في النار الإتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والإغواء ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ أي الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس وقيل معناه أنا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بيَّن سبحانه أنه إنما فعل ذلك بهم من أجل ﴿ أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ عن قبول ذلك ﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ أي يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم إليها ويقولون لا ندع عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبي ﷺ يدعونا إلى خلافها وقيل لأجل شاعر عن أبي مسلم فرد الله هذا القول عليهم وكذبهم بأن قال ﴿ بل جاء بالحق ﴾ أي ليس بشاعر ولا مجنون لكنَّه أتى بما تقبله العقول من الدين الحق والكتاب ﴿ وصدق المرسلين ﴾ أي حقق ما أتى به المرسلون من بشاراتهم والكتاب الحق بدين الإسلام وقيل صدَّقهم بأن أتى بمثل ما أتوا به من الدعاء إلى التوحيد وقيل صدَّقهم بالنبوة ثم خاطب الكفار فقال ﴿ إنكم ﴾ أيها المشركون ﴿ لذائقو العذاب الأليم ﴾ على كفركم ونسبتكم إياه إلى الشعر والجنون ﴿ وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ أي على قدر أعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين المعذَّبين فقال ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ الذين أخلصوا العبادة لله وأطاعوه في كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب وإنما ينالون الثواب .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ
لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾
وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ينزِفون بكسر الزاي والباقون بفتح الزاء وكذلك في سورة الواقعة إلا عاصم فإنه قرأ هاهنا بفتح الزاي وهناك بكسر الزاي .

[ **الحجة** ] قال أبو علي انزف يكون على معنين ( أحدهما ) بمعنى سكر قال :

لَعَمْرِي لَئِنْ أنْزَفْتُمُ أوْ صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدامىٰ كُنْتُمُ آلَ أبْجَرا(١)

فمقابلته صحوتم يدل على أنه أراد سكرتم ( والآخر ) بمعنى انفد شرابه فمعنى انزف صار ذا انفاد لشرابه كما أن الأول معناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزِفون يجوز أن يريد به لا يسكرون عن شربها ويجوز أن يريد به لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب أهل الدنيا ومن قرأ ينزفوٰن بفتح الزاي فإنه من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا ذهب عقله بالسكر .

[ **اللغة** ] قال الأخفش كل كأس في القرآن فالمراد به الخمر. معين يحتمل أن يكون فعيلاً من أمعن في الأمر إذا إشتدَّ دخوله فيه وهو الماء الشديد الجري ويحتمل أن يكون مفعولاً من عين الماء لأنه يجري ظاهراً للعين. واللذة اللذيذة يقال شراب لذّ ولذيذ والغول فساد يلحق الشيء خفياً يقال إغتاله إغتيالاً وغاله غولاً ومنه الغيلة وهي القتل سرّاً قال الشاعر :

وَما زالَتِ الْكأْسُ تَغْتالُنا وَتَذْهَبُ بِالأوَّلِ الأوَّلِ(٢)

والقاصرات جمع قاصرة وهن اللاتي يقصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم والقصر معناه الحبس والعين النُجْل العيون الحسانها والمكنون المصون من كل شيء قال الشاعر :

وَهْيَ زَهْراءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوّا صِ مُيِّزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه ما أعدَّه لعباده المخلصين من أنواع النعم فقال ﴿ **أولئك لهم رزق معلوم** ﴾ جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به في الأوقات المستأنفة في كل وقت شيئاً معلوماً مقدَّراً ثم فسَّر ذلك الرزق بأن قال ﴿ **فواكه** ﴾ وهي جمع فاكهة يقع على الرطب

(١) قائله أبيرد اليربوعي. الندامى جمع الندمان: المنادم على الشرب. وبعد هذا البيت قوله

شربتم ومدرتم وكان أبوكم كذا كم إذا ما يشرب الكأس مدرا

وأبجر هو ابن جابر العجلي .

(٢) قال في اللسان أي توصل الينا شراً وتعدمنا عقولنا .

واليابس من الثمار كلها يتفكهون بها ويتنعَّمون بالتصرف فيها ﴿ **وهم مكرمون** ﴾ مع ذلك أي معظمون مبجلون وضد الإكرام الإهانة ﴿ **في جنات النعيم** ﴾ أي وهم مع ذلك في بساتين فيها أنواع النعيم يتنعَّمون بها ﴿ **على سرر** ﴾ وهي جمع سرير ﴿ **متقابلين** ﴾ يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض ﴿ **يطاف عليهم بكأس** ﴾ وهو الإناء بما فيه من الشراب ﴿ **من معين** ﴾ أي من خمر جارية في أنهار ظاهرة العيون عن الحسن وقتادة والضحاك والسدي وقيل شديد الجري ثم وصف الخمر فقال ﴿ **بيضاء** ﴾ وصفها بالبياض لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية التي لها قال الحسن خمر الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن وذكر أن قراءة ابن مسعود صفراء فيحتمل أن يكون بيضاء الكاس صفراء اللون ﴿ **لذة** ﴾ أي لذيذة ﴿ **للشاربين** ﴾ ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة ﴿ **لا فيها غول** ﴾ أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا تصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدّي إلى الهلاك ﴿ **ولا همُ عنها ينزفون** ﴾ أي يسكرون ولا ينزفون لا يفنى خمرهم وتحمل هذه القراءة على هذا لزيادة الفائدةوعلى القراءة الأولى فيحمل الغول على الصداع والوجع وأذى الخمار قال ابن عباس معناه ولا يبولون قال وفي الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزَّه الله سبحانه خمر الجنة عن هذه الخصال ﴿ **وعندهم قاصرات الطرف** ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهنَّ لحبهنَّ إياهم وقيل معناه لا يفتحن أعينهن دلالة وغنجاً ﴿ **عين** ﴾ أي واسعات العيون والواحدة عيناء وقيل هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها عن الحسن ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ شبَّههن ببَيض النعام مكَّنه بالريش من الغبار والريح عن الحسن وابن زيد وفي معناه قول امرىء القيس :

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذاها نَمِيرُ الماءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ (١)

وقيل شبَّههن ببطن البيض قبل أن يقشر وقبل أن تمسَّه الأيدي والمكنون المصون ثم قال ﴿ **فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون** ﴾ يعني أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم من حين بعثوا إلى أن أدخلوا الجنة فيخبر كل صاحبه بإنعام الله تعالى عليه .

---

(١) هذا البيت من معلقته المعروفة والبكر من كل صنف ما لم يسبقه مثله والمراد هنا بيض النعام وإضافته إلى المقاناة من قبيل قوله تعالى ﴿ وللدار الآخرة ﴾ والمقاناة: المخالطة والنمير: الماء النامي في الجسد وقيل: العذب من الماء. وغير محلل أي غير يسير أو من قولهم مكان محلل إذا أكثر الناس به الحلول أي لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك، يصف معشوقته عنيزة وشبه لونها ببيض نعام تشوب بياضها صفرة. وفي قوله « البياض » تجوز الحركات الثلاث وذكروا للبيت معان اخر ذكرها الزوزني في شرح المعلقات فراجع .

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ
إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾
فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ
بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة ابن عباس وابن محيصن هل أنتم مُطْلِعون بالتخفيف فأُطْلِعَ .

[ **الحجة** ] الإطلاع الإقبال فعلى هذا يكون معناه فهل أنتم مقبلون فأقبل واطلع يكون مسنداً إلى مصدره أي فاطلع الإطلاع كما يقال قد قيم أي قد قيم القيام .

[ **الإعراب** ] إلا موتتنا الأولى نصب بقوله ﴿ **ميتين** ﴾ إنتصاب المصدر بالفعل الواقع قبل كما تقول ما ضربت إلا ضربة واحدة والتقدير فما نموت إلا موتتنا الأولى .

[ **المعنى** ] هذا تمام الحكاية عن أحوال أهل الجنة وإقبال بعضهم على بعض في المسائلة عن الإخبار والأحوال ﴿ **قال قائل منهم** ﴾ أي من أهل الجنة ﴿ **إني كان لي قرين** ﴾ في دار الدنيا أي صاحب يختص بي أما من الإنس على قول ابن عباس أو من الشيطان على قول مجاهد ﴿ **يقول** ﴾ لي على وجه الإنكار عليَّ والتهجين لفعلي ﴿ **أئنَّك لمن المصدقين** ﴾ بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والإستفهام هنا على وجه الإنكار ﴿ **أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون** ﴾ أي مجزيُّون محاسبون من قولهم كما تدين تدان والمعنى أن ذلك القرين كان يقول لي في الدنيا على طريق الاستبعاد والاستنكار أنبعث بعد أن صرنا تراباً وعظاماً بالية ونجازى على أعمالنا أي أن هذا لا يكون أبداً وهذا أبلغ في النفي من أن يقول لا نبعث ولا نجازى ﴿ **قال هل أنتم مطلعون** ﴾ أي ثم قال هذا

المؤمن لأخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين يقال طلع على كذا إذا أشرف عليه والمعنى هل تؤثرون أن تروا مكان هذا القرين في النار وفي الكلام حذف أي فيقولون له نعم أطلع أنت فأنت أعرف بصاحبك قال الكلبي وذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوّة ينظرون منها إلى أهل النار ﴿ **فاطلع فرآه** ﴾ أي فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه ﴿ **في سواء الجحيم** ﴾ أي في وسط النار ﴿ **قال** ﴾ أي فقال له المؤمن ﴿ **تالله إن كدت لتردين**﴾ هذه إن المخففة من الثقيلة بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله ﴿**لتردين**﴾ أقسم بالله سبحانه على وجه التعجب إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليه حتى يكون هلاكي كهلاك المتردي من شاهق ومنه قوله ﴿ **وما يغني عنه ماله إذا تردّى** ﴾ أي تردّى في النار ﴿ **ولولا نعمة ربي** ﴾ عليّ بالعصمة واللطف والهداية حتى آمنت ﴿ **لكنت من المحضرين** ﴾ معك في النار ولا يستعمل أحضر مطلقاً إلا في الشر قال قتادة فوالله لولا أن الله عرفه إياه لما كان يعرفه لقد تغيَّر حِبْره وسِبْره أي حُسْنه وسَحناؤه[1] ﴿ **أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين** ﴾ معناه أن هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع أليس كنت في الدنيا تقول أنا لا نموت إلا الموتة التي تكون في الدنيا ولا نعذّب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك وقيل أن هذا من قول أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه إظهار السرور بدوام نعيم الجنة ولهذا عقَّبه بقوله ﴿ **إن هذا لهو الفوز العظيم** ﴾ معناه فما نحن بميتين في هذه الجنة إلا موتتنا التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذّبين كما وعدنا الله تعالى ويريدون به التحقيق لا الشك وإنما قالوا هذا القول لأن لهم في ذلك سروراً مجدّداً وفرحاً مضاعفاً وإن كانوا قد عرفوا أنهم سيخلدون في الجنة وهذا كما أن الرجل يعطي المال الكثير فيقول مستعجباً كل هذا المال لي وهو يعلم أن ذلك له وهذا كقوله :

أَبَطْحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عَيَاناً وَهَذَا أَنَا

﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا

(١) السحناء: الهيئة واللون .

كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا
ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ
مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾
فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

[ **اللغة** ] النزل الريع والفضل يقال لهذا الطعام نُزْل ونُزُل وقيل هي الانزال التي يتقوت بها فتقيم الأبدان وتبقي عليها الأرواح ويقال أقمت للقوم نزلهم أي ما يصلح ان ينزلوا عليه من الغذاء وزعم قطرب ان الزقوم شجرة مرة تكون بتهامة قال أبو مسلم وظاهر التلاوة يدل على ان العرب كانت لا تعرفها فلذلك فسَّر بعد ذلك. والطلع حمل النخلة سمّي بذلك لطلوعه والشوب خلط الشيء بما ليس منه وهو شرٌّ منه. والحميم الحار الذي يدني من الاحراق المهلك قال

أَحَمَّ اللَّهُ ذٰلِكَ مِنْ لِقَاءٍ أُحَادَ أُحَادَ في الشَّهْرِ الحَلَالِ

أي أدناه وحمم ريش الفرخ حين يدنو من الطيران والحميم الصديق القريب أي الداني من القلب وهرع الرجل وأهرع إذا استحثّ فأسرع قال الأزهري الاهراع الاسراع والمهرع الحريص.

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن قول أهل الجنة **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾** أي لمثل هذا الثواب والفوز والفلاح فليعمل العاملون في دار التكليف وقيل انّ هذا من قول الله تعالى أي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه وهو من قوله لهم رزق معلوم إلى قول بيض مكنون فليعمل العاملون هذا ترغيب في طلب الثواب بالطاعة أي من كان يريد أن يعمل لنفع يرجوه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم **﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾** أي أذلك الذي ذكرناه من قرى أهل الجنة وما أعدَّ لهم خير في باب الانزال التي يتقوت بها ويمكن معها الاقامة أم نُزل أهل النار فيها عن الزجاج وقيل معناه أسبب هذا المؤدّى اليه خير أم سبب ذلك لأن الزقوم لا خير فيه وقيل إنما جاز ذلك لأنهم لما عملوا بما أدّى إليه فكأنهم قالوا فيه خير وقيل إنما قال خير على وجه المقابلة فهم مثل قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً وهذا كما يقول الرجل لعبده إن فعلت كذا اكرمتك وإن فعلت كذا

ضربتك هذا خير أم ذلك وإن لم يكن في الضرب خيراً والزقوم ثمر شجرة متكمرة جداً من قولهم ترقم هذا الطعام إذا تناوله على تكرّه ومشقة شديدة وقيل الزقوم شجرة في النار يقتاتها اهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة وقيل انها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب وقيل انها لا تعرفه فقد روي ان قريشاً سمعت هذه الآية قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبعري الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفي رواية بلغة اليمن فقال أبو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فأتته الجارية بتمر وزبد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم ان النار تنبت الشجرة والنار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه ﴿**إنا جعلناها فتنة للظالمين**﴾ أي خبرة لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة لهم عن قتادة والزجاج وقيل ان المراد بالفتنة العذاب أي جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون عن الجبائي وأبي مسلم ﴿**إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم**﴾ أي ان الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم وأغصانها ترفع إلى دركاتها عن الحسن ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار أو من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل والاغلال فيها وكما لا تحرق حيّاتها وعقاربها وكذلك الضريع وما أشبه ذلك ﴿**طلعها كأنه رؤوس الشياطين**﴾ يسأل عن هذا فيقال كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف وأجيب عنه بثلاثة أجوبة ( أحدها ) ان رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها الأستن وإياه عنى النابغة بقوله

تَحِيدُ عَنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ مِثْلُ الإِمَاءِ اللَّواتي تَحْمِلُ الحُزَمَا[١]

وهذه الشجرة تشبه بني آدم قاله الأصمعي ويقال له الصوم وانشد

مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصَّوْمِ يَرْقُبُهُ مِنَ المَعَارِمِ مَهْضُومُ الحَشَازَرِم[٢]

يصف وعلا يظنّ هذا الشجر قناصين[٣] فهو يرقبه والشُدوف الشُخُوص واحدها شَدْف ( وثانياً ) ان الشيطان جنس من الحيات فشبَّه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيات انشد الفراء

---

(١) حاد عنه: مال وعدل. والحزمة: ما حزم من الحطب شبّه شجرة الاستن بأمة سوداء تحمل الحطب على رأسها قيل: وضمير تحيد يرجع الى امرأة مذكورة في الاشعار السابقة.

(٢) العرم والعرمة: النقطة السوداء في اذن الشاة الضائنة والمعزى يقال قطيع اعرم اذا كان بين العرم وفي بعض النسخ « من المعازب » وفسره بعض فقال: من المعازب: من حيث يعزب عنه الشيء اي يتباعد، ومهضوم الحشا: ضامره، وزرم ـ ككتف ـ لا يثبت في مكان.

(٣) القناص: الصياد.

عَـنْـجَـرِدٌ تَـحْـلِفُ حِـيـنَ أَحْـلِفُ ... كَـمِـثْـلِ شَـيْـطَانِ الحِـمَـاطِ أَعْـرَفُ[١]

أي له عرف وأنشد المبرد

وَفِي البَـقْـلِ إِنْ لَمْ يَـدْفَـعِ الـلّهُ شَـرَّهُ ... شَيَـاطِينُ يَعْـدُو بَعْضُهُنَّ عَـلىٰ بَعْضٍ[٢]

( وثالثها ) ان قبح صور الشياطين متصوّر في النفوس ولذلك يقولـون لما يستقبحـونه جدّاً كأنه شيطان فشبَّه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرَّت بشاعته في قلوب الناس قـال الراجز

أَبْـصَـرْتُـهـا تَـلْتَـهِـمُ ٱلـثُّـعْـبَـانـا ... شَـيْـطانَـةً تَـزَوَّجَـتْ شَيْـطانا[٣]

وقال أبو النجم

الـرَّأْسُ قُـمْـلٌ كُـلُّهُ وَصِئْـبَـان ... وَلَـيْسَ فِي الـرِّجْـلَيْـنِ إِلاّ خَـيْـطان

وهيَ الّتي يُفزعَ مِنْهَا الشّيْطان

وقال امرؤ القيس

أَتَـقْتُـلُـنـي وَالمُـشَـرَّفِـيُّ مَـضَـاجِـعِـي ... وَمَسْنُـونَـةٌ زُرْقٌ كَـأَنْيَـابِ أَغْـوَالِ

فشبَّه اسنَّته بأنياب الأغوال ولم يقل أحد أنه رأى الغول وهذا قول ابن عباس ومحمد ابن كعب القرظي وقال الجبائي ان الله تعالى يشوّه خلق الشياطين في النار حتى انه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبَّه بـرؤوسهم ﴿فإنهم لآكلون منهـا﴾ يعني أن أهل النار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة ﴿فمالئون منها البطون﴾ أي يملأون بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع وقد روي ان الله تعـالى يجوعهم حتى ينسـوا عذاب النـار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم الى تلك الشجرة وفيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يشوي الـوجوه فـإذا وصل إلى بـطونهم صهر ما في بطونهم كما قال سبحانه يصهر ما في بطونهم والجلود فذلك شـرابهم وطعامهم

(١) امرأة عنجرد. خبيثة سيئة الخلق. والحماط: شجر عظام تنبت في بلاد العرب تسكنها الحيات. شبه الشاعر المرأة بحية له عرف.

(٢) البقل: قوم من العرب.

(٣) التهمه: ابتلعه بمرة.

فذلك قوله ﴿ثم إن لهم عليها﴾ زيادة على شجرة الزقوم ﴿لشوبا من حمين﴾ أي خليطاً ومزاجاً من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب وقيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم ﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد أكل الزقوم وشراب الحميم ﴿لإلى الجحيم﴾ وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج عن الجحيم كما تورد الابل إلى الماء ثم يردّون إلى الجحيم ويدل على ذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن والجحيم النار الموقدة والمعنى أن الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة منقلبهم ومأواهم ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي ان هؤلا الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق والدين ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ في الضلال أي يقلّدونهم ويتبعونهم اتباعاً في سرعة وقيل معناه يسرعون عن ابن عباس والحسن وقيل يعملون بمثل أعمالهم عن الكلبي وقيل يستحثّون عن أبي عبيدة .

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ
نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

[ **المعنى** ] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ولقد﴾ اللام هي التي تدخل في جواب القسم وقد للتأكيد ﴿ضلّ قبلهم﴾ أي قبل هؤلاء الكفارُ الذين هم في عصر النبي ﷺ عن طريق الهدى واتباع الحق ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم الخالية والأكثر هو الأعظم في العدد والأول هو الكائن قبل غيره والأول قبل كل شيء هو الله سبحانه لأن كل ما سواه موجود بعده وفي هذه الآية

دلالة على ان اهل الحق في كل زمان كانوا أقل من أهل الباطل ﴿**ولقد أرسلنا فيهم منذرين**﴾ من الأنبياء والمرسلين يخوّفونهم من عذاب الله تعالى ويحذّرونهم معاصيه ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**﴾ أي من المكذّبين المعاندين للحق والمعنى فانظر يا محمد كيف أهلكتهم وماذا حلَّ بهم من العذاب وكذلك يكون عاقبة المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال ﴿**إلا عباد الله المخلصين**﴾ الذين قبلوا من الأنبياء وأخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلّصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب ﴿**ولقد نادانا نوح**﴾ أي دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لننصره عليهم وذلك قوله إنّي مغلوب فانتصر ﴿**فلنعم المجيبون**﴾ نحن لنوح في دعائه أجبناه الى ما سأل وخلّصناه من أذى قومه بإهلاكهم وقيل هو على العموم اي فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا ﴿**ونجيناه وأهله من الكرب العظيم**﴾ أي من المكروه الذي كان ينزل به من قومه والكرب كل غم يصل حرّه إلى الصدر وأصل النجاة من النجوة للمكان المرتفع فهي الرفع من الهلاك وأهله هم الذين نجوا معه في السفينة ﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس وقتادة فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر ويأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح والسودان من أولاد حام بن نوح قال الكلبي لمّا خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤهم ﴿**وتركنا عليه في الآخرين**﴾ أي تركنا عليه ذكراً جميلاً وأثنينا عليه في أمة محمد ﷺ فحذف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعنى تركنا ابقينا قال الزجاج معناه تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله ﴿**سلام على نوح في العالمين**﴾ أي تركنا عليه ان يصلى عليه إلى يوم القيامة فكأنه قال وتركنا عليه التسليم في الآخرين ثم فسَّر التسليم بقوله سلام على نوح في العالمين وقال الفراء تركنا عليه قولاً وهو أن يقال في آخر الأمم سلام على نوح في العالمين قال الكلبي معناه سلامة منّا على نوح وهذا هو السلام والمراد بقوله اهبط بسلام منا وبركات عليك ﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾ أي جزيناه ذلك الثناء الحسن في العالمين بإحسانه عن مقاتل وقيل إن معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم ﴿**إنه من عبادنا المؤمنين**﴾ يعني نوحاً وهذه الآية تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح ﴿**ثم أغرقنا الآخرين**﴾ أي من لم يؤمن به والمعنى ثم أخبركم اني أغرقت الآخرين .

[ **النظم** ] الوجه في اتصال قصة نوح والأنبياء بما قبلها تسلية النبي ﷺ في كفر قومه بأن حالهم معه شبيهة بحال من تقدَّم من الأمم مع أنبيائهم وتحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم .

﴿ * وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ
رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾
أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾
فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾
مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟
إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى
سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة وحده يُزفون بضم الياء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن فراغ عليهم سفقاً وقراءة عبد الله بن زيد يزفون خفيفة الفاء .

[ **الحجة** ] زفت الإبل تزف إذا أسرعت وقراءة حمزة يُزفون أي يحملون غيرهم على الزفيف قال الأصمعي ازففت الابل حملتها على أن تزف وهو سرعة المشي ومقاربة الخطو والمفعول محذوف على قراءته وقيل أيضاً ان ازف لغة في زف ولما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب إلى انها تخفيف يزفّون كقوله وقرن في بيوتكن أي اقررن قال الهذلي

وَزَفَّتِ الشَّوْلُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ كَما زَفَّ النَّعامُ إِلىٰ حَفَّانِهِ الرُّوحِ [١]

(١) الشول جمع الشائلة من الابل وهي التي أتى عليها من حملها او وضعها سبعة أشهر، والحفان: فرا النعام والروح جمع الاروح: الواسع بين الفخذين او الرجلين. قال ابن منظور: وكل نعامة روحاء.

والظاهر أن يزفون من وَزَفَ[١] يزف مثل وعد يعد واما قوله سفقا فهو من قولهم سفقت الباب وصفقتَه والصاد اعرف وروي عن الحسن بالصاد أيضاً .

[ **اللغة** ] الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن أبي طالب ( ع ) الذين كانوا معه على أعدائه وبعده مع من قام مقامه من أبنائه وروى أبو بصير عن أبي جعفر ( ع ) قال ليهنكم الاسم قلت وما هو قال الشيعة قلت ان الناس يعيروننا بذلك قال أما تسمع قول الله سبحانه وإن من شيعته لإبراهيم وقوله فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه والروغ الميل من جهة إلى جهة يقال راغ يروغ روغاً وروغاناً أي حاد والرواغ الحياد قال عدي بن زيد

حِينَ لا يَنْفَعُ الرَّوٰاغُ وَلا يَنْـــفَعُ إلاّ المُصَادِقُ النِّحْرِيرُ

[ **الإعراب** ] آلهة بدل من قوله افكا وافكا مفعول تريدون. فما ظنكم ما مبتدأ وظنكم خبره وقوله ضربا مصدر فعل محذوف والتقدير يضربهم ضرباً والباء في قوله باليمين متعلق بذلك المحذوف ويزفون حال من اقبلوا والله خلقكم في موضع نصب على الحال من تعبدون والتقدير أتعبدون ما تنحتون مخلوقين. هب لي مفعوله محذوف أي ولداً .

[ **المعنى** ] ثم أتبعه سبحانه وتعالى بقصة إبراهيم ( ع ) فقال **﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾** أي وإن من شيعة نوح إبراهيم يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق عن مجاهد وقيل ان معناه وان من شيعة محمد ابراهيم كما قال إنا حملنا ذريتهم أي ذرية من هو أب لهم فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم عن الفراء **﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾** أي حين صدق الله وآمن به بقلب سليم خالص من الشرك بريء من المعاصي والغل والغش، على ذلك عاش وعليه مات وقيل بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشيء غيره عن أبي عبد الله ( ع ) **﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾** حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم والتقريع لهم **﴿ماذا تعبدون﴾** أي أيّ شيء تعبدون **﴿أئفكاً آلهة﴾** الإفك هو اشنع الكذب وأفظعه وأصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فلذلك كان الكذب افكاً وإنما قال آلهة على اعتقاد المشركين وتوهّمهم الفاسد في إلٓهية الاصنام لما اعتقدوا انها تستحق العبادة ثم أكّد التقريع بقوله **﴿دون الله تريدون﴾** أي تريدون عبادة آلهة دون عبادة الرحمن فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأن الإرادة لا يصحّ تعلقها إلا

---

(١) وهو أيضاً بمعنى اسرع .

بما يصحُّ حدوثه والاجسام مما لا يصح ان تراد ﴿**فما ظنكم برب العالمين**﴾ أن يصنع بكم مع عبادتكم غيره وقيل معناه كيف تظنون برب تأكلون رزقه وتعبدون غيره وقيل معناه ما تظنون بربكم انه على أيّ صفة ومن أيّ جنس من أجناس الاشياء حين شبَّهتم به هذه الأصنام وفيه إشارة إلى أنه لا يشبه شيئاً ﴿**فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم**﴾ اختلف في معناه على اقوال ( أحدها ) انه ( ع ) نظر في النجوم فاستدلَّ بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال اني سقيم أراد انه قد حضر وقت علته وزمان نوبتها فكأنه قال اني سأسقم لا محالة وحان الوقت الذي تعتريني فيه الحمى وقد يسمى المشارف للشيء باسم الداخل فيه قال الله تعالى إنك ميت وإنهم ميّتون ولم يكن نظره في النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلباً للاحكام ومثله قول الشاعر

إسْهَرِي مَا سَهَرْتِ أُمَّ حَكِيمِ  وَاقْعُدِي مَرَّةً لِذَاكَ وَقُومِي
وَافْتَحِي الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ  كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قَطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ

( وثانيها ) انه نظر في النجوم كنظرهم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم انه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك إني سقيم فتركوه ظنّاً منهم ان نجمه يدلّ على سقمه ويجوز ان يكون الله تعالى اعلمه بالوحي انه سيسقمه في وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص او اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى ابراهيم تلك الإمارة قال إني سقيم تصديقاً بما أخبره الله تعالى ( وثالثها ) ان معناه نظر في النجوم نظر تفكّر فاستدلَّ بها كما قصَّه الله تعالى في سورة الانعام على كونها محدثة غير قديمة ولا آلهة وأشار بقوله إني سقيم على أنه في حال مهلة النظر وليس على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم وقد يسمى الشك بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء وإنما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك وكمال المعرفة عن أبي مسلم وهذا الوجه ضعيف لأن سياق الآية يمنع منه فإن قوله إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون الى هذا الموضع من قصته يبيّن أنه ( ع ) لم يكن في زمان مهلة النظر وانه كان كامل المعرفة خالص اليقين والبصيرة ( ورابعها ) ان معنى قوله اني سقيم اني سقيم القلب أو الرأي حزناً من اصرار القوم على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر ويكون على هذا معنى نظره في النجوم فكرته في انها محدثة مخلوقة مدبرة وتعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها وما رواه العياشي بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) انهما قالا والله ما كان سقيماً وما كذب فيمكن أن يحمل على احد الوجوه التي ذكرناها ويمكن ان يكون على وجه التعريض بمعنى ان كل من كتب عليه

الموت فهو سقيم وان لم يكن بـه سقم في الحال ومـا روي ان ابراهيم ( ع ) كـذب ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة انها أختي فيمكن أن يحمل أيضاً على المعاريض أي سأسقم وفعله كبيرهم على ما ذكرناه في موضعه وسارة أختـه في الدين وقد ورد في الخبر إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب والمعاريض ان يقول الرجل شيئاً يقصد به غيره ويفهم عنه غير ما يقصده ولا يكون ذلك كذباً فإن الكذب قبيح بعينه ولا يجوز ذلك على الأنبياء لأنه يرفع الثقة بقولهم جلَّ امناء الله تعالى وأصفياؤه عن ذلك وقوله **﴿فتولوا عنه مدبرين﴾** اخبار عن قومه انهم لما سمعوا قوله اني سقيم تركوه وأعـرضوا عنـه وخرجوا إلى عيدهم **﴿فراغ إلى آلهتهم﴾** معناه فمال إلى أصنامهم التي كانوا يدعونها آلهـة **﴿فقال ألا تأكلون﴾** خاطبها وإن كانت جماداً على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على ان من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب كيف تصحّ عبادتها وكانوا صنعوا الأصنام طعاماً تقـرباً إليها وتبرّكاً بها فلما لم تجيبوه قال **﴿ما لكم لا تنطقون﴾** زيـادة في تهجين عابـديها كـأنهم حاضرون لها اي ما لكم لا تجيبون وفي هذا تنبيـه على انها جمـاد لا تأكـل ولا تنطق فهي اخس الأشياء وأقلها **﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾** أي فمال على الأصنام يضربها ويكسرها باليد اليمنى لأنها أقوى على العمل عن الربيع بن انس وقيل المراد باليمين القوة كما في قوله « تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ »(١) عن الفراء وهو قول السدي وقيل معناه بالقسم الذي سبق منه وهو قوله وتـالله لأكيدن أصنـامكم **﴿فأقبلوا اليـه يزفـون﴾** أي أقبلوا بعد الفـراغ من عيدهم إلى إبراهيم يسرعون عن الحسن وابن زيد وقيل يزفون زفيف النعام وهو حالة بين المشي والعدو عن ومجاهد وفي هذا دليل انهم أخبروا بصنيع إبراهيم بأصنامهم فقصدوه مسرعين وحملوه الى بيت أصنامهم وقالوا له أنت فعلت هذا بآلهتنا فأجابهم على وجه الحجـاج عليهم بأن **﴿قال أتعبدون ما تنحتون﴾** فهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ أي كيف يصحّ أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده فإنهم كانوا ينحتون الاصنام بأيديهم **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** أي وخلق ما علمتم من الأصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم وهـذا كما يقـال فلان يعمل الحصير وهذا الباب من عمل فلان النجار قال الحسن معناه وخلق اصل الحجارة التي تعملون منها الأصنام وهذا يجري مجرى قوله تلقف ما يأفكون وقوله تلقف ما صنعوا في أنه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذي هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه والمصنوع فيه من الحبال والعصي دون العرض الذي هو فعلهم فليس لأهل الجبر تعلق بهذه الآية في الدلالة على ان الله سبحانه خالق لأفعال العباد لأن من المعلوم ان الكفار لم يعبدوا نحتهم

(١) هذا عجز بيت لشماخ. ونسبه بعض الى حطيئة وصدره « إذا ما راية رفعت لمجد » وقد مر أيضاً .

الذي هو فعلهم وإنما كانوا يعبدن الأصنام التي هي الأجسام وقوله ما تنحتون هو ما يعملون في المعنى على ان مبنى الآية على التقريع للكفار والإزراء عليهم بقبيح فعلهم ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت الآية الى ان تكون عذراً لهم اقرب من أن تكون لوماً وتهجيناً ولكان لهم ان يقولوا ولم توبّخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم ولأنه قد أضاف العمل اليهم بقوله تعملون فكيف يكون مضافاً الى الله تعالى وهذا تناقض ولما لزمتهم الحجة ﴿**قالوا ابنوا له بنياناً**﴾ قال ابن عباس بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملاءوه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله ﴿**فألقوه في الجحيم**﴾ قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم وقيل ان الجحيم النار العظيمة ﴿**فأرادوا به كيداً**﴾ أي حيلة وتدبيراً في اهلاكه واحراقه بالنار ﴿**فجعلناهم الاسفلين**﴾ بأن أهلكناهم ونجّينا إبراهيم وسلمناه ورددنا كيدهم عنه وقيل بأن اشرفوا عليه فرأوه سالماً وتحققوا ان كيدهم لا ينفذ فيه وعلموا أنهم مغلوبون ﴿**وقال**﴾ إبراهيم ﴿**إني ذاهب إلى ربي**﴾ قال ابن عباس معناه مهاجر إلى ربي أي أهجر ديار الكفار وأذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب إليه وهي الأرض المقدسة وقيل إني ذاهب إلى مرضاة ربي بعملي ونيتي عن قتادة ﴿**سيهديني**﴾ أي يهديني ربي فيما بعد إلى طريق المكان الذي امرني بالمصير اليه أو إلى الجنة بطاعتي إياه قال مقاتل وهو أول من هاجر ومعه لوط وسارة إلى الشام وإنما قال سيهديني ترغيباً لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخاً لقومه فلما قدم الأرض المقدسة سأل إبراهيم ربه الولد فقال ﴿**رب هب لي من الصالحين**﴾ أي ولداً صالحاً من الصالحين كما تقول أكلت من الطعام فحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ
حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ
أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ
إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا
عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة غير عاصم ماذا تري بضم التاء وكسر الراء والباقون بفتح التاء والراء وفي الشواذ قراءة الأعمش والضحاك بضم التاء وفتح الراء وروي عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والأعمش وجعفر بن محمد فلما سلّما بغير الف ولام مشددة .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من فتح التاء فقال ماذا ترى كان مفعول ترى احد الشيئين إما أن يكون ماذا في موضع نصب بأنه مفعول ويكون بمنزلة اسم واحد وإما أن يكون ذا بمنزلة الذي فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفة من الصلة ويكون ترى على هذا معناها الرأي وليس ادراك الحاسة كما تقول فلان يرى رأي ابي حنيفة وإذا جعلت ذا بمعنى الذي صار تقديره ما الذي تراه فيصير ما في موضع ابتداء والذي في موضع خبره ويكون المعنى ما الذي تذهب اليه فيما القيت اليك هل تستسلم له وتتلقاه بالقبول اوتأتي غير ذلك ومن قرأ ماذا تُري فيجوز أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فيكونا في موضع نصب والمعنى أجلدا ترى على ما تحمل عليه أم خوار أو يجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويعود اليه الذكر المحذوف من الصلة والفعل منقول من رأى زيد الأمر واربته الشيء إلا انه من باب اعطيت فيجوز الاقتصار على أحد المفعولين دون الآخر كما ان اعطيت كذلك ولو ذكرت المفعول الآخر كان أريت زيداً خالداً وقال ابن جني من قرأ ماذا تُرىٰ فالمعنى ماذا يلقى اليك ويوقع في خاطرك ومن قرأ ماذا ترى فالمعنى ماذا تشير به وتدعو إلى العمل بحسبه وهو من قولك ما رأيك في كذا ومنه قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله أي بما يحضرك اياه الرأي والخاطر وأما قوله اسلما فمعناه فوّضا وأطاعا وأما سلّما فمن التسليم اي سلّما انفسهما وأراهما كالتسليم باليد لما امرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من اجماع ابراهيم الذبح وإسحاق أو إسماعيل الصبر.

[ **اللغة** ] التل الصرع ومنه التل من التراب جمعه تلول والتليل العنق لأنه يتل والجبين

ما عن يمين الجبهة وشمالها وللوجه جبينان الجبهة بينهما والـذبح بكسـر الذال المهيـأ لأن يذبح وبفتح الذال المصدر .

[ **الاعراب** ] اختلف في جواب لما من قوله فلما اسلما فقيل هو محذوف وتقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه فازا وظفرا بما ارادا وقيل جوابه ناديناه والواو زائدة. نبياً منصوب بأنه حال من بشرناه وذو الحال إسحاق .

[ **المعنى** ] ثم اخبر سبحانه انه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله **﴿فبشرناه بغلام حليم﴾** اي بابن وقور عن الحسن قال وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً اجل من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الأمر قبل وقته مع القدرة عليه وقيل الذي لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج وهذه البشارة تدل على أن الغلام يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم ثم اخبر سبحانه ان الغلام الذي بشَّره به ولد له وترعرع بقوله **﴿فلما بلغ معه السعي﴾** اي شبَّ حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم عن مجاهد والمعنى بلغ إلى ان يتصرف ويمشي معه ويعينه على اموره قالـوا وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل يعني بالسعي العمل لله والعبادة عن الحسن والكلبي وابن زيد ومقاتل **﴿قال يا بني إني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى﴾** معنى رأى في الكلام على خمسة اوجه (أحدها) ابصر (والثاني) علم نحو رأيت زيداً عالماً ( والثالث) ظنَّ كقوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ( والرابع) اعتقد نحو قوله .

وَإِنَّـا لَقَـوْمٌ مَـا نَـرَى الْقَتْـلَ سُبَّـة        إِذَا مَـا رَأَتْـهُ عَـامِـرٌ وَسَـلُولُ

(والخامس) بمعنى الرأي نحو رأيت هذا الرأي وأما رأيت في المنام فمن رؤية البصر فمعنى الآية ان إبراهيم قال لابنه إني ابصرت في المنام رؤياً تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا تراه أو أيّ شيء ترى من الرأي ولا يجوز أن يكون ترى هاهنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شيء يبصر بالعين ولا يجوز ان يكون بمعنى علم أو ظن أو اعتقد لأن هذه الأشياء تتعدّى إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعـول واحد مـع استحالـة المعنى فلم يبق إلا ان يكون من الـرأي والأولى ان يكون الله تعالى قد أوحى اليه في حال اليقظة وتعبَّده بأن يمضي ما يأمره به فـي حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة ولو لم يأمره بذلك في حال اليقظة لما كان يجوز ان يعمل على ما يراه في المنام وقال سعيد بن جبير عن ابن عبـاس منامـات الأنبياء وحي وقال قتادة رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئاً فعلوه وقال أبو مسلم رؤيا الأنبياء مع أنَّ

جميعها صحيحة ضربان (أحدهما) ان يأتي الشيء كما رأوه ومنه قوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية (والآخر) ان يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما رأوه في المنام وذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين وكأن رؤيا ابراهيم من هذا القبيل لكنّه لم يأمن ان يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقة ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه انه صدق الرؤيا بما فعله وفدى ابنه من الذبح بالذبح ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أي ما أمرت به ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ اي ستصادفني بمشيئة الله وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم لأمره ﴿فلما اسلما﴾ اي استسلما لأمر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم الأب ابنه لله وسلم الابن نفسه لله ﴿وتله للجبين﴾ أي اضطجعه على جبينه عن الحسن وقيل معناه وضع جبينه على الأرض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء عن ابن عباس وروي انه قال اذبحني وانا ساجد لا تنظر إلى وجهي فعسى ان ترحمني فلا تذبحني ﴿وناديناه ان يا إبراهيم﴾ تقديره ناديناه بأن يا إبراهيم اي بهذا الضرب من القول ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ اي فعلت ما امرت به في الرؤيا ﴿انا كذلك نجزي المحسنين﴾ اي كما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزي من سلك طريقهما في الإحسان بالاستسلام والانقياد لامر الله ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ اي ان هذا لهو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة وتسمى النعمة بلاء بسببها المؤدّي اليها كما يقال لاسباب الموت هي الموت لأنها تؤدّي اليه واختلف العلماء في الذبيح على قولين (أحدهما) انه إسحاق وروي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة وعطا والزهري والسدي والجبائي والقول الآخر انه إسماعيل عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والربيع بن انس والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وكلا القولين قد رواه اصحابنا عن أئمتنا (ع) الا ان الأظهر في الروايات انه إسماعيل ويعضده قوله بعد قصة الذبح وبشّرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ومن قال انه بشر بنبوة إسحاق فقد ترك الظاهر ولأنه قال في موضع آخر فبشّرناه بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فبشره بإسحاق وبأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشّره بذرية إسحاق ثم يأمره بذبح إسحاق مع ذلك وقد صحَّ عن النبي ﷺ انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه من ولد إسماعيل والذبيح الآخر هو عبد الله أبوه وحجة من قال انه إسحاق ان اهل الكتابين اجمعوا على ذلك وجوابه ان اجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول وروى محمد ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح فقلت إسماعيل واستدللت بقوله وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين فأرسل الى رجل بالشام

كان يهودياً فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال إسماعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنّهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان من امر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأنّ إسحاق أبوهم وقال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل فقال يا أصمعي اين ذهب عنك عقلك ومتى كان إسحاق بمكة وإنما كان بمكة إسماعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكةلا شك فيه وقد استدل بهذه الآية من اجاز نسخ الشيء قبل وقت فعله فقال ان الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد ان امره به وقد اجيب عن ذلك بأجوبة (أحدها) انه سبحانه لم يأمر إبراهيم بالذبح الذي هو فري الاوداج وإنما امره بمقدمات الذبح من الاضجاع وتناول المدية وما يجري مجرى ذلك والعرب قد تسمي الشيء باسم مقدماته ولهذا قال قد صدقت الرؤيا ولو كان امره بالذبح لكان إنما صدق بعض الرؤيا واما الفداء بالذبح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبح ولا يمتنع أيضاً ان يكون فدية عن مقدمات الذبح لأن الفدية لا يجب ان تكون من جنس المفدى ألا ترى ان حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك (وثانيها) انه (ع) إنما أمر بصورة الذبح وقد فعله لأنه فرى اوداج ابنه ولكنه كلما فرى جزءاً منه وجاوزه إلى غيره عاد في الحال ملتحماً فإن قلت ان حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياة فالجواب ان ذلك غير مسلم لأنه يقال ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد ولو سلمنا ان حقيقة الذبح ذلك لكان لنا ان نحمل الذبح على المجاز للدليل الدال عليه (وثالثها) ان الله تعالى امره بالذبح إلا انه سبحانه جعل على عنقه صفحة من نحاس وكلما أمرَّ إبراهيم السكين عليه لم يقطع او كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الرواية فيه وهذا التأويل يسوغ إذا قلنا انه كان مأموراً بما يجري مجرى الذبح ولا يسوغ إذا قلنا انه امر بحقيقة الذبح لأنه يكون تكليف لما لا يطاق ثم قال سبحانه ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ الفداء جعل الشيء مكان الشيء لدفع الضرر عنه والذبح هو المذبوح وما يذبح ومعناه انا جعلنا الذبح بدلاً عنه كالأسير يفدى بشيء واختلف في الذبح فقيل كان كبشاً من الغنم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثَبِير[1] عن الحسن ولِمَ سمّي عظيماً فيه خلاف قيل لأنه كان مقبولاً عن مجاهد وقيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالإضافة اليه وقيل لأنه رعى في الجنة اربعين خريفاً عن سعيد

(١) ثبير كامير ـ: جبل بين مكة وعرفات من اعظم جبال مكة .

ابن جبير وقيل لأنه كان من عند الله كوَّنه ولم يكن عن نسل وقيل لأنه فداء عبد عظيم **﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين﴾** قد مضى تفسير ذلك **﴿وبشرناه بإسحاق﴾** أي بولادة إسحاق **﴿نبياً من الصالحين﴾** أي ولداً نبياً من جملة الأنبياء الصالحين وهذا ترغيب في الصلاح بأن مدح مثله في جلالته بالصلاح ومن قال ان الذبيح إسحاق قال يعني بشرناه بنبوة إسحاق وآتينا إسحاق النبوة بصبره **﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾** اي وجعلنا فيما اعطيناهما من الخير والبركة يعني النماء والزيادة ومعناه وجعلنا ما اعطيناهما من الخير دائماً ثابتاً نامياً ويجوز ان يكون اراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرناً بعد قرن إلى ان تقوم الساعة **﴿ومن ذريتهما﴾** اي ومن اولاد إبراهيم وإسحاق **﴿محسن﴾** بالإيمان والطاعة **﴿وظالم لنفسه﴾** بالكفر والمعاصي **﴿مبين﴾** بيِّن الظلم.

[ **القصة** ] من ذهب إلى الذبيح إسحاق ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما حكى الله سبحانه عنه بقوله إني ذاهب إلى ربي سيهدين دعا الله سبحانه ان يهب له ولداً ذكراً من سارة فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤتفكة وبشَّروه بغلام حليم قال إبراهيم حين بشر به هو إذا له ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت فكان هذا هو السبب في أمره (ع) بذبح ابنه فقال إبراهيم (ع) عند ذلك لاسحاق انطلق نقرب قرباناً لله وأخذ سكّيناً وحبلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا ابه اين قربانك يا بني إني أرى في المنام اني اذبحك الى آخره عن السدي وقيل ان إبراهيم رأى في المنام ان يذبح ابنه إسحاق وقد كان حجَّ بوالدته سارة واهله فلما انتهى الى منى رمى الجمرة هو وأهله وأمر سارة فزارت البيت واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فأمره الغلام ان يمضي ما أمره الله وسلما لأمر الله فأقبل شيخ فقال يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام قال أريد أن أذبحه فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين قط قال إبراهيم ان الله أمرني بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال إبراهيم لا والله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا ابتا خمّر وجهي وشدّ وثاقي قال إبراهيم يا بني الوثاق مع الذبح والله لا اجمعهما عليك اليوم ورفع رأسه إلى السماء ثم انحنى عليه بالمدية وقلب جبرائيل المدية على قفاها واجتر الكبش من قبل ثَبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بإسحاق إنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين قال ولحق إبليس بأم الغلام حين زارت البيت

فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي قال فوصيف رأيته قالت ذاك ابني قال فإني رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه قالت كذبت إبراهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد امر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة إلى منى واضعة يديها على رأسها وهي تقول يا رب لا تؤآخذني بما عملت بأم إسماعيل فلما جاءت سارة واخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فرأت إلى أثر السكين خدشاً في حلقه ففزعت واشتكت وكانت بدو مرضها الذي هلكت به رواه العياشي وعلي بن إبراهيم بالإسناد في كتابيهما ومن قال أنَّ الذبيح اسماعيل فمنهم محمد بن إسحاق بن يسار وذكر ان إبراهيم كان إذ زار إسماعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة يروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعي رأى في المنام ان يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا تنتضح من دمي شيئاً فتراه أمي واشحذ شفرتك واسرع مرّ السكين على حلقي ليكون أهون عليّ فإن الموت شديد فقال له إبراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم ذكر نحواً مما تقدم ذكره وروى العياشي بإسناده عن بريدة بن معاوية العجلي قال قلت لابي عبد الله (ع) كم كان بين بشارة ابراهيم (ع) بإسماعيل (ع) وبين بشارته بإسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حليم يعني إسماعيل وهي اول بشارة بشر الله بها إبراهيم في الولد ولما ولد لابراهيم إسحاق من سارة وبلغ اسحاق ثلاث سنين اقبل إسماعيل (ع) إلى إسحاق وهو في حجر إبراهيم فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا إبراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو في مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابدا فنحهما عني وكان إبراهيم مكرماً لسارة يعزّها ويعرف حقها وذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء وبنت خالته فشقَّ ذلك على إبراهيم واغتنمَّ لفراق إسماعيل (ع) فلما كان في الليل اتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل بموسم مكة فأصبح إبراهيم حزيناً للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم هاجر وإسماعيل في ذي الحجة من ارض الشام فانطلق بهما إلى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ورجع إلى مكة فطافا بالبيت اسبوعاً ثم انطلقا إلى السعي فلما صارا في المسعى قال إبراهيم (ع) لاسماعيل (ع) يا بني إني أرى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى قال يا

أبت افعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به إلى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره وفدي إسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ( ع ) قال سألته عن كبش إبراهيم ( ع ) ما كان لونه قال أملح اقرن ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى وكان يمشي في سواد ويأكل في سواد وينظر في سواد ويبعر في سواد ويبول في سواد وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ( ع ) انه سأل عن صاحب الذبح قال هو إسماعيل وعن زياد بن سوقة عن أبي جعفر ( ع ) قال سألته عن صاحب الذبح فقال إسماعيل ( ع ) . :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

[ **اللغة** ] أصل المن القطع ومنه قوله لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وحبل منين أي منقطع والنصر المعونة الا ان كل نصر معونة وليس كل معونة نصراً لأن النصر يختص بالمعونة على الأعداء والمعونة عامة .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى وهارون فقال **﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾** أي أنعمنا عليهما نعماً قطعت عنهما كل أذية فمنها النبوة ومنها النجاة من آل فرعون ومنها سائر النعم الدينية والدنياوية **﴿ونجيناهما وقومهما﴾** بني إسرائيل **﴿من الكرب العظيم﴾** من تسخير قوم فرعون إياهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة وقيل من الغرق ونصرناهم على فرعون وقومه **﴿فكانوا هم الغالبين﴾** القاهرين بعد ان كانوا مغلوبين مقهورين **﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾** يعني التوراة الداعي إلى نفسه بما فيه من البيان وكذلك كل كتب الله تعالى بهذه الصفة **﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾** أي دللناهما على الطريق

المؤدّي إلى الحق الموصل إلى الجنة ﴿وتركنا عليهما﴾ الثناء الجميل ﴿في الآخرين﴾ بأن قلنا ﴿سلام على موسى وهارون﴾ وقد مرَّ القول في ذلك ﴿إنا كذلك﴾ مثل ما فعلنا بهما ﴿نجزي المحسنين﴾ نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعاتهم وفي هذا دلالة على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى وهارون ومن تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك ﴿انهما من عبادنا المؤمنين﴾ أي من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك .

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل العراق غير ابي عمرو وأبي بكر الله رَبَّكم وربَّ آبائكم الأولين بالنصب والباقون برفع الجميع وقرأ ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب آل يّس بفتح الألف وكسر اللام المقطوعة من ياسين والباقون الْياسين بكسر الالف وسكون اللام موصولة بياسين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمش والحكم بن عيينة وانَّ ادريس سلام على إدْراسين ، وقراءة ابن محيصن وابي رجاء وان الياس وسلام على الياسين بغير همز .

[ **الحجة** ] من قرأ اللّهُ ربُّكم فهو على الاستئناف ومن نصب فعلى البدل من أحسن الخالقين وقال ابو علي من قرأ آل يّس فحجتّه انها في المصحف مفصولة من يّس وفي فصلها دلالة على ان آل هو الذي تصغيره اهيل وقال الزجاج من قرأ الياسين فإنه جمع الياس جمع هو وأمته المؤمنون وكذلك يجمع ما ينسب إلى الشيء بلفظ الشيء تقول رأيت المسامعة والمهالبة تريد بني المسمع وبني المهلب وكذلك رأيت المهلبين والمسمعين وفيها وجه آخر وهو ان يكون لغتان الياس والياسين وكما قيل ميكال وميكائيل وقال أبو علي هذا لا يصح لأن

ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً كالياس والياسين وادريس وادراسين ومثله « قَدْنيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبِينَ قَدِي»[1] أراد عبد الله ومن كان على رأيه فكذلك الياسين وادراسين من كان من شيعته واهل دينه على ارادة ياء النسب التقدير الياسيين وادراسيين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفة كالاعجمين والأشعرين.

[ الاعراب ] سلام في هذه الآي كلها مبتدأ والخبر بعده الجار والمجرور والجملة في موضع المفعول لقوله تركنا ولو اعمل تركنا فيه لقال سلاماً ويجوز ان يكون التقدير وتركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتدأ فقال سلام.

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه قصة الياس فقال **﴿وان إلياس لمن المرسلين﴾** واختلف فيه فقيل هو ادريس عن ابن مسعود وقتادة وقيل هو من انبياء بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغيرهما قالوا انه بعث بعد حزقيل لما عظمت الاحداث في بني إسرائيل وكان يوشع لما فتح الشام بوّأها بني إسرائيل وقسَّمها بينهم فأحلَّ سبطاً منهم ببعلبك وهم سبط إلياس بعث فيهم نبياً اليهم فأجابه الملك ثم ان امرأته حملته على أن ارتدَّ وخالف إلياس وطلبه ليقتله فهرب إلى الجبال والبراري وقيل انه استخلف اليسع على بني إسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه الريش فصار انسياً ملكياً أرضياً سماوياً وسلَّط الله على الملك وقومه عدوّاً لهم فقتل الملك وامرأته وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو إسرائيل وعظَّموه وانتهوا إلى أمره عن ابن عباس وقيل ان إلياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر يجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات وذكر وهب انه ذو الكفل **﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾** عذاب الله ونقمته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه **﴿أتدعون بعلاً﴾** يعني صنماً لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا والبعل بلغة اهل اليمن هو الرب والسيد عن عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي فالتقدير أتدعون رباً غير الله تعالى **﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾** أي تتركون عبادة احسن الخالقين **﴿الله ربكم﴾** اي خالقكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة **﴿ورب آبائكم الأولين﴾** وخالق من مضى من آبائكم وأجدادكم **﴿فكذبوه﴾** فيما دعاهم اليه ولم يصدِّقوه **﴿فإنهم لمحضرون﴾** للحساب أو في العذاب والنار **﴿إلا عباد الله المخلصين﴾** استثنى من جملتهم الذين اخلصوا عبادتهم لله من قومه **﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾** فيه القولان اللذان ذكرناهما

(١) هذا صدر بيت وعجزه « ليس الامام بالشحيح الملحد» وقد اختلفت الكلمات في قائله فمنهم من نسبه على صيغة الجمع على انه اراد عبد الله وشيعته، والشحيح: البخيل، والملحد: الذي الحد في الحرم اي ظلم.

﴿سلام على إلياسين﴾ قال ابن عباس آل يّس محمد ﷺ وياسين من أسمائه ومن قرأ الياسين أراد الياس ومن اتبعه وقيل يّس اسم السورة فكأنه قال سلام على من آمن بكتاب الله تعالى والقرآن الذي هو يّس ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ بإحسانهم ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ المصدقين العاملين بما أوجبناه عليهم .

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى
ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ
ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾
لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ
سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ
أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

[ القراءة ] قرأ جعفر بن محمد الصادق ( ع ) ويزيدون بالواو والوجه فيه ظاهر .

[ اللغة ] الغابر الباقي قليلاً بعد ما مضى ومنه الغبار لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلاً والتدمير الإهلاك على وجه التنكيل والآبق الفار إلى حيث لا يهتدي اليه طالبه وقد ابق يأبق اباقاً والمشحون المملوء والمساهمة المقارعة مأخوذ من القاء السهام ودحضت حجته أي سقطت وأدحضها الله مأخوذ من الدحض وهو الزلق لأنه يسقط المار فيه قال الشاعر «وَحُدْت كَما حادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ»(١) والالتقام ابتلاع اللقمة يقال لقمهٗ والتقمه وتلقمه بمعنى

(١) قائله طرفة وقبله «رديت ونجى اليشكري حذاره » وحاد عن الشيء : مال وعدل.

والام الرجل فهو مليم أتى بما يلام عليه قال لبيد.

سَفَهاً عَذَلْتَ وَلُمْتَ غَيْرَ مُلِيمٍ وَهَذاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ غَيْرُ حَكِيمٍ

والعراء الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره وقيل العراء وجه الأرض الخالي قال :

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَها وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَراءِ ثِيابِي

واليقطين كل شجرة تبقى من الشتاء إلى الصيف ليس لها ساق قال امية بن أبي الصلت :

فَأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لَوْلاَ اللّهُ أُلْقِيَ ضَاحِياً

وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة راسخ والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت مثل الحمص والعدس والخلو وأحدها قطنيَّة وقطينة .

[ **الاعراب** ] مصبحين حال من قوله تمرّون بالليل الجار والمجرور ايضاً في موضع نصب عطفاً عليه تقديره لتمرون عليه مصبحين وممسين .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم خبر لوط فقال **﴿وان لوطاً لمن المرسلين﴾** اي رسولاً من جملة من ارسله الله إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعته ومنبّهاً لهم على وحدانيته **﴿إذ نجيناه واهله اجمعين﴾** إذ يتعلق بمحذوف وكأنه قيل اذكر يا محمد إذ نجيناه اي خلَّصناه ومن آمن به من قومه من عذاب الاستئصال **﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾** أي في الباقين الذين اهلكوا استثنى من جملة قومه امرأته فقال **﴿ثم دمرنا الآخرين﴾** اي اهلكناهم **﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾** هذا خطاب لمشركي العرب اي تمرّون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على منازلهم وقراهم بالنهار وبالليل **﴿أفلا تعقلون﴾** فتعتبرون بهم ومن كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قلَّ ذلك عنه والمعنى أفلا تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه في ذكر قصص الانبياء وتكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوىء الخصال ومقابح الأفعال **﴿وإن يونس لمن المرسلين إذا أبق إلى الفلك المشحون﴾** أي فرّ من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والاحمال خوفاً من ان ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم **﴿فساهم﴾** يونس القوم بأن القوا السهام على سبيل القرعة

اي قارعهم ﴿فكان من المدحضين﴾ اي من المقروعين عن الحسن وابن عباس وقيل من المسهومين عن مجاهد والمراد من الملقين في البحر واختلف في سبب ذلك فقيل انهم اشرفوا على الغرق فرأوا انهم ان طرحوا واحداً منهم في البحر لم يغرق الباقون وقيل ان السفينة احتبست فقال الملاحون ان هاهنا عبداً آبقاً فإن من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات فعلموا انه المطلوب فألقى نفسه في البحر وقيل انه لما وقعت القرعة عليه القوه في البحر ﴿فالتقمه الحوت﴾ أي ابتلعه وقيل ان الله سبحانه اوحى إلى الحوت أني لم أجعل عبدي رزقاً لك ولكني جعلت بطنك مسجداً له فلا تكسرنَّ له عظماً ولا تخدشنَّ له جلداً ﴿وهو مليم﴾ أي مستحق للوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير امر ربه وعندنا ان ذلك إنما وقع منه تركاً للمندوب وقد يلام الإنسان على ترك المندوب ومن جوَّز الصغيرة على الأنبياء قال قد وقع ذلك صغيره مكفرة واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل كانت ثلاثة أيام عن مقاتل بن حيان وقيل سبعة ايام عن عطا وقيل عشرين يوماً عن الضحاك وقيل اربعين يوماً عن السدي ومقاتل بن سليمان والكلبي ﴿فلولا انه كان من المسبحين﴾ أي كان من المصلين في حال الرخاء فنجاه الله عند البلاء عن قتادة وقيل كان تسبيحه أنه كان يقول لا إآله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين عن سعيد بن جبير وقيل من المسبحين اي من المنزهين الله عما لا يليق به ولا يجوز في صفته الذاكرين له ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿فنبذناه بالعراء﴾ اي فطرحناه بالمكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر وقيل بالساحل ألهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض ﴿وهو سقيم﴾ أي مريض حين القاه الحوت ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وهو القرع عن ابن مسعود وقيل هو كل نبت يبسط على وجه الأرض ولا ساق له عن ابن عباس والحسن وروي عن ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش فاستظل بالشجر من الشمس ﴿وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون﴾ قيل ان الله سبحانه ارسله إلى اهل نينوى من ارض الموصل عن قتادة وكانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز ان يكون ارسل إلى قوم بعد قوم ويجوز ان يكون ارسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها وقيل في معنى «أو» من قوله او يزيدون وجوه (أحدها) انه على طريق الإبهام على المخاطبين كأنه قال ارسلناه إلى احدى العدتين (وثانيها) ان أو تخيير كأن الرائي خُيِّر بين ان يقول هم مائة الف أو يزيدون عن سيبويه والمعنى انهم كانوا عدداً لو نظر اليهم الناظر لقال هم مائة الف أو يزيدون (وثالثها) ان أو بمعنى الواو كأنه قال ويزيدون عن بعض الكوفيين

وقال بعضهم معناه بل يزيدون وهذان القولان الأخيران غير مرضيين عند المحققين[١] وأجود الأقوال الثاني واختلف في الزيادة على مائة الف كم هي فقيل عشرون الفاً عن ابن عباس ومقاتل وقيل بضع وثلاثون الفاً عن الحسن والربيع وقيل سبعون الفاً عن مقاتل بن حيان ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ حكى سبحانه عنهم انهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب ومتعهم بالمنافع واللذات إلى انقضاء آجالهم .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟
بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا
وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر ونافع برواية إسماعيل وورش من طريق الأصفهاني لكاذبون اصطفى البنات بالوصل والابتداء اصطفى بكسر الهمزة والباقون اصطفى بفتح الهمزة وكذلك ورش من طريق البخاري .

[ **الحجة** ] قال ابو علي الوجه الهمز على وجه التقريع لهم بذلك والتوبيخ ويقويه قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله أم له البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الأنثى فكما ان هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله اصطفى البنات ووجه القراءة لاخرى انه على وجه

(١) يعني القول بأن «أو» بمعنى الواو او بمعنى بل على قراءة «أو يزيدون».

الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب اليه ويجوز ان يكون اصطفى البنات بدلا من قوله ولد الله لأن ولادة البنات واتخاذهن اصطفاؤهن فيصير اصطفى بدلا من المثال الماضي كما كان قوله يضاعف له العذاب بدلاً من قوله يلق أثاماً ويجوز ان يكون اصطفى البنات تفسيراً لكذبهم في قوله وإنهم لكاذبون كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ويجوز ان يكون متعلقاً بالقول على انه اريد حرف العطف فلم يذكر واستغني بما في الجملة الثانية من الاتصال بالاولى عن حرف العطف كقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك .

[ **المعنى** ] ثم عاد الكلام إلى الرد على مشركي العرب فقال سبحانه ﴿**فاستفتهم**﴾ أي سلهم واطلب الحكم منهم في هذه القصة ﴿**ألربك البنات ولهم البنون**﴾ اي كيف اضفتم البنات إلى الله تعالى واخترتم لأنفسكم البنين وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة ﴿**أم خلقنا الملائكة إناثاً**﴾ معناه بل خلقنا الملائكة إناثاً ﴿**وهم شاهدون**﴾ اي حاضرون خلقنا إياهم أي كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ثم اخبر عن كذبهم فقال ﴿**الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله**﴾ حين زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى ﴿**وإنهم لكاذبون**﴾ في قولهم ﴿**اصطفى البنات على البنين**﴾دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومثله قول ذي الرمة

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ مِنْ أَشْياعِهِمْ خَبَراً أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرابِهِ طَرَبُ

والمعنى كيف يختار الله سبحانه الأدون على الأعلى مع كونه مالكاً حكيماً ثم وبَّخهم ﴿**فقال مالكم كيف تحكمون**﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿**أفلا تذكرون**﴾ اي افلا تتّعظون فتنتهون عن مثل هذا القول ﴿**أم لكم سلطان مبين**﴾ اي حجة بيِّنة على ما تقولون وتدَّعون وهذا كله انكار في صورة الأستفهام ﴿**فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين**﴾ المعنى فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه الحجة ﴿**ان كنتم صادقين**﴾ في قولكم والمراد انه دليل لكم على ما تقولونه من جهة العقل لا من جهة السمع ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً**﴾ اختلف في معناه على اقوال (أحدها) ان المراد به قول الزنادقة إن الله وابليس اخوان وان الله تعالى خلق النور والخير والحيوان النافع وابليس خلق الظلمة والشر والحيوان الضار عن الكلبي وعطية (وثانيها) انه قول المشركين ان الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنَّة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد وقتادة والجبائي ( وثالثها) انهم قالوا صاهر الله الجنَّ فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم (ورابعها) انهم اشركوا الشيطان في عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذي جعلوه

بينه وبين الجنة عن الحسن ﴿ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون﴾ اي علمت الملائكة ان هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيامة عن السدي وقيل معناه قد علمت الجنة وهم الجن الذين دعوهم انهم محضرون العذاب بدعائهم الى هذا القول ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ نزَّه سبحانه نفسه عما وصفوه به وأضافوه إليه ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين ما لا يليق به .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة الحسن صال الجحيم بضم اللام .

[ **الحجة** ] قال ابن جني كان الشيخ ابو علي يحمله على انه حذف لام صال تخفيفاً واعرب اللام بالضم كما حذفت لام البالية من قولهم ما باليت به بالة وذهب قطرب إلى انه صالُ اي صالون فحذف النون للإضافة والواو لالتقاء الساكنين وحمل على معنى مَنْ لأنه جمع كقوله ومنهم من يستمعون اليك وقال هذا حسن عندي وقول ابي علي مأخوذ به .

[ **اللغة** ] الفاتن الداعي إلى الضلال بتزيينه واصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب بالنار إذا اخرجته إلى حال الخلاص الصالي اللازم للنار المحترق بها والمصطلي المستدفىء بالنار ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها والمصلي الذي يجيء بعد السابق للزومه أثره .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه الكفار بأن قال لهم ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ وموضع ما نصب عطفاً على الكاف والميم والمعنى إنكم يا معشر الكفار والذي تعبدونه ﴿ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم﴾ الهاء في عليه إلى ماذا يعود فيه قولان (أحدهما) انه يعود

إلى ما تعبدون والتقدير إنكم وما تعبدونه ما أنتم بفاتنين على عبادته احداً إلا من يصلى الجحيم ويحترق بها بسوء اختياره وقيل معناه ما انتم بمضلّين أحداً اي لا تقدرون على اضلال احد إلّا من سبق في علم الله تعالى ان سيكفر بالله تعالى ويصلى الجحيم (والآخر) ان الضمير في عليه يعود إلى الله تعالى والتقدير ما أنتم على الله وعلى دينه بمضلّين احداً الا من هو صالي الجحيم باختياره وهذا كما يقال لا يهلك على الله هالك وفلان يربح على فلان ويخسر على فلان ﴿وما مِنّا الا له مقام معلوم﴾ هذا قول جبرائيل للنبي ﷺ وقيل انه قول الملائكة وفيه مضمر اي وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه وقيل معناه انه لا يتجاوز ما امر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حدَّ له فكيف يجوز ان يعبد من بهذه الصفة وهو عبد مربوب ﴿وانا لنحن الصافون﴾ حول العرش ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى وقيل القائمون صفوفاً في الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف اهل الدنيا في الأرض وقال الجبائي صافون باجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ اي المصلون والمنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قوله فرغت من سبحتي اي من صلاتي وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله تعالى وتعظيمه والمسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله ﴿وان كانوا ليقولون﴾ ان هذه هي المخففة من الثقيلة الا ترى ان اللام قد لزم خبرها والمعنى وان هؤلاء الكفار يعني أهل مكة كانوا يقولون ﴿لو ان عندنا ذكراً﴾ اي كتاباً ﴿من الأولين﴾ اي من كتب الأولين التي انزلها على انبيائه وقيل ذكراً اي علماً من الأولين الذين تقدّمونا وما فعل الله بهم فسمّي العلم ذكراً لأن الذكر من اسباب العلم ﴿لكنّا عباد الله المخلصين﴾ الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر في امتناعهم من الإيمان انهم لا يعرفون اخبار من تقدَّمهم وهل حصلوا في جنة او نار ﴿فكفروا به﴾ في الكلام حذف تقديره فلما أتاهم الكتاب وهو القرآن كفروا به ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾
إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

[ **المعنى** ] ثم اقسم سبحانه فقال **﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾** اي سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم الى الخلق **﴿انهم لهم المنصورون﴾** في الدنيا والآخرة على الاعداء بالقهر والغلبة وبالحجج الظاهرة وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتدأ فقال انهم اي ان المرسلين لهم المنصورون واللام للتأكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمة قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي الآية وسميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار خبراً واحداً وقصة واحدة كالشيء الواحد قال الحسن المراد بالآية نصرتهم في الحرب فإنه لم يقتل نبيّ من الأنبياء قطّ في الحرب وإنما قتل من قتل منهم غيلة او على وجه آخر في غير الحرب وإن مات نبيّ قبل النصرة أو قتل فقد اجرى الله تعالى العادة بأن ينصر قومه من بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له فقد تحقق قوله انهم لهم المنصورون وقال السدي المراد بالآية النصر بالحجة **﴿وان جندنا لهم الغالبون﴾** أضاف المؤمنين إلى نفسه ووصفهم بأنهم جنده تشريفاً وتنويهاً بذكرهم حيث قاموا بنصرة دينه وقيل معناه ان رسلنا هم المنصورون لأنهم جندنا وان جندنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجة تارة وبالفعل أخرى ثم قال لنبيّه ﷺ **﴿فتول عنهم﴾** أي اعرض عن هؤلاء الكفار **﴿حتى حين﴾** اي إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعني يوم بدر عن مجاهد والسدي وقيل إلى يوم الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى انقضاء مدة الإمهال **﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾** اي انظرهم وابصر ما ضيّعوا من أمر الله فسوف يرون العذاب عن ابن زيد وقيل وابصرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون وقيل وابصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيامة معاينة وفي هذا اخبار بالغيب لأنه وعد نبيَّه ﷺ بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر وكأنهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله **﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾** اي يطلبون تعجيل عذابنا **﴿فإذا نزل بساحتهم﴾** اي إذا نزل العذاب بأفنية دورهم كما يستعجلون **﴿فساء صباح المنذرين﴾** اي فبئس الصباح صباح من خوف وحذر فلم يحذر ولم يخف والساحة فناء الدار وفضاؤها الواسع فالمراد ان العذاب لعظمه لا يسعه الا الساحة ذات الفضاء الواسع وقيل نزل بساحتهم اي بدارهم عن السدي وكانت العرب تفاجيء اعداءها بالغارات صباحاً فخرج الكلام على

عادتهم ولأن الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الامم وقت الصباح كما قال ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴿**وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون**﴾ مضى تفسيره وإنما كررً ما سبق للتأكيد وقيل لأن المراد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اي فكن على بصيرة من امرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم ثم نزَّه سبحانه نفسه عن وصفهم وبهتهم فقال ﴿**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**﴾ اي تنزيهاً لربك مالك العزة يعزّ من يشاء من الأنبياء والاولياء لا يملك احد إعزاز احد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو قولهم باتخاذ الأولاد واتخاذ الشريك ﴿**وسلام على المرسلين**﴾ اي سلامة وأمان لهم من ان ينصر عليهم أعداؤهم وقيل هو خبر معناه امر اي سلّموا عليهم كلهم لا تفرّقوا بينهم ﴿**والحمد لله رب العالمين**﴾ اي احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به احداً فإن النعم كلها منه وروى الاصبغ بن نباتة عن علي (ع) وقد روي ايضاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال من أراد ان يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

# (٣٨) سورة صٓ مكية
## وآياتها ثمان وثمانون

[ عدد آيها ]

هي ثمان وثمانون آية كوفي وست حجازي بصري شامي وخمس في عدد أيوب بن المتوكل وحده .

[ اختلافها ] ثلاث آيات ذي الذكر كوفي وغواص غير البصري والحق أقول كوفي وبصري وفي رواية المعلى عن الجحدري وتركها أيوب وهو يوافق الجحدري إلا في هذا الحرف .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة صٓ أعطي من الأجر بوزن كل جبل سخَّره الله لداود حسنات وعصمه الله أن يصرَّ على ذنب صغيراً أو كبيراً وروى العياشي بإسناده عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ سورة صٓ في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرب وأدخله الله الجنة وكل من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه وإن كان ليس في حد عياله ولا في حد من يشفع له وأمنه الله يوم الفزع الأكبر .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن والرسول وانكار الكفار لما دعاهم إليه افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر والردّ على الكفار أيضاً فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ

وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ
حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ
هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ
عُجَابٌ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق صاد بكسر الدال وقراءة الثقفي صاد بفتح الدال والقراءة[1] بالوقف وهو الصحيح لأن حروف الهجاء يوقف عليها وقراءة عيسى بن عمرو أبي عبد الرحمن السلمي عجاب بتشديد الجيم .

[ **الحجة** ] من كسر فلاجتماع الساكنين أو لأنه جعله من المصاداة وهي المعارضة أي عارض القرآن بعملك ومن فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة ويجوز أن يكون من فتح جعل الصاد علماً للسورة فلم يصرفه والعجاب بالتشديد هو المفرط في العجب يقال شيء عجيب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بالتشديد كما قالوا رجل وضي ووضاء وأنشدوا :

وَالْمَـرْءُ يُلْحِقُـهُ بِفِتْيَـانِ النَّـدىٰ خُـلقُ الْكَـرِيـم وَلَـيْسَ بالوضَّـاءِ

وقال آخر :

جَـاؤوا بِصَيْـدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَـجَبِ أُزَيْـرِقِ الْعَيْـنَيْـنِ طُـوَّالِ الـذَّنَبِ

[ **اللغة** ] الشقاق والمشاقة الخلاف وأصله أن يصير كل واحد من الفريقين في شق أي في جانب ومنه يقال شق فلان العصا إذا خالف والمناص من النوص وهو التأخر ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص بالباء إذا تقدَّم قال امرؤ القيس :

أَمِـنْ ذِكْـرِ لَيْـلىٰ إِنْ نَـأَتْـكَ تَـنُـوصُ فَتُقْـصِـرُ عَنْـهَـا خَـطْوَةً وتبـوصُ

[ **الإعراب** ] اختلف في جواب القسم على وجوه ( أحدها ) أن جوابه محذوف فكأنه قال والقرآن ذي الذكر لقد جاء الحق وظهر الأمر لأن حذف الجواب في مثل هذا أبلغ فإن ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف إلى كل وجه فيعمّ ( والثاني ) أن جوابه

---

(١) أي القراءة المشهورة .

صٓ فإن معناه صدق أقسم سبحانه بالقرآن أن محمداً ﷺ قد صدق والله وفعل والله ( والثالث ) أن الجواب مما كفى منه قوله ﴿ كم أهلكنا ﴾ وقيل ما كفى منه بل الذين كفروا فكأنه قال والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما قالوا واحدهما عن الفراء والآخر عن قتادة ( والرابع ) أن جوابه كم أهلكنا والتقدير لكم أهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام ومثله قد أفلح من زكّاها والتقدير لقد أفلح عن الفراء وهذا غلط لأن اللام لا تدخل على المفعول وكم مفعول ( والخامس ) أن الجواب في آخر السورة أن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار إلا أنه بعد من أول الكلام عن الكسائي ولات حين مناص فيه قولان ( أحدهما ) أن التاء متصلة بلا وأنهما بمنزلة ليس قال الزجاج ويجوز ولات حين مناص في اللغة فأما النصب فعلى أن المعنى ليس الوقت حين مناص والرفع على أن يجعل حين اسم ليس ويضمر الخبر والمعنى ليس حين ملجأ لنا والوقف عليها لات بالتاء والكسائي يقف بالهاء لاه والأول أصح لأن هذه التاء نظيرة التاء في الفعل نحو ذهبت وفي الحرف نحو رأيت زيداً ثمت عمراً فإنها دخلت في الموضعين على ما لا يعرف ولا هو في طريق الأسماء وقال الأخفش أن لات حين مثل لا رجل في الدار ودخلت التاء في التأنيث قال الشاعر :

تَذَكَّرُ حُبَّ لَيْلى لاتَ حِيناً وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينا

( والقول الآخر ) أن التاء متصلة بحين كما قال الشاعر :

ألْعاطِفِينَ تَحِينَ مَا مِنْ عاطِفٍ وَالْمُطْعِمِينَ زَمانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ

وقد أجازوا الجرّ بلات وأنشدوا لأبي زبيد :

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أَوانٍ فَأَجَبْنا أَنْ لَيْسَ حِينُ بَقاءِ

قال الزجاج والذي أنشدناه أبو العباس المبرد بالرفع وقد روي بالكسر .

[ النزول ] قال المفسرون أن أشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم وأبو جهل وأبيّ وأمية ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث أتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فإنه سفه أحلامنا وشتم آلهتنا فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك فقال ماذا يسألونني قالوا دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك فقال ﷺ أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم فقال أبو جهل لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا

وقالوا أجعل الآلهة إلّهاً واحداً فنزلت هذه الآيات وروي أن النبي ﷺ استعبر ثم قال يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه فقال له أبو طالب امض لأمرك فوالله لا أخذلك أبداً .

[ المعنى ] ﴿ صٓ ﴾ اختلفوا في معناه فقيل هو اسم للسورة وقيل غير ذلك على ما ذكرناه في أول البقرة وقال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به وروي ذلك عن الصادق ( ع ) وقال الضحاك معناه صدق وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن فعلى هذا يجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير حذف حرف القسم ويجوز أن يكون رفعاً على تقدير هذه صاد في مذهب من حعله اسماً للسورة ﴿ **والقرآن ذي الذكر** ﴾ أي ذي الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله ﴿ **وانه لذكر لك ولقومك** ﴾ وقيل معناه ذي البيان الذي يؤدّي إلى الحق ويهدي إلى الرشد لأن فيه ذكر الأدلة التي إذا تفكَّر فيها العاقل عرف الحق عقلاً وشرعاً وقيل ذي التذكر لكم عن قتادة وقيل فيه ذكر الله وتوحيده وأسماؤه الحسنى وصفاته العلى وذكر الأنبياء وأخبار الأمم وذكر البعث والنشور وذكر الأحكام وما يحتاج إليه المكلف من الأحكام عن الجبائي ويؤيّده قوله ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ ﴿ **بل الذين كفروا** ﴾ من أهل مكة ﴿ **في عزة** ﴾ أي في تكبّر عن قبول الحق وحمية جاهلية عن قتادة ويدلّ عليه قوله ﴿ **أخذته العزة بالإثم** ﴾ وقيل في ملكة واقتدار وقوة بتمكين الله إياهم ﴿ **وشقاق** ﴾ أي عداوة وعصيان ومخالفة لأنهم يأنفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك ثم خوَّفهم سبحانه فقال ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾ بتكذيبهم الرسل ﴿ **فنادوا** ﴾ عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ أي ليس الوقت حين منجى ولا فوت وقيل لات حين نداء ينجي قال قتادة نادى القوم على غير حين النداء ﴿ **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم** ﴾ أي جاءهم رسول من أنفسهم مخوّف من جهة الله تعالى يحذرهم المعاصي وينذرهم النار ﴿ **فقال الكافرون هذا ساحر كذاب** ﴾ حين يزعم أنه رسول الله ﴿ **أجعل الآلهة إلّهاً واحداً** ﴾ هذا استفهام انكار وتعجيب وذلك أن النبي ﷺ أبطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف جعل لنا إلّهاً واحداً بعد ما كنا نعبد آلهة ﴿ **إن هذا** ﴾ الذي يقوله محمد من أنَّ الإلّه واحد ﴿ **لشيء عجاب** ﴾ لأمر عجيب مفرط في العجب .

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ

هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ
مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ
رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾

[ اللغة ] الانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه والخلق. والاختلاق والفري والافتراء متقارب والارتقاء الصعود من سفل إلى علو درجة درجة قال :

لَوْ لَمْ يَجِدْ سُلَّماً مَا كَانَ مُرْتَقِياً وَالْمُرْتَقى وَالَّذِي رَقَّاهُ سِيَّانِ

الأسباب جمع سبب والسبب ما يوصل به إلى المطلوب وأسباب السماوات أبوابها قال زهير :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

والفرق بين السبب والعلة في عرف المتكلمين ان السبب مايوجب ذاتا والعلة ما يوجب صفة .

[ الإعراب ] ان امشوا أن هذه هي التي تسمى المفسرة بمعنى أي امشوا قال الزجاج ويجوز أن يكون تقديره بأن امشوا أي بهذا القول .

[ المعنى ] ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين تقدَّم ذكرهم أي وانطلق الاشراف منهم ﴿ إن امشوا ﴾ أي يقول بعضهم لبعض امشوا ﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ يعني أنهم خرجوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب وهم يقولون اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم وتحمّلوا المشاق لأجله وقيل أن القائل لذلك عقبه بن أبي معيط ﴿ ان هذا ﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿ لشيء يراد ﴾ أي أمر يراد بنا وقيل معناه أن هذا فساد في الأرض وعن قريب ينزل به الهلاك ونتخلص منه وقيل أن هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدة لأنهم كانوا يعتقدون في الأصنام أنهم لو تركوا عبادتها أصابهم القحط والشدة ثم حكى عنهم أيضاً بأنهم قالوا ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد وخلع الأنداد من دون الله ﴿ في الملة الآخرة ﴾ يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل عن ابن عباس قال أن النصارى لا يوحّدون لأنهم يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش أي في ملة زماننا هذا عن مجاهد وقتادة وقيل معناه ما سمعنا بأن

هذا يكون في آخر الزمان عن الحسن ﴿ ان هذا ﴾ أي ما هذا الذي يقول محمد ﴿ إلا اختلاق ﴾ أي تخرص وكذب وافتعال ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة بأن قالوا ﴿ ءأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ أي كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا وليس بأكبر سنّاً منّا ولا بأعظم شرفاً فقال سبحانه ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ أي ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك في الذكر الذي أنزلته على رسولي ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ وهذا تهديد لهم والمعنى أنهم سيذوقونه ثم أجابهم عن إنكارهم نبوته بقوله ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك ﴾ يقول أبأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا أي أنها ليست بأيديهم ولكنّها بيد ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الوهاب ﴾ كثير الهبات والعطايا على حسب المصالح فيختار للنبوة من يشاء من عباده ونظيره قوله ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ ﴿ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما ﴾ فيتهيّأ لهم أن يمنعوا الله من مراده ﴿ فليرتقوا ﴾ أي إن ادَّعوا ذلك فليصعدوا ﴿ في الأسباب ﴾ أي في أبواب السماء وطرقها عن مجاهد وقتادة وقيل الأسباب الحيل أي فليحتالوا في أسباب توصلهم إلى السماوات ليأتوا بالوحي إلى من اختاروا .

﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم من فُواق بضم الفاء والباقون بفتحها .

[ الحجة ] وهما لغتان مثل قَصاص الشعر وقُصاصه وجُمامُ المَكُّوكْ[١] وجَمامه وهو من الافاقة وما بين الرضعتين فواق وقيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة وبالضم بمعنى المهلة والانتظار عن أبي عبيدة والفراء .

[ اللغة ] هنالك إشارة إلى المكان البعيد وهناك بين البعيد والقريب وهنا للقريب ومثله

(١) المكوك : مكيال معروف لأهل العراق . وقولهم عندي جمام المكوك دقيقاً أي ملؤه .

ذا وذاك وذلك. والأحزاب جمع حزب وهو الجماعة التي تجتمع من كل أوب وقال الزجاج ما لها من فواق أي رجوع وفواق الناقة مشتق من الرجوع أيضاً لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين وأفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة.

[ **الإعراب** ] ما مزيدة في قوله جند ما مثلها في قول الأعشى:

فَـأَذْهَبـا مـا إِلَيْـكَ أَدْرَكَنِي الْـحِلْمُ عِـداتِي عَـنْ هَـيْجِكُـمْ أَشْـغـالِي

وجند مبتدأ وهنالك صفة أي جند ثابت هنالك. ومهزوم خبر مبتدأ ويجوز أن يكون هنالك ظرفاً لمهزوم أي جند مهزوم في ذلك الموضع. كذبت قبلهم قوم نوح يجوز أن يقف على قوله نوح ويكون عاد مبتدأ ما بعده معطوف عليه ويكون أولئك الأحزاب خبراً عن الجميع ويجوز أن يكون الخبر قوله ﴿ **ان كل إلا كذَّب الرسل** ﴾ ويجوز أن يكون أولئك الأحزاب ابتداء ويقف على قوم لوط.

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن الكفار أنهم سيهزمون ببدر فقال ﴿ **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب** ﴾ قال قتادة أخبر الله سبحانه وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم بها أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزَّبوا على الأنبياء وأنت منصور عليهم مظفر غالب وقيل هم أحزاب الذين حاربوا نبينا ﷺ يوم الخندق ووجه اتصاله بما قبله أن المعنى كيف يرتقون إلى السماء وهم فرق من قبائل شتّى مهزومون ﴿ **كذبت قبلهم** ﴾ أي قبل هؤلاء الكفار ﴿ **قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد** ﴾ وقيل في معناه أقوال ( أحدها ) أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس وقتادة وعطا ( والثاني ) أنه كان يعذب الناس بالأوتاد وذلك أنه إذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض عن السدي والربيع بن أنس ومقاتل والكلبي ( والثالث ) أن معناه ذو البنيان والبنيان أوتاد عن الضحاك ( والرابع ) أن المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة بمعنى أنهم يشدّون ملكه ويقوّون أمره كما يقوّي الوتد الشيء عن الجبائي والقتيبي والعرب تقول هو في عزّ ثابت الأوتاد والأصل فيه أن بيوتهم إنما ثبتت بالأوتاد قال الأسود بن يعفر:

وَلَقَـدْ غَنَـوْا فِيهـا بِـأَنْعَمِ عَيْشَـةٍ فِـي ظِـلِّ مُـلْكٍ ثـابِـتِ الأَوْتـادِ

( والخامس ) أنه سمّي ذو الأوتاد لكثرة جيوشه السائرة في الأرض وكثرة أوتاد خيامهم فعبَّر بكثرة الأوتاد عن كثرة الأجناد ﴿ **وثمود** ﴾ يعني قوم صالح ﴿ **وقوم لوط وأصحاب**

لئيكة ﴾ وهم قوم شعيب ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ لما ذكر سبحانه هؤلاء المكذبين أعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب ومعناه هم الأحزاب حقاً أي أحزاب الشيطان كما يقال هم هم قال :

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ(١)

﴿ وإن كل إلا كذب الرسل ﴾ أي ما كل حزب منهم إلا كذّب الرسل ﴿ فحق عقاب ﴾ أي فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم رسلي ﴿ وما ينظر ﴾ أي وما ينتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ وهي النفخة الأولى في الصور ﴿ ما لها من فواق ﴾ أي لا يكون لتلك الصيحة إفاقة بالرجوع إلى الدنيا عن قتادة والسدي والمراد أنّ عقوبة أمة محمد ﷺ بعذاب الاستئصال مؤخّرة إلى يوم القيامة وعقوبة سائر الأمم معجّلة في الدنيا كما قال بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ قال الفراء إذا ارتضعت البهيمة أمها ثم تركتها حتى تنزل فتلك الافاقة والفواق ثم قيل لكل راحة وانظار للاستراحة فواق وقيل معناه مالها مثنوية أي صرف ورد عن الضحاك وقيل ما لها من فتور كما يفتر المريض عن ابن زيد .

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا
عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ
عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ
يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ
أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

[ اللغة ] القطّ الكتاب قال الأعشى :

(١) قائله أشهب بن زميلة ونسبه بعض إلى حريث بن مخفض، وحانت أي هلكت. وفلج : موضع بين مكة والبصرة. وأم خالد: اسم امرأة .

وَلَا الْـمَلِكُ الْـنُّـعْـمَـانَ يَـوْمَ تَـقِـيـتُـهُ بِنِعْمَتِـهِ يُـعْـطِي الْقُـطُوطَ وَيَـأْفِـقُ[1]

أي كتب الجوائز واشتقاقها من القط وهو القطع لأنها تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها والقط النصيب أيضاً قال أبو عبيدة والقط الحساب وفي الأثر أن عمر وزيداً كانا لا يريان ببيع القطوط بأساً إذا خرجت والفقهاء لا يجيزونه وهي الجوائز والأرزاق وقولهم ما رأيته قط أي قطع الدهر الذي مضى .

[ المعنى ] ﴿ **وقالوا** ﴾ يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم ﴿ **ربنا عجل لنا قطنا** ﴾ أي قدّم لنا نصيبنا من العذاب ﴿ **قبل يوم الحساب** ﴾ قالوه على وجه الإستهزاء بخبر الله عز وجل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرنا حظّنا من النعيم في الجنة حتى نؤمن عن السدي وسعيد بن جبير وقيل لما نزل وأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد أنى نؤتى كتابنا بشمالنا فعجّل لنا كتبنا التي نقرؤها في الآخرة إستهزاءً منهم بهذا الوعيد وتكذيباً به عن أبي العالية والكلبي ومقاتل فقال الله سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ **اصبر** ﴾ يا محمد أي إحبس نفسك ﴿**على يما يقولون** ﴾ من تكذيبك فإن وبال ذلك يعود عليهم ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد** ﴾ أي ذا القوة على العبادة عن ابن عباس ومجاهد وذكر أنه يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشدّ الصوم وقيل ذا القوة على الأعداء وقهرهم وذلك لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله وقيل معناه ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة وذلك أنه كان يبيت كل ليلة حول محرابه ألوف كثيرة من الرجال ﴿ **أنه أواب** ﴾ أي توّاب راجع عن كل ما يكره الله تعالى إلى كل ما يحب من آب يؤب إذا رجع عن مجاهد وابن زيد وقيل مسبّح عن سعيد بن جبير وقيل مطيع عن ابن عباس ﴿ **إنا سخرنا الجبال معه يسبّحن** ﴾ لله إذا سبّح ويحتمل أن يكون الله سبحانه خلق في الجبال التسبيح ويمكن أن يكون بنى فيها بنية يأتي فيها التسبيح ﴿ **بالعشي والإشراق** ﴾ أي بالرواح والصباح ﴿ **والطير** ﴾ أي وسخّرنا الطير ﴿ **محشورة** ﴾ أي مجموعة إليه تسبّح الله تعالى معه ﴿ **كل** ﴾ يعني كل الطير والجبال ﴿ **له أواب** ﴾ رجّاع إلى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائي لا يمتنع أن يكون الله تعالى خلق في الطيور

---

(١) كان النعمان بن منذر ملك العرب من قبل الساسانيين أكاسرة إيران ، واتفق أن أبرويز غضب عليه فطلبه بالمدائن وألقاه تحت أرجل الفيل فداسوه بأرجلهم فمات ، وقيل حبسه بخانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه في قصة طويلة ذكره الطبري في تاريخه « ج ١ : ٥٩٦ ـ ٦١٠ » وابن الأثير في الكامل « ج ١ : ١٧١ ـ ١٧٤ » ، يقول الأعشى لم ينج من الموت أحد ولا النعمان ويأفق أي يفضل على أصحابه .

من المعارف ما تفهم به أمر داود (ع) ونهيه فتطيعه فيما يريد منها وإن لم تكن كاملة العقل مكلفة ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي قوّينا ملكه بالحرس والجنود والهيبة وكثرة العدد والعدة ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ وهي النبوة وقيل الإصابة في الأمور وقيل العلم بالله وشرائعه عن أبي العالية والجبائي ﴿ وفصل الخطاب ﴾ يعني الشهود والإيمان وإن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع إلا بهذا وهو قول الأكثرين وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتادة وقال البلخي يجوز أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما أعطاه الله تعالى من حسن الصوت بقراءة الزبور فكان إذا قرأ الزبور أو رفع صوته بالتسبيح بين الجبال ردّت الجبال عليه مثله من الصدى فسمى الله ذلك تسبيحاً .

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ
بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ
نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ
ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ
لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ
رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا
لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة أبي رجاء وقتادة ولا تَشطُطْ بفتح التاء وضم الطاء وقراءة

الحسن والأعرج نِعجة ولي نِعجة بكسر النون وقراءة أبي حيوة وعزني بتخفيف الزاي وقراءة عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وأبي عمرو وفي بعض الروايات الشاذة فتناه بتخفيف النون .

[ **الحجة** ] أما قراءة ولا تَشْطُطْ من شطَّ يَشِطّ ويَشُطُّ إذا بعد قال عنترة :

شَـطَّتْ مَـزَارَ الْعَـاشِقِينَ فَـأَصْبَحَتْ   عَسِراً عَلَيَّ طِـلاَبُـكِ ابْنَـةَ مَخْـرَمِ (١)

قال ابن جني معناه بَعُدَتْ عن مزار العاشقين ولما بالغ في ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لأنه أبلغ فعدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقال طلابك فأما النعجة فهي لغة في النَعْجة ومثله لِقْوِة ولَقْوَة وقوم شَجْعة وشِجْعة أي شجعان .وأما عزني بالتخفيف فيمكن أن يكون أصله عزّني غير أنه خفف بحذف الزاي الثانية أو الأولى كما قالوا في مسست وظللت مست وظلت وأما قوله ﴿ فتَّناه ﴾ فإنما هو فعَّلناه للمبالغة وأما فتناه بتخفيف النون فإن المراد بالتثنية هنا االملكان اللذان إختصما إليه أي إختبراه .

[ **اللغة** ] الخصم هو المدعي على غيره حقاً من الحقوق والمنازع له فيه ويعبَّر به عن الواحد والإثنين والجماعة بلفظ واحد لأن أصله المصدر فيقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم يقال خاصمته فخصمته أخصمه خصماء والنسور الإتيان من جهة السور يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من جهة سورها. والمحراب مجلس الأشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه ومنه سمى المعملي محراباً وموضع القبلة محراباً واشط الرجل في حكمه إذا جار فهو مشط وشط عليه في السوم يشط شططاً قال :

أَلاَ يَـا لَقَـوْمِي قَـدْ أَشَـطَّتْ عَـوَاذِلِي   وَيَـزْعَمْنَ أَنْ أَوْدَىٰ بِـحَقِّـيَ بَـاطِلِي(٢)

[ **الإعراب** ] إذ دخلوا بدل من قوله ﴿ إذ تسوَّروا ﴾ وقيل أن التسور في زمان غير زمان الدخول. خصمان خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان. وقليلٌ ما هم هم مبتدأ وقليل خبره وما زائدة ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي وهم مبتدأ والخبر محذوف أي وقليل الـذين هم كذلك .

(١) هذا بيت من المعلقة يقول: بعدت الحبيبة عن مزار العاشقين فعسر على طلبها ثم التفت إلى الخطاب بها وخاطبها بقوله « طلابك . . . ا.هـ » وفي رواية الزوزني وغيره « حلت بأرض الزائرين فأصبحت . . . ا.هـ » أي نزلت بأرض الأعداء.

(٢) قائله الأحوص .

[ **المعنى** ] لمّا ذكر سبحانه أنه آتى داود الحكمة وفصل الخطاب عقَّبه بذكر من تخاصم إليه فقال ﴿ **وهل أتاك** ﴾ يا محمد ﴿ **نبأ الخصم** ﴾ أي هل بلغك خبرهم والمراد بالإستفهام هنا الترغيب في الإستماع والتنبيه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغي أن يفعله ﴿ **إذ تسوَّروا المحراب** ﴾ أي حين صعدوا إليه المحراب وأتوه من أعلى سوره وهو مصلاّه وإنما جمعهم لأنه أراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما وقد تعلَّق به من قال إن أقل الجمع إثنان وأجيب عن ذلك بأنه أراد الفريقين ﴿ **إذ دخلوا على داود ففزع منهم** ﴾ لدخولهم عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذي كان يدخل الخصوم منه ولأنهم دخلوا عليه بغير إذنه ﴿ **قالوا لا تخف خصمان** ﴾ أي فقالوا لداود نحن خصمان ﴿ **بغى بعضنا على بعض** ﴾ فجئناك لتقضي بيننا وذلك قوله ﴿ **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** ﴾ أي ولا تجر علينا في حكمك ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه ﴿ **واهدنا إلى سواء الصراط** ﴾ أي دلّنا وأرشدنا إلى وسط الطريق الذي هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله أحد الخصمين لصاحبه بقوله ﴿ **إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة** ﴾ قال الخليل النعجة هي الأنثى من الضأن والبقر الوحشية والشاة الجبلية والعرب تكني عن النساء بالنعاج والظباء والشاة قال الأعشى :

فَـرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِـهِ عَـنْ شَـاتِـهِ ... فَـأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَـا وَطِحَالَهَـا[١]

قال عنترة :

يَـا شَـاةُ مَـا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَـهُ ... حَـرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لَمْ تَحْـرُمِ[٢]

﴿ **فقال أكفلنيها** ﴾ أي ضمّها إليَّ واجعلني كافلها الذي يلزم نفسه القيام بها وحياطتها والمعنى أعطنيها وقيل معناه إنزل لي عنها حتى تصير في نصيبي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ﴿ **وعزّني في الخطاب** ﴾ أي غلبني في مخاطبة الكلام وقيل معناه إنه إذا تكلّم كان أبين منّي وإن بطش كان أشدّ مني وإن دعا كان أكثر مني[٣] عن الضحاك ﴿ **قال** ﴾ داود ﴿ **لقد ظلمك بسؤال نعجتك** ﴾ معناه إن كان الأمر على ما تدَّعيه لقد ظلمك بسؤاله إياك

---

(١) يصف معاشقته بامرأة ذات بعل وأصابته منها بعد انتهاز فرصة ومراقبة طويلة لغفلة بعلها والضمير في « عينه » و « شاته يرجع » إلى زوج تلك المرأة .

(٢) هذا أيضاً من معلقته المشهورة، والقنص : المصيد. يقول : يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها لكنها حرمت علي وذكر الزوزني في الحرمة المذكورة في البيت وجهان فراجع إن شئت .

(٣) وفي المخطوطتين هكذا « وإن دعا كان أكثر مني وإن بطش . . . » .

بضم نعجتك ﴿ **إلى نعاجه** ﴾ فأضاف المصدر إلى المفعول به ﴿ **وإن كثيراً من الخلطاء** ﴾ أي الشركاء المخالطين جمع الخليط ﴿ **ليبغي بعضهم على بعض** ﴾ ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغي بعضهم على بعض الذين آمنوا فقال ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أي فإنهم لا يظلم بعضهم بعضاً ﴿ **وقليل ما هم** ﴾ أي وقليل هم وما مزيدة ﴿ **وظنَّ داود أنما فتنّاه** ﴾ أي وعلم داود أنا اختبرناه وابتليناه وقيل إنا شددنا عليه في التعبد عن علي بن عيسى وقيل أراد الظن المعروف الذي هو خلاف اليقين ﴿ **فاستغفر ربه** ﴾ أي سأل الله سبحانه المغفرة والستر عليه ﴿ **وخرَّ راكعاً** ﴾ أي صلى الله تعالى ﴿ **وأناب** ﴾ إليه وقيل سقط ساجداً لله تعالى ورجع إليه وقد يعبّر عن السجود بالركوع قال الشاعر :

فَخَرَّ عَلىٰ وَجْهِهِ راكِعاً وَتابَ إلىَ اللهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبِ

قال الحسن إنما قال وخرَّ راكعاً لأنه لا يصير ساجداً حتى يركع وقال مجاهد مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة يقيمها أو لحاجة لا بدَّ منها ﴿ **فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى** ﴾ أي قربى وكرامة ﴿ **وحسن مآب** ﴾ في الجنة واختلف في استغفار داود ( ع ) من أيّ شيء كان فقيل أنه حصل منه على سبيل الإنقطاع إلى الله تعالى والخضوع له والتذلل بالعبادة والسجود كما حكى سبحانه عن إبراهيم ( ع ) بقوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وأما قوله ﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ فالمعنى أنا قبلناه منه وأثبناه عليه فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله ﴿ **يخادعون الله وهو خادعهم** ﴾ وقوله ﴿ **الله يستهزىء بهم** ﴾ فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه غفرنا وهذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم ومن جوَّز على الأنبياء الصغائر قال إن استغفاره كان لذنب صغير وقع منه ثم أنهم اختلفوا في ذلك على وجوه ( أحدها ) أن أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوّجوها منه فقدَّموه على اوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي ( وثانيها ) أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين ( وثالثها ) أنه كان في شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها فلما قتل اوريا خطب داود ( ع ) امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته أولياءه أن يخطبوها فعوتب على ذلك ( ورابعها ) أن داود كان متشاغلاً بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه إليها ميل الطباع

ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب ( وخامسها ) أنه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يحكم عليه قبل ذلك وإنما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة وأمّا ما ذكر في القصة أن داود كان كثير الصلاة فقال يا رب فضلت عليَّ إبراهيم فاتّخذته خليلاً وفضّلت عليَّ موسى فكلّمته تكليماً فقال يا داود أنا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فبينا هو في محرابه ذات يوم إذ وقعت حمامة فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فاطلع من الكوة فإذا امرأة اوريا بن حيان تغتسل فهويها وهمَّ بتزويجها فبعث بأوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه أمام التابوت الذي فيه السكينة ففعل ذلك وقتل فلما إنقضت عدتهاتزوَّجها وبنى بها فولد له منها سليمان فبينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلان ففزع منهما فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض إلى قوله ﴿ وقليل ما هم ﴾ فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبَّه داود على أنهما ملكان بعثهما الله إليه في صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه فممّا لا شبهة في فساده[1] فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع إليه والقبول منه جلَّ أنبياء الله عن ذلك وقد روي عن أمير المؤمنين ( ع ) أنه قال لا أوتي برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلّدته حدّين حداً للنبوة وحدّاً للإسلام وقال أبو مسلم لا يمتنع أن يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر وأن يكون ذكر النعاج محمولاً على الحقيقة دون الكناية وإنما خاف منهما لدخولهما من غير إذن وعلى غير مجرى العادة وإنما عوتب على أنه حكم بالظلم على المدعي عليه قبل أن يسأله .

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) جواب « أما » في قوله « وأما ذكر في القصة أن داود . . . » .

شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ
أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ
ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر والأعمش والبرجمي لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال .

[ **الحجة** ] لتدبروا أصله لتتدبروا فحذفت التاء الثانية التي هي فاء الفعل وقوله ﴿ **ليدَّبروا** ﴾ أصله ليتدبروا فأدغم التاء في الدال .

[ **اللغة** ] الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بدلاً من تدبيره وفلان خليفة الله في أرضه معناه أنه جعل إليه تدبير عباده بأمره .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه إتمام نعمته على داود (ع) بقوله ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** ﴾ أي صيَّرناك خليفة تدبر أمور العباد من قبلنا بأمرنا وقيل معناه جعلناك خلف من مضى من الأنبياء في الدعاء إلى توحيد الله تعالى وعدله وبيان شرائعه عن أبي مسلم ﴿ **فاحكم بين الناس بالحق** ﴾ أي افصل أمورهم بالحق وضع كل شيء موضعه ﴿ **ولا تتبع الهوى** ﴾ أي ما يميل طبعك إليه ويدعو هواك إليه إذا كان مخالفاً للحق ﴿ **فيضلّك عن سبيل الله** ﴾ معناه إنك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله ﴿ **إن الذي يضلّون عن سبيل الله** ﴾ أي يعدلون عن العمل بما أمرهم الله ﴿ **لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ أي لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمة والسدي ويكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد وقيل معناه لهم عذاب شديد بأعراضهم عن ذكر يوم القيامة فيكون يوم متعلقاً بنسوا ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً** ﴾ لا غرض فيه حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو ما في

ذلك من إظهار الحكمة وتعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض العقلاء منهم للثواب العظيم وهذا ينافي قول أهل الجبر أن كل باطل وضلال فهو من فعل الله **﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾** بالله وجحدوا حكمته **﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾** ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام **﴿ أم نجعل الذين آمنوا ﴾** معناه بل أنجعل الذين صدقوا الله ورسله **﴿ وعملوا الصالحات ﴾** والطاعات **﴿ كالمفسدين في الأرض ﴾** العاملين بالمعاصي **﴿ أم نجعل المتقين كالفجار ﴾** أي بل أنجعل المتقين الذين اتقوا المعاصي لله خوفاً من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصي وتركوا الطاعات أي أن هذا لا يكون أبداً ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال **﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ﴾** أي هذا القرآن كتاب منزل إليك مبارك أي كثير نفعه وخيره فإن في التدين به يستبين الناس ما أنعم الله عليهم **﴿ ليدَّبروا آياته ﴾** أي ليتفكَّر الناس ويتَّعظوا بمواعظه **﴿ وليتذكر أولو الألباب ﴾** أي أولو العقول فهم المخاطبون به .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾
إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى
ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

**[ اللغة ]** الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر يقال صفنت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر :

أَلِفَ الصُّفُونَ فَلا يَزال كَأنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاثِ كَسِيراً(١)

والجياد جمع جواد والياء هاهنا منقلبة عن واو والأصل جواد وهي السراع من الخيل كأنها تجود بالركض وقيل هو جمع جود فيكون مثل سوط وسياط والكرسي السرير وأصله من التكرس وهو الإجتماع ومنه الكراسة لاجتماعها والرخاء الريح اللينة وهي من رخاوة المرور وسهولته والأصفاد جمع صفد وهو الغل ومنه يقال للعطاء صفد لأنه يرتبط بشكره كما قيل « وَمَنْ وَجَدَ الإحْسانَ قَيْداً تَقَيَّداً »(٢) .

**[ الإعراب ]** حب الخير نصب على أنه مفعول به والتقدير إخترت حب الخير وعن في قوله عن ذكر ربي بمعنى على وعلى هذا فيكون أحببت بمعنى استحببت مثل ما في قوله ﴿ **الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ أي يؤثرونها وقال أبو علي أحببت بمعنى قعدت ولزمت من قولهم أحبّ البعير إذا برك وقوله ﴿ **حب الخير** ﴾ مفعول له أي لزمت الأرض لحب الخير معرضاً عن ذكر ربي فعن في موضع نصب على الحال وذكر مصدر مضاف إلى المفعول ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي عما ذكرني ربي حيث أمرني في التوراة بإقامة الصلاة توارت بالحجاب أي توارت الشمس ولم يجر لها ذكر لأنه شيء قد عرف كقوله سبحانه ﴿ **إنا أنزلناه** ﴾ يعني القرآن ولم يجر له ذكر وقوله كل من عليها فإن يعني الأرض قال الزجاج في الآية دليل يدل على الشمس وهو قوله ﴿ **إذا عرض عليه** ﴾ فهو في معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر أو دليل بمنزلة الذكر وقوله ﴿ **مسحا** ﴾ مصدر فعل محذوف وهو خبر طفق التقدير فطفق يمسح مسحاً وقوله ﴿ **رخاء** ﴾ منصوب على الحال والعامل فيه تجري فهو حال من حال لأن تجري في محل نصب بكونه حالاً وكل بناء بدل من الشياطين بدل البعض من الكل وقوله ﴿ **بغير حساب** ﴾ في موضع نصب على الحال تقديره غير محاسب .

**[ المعنى ]** ثم عطف سبحانه على قصة داود (ع) حديث سليمان فقال ﴿ **ووهبنا**

---

(١) يقول ألف الفرس الوقوف على ثلاث أرجل واعتاده بحيث لو تراه فكأنه مكسور الرجل .

(٢) عجز بيت نسوب إلى المتنبي قاله في مدح سيف الدولة وقبله « وقيدت نفسي في وراك محبة » .

**لداود سليمان** ﴾ أي وهبناه له ولداً ﴿ **نعم العبد** ﴾ أي نعم العبد سليمان ﴿ **أنه أواب** ﴾ أي رجاع إلى الله تعالى في أمور دينه إبتغاء مرضاته ﴿ **إذ عرض عليه** ﴾ يجوز أن يتعلق إذ بنعم العبد أي نعم العبد هو حين عرض عليه ويجوز أن يتعلق باذكر يا محمد المحذوف لدلالة الكلام عليه ﴿ **بالعشي** ﴾ أي في آخر النهار بعد زوال الشمس ﴿ **الصافنات** ﴾ الخيل الواقفة على ثلاث قوائم الواضعة طرف السنبك الرابع على الأرض ﴿ **الجيادِ** ﴾ السريعة المشي الواسعة الخطو قال مقاتل أنه ورث من أبيه ألف فرس وكان أبوه قد أصاب ذلك من العمالقة وقال الكلبي غزا سليمان دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقال الحسن كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة وكان سليمان قد صلّى الصلاة الأولى وقعد على كرسيه والخيل تعرض عليه حتى غابت الشمس ﴿ **فقال أني أحببت حب الخير عن ذكر ربي** ﴾ والمراد بالخير الخيل هنا فإن العرب تسمي الخيل الخير عن قتادة والسدي فالمعنى آثرت حب الخيل من ذكر ربي أي على ذكر ربي قال الفراء كل من أحب شيئاً فقد آثره وفي قراءة ابن مسعود حب الخيل وسمى النبي ﷺ زيد الخيل زيد الخير وقال ﷺ الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة وقيل معناه حب المال عن سعيد بن جبير والخيل مال والخير بمعنى المال كثير في التنزيل وقيل إن هذه الخيل كانت شغلته عن صلاة العصر حتى فات وقتها عن علي (ع) وقتادة والسدي وفي روايات أصحابنا أنه فاته أول الوقت وقال الجبائي لم يفته الفرض وإنما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل وقيل إن ذكر ربي كناية عن كتاب الله التوراة فالمعنى إني أحببت الخيل عن كتاب الله وكما أن ارتباط الخيل ممدوح في كتابنا كذلك كان في كتابهم عن أبي مسلم ﴿ **حتى توارت بالحجاب** ﴾ أي غربت الشمس عن ابن مسعود وجماعة من المفسرين وجاز وإن لم يجز للشمس ذكر كما قال لبيد :

حَتّى إذا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها[1]

وقيل الضمير للخيل يعني حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى انها شغلت فكره إلى تلك الحال وهي غيبوبتها عن بصره وذلك بأنه أمر باجراء الخيل فأجريت حتى غابت عن بصره عن أبي مسلم وعلي بن عيسى ﴿ **ردوها علي** ﴾ أي قال لأصحابه ردّوا الخيل عليَّ عن

(١) البيت من المعلقات يصف اشرافه على الاعداء وصعوده جبلًا ووقوفه على الجبل الى غروب الشمس. والكافر الليل. والاجنان: الستر. والثغر: موضع المخافة وعورته: اشده مخافة، يقول: حتى اذا القت الشمس يدها في الليل اي ابتدأت في الغروب وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد، لإن يعنى ابتدأ بالشمس قبل القاء يده فيه، وستر الظلام.

أكثر المفسرين وقيل معناه انه سأل الله تعالى أن يردّ الشمس عليه فردّها عليه حتى صلى العصر فالهاء في ردّوها كناية عن الشمس عن علي بن أبي طالب ( ع ) ﴿فطفق مسحاً بالسوق والاعناق﴾ قيل فيه وجوه ( أحدها ) ان المسح هاهنا القطع والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته عن الحسن ومقاتل وقال أبو عبيدة تقول العرب مسح علاوته أي ضرب عنقه وقيل انه إنما فعل ذلك لأنها كانت أعزُّ ماله فتقرَّب إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدَّق بلحومها ويشهد بصحته قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ( وثانيها ) ان معناه فجعل يمسح اعراف خيله وعراقيبها بيده حبّاً لها عن ابن عباس والزهري وابن كيسان قال ابن عباس سألت علياً ( ع ) عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت سمعت كعباً يقول اشتغل سليمان بعرض الافراس حتى فاتته الصلاة فقال ردُّوها عليَّ يعني الافراس كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبهِ الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي ( ع ) كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الافراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردّوها عليَّ فردَّت فصلى العصر في وقتها وان أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون ( وثالثها ) انه مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة في سبيل الله تعالى وقيل لتغلب ان قطرباً يقول مسحها وبارك عليها فأنكر ذلك وقال القول ما قال الفراء انه ضرب اعناقها وسوقها ثم قال سبحانه ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ أي وطرحنا عليه جسداً والجسد الذي لا روح فيه ثم أناب سليمان واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي القي على كرسيه على أقوال « منها » ان سليمان قال يوماً في مجلسه لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال ثم قال فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً الجسد الذي القي على كرسيه كان هذا ثم أناب الى الله تعالى وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع اليه سبحانه وهذا لا يقتضي انه وقع منه معصية صغيرة ولا كبيرة لأنه وان لم يستثن ذلك لفظاً فلا بدَّ من أن يكون قد استثناه ضميراً واعتقاداً اذ لو كان قاطعاً للقول بذلك لكان مطلقاً لما لا يأمن من ان يكون كذباً الا أنه لما لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب اليه «ومنها» ما روي ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فأشفق منهم عليه

فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتاً تنبيهاً على ان الحذر لا ينفع عن القدر فإنما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) « ومنها » أنه ولد له ولد ميت جسد بلا روح فألقي على سريره عن الجبائي ومنها ان الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به وتقدير الكلام وألقينا منه على كرسيه جسداً لشدّة المرض فيكون جسداً منصوباً على الحال والعرب تقول في الإنسان اذا كان ضعيفاً هو جسد بلا روح ولحم على وضم ﴿ثم أناب﴾ أي رجع الى حال الصحة عن أبي مسلم واستشهد على ذلك بقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الى قوله يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الأولين ولو اتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم أي من المجادلين كما قال سبحانه محمد رسول الله الى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة ومثله قول الأعشى

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَلَّقَهَا السِّلْكَ بِعَطْفَيْ جَيْدَاء أُمِّ غَزَالِ(١)

ولو أتى بالشرح لقال علّقها السلك منها وقال كعب بن زهير

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ(٢)

ولو أتى بالشرح لقال فما زال منهم انكاس واما ما ذكر عن ابن عباس انه ألقي شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان مارداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه وأقام أربعين يوماً في ملكه وسليمان هارب وعن مجاهد ان شيطاناً اسمه آصف قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك بذلك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً فشقَّ بطنه فوجد خاتمه فيه فردَّ الله عليه ملكه وعن السدي ان اسم ذلك الشيطان حيقيق وما ذكر ان السبب في ذلك ان الله سبحانه

---

(١) قيل: يعني كأن العقد من هذه المرأة معلق على جيد ظبية.

(٢) هذا بيت من قصيدة لامية له قالها في مدح النبي ﷺ وقبل هذا البيت ببيت قوله « ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول ». الانكاس جمع نكس: الضعيف. والكسف جمع اكسف: الذي لا ترس معه والميل جمع اميل: الذي لا سيف معه، والمعازيل الذي لا سلاح معهم. يصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عند الهجر من مكة وقوله « زالوا » اي تحولوا وانتقلوا وليس فيهم من هذه صفته، بل هم اقوياء ذو سلاح فرسان عند اللقاء.

أمره نأن لا يتزوج في غير بني إسرائيل فتزوَّج من غيرهم وقيل بل السبب فيه انه وطىء امرأة في حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء ابليس الشيطان وأخذه وقيل تزوَّج امرأة مشركة ولم يستطع أن يكرهها على الإسلام فعبدت الصنم في داره أربعين يوماً فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم أربعين يوماً وقيل احتجب ثلاثة أيام ولم ينظر في أمر الناس فابتلي بذلك فإن جميع ذلك مما لا يعوَّل عليه لأن النبوة لا تكون في خاتم ولا يجوز أن يسلبها الله النبي ولا أن يمكّن الشيطان من التمثل بصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عباده وبالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعاء سليمان حين أناب إلى الله تعالى بقوله **﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾** يسأل عن هذا فيقال ان هذا القول من سليمان يقتضي الضن والمنافسة لأنه لم يرض بأن يسأل الملك حتى أضاف الى ذلك ان يمنع غيره منه **﴿وأجيب﴾** عنه بأجوبه ( أحدها ) ان الأنبياء لا يسألون الا ما يؤذن لهم في مسألته وجائز أن يكون الله تعالى اعلم سليمان انه ان سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين واعلمه أنه لا صلح لغيره في ذلك ولو ان احدنا صرَّح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلني اكثر أهل زماني ما لا اذا علمت ان ذلك اصلح لي لكان ذلك منه حسناً جائزاً ولا ينسب في ذلك الى شحّ وضن واختاره الجبائي ( وثانيها ) انه يجوز أن يكون التمس من الله تعالى آية لنبوته يبيّن بها من غيره وأراد لا ينبغي لأحد غيري ممن أنا مبعوث اليه ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيين كما يقال انا لا أطيع أحداً بعدك أي لا أطيع احداً سواك ( وثالثها ) ما قاله المرتضى قدس الله روحه انه يجوز ان يكون انما سأل ملك الآخرة وثواب الجنة ويكون معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي لا يستحقه بعد وصولي اليه أحد من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف ( ورابعها ) انه التمس معجزة تختص به كما ان موسى يختص بالعصا واليد البيضاء واختص صالح بالناقة ومحمد ﷺ بالمعراج والقرآن ويدل عليه ما روي مرفوعاً عن النبي ﷺ انه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي ليفسد علي الصلاة فامكنني الله منه فدفعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان رب هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فردَّه الله خاسئاً أورده البخاري ومسلم في الصحيحين ثم بيَّن سبحانه أنه أجاب دعاه بقوله **﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء﴾** أي لينة سهلة عن ابن زيد وقيل طيبة سريعة عن قتادة وقيل مطيعة تجري إلى حيث يشاء عن ابن عباس **﴿حيث اصاب﴾** أي حيث أراد سليمان من النواحي عن أكثر المفسرين وحقيقته حيث قصد والمعنى انه ينطاع له كيف أراد قال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل « سؤال»

كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله ولسليمان الريح عاصفة ووصفها هنا بخلافه « جوابه » يجوز أن يكون الله سبحانه جعلها عاصفة تارة ورخاء أخرى بحسب ما أراد سليمان (ع) ﴿والشياطين﴾ أي وسخّرنا له الشياطين ايضاً ﴿كل بنّاء﴾ في البرّ يبني له ما أراد من الأبنية الرفيعة ﴿وغواص﴾ في البحر على اللآليء والجواهر فيستخرج له ما يشاء منها ﴿وآخرين مقرنين في الاصفاد﴾ أي وسخّرنا له آخرين من الشياطين مشدودين في الأغلال والسلاسل من الحديد وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمردهم وقيل انه إنما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا أطلقهم ﴿هذا عطاؤنا﴾ أي هذا الذي تقدّم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك عطاؤنا ﴿فامنن أو أمسك﴾ أي فاعط من الناس من شئت وامنع من شئت والمنّ الاحسان الى من لا يستثيبه ﴿بغير حساب﴾ أي لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع فيكون اهنأ لك عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل معناه بغير جزاء أي اعطيناكه تفضلاً لا مجازاة عن الزجاج وقيل ان المعنى فانعم على من شئت من الشياطين بإطلاقه أو أمسك من شئت منهم في وثاقه وصرفه في عمله من غير حرج عليك فيما تفعله ﴿وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ معناه وان لسليمان عندنا لقربى وحسن مرجع في الآخرة وهذا من اعظم النعم اذ هي النعمة الباقية الدائمة .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ
بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ
بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ
ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر بنصب بضمتين وقرأ يعقوب بنصب بفتحيتن والباقون بضم النون وسكون الصاد .

[ **الحجة** ] قال الزجاج النُصْب والنَصَب لغتان كالرُشْد والرَشَد والبُخْل والبَخَل تقول نصبت نُصْباً ونَصَباً قال أبو عبيدة النصب البلاء والشر وانشد لبشر بن أبي حازم « تَعَنَّاكَ نَصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصِبُ » ومن قرأ بنصب بضمتين فإنه اتبع الصاد ما قبله فهي أربع لغات .

[ **اللغة** ] الركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع ومنه ركض الفرس لإسراعه إذا دفعه برجله قال سيبويه يقال رَكَضَتِ الدابة ورَكَضْتُها فهو مثل جبر العظم وجبرته والضغث ملء الكف من الشجرة والحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك.

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه قصة أيوب ( ع ) فقال **﴿واذكر﴾** يا محمد **﴿عبدنا أيوب﴾** شرَّفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه واقتدِ به في الصبر على الشدائد وكان في زمان يعقوب ابن إسحاق وتزوج ليا بنت يعقوب **﴿إذ نادى ربه﴾** أي حين دعا ربه رافعاً صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم افعل بي كذا وكذا كان داعياً ولا يكون منادياً **﴿إني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾** أي بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسة فيقول له طال مرضك ولا يرحمك ربك عن مقاتل وقيل بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله وحصل فيما هو فيه من البلية طمعاً ان يزلّه بذلك ويجد طريقاً إلى تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله وقيل انه اشتدَّ مرضه حتى تجنَّبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه ان تدخل عليهم فكان أيوب يتأذى بذلك ويتألم منه ولم يشك الألم الذي كان من أمر الله تعالى قال قتادة دام ذلك سبع سنين وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) قال أهل التحقيق انه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها لأن في ذلك تنفيراً فأما المرض والفقر وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك فأجاب الله دعاءه وقال له **﴿اركض برحلك﴾** أي ادفع برجلك الأرض **﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾** وفي الكلام حذف أي فركض رجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من احدهما فبرىء وشرب من الآخر فروي عن قتادة والمغتسل الموضع الذي يغتسل منه وقيل هو اسم للماء الذي يغتسل به عن ابن قتيبة **﴿ووهبنا له اهله ومثلهم معهم﴾** هذا مفسَّر في سورة الأنبياء وروي عن أبي عبد الله ( ع ) ان الله تعالى احيا له اهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية واحيا له اهله الذين ماتوا وهو في البلية **﴿رحمة منا﴾** أي فعلنا ذلك به لرحمتنا إياه فيكون منصوباً بأنه مفعول له ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر لما كانت الموهبة بمعنى الرحمة **﴿وذكرى لأولي الألباب﴾** أي ليتذكَّر ويعتبر به ذوو الألباب أي العقول ويعرفوا حسن عاقبة الصبر فيصبروا كما صبر قالوا أنه أطعم

جميع أهل قريته سبعة أيام وأمرهم بأن يحمدوا الله ويشكروه ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ وهو ملء الكف من الشماريخ وما أشبه ذلك أي وقلنا له ذلك وذلك أنه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مائة جلدة فقيل له خذ ضغثاً بعدد ما حلفت به ﴿فاضرب به﴾ أي واضربها به دفعة واحدة فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك ﴿ولا تحنث﴾ في يمينك نهاه عن الحنث وروي عن ابن عباس انه قال كان السبب في ذلك ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب (ع) فقال اداويه على أنه إذا برىء قال انت شفيتني لا أريد جزاء سواء قالت نعم فأشارت إلى أيوب بذلك فحلف ليضربنّها وقيل انها كانت ذهبت في حاجة فأبطأت في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ثم أخبر سبحانه عن حال أيوب وعظم منزلته فقال ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ على البلاء الذي ابتليناه به ﴿نعم العبد إنّه أواب﴾ أي رجّاع إلى الله منقطع اليه وروى العياشي بإسناده ان عباد المكي قال قال لي سفيان الثوري اني أرى لك من أبي عبد الله (ع) منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فإن أقيم عليه الحد خافوا أن يموت ما تقول فيه فسألته فقال لي هذه المسألة من تلقاء نفسك او امرك بها انسان فقلت ان سفيان الثوري امرني ان أسألك عنها فقال ان رسول الله ﷺ أتي برجل أحبن[1] قد استسقى بطنه وبدت عروق فخذيه وقد زنى بامرأة مريضة فأمر رسول الله ﷺ فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وضربها به ضربة وخلّى سبيلهما وذلك قوله وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث .

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَـارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ

(١) الاحبن: الذي عظم بطنه وورم .

وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ * وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وحده واذكر عبدنا إبراهيم والباقون عبادنا وقرأ أهل المدينة وهشام بخالصة ذكرى الدار غير منون على الاضافة والباقون بالتنون وخلافهم في واليسع مذكور في سورة الانعام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ما يوعدون بالياء وابن كثير وحده يقرأ في سورة قٓ بالياء أيضاً والباقون بالتاء في الموضعين وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي اولي الأيد بغير ياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ عبدنا فإنه اختصَّه بالإضافة على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الشريفة كما قيل في مكة بيت الله ومن قرأ عبادنا اجرى هذا الوصف على غيره من الأنبياء ايضاً وجعل ما بعده بدلاً من العباد والأول جعل إبراهيم بدلاً وما بعده معطوفاً على المفعول به المذكور وقوله بخالصة ذكرى الدار يحتمل امرين (أحدهما) أن يكون ذكرى بدلاً من الخالصة تقديره انا أخلصناهم بالذكرى الدار ويجوز ان يقدر في قوله ذكرى التنوين فيكون الدار في موضع نصب تقديره بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة (والثاني) ان لا يقدر البدل ولكن يكون الخالصة مصدراً فيكون مثل قوله من دعاء الخير ويكون المعنى بخالصة تذكر الدار ويقوي هذا الوجه ما روي من قراءة الأعمش بخالصتهم ذكرى الدار وهذا يقوّي النصب فكأنه قال بأن أخلصوا تذكير الدار فإذا نونت خالصة احتمل أمرين ( أحدهما ) أن يكون المعنى بأن خلصت لهم ذكرى الدار فيكون ذكرى في موضع رفع بأنه فاعل ( والآخر ) أن يقدر المصدر الذي هو خالصة من الإخلاص فحذفت الزيادة فيكون المعنى بإخلاص ذكرى فيكون ذكرى في موضع نصب والدار يجوز ان يعني بها الدنيا ويجوز أن يعني بها الآخرة والذي يدل على أنه يجوز ان يراد بها الدنيا قوله تعالى في الحكاية عن إبراهيم واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله ﴿وجعلنا لهم لسان صدق﴾ فاللسان هو القول الحسن والثناء عليه لا الجارحة كما في قول الشاعر

نَـدِمْـتُ عَـلَى لِسَـانٍ فَـاتَ مِـنّي فَـلَيْـتَ بِـأَنَّـهُ فِـي جَـوْفِ عِـكْـمِ[1]

وكذلك قول الآخر

---

(١) قائله الحطيئة والعكم : داخل الجنب .

إنِّـي أَتـانِـي لِـسَـانٌ لا أُسَـرُّ بِـهِ مِـنْ عَـلْوَ لا كَـذِبٌ فـيـهِ وَلا سَـخَـرُ(١)

وقوله تعالى ﴿**وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم وسلام على نوح في العالمين**﴾ والمعنى أبقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير ظرف والقياس ان يتعدّى الفعل والمصدر إليه بالحرف ولكنّه على ذهبت الشام عند سيبويه « وكَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ »(٢) ( وأما ) جواز كون الدار الآخرة في قوله ﴿**أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**﴾ فيكون ذلك باخلاصهم ذكرى الدار ويكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابها كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست كالوجه المتقدم وأما من اضاف فقال بخالصة ذكرى الدار فإن الخالصة تكون على ضروب تكون للذكر وغيرّ الذكر فإذا أضيفت الى ذكرى اختصت الخالصة بهذه الإضافة فتكون هذه الاضافة الى المفعول به كأنه بإخلاصهم ذكرى الدار أي بأن أخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الذي هو الخالصة الى الفاعل تقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار والدار على هذا يحتمل الوجهين اللذين تقدَّما من كونها للآخرة والدنيا فأما قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا فيجوز في خالصة وجهان ( أحدهما ) ان يكون مصدراً كالعاقبة ( والآخر ) ان يكون وصفاً وكلا الوجهين يحتمل الآية فيجوز أن يكون ما في بطون هذه الأنعام ذات خلوص ويجوز أن يكون الصفة وأنّث على المعنى لأنه كثرة والمراد به الأجنّة والمضامين(٣) فيكون التأنيث على هذا ومن قرأ الليسع جعله اسماً على صورة الصفات كالحارث والعباس ألا ترى ان فيعلا مثل ضيغم وحيدر كثير في الصفات ووجه قراءة من قرأ واليسع ان الألف واللام قد يدخلان الكلمة على وجه الزيادة كما حكى أبو الحسن الخمسة عشر درهماً قال

وَلَـقَـدْ جَنَيْتُـكَ اكْـمُـؤاً وَعَسَـاقِـلاً وَلَقَـدْ نَهَيْتُـكَ عَـنْ بَنَـاتِ الأوْبَـرِ(٤)

وبنات الأوبر ضرب من الكمأة معرفة فأدخل في المعرفة الألف واللام على وجه

---

(١) قائله اعشى باهلة نسبه المؤلف ( ره ) « في المجلد الثالث » الى عامر بن الحرث وعلو: اسم امرأة على ما قيل.

(٢) هذا جزء بيت لساعدة بن جؤية الهذلي وتمامه

« لدن بهز الكف يعسل متنه ✽ كما عسل الطريق الثعلب »

وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب أيضاً غير مرة .

(٣) الاجنة جمع الجنين. والمضامين ما في اصلاب الفحول .

(٤) جنيتك أي جنيت لك بمعنى قطعت. والعساقل جمع عسقول: نوع من الكماة ابيض .

الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع ومن قرأ هذا ما توعدون بالتاء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون والياء على معنى وان للمتقين لحسن مآب هذا ما يوعدون والياء أعم لأنه يصلح ان يدخل فيه الغيب من الأنبياء واما في سورة قٓ فنحو هذا وازلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون ايها المتقون على الرجوع من الغيبة الى الخطاب أو على قل لهم هذا ما توعدون والياء على اخبار النبي ﷺ بما وعدوا كأنه هذا ما يوعدون أيها النبي ومن قرأ اولي الأيد بغير ياء فإنه يحتمل ان يكون أراد الأيدي فحذف الياء تخفيفاً كقوله يوم يدع الداع ونحو ذلك ويحتمل أن يكون أراد بالأيد القوة في طاعة الله ويدل عليه انه مقرون بالابصار أي البصر بما يحظى عند الله وعلى هذا فالأيدي هنا إنما هي جمع اليد التي هي القوة لا التي هي الجارحة ولا النعمة لكنّه كقولك له يد في الطاعة .

[ الإعراب ] قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب مفتحة لهم الأبواب أي مفتحة لهم الأبواب منها وقال بعضهم مفتحة لهم أبوابها والمعنى واحد إلا ان على تقدير العربية الأبواب منها أجود ان يجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف لأن معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء لأن الهاء والألف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف جاء بمعنى من اسم ولا ينوب عنه قال أبو علي مفتحة صفة لجنات عدن وفي مفتحة ضمير يعود إلى جنات والأبواب بدل من ذلك الضمير لأنك تقول فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها فيكون من بدل البعض من الكل نحو ضربت زيداً رأسه وفي القرآن وفتحت السماء فكانت أبواباً وليس جنات عدن معرفة إذ ليس عدن بعلم وإنما هو بمنزلة جنات اقامة وقوله هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر هذا ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر أي هذا أمرهم .

[ المعنى ] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم حديث الأنبياء فقال ﴿واذكر﴾ يا محمد لقومك وأمتك ﴿عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ ليقتدوا بهم في حميد افعالهم وكريم خلالهم فيستحقّوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى كما استحق أولئك وإذا قرىء عبدَنا فيكون التقدير واذكر عبدنا ابراهيم خصَّه بشرف الاضافة الى نفسه واذكر اسحاق ويعقوب وصفهم جميعاً فقال ﴿أولي الأيدي﴾ أي ذوي القوة على العبادة ﴿والأبصار﴾ الفقه في الدين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعناه أولي العلم والعمل فالأيدي العمل والابصار العلم عن أبي مسلم وقيل أولي الأيدي أولي النعم على عباد الله بالدعاء الى الدين والأبصار جمع البصر وهو العقل ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾

أي جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكير أي خلص لهم تذكير الدار وهو أنهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها ويزهدون في الدنيا كما هو عادة الأنبياء وقيل المراد بالدار الدنيا عن الجبائي وأبي مسلم اي خصّصناهم بالذكر في الأعقاب من بين أهل الدنيا ﴿وانهم عندنا﴾ وبحسب ما سبق في علمنا ﴿لمن المصطفين﴾ للنبوة وتحمل اعباء الرسالة ﴿الأخيار﴾ جمع خير كالأموات جمع ميت وهو الذي يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة وقيل هي جمع خير فيكون كالأقيال جمع قيل وهذا مثل قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ أي اذكر لأمتك هؤلاء ايضاً ليتقدوا بهم ويسلكوا طريقتهم وقد تقدّم ذكرهم ﴿وكل من الاخيار﴾ قد اختارهم الله للنبوة ﴿هذا ذكر﴾ أي شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به في الدنيا أبداً ﴿وإن للمتقين لحسن مئاب﴾ أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون في الآخرة إلى ثواب الله ومرضاته ثم فسّر حسن المآب بقوله ﴿جنات عدن﴾ فهي في موضع جرّ على البدل اي جنات إقامة وخلود ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ أي يجدون أبوابها مفتوحة حين يردونها ولا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتى تفتح وقيل معناه لا يحتاجون الى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح وتغلق بغير مغلاق قال الحسن تكلم يقال انفتحي انغلقي وقيل معناه انها معدّة لهم غير ممنوعين منها وإن لم تكن أبوابها مفتوحة قبل مصيرهم اليها كما يقول الرجل ولغيره متى نشطت لزيارتي فالباب مفتوح والدست مطروح[١] ﴿متكئين فيها﴾ أي مستندين فيها إلى المسائد جالسين جلسة الملوك ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ أي يتحكمون في ثمارها وشرابها فإذا قالوا لشيء منها اقبل حصل عندهم ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي وعندهم في هذه الجنان ازواج قصرن طرفهن على أزواجهن راضيات بهم ما لهنَّ في غيرهم رغبة والقاصر نقيض الماد يقال فلان قاصر طرفه عن فلان وماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس .

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِ فَوْقَ الأتْبِ مِنْهَا لأَثَّرا[٢]

﴿ أتراب ﴾ أي أقران على سن واحد ليس فيهن عجوز ولا هرمة وقيل أمثال وأشباه عن مجاهد أي متساويات في الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل في ذلك وقيل أتراب على مقدار سن الأزواج كل واحدة منهن ترب زوجها لا تكون أكبر منه قال

---

(١) الدست : الوسادة .

(٢) المحول : الذي أتى عليه حول . والأتب : ثوب يشق وتجعله المرأة على عنقها من غير كم ولا جيب . يصف امرأة برقة الجلد ولطافته وانها في اللطافة والرقة بحيث لو دب هذا النمل من فوق ثوبها ليؤثر في جسدها .

الفراء الترب اللدة مأخوذ من اللعب بالتراب ولا يقال إلا في الإناث قال عمر بن أبي ربيعة :

أبـرَزُوهـا مِثْـلَ الْمَـهـاةِ تَهـادى  بَيْـنَ عَـشْـرٍ كَـواعِـبٍ أَتْـرابِ(١)

﴿ وهذا ﴾ يعني ما ذكر فيما تقدَّم ﴿ ما توعدون ﴾ أي يوعد به المتقون أو يخاطبون فيقال لهم هذا القول ﴿ ليوم الحساب ﴾ أي ليوم الجزاء ﴿ إن هذا ﴾ الذي ذكرنا ﴿ لرزقنا ﴾ أي عطاؤنا الجاري المتصل ﴿ ماله من نفاد ﴾ أي فناء وانقطاع لأنه على سبيل الدوام عن قتادة وقيل أنه ليس لشيء في الجنة نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيّاً عن ابن عباس .

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر غساق بالتشديد حيث كان في القرآن والباقون بالتخفيف وقرأ أهل البصرة وأُخر بضم الألف والباقون آخر على التوحيد .

[ الحجة ] قال أبو علي أما الغساق بالتشديد فلا يخلو أن يكون اسماً أو وصفاً فالإسم لا يجيء على هذا الوزن إلا قليلاً نحو الكلاّء والفدّان والجبّان(٢) فينبغي أن يكون وصفاً قد

(١) قال في اللسان المهاة : البلورة والدرة . والمهاة : بقرة الوحش سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدرة . وتهادى في ادمشي : تبختر وتمايل . والبيت من أبيات قالها في وصف محبوبته ثريا بنت عبد الله بن الحرث وبعده قوله « ثم قالوا تحبها قلت بهراً * عدد الرمل والحصى والتراب » وقد مر في الكتاب . وفي أمالي الشريف « بين خمس كواعب . . . » .

(٢) الكلاء مرفأ السفن . ساحل كل نهر . والفدان ؛ آلة يحرث بها . والجبّان : المقرة .

أقيم مقام الموصوف والأحسن أن لا تقام الصفة مقام الموصوف إلا أن تكون صفة قد غلبت نحو العبد والأبطح والأبرق والقراءة بالتخفيف أحسن من حيث ذكرنا ومن قرأ وأُخر على الجمع كان أُخر مبتدأ ومن شكله في موضع صفته أي من ضربه وأزواج خبر المبتدأ لأنه جمع كالمبتدأ وقد وصفت النكرة فحسن الابتداء بها والضمير في شكله يعود إلى قوله ﴿ حميم ﴾ ويجوز أن يكون المعنى من شكل ما ذكرناه ومن قرأ وآخر على الافراد فآخر يرتفع بالابتداء في قول سيبويه وفيه ذكر مرفوع عنده وبالظرف في قول أبي الحسن ولا ذكر في الظرف لارتفاع الظاهر به فإن لم تجعل آخر مبتدأ في هذا الوجه خاصة قلت أنه يكون ابتداء بالنكرة فلا أحمل على ذلك ولكن لما قال حميم وغساق دلّ هذا الكلام على أن لهم حميماً وغسّاقاً فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبراً آخر فهو قول وكان التقدير لهم عذاب آخر من شكله أزواج فيكون من شكله في موضع الصفة ويكون ارتفاع أزواج به في قول سيبويه وأبي الحسن ولا يجوز أن يجعل قوله من شكله أزواج في قول من قرأ وأُخر على الجمع وصفاً ويضمر الخبر كما فعلت ذلك في قول من وحَّد لأن الصفة لا يرجع منها ذكر إلى الموصوف ألا ترى أن أزواج إذا ارتفع بالظرف لم يجز أن يكون فيه ذكر مرفوع والهاء التي للافراد لا ترجع إلى الجمع في الوجه البين فتحصل الصفة بلا ذكر يعود منها إلى الموصوف وأما امتناع أخر من الصرف في النكرة فللعدل والوصف فمعنى العدل فيه أن هذا النحو لا يوصف به إلا بالألف واللام واستعملت أخر بلا ألف ولام فصارت بذلك معدولة عن الألف واللام .

[ **اللغة** ] المِهاد الفراش الموطأ يقال مهَّدت له تمهيداً مثل وطَّأت له توطئة والحَميم الحار الشديد الحرارة ومنه الحمى لشدة حرارتها والغسّاق قيح شديد النتن يقال غَسَقت القرحةُ تَغسِق غُسُوقاً وقيل هو مشتق من الغَسَق وهو السواد والظلمة أي هو على ضدّ ما يراد في الشراب من الضياء والرقة عن أبي مسلم ومنه يقال ليل غاسق وغَسَقَت عينُه أظلمت وأغسَقَ المُؤذِّن المغرب أخَّره إلى الظلمة والشكل بفتح الشين الضرب المتشابه والشكل بالكسر النظير في الحسن وهو الدل أيضاً والاقتحام الدخول في الشيء بشدة وصعوبة قال أبو عبيدة قولهم لا مرحباً به أي لا رحبت عليه الأرض. القتيبي قولهم مرحباً بك أي أتيت رحباً وسعة قال النابغة :

لا مَـرْحَـبـاً بِـغَـدٍ وَلا أَهْـلاً بِـهِ إِنْ كـانَ تَـفْـرِيـقُ الأَحـبّـةِ فِـي غَـدِ

[ **الإعراب** ] هذا مبتدأ وحميم خبره وغساق معطوف عليه وفليذوقوه خبر بعد خبر

والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ويجوز أن يكون هذا فليذوقوه مبتدأ وخبر وحميم خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر .

[ المعنى ] لمّا بيّن سبحانه أحوال أهل الجنة وما أعدّ لهم من جزيل الثواب عقّبه ببيان أحوال أهل النار وما لهم من أليم العذاب فقال ﴿ هذا ﴾ أي ما ذكرناه للمتقين ثم ابتدأ فقال ﴿ وإن للطاغين ﴾ الذين طغوا على الله وكذّبوا رسله ﴿ لشر مآب ﴾ وهو ضدّ مآب المتقين ثم فسّر ذلك فقال ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أي يدخلونها فيصيرون صلاء لها ﴿ فبئس المهاد ﴾ أي فبئس المسكن وبئس المهد ﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه عن الفراء والزجاج وقيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه وأطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو أشدّ إحساساً به والحميم الماء الحال والغساق البارد الزمهرير عن ابن مسعود وابن عباس فيكون المعنى أنهم يعذّبون بحار الشراب الذي انتهت حرارته وببارد الذي انتهت برودته فيبرده يحرق كما يحرق النار وقيل أن الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب عن كعب وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدي وقيل هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه عن ابن عمر وقتادة وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله عن الحسن ﴿ وآخر ﴾ أي وضروب أخر ﴿ من شكله ﴾ أي من شكل هذا العذاب وجنسه ﴿ أزواج ﴾ أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدة لا نوع واحد ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ هاهنا حذف أي يقال لهم هذا فوج وهم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الاتباع فيقول الخزنة للقادة هذا فوج أي قطع من الناس وهم الاتباع مقتحم معكم في النار دخلوها كما دخلتم عن ابن عباس وقيل يعني بالأول أولاد إبليس وبالفوج الثاني بني آدم أي يقال لبني إبليس بأمر الله تعالى هذا جمع من بني آدم مقتحم معكم يدخلون النار وعذابها وأنتم معهم عن الحسن ﴿ لا مرحباً بهم انهم صالوا النار ﴾ أي لا اتسعت لهم أماكنهم لأنهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الأول أن القادة والرؤساء يقولون للأتباع لا مرحباً بهؤلاء أنهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا في مشاركتهم إيانا فيقول الاتباع لهم ﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم ﴾ أي لا نلتم رحباً وسعة ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ أي حملتمونا على الكفر الذي أوجب لنا هذا العذاب ودعوتمونا إليه وأما على القول الثاني أن أولاد إبليس يقولون لا مرحباً بهؤلاء قد ضاقت أماكننا بهم إذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم إلا ضيق في شدة وهذا كما روي عن النبي ﷺ أن النار تضيق عليهم كضيق الزج

بالرمح ﴿ قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم ﴾ أي يقول بنو آدم بل لا كرامة لكم أنتم شرعتموه لنا وزيَّنتموه في نفوسنا ﴿ فبئس القرار ﴾ الذي استقررنا عليه ﴿ قالوا ربنا من قدَّم لنا هذا ﴾ أي يدعون عليهم بهذا إذا حصلوا في نار جهنم أي من سبَّب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك ﴿ فزده عذاباً ضعفاً ﴾ أي مثلاً مضاعفاً إلى مثل ما يستحقّه ﴿ في النار ﴾ أحد الضعفين لكفرهم بالله والضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر .

﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصولة الهمزة والباقون اتخذناهم بقطع الهمزة وقرأ أهل المدينة والكوفة غير عاصم سُخريا بضم السين والباقون بكسرها وقرأ أبو جعفر أن يوحى إلي إلا إنما بكسر الألف والباقون أنما بالفتح .

[ الحجة ] قال أبو علي في إلحاق همزة الاستفهام في قوله ﴿ اتخذناهم سخريا ﴾ بعض البعد لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخريا وكيف يستقيم أن يستفهم عنه ويدل على علمهم بذلك أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله فاتخذتموهم سخرياً حتى انسوكم ذكري فالجملة التي هي اتخذناهم سخرياً صفة للنكرة فأما وجه فتح الهمزة فإنه يكون على التقرير وعودلت بأم لأنها على لفظ الاستفهام كما عودلت بأم في قوله سواء عليها أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وإن لم يكن استفهاماً في المعنى وكذلك قولهم ما أبالي أزيداً ضربت أم عمراً فإن قلت فما الجملة المعادلة بقوله أم زاغت عنهم الأبصار في قول من كسر الهمزة في قوله

اتخذناهم فالقول فيه أن الجملة المعادلة لأم محذوفة والمعنى أتراهم أم زاغت عنهم الأبصار وكذلك قوله أم كان من الغائبين لأن المعنى أخبروني عن الهدهد أحاضر هو أم كان من الغائبين هذا قول أبي الحسن ويجوز عندي في قوله تعالى ﴿ **قل تمتّع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار أم من هو قانت آناء الليل** ﴾ أن تكون المعادلة لأم محذوفة تقديره أفأصحاب النار خير أم من هو قانت وحكي عن أبي عمرو أنه قال ما كان من مثل العبودية فسخري مضموم وما كان من مثل الهزء فسخري مكسور السين وقد تقدَّم ذكر هذا قال ابن جني من قرأ إنَّما فعلى الحكاية فكأنه قال إنْ يقال لي إلاّ إنَّما أنا نذير مبين وهذا كما تقول لصاحبك أنت قلت أنك شجاع ونحو ذلك قول الشاعر :

تَنَادَوا بِالرَّحِيلِ غَداً وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي[١] .

قال وأجاز أبو علي ثلاثة أضرب من الاعراب بالرحيل والرحيل والرحيل رفعاً ونصباً وجراً فمن رفع أو نصب فقد وفى الحكاية اللفظ المقول البتة فكأنهم قالوا الرحيل غداً فأما الجر فعلى أعمال الباء فيه وهو معنى ما قالوه ولكن حكيت منه قولك غداً وحده وهو خبر المبتدأ أو في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ ولا يكون ظرفاً لتنادوا لأن الفعل الماضي لا يعمل في الزمان الآتي وإذا قال بالرحيل غداً فإن غداً يجوز أن يكون ظرفاً لنفس الرحيل ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل آخر نصب الرحيل أي يحدث الرحيل غداً .

[ **المعنى** ] ثم حكى سبحانه عن أهل النار أيضاً بقوله ﴿ **وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدّهم من الأشرار** ﴾ أي يقولون ذلك حين ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم المؤمنون عن الكلبي وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة وذويهما يقولون ما لنا لا نرى عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً الذين كنا نعدّهم في الدنيا من جملة الذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير عن مجاهد وروى العياشي بالاسناد عن جابر عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قال أن أهل النار يقولون ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدُّهم من الأشرار يعنونكم لا يرونكم في النار لا يرون والله أحداً منكم في النار ﴿ **اتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ معناه أنهم يقولون لما لم يروهم في النار اتخذناهم هزوءاً في الدنيا فأخطأنا أم عدلت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم معنا في النار ﴿ **إن ذلك لحق** ﴾ أي إن ما ذكر قبل هذا لحق أي كائن لا محالة ثم بيَّن ما هو فقال ﴿ **تخاصم أهل النار** ﴾ يعني تخاصم الاتباع

(١) أي هلاك نفسي .

والقادة أو مجادلة أهل النار بعضهم لبعض على ما أخبر عنهم ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إنما أنا منذر** ﴾ أي مخوّف من معاصي الله ومحذّر من عقابه ﴿ **وما من إله** ﴾ يحقّ له العبادة ﴿ **إلا الله الواحد القهار** ﴾ لجميع خلقه المتعالي بسعة مقدوراته فلا يقدر أحد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه ﴿ **رب السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ من الإنس والجن وكل خلق ﴿ **العزيز** ﴾ الذي لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء ﴿ **الغفار** ﴾ لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هو نبأ عظيم** ﴾ اختلف فيه فقيل يعني القرآن هو حديث عظيم لأنه كلام الله المعجز ولأن فيه أنباء الأولين ﴿ **أنتم عنه** ﴾ أي عن تدبّره والعمل به ﴿ **معرضون** ﴾ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل خبر القيامة خبر عظيم أنتم عنه معرضون أي عن الاستعداد لها غافلون وبها مكذّبون عن الحسن وقيل معناه النبأ الذي أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم عن الزجاج يعني ما أنبأهم به من قصص الأولين أنهم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقي في نبوتي قال ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿ **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى** ﴾ يعني الملائكة ﴿ **إذ يختصمون** ﴾ يعني ما ذكر من قوله إني جاعل في الأرض خليفة إلى آخر القصة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي أي فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال قال لي ربي أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السَبَرات[1] ونقل الأقْدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وأما الدرجات فإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ﴿ **أن يوحى إليّ إلا إنما أنا نذير مبين** ﴾ معناه ما كان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لولا أن الله تعالى أخبرني به لم يمكنني إخباركم ولكن ما يوحى إليّ إلا الانذار البيّن الواضح وقيل معناه ليس يوحى إليّ إلا انّي نذير مبين مخوّف مظهر للحق .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ
إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ

---

(١) السبرات جمع السبرة: الغداة الباردة .

أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ
عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ
ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

[ المعنى ] ثم دلَّ سبحانه على أن اختصام الملائكة كان في أمر آدم (ع) بقوله ﴿ **إذ قال ربك للملائكة** ﴾ بالظاهر أن إذ يتعلق بقوله يختصمون وإن اعترض بينهما كلام ﴿ **إني خالق بشراً من طين** ﴾ يعني آدم ﴿ **فإذا سويته** ﴾ أي فإذا سوّيت خلق هذا البشر وتمّمت أعضاءه وصورته ﴿ **ونفخت فيه من روحي** ﴾ أي أحييته وجعلت فيه الروح وأضاف الروح إلى نفسه تشريفاً له ومعنى نفخت فيه أي توليت فعله من غير سبب وواسطة كالولادة المؤدّية إلى ذلك فإن الله شرَّف آدم وكرَّمه بهذه الحالة ﴿ **فقعوا له ساجدين** ﴾ أي فاسجدوا له أجمعين وفي الكلام حذف والتقدير ثم ان الله تعالى خلق ذلك البشر الذي وعدهم بخلقه ﴿ **فسجد له الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين** ﴾ مفسَّر في سورة البقرة ﴿ **قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾ هذا سؤال توبيخ وتعريف للملائكة أنه لا عذر له في الامتناع عن السجود ومعنى قوله ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ تولّيت خلقه بنفسي من غير واسطة عن الجبائي ومثله مما عملت أيدينا وذكر اليدين لتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ أي ربك وقيل معناه خلقته بقدرتي عن أبي مسلم وغيره والعرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة اليدين قال :

تَحَمَّلْتُ مِنْ ذَلْفَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ... وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ(١)

وقال آخر :

أَنَابِغَ إِنَّكُم لَمْ تَبْلُغُونَا ... وَمَا لَكُمُ بِذَلِكُمُ يَدَانِ

وقال عروة بن حزام :

فَإِنْ تَحْمِلِي وُدِّي وَوُدَّكِ تَفْدَحِي ... وَمَا لَكِ بِالْحَمْلِ الثَّقِيلِ يَدَانِ(٢)

﴿ **استكبرت أم كنت من العالين** ﴾ أي أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظَّمت عن امتثال أمري أم كنت من الذين تعلو أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه ﴿ **قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ فضَّل النار على الطين ﴿ **قال فأخرج منها** ﴾ أي من الجنة ﴿ **فإنك رجيم** ﴾ أي طريد مبعد ﴿ **وان عليك لعنتي إلى يوم الدين قال** ﴾ إبليس عند ذلك ﴿ **رب فأنظرني إلى يوم يبعثون** ﴾ أي أخّرني إلى يوم يحشرون للحساب وهو يوم القيامة ﴿ **قال** ﴾ الله تعالى له ﴿ **فإنك من المنظرين** ﴾ أي المؤخرين ﴿ **إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾ وقد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم ﴿ **قال** ﴾ إبليس ﴿ **فبعزتك** ﴾ أي أقسم بقدرتك التي تقهر بها جميع خلقك ﴿ **لأغوينَّهم** ﴾ يعني بني آدم كلهم ﴿ **أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ أي أدعوهم إلى الغيّ وأزيّن لهم القبائح إلا عبادك الذين استخلصتهم وآثرتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم .

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير الكسائي وهبيرة وروح وزيد عن يعقوب قال فالحق بالرفع والباقون بالنصب .

---

(١) يصف شدة ما تحمله من عشق محبوبته ذلفاء . (٢) فدحه الأمر والحمل : أثقله .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من نصب الحق الأول كان منصوباً بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه وذلك الفعل هو ما ظهر في قوله ويحقّ الله الحقَّ بكلماته ويجوز أن ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينصب القسم من نحو الله لأفعلنَّ فيكون التقدير الحق لأملئن وقد يجوز أن يكون الحق الثاني الأول وكرِّر على وجه التأكيد ومن رفع كان محتملاً لوجهين ( أحدهما ) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا الحق ( والآخر ) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره فالحق منّي كما قال الحق من ربك .

[ **المعنى** ] ثم حكى سبحانه ما أجاب به إبليس وأنه ﴿ **قال** ﴾ له ﴿ **فالحق والحق أقول** ﴾ أي حقاً ﴿ **لأملأن** ﴾ والحق أقول اعتراض بين القسم والمقسم عليه وجاز ذلك لأنه مما يؤكّد القصة كما قال الشاعر :

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ للهِ آيَةً لِنَفْسِي لَقَدْ طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ (١)

فاعترض بقوله ولا كفران لله بين المفعول الأول والثاني ومن رفع فعلى معنى فأنا الحق أو الحق مني وأقول الحق ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك** ﴾ وقَبِلَ قولك ﴿ **منهم** ﴾ أي من بني آدم ﴿ **أجمعين** ﴾ ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ **ما أسئلكم عليه** ﴾ أي على تبليغ الوحي والقرآن والدعاء إلى الله سبحانه ﴿ **من أجر** ﴾ أي مال تعطونيه ﴿ **وما أنا من المتكلفين** ﴾ لهذا القرآن من تلقاء نفسي وقيل معناه إني ما أتيتكم رسولاً من قبل نفسي ولم أتكلف هذا الاتيان بل أمرت به وقيل معناه لست ممن يتعسف في طلب الأمر الذي لا يقتضيه العقل وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ ﴿ **قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ أورده البخاري في الصحيح ﴿ **إنْ هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ أي ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين وقيل ما القرآن إلا شرف لمن آمن به ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ أي ولتعلمن يا كفار مكّة خبر صدقه بعد الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل بعد يوم بدر عن السدي وقيل من عاش علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا دينه ومن مات علمه بعد الموت عن الكلبي .

---

(١) الشعر في جامع الشواهد .

# (٣٩) سورة الزمر مكية وآياتها خمس وسبعون

وتسمى أيضاً سورة الغرف وهي مكية كلها عن مجاهد وقتادة والحسن وقيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة قل يا عبادي إلى آخرهن وقيل غير آية قل يا عبادي .

## [ عدد آيها ]

خمس وسبعون آية كوفي ثلاث شامي اثنتان في الباقين .

[ اختلافها ] سبع آيات فيما هم فيه يختلفون غير الكوفي مخلصاً له الدين الثاني ومخلصاً له ديني ومن هاد الثاني وسوف يعلمون أربعهن كوفي فبشّر عبادي عراقي شامي والمدني الأخير من تحتها الأنهار مكي شامي والمدني الأول .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى وروى هارون بن خارجة عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الزمر أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة وأعزّه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه وحرم جسده على النار ويبني له في الجنة ألف مدينة في كل مدينة ألف قصر في كل قصر مائة حوراء وله مع ذلك عينان تجريان وعينان نضاختان وجنتان مدهامتان وحور مقصورات في الخيام .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه سورة صٓ بذكر القرآن وافتتح هذه السورة أيضاً به فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ
ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ
إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

[ اللغة ] التكوير طرح الشيء بعضه على بعض يقال كرَّر المتاع إذا ألقى بعضه على بعض ومنه كوَّر العمامة .

[ الإعراب ] تنزيل مبتدأ وخبره من الله أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامة الناس من الأنبياء أي أنها لا تكون إلا منهم ويجوز أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز أن يكون من الله خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون في موضع نصب لأنه يتعلق بتنزيل. بالحق مفعول أنزلنا ويجوز أن يكون في موضع الحال والتقدير أنزلنا الكتاب محقّين أو محقّاً فيكون ذو الحال نا من أنزلنا أو الكتاب. زلفى في موضع نصب على المصدر والتقدير ليقربونا قربى والتقدير يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا فيكون يقولون خبر الذين اتخذوا لأنه مبتدأ أو يكون حالاً من الضمير في اتخذوا ويكون الخبر قوله ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ يكوّر يحتمل أن يكون حالاً ويحتمل أن يكون استئناف كلام فلا يكون له محل .

[ المعنى ] عظَّم الله سبحانه أمر القرآن وحثَّ المكلفين على القيام بما فيه واتباع أوامره ونواهيه بأن قال ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز ﴾ المتعال عن المثل والشبه

﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله وأقواله فوصف هنا نفسه بالعزة تحذيراً من مخالفة كتابه وبالحكمة اعلاماً بأنه يحفظه حتى يصل إلى المكلفين من غير تغيير لشيء منه ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق** ﴾ أي لم ننزله باطلاً بغير غرض وقيل معناه بالأمر الحق أي بالدين الصحيح ﴿ **فاعبد الله** ﴾ أي توجّه بعبادتك إلى الله وحده ﴿ **مخلصاً له الدين** ﴾ من شرك الأوثان والأصنام والإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ والخالص هو الذي لا يشوبه الرياء والسمعة ولا وجه من وجوه الدنيا والدين الخالص الإسلام عن الحسن وقيل هو شهادة أن لا إلّه إلا الله عن قتادة وقيل معناه الا لله الطاعة بالعبادة التي يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز أن يكون لغيره وقيل هو الاعتقاد الواجب في التوحيد والعدل والنبوة والشرائع والإقرار بها والعمل بموجبها والبراءة من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن أنه الإسلام ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء** ﴾ أي زعموا أن لهم من دون الله مالكاً يملكهم وهاهنا حذف يدل الكلام عليه أي يقولون ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ أي ليشفعوا لنا إلى الله والزلفى القربى وهو اسم أقيم مقام المصدر ﴿ **إن الله يحكم بينهم** ﴾ يوم القيامة ﴿ **فيما هم فيه يختلفون** ﴾ من أمور الدين فيعاقب كُلًّا منهم على قدر استحقاقه ﴿ **إن الله لا يهدي** ﴾ إلى طريق الجنة أو لا يحكم بهدايته إلى الحق ﴿ **من هو كاذب** ﴾ على الله وعلى رسوله ﴿ **كفار** ﴾ بما أنعم الله عليه جاحد لإخلاص العبادة لله ولم يرد به الهداية إلى الإيمان لقوله سبحانه وأما ثمود فهديناهم ﴿ **لو أراد الله أن يتخذ ولداً** ﴾ على ما يقوله هؤلاء من أن الملائكة بنات الله أو ما يقوله النصارى من أن المسيح ابن الله أو اليهود أن عزيراً ابن الله ﴿ **لاصطفى** ﴾ أي لاختار ﴿ **مما يخلق ما يشاء** ﴾ أي ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاءوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لأنه غير ممنوع من مراده ومثله قوله ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتَّخذناه من لدنّا** ﴾ ثم أخبر سبحانه أنه منزّه عن اتخاذ الأولاد بقوله ﴿ **سبحانه** ﴾ أي تنزيهاً له عن ذلك ﴿ **هو الله الواحد** ﴾ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ﴿ **القهار** ﴾ لخلقه بالموت وهو حيّ لا يموت ثم نبَّه سبحانه على كمال قدرته فقال ﴿ **خلق السماوات والأرض بالحق** ﴾ أي لم يخلقهما باطلاً لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمي ﴿ **يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** ﴾ أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة والنقصان فما يزيد في أحدهما ينقص من الآخر عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل يغشى هذا هذا كما قال يغشى الليل النهار ويولج الليل في النهار عن قتادة ﴿ **وسخر الشمس والقمر** ﴾ بأن أجراهما على وتيرة واحدة ﴿ **كل يجري لأجل مسمى** ﴾ أي إلى مدة قدّرها الله لهما أن يجريا إليها

وقيل إلى قيام الساعة وقيل لأجل مسمى أي لوقت معلوم في الشتاء والصف هو المطلع
والمغرب لكل واحد منهما ﴿ إلا هو العزيز الغفار ﴾ مرَّ معناه وفائدة الآية أن من قدر على
خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر وإدخال الليل في النهار فهو منزَّه عن اتخاذ
الولد والشريك فإن ذلك من صفة المحتاجين .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ
أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ
ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ
تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ
لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ
مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ
وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ
إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا
وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ
يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا

حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ أبو عمرو في رواية أوقية وأبي شعيب السوسي وأبي عمرو الدوري عن اليزيدي عنه وحمزة وفي رواية العجلي يرضه لكم ساكنة الهاء وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف ونافع برواية إسماعيل وأبو بكر برواية البرجمي يرضه مضمومة الهاء مشبعة وقرأ الباقون بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن هو قانت خفيفة الميم والباقون بتشديد الميم .

[ الحجة ] قال أبو علي حجة من قرأ يرضهو فألحق الواو أن ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزلة ضربهو وهذا لهو ومن قال يرضهُ فحرَّك الهاء ولم يلحق الواو أن الألف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها لأن الكلمة إذا نصبت أو رفعت عادت الألف فصار الألف في حكم الثابت فإذا ثبت الألف فالأحسن أن لا يلحق الواو نحو قوله ألقى موسى عصاه وذلك أن الهاء خفيفة فلو لحقتها الواو وقبلها الألف لأشبه الجمع بين الساكنين وأما من أسكن فقال يرضَهْ لكم فإن أبا الحسن يزعم أن ذلك لغة وعلى هذا قوله « وَنَضْوايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أَرِقَانِ »[1] ومن قرأ أم من هو قانت ففيه وجهان ( أحدهما ) أن المعنى الجاحد الكافر خير أم من هو قانت ويدل على المحذوف قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودلَّ عليه أيضاً قوله ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً ﴾ وقد تقدَّم ذكره ( والآخر ) أن المعنى قل أمَّن هو قانت كغيره أي أمن هو مطيع كمن هو عاص ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أفمن يتَّقي بوجهه سوء العذاب ﴾ وأما من خفف فقال أمن هو قانت فالمعنى أيضاً أم من هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادلة وإنما يقع فيه الحمل الذي يكون فيه أخبار وليس النداء كذلك وقال أبو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة لأن الاستفهام إنما يبتدىء ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شيء يحمل عليه إلا في المعنى .

[ اللغة ] التخويل العطية العظيمة على وجه الهبة وهي المنحة خوَّله الله مالا ومنه

(١) هذا عجز بيت مر تمامه في صفحة ٢٣٥ من هذا المجلد وصدره « فظلت لدى البيت العتيق أخيله » والنضو: الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفي بعض الروايات « ومطواي » بدل « ونضواي » ومعناه صاحباي . والأرق: السهر .

الحديث كان يتخولهم بالموعظة مخافة السأمة عليهم أي يتعبَّدهم والحديث الآخر إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دُوَلا ودين الله دَخَلا(١) وعباد الله خَوَلا أي يظنّون عباد الله عبيدهم أعطاهم الله ذلك قال أبو النجم :

أَعْطَىٰ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ كُومَ الذُّرىٰ مِنْ خَوَلِ الْمُخَوَّلِ(٢)

والقانت الداعي والقانت المصلي قال :

قَانِتاً للهِ يَتْلُو كُتُبَهْ وَعَلىٰ عَمْدٍ مِنَ النَّاسِ آعْتَزَلْ

آناء الليل واحدها أنْي وأنى .

[ **الإعراب** ] ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله عطف بيان وربكم بدل من لفظة الله وإن شئت كان خبراً لمبتدأ. له الملك يرتفع الملك بالظرف والظرف مع ما ارتفع به في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة والتقدير ثابتاً له الملك ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وكذا قوله ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ جاز أن يكون في موضع الحال أي متوحّداً بالوحدانية وجاز أن يكون خبراً آخر. فأنى تصرفون أنّى في موضع نصب على الحال أو على المصدر ومعناه كيف تصرفون .

[ **المعنى** ] ثم أبان سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم وذريته فقال ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ يعني آدم ( ع ) لأن جميع البشر من نسله ﴿ **ثم جعل منها زوجها** ﴾ يعني حواء أي من فضل طينته وقيل من ضلع من أضلاعه وفي قوله ثم جعل منها زوجها ثم يقتضي التراخي والمهلة وخلق الوالدين قبل الولد ثلاثة أقوال ( أحدها ) أنه عطف يوجب أن الكلام الثاني بعد الأول ويجري مجرى قول القائل قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس وإن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم مثله قول الشاعر :

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذٰلِكَ جَدُّهْ

( وثانيها ) أنه معطوف على معنى واحدة فكأنه قال خلقكم من نفس واحدة أوجدها وحدها ثم جعل منها زوجها ( وثالثها ) أنه خلق الذرية في ظهر آدم وأخرجها من ظهره كالذر

(١) الدول ـ بضم الدال ـ جمع الدولة وهي ما يتداوله الناس. والدخل: العيب والغش والفساد، وحقيقته أن يدخلوا في الدين أموراً لم تجر بها السنة .

(٢) الكوم جمع الكوماء وهي الناقة عظيمة السنام .

ثم خلق من بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه على ما ورد في الأخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه ﴿ **وأنـزل لكم من الأنعام ثمـانية أزواج** ﴾ اختلف في معنـاه على وجوه ( أحدها ) أن معنى الإنزال هنا الإحداث والإنشاء كقوله وقد أنزلنـا عليكم لباسـاً ولم ينزل اللباس ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس يكون منهما فكذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء ( والثاني ) أنه أنزلها بعد أن خلقها في الجنة عن الجبائي قال وفي الخبر الشاة من دوابّ الجنة والإبل من دوابّ الجنة ( والثالث ) أن المعنى جعلها نزلاً ورزقاً لكم ويعني بالأزواج الثمانية من الأنعام الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز من كل صنف اثنان هما زوجان وهو مفسّر في سورة الأنعام ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق** ﴾ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم يكسو العظام لحماً ثم ينشىء خلقاً آخر عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل خلقاً في بطون الأمهات بعـد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيـد ﴿ **في ظلمات ثلاث**﴾ ظلمة البطن وظلمة الـرحم وظلمة المشيمـة عن ابن عباس ومجـاهد وقتادة والسدي وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) وقيل ظلمة الليل أو ظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال ﴿ **ذلكم الله** ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿ **ربكم** ﴾ الذي يملك التصرف فيكم ﴿ **له الملك** ﴾ على جميع المخلوقات ﴿ **لا إله إلا هو فأنى تصرفون** ﴾ عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ ﴿ **إن تكفـروا** ﴾ أي تجحدوا نعمـة الله تعالى ولم تشكـروه ﴿ **فـإن الله غني عنكم** ﴾ وعن شكركم فلا يضرّه كفركم ﴿ **ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾ وفي هذا أوضح دلالة على أنه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنه لو أراده لـوجب متى وقع أن يكـون راضياً بـه لعبده لأن الرضا بالفعل ليس إلا ما ذكرناه ألا ترى أنه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئاً ويقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به أو أن نرضى شيئاً ولم نرده البتة ﴿ **وان تشكروا يرضه لكم** ﴾ أي وأن تشكروا الله تعالى على نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويرده منكم ويثبكم عليه والهاء في يرضه كناية عن المصدر الذي دلّ عليه وان تشكروا والتقدير يرضى الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرّاً له أي كان الكذب شرّاً له ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى والمعنى لا يؤاخذ بالذنب إلا من يرتكبه ويفعله ﴿ **ثم إلى ربكم مرجعكم** ﴾ أي مصيركم ﴿ **فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ أي يخبركم بما عملتمـوه ويجازيكم بحسب ذلـك ﴿**انه عليم بذات الصدور**﴾ فلا يخفي عليه سرّ وعلانية ﴿**وإذا مسَّ الإنسان ضرّ**﴾ من شدة ومرض وقحط وغير ذلك ﴿ **دعا ربه منيباً إليه** ﴾ أي راجعاً إليه وحده لا يرجو سواه ﴿ **ثم إذا خوَّله** ﴾ أي أعطاه ﴿ **نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل** ﴾ أي نسي الضر الـذي كان

يدعو الله إلى أن يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل وجائز أن يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل ومثله ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد فكانت ما تدلّ على الله تعالى ومن عبارة عن كل مميز وما يكون لكل شيء ﴿ **وجعل لله أنداداً** ﴾ أي نسمى له أمثالاً في توجيه عبادته إليها من الأصنام والأوثان ﴿ **ليضل** ﴾ الناس ﴿ **عن سبيله** ﴾ أي عن دينه أو يضلّ هو عن الدين واللام لام العاقبة وذلك أنهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم ذلك لكن عاقبتهم كانت إليه ﴿ **قل تمتع بكفرك قليلاً** ﴾ هذا أمر معناه الخبر كقوله إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت والمعنى أن مدة تمتعه في الدنيا بكفره قليلة زائلة ﴿ **إنك من أصحاب النار** ﴾ تعذّب فيها دائماً ﴿ **أم من هو قانت** ﴾ أي أهذا الذي ذكرناه خير أم من هو دائم على الطاعة عن ابن عباس والسدي وقيل على قراءة القرآن وقيام الليل عن ابن عمر وقيل يعني صلاة الليل عن أبي جعفر (ع) ﴿ **آناء الليل** ﴾ أي ساعات الليل ﴿ **ساجداً وقائماً** ﴾ يسجد تارة في الصلاة ويقوم أخرى ﴿ **يحذر الآخرة** ﴾ أي عذاب الآخرة ﴿ **ويرجو رحمة ربه** ﴾ أي يتردّد بين الخوف والرجاء أي ليسا سواء وهو قوله ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ أي لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك ﴿ **إنما يتذكّر أولو الألباب** ﴾ أي إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال نحن الذين يعلمون وعدوُّنا الذين لا يعلمون وشيعتنا أولو الألباب (قل) يا محمد لهم ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا بتوحيد الله تعالى ﴿ **اتقوا ربكم** ﴾ أي عقاب ربكم باجتناب معاصيه وتمَّ الكلام ثم قال ﴿ **للذين أحسنوا** ﴾ أي فعلوا الأعمال الحسنة وأحسنوا إلى غيرهم ﴿ **في هذه الدنيا حسنة** ﴾ أي لهم على ذلك في هذه الدنيا حسنة أي ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر وصحة وسلامة عن السدي وقيل معناه للذين أحسنوا العمل في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهو الخلود في الجنة ﴿ **وأرض الله واسعة** ﴾ هذا حثّ لهم على الهجرة من مكة عن ابن عباس أي لا عذر لأحد في ترك طاعة الله فإن لم يتمكن منها في أرض فليتحوَّل إلى أخرى يتمكن منها فيها كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل معناه وأرض الله الجنة واسعة فاطلبوها بالأعمال الصالحة عن مقاتل وأبي مسلم ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم** ﴾ أي ثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على شدائد الدنيا ﴿ **بغير حساب** ﴾ لكثرته لا يمكن عدّه وحسابه وروى العياشي بالإسناد عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية إنما يوفّى

الصابرون أجرهم بغير حساب .

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾
فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾
لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ
بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن
يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ
يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ
تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ
ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

[ **اللغة** ] الظلة السترة العالية جمعها ظلل والانقاذ الانجاء والغرف المنازل الرفيعة واحدها غرفة .

[ **الإعراب** ] ذلك مبتدأ ويخوّف الله به عباده خبره. أن يعبدوها في موضع نصب بدل

من الطاغوت والتقدير والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وخبر الذين اجتنبوا قوله لهم البشرى والبشرى ترتفع بالظرف لجريه خبراً على المبتدأ قال الزجاج أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار معناه الشرط والجزاء وألف الاستفهام هنا معناها معنى التوقيف والألف الثانية جاءت مؤكدة معادة لما طال الكلام والمعنى أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ومثله أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون أعاد أن الثانية والمعنى إنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً تخرجون ويكون على وجه آخر على أنه حذف الخبر وفي الكلام دليل على المحذوف على معنى أفمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص منه أو ينجو منه أفأنت تنقذ أي لا يقدر أحد أن ينقذه .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيَّهﷺ فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تقدَّم ذكرهم ﴿**إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**﴾ أي موحّداً له لا أعبد معه سواه والعبادة الخالصة هي التي لا يشوبها شيء من المعاصي ﴿**وأمرت**﴾ أيضاً ﴿**لأن أكون أول المسلمين**﴾ فيكون لي فضل السبق وثوابه ﴿**قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾ أي عذاب يوم القيامة ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**الله اعبد مخلصاً له ديني**﴾ وطاعتي ﴿**فاعبدوا**﴾ أنتم معاشر الكفار ﴿**ما شئتم من دونه**﴾ من الأصنام وهذا على وجه التهديد لهم بذلك ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**إن الخاسرين**﴾ في الحقيقة هم ﴿**الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة**﴾ فلا ينتفعون بأنفسهم ولا يجدون في النار أهلاً كما كان لهم في الدنيا أهل فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم عن مجاهد وابن زيد وقيل خسروا أنفسهم بأن قذفوها بين أطباق الجحيم وخسروا أهليهم الذين أعدّوا لهم في جنة النعيم عن الحسن قال ابن عباس ان الله تعالى جعل لكل انسان في الجنة منزلاً وأهلاً فمن عمل بطاعته كان له ذلك ومن عصاه صار إلى النار ودفع منزله وأهله إلى من أطاع فذلك قوله أولئك هم الوارثون ﴿**ألا ذلك هو الخسران المبين**﴾ أي البين الظاهر الذي لا يخفى ﴿**لهم من فوقهم ظلل من النار**﴾ أي سرادقات وأطباق من النار ودخانها نعوذ بالله منها ﴿**ومن تحتهم ظلل**﴾ أي فرش ومهد وقيل إنما سمي ما تحتهم من النار ظللاً لأنها ظلل لمن تحتهم اذ النار أدراك وهم بين اطباقها وقيل إنما أجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع والمجاز لأنها في مقابلة ما لأهل الجنة من الظلل والمراد أن النار تحيط بجوانبهم ﴿**ذلك يخوّف الله به عباده**﴾ أي ذلك الذي وصف من العذاب يخوّف الله به عباده ورحمة لهم ليتّقوا عذابه بامتثال أوامره ثم أمرهم بالاتقاء فقال ﴿**يا عبادي فاتقوني**﴾ فقد أنذرتكم وألزمتكم الحجة وإنما حذف الياء في الموضعين لأن الكسرة تدلُّ عليها ﴿**والذين اجتنبوا الطاغوت**﴾ أي الأوثان والشيطان وقيل كل من دعا إلى عبادة غير الله

تعالى وإنما أنّث للجماعة وفي قراءة الحسن اجتنبوا الطواغيت ﴿أن يعبدوها﴾ أي اجتنبوا عبادتها ﴿وأنابوا إلى الله﴾ أي تابوا إليه فأقلعوا عما كانوا عليه ﴿لهم البشرى﴾ أي البشارة وهي الإعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء على ذلك وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال أنتم هم ومن اطاع جباراً فقد عبده ثم قال سبحانه مخاطباً لنبيّه ﷺ ﴿فبشر﴾ يا محمد ﴿عبادي﴾ اجتزأ بالكسرة عن الياء ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه﴾ أي أولاه بالقبول والعمل به وأرشده إلى الحق وقيل فيتبعون أحسن ما يؤمرون به ويعملون به عن السدي وروي عن أبي الدرداء قال لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً الظمأ بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر وقيل معناه يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن عن الزجاج وقيل يستمعون ما في القرآن والسنة من الطاعات والمباحات فيتبعون الطاعة التي هي أحسن إذ يستحق الثواب عليه اكثر وهو ان يأخذ بأفضل الأمرين كما ان القصاص حق والعفو أفضل فيأخذون بالعفو ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ أي هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم الله فاهتدوا به الى الحق ﴿وأولئك هم أولو الألباب﴾ أي ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم وقال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين في ثلاثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا إلّه إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذمنْ في النار﴾ اختلف في تقديره فقيل معناه أفمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب أفأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من في النار عن الضمير العائد إلى المبتدأ عن الزجاج والأخفش وقيل تقديره أفأنت تنقذ من في النار منهم وأتى بالاستفهام مرتين توكيداً للتنبيه على المعنى وقال ابن الانباري الوقف على قوله كلمة العذاب والتقدير كمن وجبت له الجنة ثم يبتدىء أفأنت تنقذ وأراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وإنما قال ذلك للنبي ﷺ لحرصه على اسلام المشركين والمعنى انك لا تقدر على ادخال الإسلام في قلوبهم شاءوا ام أبوا فلا عليك إذا لم يؤمنوا فإنما أتوا ذلك من قبل نفوسهم وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية ثم بيَّن سبحانه ما أعدَّه للمؤمنين كما بيَّن ما أعدَّه للكفار فقال ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف﴾ أي قصور في الجنة ﴿من فوقها غرف﴾ قصور ﴿مبنية﴾ وهذا في مقابلة قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فإنَّ في الجنة منازل رفيعة بعضها فوق بعض وذلك أن النظر من الغرف الى الخضر والمياه اشهى وألذ ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت الغرف ﴿وعد الله﴾ أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ
يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ
فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن
رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ
تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

[ **اللغة** ] الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذي ينبع منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا اذا فار منه والزرع ما ينبت على غير ساق والشجر ماله ساق وأغصان النبات يعمُّ الجميع وهاج النبت يهيج هيجاً إذا جفَّ وبلغ نهايته في اليبوسة والحطام فتات التبن والحشيش والحطم الكسر للشيء اليابس ومنه سميت جهنم حطمة لأنها تكسر كل شيء ومنه الحطيم بمكة قال النضر لأن البيت رفع وترك ذلك محطوماً وهو حجر الكعبة مما يلي الميزاب .

[ **الإعراب** ] أفمن شرح الله صدره مَنْ مع صلته مبتدأ والخبر محذوف تقديره أفمن شرح الله صدره كمن قسا قلبه من ذكر الله أي من ترك ذكر الله لأن القلب إنما يقسو من ترك ذكر الله ويجوز أن يكون تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله أي من ذكر الناس الله .

كتاباً منصوب لأنه بدل من قوله أحسن الحديث .

[ **المعنى** ] لمّا قدَّم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد عقَّبه بذكر دلائـل التوحيـد فقال يخاطب نبيه ﷺ وان كان المراد جميع المكلفين ﴿**ألم تر ان الله انزل من السماء ماء**﴾ أي مطراً ﴿**فسلكه**﴾ أي فأدخل ذلـك الماء ﴿**ينـابيع في الأرض**﴾ مثـل العيون والأنهـار والقني والآبار ونظيره قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض ﴿**ثم يخرج به**﴾ أي بذلك الماء من الأرض ﴿**زرعاً مختلفاً ألوانه**﴾ أي صنوفه من البرّ والشعير والأرز وغير ذلـك يقال هذا لون من الطعام أي صنف وقيل مختلف الألوان من اخضر وأصفر وأبيض وأحمـر ﴿**ثم يهيج**﴾ أي يجف وييبس ﴿**فتريه مصفراً**﴾ بعد خضرته ﴿**ثم يجعله حطاماً**﴾ أي رفاتاً منكسراً متفتّتاً ﴿**إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب**﴾ معناه إن في اخراج هذه الزروع الوانـاً مختلفة بماء واحد ونقلها من حال إلى حال لتذكيراً لذوي العقول السليمة إذا تفكَّروا في ذلك عرفوا الصانع المحدث وعلموا صحة الابتداء والبعث والإعادة ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾ أي فسح صدره ووسَّع قلبه لقبول الإسلام والثبات عليه وشرح الصدر يكـون بثلاثـة اشياء ( أحدها ) بقوة الأدلة التي نصبها الله تعالى وهذا يختص به العلماء ( والثاني ) بالالطاف التي تتجدد له حالاً بعد حال كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ( والثالث ) بتوكيد الأدلة وحلّ الشبهة والقاء الخواطر ﴿**فهو على نور**﴾ أي على دلالة وهدى ﴿**من ربه**﴾ شبَّه الأدلة بالنور لأن بها يعرف الحق كما بالنور تعرف أمور الدنيا عن الجبائي وقيل النور كتاب الله عز وجل فبه نأخذ وإليه ننتهي عن قتادة وحُذف كمن هو قاسي القلب يدلُّ على المحذوف قوله ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾ وهم الذين ألفـوا الكفر وتعصبـوا له وتصلبت قلوبهم حتى لا ينجع فيها وعظ ولا ترغيب ولا ترهيب ولا تَرِقُّ عند ذكر الله وقراءة القرآن عليه ﴿**أولئك في ضلال**﴾ أي عدول عن الحق ﴿**مبين**﴾ أي ظاهر واضح ﴿**الله نزل احسن الحـديث**﴾ يعني القرآن سمّاه الله حديثاً لأنه كلام الله والكلام سمّي حديثاً كما يسمّى كلام النبي ﷺ حديثـاً ولأنه حديث التنزيل بعد ما تقدّمه من الكتب المنزلة على الأنبياء وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف اليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وبيان احكـام الشرع وغيـر ذلك من المـواعظ وقصص الأنبياء والتـرغيب والترهيب ﴿**كتاباً متشابهاً**﴾ يشبه بعضه بعضاً ويصدّق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف ولا تنـاقض وقيل معناه أنه يشبه كتب الله المتقدمة وان كان أعم وأجمع وأنفع وقيل متشابهـاً في حسن النظم وجزالة اللفظ وجودة المعاني ﴿**مثاني**﴾ سمّي بذلـك لأنه يثنّي فيـه بعض القصص والاخبار والاحكـام والمواعظ بتصـريفها في ضـروب البيان ويثني ايضـاً في التلاوة فـلا يملّ لحسن

مسموعه ﴿تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي تأخذهم قشعريرة خوفاً مما في القرآن من الوعيد ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ إذا سمعوا ما فيه من الوعد بالثواب والرحمة والمعنى ان قلوبهم تطمئنُّ وتسكن الى ذكر الله الجنة والثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به وروي عن العباس بن عبد المطلب ان النبي ﷺ قال إذا اقشعرَّ جلد العبد من خشية الله تحاتت[١] عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال قتادة هذا نعت لأولياء الله بنعتهم الله بأن تقشعر، جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان ﴿ذلك﴾ يعني القرآن ﴿هدى الله يهدي به من يشاء﴾ من عباده بما نصب فيه من الأدلة وهم الذين آتاهم القرآن من أمة محمد ﷺ عن الجبائي وقيل يهدي به من يشاء من الذين اهتدوا به إنما خصَّهم بذلك لأنهم المنتفعون بالهداية ومن لم يهتد لا يوصف بأنه هداه الله اذ ليس معه هداية ﴿ومن يضلل الله﴾ عن طريق الجنة ﴿فما له من هاد﴾ أي لا يقدر على هدايته احد عن الجبائي وقيل معناه من ضلَّ عن الله ورحمته فلا هادي له يقال اضللت بعيري إذا ضلَّ عن أبي مسلم وقيل معناه من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف لأن الكافر لا لطف له ﴿أفمن يتَّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ تقديره أفحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتي آمناً منا لا تمسه النار وإنما قال بوجهه لأن الوجه اعزّ اعضاء الإنسان وقيل معناه أمن يلقى في النار منكوساً فأول عضو منه مسته النار وجهه عن عطاء ومعنى يتقي يتوقى كما قال عنترة .

إِذْ يَـتَّـقُـونَ بِـيَ الأَسِـنَّـةَ لَـمْ أَخِـمْ عَـنْهَـا وَلٰكِـنِّـي تَـضَـايَـقَ مُـقْـدَمِـي[٢]

أي يقدّمونني إلى القتال فيتوقّون بي حرَّها ثم أخبر سبحانه عما يقوله خزنة النار للكفار بقوله ﴿وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي جزاء ما كسبتموه من المعاصي ثم أخبر سبحانه عن امثال هؤلاء الكفار من الأمم الماضية فقال ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ بآيات الله وجحدوا رسله ﴿فأتاهم العذاب﴾ عاجلاً ﴿من حيث لا يشعرون﴾ أي وهم آمنون غافلون .

[ **النظم** ] إنما اتصل قوله أفمن شرح الله صدره بما تقدَّم من ذكر أدلة التوحيد والعدل التي إذا تفكَّر فيها العاقل انشرح صدره واطمأنَّت نفسه إلى ثلج اليقين واتصل قوله الله نزل

---

(١) أي تتساقط .

(٢) هذا بيت من معلقته المعروفة. والخيم: الجبن. يقول: حين جعلني اصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم أي قدموني لم أجبن عن أسنتهم ولم أتأخر ولكن قد تضايق موضع اقدامي فتعذر التقدم فتأخرت لذلك. ويروى « ولو اني تضايق مقدمي » والمعنى فلم أتأخر ولو كان المسافة بيني وبينهم ضيقاً .

احسن الحديث بما تقدَّمه من قوله فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه أي فإنّ أحسن الحديث القرآن فهو أولى بالاتباع عن أبي مسلم واتصل قوله أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب بما قبله على تقديره فمن لم يهتد بهدى الله لا يهتدي وكيف يهتدي بغيره من يتقي بوجهه سوء العذاب يعني المقيم على كفره .

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل سالماً بالألف والباقون سَلَماً بغير ألف واللام مفتوحة وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير سِلْماً بكسر السين وسكون اللام .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يقوّي قراءة من قرأ سالماً قوله فيه شركاء متشاكسون فكما ان الشريك عبارة عن العين وليس باسم حدث فكذلك الذي بإزائه ينبغي أن يكون فاعلاً ولا يكون اسم حدث ومن قرأ سَلَماً وسِلْماً فهما مصدران وليسا بوصفين كحسَن وبَطَل ونقض ونِضْو يقال سَلَم سَلَماً وسلامة وسِلْماً والمعنى فيمن قال سِلْماً ذا سلم أي رجلاً ذا سلم قال أبو الحسن سلم من الاستسلام وقال غيره السلم خلاف المحارب .

[ **اللغة** ] الخزي المكروه والهوان والتشاكس التمانع والتنازع تشاكسوا في الأمر تشاكساً وأصله من الشكاسة وهو سوء الخلق والاختصام ردّ كل واحد من الاثنين ما أتي به الآخر على وجه الانكار عليه وقد يكون احدهما محقّاً والآخر مبطلاً وقد يكونان جميعاً

مبطلين كاليهودي والنصراني وقد يكونان جميعاً محقّين .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج عربياً منصوب على الحال أي في حال عروبيته وذكر قرآناً توكيداً كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً وجاءني عمرو انساناً عاقلاً فتذكر رجلاً وإنساناً توكيداً. ضرب الله مثلاً رجلاً فرجلاً بدل من قوله مثلاً والتقدير ضرب الله مثلاً مثل رجل فحذف المضاف وقوله فيه شركاء يرتفع بالظرف ورجلاً عطف على الأول اي ومثل رجل سالم .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عما فعله بالأمم المكذّبة بأن قال ﴿**فأذاقهم الله الخزي**﴾ أي الذل والهوان ﴿**في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر**﴾ أي أعظم وأشدّ ﴿**لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ سمّى ذكر الأمم الماضية مثلاً كما قال ونبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال والمعنى إنا وصفنا وبيّنا للناس في هذا القرآن كلّما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ أي لكي يتذكروا ويتدبّروا فيعتبروا ﴿**قرآناً عربياً غير ذي عوج**﴾ أي غير ذي ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق ﴿**لعلهم يتقون**﴾ أي لكي يتقوا معاصي الله ثم ضرب سبحانه مثلاً للكافر وعبادته الأصنام فقال ﴿**ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون**﴾ أي مختلفون سيّئو الأخلاق متنازعون وإنما ضرب هذا المثل لسائر المشركين ولكنه ذكر رجلاً واحداً وصفه بصفة موجودة في سائر المشركين فيكون المثل المضروب له مضروباً لهم جميعاً ويعني بقوله رجلاً فيه شركاء أي يعبد آلهة مختلفة وأصناماً كثيرة وهم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره وهذا ينهاه ويريد كل واحد منهم ان يفرده بالخدمة ثم يكل كل منهم امره إلى الآخر ويكل الآخر إلى الآخر فيبقى هو خالياً عن المنافع وهذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء والاهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانه مثل المؤمن الموحّد فقال ﴿**ورجلاً سلماً لرجل**﴾ أي خالصاً يعبد مالكاً واحداً لا يشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواء ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لا سيما اذا كان المخدوم حكيماً قادراً كريماً وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن علي (ع) انه قال أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله ﷺ وروى العياشي بإسناده عن ابي خالد عن أبي جعفر ( ع ) قال الرجل السلم للرجل حقا عليٌّ وشيعته ﴿**هل يستويان مثلاً**﴾ أي هل يستوي هذان الرجلان صفة وشبهاً في حسن العاقبة وحصول المنفعة أي لا يستويان فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقّه صاحب الشركاء المختلفين في أمره وتمَّ الكلام ثم قال ﴿**الحمد لله**﴾ أي احمد والله المستحق للثناء

والشكر على هذا المثل الذي علّمكموه فأزال به للمؤمنين الشبه وأوضح الدلالة وقيل معناه احمدوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده واخلصتم الإيمان له والتوحيد فهي النعمة السابغة ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ حقيقة ذلك ثم بيَّن سبحانه المقام الذي يتبيّن فيه المحقُّ والمبطل فقال ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ أي عاقبتك الموت وكذا عاقبة هؤلاء ﴿**ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾ يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن ابن عباس وكان أبو العالية يقول الاختصام يكون بين اهل القبلة قال ابن عمر كنا نرى ان هذه الآية فينا وفي أهل الكتابين وقلنا كيف نختصم نحن ونبيّنا واحد وكتابنا واحد حتى رأيتُ بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت انها فينا نزلت وقال أبو سعيد الخدري في هذه الآية كنا نقول ربنا واحد ونبيّنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشدَّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين والضالين والصادقين والكاذبين .

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

[ **الإعراب** ] والذي جاء بالصدق وصدق به الذي هنا جنس لأن خبره جمع وهو قوله اولئك فلا يراد به واحد معين ليكفر الله اللام من صلة قوله لهم ما يشاؤون عند ربهم وقيل هو لام القسم والتقدير والله ليكفرن فحذفت النون وكسرت اللام .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه حال الفريقين فقال ﴿**فمن أظلم ممن كذب على الله**﴾ بأن ادّعى له ولداً وشريكاً ﴿**وكذب بالصدق**﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿**إذ جاءه**﴾ ثم هدَّد سبحانه من هذه صورته بأن قال ﴿**أليس في جهنم مثوى للكافرين**﴾ أي منزل ومقام للجاحدين وهذا

استفهام يراد به التقرير ومعناه أنه لكذلك ويقال اثوى وثوى بمعنى قال

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَىٰ رَبْعٍ بِيَمْؤودِ أَوْدَى وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِ(١)

﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به﴾ اختلف في المعنى به فقيل الذي جاء بالصدق محمد ﷺ جاء بالقرآن وصدَّق به المؤمنون فهو حجتهم في الدنيا والآخرة عن ابن زيد وقتادة ومقاتل واحتجُّوا بقوله ﴿أولئك هم المتقون﴾ وقيل الذي جاء بالصدق وهو القرآن جبرائيل (ع) وصدَّق به محمد ﷺ تلقّاه بالقبول عن السدي وقيل الذي جاء بالصدق وهو قول لا إله إلا الله هو محمد ﷺ وصدَّق به هو أيضاً وبلَّغه الى الخلق عن ابن عباس قال ولو كان المصدّق به غيره لقال والذي صدَّق به وهذا اقوى الأقوال وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدَّق به أبو بكر عن أبي العالية والكلبي وقيل الذي جاء بالصدق الأنبياء وصدَّق به اتباعهم عن عطاء والربيع وعلى هذا فيكون الذي للجنس كما في قول الشاعر

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ(٢)

ألا ترى أنه عاد إليه ضمير الجمع وقيل الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدَّق به علي بن أبي طالب (ع) عن مجاهد ورواه الضحاك عن ابن عباس وهو المروي عن أئمة الهدى (ع) من آل محمد ﷺ ثم منَّ سبحانه بما أعدَّ لهم من النعيم فقال ﴿لهم ما يشاؤون﴾ من الثواب والنعيم في الجنة ﴿عند ربهم﴾ ينالون من جهته ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ على إحسانهم الذي فعلوه في الدنيا وأعمالهم الصالحة ﴿ليكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ أي اسقط الله عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بإيمانهم وإحسانهم ورجوعهم إلى الله تعالى ﴿ويجزيهم أجرهم﴾ أي ثوابهم ﴿بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي بالفرائض والنوافل فهي احسن أعمالهم لأن المباح وان كان حسناً فلا يستحق به ثواب ولا مدح .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ

(١) قائله شماخ ويمؤود: اسم واد لغطفان. ومود اسم فاعل من أودى أي هلك .

(٢) مر البيت في صفحة ١٠٩ و١٣٣ من هذا المجلد .

مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ
ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ
بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وأبو جعفر بكاف عباده على الجمع والباقون عبده على التوحيد وقرأ أهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين وما بعدهما منصوبان وقرأ الباقون بغير تنوين على اضافة كل واحدة منهما إلى ما بعدها .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ عبده ويخوّفونك فكأن المعنى ليس الله بكافيك وهم يخوّفونك ومن قرأ عباده فالمعنى أليس الله بكاف عباده الأنبياء كما كفى إبراهيم النار ونوحاً الغرق ويونس ما وقع اليه فهو سبحانه كافيك كما كفى الأنبياء قبلك ومن قرأ كاشفات ضرّه وممسكات رحمته فالوجه فيه انه مما لم يقع وما لم يقع من اسماء الفاعلين أو كان للحال فالوجه فيه النصب ووجه الجر انه لما حذف التنوين وان كان المعنى على اثباته عاقبت الاضافة التنوين .

[ **المعنى** ] لمّا وعد الله سبحانه الصادق والمصدق عقّبه بأنه يكفيهم وان كانت الأعداء تقصدهم وتؤذيهم فقال ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ استفهام يراد به التقرير يعني به محمداً ﷺ يكفيه عداوة من يعاديه ويناوئه ﴿**ويخوفونك**﴾ يا محمد ﴿**بالذين من دونه**﴾ كانت الكفار تخوّفه بالأوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة والسدي وابن زيد لأنهم قالوا له إنا نخاف أن تهلكك آلهتنا وقيل انه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبي ﷺ قالوا اياك يا خالد فبأسها شديد فضرب خالد أنفها بالفأس وهشمها وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك سبحان من

اهانك إني رأيت الله قد أهانك ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ أي من أضلَّه الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه إليها وقيل معناه ان من وصفه بأنه ضال إذ ضل هو عن الحق فليس له من يسميه هادياً وقيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زائد ﴿ومن يهدي الله فما له من مضل﴾ أي من يهده الله إلى طريق الجنة فلا احد يضله عنها وقيل من يهده الله فاهتدى فلا يقدر احد على صرفه عنه وقيل من بلغ استحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس ﴿أليس الله بعزيز﴾ أي قادر قاهر لا يقدر احد على مغالبته ﴿ذي انتقام﴾ من أعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ولئن سألتهم﴾ يا محمد ﴿من خلق السماوات والأرض﴾ وأوجدها وأنشأها بعد ان كانت معدومة ﴿ليقولن الله﴾ الفاعل لذلك لأنهم مع عبادتهم الأوثان يقرّون بذلك ثم احتجَّ عليهم بأن ما يعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر والسوء عنهم فقال ﴿قل﴾ لهم ﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر﴾ أي بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ أي هل يكشفن ضرّه ﴿أو أرادني برحمة﴾ أي بخير أو صحة ﴿هل من ممسكات رحمته﴾ أي هل يمسكن ويحبسن عني رحمته والمعنى أن من عجز عن النفع والضر وكشف السوء والشر عمَّن يتقرَّب اليه كيف يحسن منه عبادته وإنما يحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك ولا يلحقه العجز والمنع وهو الله تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ وبه يثق الواثقون ومن توكل على غيره توكل على غير كاف ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على قدر جهدكم وطاقتكم في اهلاكي وتضعيف امري ﴿إني عامل﴾ قدر جهدي وطاقتي ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ قد مضى مفسّراً وفي هذا غاية الوعيد والتهديد .

[ **النظم** ] اتصل قوله ولئن سألتهم بقوله ويخوفونك بالذين من دونه والمعنى أنه لا ينبغي ان يخوفوك بها مع اعترافهم بأن الخالق هو الله دون غيره .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا

ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ
أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ
جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ وَإِذَا
ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة قُضي بالضم الموت بالرفع والباقون قضى بالفتح الموت بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من بنى الفعل للفاعل قوله ويرسل الأخرى فكما أن هذا مبني للفاعل فكذلك حكم الذي عطف عليه ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل للفاعل والأول أبين .

[ **اللغة** ] التوفي قبض الشيء على الإيفاء والاتمام يقال توفيت حقّي من فلان واستوفيته بمعنى والاشمئزاز الانقباض والنفور عن الشيء قال عمرو بن كلثوم

إِذا عَضَّ الثِّقافُ بِها اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشَوْزَنَةً زَبُوناً[1]

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الشمز نفور الشيء من الشيء يكرهه .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم بأن قال ﴿**إنا أنزلنا عليك الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**للناس**﴾ أي لجميع الخلق عن ابن عباس ﴿**بالحق**﴾ أي ليس فيه شيء من الباطل وقيل بالحق معناه بأنه الحق أو على أنه الحق الذي يجب النظر في موجبه

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة يصف قومه بالعزة والمنعة وان كل من رامهم أرجعوه خائباً ذليلاً. والثقاف. الحديدة التي يستوي ويقوم بها الرماح. والعشوزنة: الصلبة الشديدة. والزبون: الدفوع. وقيل هذا البيت قوله « فإن قناتنا يا عمرو أعيت * على الاعداء قبلك ان تلينا» جعل القناة التي نفرت عن التقويم مثلاً لعزتهم التي لا تضعف وقوله « عشوزنة زبوناً » للرماح .

ومقتضاه فما صحّحه وجب تصحيحه وما أفسده وجب افساده وما رغّب فيه وجب العمل به وما حذّر منه وجب اجتنابه وما دعا اليه فهو الرشد وما صرف عنه فهو الغيّ **﴿فمن اهتدى﴾** بما فيه من الأدلة **﴿فلنفسه﴾** لأن النفع في عاقبته يعود اليه **﴿ومن ضل﴾** عنه وحاد **﴿فإنما يضل عليها﴾** أي على نفسه لأن مضرة عاقبته من العقاب تعود عليه **﴿وما أنت﴾** يا محمد **﴿عليهم بوكيل﴾** أي برقيب في ايصال الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه إذ لا تقدر على اكراههم على الإسلام وقيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** أي يقبضها اليه وقت موتها وانقضاء آجالها والمعنى حين مرت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف **﴿والتي لم تمت في منامها﴾** أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز وهي التي تفارق النائم فلا يعقل والتي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس فالفرق بين قبض النوم وقبض الموت ان قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة وقبض النوم يكون الروح معه في البدن وقبض الموت يخرج الروح معه من البدن **﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾** إلى يوم القيامة لا تعود إلى الدنيا **﴿ويرسل الأخرى﴾** يعني الأنفس الأخرى التي لم يقض على موتها يريد نفس النائم **﴿إلى أجل مسمى﴾** قد سمّي لموته **﴿إن في ذلك لآيات﴾** أي دلالات واضحات على توحيد الله وكمال قدرته **﴿لقوم يتفكرون﴾** في الأدلة إذ لا يقدر على قبض النفوس تارة بالنوم وتارة بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس في بني آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وإذا مات قبض الله نفسه وروحه ويؤيّده ما رواه العياشي بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت ابي المقدام عن أبي جعفر (ع) قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس وإذا أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح وهو قوله **﴿سبحانه الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** الآية فمهما رأت في ملكوت السماوات فهو مما له تأويل وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو مما يخيّله الشيطان ولا تأويل له **﴿أم اتخذوا﴾** أي بل اتخذوا **﴿من دون الله﴾** آلهة **﴿شفعاء قل﴾** يا محمد **﴿أولو كانوا﴾** يعني الآلهة **﴿لا يملكون شيئاً﴾** من الشفاعة **﴿ولا يعقلون﴾** وجواب هذا الإستفهام محذوف تقديره أولو كانوا بهذه الصفة يتخذونهم شفعاء ويعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال **﴿قل﴾** لهم **﴿لله الشفاعة جميعاً﴾** أي لا يشفع احد إلا بإذنه عن مجاهد والمعنى لا يملك

أحد الشفاعة إلا بتمليكه كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وفي هذا ابطال الشفاعة لمن ادعيت له الشفاعة من الآلهة ﴿**له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون**﴾ مضى معناه ثم أخبر سبحانه عن سوء اعتقادهم وشدّة عنادهم فقال ﴿**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت**﴾ أي نفرت عن السدي والضحاك والجبائي وقيل انقبضت عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل كفرت واستكبرت عن قتادة ﴿**قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا من هذا لأنهم كانوا يقولون الأصنام آلهة ﴿**وإذا ذكر الذين من دونه**﴾ يعني الأصنام التي عبدوها من دونه ﴿**إذا هم يستبشرون**﴾ يفرحون ويسرّون حتى يظهر السرور في وجوههم .

[ **النظم** ] اتّصل قوله ﴿**الله يتوفى الأنفس**﴾ بقوله ﴿**وما أنت عليهم بوكيل**﴾ فبيَّن سبحانه أن الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم ويصرفهم كيف يشاء وقيل يتصل بقوله أليس الله بكاف عبده أي من كان هذه صفته فإنه يكفيك أمرهم واتصل قوله ﴿**ام اتخذوا من دون الله شفعاء**﴾ بقوله ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ أي فكما أن أصنامهم لا تملك الضر والنفع فإنها لا تملك الشفاعة .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ج وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا
مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ
أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ج بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾

[ **المعنى** ] لمّا قدّم سبحانه ذكر الأدلة فلم ينظروا فيها والمواعظ فلم يتعظوا بها أمر نبيَّه ﷺ أن يحاكمهم اليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال ﴿**قل**﴾ يا محمـد ادع بهذا الدعاء ﴿**اللهم فاطر السماوات والأرض**﴾ أي يا خالقهما ومنشئهما ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ أي يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق وعالم ما شهدوه وعلموه ﴿**أنت تحكم بين عبادك**﴾ يوم القيامة ﴿**فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ في دار الدنيـا من أمر دينهم ودنيـاهم وتفصل بينهم بـالحق في الحقوق والمظالم أي فاحكم بيني وبين قومي بالحق وفي هذا بشارة للمؤمنين بالظفر والنصر لأنه سبحانه إنما أمره به للاجابة لا محالة وعن سعيد بن المسيب انه قال اني لأعرف موضع آية لم يقرأها احد قط فسأل الله شيئاً إلا اعطاه قوله قل ﴿**اللهم فاطر السماوات والأرض**﴾ الآية ثم أخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفار بأن قال ﴿**ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه**﴾ زيادة عليه ﴿**لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة**﴾ وقد مضى تفسيره ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ أي ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه ولا يظنونـه واصلاً اليهم ولم يكن في حسـابهم قال السـدي ظنّوا اعمـالهم حسنات فبدت لهم سيئات وقيل ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له أتجزع قال أخذتني آية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم الآية أخذتني ان يبدو لي من الله ما لم احتسب ﴿**وبدا لهم**﴾ أي وظهر لهم أيضاً ﴿**سيئات ما كسبوا**﴾ أي جزاء سيئات أعمـالهم ﴿**وحـاق بهم**﴾ أي نزل بهم ﴿**ما كانوا به يستهزءون**﴾ وهو كل ما ينذرهم النبي ﷺ مما كانوا ينكرونه ويكذبون به ثم أخبر عن شدة تقلب الانسان من حـال الى حال فقـال ﴿**فإذا مس الإنسـان ضر**﴾ من مرض أو شدة ﴿**دعانا**﴾ واستغاث بنا مسلماً مخلصاً في كشفه علماً بأنـه لا يقدر غيرنا عليه ﴿**ثم إذا خوّلناه نعمة منا**﴾ أي أعطينـاه نعمة من الصحـة في الجسم والسعة في الرزق أو غير ذلك من النعم ﴿**قال إنما أوتيته على علم**﴾ قيل فيه وجوه ( أحدها ) قال إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي عن الحسن والجبائي فيكون هذا اشارة الى جهلهم بمواضـع المنافع والمضار ( وثانيها ) على علم على خبر علمه الله عندي عن قتادة ومقاتل ( وثالثها ) على علم يرضاه عنّي فلذلك أتاني ما أتاني من النعم ثم قال ليس الأمر على ما يقولونه ﴿**بل هي فتنة**﴾ أي بلية واختبار يبتليه الله بها فيظهـر كيف شكره او صبـره في مقابلتهـا فيجازيـه بحسبها وقيل معناه هذه النعمة فتنة أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم وقيل معناه هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليهـا ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمـون**﴾ البلوى من النعمى وقيـل لا يعلمون ان النعم كلهـا من الله وان حصلت بأسبـاب من جهة العبـد ﴿**قد قالها**﴾ أي قد قال مثل هذه الكلمة وهذه المقالة ﴿**الذين من قبلهم**﴾ مثل قـارون حيث قال

إنماأوتيته على علم عندي ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ أي فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من الأموال بل صارت وبالاً عليهم .

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال ﴿**فأصابهم سيئات ما كسبوا**﴾ أي أصابهم عقاب سيئاتهم فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقيل إنما سمّي عقاب سيئاتهم سيئة لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿**والذين ظلموا من هؤلاء**﴾ أي من كفار قومك يا محمد ﴿**سيصيبهم سيئات ما كسبوا**﴾ أيضاً ﴿**وما هم بمعجزين**﴾ أي لا يفوتون الله تعالى وقيل لا يعجزون الله بالخروج من قدرته ﴿**أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾ أي يوسّع الرزق على من يشاء ويضيق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة ﴿**إن في ذلك لآيات**﴾ دلالات واضحات ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ يصدقون بتوحيد الله تعالى لأنهم المنتفعون بها ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾ بارتكاب الذنوب ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله**﴾ أي لا تيأسوا من مغفرة الله ﴿**إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾ وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية وعن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال ما في القرآن آية أوسع من ﴿**يا**

عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية وفي مصحف عبد الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء وقيل ان الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة حين أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية اسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال ﷺ بل للمسلمين عامة وهذا لا يصح لأن الآية نزلت بمكة ووحشي اسلم بعدها بسنين كثيرة ولكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب اسلامه فالآية محمولة على عمومها فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة فإن مات الموحد من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عذَّبه بعدله وإن شاء غفر له بفضله كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم دعا سبحانه عباده إلى التوبة وأمرهم بالإنابة اليه فقال ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ أي ارجعوا من الشرك والذنوب الى الله فوحّدوه ﴿وأسلموا له﴾ أي انقادوا له بالطاعة فيما أمركم به وقيل معناه اجعلوا أنفسكم خالصة له قد حثَّ سبحانه بهذه الآية على التوبة كيلا يرتكب الإنسان المعصية ويدع التوبة اتّكالاً على الآية المتقدمة ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ عند نزول العذاب بكم ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي من الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد فمن أتى بالمأمور به وترك المنهي عنه فقد اتبع الاحسن عن ابن عباس وقيل إنما قال احسن ما أنزل لأنه أراد بذلك الواجبات والنوافل التي هي الطاعات دون المباحات وقيل أراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ عن الجبائي قال علي ابن عيسى وهذا خطأ لأن المنسوخ يجوز أن يكون حسناً إلا ان العمل بالناسخ يكون اصلح وأحسن ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ أي فجأة في وقت لا تتوقعونه ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ أي لا تعرفون وقت نزوله بكم .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ
يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ
قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم

مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر يا حسرتاي بياء مفتوحة بعد الألف والباقون يا حسرتا بغير ياء .

[ **الحجة** ] قال ابن جني في قوله يا حسرتاي اشكال وذلك ان الألف في حسرتا إنما هي بدل من يا حسرتي ابدلت الياء الفاً هرباً إلى خفة الألف من ثقل الياء قال والذي عندي فيه انه جمع بين العوض والمعوض عنه كمذهب ابي اسحاق وأبي بكر في قول الفرزدق

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ[1]

فجمع بين الميم والواو وإنما الميم بدل من الواو ومثله ما أنشده أبو زيد

إنّي إذا مَا حَدَثٌ أَلَمّا أقُولُ يَا اللَّهُمَ يَا اللَّهُمّا

فجمع بين ياء وميم وإنما الميم عوض من ياء .

[ **اللغة** ] التفريط اهمال ما يجب ان يتقدَّم فيه حتى يفوت وقته ومثله التقصير وضدُّه الأخذ بالحزم يقال فلان حازم وفلان مفرط والتحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه ومثله التأسف وأصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابة أي انقطع سيرها كلالا والجنب العضو المعروف والجنب أيضاً معظم الشيء وأكثره يقال هذا قليل في جنب مودّتك ويقال ما فعلت في جنب حاجتي أي في أمره قال كثير

أَلا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

[ **الإعراب** ] بلى قد جاءتك جواب قوله او تقول لو أنَّ الله هداني لكنت من المتقين لأن معناه ما هداني فقيل لها بلى قد جاءتك آياتي لأن بلى جواب النفي وليس في الظاهر نفي فيحمل على المعنى . وجوههم مسودة مبتدأ وخبر والجملة في موضع نصب على الحال واستغنى عن الواو لمكان الضمير ويجوز في غير القرآن وجوههم بالنصب على البدل . من الذين كذبوا اي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة بالنصب ومثل النصب قول عدي بن زيد

(١) نفث من فيه : رمى به . والنباح صوت الكلب والمراد من العاوي : الكلب . والرجام : الرمي بالحجارة هذا البيت قوله : « وان ابن ابليس وابليس البنا * لهم بعذاب الناس كل غلام » .

دَعِيـنِـي إنَّ أمْـرَكَ لَـنْ يُـطاعَـا        وَمـا ألْـفَـيْـتَـنِـي حِـلْمِـي مُـضـاعَـاً

[ **المعنى** ] لمّا أمر الله سبحانه باتّباع الطاعلت واجتناب المقبحات تحذيراً من نزول العقوبات بيِّن الغرض في ذلك بقوله ﴿**ان تقول نفس**﴾ أي خوف ان تقول او حذراً من ان تقول والمعنى كراهة ان تصيروا الى حال تقولون فيها ﴿**يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله**﴾ أي يا ندامتي على ما ضيَّعت من ثواب الله عن ابن عباس وقيل قصرت في أمر الله عن مجاهد والسدي وقيل في طاعة الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب اي في قرب الله وجواره يقال فلان يعيش في جنب فلان أي في قربه وجواره ومنه قوله تعالى والصاحب بالجنب فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جنب الله اي في طلب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله فيكون الجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدّي إلى رضا الله وروى العياشي بالإسناد عن أبي الجارود عن أبي جعفر ( ع ) انه قال نحن جنب الله ﴿**وإن كنت لمن الساخرين**﴾ أي وإني كنت لمن المستهزئين بالنبي ﷺ والقرآن وبالمؤمنين في دار الدنيا عن قتادة والسدي وقيل من الساخرين ممن يدعوني إلى الإيمان ﴿**أو تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين**﴾ أي فعلنا ذلك كراهة ان تقول لو أراد الله هدايتي لكنت ممن يتّقي معاصيه خوفاً من عقابه وقيل انهم لمّا لم ينظروا في الأدلة وأعرضوا عن القرآن واشتغلوا بالدنيا والاباطيل توهَّموا أن الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك بالظن ولهذا ردَّ الله عليهم بقوله بلى قد جاءتك آياتي الآية وقيل معناه لو أنَّ الله هداني الى النجاة بأن يردَّني الى حال التكليف لكنت ممن يتّقي المعاصي عن الجبائي قال لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم ﴿**أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين**﴾ أي لو أنَّ لي رجعة إلى الدنيا فأكون من الموحّدين المطيعين ثم قال سبحانه منكراً على هذا القائل ﴿**بلى**﴾ أي ليس كما قلت ﴿**قد جاءتك آياتي**﴾ أي حججي ودلالاتي ﴿**فكذبت بها**﴾ وأنفت من اتباعها وذلك قوله ﴿**واستكبرت وكنت من الكافرين**﴾ بها وإنما قال جاءتك وان كانت النفس مؤنّثة لأن المراد بالنفس هنا الإنسان وروي في الشواذ عن عاصم والجحدري ويحيى بن يعمر بكسر الكاف والتاآت بلى قد جاءتكِ آياتي فكذبتِ بها واستكبرتِ وكنتِ من الكافرين ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله**﴾ فزعموا ان له شريكاً وولداً ﴿**وجوههم مسودَّة أليس في جهنم مثوى للمتكبّرين**﴾ الذين تكبَّروا عن الإيمان بالله هذا استفهام تقرير أي فيها مثواهم ومقامهم وروى العياشي بإسناده عن خيثمة قال سمعت أبا عبد الله ( ع ) يقول من حدث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله وعلى رسوله وإن كذب علينا فإنما

يكذب على الله وعلى رسوله لأنا إذا حدثنا لا نقول قال فلان وقال فلان إنما نقول قال الله وقال رسوله ثم تلا هذه الآية ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله**﴾ الآية ثم أشار خيثمة إلى أذنيه فقال صمَّتا ان لم أكن سمعته وعن سودة بن كليب قال سألت أبا جعفر ( ع ) عن هذه الآية فقال كل امام انتحل إمامة ليست له من الله قلت وان كان علويّاً قال ( ع ) وان كان علوياً قلت وإن كان فاطميّاً قال وان كان فاطميّاً .

﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾
قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ
إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير حفص بمفازاتهم والباقون بمفازاتهم وقرأ أهل المدينة تأمروني خفيفة النون مفتوحة الياء وقرأ ابن عامر تأمرونني بنونين ساكنة الياء وقرأ ابن كثير تأمرونّيَ مشدَّدة النون مفتوحة الياء والباقون تأمروني مشدَّدة النون ساكنة الياء وقرأ زيد عن يعقوب لنحبطنَّ عملك والباقون وليحبطنَّ عملك .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة الأفراد أن المفازة والفوز واحد فأفراد المفازة كأفراد الفوز وحجة الجمع أن المصادر قد تجمع إذا إختلفت أجناسها ومثله في الأفراد والجمع على مكانتكم ومكاناتكم وقوله ﴿ **أفغير الله تأمروني أعبد** ﴾ غير ينتصب على وجهين ( أحدهما ) أعبد غير الله فيما تأمروني ( والآخر ) أن ينتصب بتأمروني أي أتأمروني بعبادة غير الله فلما حذف أن ارتفع أعبد فصارت أن وصلتها في موضع نصب ولا يجوز انتصاب غير بأعبد على هذا لأنه في تقدير الصلة فلا يعمل فيما تقدَّم عليه فموضع أعبد وأن المضمرة نصب على

تقدير البدل من غير كأنه قال أبعبادة غير الله تأمروني إلا أن الجار حذف كما حذف من قوله ﴿ أمرتك الخير ﴾ وصار التقدير بعد الحذف أغير الله تأمروني عبادته فاضمر المفعول الثاني للأمر والمفعول الأول علامة المتكلم وأن أعبد بدل من غير ومثل هذا في البدل قوله ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ أي ما أنساني ذكره إلا الشيطان وأقول في بيانه وشرحه أن تقديره كان في الأصل أفبعبادة غير الله تأمرونني ثم حذف الجار الذي هو الباء فوصل الفعل فنصبه فصار أفبعبادة غير الله تأمرونني ثم حذف المضاف الذي هو عبادة وأقيم المضاف إليه الذي هو غير مقامه فصار أفغير الله تأمرونني ثم جعل أعبد الذي تقديره أن أعبده وهو في معنى عبادته بدلاً من غير الله وبياناً للمحذوف الذي هو عبادة في قوله أفبعبادة غير الله فصار مثل قوله تعالى ﴿ وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ ومن قال أن قوله ﴿ أعبد ﴾ في موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله وأما على الوجه الأول وهو أن يكون غير الله منصوباً بأعبد فإنه يكون تأمرني إعتراضاً بين العامل والمعمول. رجعنا إلى كلام أبي علي فأما تأمروني فالقياس تأمرونني ويدغم فيصير تأمروني وجاز الإدغام وإسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين وهو الواو في تأمرونني ومن خفَّف فقال تأمروني ينبغي أن يكون حذف النون الثانية المصاحبة لعلامة المنصوب المتكلم لأنها قد حذفت في مواضع نحو « يَسُوءُ الفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي »[١] وإني وكأني وقدي وقدني وإنّما قدَّرنا حذف الثانية لأن التكرير والتثقيل به وقع ولأن حذف الأولى لحن لأنها دلالة الرفع وعلى هذا يحمل قول الشاعر :

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنِّي مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي

وفتح الياء من تأمروني وإسكانها جميعاً سائغ حسن .

[ **المعنى** ] لمّا أخبر الله سبحانه عن حال الكفار عقَّبه بذكر حال الأتقياء الأبرار فقال ﴿ **وينجّي الله الذين اتقوا** ﴾ معاصيه خوفاً من عقابه ﴿ **بمفازتهم** ﴾ أي بمنجاتهم من النار وأصل المفازة المنجاة وبذلك سمّيت المفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها كما سمّوا اللدّيغ[٢] سليماً ﴿ **لا يمسّهم السوء** ﴾ أي لا يصيبهم المكروه والشدة ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ على ما فاتهم من لذات الدنيا ولما ذكر الوعد والوعيد بيَّن سبحانه أنه القادر على كل شيء بقوله ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ أي محدث كل شيء ومبدعه ﴿ **وهو على كل شيء وكيل** ﴾

(١) هذا عجز بيت من قصيدة لعمرو بن معد يكرب يصف فيها الشيب وقبله « نراه كالثغام يعل مسكاً » وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب أيضاً مراراً .

(٢) اللديغ : الذي لسعته الحية أو العقرب .

أي حافظ مدبّر ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ واحدها مقليد ومقلاد يريد مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة عن ابن عباس وقتادة وقيل خزائن السماوات والأرض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء عن الضحاك ﴿ **والذين كفروا بآيات الله أُولئك هم الخاسرون** ﴾ لأنهم يخسرون الجنة ونعيمها ويصلون النار وسعيرها ثم أعلم سبحانه أنه المعبود لا معبود سواه بقوله ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **أفغير الله تأمرونّي أعبد** ﴾ أي أتأمرونني أن أعبد غير الله ﴿ **أيها الجاهلون** ﴾ فيما تأمرونني به إذ تأمرون بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضرّ ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ **ولقد أوحي إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **وإلى الذين من قبلك** ﴾ من الأنبياء والرسل ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ قال ابن عباس هذا أدب من الله تعالى لنبيه ﷺ وتهديد لغيره لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار[1] وليس في هذا ما يدل على صحة القول بالإحباط على ما يذهب إليه أهل الوعيد لأن المعنى فيه أن من أشرك في عبادة الله غيره من الأصنام وغيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به ولذلك وصفها بأنها محبطة إذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال ﴿ **بل الله فاعبد** ﴾ أي وجّه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾ الذين يشكرون الله على نعمه ويخلصون العبادة له قال الزجاج الله منصوب بقوله ﴿ **فاعبد** ﴾ في قول البصريين والكوفيين والفاء جاءت على معنى المجازاة والمعنى قد تبينت فاعبد الله .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ

(١) وقد ورد في روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين أن القرآن نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة. وفي حديث ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبد الله (ع) قال: ما عاتب الله نبيه فهو يعني به كان فهذه الآية وأمثالها من باب « إياك أعني واسمعي يا جارة » خوطب به النبي صلى الله عليه وآله لكن المراد به الأمة .

وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

[ **الإعراب** ] جميعاً نصب على الحال والعامل فيه محذوف وتقديره والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته فإذا ظرف زمان والعامل فيه قبضته وكان هاهنا تامة إذ لو كانت ناقصة لكان جميعاً خبرها ولم يجز أن يكون حالاً وهذا كما قالوا في أخطب ما يكون الأمير قائماً أن التقدير إذا كان قائماً أو إذ كان قائماً وهذا بسرا أطيب منه تمراً أن التقدير هذا إذا كان بسراً أطيب منه إذا كان تمراً ومثله قول الشاعر :

إِذَا الْمَـرْءُ أَعْيَتْـهُ الْمُـرُوَّةَ نَـاشِئـاً ... فَمَـطْلَبُهـا كَهْـلاً عَلَيْـهِ شَـدِيـدُ(١)

أي إذا كان كهلاً والمعنى والأرض في حال إجتماعها قبضته قال الإمام النحوي البصير قال أبو علي في الحجة إن التقدير والأرض ذات قبضته إذا كانت مجتمعة وقال في الحلبيات التقدير والأرض مقبوضة إذا كانت مجتمعة وقال فعلى التقدير الذي في الحجة لا يتأتى أعمال قبضته في إذا لأنه قدره ذات قبضته والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف وعلى التقدير في الحلبيات يتأتى أعمال قبضته في إذا لأنه بمعنى مفعول وأقول أن المضاف إليه إذا أقيم مقام المضاف بعد أن حذف المضاف جاز أن يعمل عمل المضاف كما أعرب بإعرابه فارتفع بعد أن كان مجروراً في الأصل فلما جاز أن يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه أن يعمل فيما قبله كما إكتسى إعرابه وكيف يجوز أن يستتم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل أبي علي مع أنه يشق الشعر في هذا الفن .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن أحوالهم فقال ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ أي ما عظَّموا الله حق عظمته إذ عبدوا غيره وأمروا نبيَّه بعبادة غيره عن الحسن والسدي قال المبرد وأصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته والقدر إختصاص الشيء بعظم أو صغر أو مساواة وقيل معناه وما وصفوا الله حق وصفه إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنه خلق الخلق عبثاً وأنه عاجز عن الإعادة والبعث ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ والقبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفِّك أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفّه فيكون في قبضته وهذا تفهيم لنا على عادة

(١) الشعر في جامع الشواهد .

التخاطب فيما بيننا لأنا نقول هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه وكذا قوله ﴿ **والسماوات مطويات بيمينه** ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيّه بيمينه وذكر اليمين للمبالغة في الإقتدار والتحقيق للملك كما قال ﴿ **أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ أي ما كانت تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال وسائر الجسد وقيل معناه أنه محفوظات مصونات بقوته واليمين القوة كما في قول الشاعر :

إذا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ[1]

ثم نزَّه سبحانه نفسه عن شركهم فقال ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ أي عما يضيفونه إليه من الشبيه والمثل ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل ووجه الحكمة في ذلك أنها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبَّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ولا تتصوره النفوس بأحسن من هذه الطريقة وقيل أن الصور جمع صورة فكأنه نفخ في صورة الخلق عن قتادة وروي عنه أنه قرأ في الصُوَر بفتح الواو ﴿ **فصعق من في السماوات ومن في الأرض** ﴾ أي يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات والأرض يقال صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة ﴿ **إلا من شاء الله** ﴾ إختلف في المستثنى فقيل هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عن السدي وهو المروي عن حديث مرفوع وقيل هم الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عن سعيد بن جبير وعطا عن ابن عباس وأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبرائيل عن هذه الآية من الذي لم يشأ الله أن يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش ﴿ **ثم نفخ فيه أخرى** ﴾ يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية وقال قتادة في حديث رفعه أن ما بين النفختين أربعين سنة وقيل إن الله تعالى يفني الأجسام كلها بعد الصعق وموت الخلق ثم يعيدها وقوله ﴿ **فإذا هم قيام** ﴾ أخبار عن سرعة إيجادهم لأنه سبحانه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم ﴿ **أحياء ينظرون** ﴾ أي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها** ﴾ أي أضاءت الأرض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور الأرض بالعدل كما أن نور العلم بالعمل عن الحسن والسدي وقيل بنور يخلقه ا لله عز وجل يضيء به أرض القيامة من غير شمس ولا قمر ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ أي كتب الأعمال التي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في

(١) قائله شماخ ونسبه الجوهري إلى الحطيئة وعرابة : اسم رجل من الأنصار وقد مر البيت أيضاً .

أيديهم ليقرؤا منها أعمالهم والكتاب اسم جنس فيؤدّي معنى الجمع أي يوضع كتاب كل إنسان في يمينه أو شماله ﴿ **وجيىء بالنبيين والشهداء** ﴾ أي يعطى بهم والشهداء هم الذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا وإن الأمم قد كذبوا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم الذين إستشهدوا في سبيل الله عن السدي وقيل هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا عن الجبائي وأبي مسلم وهذا كما جرت العادة بأن القضاء يكون بمشهد الشهداء والعدول وقيل هم الحفظة من الملائكة ويدل عليه قوله ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ وقيل هم جميع الشهداء من الجوارح والمكان والزمان ﴿ **وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون** ﴾ أي يفصل بينهم بمرِّ الحق لا ينقص أحد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب ﴿ **ووفيت كل نفس ما عملت** ﴾ أي يعطي كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الوفاء والكمال دون النقصان ﴿ **وهو أعلم بما يفعلون** ﴾ أي والله سبحانه أعلم من كل أحد بما يفعلونه من طاعة أو معصية ولم يأمر الملائكة بكتبة الأعمال لحاجة إلى ذلك بل لزيادة تأكيد وليعلموا أنه يجازيهم بحسب ما عملوا .

[ **النظم** ] إتصل قوله ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ بقوله ﴿ **وما قدروا الله حقَّ قدره** ﴾ أي ما عظَّموه حقَّ عظمته إذ عبدوا معه غيره مع اقتداره على السماوات والأرض .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ
أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ
لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ
زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ
فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ
الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف فيهما والباقون بالتشديد .

[ **الحجة** ] حجة التشديد قوله ﴿ **مفتَّحة لهم الأبواب** ﴾ وإن التشديد يختص بالكثرة ووجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل والكثير .

[ **اللغة** ] السوق الحثّ على السير ومنه قولهم الكلام يجري على سياقة واحدة ومنه السوق لأن المعاملة تساق فيها بالبيع والشراء والزمر جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت كصوت المزمار ومنه مزامير داود وهي أصوات كانت له مستحسنة قال :

لَـهُ زَجَـلٌ كَـأَنَّـهُ صَـوْتُ حَـادٍ     إذا طَلَبَ الْـوَسِيقَـةَ أَوْ زَمِيـرُ(١)

وقال أبو عبيدة هم جماعات في تفرقة بعضهم في أثر بعض وحفَّ القوم بفلان إذا أطافوا به وأحدقوا به والحفافان الجانبان قال المبرد الواو في قوله ﴿ **حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها** ﴾ زائدة وكان ينكر قول من يقول هي واو الثمانية وأنشد لأمرء القيس :

فَلَمَّـا أَجَزْنَـا سَـاحَـةَ الْحَيَّ وَانْتَحىٰ     بِنَـا بَـطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَـافٍ عَقَنْقَـلِ(٢)

قال والمعنى فلما أجزنا ساحة الحي إنتحى بنا قال علي بن عيسى إنما جيىء بهذه

(١) الزجل : رفع الصوت والطرب . والحادي : الذي يحدو وللإبل والوسيقة من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معاً .

(٢) البيت من المعلقات والانتحاء بمعنى القصد أو بمعنى الاعتماد على الشيء أو بمعنى الإعتراض والكل محتمل في المقام والخبت : الأرض المطئنة وذي حقاف أي ذات رمل والعقنقل : الرمل المنعقد المتلبد وفي أن جواب لما قوله ﴿ انتحى ﴾ أو هو محذوف تقديره فلما أجزنا وانتحى بنا بطن خبت أمنا أو طابت حالنا ورق عيشنا أو نحو ذلك خلاف ذكره الزوزني في شرح المعلقات وهنا قول ثالث وهو أن جواب لما « هصرت » في بيت بعده على رواية المشهور ذكره في هامش المعلقات العشر: ٦٧ فراجع .

الواو تارة وحذفت أخرى للتصرف في الكلام وجواب إذا في صفة أهل الجنة محذوف وتقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وكانوا كيت وكيت فازوا ونالوا المنى وما أشبه ذلك وهذا معنى قول الخليل لأنه قال في بيت امرء القيس الجواب محذوف والتقدير فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا خلونا ونعمنا ومثله قول بعض الهذليين

حَتّى إذا سَلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ ... شَلاًّ كَما تَطْرُدُ الْجَمّالَةُ الشُّرُدا(١)

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة وتحقيقه إن التقدير حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها فالواو واو حال وجواب إذا مضمر كما أضمر في قوله ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت** ﴾ إلى قوله ﴿ **ثم تاب عليهم** ﴾ والتقدير قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن قسمة أحوال الخلائق في المحشر بعد فصل القضاء فقال ﴿ **وسيق الذين كفروا** ﴾ أي يساقون سوقاً في عنف ﴿ **إلى جهنم زمراً** ﴾ أي فوجاً بعد فوج وزمرة بعد زمرة ﴿ **حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها** ﴾ أي حتى إذا إنتهوا إلى جهنم فتحت أبواب جهنم عند مجيئهم إليها وهي سبعة أبواب ﴿ **وقال لهم خزنتها** ﴾ الموكلون بها على وجه التهجين لفعلهم والإنكار عليهم ﴿ **ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ أي من أمثالكم من البشر ﴿ **يتلون عليكم** ﴾ يقرؤون عليكم حجج ربكم وما يدلّكم على معرفته ووجوب عبادته ﴿ **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ أي ويخوّفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه ﴿ **قالوا** ﴾ أي قال الكفار لهم ﴿ **بلى** ﴾ قد جاءتنا رسل ربنا وخوَّفونا بآيات الله ﴿ **ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين** ﴾ أي وجب العقاب على من كفر بالله تعالى لأنه أخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه فلم يكن شيء يقع منه خلاف ما علمه وأخبر به فصار كوننا في جهنم موافقاً لما أخبر به تعالى ولما علمه ﴿ **قيل أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها** ﴾ أي فيقول عند ذلك خزنة جهنم وهم الملائكة الموكلون أدخلوا أبواب جهنم مؤبّدين لا آخر لعقابكم ﴿ **فبئس مثوى المتكبرين** ﴾ أي بئس موضع إقامة المتكبّرين عن الحق وقبوله جهنم ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً** ﴾ أي يساقون مكرمين زمرة بعد زمرة كقوله ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً** ﴾ وإنما ذكر السوق على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم كلفظ البشارة في قوله فبشّرهم بعذاب أليم وإنما البشارة هي الخبر السار ﴿ **حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها** ﴾ أي وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم وأبواب الجنة ثمانية

(١) مضى البيت في المجلد الثالث .

وعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال أنّ في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها إلا الصائمون رواه البخاري ومسلم في الصحيحين ﴿ **وقال لهم خزنتها** ﴾ عند استقبالهم ﴿ **سلام عليكم** ﴾ أي سلامة من الله عليكم يحيّونهم بالسلامة ليزدادوا بذلك سروراً وقيل هو دعاء لهم بالسلامة والخلود أي سلمتم من الآفات ﴿ **طبتم** ﴾ أي طبتم بالعمل الصالح في الدنيا وطابت أعمالكم الصالحة وزكت وقيل معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة وقيل أنهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم عن قتادة وقيل طبتم أي طاب لكم المقام عن ابن عباس وقيل إنهم إذا قربوا من الجنة يردّون على عين من الماء فيغتسلون بها ويشربون منها فيطهّر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث وأذى ولا تتغيّر ألوانهم فتقول الملائكة ﴿ **طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ أي فادخلوا الجنة خالدين مخلدين مؤبّدين ﴿**وقالوا**﴾ أي ويقول أهل الجنة إذا دخلوها اعترافاً بنعم الله تعالى عليهم ﴿ **الحمد لله الذي صدقنا وعده** ﴾ الذي وعدناه على ألسنة الرسل ﴿ **وأورثنا الأرض** ﴾ أي أرض الجنة لما صارت الجنة عاقبة أمرهم عبَّر عن ذلك بلفظ الميراث والإيراث وقيل لأنهم ورثوها عن أهل النار ﴿ **نتبوء من الجنة** ﴾ أي نتّخذ من لجنة مبوّأ ومأوى ﴿ **حيث نشاء** ﴾ وهذا إشارة إلى كثرة قصورهم ومنازلهم وسعة نعمتهم ﴿ **فنعم أجر العاملين** ﴾ أي فنعم ثواب المحسنين الجنة والنعيم فيها ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش** ﴾ معناه ومن عجائب أمور الآخرة إنك ترى الملائكة محدقين بالعرش عن قتادة والسدي يطوفون حوله ﴿ **يسبّحون بحمد ربهم** ﴾ أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحّدون الجنة وقيل أن تسبيحهم في ذلك الوقت على سبيل التلذذ والتنعم لا على وجه التعبد إذ ليس هناك تكليف وقد عظَّم الله سبحانه أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له سبحانه ومسبّحين كما أن السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم وقعد على سريره وأقام جنده حوله تعظيماً لأمره وإن إستحال كونه عز وجل على العرش إذ ليس بصفة الجواهر والأجسام والجلوس على العرش من صفات الأجسام ﴿ **وقضي بينهم بالحق** ﴾ أي وفصّل بين الخلائق بالعدل وقيل بين الأنبياء والأمم وقيل بين أهل الجنة والنار ﴿ **وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ من كلام أهل الجنة يقولون ذلك شكراً لله على نعمه التامة وقيل أنه من كلام الله تعالى فقال في ابتداء الخلق الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وقال بعد إفناء الخلق ثم بعد بعثهم واستقرار أهل الجنة في الجنة الحمد لله رب العالمين فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد .

# (٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَمَانُونَ

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة ﴿أن الذين يجادلون في آيات الله﴾ إلى قوله ﴿ لا يعلمون ﴾ وقال الحسن إلا قوله ﴿ وسبّح بحمد ربـك بالعشي والابكـار ﴾ يعني بذلك صلاة الفجر وصلاة المغرب وقد ثبت أن فرض الصلاة نزل بالمدينة .

[ **عدد آيها** ] خمس وثمانون آية كوفي شامي وأربع حجازي آيتان بصري .

[ **إختلافها** ] تسع آيات حم كوفي كاظمين غير الكوفي يوم التلاق غير الشامي بارزون شـامي بني إسرائيـل الكتاب مكي كـوفي والمدني الأول والبصيـر شامي والمـدني الأخيـر يسبحون كوفي شامي والمدني الأخير كنتم تشكرون كوفي شامي .

[ **فضلها** ] فضل الحواميم عموماً وفضلها خصوصاً أبو بريـرة الأسلمي عن رسول الله ﷺ قال من أحبَّ أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلاة الليل أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الحواميم ديباج القرآن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم. ابن مسعود قال إذا وقعتُ في آل حم[١] وقعتُ في روضات دَمِثاتٍ[٢] أتأنَّقُ فيهنَّ أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قـال من قرأ سـورة حمّ المؤمن من لم يبق روح نبيّ ولا صديق ولا مؤمن إلا صلّوا عليه واستغفروا له. وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع ) قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها وإن العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر والعنبر وإن الله ليرحم تاليها وقارءها ويرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه وكل حميم أو قريب له وأنه في القيامة يستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقرّبون. وروى

(١) آل حم: السور التي أولها حم أو يراد نفس حم والظاهر أن المراد هنا هو الأول .

(٢) دمثات جمع دمثة: السهلة اللينة وأتأنق فيهن: أي أعجب بهن واستلذ بقراءتهن وأتتبع محاسنهن قاله الجزري في النهاية .

أبو الصباح عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ حم المؤمن في كل ثلاث غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر وألزمه التقوى وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة والجنة والنار إفتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا حماداً ويحيى عن أبي بكر حم بإمالة الألف والباقون بالفتح بغير إمالة وهما لغتان فصيحتان .

[ **اللغة** ] من جعل حم إسماً للسورة يؤيّده قول شريح بن أوفى العجلي :

يُذكِّرُني حَامِيمَ وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلا حم قَبْلَ التَّقَدُّمِ (١)

فجعله اسما معرباً وقول الكميت.

(١) هذا البيت من قصيدة قالها شريح في وقعة جمل بعد قتله محمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف بالسجاد لكثرة صلوته وجده في العبادة وكان هواه مع علي بن أبي طالب ( ع ) ولكنه أطاع أباه طلحة قيل أن أباه أمره بالقتال وكان كارهاً فتقدم ونثل درعه بين رجليه وقام عليها وجعل كلما حمل عليه رجل قال ناشدتك بحاميم فحمل عليه شريح وشد به فأنشده بحاميم أن لا يقتله ولم يعتد شريح بذلك وقتله وقيل: قتله غيره وأول هذه القصيد قوله

ألا ليت شعري هل أشنن غارة على ابن كدام أو سويد بن أصرم =

وَجَـدْنَـا لَـكُـمْ فِـي آلِ حَـمٓ آيَـةً تَـأَوَّلَـهـا مِـنّـا تَـقِـيٌّ وَمُـعْـرِبُ(١)

والعزيز القادر الغالب الذي لا يغالب المنيع بقدرته على غيره ولا يقدر عليه غيره والتوب يجوز أن يكون جمع توبة كدوم ودومة ويجوز أن يكون مصدر تاب يتوب توباً. والطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذي فيه إفضال على صاحبه ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلاً .

[ الإعراب ] إذا قدّرت أتل حَم فموضعه نصب وقيل موضعه جرّ بالقسم وقد يجوز أن يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا حَم وقد فتح الميم علي بن عيسى بن عمر جعله إسماً للسورة فنصبه ولم ينوّن لأنه على وزن هابيل ويجوز أن يكون فتحه لِالتقاء الساكنين والقراء على تسكين الميم وإذا كان من حروف التهجي فلا يدخلها الإعراب وتنزيل خبر مبتدأ محذوف. غافر الذنب جرّ بأنه صفة بعد صفة ومعناه أن من شأنه غفران الذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان صفة المعرفة وكذلك قابل التوب ولو جعلته بدلاً كانت لمعرفة والنكرة سواء.

[ المعنى ] ﴿ حَم ﴾ قد مضى ذكر الأقوال فيه وقيل أقسم الله بحلمه وملكه لا يعذّب من عاذ به وقال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه عن القرظي وقيل هو إفتتاح أسمائه حليم حميد حكيم حيّ حنان ملك مجيد مبدىء معيد عن عطاء الخراساني وقيل معناه حَم أي قضي ما هو كائن عن الكلبي ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أي هذا تنزيل الكتاب ﴿ من الله ﴾ الذي يحقُّ له العبادة ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ الكثير العلوم ﴿ غافر الذنب ﴾ لمن يقول لا إله إلا الله وهم أولياؤه وأهل طاعته والذنب إسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى وفيما يستقبل ﴿ وقابل التوبة ﴾ يقبل توبة من تاب إليه من المعاصي بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاص تقدّمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح قال الفراء معناهما ذي الغفران وذي قبول التوبة ولذلك صار نعتاً

---

= وقبل البيت المستشهد به قوله:

ضممت إليه بالسنان قميصه فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير ذنب غير أن ليس تابعاً علياً ومن لا يتبع الحق يندم

وشجر فلان بالرمح: طعنه به. ويروى « الرمح دونه ».

(١) كأنه أراد من الآية قوله تعالى: ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، الشورى: ٢٣ ﴾ وقوله « تقي ومعرب » يعني الساكت عنه للتقية والمفصح بالتفضيل.

للمعرفة ﴿ **شديد العقاب** ﴾ أي شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله ﴿**غافر الذنب**﴾ لئلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء والخوف ﴿ **ذي الطول** ﴾ أي ذي النعم على عباده عن ابن عباس وقيل ذي الغنى والسعة عن مجاهد وقيل ذي التفضل على المؤمنين عن الحسن وقتادة وقيل ذي القدرة والسعة عن ابن زيد والسدي وروي عن ابن عباس أنه قال غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله قابل التوب عمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا إاله إلا الله ذي الطول ذي الغنى عمن لم يقل لا إله إلا الله وقيل أنه إنما ذكر ذي الطول عقيب قوله ﴿ **شديد العقاب** ﴾ ليعلم أن العاصي أتي في هلاكه من قبل نفسه لا من قبل ربه وإلا فنعمه سابغة عليه دنيا ودينا ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره ولا يستحقّ العبادة سواه ﴿ **إليه المصير** ﴾ أي المرجع للجزاء والمعنى أن الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع والضرّ والأمر والنهي غيره تعالى وهو يوم القيامة ﴿ **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا** ﴾ أي لا يخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجحدها إلا الذين كفروا بالله وآياته وجحدوا نعمه ودلالاته ﴿ **فلا يغررك** ﴾ يا محمد ﴿ **تقلبهم في البلاد** ﴾ أي تصرفهم في البلاد للتجارات سالمين أصحّاء بعد كفرهم فإن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم وإنما يمهلهم لأنهم في سلطانه ولا يفوتونه ولا يهملهم وفي هذا غاية التهديد ثم بيَّن أن عاقبتهم الهلاك كعاقبة من قبلهم من الكفار فقال ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح** ﴾ يعني رسولهم نوحاً ﴿ **والأحزاب من بعدهم** ﴾ وهم الذين تحزَّبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود ومن بعدهم ﴿ **وهمَّت كل أمة** ﴾ منهم ﴿ **برسولهم** ﴾ أي قصدوه ﴿ **ليأخذوه** ﴾ أي ليقتلوه ويهلكوه عن ابن عباس وإنما قال برسولهم ولم يقل برسولها لأن المراد الرجال ﴿ **وجادلوا بالباطل** ﴾ أي خاصموا رسلهم بأن قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وهلا أرسل الله إلينا ملائكة وبأمثال هذا من القول ﴿ **ليدحضوا به الحق** ﴾ الذي بيَّنه الله تعالى وجاءت به رسله أي ليبطلوه ويزيلوه يقال أدحض الله حجته أي أزالها ﴿ **فأخذتهم** ﴾ بالعقاب أي أهلكتهم ودمَّرت عليهم وعاقبتهم ﴿ **فكيف كان عقابي** ﴾ أي فانظر كيف كان عقابي لهم وهذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ

﴿ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وابن عامر كلمات ربك على الجمع والباقون كلمة ربك على التوحيد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الكلمة تقع مفردة على الكثرة فإذا كان كذلك استغني فيها عن الجمع كما تقول يعجبني قيامكم وقعودكم قال سبحانه لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً وقال أن أنكر الأصوات لصوت الحمير فأفرد الصوت مع الإضافة إلى الكثرة فكذلك الكلمة وقد قالوا قال قس في كلمته يعنون خطبته ومن جمع فلأن هذه الأشياء وإن كانت تدل على الكثرة قد تجمع إذا إختلف أجناسها .

[ **الإعراب** ] أنهم أصحاب النار يجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير بأنهم أو لأنهم ويجوز أن يكون رفعاً على البدل من « كلمة » ومن حوله معطوف على الذين يحملون العرش ورحمة وعلماً منصوبان على التمييز ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم في وادخلهم أي وادخل من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم الجنة أيضاً ويجوز أن يكون عطفاً على الهاء والميم في وعدتهم أي وعدت من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وقوله ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم** ﴾ إذ تدعون لا يجوز أن يكون إذ ظرفا لمقت الله لأن المصدر لا يجوز أن يحال بينه وبين معموله بالأجنبي ولا يجوز أن يكون ظرفا للمقت الثاني في قوله من مقتكم أنفسكم لأن الدعاء إلى الإيمان

كان في الدنيا ومقتهم أنفسهم يكون في الآخرة ولا يجوز أن يكون ظرفاً لتدعون لأن تدعون في موضع جرّ بالإضافة والمضاف إليه لا يجوز أن يعمل في المضاف فالوجه أن يتعلق الظرف بفعل مضمر دلَّت عليه الجملة تقديره مقتم إذ تدعون أو يتعلق بالمقت الثاني على تقدير تسمية الشيء بما يؤول إليه .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **وكذلك** ﴾ أي ومثل ما حق على الأمم المكذبة من العقاب ﴿ **حقت كلمة ربك** ﴾ أي العذاب ﴿ **على الذين كفروا** ﴾ من قومك أي أصرّوا على كفرهم ﴿ **إنهم** ﴾ أي لأنهم أو بأنهم ﴿ **أصحاب النار** ﴾ عن الأخفش ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين وأنه تستغفر لهم الملائكة مع عظم منزلتهم عند الله تعالى فحالهم بخلاف أحوال من تقدَّم ذكرهم من الكفار فقال ﴿ **الذين يحملون العرش** ﴾ عبادة لله وامتثالاً لأمره ﴿ **ومن حوله** ﴾ يعني الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيّون وسادة الملائكة ﴿ **يسبّحون بحمد ربهم** ﴾ أي ينزّهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون وقيل يسبّحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على إنعامه ﴿ **ويؤمنون به** ﴾ أي ويصدّقون به ويعترفون بوحدانيته ﴿ **ويستغفرون** ﴾ أي ويسألون الله المغفرة ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ من أهل الأرض أي صدّقوا بوحدانية الله واعترفوا بإلهيته وبما يجب الإعتراف به يقولون في دعائهم لهم ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً** ﴾ أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء والمراد بالعلم المعلوم كما في قوله ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه** ﴾ أي بشيء من معلومه على التفصيل فجعل العلم في موضع المعلوم والمعنى أنه لا اختصاص لمعلوماتك بل أنت عالم بكل معلوم ولا تختص رحمتك حيّاً دون حيّ بل شملت جميع الحيوانات وفي هذا تعليم الدعاء ليبدأ بالثناء عليه قبل السؤال ﴿ **فاغفر للذين تابوا** ﴾ من الشرك والمعاصي ﴿ **واتبعوا سبيلك** ﴾ الذي دعوت إليه عبادك وهو دين الإسلام ﴿ **وقهم** ﴾ أي وادفع عنهم ﴿ **عذاب الجحيم** ﴾ وفي هذه الآية دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله تعالى إذ لو كان واجباً لكان لا يحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محالة ﴿ **ربنا وادخلهم** ﴾ مع قبول توبتهم ووقايتهم النار ﴿ **جنات عدن التي وعدتهم** ﴾ على ألسن أنبيائك ﴿ **ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم** ﴾ ليكمل أنسهم ويتمّ سرورهم ﴿ **إنك أنت العزيز** ﴾ القادر على من يشاء ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعالك ﴿ **وقهم السيئات** ﴾ أي وقهم عذاب السيئات ويجوز أن يكون العذاب هو السيئات وسمّاه السيئات إتّساعاً كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ **ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته** ﴾ أي ومن تصرف عنه شرّ معاصيه فتفضّلت عليه يوم القيامة

بإسقاط عذابها فقد أنعمت عليه ﴿ **وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ أي الظفر بالبغية والفلاح العظيم ثم عاد الكلام إلى من تقدَّم ذكرهم من الكفار فقال عزَّ اسمه ﴿ **إن الذين كفروا ينادون** ﴾ أي يناديهم الملائكة يوم القيامة ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون** ﴾ والمقت أشدّ العداوة والبغض والمعنى أنهم لما رأوا أعمالهم ونظروا في كتابهم وادخلوا النار مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم فنودوا لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل إنهم لما تركوا الإيمان وصاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت وهذا كما يقول أحدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالي بنفسك فمبالاتي بك أقل وليس يريد أنه لا يبالي بنفسه بل يريد أنه يفعل فعل من هو كذلك عن البلخي .

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا
بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ (١١) ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ
وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ
ٱلۡكَبِيرِ (١٢) هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣) فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (١٤) رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي
ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ (١٥)
يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ
لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (١٦) ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ
لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (١٧)

[ **القراءة** ] قرأ روح وزيد عن يعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] التاء على وجه الخطاب للنبي ﷺ وقراءة القراء بالياء على أن الضمير يعود إلى من يشاء من عباده .

[ **الإعراب** ] لمن الملك اليوم إنتصب اليوم لمدلول قوله ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ أي لمن ثبت الملك في هذا اليوم ويجوز أن يتعلق بنفس الملك وقال قوم أن الوقف على الملك حسن ويبتدىء اليوم لله الواحد القهار أي في هذا اليوم .

[ **المعنى** ] ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدَّم وصفهم بعد حصولهم في النار بأنهم قالوا ﴿**ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ اختلف في معناه على وجوه (أحدها) ان الإمانة الاولى في الدنيا بعد الحياة والثانية في القبر قبل البعث والاحياء الآتي في القبر للمسائلة والثانية في الحشر عن السدي وهو اختيار البلخي (وثانيها) ان الإماتة الاولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة الثانية ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان وموتتان ونظيره قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك واختاره ابو مسلم (وثالثها) ان الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر ولم يرد الحياة يوم القيامة والموتة الاولى في الدنيا والثانية في القبر عن الجبائي ﴿**فاعترفنا بذنوبنا**﴾ التي اقترفناها في الدنيا ﴿**فهل إلى خروج من سبيل**﴾ هذا تلطف منهم في الاستدعاء اي هل بعد الاعتراف سبيل الى الخروج وقيل انهم سألوا الرجوع إلى الدنيا اي هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك ولو علم الله سبحانه انهم يفلحون لردَّهم إلى حال التكليف ولذلك قال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه تنبيهاً على انهم لو صدقوا في ذلك لأجابهم إلى ما تمنّوه في الكلام حذف تقديره فأجيبوا بأنه لا سبيل لكم إلى الخروج ﴿**ذلكم**﴾ اي ذلكم العذاب الذي حلَّ بكم ﴿**بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم**﴾ اي إذا قيل لا إلّه إلا الله قلتم أجعل الآلهة إلّهاً واحداً وجحدتم ذلك ﴿**وان يشرك به تؤمنوا**﴾ اي وان يشرك به معبود آخر من الأصنام والأوثان تصدقوا ﴿**فالحكم لله**﴾ في ذلك والفصل بين الحق والباطل (العلي) القادر على كل شيء ليس فوقه من هو اقدر منه أو من يساويه في مقدوره ونقلت هذه اللفظة من علو المكان إلى علو الشأن ولذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوة وبالحجة وليس كذلك الرفعة ولذلك لا يوصف مكانه بأنه رفيع كما وصف بأنه علي ﴿**الكبير**﴾ العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره وقيل هوالسيد الجليل عن الجبائي ﴿**هو الذي يريكم آياته**﴾ أي مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وتوحيده من السماء والأرض والشمس والقمر ﴿**وينزل لكم من السماء رزقاً**﴾ من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق للخلق ﴿**وما**

**يتذكر﴾** أي وما يتّعظ بهذه الآيات وليس يتفكر في حقيقتها **﴿إلا من ينيب﴾** اي يرجع اليه وقيل إلا من يقبل إلى طاعة الله عن السدي ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال **﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾** اي وجّهوا عبادتكم اليه تعالى وحده **﴿ولو كره الكافرون﴾** فلا تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال **﴿رفيع الدرجات﴾** الرفيع بمعنى الرافع أي هو رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة عن عطا عن ابن عباس وقيل معناه رافع السماوات السبع عن سعيد بن جبير وقيل معناه انه عالي الصفات **﴿ذو العرش﴾** اي مالك العرش وخالقه وربه وقيل ذو الملك والعرش الملك عن ابي مسلم **﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾** وقيل الروح هوالقرآن وكل كتاب أنزله الله تعالى على نبيّ من انبيائه وقيل الروح الوحي هنا لأنه يحيي به القلب اي يلقي الوحي على قلب من يشاء ممن يراه أهلاً له يقال القيت عليه كذا أي فهمته اياه وقيل ان الروح جبرائيل (ع) يرسله الله تعالى بأمره عن الضحاك وقتادة وقيل ان الروح هاهنا النبوة عن السدي **﴿لينذر﴾** النبي بما اوحى اليه **﴿يوم التلاقي﴾** يلتقي في ذلك اليوم أهل السماء واهل الأرض عن قتادة والسدي وابن زيد وقيل فيه يلتقي الاولون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم عن الجبائي وقيل يلتقي الخلق والخالق عن ابن عباس يعني انه يحكم بينهم وقيل يلتقي المرء وعمله والكل مراد والله اعلم **﴿يوم هم بارزون﴾** من قبورهم وقيل يبرز بعضهم لبعض فلا يخفي على أحد حال غيره لأنه ينكشف ما يكون مستوراً **﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾** أي من اعمالهم واحوالهم ويقول الله في ذلك اليوم **﴿لمن الملك اليوم﴾** فيقرّ المؤمنون والكافرون بأنه **﴿لله الواحد القهار﴾** وقيل انه سبحانه هو القائل لذلك وهو المجيب لنفسه ويكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين قال محمد بن كعب القرظي يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلها ثم يجيب نفسه لأنه بقي وحده والاول اصح لأنه بيّن انه يقول ذلك يوم التلاقي يوم يبرز العباد من قبورهم وإنما خصَّ ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنه قد ملك العباد بعض الأمور في الدنيا ولا يملك احد شيئاً ذلك اليوم فإن قيل أليس يملك الأنبياء والمؤمنون في الآخرة الملك العظيم فالجواب ان احداً لا يستحق اطلاق الصفة بالملك إلا الله لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك وقيل ان المراد به يوم القيامة قبل تمليك اهل الجنة ما يملكهم **﴿اليوم تجزى كل نفس بماكسبت﴾** يجزي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته وفي الحديث ان الله تعالى يقول انا الملك انا الديان لا ينبغي لأحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا لأحد من اهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منه ثم تلا هذه الآية **﴿لا ظلم اليوم﴾** اي لا ظلم لأحد على أحد ولا ينقص من ثواب أحد ولا يزاد في عقاب أحد **﴿ان الله سريع الحساب﴾**

لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره .

[ **النظم** ] اتصل قوله ربنا امتنا اثنتين بما تقدَّم من ذكر انكار الكفار البعث فعقَّبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك يوم القيامة وأيضاً فإنه سبحانه لما ذكر مقتهم انفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده سؤالهم الرجعة إلى الدنيا وإنما اتصل قوله فاعترفنا بذنوبنا بما تقدَّم من اقرارهم بصفة الرب سبحانه فكأنهم قالوا اعترفنا بك ربنا فإنك أمتنا وأحييتنا ومع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا واتصل قوله هو الذي يريكم آياته بقوله العلي الكبير اي ومن هذه صفاته يريكم آياته واتصل قوله رفيع الدرجات بقوله هو الذي يريكم آياته اي وهو الرفيع الدرجات وقيل انه لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات . .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وهشام عن ابن عامر والذين تدعون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] من قرأ بالتاء فعلى الخطاب والتقدير قل لهم يا محمد ومن قرأ بالياء جعل الاخبار عن الغائب.

[ **الحجة** ] الآزفة الدانية من قولهم أزف الأمر إذا دنا وقته قال النابغة . .

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ[1]

---

(١) هذا البيت من قصيدة يصف فيها المتجردة امرأة النعمان في قضية ذكرها في مقدمة المعلقات العشر : ٥٧ وقبل هذا البيت قوله: «لا مرحباً بغدولا أهلاله * ان كان تفريق الاحبة في غد» يقول: «رب ارتحالنا غير « وكأنها قد زالت» وفي شواهد الاشموني وجامع الشواهد «أفد» مكان «ازف» وهو بمعناه ايضاً.

والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم والكاظم الممسك على ما في قلبه يقال كظم غيظه إذا تجرعه واصل الكظم للبعير على جرته يردها في حلقه .

[ الاعراب ] قال الزجاج كاظمين منصوب على الحال والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمون وإنما الكاظمون اصحاب القلوب والمعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم وهو حال من الضمير في لدى ومعناه متوقفين عن كل شيء إلا عما دفعت اليه من فكرها فيه ونسبة الكظم الى القلب كنسبة الكتابة إلى الأيدي في قوله كتبت ايديهم وإنما ذلك للجملة . يطاع جملة في موضع جرّ بكونها صفة شفيع اي ولا من شفيع يطاع .

[ المعنى ] ثم امر سبحانه نبيّه ﷺ ان يخوّف المكلفين يوم القيامة فقال ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ اي الدانية وهو يوم القيامة لأن كل ما هو آت دان قريب وقيل يوم دنوّ المجازاة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وذلك انها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة ومثله قوله وبلغت القلوب الحناجر ﴿كاظمين﴾ اي مغمومين مكروبين ممتلئين عما قد اطبقوا افواههم على قلوبهم من شدة الخوف ﴿ما للظالمين من حميم﴾ يريد ما للمشركين والمنافقين من قريب ينفعهم ﴿ولا شفيع يطاع﴾ فيهم فتقبل شفاعته عن ابن عباس ومقاتل ﴿يعلم خائنة الاعين﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحلّ النظر اليه عن مجاهد وقتادة والخائنة مصدر مثل الخيانة كما ان الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل ان تقديره يعلم الاعين الخائنة عن مؤرج وقيل هو الرمز بالعين عن السدي وقيل هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأيت وما رأى عن الضحاك ﴿وما تخفي الصدور﴾ ويعلم ما تضمره الصدور وفي الخبر ان النظرة الاولى لك والثانية عليك فعلى هذا تكون الثانية محرّمة فهي المراد بخائنة الاعين ﴿والله يقضي بالحق﴾ اي يفصل بين الخلائق بالحق فيوصل كل ذي حقّ إلى حقّه ﴿والذين يدعون من دونه﴾ من الاصنام ﴿لا يقضون بشيء﴾ لأنها جماد ﴿ان الله هو السميع البصير﴾ اي الذي يجب ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وهاتان الصفتان في الحقيقة ترجعان إلى كونه حيّاً لا آفة به وقال قوم معناهما العالم بالمسموعات والعالم بالمبصرات والاول هوالصحيح .

﴿ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا
فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ

كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت
تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم
بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوٓا أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا
نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر اشدّ منكم بالكاف والميم والباقون منهم بالهاء والميم .

[ **الحجة** ] قال ابـو علي من قال منهم فـأتى بلفظ الغيبَة فـلأنَّ ما قبله لـو لم يسيروا فينظروا ومنّ قال منكم فلإنصرافه من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله .

[ **المعنى** ] ثم نبهَّهم سبحانه على النظر بقوله **﴿أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾** من المكذِّبين من الأمم لرسلهم **﴿كـانوا هم اشـدّ منهم قوة﴾** في انفسهم **﴿وآثاراً في الأرض﴾** أي واكثر عمارة للأبنية العجيبة وقيل وأبعد ذهاباً في الأرض لطلب الدنيا **﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾** اي أهلكهم الله بسبب ذنوبهم **﴿وما كان لهم من الله من واق﴾** أي دافع يدفع عنهم عذابه ويمنع من نزوله بهم **﴿ذلك﴾** لعذاب الذي نزل بهم **﴿بأنهم كانت تـأتيهم رسلهم بالبينـات﴾** أي بالمعجـزات الباهـرات والدلالات الـظاهرات **﴿فكفروا﴾** بها **﴿فأخذهم الله﴾** أي أهلكهم عقوبة على كفرهم **﴿انه قوّي﴾** قادر على الانتقام منهم **﴿شديد العقاب﴾** أي شديد عقابه ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا بها فقال **﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا﴾** أي بعثناه بحججنا ودلالاتنا **﴿وسلطان مبين﴾** أي حجـة ظاهـرة نحو قلب العصا حيَّة وفلق البحر **﴿إلى فرعون وهامان وقارون﴾** كان موسى رسولاً إلى كافتهم إلا انه خصَّ فرعون لأنه كان رئيسهم وكان هامان وزيره وقارون صاحب كنوزه والباقون تبع لهم

وإنما عطف وبالسلطان على الآيات لاختلاف اللفظين تأكيداً وقيل المراد بالآيات حجج التوحيد والعدل وبالسطان المعجزات الدالة على نبوته ﴿فقالوا ساحر﴾ اي مموّه ﴿كذّاب﴾ فيما يدعو اليه ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ اي فلما اتاهم موسى بالتوحيد والدلالات عليه من عندنا وقيل المراد بالدين الحق ﴿قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ اي امروا بقتل الذكور من قوم موسى لئلا يكثر قومه ولا يتقوى بهم وباستبقاء نسائهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الأول لأنه امر بالقتل الأول لئلا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثم ترك ذلك فلما ظهر موسى عاد إلى تلك العادة فمنعهم الله عنه بإرسال الدم والضفادع والطوفان والجراد كما مضى ذكر ذلك ثم اخبر سبحانه انّ ما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه بقوله ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ أي في ذهاب عن الحق لا ينتفعون به.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ
أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ
فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم
مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ
وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ
وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ
فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ
مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل المدينة وأبو عمرو وان يُظهِر بغير الف قبل الواو ويظهر بضم الياء وكسر الهاء الفساد بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وان يَظْهَر بفتح الياء الفسَادُ بالرفع وقرأ حفص ويعقوب أو ان يُظهر بضم الياء الفسادَ بالنصب والباقون او ان يَظهر بفتح الياء الفسادُ بالرفع وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو وإسماعيل عن نافع وأبو جعفر عذت هنا وفي الدخان بإدغام الذال في التاء وكذلك قوله فنبذتها حيث كان والباقون بالاظهار حيث كان.

[ **الحجة** ] قال ابو علي من قرأ او ان يظهر فالمعنى اني اخاف هذا الضرب منه كما تقول كُلْ خبزاً او تمراً اي هذا الضرب ومن قرأ وان يظهر فالمعنى إني أخاف هذين الأمرين منه ومن قرأ يُظهر في الأرض الفسادَ فأسند الفعل إلى موسى فلأنه أشبه بما تقدَّم من قوله يبدّل دينكم ومن قرأ وان يَظْهر فالمعنى وان يظهر الفسادُ في الأرض بمكانه أو اراد انه إذا بدّل الدين ظهر الفسادُ بالتبديل فأما الادغام في عذت فحسن لتقارب الحرفين والاظهار حسن لأن الذال ليست من حيز التاء وإنما الذال والظاء والثاء من حيز والدال والتاء والطاء من حيز إلا انها كلها من طرف اللسان واصول الثنايا فلذلك صارت متقاربة .

[ **المعنى** ] ﴿**وقال فرعون ذروني أقتل موسى**﴾ اي قال لقومه اتركوني اقتله وفي هذا دلالة على انه كان في خاصة فرعون قوم يشيرون عليه بأن لا يقتل موسى ويخوّفونه بأن يدعو ربه فيهلك فلذلك قال ﴿**وليدع ربه**﴾ اي كما يقولون وقيل انهم قالوا له هو ساحر فإن قتلته قبل ظهور الحجة قوّيت الشبهة بمكانه بل ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين وقوله وليدع ربه معناه وقولوا له ليدع ربه وليستعن به في دفع القتل عنه فإنه لا يجيء من دعائه شيء قاله تجبّراً وعتوّاً وجرأة على الله ﴿**إني اخاف ان يبدّل دينكم**﴾ ان لم اقتله وهو ما تعتقدونه من إلهيتي ﴿**أو ان يظهر في الأرض الفساد**﴾ بأن يتبعه قوم ويحتاج إلى ان نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر الفساد وقيل ان الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله عن قتادة فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربّه وذلك قوله ﴿**وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب**﴾ اي اني اعتصمت بربي الذي خلقني وربكم الذي خلقكم من شرّ كل متكبر على الله متجبرّ عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاة ليدفع شرّه عنّي ولما قصد فرعون قتل موسى وعظهم المؤمن من آله وهو قوله ﴿**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**﴾ في صدره على وجه التقية قال ابو عبد الله (ع) التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له والتقية ترس الله في الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو اظهر الإسلام لقتل قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى فقال ان الملأ

يأتمرون بك ليقتلوك قال السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وكان آمن بموسى وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقيل انه كان وليّ عهده من بعده وكان اسمه حبيب وقيل اسمه حزبيل ﴿اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله﴾ وهو استفهام انكار ولو قال اتقتلون رجلاً قائلاً ربي الله لم يدل على ان القتل من اجل الإيمان لأن يقول يكون صفة لرجل نحو يقتلون رجلاً قائلاً ربي الله فموضع ان يقول نصب على انه مفعول له ﴿وقد جائكم بالبينات من ربكم﴾ أي بما يدلّ على صدقه من المعجزات مثل العصا واليد وغيرهما ﴿وان يك كاذباً فعليه كذبه﴾ إنما قال هذا وجه التلطف كقوله وانّا أو إياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين ومعناه ان يك كاذباً فعلى نفسه وبال كذبه ﴿وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ قيل ان موّسى كان يعدهم بالنجاة ان آمنوا وبالهلاك ان كفروا وقال يصبكم بعض الذي يعدكم لأنهم إذا كانوا على أحدى الحالين نالهم احد الأمرين فذلك بعض الأمر لا كلّه وقيل إنما قال بعض الذي يعدكم لأنه توعدَّهم امراً مختلفة منها الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فيكون هلاكهم في الدنيا بعض ما توعَّدهم به وقيل استعمل البعض في موضع الكل تلطفاً في الخطاب وتوسّعاً في الكلام كما قال الشاعر :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وكأنه قال أقل ما فيه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي ذلك البعض هلاككم وقال علي بن عيسى إنما قال بعض الذي يعدكم على الظاهرة بالحجاج اي انه يكفي بعضه فكيف جميعه ﴿ان الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب﴾ اي لا يهدي الى جنته وثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد في المعصية كذاب على ربه ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول المؤمن ويجوز ان يكون ابتداء الكلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالإيمان به فقال ﴿يا قوم لكم الملك اليوم﴾ اي لكم السلطان على اهل الأرض يعني ارض مصر اليوم ﴿ظاهرين في الأرض﴾ اي عالين فيها غالبين عليها قاهرين لأهلها ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ اي من يمنعنا من عذاب الله ﴿ان جائنا﴾ ومعناه لا تتعرَّضوا لعذاب الله بقتل النبي وتكذيبه فلا مانع لعذاب من عذاب الله ان حلَّ بكم ﴿فقال فرعون﴾ عند ذلك ﴿ما اريكم إلا ما ارى﴾ اي ما اشير عليكم إلا بما اراه صواباً وارضاه لنفسي وقيل معناه ما اعلمكم إلا ما اعلم ﴿وما اهديكم الا سبيل الرشاد﴾ وما ارشدكم إلا إلى ما هو طريق الرشاد والصواب عندي وهو قتل موسى والتكذيب به واتخاذي إلّهاً ورباً ثم ذكرهم ما نزل بمن قبلهم وذلك قوله ﴿وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم

الاحزاب﴾ أي عذاباً مثل يوم الاحزاب قال الجبائي القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه وهذا لا يصحّ لأنه قريب من قوله اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله واراد بالأحزاب الجماعات التي تحزّبت على انبيائها بالتكذيب وقد يطلق اليوم على النعمة والمحنة فكأنه قال يوم هلاكهم .

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وابن ذكوان وقتيبة على كل قلب بالتنوين والباقون على كل قلب متكبر على الاضافة وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك وابي صالح والكلبي يوم التنادّ بتشديد الدال .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من نوّن فإنه جعل المتكبّر صفة لقلب فإذا وصف القلب بالتكبّر كان صاحبه في المعنى متكبّراً فكأنه اضاف التكبرّ إلى القلب كما أضيف الصعر إلى الخدّ في قوله تعالى ولا تصعّر خدَّك للناس فكما يكون بتصعير الخد متكبّراً كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبّراً بجملة واما من أضافه فقال على كل قلب متكبر فلا يخلو من ان

يقدّر الكلام على ظاهره او يقدّر فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر اي يطبع على جملة القلب من المتكبر وليس المراد ان يطبع على كل قلبه فيعمّ الجميع بالطبع إنما المعنى إنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وانه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا اظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كلّ متكبّر ويختم عليه ويؤكّد ذلك ان في حرف ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبر واظهار كل في حرفه يدل على انه في حرف العامة ايضاً مراد وحسن حذف كل لتقدّم ذكره كما جاز ذلك في قوله .

أَكُلَّ أَمْرِءٍ تَحْسَبِينَ أَمْرَءاً ... وَنَارٍ تَوَقَّدَ بِاللَّيْلِ نَاراً(١)

وفي قولهم ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة فحذف كل التقدّم ذكرها فكذلك في الآية وأما التناد بالتشديد فإنه تفاعل من ندَّ يندّ إذا نفر .

[ اللغة ] الجبّار الذي يَقتل على الغضب يقال اجبر فهو جبّار مثل ادرك فهو درّاك قال الفراء ولا ثالث لهما وقال ابن خالويه وجدت لها ثالثاً أَسارَ فهو ستّار(٢) .

[ المعنى ] ثم فسَّر سبحانه ذلك فقال ﴿مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود﴾ والدأب العادة ومعناه إني اخاف عليكم مثل سنة الله في قوم نوح وعاد وثمود وحالهم حين اهلكهم الله واستأصلهم جزاءً على كفرهم ﴿والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ وفي هذا اوضح دلالة على فساد قول المجبرة القائلة بأن كل ظلم يكون في العالم فهو بإرادة الله تعالى ثم حذَّرهم عذاب الآخرة ايضاً فقال ﴿ويا قوم إني اخاف عليكم يوم التناد﴾ حذف الياء للاجتزام بالكسرة الدالة عليها وهو يوم القيامة ينادي فيه بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور وقيل انه اليوم الذي ينادي فيه اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً الآية وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عن

---

(١) هذا البيت لأبي داود الايادي الذي ضرب بجاره كعب بن يمامة المثل في حسن الجوار قال قيس بن زهيرة «سأفعل ما بدا لي ثم آوى * الى جار كجار أبي داود » وقال طرفة : «اني كفاني من امر هممت به * جار كجار الحذاقي الذي اتصفا » والحذاقي : هو أبو داود. يخاطب في هذا البيت امرأته ويقول: ما ينبغي لك ان تظني ان كل من له صورة المرء مرءاً، وإنما الخليق باسم الرجل هو المتصف بالصفات النفيسة . والخصال الحميده، ولا كل نار اشتعل في الليل ناراً، بل الخليق باسم النار التي تشتعل للاكرام. والضيافة وهداية طريق الضالة.

(٢) وهو الذي يسئر في الاناء من الشراب يقال: اسار منه شيئاً اي أبقى بقية .

الحسن وقتادة وابن زيد وقيل ينادي فيه كل اناس بإمامهم **﴿يوم تـولّون مـدبرين﴾** اي يـوم تعـرضون على النـار فارّين منهـا مقدرين ان الفـرار ينفعكم وقيل منصـرفين إلى النار بعـد الحساب عن قتادة ومقاتل **﴿ما لكم من الله من عاصم﴾** اي مانع من عذاب الله **﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾** أي من يضلل الله عن طريق الجنـة فما لـه من هاد يهـديه إليهـا **﴿ولقد جائكم يوسف﴾** وهو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولاً إلى القبط **﴿من قبل﴾** اي من قبـل موسى **﴿بالبينات﴾** اي بالحجج الواضحات **﴿فما زلتم في شك مما جائكم به﴾** من عبـادة الله تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس وقيل ممّا دعاكم اليه من الدين **﴿حتى إذا هلك﴾** اي مات **﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾** أي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله تعالى لا يجدّد لكم ايجاب الحجة **﴿كذلك﴾** أي مثل ذلك الضلال **﴿يضلّ الله من هو مسرف﴾** على نفسه كافـر واصل الاسـراف مجاوزة الحـد **﴿مرتـاب﴾** اي شاكّ في التـوحيد ونبـوة الأنبياء **﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾** اي في دفع آيات الله وابطالها وموضع الذين نصب لأنه بدل من قوله من هو مسرف ويجـوز ان يكون رفعـاً بتقديم هُم **﴿بغيـر سلطان﴾** أي بغير حجـة **﴿اتيهم كبر مقتاً عند الله﴾** اي كبر ذلك الجدال منهم عداوة عند الله **﴿وعند الذين آمنـوا﴾** بالله والمعنى مقته الله تعالى ولعنه واعدَّ له العذاب ومقته المؤمنون وابغضوه بذلك الجـدال وانتم جادلتم وخاصمتم في ردّ آيات الله مثلهم فاستحققتم ذلك **﴿كذلك﴾** أي مثل ما طبع على قلوب اولئك بأن ختم عليها علامة لكفرهم **﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾** يفعل ذلك عقوبة له على كفره والجبار صفـة للمتكبر وهـو الذي يـأنف من قبول الحق قيـل وهو القتال .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ
ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى
لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا

يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص فاطلعَ بالنصب والباقون بالرفع واختلافهم في صدّ عن السبيل وفي يدخلون الجنة قد تقدَّم ذكره[1].

[ **الحجة** ] من رفع فاطلعُ فعلى معنى لعلّي ابلغ ولعلّي اطلع ومثله قوله لعلّه يزكى او يذكر وليس بجواب ومن نصب جعله جواباً بالفاء لكلام غير موجب والمعنى اني إذا بلغت واطلعت ومما يقوّي بناء الفعل للفاعل في صدّ قوله الذين كفروا وصدّوا من سبيل الله وفي موضع آخر ويصدّون عن سبيل الله فكذلك وصدّ عن سبيل ينبغي ان يكون الفعل فيه مبنياً للفاعل ومن ضم الصاد فلأن ما قبله مبني للمفعول به وهو قوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله .

[ **اللغة** ] الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على عين الناظر وان بعد وهو من التصريح بالأمر وهو اظهاره بأتمّ الإظهار والسبب كل ما يتوصل به إلى شيء يبعد عنك وجمعه الاسباب والتباب الخسار والهلاك بالانقطاع .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه ما موَّه به فرعون على قومه لما وعظه المؤمن وخوَّفه من قتل موسى وانقطعت حجته بقوله ﴿**وقال فرعون يا هامان**﴾ وهو وزيره وصاحب امره ﴿**ابن لي صرحاً**﴾ أي قصراً مشيداً بالآجر وقيل مجلساً عالياً عن الحسن ﴿**لعلي أبلغ الاسباب**﴾ ثم فسَّر تلك الأسباب فقال ﴿**أسباب السموات**﴾ والمعنى لعلي ابلغ الطرق من سماء إلى سماء عن السدي وقيل ابلغ ابواب طرق السموات عن قتادة وقيل منازل السموات عن ابن عباس وقيل لعلّي اتسبّب وأتوصل به إلى مرادي والى علم ما غاب عني ثم بيَّن مراده فقال اسباب السموات ﴿**فأطلع الى إلّه موسى**﴾ اي فأنظر اليه فأراد به التلبيس على الضعفة مع علمه باستحالة ذلك عن الحسن وقيل اراد فأصل الى إلّه موسى فغلبه الجهل واعتقد ان الله سبحانه في السماء وانه يقدر على بلوغ السماء ﴿**واني لأظنّه كاذباً**﴾ معناه واني لأظن موسى كاذباً في قوله انّ له إلّهاً غيري ارسله الينا ﴿**وكذلك**﴾ اي مثل ما زيّن لهؤلاء الكفار سوء اعمالهم ﴿**زين لفرعون سوء عمله**﴾ اي قبيح عمله وإنما زيّن له ذلك اصحابه وجلساؤه وزيّن له

(١) راجع المجلد الثالث صفحة ٢٩٤ والمجلد الثاني صفحة ١١٤ .

الشيطان كما قال وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ﴿**وصدّ عن السبيل**﴾ ومن ضم الصاد فالمعنى انه صدَّه غيره ومن فتح فالمعنى انه صدَّ نفسه أو صدَّ غيره ﴿**وما كيد فرعون**﴾ في ابطال آيات موسى ﴿**إلا في تباب**﴾ اي هلاك وخسار لا ينفعه ثم عاد الكلام إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون وهو قوله ﴿**وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد**﴾ أي طريق الهدى وهو الإيمان بالله وتوحيده والاقرار بموسى وقيل ان هذا القائل موسى ايضاً عن الجبائي ﴿**يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع**﴾ اي انتفاع قليل ثم يزول وينقطع ويبقى وزره وآثامه ﴿**وان الآخرة هي دار القرار**﴾ أي دار الإقامة التي يستقرّ الخلائق فيها فلا تغتروا بالدنيا الفانية ولا تؤثروها على الدار الباقية ﴿**من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها**﴾ اي من عمل معصية فلا يجزي إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلك ﴿**ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن**﴾ مصدّق بالله وانبيائه سرط الإيمان في قبول العمل الصالح ﴿**فأولئك يدخلون الجنة يرزقون بغير حساب**﴾ أي زيادة على ما يستحقونه تفضلاً من الله تعالى ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب وقيل معناه لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن آل فرعون ويحتمل ان يكون كلام الله تعالى اخباراً عن نفسه .

﴿ ۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي
ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ
بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا
وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

[ القراءة ] قرأ اهل المدينة والكوفة إلا ابا بكر ويعقوب ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء والباقون بالوصل وضم الخاء.

[ الحجة ] قال أبو علي القول مراد في الوجهين جميعاً كأنه قال يقال ادخلوهم ويقال ادخلوا فمن قال ادخلوا كان آل فرعون مفعولاً به وأشدّ العذاب مفعولاً ثانياً والتقدير ارادة حرف الجرّ ثم حذف كما انك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه في الدار كما ان خلافه الذي هو خرج كذلك في التقدير وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ومن قال ادخلوا آل فرعون كان انتصاب آل فرعون على النداء وأشدّ العذاب في موضع مفعول به وحذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به وحجة من قال ادخلوا قوله ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون وادخلوها بسلام آمنين وادخلوا أبواب جهنم وحجة من قال ادخلوا انه امر بهم فأدخلوا .

[ المعنى ] ثم قال ﴿يا قوم مالي﴾ اي مالكم كما يقول الرجل ما لي أراك حزيناً معناه ما لك ومعناه أخبروني عنكم كيف هذه الحال ﴿ادعوكم إلى النجوة﴾ من النار بالإيمان بالله ﴿وتدعونني إلى النار﴾ اي إلى الشرك الذي يوجب النار ومن دعا إلى سبب الشيء فقد دعا اليه ثم فسّر الدعوتين بقوله ﴿تدعونني لأكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم﴾ ولا يجوز حصول العلم به إذا لا يجوز قيام الدلالة على اثبات شريك الله تعالى لا من طريق السمع ولا من طريق العقل ﴿وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار﴾ اي إلى عبادة القادر الذي لا يقهر ولا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر لذنوب من يشاء من اهل التوحيد ﴿لا جرم﴾ قيل معناه حقاً مقطوعاً به من الجرم وهو القطع قال الزجاج حكاية عن الخليل هو ردٌّ الكلام والمعنى وجب وحق ﴿إنما تدعونني اليه ليس له دعوة﴾ أي وجب بطلان دعوته يقول لابدّ إنما تدعونني اليه من عبادة الأصنام او عبادة فرعون ليس له دعوة نافعة ﴿في الدنيا ولا في الآخرة﴾ فأطلق انه ليس له دعوة ليكون ابلغ وان توهّم جاهل ان له دعوة ينتفع بها فإنه لا يتعدّ بذلك لفساده وتناقضه وقيل معناه ليست لهذه الأصنام استجابة دعوة احد في الدنيا ولا في الآخرة فحذف المضاف عن السدي وقتادة والزجاج وقيل معناه ليست له دعوة في الدنيا لأن الاصنام لا تدعو إلى عبادتها فيها ولا في الآخرة لأنها تبرأ من عبادها فيها ﴿وان مردّنا إلى الله﴾ أي ووجب ان مرجعنا ومصيرنا إلى الله فيجازي كُلًّا بما يستحقه ﴿وان المسرفين﴾ اي ووجب ان المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم بالشرك وسفك الدماء بغير حقها ﴿هم اصحاب النار﴾ الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ ﴿فستذكرون﴾ صحة

﴿ما أقول لكم﴾ إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب بكم ما أقول لكم من النصيحة ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ أي اسلم أمري إلى الله وأتوكل عليه واعتمد على لطفه والأمر اسم جنس ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ أي عالم بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة ومعصية وأظهر إيمانه بهذا القول ﴿فوقيه الله سيئات ما مكروا﴾ اي صرف الله عنه سوء مكرهم فنجا مع موسى حتى عبر البحر معه عن قتادة وقيل انهم همّوا بقتله فهرب الى جبل فبعث فرعون رجلين في طلبه فوجداه قائماً يصلي وحوله الوحوش صفوفاً فخافا ورجعا هاربين ﴿وحاق بآل فرعون﴾ اي احاط ونزل بهم ﴿سوء العذاب﴾ أي مكروهه وما يسوء منه وآل فرعون اشياعه وأتباعه وقيل من كان على دينه عن الحسن وإنما ذكر آله ولم يذكره لأنهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار وذلك قوله ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ اي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساء فيعذبون وإنما رفع النار بدلا من قوله سوء العذاب وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيحين وقال أبو عبد الله (ع) ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن في النار القيامة لا يكون غدو وغشي ثم قال ان كانوا يعذّبون في النار غدوّاً وعشياً ففيما بين ذلك هم من السعداء لا ولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة ألم تسمع قوله عز وجل ﴿ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب﴾ وهذا امر لآل فرعون بالدخول أو أمر للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب وهو عذاب جهنم .

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾

[ **اللغة** ] التبع يصلح ان يكون مصدراً يقال تبع تبعاً ويجوز ان يكون جمع تابع نحو خادم وخدم وخائل وخول وغائب وغيب .

[ **الاعراب** ] او لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات التقدير او لم تك القصة وتأتيكم رسلكم تفسير القصة فاسم كان مضمر .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه ما يجري بين اهل النار من التحاج فقال ﴿**وإذ يتحاجّون في النار**﴾ معناه واذكر يا محمد لقومك الوقت الذي يتحاج فيه اهل النار في النار ويتخاصم الرؤساء والاتباع ﴿**فيقول الضعفاء**﴾ وهم الاتباع ﴿**للذين استكبروا**﴾ وهم الرؤساء ﴿**انا كنا لكم**﴾ معاشر الرؤساء ﴿**تبعاً**﴾ وكنا نمتثل امركم ونجيبكم إلى ما تدعوننا اليه ﴿**فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار**﴾ لأنه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لأمره أي هل انتم حاملون عنّا قسطاً من النار والعذاب الذي نحن فيه ﴿**قال الذين استكبروا انا كل فيها**﴾اي نحن وانتم في النار وكل فيها مبتدأ وخبر في موضع رفع بانه خبران ويجوز ان يكون كل خبر ان المعنى انا مجتمعون في النار ﴿**ان الله قد حكم بين العباد**﴾ بذلك وبأن لا يتحمل احد عن احد وانه يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لا محالة ﴿**وقال الذين في النار**﴾ اي حصلوا في النار من الاتباع والمتبوعين ﴿**لخزنة جهنم**﴾ وهم الذين يتولون عذاب اهل النار من الملائكة الموكلين بهم ﴿**ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب**﴾ يقولون ذلك لأنه لا طاقة لهم على شدة العذاب ولشدة جزعهم إلا انهم يطمعون في التخفيف لأن معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفّف عنهم ﴿**قالوا**﴾ أي قال الخزنة لهم ﴿**أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات**﴾ اي الحجج والدلالات على صحة التوحيد والنبوات اي فكفرتم وعاندتم حتى استحققتم هذا العذاب ﴿**قالوا بلى**﴾ جاءتنا الرسل والبينات فكذّبناهم وجحدنا نبوتهم ﴿**قالوا فادعوا**﴾ اي قالت الخزنة فادعوا انتم فإنا لا ندعوا إلا بإذن ولم يؤذن لنا فيه وقيل إنما قالوا ذلك استخفافاً بهم وقيل معناه فادعوا بالويل والثبور ﴿**وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾ اي في ضياع لأنه لا ينتفع به .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ

ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر واهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] والوجهان حسنان لأن المعذرة والاعتذار بمعنى كما ان الوعظ والموعظة كذلك .

[ **الاعراب** ] يوم يقوم الأشهاد محمول على موضع قوله في الحياة الدنيا كما يقال جئتك امس واليوم .

[ **المعنى** ] ثم اخبر سبحانه عن نفسه بأنه ينصر رسله ومن صدقهم فقال **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا﴾** اي ننصرهم بوجوه النصر فإن النصر قد يكون بالحجة ويكون أيضاً بالغلبة في المحاربة وذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة ويعلمه سبحانه من المصلحة ويكون ايضاً بالألطاف والتأييد وتقوية القلب ويكون بإهلاك العدو وكل هذا قد كان للأنبياء والمؤمنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصروا ايضاً بالقهر على من ناوأهم وقد نصروا بإهلاك عدوّهم وانجائهم مع من آمن معهم وقد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حين قتل به سبعون الفاً فهم لا محالة منصورون في الدنيا بأحد هذه الوجوه **﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾** جمع شاهد مثل الأصحاب جمع صاحب هم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة وفي ذلك سرور للمحق وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم وقيل هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون عن قتادة وقيل هم الحفظة من الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وقيل هم الأنبياء وحدهم يشهدون للناس وعليهم ثم اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال **﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾** اي ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم تنفعهم التوبة وإنما نفى ان تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار الدنيا

لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي الجيء اليه ﴿ولهم اللعنة﴾ اي البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب ﴿ولهم سوء الدار﴾ جهنم نعوذ بالله منها ثم بيَّن سبحانه نصرته موسى وقومه فقال ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ اي اعطيناه التوراة فيها ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ اي وأورثنا من بعد موسى بني إسرائيل التوراة وما فيه من البيان ﴿هدى﴾ اي هو هدى اي دلالة يعرفون بها معالم دينهم ﴿وذكرى لاولي الألباب﴾ اي وتذكير لاولي العقول لأنهم الذين يتمكّنون من الانتفاع به دون من لا عقل له ويجوز ان يكون هدى وذكرى منصوبين على ان يكونا مصدرين وضعاً موضع الحال من الكتاب بمعنى هادياً ومذكراً ويجوز ان يكون بمعنى المفعول له اي للهدى والتذكير ثم امر نبيَّه ﷺ بالصبر فقال ﴿فاصبر﴾ يا محمد على اذى قومك وتحمل المشاق في تكذيبهم اياك ﴿إن وعد الله﴾ الذي وعدك به من النصر في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿حق﴾ لا خلف فيه ﴿واستغفر لذنبك﴾ من جوَّز الصغائر على الأنبياء قال معناه اطلب المغفرة من الله على صغيرة وقعت منك ولعظيم نعمته على الأنبياء كلفهم التوبة من الصغائر ومن لا يجوز ذلك عليهم وهو الصحيح قال هذا تعبّد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالدعاء والاستغفار لكي يزيد في الدرجات وليصير سنة لمن بعده(١) ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي نزّه الله تعالى واعترف بشكره واضافة النعم اليه ونفي التشبيه عنه وقيل نزّه صفاته عن صفات المحدثين ونزّه افعاله عن افعال الظالمين وقيل معناه صلّ بأمر ربك ﴿بالعشي﴾ من زوال الشمس إلى الليل ﴿والابكار﴾ من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس عن مجاهد وقيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ أنه قال قال الله جل جلاله يا ابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما أهمك .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ

(١) وقر مر ان القرآن نزل باياك اعنى واسمعي يا جاره كما ورد في روايات كثيرة فراجع صفحة ٧٩٠ ـ ٧٩١ المسيح : اسم خص الله به عيسى بن مريم (ع) وقيل في وجه تسميته (ع) بالمسيح وجوه وممن سمى بالمسيح هو الكذاب الدجال قال الشاعر : «اذا المسيح يقتل المسيحا» يعني عيسى بن مريم يقتل الدجال ، وسمى الدجال مسيحا لوجوه ذكرها في اللسان «مسح» فراجع، وروى بعض المحدثين المسيح بكسر الميم والتشديد ـ في الدجال «بوزن سكيت» وقد يستفاد من الروايات ان الدجال رجل من يهود ، قال في الكشاف: في تفسير الآية : وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفي أن يبلغوا متمناهم .

أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ
قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة تتذكرون بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو بكر غير الشموني وسهل سَيُدْخَلون بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء .

[ **الحجة** ] التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون والياء على أنّ الكفار قليلاً ما يتذكرون وقوله سيدخلون الوجه في في القراءتين ظاهر .

[ **النزول** ] نزل قوله ان الذين يجادلون في آيات الله الآية في اليهود لأنهم كانوا يقولون سيخرج المسيح الدجال(٢) فنعينه على محمد واصحابه ونستريح منهم ويردُّ الملك الينا عن ابي العالية .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **إن الذين يجادلون** ﴾ أي يخاصمون ﴿ **في آيات الله** ﴾ أي في دفع آيات الله وأبطالها ﴿ **بغير سلطان** ﴾ أي حجة ﴿ **أتيهم** ﴾ الله إياها يتسلّط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم ﴿ **إن في صدورهم إلا كبر** ﴾ أي ليس في صدورهم إلا عظمة وتكبّر على محمد ﷺ وجبرية ﴿ **ما هم ببالغيه** ﴾ أي ما هم ببالغي مقتضى تلك العظمة لأن الله تعالى مذلّهم وقيل معناه كبر بحسدك على النبوة التي أكرمك الله بها ما هم ببالغيه لأن الله تعالى يرفع بشرف النبوة من يشاء وقيل ما هم ببالغي وقت خروج الدجال ﴿ **فاستعذ بالله** ﴾ من شر اليهود والدجال ومن جميع ما يجب الاستعاذة منه ﴿ **أنه هو السميع** ﴾ لأقوال هؤلاء ﴿**البصير** ﴾ بضمائرهم وفي هذا تهديد لهم فيما أقدموا عليه ثم قال

سبحانه ﴿ **لخلق السماوات والأرض** ﴾ مع عظمهما وكثرة أجزائهما ووقوفهما بغير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير سبب ﴿ **أكبر** ﴾ أي أعظم وأهول في النفس ﴿ **من خلق الناس** ﴾ وإن كان خلق الناس عظيماً بما فيه من الحياة والحواس المهيّأة لأنواع مختلفة من الإدراكات ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ لعدولهم عن الفكر فيه والإستدلال على صحته والمعنى أنهم إذا أقرّوا بأن الله تعالى خلق السماء والأرض فكيف أنكروا قدرته على إحياء الموتى ولكنّهم أعرضوا عن التدبر فحلّوا محل الجاهل الذي لا يعلم شيئاً ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير** ﴾ أي لا يستوي من أهمل نفسه ومن تفكّر فعرف الحق شبّه الذي لا يتفكر في الدلائل بالأعمى والذي يستدل بها بالبصير ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء** ﴾ أي وما يستوي المؤمنون الصالحون ولا الكافر الفاسق في الكرامة والإهانة والهدى والضلال ﴿ **قليلاً ما تتذكرون** ﴾ يجوز أن تكون ما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية فيكون تقديره قليلاً تذكرهم أي قلّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه مما دعوا إليه ﴿ **إن الساعة** ﴾ يعني القيامة ﴿ **لآتية** ﴾ أي جائية واقعة ﴿ **لا ريب فيها** ﴾ أي لا شكّ في مجيئها ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ أي لا يصدّقون بذلك لجهلهم بالله تعالى وشكّهم في إخباره ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ يعني إذا اقتضت المصلحة أجابتكم وكل من يسأل الله شيئاً ويدعوه فلا بدّ أن يشترط المصلحة في ذلك أما لفظاً أو إضماراً وإلا كان قبيحاً لأنه ربما كان داعياً بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها فيكون قبيحاً وقيل معناه وحّدوني واعبدوني أثبكم عن ابن عباس ويدلُّ عليه قول النبي ﷺ الدعاء هو العبادة ولما عبّر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة ليتجانس اللفظ ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي** ﴾ ودعائي ﴿ **سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أي صاغرين ذليلين وفي الآية دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى وعلى فضل الإنقطاع إليه وقد روى معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله (ع) جعلني الله فداك ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً كان أحدهما أكثر صلاة والآخر دعاء فأيّهما أفضل قال كل حسن قلت قد علمت ولكن أيُّهما أفضل قال أكثرهما دعاء أما تسمع قول الله تعالى ادعوني استجب لكم إلى آخر الآية وقال هي العبادة الكبرى وروى زرارة عن أبي جعفر (ع) في هذه الآية قال هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء وروى حنان بن سدير عن أبيه قال قلت لأبي جعفر أيُّ العبادة أفضل قال ما من شيء أحبُّ إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده فال ﴿ **الله الذي جعل لكم** ﴾ معاشر الخلق ﴿ **الليل** ﴾ وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني ﴿ **لتسكنوا فيه** ﴾ أي وغرضه في خلق الليل سكونكم واستراحتكم فيه من كدّ النهار وتعبه ﴿ **والنهار مبصراً** ﴾ أي وجعل لكم النهار وهو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس مضيئاً تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصراً لما كان يبصر فيه المبصرون ﴿ **إن الله لذو فضل على الناس** ﴾ بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك ولا تقدّم طلب ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ أي ومع هذا فإن أكثر الناس لا يعترفون بهذه النعم بل يجحدونها ويكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطباً لخلقه ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ أي الذي أظهر هذه الدلالات وأنعم بهذه النعم هو الله خالقكم ومالككم ﴿ **خالق كل شيء** ﴾ من السماوات والأرض وما بينهما ﴿ **لا إلَه إلا هو** ﴾ أي لا يستحق العبادة سواه ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال سبحانه ﴿ **كذلك** ﴾ أي مثل ما صرف وإفك هؤلاء ﴿ **يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** ﴾ وهم من تقدَّمهم من الكفار صرفهم أكابرهم ورؤساؤهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدلة على توحيده فقال ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قراراً** ﴾ أي مستقراً تستقرّون عليه ﴿ **والسماء بناء** ﴾ أي

وجعل السماء بناء مرتفعاً فوقها ولو جعلها رتقاً لما أمكن الخلق الإنتفاع بما بينهما ثم قال ﴿ وصوّركم فأحسن صوركم ﴾ لأن صورة ابن آدم أحسن صور الحيوان وقال ابن عباس خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل بيده ويتناول بيده وكلّ من خلقه الله يتناول بفيه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ لأنه ليس شيء من الحيوان له طيبات المآكل والمشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم فإن أنواع الطيبات واللذات التي خلقها الله تعالى لهم من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ثم قال ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أي فاعل هذه الأشياء خالقكم ﴿ فتبارك الله رب العالمين ﴾ أي جلّ الله بأنه الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزال ﴿ هو الحي ﴾ معناه إن الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الحيّ على الإطلاق من غير علة ولا فاعل ولا بنية ﴿ لا إلّه إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي مخلصين في دعائه وعبادته ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الفراء وهو خبر وفيه إضمار كأنه قال ادعوه واحمدوه على هذه النعم وقولوا الحمد لله رب العالمين وروى مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إلّه إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين .

﴿ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لكفار قومك ﴿ **إني نهيت** ﴾ أي نهاني الله ﴿ **أن أعبد الذين تدعون من دون الله** ﴾ أي أوجّه العبادة إلى من تدّعونه من دون الله من الأصنام التي تجعلونها آلهة ﴿ **لما جاءني البينات من ربي** ﴾ أي حين أتاني الحجج والبراهين من جهة الله تعالى دلّتني على ذلك ﴿ **وأمرت** ﴾ مع ذلك ﴿ **أن أسلم لربّ العالمين** ﴾ أي استسلم لأمر رب العالمين الذي يملك تدبير الخلائق أجمعين ثم عاد إلى ذكر الأدلة فقال ﴿ **هو الذي خلقكم** ﴾ معاشر البشر ﴿ **من تراب** ﴾ أي خلق أباكم آدم من تراب وأنتم نسله وإليه تنتمون ﴿ **ثم من نطفة** ﴾ أي ثم أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة وهي ماء الرجل والمرأة ﴿ **ثم من علقة** ﴾ وهي قطعة من الدم ﴿ **ثم يخرجكم طفلاً** ﴾ أي أطفالاً واحداً واحداً فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد والجماعة قال الله تعالى ﴿ **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** ﴾ والمعنى ثم يقلبكم أطواراً إلى أن يخرجكم من أرحام الأمهات أطفالاً صغاراً ﴿ **ثم لتبلغوا أشدكم** ﴾ وهو حال استكمال القوة وهذا يحتمل أن يكون معطوفاً على معنى قوله ثم يخرجكم طفلاً لتنشأوا وتشبوا ثم لتبلغوا أشدّكم ويحتمل أن يكون معطوفاً على معنى قوله ﴿ **نخرجكم طفلاً** ﴾ والتقدير لطفوليتكم ثم لتبلغوا أشدّكم ﴿ **ثم لتكونوا شيوخاً** ﴾ بعد ذلك ﴿ **ومنكم من يتوفى من قبل** ﴾ أي من قبل أن يصير شيخاً ومن قبل أن يبلغ أشدّه ﴿ **ولتبلغوا أجلاً مسمى** ﴾ أي وليبلغ كل واحد منكم ما سمي له من الأجل الذي يموت عنده وقيل هذا للقرن الذي تقوم عليهم القيامة والأجل المسمى هو القيامة عن الحسن ﴿ **ولعلكم تعقلون** ﴾ أي خلقكم لهذه الأغراض التي ذكرها ولكي تتفكّروا في ذلك فتعقلوا ما أنعم الله به عليكم من أنواع النعم واراده منكم من إخلاص العبادة ثم قال ﴿ **هو الذي يحيي ويميت** ﴾ أي من خلقكم من تراب على هذه الأوصاف التي ذكرها هو الذي يحييكم وهو الذي يميتكم فأوّلكم من تراب وآخركم إلى تراب ﴿ **فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون** ﴾ ومعناه أنه يفعل ذلك من غير أن يتعذر ويمتنع عليه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون لأنه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكون ﴿ **ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله** ﴾ يعني المشركين الذين يخاصمون في إبطال حجج الله ودفعها ﴿ **أنى يصرفون** ﴾ أي كيف ومن أين يقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمّهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال ﴿ **الذين كذّبوا بالكتاب** ﴾ أي بالقرآن وجحدوه ﴿ **وبما أرسلنا به رسلنا** ﴾ أي وكذّبوا بما أرسلنا به من الكتب والشرائع رسلنا قبلك ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ عاقبة أمرهم إذ حلّ بهم وبال ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه

فيعرفون إن ما دعوتهم إليه حق وما ارتكبوه ضلال وفساد .

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ
وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟
عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن مسعود وابن عباس والسلاسل بفتح اللام يسحبون .

[ **الحجة** ] قال ابن جني تقديره إذ الأغلال في أعناقهم ويسحبون السلاسل فعطف الجملة من الفعل والفاعل على الجملة التي من المبتدأ والخبر كما قد عودل أحداهما بالأخرى نحو قوله :

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ أُمُوفٍ بِأَذْرَاعِ بْنِ طِيبَةَ أَمْ تُذَمّ

أي أأنت موف بها أم تذم فقابل بالمبتدأ والخبر التي من الفعل الفاعل الجاري مجرى الفاعل[1] .

[ **اللغة** ] الأغلال جمع غل وهو طوق يدخل في العنق للذل والألم وأصله الدخول يقال أنغل العنق في الشيء إذا دخل فيه والغلول الخيانة لأنها تصير كالغل في عنق صاحبها . السلاسل جمع سلسلة وهي الحلق منتظمة في جهة الطول مستمرة والسحب جرّ الشيء على الأرض هذا أصله والسجر أصله إلقاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود والفرح والبطر والأشر نظائر والمرح شدة الفرح وفرس مروح أي نشيط قال :

(١) أي قابل بالمبتدأ والخبر وهو قوله « أموف » فإن تقديره « أأنت موف » الجملة التي من الفعل والفاعل وهو قوله « تذم » وهي بمنزلة اسم الفاعل لأن قام زيد مثلاً بمنزلة قائم .

وَلَا يُثْنَى عَلَى الْحَدَثَانِ عِرْضِي ... وَلَا أُرْخِي مِنَ الْمَرَحِ الْإِزَارَا(٢)

[ الإعراب ] يسحبون في موضع نصب على الحال تقديره مسحوبين على النار مسجونين فيها والعامل في إذ الأغلال قوله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ إذا لم يوقف على يعلمون ووقف على السلاسل ومن وقف على يعلمون فالعامل في إذ يسحبون .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم ﴾ أي يعلمون وبال أمرهم في حال تكون الأغلال في أعناقهم ﴿ والسلاسل يسحبون في الحميم ﴾ أي يجرّون في الماء الحار الذي قد انتهت حرارته ﴿ ثم في النار يسجرون ﴾ أي ثم يقذفون في النار ويلقون فيها وقيل معناه ثم يصيرون وقود النار عن مجاهد والمعنى توقد بهم النار ﴿ قيل لهم ﴾ أي لهؤلاء الكفار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ ﴿ أين ما كنتم تشركون من دون الله ﴾ أي أين ما كنتم تزعمون أنها تنفع وتضر من أصنامكم التي عبدتموها ﴿ قالوا ضلّوا عنا ﴾ أي ضاعوا عنّا وهلكوا فلا نراهم ولا نقدر عليهم ثم يستدركون فيقولون ﴿ بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ﴾ والمعنى لم نكن ندعو شيئاً يستحق العبادة ولا ما ننتفع بعبادته عن الجبائي وقيل بل لم نكن ندعو شيئاً ينفع ويضر ويسمع ويبصر قال أبو مسلم وهذا كما يقال لكل ما لا يغني شيئاً هذا ليس بشيء لأن قولهم ضلّوا عنّا إعتراف بعبادتهم ولأن الآخرة دار إلجاء فهم ملجأون إلى ترك القبيح وقيل معناه ضاعت عباداتنا لهم فلم نكن نصنع شيئاً إذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئاً ﴿ كذلك يضلّ الله الكافرين ﴾ معناه كما أضلّ الله أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يؤمّلونه كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر فلا ينتفعون بشيء من أعمالهم وقيل يضلّ الله أعمالهم أي يبطلها عن الحسن وقيل يضلّ الكافرين عن طريق الجنة والثواب كما أضلّهم عمّا إتّخذوه إلّهاً بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها عن الجبائي ﴿ ذلكم ﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿ بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ قيد الفرح وأطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه وقد يكون بالباطل فيذمّ عليه والمرح لا يكون إلا باطلاً ومعناه أن ما فعل بكم جزاء بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق أي بما كان يصيب أنبياء الله تعالى وأولياءه من المكاره وبما كنتم تمرحون أي تأشرون وتبطرون .

(٢) ثنى الشيء : عطفه وحدثان الدهر : نوائبه . وأرخى الأزار: أسبله . واللفظ كناية أي لا أفرح من توجه النعم كمالاً ينعطف في النوائب عرضي .

﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ
فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ۝٧٧ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا
رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ
عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٧٨ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ
تُحۡمَلُونَ ۝٨٠

[ المعنى ] ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار إنه يقال لهم ﴿ أدخلوا أبواب جهنم ﴾ وهي سبعة أبواب ﴿ خالدين فيها ﴾ أي مؤبّدين فيها لا إنقطاع لكربكم فيها ولا نهاية لعقابكم وقيل إنما جعل لجهنم أبواب كما جعل لها دركات تشبيهاً بما يتصور الإنسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير[1] فإن ذلك أهول وأعظم في الزجر ﴿ فبئس مثوى المتكبّرين ﴾ أي بئس مقام الذين تكبّروا عن عبادة الله تعالى وتجبّروا عن الإنقياد له وإنما أطلق عليه اسم بئس وإن كان حسناً لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح فحسن لهذه العلة إسم بئس عليه ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم إياك ومعناه أثبت على الحق فسمّاه صبراً للمشقة التي تلحق به كما تلحق بتجرع المرّ ولذلك لا يوصف أهل الجنة بالصبر وإن وصفوا بالثبات على الحق وإن كان في الوصف به في الدنيا فضل ولكنّهم يوصفون بالحلم لأنه مدح ليس فيه صفة نقص ﴿ إن وعد الله

(١) المطابق جمع المطبق: السجن تحت الأرض . والمطامير جمع المطمورة: الحفيرة تحت الأرض.

حق ﴾ معناه أن ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة حقّ لا شك فيه بل هو كائن لا محالة وقيل إن وعد الله بالنصر لأنبيائه والانتقام من أعدائه حق وصدق لا خلف فيه ﴿ **فإما نرينَّك بعض الذي نعدهم** ﴾ من العذاب في حياتك وإنما قال بعض الذي نعدهم لأن المعجل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقّونه ﴿ **أو نتوفينَّك** ﴾ قبل أن يحلّ بهم ذلك ﴿ **فإلينا يرجعون** ﴾ يوم القيامة فتفعل بهم ما يستحقّونه من العقاب ولا يفوتوننا ثم زاد سبحانه في تسلية النبي ﷺ بقوله ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك** ﴾ يا محمد ﴿ **منهم من قصصنا عليك** ﴾ قصصهم وأخبارهم ﴿ **ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ أخبارهم وقيل معناه منهم من تلونا عليك ذكره ومنهم من لم نتل عليك ذكره وروي عن علي (ع) أنه قال بعث الله نبياً أسود لم يقص علينا قصته واختلفت الأخبار في عدد الأنبياء فروي في بعضها أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وفي بعضها أن عددهم ثمانية آلاف نبيّ أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم ﴿ **وما كان لرسول أن يأتي بآية** ﴾ أي بمعجزة ودلالة ﴿ **إلا بإذن الله** ﴾ وأمره والمعنى إن الإتيان بالمعجزات ليس إلى الرسول ولكنّه إلى الله تعالى يأتي بها على وجه المصلحة ﴿ **فإذا جاء أمر الله** ﴾ وهو القيامة ﴿ **قضي بالحق** ﴾ بين المسلمين والكفار والأبرار والفجار ﴿ **وخسر هنالك** ﴾ عند ذلك ﴿ **المبطلون** ﴾ لأنهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلاً منها وذلك هو الخسران المبين والمبطل صاحب الباطل ثم عدَّد سبحانه نعمه على خلقه فقال ﴿ **الله الذي جعل لكم الأنعام** ﴾ من الإبل والبقر والغنم ﴿ **لتركبوا منها** ﴾ أي لتنتفعوا بركوبها ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ يعني أن بعضها للركوب والأكل كالإبل والبقر وبعضها للأكل كالأغنام وقيل المراد بالأنعام هاهنا الإبل خاصة لأنها التي تركب ويحمل عليها في أكثر العادات واللام في قوله لتركبوا لام الغرض وإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام وأراد أن ينتفع خلقه بها وكان جل جلاله لا يريد القبيح ولا المباح فلا بدَّ أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه القربة إليه والطاعة له ﴿ **ولكم فيها منافع** ﴾ يعني من جهة ألبانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ **ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم** ﴾ بأن تركبوها وتبلغوا المواضع التي تقصدونها بحوائجكم ﴿ **وعليها** ﴾ أي وعلى الأنعام وهي الإبل هنا ﴿ **وعلى الفلك** ﴾ أي وعلى السفن ﴿ **تحملون** ﴾ يعني على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في الأسفار علم الله سبحانه أنا نحتاج إلى أن نسافر في البرّ والبحر فخلق لنا مركباً للبرّ ومركباً للبحر .

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

[ المعنى ] ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار الذين جحدوا آيات الله وأنكروا أدلته الدالة على توحيده ﴿ ويريكم آياته ﴾ أي ويعلّمكم حججه ويعرفكم إياها ومنها إهلاك الأمم الماضية ووجه الآية فيه أنهم بعد حصولهم في النعم صاروا إلى النقم بكفرهم وجحودهم ومنها الآية في خلق الأنعام الّتي قدّم ذكرها ووجه الآية فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف في الوجوه التي قد جعل كل شيء منها لما يصلح له وذلك يقتضي أن الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره ﴿ فأيَّ آيات الله تنكرون ﴾ هذا توبيخ لهم على الجحد وقد يكون الإنكار والجحد تارة بأن يجحد أصلاً وتارة بأن يجحد كونها دالة على صحة ما هي دلالة عليه والخلاف يكون في ثلاثة أوجه إما في صحتها في نفسها وإما في كونها دلالة وإما فيهما جميعاً وإنما يجوز من الجهّال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لأمور ( منها ) اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي على الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة ( ومنها ) التقليد لمن ترك النظر في الأمور ( ومنها ) السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم ثم نبّههم سبحانه فقال ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ بأن يمرّوا في جنباتها ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم ﴾ عدداً ﴿ وأشدّ قوة ﴾ أي وأعظم قوة ﴿ وآثارا في الأرض ﴾ بالأبنية العظيمة التي بنوها والقصور

المشيدة التي شيّدوها وقيل بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه وكفروا به وكذّبوا رسله أهلكهم الله واستأصلهم بالعذاب ﴿ **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ أي لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئاً من عذاب الله تعالى وقيل إنّ ما في قوله ﴿ **فما أغنى** ﴾ بمعنى أي فالمعنى فأيّ شيء أغنى عنهم كسبهم فيكون موضع ما الأولى نصباً وموضع ما الثانية رفعاً ثم قال سبحانه ﴿ **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات** ﴾ أي فلما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له بالحجج والآيات وفي الكلام حذف تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وأنكروا دلالتها ووعد الله الرسل بإهلاك أممهم ونجاة قومهم ﴿ **فرحوا بما عندهم من العلم** ﴾ أي فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائي وقيل معناه فرح الكفار مما عندهم من العلم أي بما كان عندهم أنه علم وهو جهل على الحقيقة لأنهم قالوا نحن أعلم منهم لا نبعث ولا نعذّب واعتقدوا أنه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حجتهم داحضة وقال ذق إنك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك أو عند قومك عن الحسن ومجاهد وقيل معناه فرحوا بالشرك الذي كانوا عليه واعجبوا به وظنوا أنه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك قال والمراد بالفرح شدة الإعجاب ﴿ **وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** ﴾ أي حلَّ بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من العذاب والهلاك ﴿ **فلما رأوا بأسنا** ﴾ أي عذابنا النازل بهم ﴿ **قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** ﴾ أي كفرنا بالأصنام والأوثان ﴿ **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾ أي عند رؤيتهم بأس الله وعذابه لأنهم يصيرون عند ذلك ملجأين وفعل الملجأ لا يستحق به المدح ﴿ **سنت الله التي قد خلت من قبل في عباده** ﴾ نصب سنة الله على المصدر ومعناه سنَّ الله هذه السنة في الأمم الماضية كلها إذ لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب والمراد بالسنة هنا الطريقة المستمرة من فعله بأعدائه الجاحدين ﴿ **وخسر هنالك الكافرون** ﴾ بدخول النار واستحقاق النعمة وفوت الثواب والجنة وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير .

تمَّ الجزء الثامن من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

**وقد تصدّق لتصحيحه والتعليق عليه العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسولي المحلاتي**
**عفى عنه وعن والديه بحق محمّد وآله الطّاهرين**

# فهـرس المجلد الرابـع من مجمع البيان في تفسير القرآن

## فهرس الجزء السابع

### سورة طه


٣ فضلها

٤ ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى الى قـوله الأسماء الحسنى .

٦ وهـل أتاك حـديث موسى . . إلى قـوله فتردى .

١١ قال هي عصاي . . . إلى قوله سؤالك يا موسى .

١٦ ولقـد مننا عليـك مـرة أخـرى إلى قوله . . . أو يخشى .

٢٠ قـالا ربنا اننـا نخـاف ـ إلى ـ فكـذب وأبى .

٢٤ قال اجئتنا لنخرجنا من أرضنا الى قوله أنها تسعى .

٣١ فـأوجس في نفسه خيفـة مـوسى . . . إلى ـ تزكّى .

٣٥ ولقـد أوحينـا إلى مـوسى . . . إلى قوله ـ فأخلفتم موعدي .

٤٠ قـالوا مـا أخلفنا مـوعدك ـ إلى قـوله ـ سولت لي نفسي .

٤٤ قال فاذهب فـإن لك ـ إلى قـوله ـ ولا أمتاً .

٤٨ يومئذ يتبعون الداعي . . إلى قوله . . له عزماً .

٥٢ وإذ قلنـا للملٰئكـة اسجـدوا . . إلى قوله . . كنت بصيراً .

٥٦ قـال كذلـك أتتك آيـاتنا ـ إلى قـولـه ـ لعلك ترضى .

٥٨ ولا تمـدن عينيـك ـ إلى قــولـه ـ ومن اهتدى .


### سورة الأنبياء


٦١ فضلها .

٦١ اقتـرب للناس حسـابهم ـ إلى قـولـه ـ الأولون .

٦٣ مـا أمنت قبلهم من قريـة ـ إلى قولـه ـ أفلا تعقلون .

٦٥ وكم قصمنـا من قريـة ـ إلى قولـه ـ لا يفترون .

٦٨ أم اتخـذوا ءالهـة مـن الأرض ـ إلى قوله ـ أفلا يؤمنون .

٧٣ وجعلنا في الأرض رواسي ـ إلى قوله ـ وإليه ترجعون .
٧٥ وإذا رءاك الذين كفروا ـ إلى قوله ـ ينظرون .
٧٧ ولقد استهزىء برسل ـ إلى قوله ـ ما ينذرون .
٧٩ ولئن مستهم نفحة من عذاب ـ إلى قوله ـ منكرون
٨٢ ولقد اتينا ابراهيم رشده ـ إلى ـ فجعلناهم الأخسرين .
٨٨ ووهبنا له اسحاق ويعقوب ـ إلى ـ الصالحين .
٨٩ ونوحاً إذ نادى من قبل . . .
٩٣ ولسليمان الريح عاصفة ـ إلى قوله ـ من الصالحين .
٩٥ وذا النون إذ ذهب مغضباً .
٩٧ والتي أحصنت فرجها ـ إلى قوله ـ لا يرجعون .
١٠٠ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ـ إلى قوله ـ توعدون .
١٠٣ يوم نطوي السماء كطي السجل ـ إلى قوله ـ على ما تصفون .

سورة الحج

١٠٩ اختلافها ـ فضلها .
١١٠ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ـ إلى قوله ـ زوج بهيج .
١١٥ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير .
١٢١ وكذلك انزلناه آيات بينات ـ إلى قوله ـ ما يشاء .
١٢٢ هذان خصمان اختصموا ـ إلى قوله ـ صراط حميد .
١٢٥ إن الذين كفروا ـ إلى ـ قول الزور .
١٣١ حنفاء لله غير مشركين به ـ إلى قوله ـ ينفقون .
١٣٤ والبدن جعلناها لكم ـ إلى قوله ـ لقوي عزيز .
١٣٩ الذين إن مكناهم في الأرض ـ إلى قوله ـ أصحاب الجحيم .
١٤٣ وما أرسلنا من قبلك من رسول ـ إلى ـ يوم عقيم .
١٤٧ الملك يومئذ لله ـ إلى قوله ـ لرؤوف رحيم .
١٤٩ وهو الذي أحياكم ـ إلى قوله ـ على الله يسير .
١٥٠ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به .
١٥٣ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ـ إلى ـ ونعم المصير .

تفسير سورة المؤمنون ـ

١٥٦ فضلها ـ تفسيرها .

١٥٧ والـذيـن هـم عـلى صـلواتـهـم يحافظون .
١٥٩ ولقد خلقنا الانسان من طين - إلى - ومنها تأكلون .
١٦٣ وإن لكم في الأنعام لعبرة - إلى - حتى حين .
١٦٥ وأوحينا إليه أن أصنع الفلك إلى قوله - ليصبحن نادمين .
١٧٠ فأخذتهم الصيحة بالحق - إلى - قرار معين .
١٧٣ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - إلى قوله - سابقون .
١٧٦ ولا نكلف نفساً إلا وسعها - إلى - معرضون .
١٧٩ وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم - إلى - تعقلون .
١٨٢ قل لمن الأرض ومن مِنها - إلى - يوم يبعثون .
١٨٨ فإذا نفخ في الصور - إلى قوله - تضحكون .
١٩١ إني جزيتهم اليوم بما صبروا - إلى - الراحمين .


تفسير سورة النور


١٩٤ فضلها .
١٩٥ الزاني لا ينكح إلا زانية - إلى قوله - المؤمنين .
١٩٨ والذين يرمون المحصنات - إلى قوله - تواب حكيم .
٢٠٣ إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم - إلى قوله - عظيم .
٢٠٧ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا - إلى قوله - الحق المبين .
٢١٢ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم - إلى - لعلكم تفلحون .
٢١٨ وانكحوا الأيامى منكم - إلى قوله - للمتقين .
٢٢١ الله نور السموات والأرض - إلى قوله - بغير حساب .
٢٢٨ والذين كفروا أعمالهم كسراب - إلى قوله - من نور .
٢٣٠ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات إلى قوله - مستقيم .
٢٣٤ ويقولون أمنا بالله وبالرسول - إلى قوله - الفائزون
٢٣٧ واقسموا بالله جهد أيمانهم إلى قوله - الفاسقون .
٢٤٠ واقيموا الصلاة - إلى قوله - سميع عليم .
٢٤٤ ليس على الأعمى حرج - إلى قوله - تعقلون .
٢٤٧ انما المؤمنون - إلى قوله - عليم .

تفسير سورة الفرقان

٢٥٠ تفسيرها .
٢٥١ واتخذوا من دونه الهة ـ الى قوله ـ قصوراً .
٢٥٤ بل كذبوا بالساعة ـ الى ـ بصيراً .
٢٥٨ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ـ إلى قوله ـ مهجوراً .
٢٦٤ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ـ إلى قوله ـ نشوراً .
٢٦٧ وإذ رأوك إن يتخذونك ـ الى ـ كفوراً .
٢٧١ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ـ الى ـ نفوراً .
٢٧٥ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ـ الى ـ رحيماً .
٢٨١ ومن تاب وعمل صالحاً ـ الى قوله ـ لزاماً .

تفسير سورة الشعراء

٢٨٦ فضلها
٢٨٧ تلك آيات الكتاب ـ إلى قوله ـ الرحيم .
٢٨٩ وإذ نادى ربك موسى ـ إلى قوله ـ مبين .
٢٩٤ قال فأت به ـ إلى ـ منقلبون .
٢٩٦ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا ـ إلى قوله ـ الرحيم .
٣٠١ واتل عليهم نبأ إبراهيم ـ إلى ـ الرحيم .
٣٠٦ كذبت قوم نوح المرسلين ـ إلى ـ الرحيم .
٣٠٨ كذبت عاد المرسلين ـ إلى قوله ـ الرحيم .
٣١١ كذبت ثمود المرسلين ـ إلى قوله ـ الرحيم .
٣١٣ كذبت قوم لوط المرسلين ـ إلى ـ الرحيم .
٣١٥ كذب أصحاب لايكة المرسلين ـ إلى ـ الرحيم .
٣١٧ وأنه لتنزيل رب العالمين ـ إلى ـ لمعزولون .
٣٢١ فلا تدع مع الله إلهاً آخر ـ إلى قوله ـ ينقلبون .

تفسير سورة النمل

٣٢٧ فضلها .
٣٢٨ إذ قال موسى لأهله ـ الى قوله ـ المفسدين .
٣٣٣ ولقد أتينا داود ـ إلى قوله ـ الصالحين .
٣٣٧ وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد ـ إلى قوله ـ العظيم .
٣٤٢ قال سننظر أصدقت ـ إلى قوله ـ صاغرون .

٣٤٦ قال عفريت من الجن - إلى قوله - العالمين .
٣٥٢ ولقد أرسلنا إلى ثمود - إلى قوله - يتقون .
٣٥٥ ولوطاً إذ قال لقومه - إلى قوله - يبعثون .
٣٥٩ وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً - الى قوله - مبين .
٣٦٣ إن هذا القرءان يقص - الى - لا ينطقون .
٣٦٧ ألم تروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه - إلى قوله - تعملون .

سورة القصص

٣٧٣ فضلها - تفسيرها .
٣٧٣ تلك آيات الكتاب المبين - إلى قوله - يحذرون .
٣٧٥ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه - الى قوله - المؤمنين .
٣٧٩ وقالت لأخته قصيه - الى - مضل مبين .
٣٨٢ قال رب إني ظلمت نفسي - إلى قوله - الناصحين .
٣٨٤ فخرج منها خائفاً - إلى قوله - الظالمين .
٣٨٨ قالت احداهما يا أبت استأجره - الى قوله - الغالبون .
٣٩٥ فلما جاءهم موسى بآياتنا - الى قوله - المقبوحين .
٣٩٨ ولقد آتينا موسى الكتاب - إلى قوله - الظالمين .
٤٠٢ الذين اتيناهم الكتاب من قبله - إلى قوله - الجاهلين .
٤٠٤ انك لا تهدي من أحببت - إلى قوله - تعقلون .
٤٠٧ أفمن وعدناه وعداً حسناً - إلى قوله - يتساءلون .
٤٠٩ فأما من تاب وعمل صالحاً - إلى قوله - يفترون .
٤١٢ إن قارون كان من قوم موسى - إلى قوله - الكافرون .
٤١٩ من جاء بالحسنة فله خير منها - إلى قوله - ترجعون .

فهرس الجزء الثامن

تفسير سورة العنكبوت

٤٢٥ فضلها - تفسيرها .
٤٢٦ أحسب الناس أن يتركوا - إلى - العليم .
٤٢٨ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه - إلى قوله - العالمين .
٤٣١ وليعلمن الله الذين امنوا - إلى قوله - قدير .
٤٣٥ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء - إلى - ناصرين .

٤٣٩ فآمن له لوط - إلى قوله - المفسدين .
٤٤١ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى - إلى قوله - يعقلون .
٤٤٢ وإلى مدين أخاهم شعيباً - إلى قوله - ما تصنعون .
٤٤٨ ولا تجادلوا أهل الكتاب - إلى قوله - نذير مبين .
٤٥١ أو لم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب - إلى - تعملون .
٤٥٣ يا عبادي الذين امنوا إن أرضي واسعة - إلى قوله - العليم .
٤٥٦ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض - الى - المحسنين .

تفسير سورة الروم

٤٥٩ فضلها .
٤٥٩ ألم غلبت الروم - إلى قوله - غافلون .
٤٦٢ أو لم يتفكروا في أنفسهم - إلى قوله - تنتشرون .
٤٦٨ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً - الى - تخرجون .
٤٧١ وله من في السموات والأرض - إلى قوله - لا يعلمون .
٤٧٥ منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة - الى قوله - يشركون .
٤٧٩ ظهر الفساد في البر والبحر - إلى قوله - الكافرين .
٤٨١ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات - الى - قدير .
٤٨٤ ولئن ارسلنا ريحا - الى قوله - يؤفكون .
٤٨٦ وقال الذين أوتوا العلم - إلى قوله - لا يوقنون .

تفسير سورة لقمان

٤٨٨ فضلها
٤٨٨ تلك ايات الكتاب الحكيم - الى قوله - زوج كريم .
٤٩٢ هذا خلق الله - الى قوله - تعملون .
٤٩٥ فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان .
٤٩٧ يا بنيّ أنها إن تك مثقال حبة من خردل - الى قوله - كتاب منير .
٥٠١ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله - الى قوله - العلي الكبير .
٥٠٥ ألم تر أن الفلك تجري في البحر - إلى قوله - خبير .

تفسير سورة السجدة

٥٠٨ فضلها .
٥٠٨ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب

العالمين ـ الى قوله ـ تعدون .
٥١١ ذلك عالم الغيب والشهادة ـ إلى قوله ـ لا يستكبرون .
٥١٦ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ إلى قوله ـ تكذبون .
٥١٩ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى ـ الى قوله ـ يختلفون .

تفسير سورة الأحزاب

٥٢٤ فضلها .
٥٢٤ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ـ الى ـ رحيماً .
٥٢٨ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ـ إلى قوله ـ الظنونا .
٥٣٣ قصة غزوة الخندق .
٥٤١ هنالك ابتلى المؤمنون ـ الى قوله ـ إلا قليلاً .
٥٤٧ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ـ الى ـ عزيزاً .
٥٥٠ وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ـ الى قوله ـ كريماً .
٥٥٦ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ـ إلى قوله ـ عظيماً .
٥٦١ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ـ إلى قوله ـ عليماً .
٥٦٧ يا أيها الذين امنوا اذكروا الله ـ الى قوله ـ رحيماً .
٥٧٢ ترجي من تشاء منهن ـ إلى قوله ـ شهيداً .
٥٧٧ إن الله وملائكته يصلون على النبي ـ إلى ـ تبديلاً .
٥٨١ يسئلك الناس عن الساعة ـ إلى قوله ـ وجيهاً .
٥٨٤ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ـ إلى قوله ـ رحيماً .

سورة سبأ

٥٨٨ فضلها ـ تفسيرها .
٥٨٨ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ـ إلى قوله ـ أليم .
٥٨١ ويرى الذين أوتوا العلم ـ إلى قوله ـ منيب .
٥٩٤ ولقد آتينا داود منا فضلاً ـ إلى قوله ـ المهين .
٦٠١ لقد كان لسبأ في مسكنهم اية جنتان ـ إلى قوله ـ شكور .
٦٠٦ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ـ إلى قوله ـ تعملون .
٦١٠ قل يجمع بيننا ربنا ـ إلى قوله ـ بمعذبين .
٦١٤ قل إن ربي يبسط الرزق ـ إلى قوله ـ يعبدون .
٦١٧ قالوا سبحانك أنت ولينا ـ إلى قوله ـ نكير .

٦١٨ قل إنما أعظكم بواحدة - إلى قوله - قريب .
٦٢٠ ولو ترى إذ فزعوا - إلى قوله - مريب .

### تفسير سورة فاطر

٦٢٤ فضلها .
٦٢٤ الحمد لله فاطر السموات والأرض - الى قوله - الغرور .
٦٢٧ إن الشيطان لكم عدو - إلى قوله - يبور .
٦٢٩ والله خلقكم من تراب - إلى قوله - بعزيز .
٦٣٢ ولا تزر وازرة وزر أخرى - إلى قوله - نكير .
٦٣٤ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - إلى - شكور .
٦٣٦ والذي أوحينا إليك من الكتاب - إلى قوله - لغوب .
٦٤٠ والذين كفروا لهم نار جهنم - إلى قوله - غروراً .
٦٤٣ إن الله يمسك السموات والأرض - إلى قوله - بصيراً .

### تفسير سورة يّس

٦٤٦ فضلها .
٦٤٧ والقرءان الحكيم - إلى قوله - لا يؤمنون .
٦٥٢ إنما تنذر من اتبع الذكر - إلى قوله - المرسلين .
٦٥٦ اتبعوا من لا يسألكم أجراً - إلى قوله - يستهزئون .
٦٦٠ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم - إلى قوله - يسبحون .
٦٦٥ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون - إلى قوله - يرجعون .
٦٦٨ ونفخ في الصور - إلى قوله - مبين .
٦٧٢ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم - إلى قوله - الكافرين .
٦٧٥ أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا - إلى - ترجعون .

### تفسير سورة الصافات

٦٨١ فضلها .
٦٨١ والصافات صفاً - إلى قوله - ثاقب .
٦٨٥ فاستفتهم أهم أشد خلقاً - إلى - يوم الدين .
٦٨٧ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون - طاغين .
٦٨٩ فحق علينا قول ربنا - إلى قوله - يتساءلون .
٦٩٣ قال قائل منهم إني كان لي قرين - إلى قوله - يهرعون .
٦٩٨ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين - إلى

قوله ـ الآخرين .
٧٠٠ وإن من شيعته لابراهيم ـ إلى قوله ـ الصالحين .
٧٠٤ فبشرناه بغلام حليم ـ إلى قوله ـ مبين .
٧١١ ولقد مننا على موسى وهارون ـ إلى قوله ـ المؤمنين .
٧١٤ وإن لوطاً لمن المرسلين ـ إلى قوله ـ إلى حين .
٧١٧ فاستفتهم ألربك البنات ـ إلى قوله ـ يعلمون .
٧٢٠ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا ـ إلى قوله ـ العالمين .

## تفسير سورة ص

٧٢٣ فضلها .
٧٢٣ والقرءان ذي الذكر ـ إلى قوله ـ عجاب .
٧٢٦ وانطلق الملأ منهم ـ إلى قوله ـ الأسباب .
٧٢٨ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ـ إلى قوله ـ الخطاب .
٧٣٢ وهل أتاك نبأ الخصم ـ إلى قوله ـ مآب .
٧٣٦ يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض ـ إلى قوله ـ الألباب .
٧٣٨ ووهبنا لداود سليمان ـ إلى قوله ـ مآب .
٧٤٤ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ـ إلى قوله ـ نفاد .
٧٥١ هذا وإن للطاغين لشر مآب ـ إلى قوله ـ نذير .
٧٥٦ إذ قال ربك للملائكة ـ إلى قوله ـ المخلصين .
٧٥٨ قال فالحق والحق أقول ـ إلى قوله ـ بعد حين .

## تفسير سورة الزمر

٧٦٠ فضلها .
٧٦٠ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ـ الى قوله ـ الغفار .
٧٦٣ خلقكم من نفس واحدة ـ الى قوله ـ حساب .
٧٦٨ قل إني أمرت أن أعبد الله ـ إلى قوله ـ الميعاد .
٧٧١ ألم تر أن الله أنزل من السماء ـ إلى قوله ـ لا يشعرون .
٧٧٤ فأذاقهم الله الخزي ـ الى قوله ـ يعملون .
٧٧٧ أليس الله بكافٍ عبده ـ الى قوله ـ عذاب مقيم .
٧٧٩ إنا أنزلنا الكتاب للناس بالحق ـ الى قوله ـ يستبشرون .
٧٨٢ قُل اللهُم فاطِر السموات والأرض ـ

إلى قوله ـ يكسبون .
٧٨٤ فأصابهم سيئات ما كسبوا ـ إلى قوله ـ تشعرون .
٧٨٥ أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت ـ إلى ـ للمتكبرين .
٧٨٨ وينجي الله الذين اتقوا ـ إلى قوله ـ الشاكرين .
٧٩٠ وما قدروا الله حق قدره ـ إلى قوله ـ يفعلون .
٧٩٣ وسبق الذين كفروا إلى جهنم ـ إلى قوله ـ العالمين .

تفسير سورة غافر

٧٩٧ فضلها .
٧٩٨ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ـ إلى قوله ـ عقاب .
٨٠٠ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا ـ إلى قوله ـ فتكفرون .
٨٠٣ قالوا ربنا أمتنا اثنتين ـ إلى قوله ـ سريع الحساب .
٨٠٦ وأنذرهم يوم الأزفة ـ إلى قوله ـ البصير .
٨٠٧ أو لم يسيروا في الأرض ـ إلى قوله ـ في ضلال .
٨٠٩ وقال فرعون ذروني أقتل موسى ـ إلى قوله ـ الأحزاب .
٨١٢ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ـ إلى قوله ـ جبار .
٨١٤ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ـ إلى قوله ـ بغير حساب .
٨١٦ ويا قوم مالي ادعوكم إلى النجاة ـ إلى قوله ـ العذاب .
٨١٨ وإذ يتحاجون في النار ـ إلى قوله ـ في ضلال .
٨١٩ إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا ـ إلى قوله ـ والإبكار .
٨٢١ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ـ إلى قوله ـ داخرين .
٨٢٤ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ـ إلى قوله ـ العالمين .
٨٢٥ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ـ إلى قوله ـ يعلمون .
٨٢٧ إذ الأغلال في أعناقهم ـ إلى قوله ـ تمرحون .
٨٢٩ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ـ إلى قوله ـ تحملون .
٨٣٠ ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون إلى قوله ـ الكافرون .

شماره ثبت ٣٥٤٤٢
رده‌بندی
تاریخ ١٣٧٦/٤/٢٦
کتابخانه بنیاد دایرة المعارف اسلامی